أخبار اليوم
قطاع الثقافة

السيرة النبوية

لابن إسحاق

المجلد الأول

مطبوعات
أخبار اليوم
قطاع الثقافة

سيرة النبويه
محمد بن إسحاق
١٥١ هجرى

رئيس مجلس الإدارة :

إبراهيم سعده

NOTE:
THESE BOOKS ARE
SCANNED FOR OUR
CHILDREN KNOWLEDGE.
THANK TO BROTHER
NASIR UDDIN ARIF
TALIB DUA

NAZAR + AHMAD ALI

مطبوعات

أخبار اليوم

قطاع الثقافة

دار أخبار اليوم
قطاع الثقافة
جمهورية مصر العربية
٦ ش الصحافة القاهرة
تليفون وفاكس : ٥٧٩٠٩٣٠

تقديم

هذه طبعة جديدة للسيرة النبوية الشريفة .. التى كتبها محمد بن إسحاق المطلبى الشهير بابن إسحاق المتوفى سنة ١٥١ هجرية .. وهى أصدق وأصح الطبعات وأكثرها شمولا .. وتجمع لأول مرة سيرة بن إسحاق كاملة من المخطوطات وبطون الكتب الأمهات .

ويقدم قطاع الثقافة فى دار أخبار اليوم هذه الطبعة الجديدة فى مجلدين يصدران تباعا..

والله ولى التوفيق .

الطبعة الأولى
١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

المجلد الأول

السيرة النبوية

لابن إسحاق

حقق أصولها ووثق نصوصها وكتب مقدمتها
وعلق عليها وضبط ألفاظها ووضع فهارسها

طه عبد الرؤوف سعد
من علماء الأزهر الشريف

بدوى طه بدوى
محقق فى التراث الإسلامى

بسم الله الرحمن الرحيم

إهــــــداء

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ، والصلاة والسلام عليك سيدى يا رسول الله ، يا من بلَّغتَ الرسالة وأديتَ الأمانة ، ونصحتَ الأمة وتركتنا على المحجَّة البيضاء ٠

سيدى يا رسول الله ، كلما ادلهمَّت ظلمات الأنفس ، واضطربت سكينة الأفئدة ، وضاقت فجاج الأرض بما رحبت ، تتطلع القلوب المؤمنة إلى رحمة الله وتترقرق فى العيون دموع الرجاء ، وتختلج فى الصدور زفرات الندم ، وإذا بشعاع الأمل يشرق بسنا طلعتك فيهدى الحيارى مثلما اهتدت البشرية من قبل عند ما نظرت الدنيا ترقب الأمل المشرق فى سمائها ، فتهادت أضواؤه تهادى الرجاء فى القلوب الحائرة ، وشع لألاؤه فارتسمت على صفحة الكون صورة الجلال ، وسُــطر فى أفق الحياة اسم محمد بن عبد الله ، وأقبل الروح الأمين بهدية الســماء إلى العالمين : ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم** ﴾ ٠

سيدى يا رسول الله ٠٠ إن العالم اليوم أحــوج ما يكون إلى النظر فى سيرتك ، وما أشد حاجة المسلمين اليوم إلى الأسوة الحسنة فى روعة شخصيتك والاقتداء بما تركته بين أيدينا حتى لا تجرفنا تيارات الضلال ونزغات الهوى ٠

فهل تأذن لنا يا سيدى يا رسول الله يا خير مرسل ويا أفضل الخلق أن نقف ببابك ونجول بنظرنا وفكرنا فى جنبات سيرتك ومغازيك ، نبغى الهداية والعبرة والموعظة الحسنة ، ونُهدى هذه الطبعة من (سيرة ابن إســحاق) إليك ســيدى أبا القاسم ، يا علم الهدى ونبى الرحمة لعلها تكون يوم الحساب نورًا لنا على الصراط المستقيم ٠

طه عبد الرءوف سعد — بدوى طه بدوى

من علماء الأزهر الشريف — محقق فى التراث الإسلامى

بسم الله الرحمن الرحيم

« مقدمة فى علم السيرة »

الحمد لله المنعم الأعظم ، والصلاة والسلام على النبى الأكرم ، رسول الهدى ونبى الرحمة ، وخير خلق الله أجمعين وشفيع أمته يوم الدين ·

هذا رسول الله هذا المصطفى هذا لكل العالمين رسول

أما بعد :

فمما لا شك فيه أن دراسة سيرة النبى ﷺ ومعرفة جوانب شخصيته أمر ضرورى لكل مسلم ؛ فبها نتمكن من فهم أحكام ديننا ومعرفة سنة نبينا ﷺ وأفعاله فى حياته ، وما يتعلق بالدين والدنيا ؛ ولكى نتخذ من سيرته العطرة القدوة الحسنة والعبرة والعظة ؛ لأن صاحبها هو المثل الأعلى فى كل شىء وصدق حين قال : « **أدّبنى ربى فأحسن تأديبى** » ·

وعلى هذا فإن أعظم الكتب التى عنيت بسيرة أعظم العظماء ﷺ هو كتاب « **سيرة ابن إسحاق** » الذى بين أيدينا نُحققه ونقدِّم له - وهو من أقدم كتب السير الجامعة وأهمها ·

ويُعتبر الكتاب بحق إنجازا رائعا حققه ابن إسحاق فى مجال إنشاء الكتابة التاريخية ، كما أن مادته غنية جدا وحوت كل ما تجمع لدى العرب المسلمين من أخبار ·

فالكتاب إذن من أوائل أمهات المراجع وأهمها فى السيرة النبوية العطرة ، ومن هنا كانت أهمية تحقيقه وشرحه ·

ونحمد الله عز وجل أن وفقنا لهذه المهمة العظيمة ، وأن نزيد على روايات الكتاب الأصلية روايات لابن إسحاق من سيرة ابن هشام الذى استشهد بها أيضا من أكثر من مخطوطة وما تناثر فى بطون بعض الكتب كالأحكام السلطانية للماوردى وكتاب ريحان المروج وغيرها وذلك لنجمع روايات ابن إسحاق كلها فى كتاب واحد - الذى بأيدينا الآن - كما وفقنا الله لوضع عناوين فرعية داخل الموضوعات ؛ وذلك حتى تعم الفائدة ويعم النفع ·

ونسأل الله العظيم أن نكون قد وفَّينا هذا الكتاب حقه ، وأن يجعل هذا العمل المتواضع خالصًا لوجهه الكريم وفى ميزان حسناتنا وحسنات من قرأه فعمل به واتخذ من الرسول الأسوة الحسنة ، وأن يجعلنا من المقبولين إنه نعم المولى ونعم النصير ، والحمد لله رب العالمين ·

* مفهوم السيرة

يراد بسيرة رسول الله ﷺ التعرف على حياته منذ ظهور الإرهاصات التى مهَّدت لرسالته ، وما سبق مولده من سمات تلقى أضواء رحمانية على طريق الدعوة المحمدية ، ومولده ونشأته حتى مبعثه وما جاء بعد ذلك من دعوة الناس إلى الدين الحنيف ، وما لقى فى سبيل نشر الإسلام من معارضة ، وما جرى بينه ﷺ وبين من عارضوه من صراع بالقول والسيف ، وذكر من استجاب له حتى علت راية الحق وأضاءت شعلة الإيمان ·

* التأريخ عند العرب والمسلمين

إن مفهوم التأريخ عند العرب يتضح فيما جاء فى روايات الأنساب من ذكر لبعض أحداث وقعت وورد ذكرها فى ثنايا حديث النسَّابين ، ولعل هذه الفترة قد سبقت مطلع فجر الإسلام ، وإن كانت قد تجلت بصورة أوضح فى مبدأ الدعوة وإن كان قد بدا لنا أن أحدًا من الصحابة لم يعن بجمع الأخبار فذلك لأنهم كانوا مشغولين بالجهاد ، والفتوح ، والذى التفت إلى هذا هم فريق من التابعين الذين كانوا يعتمدون فى جمع مادتهم على سؤال من شاهدوا الغزوات من الصحابة ومَن صاحب الأحداث التى وقعت للمسلمين فى عهد صاحب الرسالة ﷺ ·

لكن الشكل التقليدى للتأريخ فى أبسط صوره ظهر على تلك الصورة فى العصر الأموى ، غير أن مؤرخى بنى أمية لم يعنهم من التاريخ إلاَّ ما دعتهم إليه أسباب المحافظة على أركان الدولة من ثناء وإطراء بمن اشتهر منهم أو تحقيق لرواية نسب من الأنساب يكون فيها صالح لدولتهم · وإن كان الدافع إلى ذلك فى أغلب الأحيان هو الرغبة فى العطاء ، ومما يؤسف له أنه لم يصل إلينا من هذا التاريخ شىء مجموع إلا ما تناثر فى بطون بعض كتب الأدب نقلا عن الرواة ، وقد يرجع ذلك إلى أسباب الاضطرابات والفتن فى عصر بنى أمية ، ولعل العباسـيين قد تعمدوا إزالة آثار

الأمويين ، أو لعل الناس قد هجرت تلك الكتب وأهملتها مجاملة لرأى بنى العباس . على أن التاريخ الإسلامى فى حقيقة أمره لم يتمهد له السبيل إلا فى العصر العباسى حيث ظهرت بوادر التآليف فى التواريخ العامة والخاصة . والحق أن أول كتاب على الإطلاق ظهر وفيه لمحات تاريخية هو « القرآن الكريم » . كتاب رب العالمين ، وقد تجلى ذلك فى استخراج العبرة من بعض الحوادث التى وردت فى آيات الله البينات .

وعندما أخذ علماء الإسلام فى جمع القرآن الكريم وتفسيره ، وجمع الأحاديث وجدوا أنفسهم فى حاجة إلى تحقيق أماكن نزول الآيات وإيضاح حقائق الأحداث التى جرت وكذلك بالنسبة لجمع الأحاديث ، فكان لابد من الرجوع إلى السيـــرة النبوية أولا ؛ لأنها المنبت الخصب لذلك كله ، والمرجع الصادق فى هذا الشأن .

*** منهج السيرة**

ابتدأت السيرة عند المسلمين عمومًا بسرْد نسب النبى ﷺ وقد تطلب هذا إشارة إلى أنساب بعض أخيار العرب وأفاضلهم وذكر أخبارهم فى الجاهلية وعاداتهم وتقاليدهم وعباداتهم ، وذكر الأحداث الهامة التى وقعت بينهم كإعادة حفر بئر زمزم على يد عبد المطلب بن هاشم ، ومولد الرسول ﷺ ونشأته ومبعثه ومن استجاب لدعوته وآمن برسالته ، وما لقيه النبى ﷺ فى سبيل نشر الدعوة من أذى وتعنت وما قاساه من نصب وإرهاق ، وما عاناه المؤمنون من إيذاء الكفار لهم ، وهجرتهم الأولى والثانية إلى الحبشة فراراً بدينهم ، وعرض رسول الله نفسه على قبيلة ثقيف وغيرها من القبائل ليؤمنوا به ويتبعوا النور الذى أنزل معه ، حتى كان حُسن طالع أهل يثرب أن شرح الله صدورهم للإيمان بدعوة رسوله فهاجر إلى المدينة هو والذين آمنوا معه ، وكذلك ذكر ما وقع فى المدينة بين الرسول وبين اليهود من مفاوضات ومحادثات ومعاهدات نقضوها فدارت عليهم دائرة السوء وتطهرت منهم أرض يثرب وأعز الله المسلمين .

ومن المدينة المنورة انطلقت جحافل جيوش المسلمين تدعو إلى الحق وترفع لواء الإيمان ، ومنها أرسلت الوفود تنادى بالسلام إلى الإسلام فجاء نصر الله والفتح ودخل الناس فى دين الله أفواجًا .

وبعد ذلك توالت أخبار أزواج النبى ثم مرض الرسول وتمريضه فى بيت عائشة

رضى الله عنها . وانتقاله إلى الرفيق الأعلى ، وأمر ثقيفة بنى ساعدة ، واتفاق رأى المسلمين على اختيار الصدّيق خليفة لرسول الله وما كان من أمر تجهيز الرسول عليه السلام ودفنه ورثاء حسان له .

* الروّاد الأوائل من كُتاب السِّير

لقد عنى بكتابة السيرة كثير من الرواة والمؤرخين والعلماء ، ومن بين الأسماء الكثيرة التى عنيت بكتابة وجمع السيرة ما يلى :

- عروة بن الزبير بن العوام ، المتوفى سنة ٩٣ هـ .
- أبان بن عثمان بن عفان ، المتوفى سنة ١٠٥ هـ .
- شرحبيل بن سعد ، المتوفى سنة ١٢٣ هـ .
- ابن شهاب الزهرى ، المتوفى سنة ١٢٤ هـ فى كتابه « المغازى »
- عبد الله بن أبى بكر بن حزم ، المتوفى سنة ١٣٥ هـ .
- موسى بن عقبة ، المتوفى سنة ١٤١ هـ فى كتابه « المغازى » أيضًا .

وفى مكتبة برلين نسخة بهذا الاسم جمعها يوسف بن محمد بن عمر تشتمل على الغزوات النبوية ، ومنها قطعة منتخبة طبعت فى أوربا سنة ١٩٠٤ م .

- معمر بن راشد ، المتوفى سنة ١٥٠ هـ .
- محمد بن إسحاق بن يسار ، المتوفى سنة ١٥١ هـ ، وكتابه الذى بين أيدينا الآن وهو المسمى بـ « **السِّير والمغازى** » .
- زياد بن عبد الله البكّائى ، المتوفى سنة ١٨٣ هـ .
- الواقدى صاحب كتاب « المغازى » المتوفى سنة ٢٠٧ هـ .
- أبو محمد عبد الملك بن هشام ، الشهير بـ « ابن هشام » صاحب كتاب « السيرة النبوية » المتوفى سنة ٢١٣ هـ .
- محمد بن سعد صاحب كتاب « الطبقات » المتوفى سنة ٢٣٠ هـ .

* شُرّاح السيرة

ولقد تناول السيرة بعد ابن هشام - فريق ممن شرح الله صدورهم للإيمان والعلم

بما فى سيرة سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام ، من نور يهدى به الله عباده الذين اتبعوا رضوانه سبل السلام ، فقام هؤلاء بتناول السيرة بالشرح والتوضيح والتحقيق أو الاختصار أو التهذيب ، ونخص بالذكر من هؤلاء :

● **السهيلى (٥٠٨ / ٥٨١ هـ) .**

أما السهيلى ، فهو الذى قام بشرح سيرة ابن هشام فى كتابه : « **الروض الأنف** » ومنهجه كما جاء فى مقدمة كتابه ما يلى : « إيضاح ما قع فى سيرة ابن إسحاق التى لخصها عبد الملك بن هشام من لفظ غريب ، أو إعراب غامض ، أو كلام مستغلق ، أو نسب عويص ، أو موضع فقه ينبغى التنبيه عليه أو خبر ناقص يوجد السبيل إلى تتمته .... » ، ولا يسعنا هنا فى هذه العجالة أن نؤرخ لهذه الشخصية الفذة ، ومن أراد ذلك فعليه الرجوع إلى كتاب « الروض الأنف تحقيق طه عبد الرءوف سعد » .

● ثم أبا ذر الخشنى (٥٣٥ / ٦٠٤ هـ) وهو مُصعب بن محمد بن مسعود ابن عبد الله بن مسعود الجيَّانى الخُشني ، كان عالماً بالعربية والحديث وعارفًا بالآداب واللغات ، وأحد من قرض الشعر وكان له ناقدًا ، وكان طويل الباع فى معرفة أخبار العرب وأحداثها وأشعارها وهو صاحب كثير من المؤلفات المشهورة وأهمها كتابه فى شرح الغريب من سيرة ابن إسحاق .

* **نسخ وطبعات السيرة رواية ابن هشام .**

إن النسخ المخطوطة من السيرة كثيرة ، ويوجد أغلبها فى معظم مكاتب أوربا ، وهناك نسخة ناقصة بالمكتبة التيمورية ، أما النسخه الأصلية رواية ابن إسحاق فقد كان « كربسيك Karabacek » يظن أنه عثر على ورقة منها بين مجموعة البردى الخاصة بالأرشيدوق « رينر Rainer » والمحفوظة فى مكتبة مدرسة كوبريلى باستانبول (دفتر ١١٤٠) ولكن ظهر أنها نسخة من سيرة ابن هشام ، ونحن نؤكد أن كتاب المغازى والسِّير لابن إسحاق « سيرة ابن إسحاق » باقيًا حتى اليوم فى بطون الكتب مثل ما جاء فى كتاب الماوردى « الأحكام السلطانية » وفى الفقرات التى أوردها الطبرى فى تاريخه أيضا فى بعض المخطوطات الناقصة .

١ - طبعة جوتنجن - وهى أصحها - بألمانيا سنة ١٨٦٠ م بعناية المستشرق وستنفيلد فى مجلدين ، مضبوطة بالشكل اللازم ، وألحقها بجزء ثالث فيه تعاليق وملاحظات وفهارس . وفى صـــدره ترجمة ابن إســـحاق نقلا عن ابن قتيبة

وابن خلكان وابن النجار ، ونقل عن كتاب عيون الأثر لابن سيد الناس اليعفرى من أهل القرن الثامن للهجرة ما قيل فى ابن إسحاق ومناقبه وما قيل فى الطعن فيه والرد على الطعن ، وغير ذلك من الفوائد الكثيرة .

٢ - طبعة بولاق فى ثلاثة أجزاء سنة ١٢٩٥ هـ .

٣ - المطبعة الخيرية فى مصر فى ثلاثة مجلدات سنة ١٢٢٩ هـ .

٤ - طبعة ليبزج سنة ١٩٠٠ م .

٥ - طُبعت على هامش كتاب « الروض الأُنف » بمطبعة الجمالية سنة ١٣٣٢هـ.

٦ - طبعت على هامش كتاب « زاد المعاد فى هدى خير العباد » سنة١٣٣٣هـ.

٧ - طبعت فى شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبى وأولاده طبعتين : الأولى سنة ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م ، والثانية سنة ١٢٧٥ هـ - ١٩٥٥ .

٨ - طبعت فى مطبعة حجازى للمكتبة التجارية سنة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م .

وها نحن نجمع سيرة ابن إسحاق من المخطوطات التى وقعت لنا ولكنها - ناقصة فأكملناها من بطون بعض الكتب التى ذكرناها وما لم نجده أخذناه من سيرة ابن هشام والتى رواها عن ابن إسحاق حتى جاء كتابنا هذا أشمل مجموع للسير والمغازى (سيرة ابن إسحاق) والله الموفق إلى سواء السبيل .

* * *

ترجمة محمد بن إسحاق صاحب السيرة
٨٥ - ١٥١ هـ

١ - نسبه ونشأته

● كنيته أبو عبد الله ، وقيل أبو بكر ، محمد بن إسحاق بن يسار بن جبار ، وقيل : ابن يسار بن كونان ، وفى « عيون الأثر » يقول ابن سيد الناس : هو محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار ، ويقال : ابن يسار بن كوثان المدينى .

● كان جده يسار أول سبى دخل المدينة من العراق ، حيث سباه خالد بن الوليد وأسره عام ١٢ هـ . ٦٣٣م فى كنيسة بعين التمر (وهى بلد قرب الأنبار بالعراق) وأصبح من موالى قبيلة عبد الله بن قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف القرشى ، ومن ثَم فيقال : يسار المطلبى بالولاء ، المدنى بالمُقام .

● وفى المدينة شب محمد بن إسحاق وكرَّس جهده لجمع الأخبار والقصص المتعلقة بحياة النبى ﷺ . وكان له أخوان من رواة الحديث هما : عُمر ، وأبو بكر .

٢ - أساتذته

رأى ابن إسحاق أنس بن مالك - مفتى المدينة وإمام دار الهجرة وصاحب الموطأ فى الفقه - وسعيد بن المسيَّب ، وسمع القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ، وأبان بن عثمان بن عفان ، ومحمد بن على بن الحسن بن على بن أبى طالب ، وأبا سلمة بن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، ونافعًا مولى ابن عمر ، والزهرى وغيرهم وتعلم منهم جميعًا .

٣ - تلامذته

كما كان لابن إسحاق أساتذة عظماء كان له تلاميذ عظماء وأئمة علماء حدَّثوا عنه منهم : يحيى بن سعيد الأنصارى وسفيان الثورى ، وابن جريج وشعبة ، والحمادان ، وإبراهيم بن سعد ، وشريك بن عبد الله النخعى ، وسفيان بن عيينة ومن بعدهم من الحفَّاظ والعلماء .

كما كان لابن إسحاق تلامذة حفظوا روايته « رواية سيرته » وتناقلوها وهم الرواة الثقات : يونس بن بُكير المتوفى سنة ١٩٩ هـ ، وزياد بن عبد الله البكّائى ، المتوفى سنة ١٨٣ هـ ، ومحمد بن سلمة الحرانى المتوفى سنة ١٩١ هـ .

٤ - مكانة ابن إسحاق وثناء العلماء عليه

محمد بن إسحاق ثَبْتٌ فى الحديث عند أكثر العلماء ، ولا تُجهل إمامته فى المغازى والسِّير ، فهو رئيس أهل المغازى والسِّير .

- قال ابن شهاب الزهرى : من أراد المغازى فعليه بابن إسحاق .
- ذكره البخارى فى تاريخه مثنيًا عليه .
- قال الشافعى ﷺ مثنيًا على ابن إسحاق : من أراد أن يتبحر فى المغازى فهو عيال على ابن إسحاق .
- قال شعبة بن الحجاج : ابن إسحاق أمير المؤمنين فى الحديث .
- ذكر الساجى أن أصحاب الزهرى كانوا يلجأون إلى ابن إسحاق فيما شكُّوا فيه من حديث الزهرى ، ثقة منهم بحفظه .
- حكى عن يحيى بن مَعين والإمام أحمد بن حنبل ويحيى بن سعيد القطان أنهم وثَّقوا محمد بن إسحاق واحتجوا بحديثه .
- قال عنه المرزبانى : محمد بن إسحاق أول من جمع مغازى رسول الله ﷺ وألَّفها .

٥ - مؤلفاته

يبدو أن ابن إسحاق كان قد دوَّن سيرة النبى ﷺ فى كتابين :

١ - « كتاب المبتدأ » أو « مبتدأ الخلق » أو « كتاب المبدأ وقصص الأنبياء » وهو تاريخ النبى حتى الهجرة ، ورواه عنه إبراهيم بن سعد ، ومحمد بن عبد الله بن نمير النفيلى المتوفى فى سنة ٢٣٤ هـ .

٢ - « كتاب المغازى » وهو الذى بين أيدينا الآن - وهو أهم مؤلفاته ولعل هذا الكتاب هو الذى اعتمد عليه الماوردى فى كتابه « الأحكام السلطانية » والحق أن الفائدة ستكون كبيرة فى هذا الكتاب - الذى بين يديك الآن - عزيزى القارئ ؛ الذى جمع النسخة الأصلية بالإضافة إلى كل ما رواه ابن إسحاق فى سيرة ابن هشام وزائدًا ومكمِّلا للنسخة الأصلية لسيرة ابن إسحاق ، وبذلك تكون السيرة النبوية لابن إسحاق كاملة فى كتاب واحد تضم سيـــرة الرسول ﷺ كاملة وتنشر لأول مرة بحمد الله .

ولابن إسحاق مؤلف آخر هو :

« كتاب الخلفاء » وقد رواه عنه الأموى ، وقد كان لظهور كتاب « المغازى » أثره على شهرة هذا الكتاب ، فيبدو أنه قلل من شأنه وأطفأ من بريقه .

٦ - رحلات ابن إسحاق طلبًا للعلم

حدث أن اصطدم ابن إسحاق بعالم المدينة وأستاذه إمام دار الهجرة الإمام مالك ابن أنس ، فترك ابن إسحاق وطنه « المدينة » ورحل إلى مصر واستقر بها فترة ثم رحل إلى العراق « الكوفة » ولما كان مع العباس بن محمد بالجزيرة سمع منه أهلها ، وكان قد أتى أبا جعفر المنصور بالحيرة فكتب إليه « المغازى » فسمع منه أهل الكوفة ، وذهب إلى « الرّىّ » (وهى مدينة بخراسان) فسمع منه أهلها كذلك ، فرواته من هذه البلدان أكثر ممن روى عنه من أهل المدينة ، ثم رحل بعد ذلك إلى بغداد فأقام بها إلى أن لقى ربه .

٧ - تقسيم سيرة ابن إسحاق

يبدو أن ابن إسحاق كان قد صنَّف جزءًا كبيرًا من السيرة قبل أن يغادر المدينة المنوَّرة ، وصنَّف جزءًا آخر فى الكوفة عندما نزل بها وحدَّث عنه كوفيون كثيرون ، وصنَّف جزءًا ثالثًا فى بغداد عندما انتقل إليها وحدَّث عنه بها كثير أيضًا .

ولتصبح سيرة ابن إسحاق أقسام ثلاثة :

الأولى : من العهد المدنى .

الثانية : من العهد الكوفى .

الثالثة : من العهد البغدادى .

٨ - لماذا كتب ابن إسحاق السيرة ؟

يرجع الفضل فى كتابة جزء من سيرة ابن إسحاق إلى الخليفة العباسى المنصور وذلك أن المنصور كلَّف ابن إسحاق بملازمة ابنه المهدى ، فلازمه ابن إسحاق وصحبــه طويلاً ، وكان يسافر معه ، وسافر معه إلى خراسان حيث حدَّث ابن إسحاق هناك بمدينة (الرىّ) وأملى على من يكتبون وحدَّث عنه كثير من أهلها .

وبأمر من الخليفة المنصور كُلِّف ابن إسحاق أن يصنِّف السيرة النبوية ، فكتبها

ابن إسحاق ، وسمَّاها « كتاب السِّير والمغازى » ولما اطَّلع عليها الخليفة المنصور طلب منه بعض التعديلات وهو التركيز على دور العباس بن عبد المطلب ·

٩ - انتقادات لابن إسحاق والرد عليها ·

● قال الشاذكانى : كان محمد بن إسحاق بن يسار يتشيع وكان قدريا ، وقال أحمد بن يونس : أصحاب المغازى يتشيعون كابن إسحاق وأبى معشر ·

ورد على ذلك ابن سيد الناس فى « عيون الأثر » بقوله : أما ما رمى به ابن إسحاق من القدر والتشيع فلا يوجب رد روايته ولا يوقع فيها كبير وهن ·

● ولقد طعن الإمام مالك فيه - مرة واحدة - وذلك أن ابن إسحاق كان يزعم أن مالكًا من موالى ذى أصبح ، وكان مالك يزعم أنه من أنفسها ، فوقع بينهما مفاوضة ، فلما صنَّف مالك « الموطأ » قال ابن إسحاق : ائتونى به فأنا بيطاره (أى طبيب بعلله) فبلغ ذلك مالك فقال : دجال من الدجاجلة يروى عن اليهود ، وحدث بينهما خلاف فعزم ابن إسحاق على الخروج إلى العراق ؛ ولم يكن مالك يقدح فيه من أجل الحديث ولكنه كان ينكر عليه تتبعه غزوات النبى ﷺ من أولاد اليهود الذين أسلموا وحفظوا قصة خيبر وقريظة والنضير وغير ذلك من الغرائب عن أسلافهم ، والحق أن ابن إسحاق ما كان فى تتبعه لذلك إلا ليزداد معرفة من غير أن يحتج برأيهم · وقد صالح الإمام مالك ابن إسحاق قبيل خروجه للعراق وأعطاه عند وداعه خمسين دينارًا ونصف ثمرته تلك السنة وقال فى حقه خيرًا لأنه لم يكن بالحجاز أحد أعلم بأنساب الناس وأيامهم من ابن إسحاق ·

● ومن الانتقادات التى وُجِّهت لابن إسحاق أيضا روايته عن فاطمة بنت المنذر ابن الزبير وهى زوج هشام بن عروة بن الزبير ·

يروى أن هشامًا ذكره فقال : العدو لله الكذاب يروى عن امرأتى ؟! من أين رآها ؟! والحق أن هذا ليس بمستنكر ، فقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يروون عن أزواجه فما منع ذلك أحد . وقد يكون ابن إسحاق استأذن عليها فأذنت له فروى عنها من وراء ستار ، أو كان معهما محرم وهى محجبة ، أو لعل هشام بن عروة لم يقل ذلك أصلاً ، وهذا الكلام مفترى على ابن إسحاق وهشام ·

١٠ - وفاته وكم كان عمره

● توفى ابن إسحاق ببغداد سنة ١٥١ هـ وقيل : سنة ١٥٠ هـ أو ١٥٢ هـ ، أو ١٥٣ هـ ، والأول أصحها .

● وكان عمره - رحمه الله - ٦٦ عامًا .

دُفن - رضوان الله عليه - فى مقبرة باب الخيزران عند قبر أبى حنيفة بالجانب الشرقى ، وهى منسوبة إلى الخيزران أم هارون الرشيد ؛ لأنها مدفونة بها .

* * *

● وأخيرًا فإن كان هذا المؤرخ العظيم قد مات ، فإنه لا يزال حيًا بعلمه ورواياته وكتابه « المغازى » لأن الميت من مات ذكره ، وسيزال حيًّا ما دامت سيرته باقية تحكى سيرة خير الخلق .

وصدق الشاعر إذ يقول :

موتُ المحبِّ حياة لا انقطاعَ لها قد ماتَ قومٌ وهم فى الناس أحياء

والحمد لله رب العالمين على إتمام هذا العمل الذى أخذ من الجهد أعواما والصلاة والسلام على نبيه الأمين وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما كثيرًا ، ونسأل الله أن يتقبل هذا العمل الكريم ويجعله سببًا لشفاعة النبى الأمين لنا يوم الدين ورحمة لنا ولوالدينا وأساتذتنا العلماء المستنيرين . اللهم آمين .

* * *

المحقّقان

طه عبد الرءوف سعد

بدوى طه بدوى

غرة رجب ١٤١٨ أول نوفمبر ١٩٩٧

مراجع المقدمة والترجمة

١ - الأعلام — قاموس تراجم لخير الدين الزركلى

٢ - بُغية الملتمس — الضبى

٣ - بُغية الوعاة — للسيوطى

٤ - تاريخ آداب اللغة العربية — جورجى زيدان

٥ - تاريخ الأدب العربى — لكارل بروكلمان

٦ - تاريخ بغداد (مدينة السلام) — للحافظ أبى بكر احمد بن على الخطيب البغدادى ٤٦٣ هـ .

٧ - تراث الإنسانية (سلسلة) — المجلد الأول العدد العاشر

٨ - دائره المعارف الإسلامية

٩ - الروض الأُنف — للسهيلى

١٠ - ضحى الإسلام — أحمد أمين

١١ - عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير — لابن سيد الناس

١٢ - الفهرست — لابن النديم

١٣ - المطرب من أشعار أهل المغرب — لابن دحية

١٤ - معجم الأدباء — ياقوت الحموى

١٥ - النجوم الزاهرة — لابن تغرى بردى

١٦ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان — لابن خِلكان

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

ذكرُ سَرد النَّسَب الزَّكى (١)

من محمد ﷺ إلى آدم عليه السلام

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب واسم عبد المطلب - شَيْبَة - بن هاشم واسم هاشم - عمرو - بن عبد مَنَاف - واسم عبد مَناف المُغِيْرَةُ - بن قُصىٍّ بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لُؤَى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، بن كنانة بن خُزَيمة بن مُدْرِكة - واسم مدركة عامر - بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أُدٌّ ويقال أُدَد - بن مُقَوَّم بن ناحور بن تَيرح بن يعرب بن يَشْجُب بن نابت بن إسماعيل ابن إبراهيم - خليل الرحمن - بن تارح - وهو آزر - بن ناحُور بن ساروغ بن راعو ابن فالخ بن عَيْبَر بن شالخ بن أرفَخْشَذ بن سام بن نوح بن لَمْك بن مَتُّوشَلَخ بن أَخنُوخ ، وهو إدريس النبى - فيما يزعمون والله أعلم - وكان أول نبى أُعطى النبوة وخَطَّ بالقلم - بن يَرْد بن مَهْليل بن قَيْنَن بن يانَش بن شيث بن آدم - عليه السلام -

قال ابن إسحاق : هذا الذى ذكرت من نَسب محمد رسول الله ﷺ إلى آدم عليه السلام وما فيه من حديث إدريس وغيره .

* * *

(١) كل ما رجعنا إليه من مخطوطات « سيرة ابن إسحاق » وجدناه بدأ بحفر زمزم ، فأوردنا الناقص من سيرة ابن هشام مما ذكره ابن إسحاق ورواه ابن هشام فى سيرته ، وذلك من أول ذكر سرد النسب الزكى إلى حفر زمزم لتتم الفائدة ، وتكون ســيرة ابن إســحاق كاملة تامة .

سِيَاقةُ النَّسَبِ من وَلَدِ إسماعيل عليه السلام

*** أولاد إسماعيل – عليه السلام ، ونسب أمهم :**

قال ابن إسحاق :

وَلَد إسماعيل بن إبراهيم – عليهما السلام ، اثنى عشر رجلاً : نابتًا ، وكان أكبرهم وقَيْذرُ ، وأَذْبُلَ ، ومبشار ، ومِسْمَعًا ، وماشى ، ودَما ، وأذر ، وطيما ويَطُور . ونَبش ، وقَيْذَمًا ، وأمهم رَعْلَة بنت مُضَاض بن عمرو الجرهمى [١] .

*** عُمْرُ إسماعيل – عليه السلام – ووفاته :**

قال ابن إسحاق :

وكان عُمْرُ إسماعيل – فيما يَذْكُرون – مائةَ سنة وثلاثين سنة . ثم مات – رحمة الله وبركاته عليه – ودفن فى الحِجْرِ [٢] مع أُمِّه هَاجر [٣] رحمهم الله تعالى .

*** حديث الوصاة بأهل مصر وسببها :**

قال ابن إسحاق :

حدَّثنى محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزُّهرى : أن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصارى ، ثم السُّلَمى حدَّثه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا افتتحتُم مِصْرَ ، فاستوصوا بأهلها خيرًا ، فإن لهم ذِمَّةً ورَحِمًا » فقلت لمحمد بن مسلم الزهرى : ما الرحِمُ التى ذكر رسول الله ﷺ ؟

فقال : كانت هَاجَرُ أمُّ إسماعيلَ منهم .

قال ابن إسحاق : عَادُ بن عَوص بن إرم بن سَام بن نوح ، وثَمود وجَديس ابنا عابر بن إرَم بن سام بن نوح ، وطَسْمٌ وعملاق وأميم بنو لاوذ بن سام بن نوح عَربٌ كلهم ، فوَلَدَ نَابتُ بن إسماعيل : يَشْجُب بن نابت ، فولد يَشْجب: يَعرب بن

(١) ذكر ابن هشام أن مضاض وجرهم من قحطان ، وقحطان أبو اليمن كلها وإليه يجتمع نسبها ، انظر سيرة ابن هشام تحقيق طه عبد الرءوف سعد .

(٢) هو حجر الكعبة .

(٣) السيدة هاجر من أهل مصر .

يشجُب فولدَ يعرب : تَيرح بن يعرب : فولدَ تيرحُ ،ناحور بن تيرح فولد ناحور : مقَوَّم بن ناحور ، فولد مُقوَّم أدد بن مقوم ، فولد أَدَدُ : عدنان بن أدد .

* أولاد عدنان :

قال ابن إسحاق :

فمن عَدنانَ تفرقت القبائل من ولد إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - فولد عدنانُ رجلين : مَعَدٌّ بن عدنان ، وعَكٌّ بن عَدنان (١) .

* * *

(١) قال ابن هشام : فالعرب كلها من ولد إسماعيل وقحطان ، وبعض أهل اليمن يقول : قحطان من ولد إسماعيل ، ويقول : إسماعيل أبو العرب كلها . انظر سيرة ابن هشام تحقيق طه عبد الرءوف سعد ط دار الجيل بيروت .

ذكر نسب الأنصار

قال حسن بن ثابت الأنصارى ، والأنصار بنو الأوس والخزرج ، ابنى حارثة ، ابن ثعلبة ، بن عمرو ، بن عامر ، بن حارثة ، بن امرئ القيس ، بن ثعلبة ، بن مازن ، بن الأسد بن الغوث :

إما سألت فإنا معشر نجب الأسد نسبتنا والماء غسان

وهذا البيت فى أبيات له .

فقالت اليمن ، وبعض عك ، وهم الذين بخراسان منهم : عك بن عدنان بن عبد الله بن الأسد بن الغوث . ويقال : عدنان بن الديث بن عبد الله بن الأسد بن الغوث .

قال ابن إسحاق : فولد معد بن عدنان أربعة نفر : نزار بن معد ، وقضاعة بن معد ، وكان قضاعة بكر معد الذى به يكنى - فيما يزعمون - وقنص بن معد ، وإياد ابن معد .

فأما قضاعة فتيامنت إلى حمير بن سبأ - وكان اسم سبأ : عبد شمس - وإنما سمى سبأ ، لأنه أول من سبى فى العرب ، ابن يشجب بن يعرب بن قحطان .

قنص بن معد ونسب النعمان بن المنذر :

قال ابن إسحاق : وأما قنص بن معد فهلكت بقيتهم - فيما يزعم نساب معد - وكان منهم النعمان بن المنذر ملك الحيرة .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهرى : أن النعمان بن المنذر كان من ولد قنص بن معد (١) .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، عن شيخ من الأنصار من بنى زريق أنه حدثه : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أتى بسيف(٢)

(١) قال ابن هشام : ويقال : قنص

(٢) وإنما أتى بهذا السيف حين افتتحت المدائن ، وكانت بها خرائب كسرى وذخائره فأخذت نفائسه من جملتها خمسة أسياف : أحدها : سيف كسرى أبرويز . والثانى سيف كسرى أنوشروان . وثالثها : سيف النعمان بن المنذر كان استلبه منه حين غضب عليه وقتله . ورابعها : سيف خاقان ملك الترك ، وخامسا : سيف هرقل وكان تصير إلى كسرى أيام غلبته على الروم .

النعمان بن المنذر ، دعا جُبَير بن مُطْعِم بن عَدِىٍّ بن نَوفل بن عبد مَناف بن قُصَى - وكان جُبير من أنسب قريش لقريش ، وللعرب قاطبة ، وكان يقول : إنما أخذت النسب من أبى بكر الصديق ﷺ ، وكان أبو بكر الصـــديق أنسب العرب - فَسلَّحَهُ إياه ، ثم قال : ممن كان يا جُبير : النعمان بن المنذر ؟ فقال : كان من أشلاء قُنُص ابن معد .

قال ابن إسحاق : فأما سائر العرب فيزعمون أنه كان رجلا من لَخم (١) ، من ولد ربيعة بن نَصْر ، فالله أعلم أى ذلك كان .

* * *

(١) هو لخم بن عدى بن الحارث بن مُرة ، وقيل غير ذلك .

أَمْر عَمرو بن عَامِرٍ فى خروجه من اليمن وقصةُ سد مَأْرِب

وكان بسبب خروج عمرو بن عامر من اليمن ، فيما حدثنى أبو زيد الأنصارى ، أنه رأى جُرذا يحفر فى سد مَأرب الذى كان يحبس عليهم الماء فيصرِّفونه حيث شاءوا من أرضهم ، فعلم أنه لا بقاء للسد على ذلك ، فاعتزم على النُّقلة من اليمن ، فكاد قومه ، فأمر أصغر ولده إذا أغلظ له ولطمه ، أن يقوم إليه فيلطمه ، ففعل ابنُه ما أمره به ، فقال عمرو : لا أقوم ببلد لطم وجهى فيه أصغر ولدى ، وعرض أمواله ، فقال أشراف من أشراف اليمن : اغتنموا غَضْبَة عمرو ، فاشتروا منه أمواله ، وانتقل فى ولده وولد ولده ، وقالت الأزد : لا نتخلَّف عن عمرو بن عامر ، فباعوا أموالهم ، وخرجوا معه ، فساروا حتى نزلوا بلاد عك مجتازين يرتادون البلدان فحاربتهم عك ، فكانت حربهم سجالا . ففى ذلك قال عباس بن مرداس البيت الذى كتبنا [١] ، ثم ارتحلوا عنهم ، فتفرقوا فى البلدان ، فنزل آل جَفْنَةُ بن عمرو بن عامر : الشامَ ، ونزلت الأوس والخزرج : يثرب ، ونزلت خُزَاعة : مَرًّا ، ونزلت أزد السُّراة : السراة ، ونزلت أزد عمان : عمانَ . ثم أرسل الله تعالى على السد السيل فهدمه ، ففيه أنزل الله - تبارك وتعالى - على رسوله محمد ﷺ : **﴿لقد كان لسبإٍ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور * فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾**[٢] .

والعرم : السد ، واحدته : عَرِمة ، فيما حدثنى أبو عبيدة .

قال الأعشى : أعشى بن قيس ، بن ثعلبة ، بن عُكَابة ، بن صعب ، بن على ، بن بكر ، بن وائل ، بن هِنب ، بن أفصى ، بن جديلة ، بن أسد ، بن ربيعة ، بن نزار ، بن معدٍّ .

وفى ذاك للمؤتسى أسوة ... ومأرب عفى عليها العرم
رخام بنته لهم حمير ... إذا جاء مَوَّاره لم يَرِمْ
فأروى الزروع وأعنابها ... على سعة مائهم إذ قسم

---

(١) وهو قوله : وعك بن عدنان الذين تلقبوا ... بغسان حتى طُردوا كل مطرد
(٢) سورة سبأ : ١٥ ، ١٦ .

حَديثُ رَبيعة بن نصر ورؤياه

رؤيا ربيعة :

قال ابن إسحاق : وكان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة فرأى رؤيا هالته ، وفظع بها ، فلم يدع كاهنًا ، ولا ساحرًا ، ولا عائفًا [١] ، ولا منجما من أهل مملكته إلا جمعه إليه ، فقال لهم : إنى قد رأيت رؤيا هالتنى ، وفظعت بها ، فأخبرونى بها وبتأويلها ، قالوا له : اقْصصها علينا نخبرك بتأويلها ، قال : إنى إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها ، فإنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها ، فقال له رجل منهم : فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سَطِيح [٢] وشقّ [٣] ، فإنه ليس أحد مثلهما، فهما يخبرانه بما سأل عنه .

قال ابن إسحاق : فبعث إليهما ، فقدم عليه سَطِيح قبل شق ، فقال له : إنى رأيت رؤيا هالتنى ، وفظعت بها ، فأخبرنى بها ، فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها .

قال : أفعل ؛ « رأيتُ حُمَمَة ، خرجت من ظلمة ، فوقعت بأرض تَهمة ، فأكلت منها كل ذات جُمجمة » [٤] .

فقال له الملك : ما أخطأت منها شيئا يا سَطِيح ، فما عندك فى تأويلها ؟ فقال : أحلف بما بين الحَرَّتين من حنش ، لتهبطن أرضكم الحبش ، فليملكن ما بين

(١) العائف : من يزجر الطير .

(٢) وسمى سطيحا : لأنه كان جسما ملقى لا جوارح له ولا يقدر على الجلوس ، إلا إذا غضب انتفخ فجلس . ويذكر أن وجهه فى صدره ، ولم يكن له رأس ولا عنق ويذكر عن وهب بن منبه أنه قال : قيل لسطيح : أنَّى لك هذا العلم ؟ فقال : لى صاحب من الجن استمع أخبار السماء ، من طور سيناء حين كلم الله تعالى موسى عليه السلام ، فهو يؤدى إلى من ذلك ما يؤديه .

(٣) وسمى بذلك لأنه كان نصف إنسان ، له يد واحدة ، ورجل واحدة ، وعين واحدة وولد شق وسطيح فى اليوم الذى ماتت فيه طريفة الكاهنة وهى بنت الخير الحميرية امرأة عمرو ابن عامر فدعت بشق وسطيح قبل أن تموت فتفلت فى فيهما وأخبرت أنهما سيخلفانها فى كهانتها

(٤) الجمجمة : الفحمة المحرقة ، والظلمة : الظلام ، يريد خروج عسكر الحبشة من أرض السودان ، وأرض تهمة أى منخفضة وقوله : « أكلت منها كل ذات جمجمة » ولم يقل : كل ذى جمجمة لأن القصد إلى النفس والنسمة فهو أعم ، ويدخل فيه جميع ذوات الأرواح .

أبين إلى جُرَش (١) ، فقال له الملك : وأبيك يا سَطيح ، إن هذا لنا لغائظ موجع ، فمتى هو كائن ، أفى زمانى هذا ، أم بعده ؟ قال لا ، بل بعده بحين ، أكثر من ستين أو سبعين يمضين من السنين . قال : أفيدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع ؟ قال : لا ، بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين ، ثم يقتلون ، ويخرجون منها هاربين . قال : ومن يلى ذلك من قتلهم وإخراجهم ؟ قال : يليه إِرَم ذى يَزَن (٢) ، يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك أحدًا منهم باليمن .

قال : أفيدوم ذلك من سلطانه ، أم ينقطع ؟

قال : لا ، بل ينقطع .

قال : ومن يقطعه ؟ قال : نَبِىٌّ زكى ، يأتيه الوحى من قبل العَلي ، قال : وممن هذا النبى ؟

قال : رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، يكون الملك فى قومه إلى آخر الدهر .

قال : وهل للدهر من آخر ؟ قال : نعم ، يوم يُجمع فيه الأولون ، والآخـرون ، يسعدُ فيه المحسنون ، ويشقى فيه المسيئون . قال : أحق ما تُخبرنى ؟ قال : نعم . والشفق والغسق ، والفلق إذا اتسق ، إن ما أنبأتك به لحق .

ثم قدم عليه شق ، فقال له كقوله لسطيح ، وكتمه ما قال سطيح ، لينظر أيتفقان أم يختلفان . فقال : نعم ، رأيتُ حُمَمَة ، خرجت من ظُلمة ، فوقعت بين رَوضة أكمة ، فأكلت منها كل ذات نسمة .

قال : فلما قال له ذلك ، عرف أنهما قد اتفقا ، وأن قولهما واحد .

إلا أن سطيحًا قال : « وقعت بأرض تهَمَة ، فأكلت منها كل ذات جمجمة » .

---

(١) بنو حبش بن حام بن نوح وبه سميت الحبشة ، وأبين هكذا رويت بفتح الهمزة ذكرها سيبويه بكسر الهمزة على مثل إصبع . وقال ابن ماكولا هو أبين بن زهير بن أيمن بن الهميسع من حمير ، أو من حمير سميت به البلدة . وذكر الطبرى : أن أبين وعدن ابنا عدنان سميت بهما البلدتان ، وجرش : مدينة باليمن .

(٢) المعروف أن اسمه : سيف بن ذى يزن ، ولكن جعله إرما ، إما لأن الإرم هو العلم فمدحه بذلك ، وإما شبهه بعاد إرم فى عظم الخلقة ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد ﴾ .

وقال شق : « وقعت بين روضة وأكمة ، فأكلت منها كل ذات نسمة » .

فقال له الملك : ما أخطأت يا شق منها شيئًا ، فما عندك فى تأويلها ؟ .

قال : أحلف بما بين الحرَّتين من إنسان ، لينزلن أرضكم السُّودان ، فليغلبن على كل طَفْلَة البنان (١) ، وليملكن ما بين أبين إلى نجران .

فقال له الملك : وأبيك يا شق ، إن هذا لنا لغائظ موجع ، فمتى هو كائن ؟ أفى زمانى . أم بعده ؟ .

قال : لا ، بل بعده بزمان ، ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شَان ، ويُذيقهم أشد الهوان .

قال : ومن هذا العظيم الشان ؟ قال : غلام ، ليس بِدَنِىٍّ ، ولا مُدَنٍّ (٢) ، يخرج عليهم من بيت ذى يزن ، فلا يترك أحدًا منهم باليمن .

قال : أفيدوم سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع برسول مرسل يأتى بالحق والعدل ، بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك فى قومه إلى يوم الفصل ، قال : وما يوم الفصل ؟ قال : يوم تجزى فيه الولاة ، ويدعى فيه من السماء بدعوات ، يسمع منها الأحياء والأموات ، ويجمع فيه بين الناس للميقات ، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات .

قال : أحق ما تقول ؟ قال : إى ورب السماء والأرض ، وما بينهما من رفع وخفض ، إن ما أنبأتك به لحق ، ما فيه أَمْضٌ (٣) .

* * *

---

(١) الطفلة : المرأة الناعمة الرخصة . والبنان : الإصبع .

(٢) المدن : الذى جمع الضعف مع الدناءة .

(٣) أى ما فيه باطل .

استيلاء أبى كَرِب تُبَانَ أَسعد على ملك اليمن وغزوه إلى يثرب

قال ابن إسحاق : فلما هلك ربيعة بن نصر ، رجع مُلك اليمن كله إلى حسان ابن تبان أسعد (١) أبى كَرِب - وتُبان أسـعد هو : تُبَّع الآخر ، ابن كُلى كَرِب بن زيد ، وزيد هو تُبَّع الأول بن عمرو ذى الأذعار (٢) ابن أبرهة ذى المَنَار (٣) ابن الرَّيش . قال ابن إسحاق : ابن عدى بن صيفى بن سبأ الأصغر ، بن كعب ، كهف الظُّلْم ، ابن زيد بن سهل ، بن عمرو ، بن قيس ، بن معاوية ، بن جشم ، بن عبد شمـس ، بن وائل ، بن الغوث ، بن قطن ، بن عريب ، بن زهير ، بن أيمن ، بن الهميسع ، بن العرنجج ، والعرنجج حمير بن سبأ الأكبر ، ابن يعرب ، بن يَشْجُب ، ابن قحطان .

قال ابن إسحاق:وتُبان أسعد أبو كرب الذى قدم المدينة،وساق الحَبْرين من يهود المدينة إلى اليمن وعمَّر البيت الحرام وكساه ، وكان ملكه قبل مُلك ربيعة بن نصر .

تُبان يَغضب على أهل المدينة :

قال ابن إسحاق : وكان قد جعل طريقـه - حين أقبل من المشرق - على المدينة ، وكان قد مر بها فى بَدْأته ، فلم يَهج أهلها ، وخلَّف بين أظهرهم ابنًا له ، فقُتل غِيلة ، فقدمهـا ، وهو مُجمع لإخرابها ، واستـئصال أهلها،وقطع نخلها (٤) ،

---

(١) اسمان جعلا اسمًا واحدًا ، ويصح جعل الإعراب فى الجزء الأول من الاسم وإضافة الاسم الثانى إليه ويجوز جعل الإعراب فى الجزء الثانى من الاسم . وتبان : من التبانة وهى الذكاء والفطنة . يقال : رجل تبن وطبن .

(٢) وسمى ذا الأذعار ، لأنه أوغر فى ديار المغرب وسبا أمة ذات شكل غريب ، فذعر الناس منهم فسمى بذلك .

(٣) وسمى بذلك لأنه رفع نيرانًا فى جبال ليهتدى بها فى إحدى غزواته .

(٤) يذكر القتبى أنه لم يقصد غزوها ، وإنما قصد قتل اليهود الذين كانوا فيها ، وذلك أن الأوس والخزرج كانوا نزلوها معهم ، حين خرجوا من اليمن على شروط وعهود كانت بينهم فلم يف بذلك يهود واستضاموهم ، فاستغاثوا بتبع ، فعند ذلك قدمها .

فجمع له هذا الحى من الأنصار ، ورئيسهم عمرو بن طلّة أخو بنى النجار ، ثم أحد بنى عمرو بن مبذول ، واسم مبذول : عامر ، بن مالك ، بن النجار ، واسم النجار : تيم الله بن ثعلبة ، بن عمرو بن الخزرج ، بن حارثة ، بن ثعلبة ، بن عمرو ، بن عامر .

قصة مقاتلة تُبان لأهل المدينة : قال ابن إسحاق : وقد كان رجل من بنى عدى بن النجار يقال له : أحمر ، عَدَا على رجل من أصحاب تُبَّع حين نزل بهم فقتله ، وذلك أنه وجده فى عَذْق له يَجُدُّه (١) فضربه بمنجله فقتله ، وقال : إنما التمر لمن أبره (٢) ، فزاد ذلك تُبعًا حَنَقًا عليهم قال : فاقتتلوا ، فتزعُم الأنصار أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار ، ويَقْرُونَه بالليل ، فيعجبه ذلك منهم ، ويقول : والله إن قومنا لكرام !!

فبينا تُبَّع على ذلك من قتالهم ، إذ جاءه حبران من أحبار اليهود ، من بنى قريظة ، وقريظة والنضير والنحام وعمرو - وهو هَدَل (٣) - بنو الخزرج بن الصريح بن التومان (٤) ، بن السِّبط بن اليسع ، بن سعد ، بن لاوى ، بن خير ، ابن النحّام ، بن تنحوم ، بن عازر ، بن عزرى ، بن هارون ، بن عمران ، بن يصهر ، ابن قاهث ، بن لاوى ، بن يعقوب - وهو إسرائيل - بن إسحاق ، بن إبراهيم خليل الرحمن - صلى الله عليهم - عالمان راسخان فى العلم ، حين سمعا بما يريد من إهلاك المدينة وأهلها ، فقالا له : أيها الملك ، لا تفعل ، فإنك إن أبيت إلا ما تريد حيل بينك وبينها ، ولم نأمن عليك عاجل العقوبة ، فقال لهما : ولم ذلك ؟ فقالا : هى مُهَاجَرُ نبى يخرج من هذا الحرم من قريش فى آخر الزمان ، تكون داره وقراره ، فتناهى عن ذلك ، ورأى أن لهما علما ، وأعجبه ما سمع منهما ، فانصرف عن المدينة ، واتبعهما على دينهما ، فقال خالد بن عبد العُزَّى بن غزِيّة بن عمرو بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار يفخر بعمرو بن طلة :

أَصَحَا أَمْ قَدْ نَهَى ذُكَرَه ... أَمْ قَضَى مِنْ لَذَّة وَطَرَه (٥)

---

(١) العذق : النخل ، ويجده : يقطعه .

(٢) أبر النخل : لقحه وأصلحه .

(٣) هدل : بفتح الدال والهاء ، كأنه مصدر : هدل هدلا إذا استرخت شفته ، وذكره الأمير بن ماكولا عن أبى عبدة النسابة فقال فيه : هدل بسكون الدال .

(٤) التومان : على وزن فعلان . كأنه من لفظ التُّوَم ، وهو الدر .

(٥) الذكر : جمع ذكر ، والمستعمل فى هذا المعنى ذكرى بالألف وقلما يجمع فعلى على فُعل وإنما يجمع على فعال ، فإن كان أراد فى هذا البيت جمع ذكرى ، وشبه ألف التأنيث =

أَمْ تَذكرتَ الشبابَ ، ومَا ذِكْرك الشباب او عُصُرَه (١)
إِنَّهـــا حَربٌ رَباعِيَةٌ مثلها أَتى الفتى عِبَرهْ (٢)
فاسألا عِمْران ، او اسـدًا إذ أتَتْ عَدْوا مع الزُّهَرَه (٣)
فَيلق فيهـا أبو كَرِب سُبَّغٌ أبدانها ذَفِرَه (٤)
ثُم قالوا : مـن نَؤُمُّ بها أبنى عَوف ، ام النَّجَره ؟ (٥)
بَل بَنى النجّار إن لنا فيهم قَتلى ، وإنَّ تِرَه (٦)
فَتلقَّتهم مُسَايفـة مَدُّها كالغيبة النَّثِره (٧)
فيهم عَمرو بن طَلَّة مَـ ـلَّى الإله قومه عُمرَه (٨)
سيِّدٌ سَامَ الملـوك وَمن رَام عَمْرا لا يكن قَدرَه

= بهاء التأنيث ، فله وجه : قد يحملون الشىء على الشىء إذا كان فى معناه .

(١) أو عُصره ، أراد أو عَصْره وهما لغتان كما قال ابن جنى ليس شىء على وزن فعْل يمتنع فيه فُعُل . انظر الروض الأنف تحقيق طه عبد الرءوف سعد جـ ١ صـ ٣٧ .

(٢) حرب رباعية : مَثل . أى ليست بصغيرة ولا جذعة ، بل هى فوق ذلك ، وضرب سن الرباعية مثلا ، كما يقال : حرب عوان ، لأن العوان أقوى من الفتية وأدرب .

(٣) يريد صبحهم بغلس : وهى ظلمة آخر الليل قبل مغيب الزهرة : وهى نجم معروف شديد اللمعان .

(٤) سبغ : كاملة . والأبدان : الدروع . وذفرة من الذَّفر وهى سطوع الرائحة طيبة كانت أو كريهة ، وأما الدَّفر ، فإنه فيما كره من الروائح ، ومنه قيل للدنيا أم دَفر .

(٥) النجرة : جمع ناجر ، والناجر والنجار : بمعنى واحد ، وهذا كما قيل المناذرة فى بنى المنذر والنجار ، وهم : تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ، وسمى النجار ، لأنه نجر وجه رجل بقدوم فيما ذكر بعض أهل النسب .

(٦) فيهم قتلى وإنَّ تره : أظهر إن بعد الواو . أراد : إن لها قتلى وترة ، والترة الوتر انظر تفصيل ذلك فى الروض الأنف تحقيق طه عبد الرءوف سعد جـ ١ صـ ٣٨ .

(٧) مسايفة : أى كتيبة مسايفة ، والغيبة : الدفعة من المطر ، والنثرة ، المنتشرة ، وهى التى لا تمسك الماء .

(٨) ملى : من قولهم : تمليته حينًا ، أى عشت معه حينًا وهو مأخوذ من الملاوة والملوين . وفى القاموس . ملاك الله حبيبك تملية : متعك به ، وتملى عمره . استمتع فيه ، والملا : الصحراء ، والملوان : الليل والنهار .

وهذا الحى من الأنصار يزعمون أنه إنما كان حنق تبع على هذا الحى من يهود الذين كانوا بين أظهرهم ، وإنما أراد هلاكهم ، فمنعوهم منه ، حتى انصرف عنهم ، ولذلك قال فى شعره :

حَنقًا على سِبْطَين حلاً يثربا   أوْلَى لهم بعقابِ يوم مُفْسِد

تُبَّع يذهب إلى مكة ويطوف بالكعبة : قال ابن إسحاق : وكان تبع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها ، فتوجه إلى مكة ، وهى طريقه إلى اليمن ، حتى إذا كان بين عُسْفان ، وأمَج أتاه نفر من هذيل بن مدرِكة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد ، فقالوا له : أيها الملك ألا ندلك على بيت مال دائر ، أغفله الملوك قبلك ، فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة ؟ قال : بلى ، قالوا : بيت بمكة يعبده أهله ، ويصلون عنده . وإنما أراد الهذليون هلاكه بذلك ، لما عرفوا من هلاك من أراده من الملوك وبغَى عنده . فلما أجمع لما قالوا ، أرسل إلى الحَبرين ، فسألهما عن ذلك ، فقالا له : ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جندك . ما نعلم بيتا لله اتخذه فى الأرض لنفسه غيره ، ولئن فعلت ما دعوك إليه ، لتهلكن ، وليهلكن من معك جميعا ، قال : فماذا تأمرانى أن أصنع إذا أنا قدمت عليه ؟ قالا : تصنع عنده ما يصنع أهله : تطوف به وتعظِّمه وتكرمه ، وتحلق رأسك عنده وتذل له ، حتى تخرج من عنده ، قال : فما يمنعكما أنتما من ذلك ؟ قالا : أما والله إنه لبيت أبينا إبراهيم ، وإنه لكما أخبرناك ، ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التى نصبوها حوله ، وبالدماء التى يهرقون عنده ،وهم نجس أهل شرك - أو كما قالا له - فعرف نصحهما وصدق حديثهما فقرب النفر من هذيل ، فقطع أيديهم وأرجلهم ، ثم مضى حتى قدم مكة ، فطاف بالبيت ، ونحر عنده ، وحلق رأسه وأقام بمكة ستة أيام - فيما يذكرون - ينحر بها للناس ويطعم أهلها ،ويسقيهم العسل ، وأُرى فى المنام أن يكسو البيت ، فكساه الخَصْفَ (١) ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك ، فكساه المعافر (٢) ، ثم أُرى أن يكسوه أحسن من ذلك ، فكساه الملاء والوصائل (٣) ، فكان

---

(١) الخصف : جمع خصفة وهى شىء ينسج من الخوص والليف ، والخصف أيضاً : الثياب الغليظة .

(٢) المعافر : ثياب يمنية .

(٣) الملاء : جمع ملاءة ، وهى الملحفة . والوصائل : ثياب موصلة من ثياب اليمن .=

تُبع - فيما يزعمون - أول من كسا البيت(١) ، وأوصى به وُلاته ٠ من جُرهم ، وأمرهم بتطهيره وألا يقربوه دما ، ولا ميتة ، ولا مِئلاتا - وهى المحايض (٢) - وجعل له بابا ومفتاحا ، وقالت سُبيعة بنت الأحب (٣) ، بن زَبينة ، بن جذيمة ، بن عوف ، بن معاوية ، بن بكر ، بن هوازن ، بن منصـور ، بن عكرمة ، بن خَصَفَة ابن قيس ، بن عيلان ، وكانت عند عبد مناف بن كعب ، بن سعد ، بن تيم ، بن مرة ، بن كعب ، بن لُؤى ، بن غالـب ، بن فهر ، بن مالك ، بن النضر ، بن كنانة ، لابن لها منه يقال له : خالد : تعظِّم عليه حرمة مـكة ، وتنهاه عن البغى فيها ، وتذكر تبعا وتذلُّله لها ، وما صنع بها :

أبُنَىَّ : لا تَظلـــم بمكَةَ … لا الصغيَر ولا الكبيـــرْ
واحفظْ مَحارمهَــا بُنَىَّ … ولا يَغُرَّنْـــك الغَرور
أبُنَى : مَنْ يَظلم بمكـــةَ … يَلق أطراف الشـــرورْ
أبُنى : يُضرب وجهُـــهُ … ويَلُحْ بخـــديه السعيرْ
أبُنَى : قـــد جَرَّبْتُهَا … فَوجدتُ ظـــالمها يَبورْ (٤) ٠
اللهُ آمنهـــا ، ومَا … بُنيت بَعَرصتَهـــا قُصورْ
اللهُ آمن طَيرهـــا … والعُصم تأمن فى ثَبيـــرْ (٥)
ولقد غَزاهـــا تُبَّعٌ … فكسا بَنيَّتهـــا الحبيرْ (٦)

= ويروى أن تبعًا لما كسا البيت المسوح والأنطاع انتفض البيت فزال ذلك عنه ، وفعل ذلك حين كساه الخصف ، فلما كساه الملاء والوصائل قبلها ٠

(١) قال ابن إسحاق : أول من كسا الكعبة الديباج : الحجاج ، وذكر الدارقطنى : أنها قتيلة بنت جناب أم العباس بن عبد المطلب ، كانت قد أضلت العباس صغيراً ، فنذرت : إن وجدته أن تكسو الكعبة الديباج ، ففعلت ذلك حين وجدته ٠ وقال الزبير النسابة : بل أول من كساها الديباج عبد الله بن الزبير ٠

(٢) لم يرد النساء الحيض ، لأن حائضا لا يجمع على محائض ، وإنما هى جمع محيضة ، وهى خرقة المحيض ، ويقال للخرقة أيضا : مئلاء ، وجمعها : المآلى ٠

(٣) وقال أبو عبيدة : بنت الأجب - بالجيم - وقد قالت هذا الشعر فى حرب كانت بين بنى السباق بن عبد الدار ، وبين بنى على بن سعد بن تيم حتى تفانوا ٠

(٤) يبور : يهلك ٠

(٥) العصم : الوعول تعتصم فى الجبال ، وثبير : جبل بمكة ٠

(٦) بنيتها : الكعبة ٠ والحبير : نوع موشّى من ثياب اليمن ٠

وأذل ربى مُلْكَـــــــه فيها فأوفى بالنــــــذورْ
يَمشى إليهـــــا حافيا بفنائها ألفَا بعيـــــرْ
ويَظل يُطعـــــم أهلها لَحم المهارى والجزورْ (١)
يَسقيهمُ العَســـــلَ الـ مصفَّى والرحيضَ من الشَّعيرْ (٢)
والفيل أهْلَك جَيشَـــــهُ يُرْمَون فيها بالصُّخـــورْ
والمَلْكَ فى أَقْصى البـــلا دِ وفى الأعاجم والخزير (٣)
فاسمعْ إذا حُدِّثتَ ، وافـــــهم كيف عاقبةُ الأمـــورْ

أصل اليهودية باليمن : ثم خرج منها متوجها إلى اليمن بمن معه من جنوده وبالحَبرين حتى إذا دخل اليمن دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه ، فأبَوْا عليه ، حتى يحاكموه إلى النار التى كانت باليمن ·

* * *

(١) المهارى : الإبل النجيبة ·
(٢) الرحيض : المنقى والمصفى ·
(٣) الخزير : يريد الخزر وهم أمة من العجم ·

« مُحَاكمة تبّع إلى النار »

قال ابن إسحاق : حدثنى أبو مالك بن ثعلبة بن أبى مالك القرظى ، قال : سمعت إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عُبيد الله يحدث : أن تبعًا لما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك ، وقالوا : لاتدخلها علينا ، وقد فارقت ديننا ، فدعاهم إلى دينه وقال : إنه خير من دينكم ، فقالوا : فحاكمنا إلى النار قال : نعم. قال : وكانت باليمن - فيما يزعم أهل اليمن - نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه ، تأكل الظالم ولا تضر المظلوم ، فخرج قومه بأوثانهم وما يتقربون به فى دينهم ، وخرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما متقلديها ، حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذى تخرج منه ، فخرجت النار إليهم ، فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها ، فذَمَرهم[1] من حضرهم من الناس ، وأمروهم بالصبر لها ، فصبروا حتى غشيتهم ، فأكلت الأوثان وما قرّبوا معها ، ومن حمل ذلك من رجال حمير ، وخرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما تعرق جباههما لم تضرهما ، فأصفقت عند ذلك حمير على دينه ، فمن هنالك، وعن ذلك ، كان أصل اليهودية باليمن .

قال ابن إسحاق : وقد حدّثنى مُحدِّث أن الحبرين ، ومن خرج من حمير ، إنما اتبعوا النار ليردوها ، وقالوا : من ردها فهو أولى بالحق ، فدنا منها رجال من حمير بأوثانهم ليردوها ، فدنت منهم لتأكلهم ، فحادوا عنها ولم يستطيعوا ردها ، ودنا منها الحبران بعد ذلك ، وجعلا يتلوان التوراة وتنكُص عنهما ، حتى ردّاها إلى مخرجها الذى خرجت منه ، فأصفَقت[2] عند ذلك حمير على دينهما . والله أعلم أى ذلك كان .

هدم البيت المسمّى رئام[3] : **قال ابن إسحاق** . وكان رئام بيتا لهم يعظّمونه ، وينحرون عنده ويُكلَّمون منه ، إذ كانوا على شركهم ، فقال الحبران لتبّع : إنما هو شيطان يفتنهم بذلك فخل بيننا وبينه ، قال : فشأنكما به ، فاستخرجا منه - فيما يزعم أهل اليمن - كلبا أسود فذبحاه ، ثم هدما ذلك البيت ، فبقاياه اليوم[4] - كما ذُكر لى - بها آثار الدماء التى كانت تهراق عليه .

---

(١) ذمرهم : شجعهم وحضهم . (٢) أصفقت : اجتمعت .

(٣) رئام : على وزن فعال ، مأخوذ من رامت الأنثى ولدها أى عطفت عليه ورحمته ، فاشتقوا لهذا البيت اسما لموضع الرحمة التى كانوا يلتمسونها فى عبادته على زعمهم .

(٤) أى زمن المؤلف ابن إسحاق - رحمه الله - وذلك قبل عام ١٥٠ هـ .

مُلك حَسان بن تُبّان وقتله على يد أخيه عَمرو

فلما ملك حَسان بن تُبّان أسعد أبى كرب ، سار بأهل اليمن ، يريد أن يطأ بهم أرض العرب ، وأرض الأعاجم ، حتى إذا كانوا ببعض أرض العراق كرهت حمير وقبائل اليمن المسير معه ، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم ، وأهلهم ، فكلموا أخًا له يقال له عمرو ، وكان معه فى جيشه ، فقالوا له : اقتــــل أخاك حسان ، وتملكك علينا ، وترجع بنا إلى بلادنا ، فأجابهم ، فاجتمعوا على ذلك إلا ذا رُعين الحميرى فإنه نهاه عن ذلك فلم يقبل منه . فقال ذو رُعَين (١) :

ألاَ من يشترى سَهرا بنوم ... سَعيدٌ من يَبيتُ قَرير عَين (٢)
فَإما حِميرٌ غَدرتْ وخَانتْ ... فَمعـــذِرَةُ الإله لذى رُعَين

ثم كتبهما فى رقعة ، وختم عليها ، ثم أتى بها عمرًا ، فقال له : ضع لى هذا الكتاب عندك ففعل ، ثم قتل عمرو أخاه حسان ، ورجع بمن معه إلى اليمن . فقال رجل من حمير :

لاَهِ عينًا الذى رأى مِثل حســـــا ... ن قَتيلا فى سَالف الأحقاب (٣)
قَتَلتْهُ مَقاولٌ خَشية الحبــس غَداةَ ... قالــــــوا : لَبَابِ لبابِ (٤)
مَيتكُم خيرنــــــا وحَيُّكــم رَبٌّ ... عَليـنا وكلكـــــم أربــابى

(١) ذو رعين : تصغير رعن ، والرعن : أنف الجبل ، ورعين : جبل باليمن وإليه ينسب ذو رعين .

(٢) معناه : أمن يشترى ، وحسن حذف الف الاستفهام لتقدم همزة ألا . وفى البيت حذف تقديره : بل من يبيت قرير عين هو السعيد ، فحذف الخبر لدلالة أول الكلام عليه .

(٣) لاه : أراد لله وحذف لام الجر واللام الأخرى مع ألف الوصل ، وهذا حـــذف كثير ، ولكنه جار فى هذا الاسم خاصة لكثرة دوره على الألسنة . مثل قول الفراء :

لهِنّك من برق على كريم

أراد : والله إنك . انظر هذا الموضوع مفصلا فى الروض الأنف لحقيق طه عبد الرءوف سعد جـ ١ صـ ٤٣ .

(٤) المقاول : يريد الأقيال ، وهم الذين دون التبابعة واحدهم قيل وأصله قيل مثل سيد واستعمل بالياء فى إفراده وجمعه ، وإن كان أصله الواو ، لأن مـــعناه : الذى يقول ويسمع قوله .

قال ابن إسحاق :

وقوله : لَبَاب لَبَاب : لا بأس لا بأس بلغة حمير .

• هلاك عمرو وتفرّق حمير :

قال ابن إسحاق : فلما نزل عمرو بن تُبان اليمن مُنع منه النوم ، وسلّط عليه السهر ، فلما جهده ذلك سأل الأطباء ، والحُزَاةَ من الكُهّان ، والعرّافين عمّا به ، فقال له قائل منهم إنه والله ما قتل رجل قَطُّ أخاهُ أو ذا رَحِمه بغيا على مثل ما قتلت أخاك عليه ، إلاّ ذهب نومه ، وسلّط عليه السهر ، فلما قيل له ذلك جعل يقتل كل من أمره بقتل أخيه حسّان من أشراف اليمن ، حتى خلص إلى ذى رعين فقال له :

يا ذو رعين : إن لى عندك بَراءة ، فقال وما هى ؟ قال : الكتاب الذى دَفَعْتُ إليك ، فأخرجه فإذا فيه البيتان ، فتركه ورأى أنه قد نصحه ، وهَلَك عمرو فمرج[1] أمر حيمر عند ذلك وتفرقوا .

خبر لَخْنيعَة وذى نُواس : فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكة ، يقال لَه لخنيعة ينوف ذو شناتر ، فقتل خيارهم ، وعبث ببيوت أهل المملكة منهم ، وكان لخنيعة امرأ فاسقًا يعمل عمل قوم لوط ؛ فكان يرسل إلى الغلام من أبناء الملوك . فيقع عليه فى مَشْرُبَةٍ له قد صنعها لذلك ، لئلا يُمَلَّكَ بعد ذلك ، ثم يطلع من مَشْربته تلك إلى حَرَسه ومن حضر من جنده ، قد أخذ مسواكا ، فجعله فى فيه ، أى : ليعلمهم أنه قد فرغ منه حتى بعث إلى زُرْعَةَ ذى نُواس بن تبان أسعدَ أخى حسّان ، وكان صبيا صغيرا حين قُتِل حَسان ، ثم شَبَّ غلاما جميلا وسيما ذا هيئة وعقل ، فلما أتاه رسوله ، عرف ما يريده منه ، فأخذ سكينا حديدا لطيفا ، فَخَبأه بين قدمه ونعله ، ثم أتاه ، فلما خلا معه وثـب إليه فواثبه ذو نُوَاس ، فوجَأه[2] حتى قتله ، ثم حز راسه ، فوضعه فى الكُوَّة التى كان يشرف منها ، ووضع مسواكه فى فمه ، ثم خـرج على الناس ، فقـالوا له : ذا نُوَاس أَرَطْبٌ أو يَبَاس فقال : « سَلْ تَخْمَاس ، استرطبان ذو نواس استرطبان لاباس »[3] .

---

(١) أى اختلط والتبس ، وأصبحوا فى فوضى .

(٢) وجأه : ضربه .

(٣) قال ابن هشام : هذا كلام حمير .

وتَحماس (١) . الرأس . فنظروا إلى الكوة فإذا رأس لَخنيعَة مقطوع ، فخرجوا فى أثر ذى نُوَاس حتى أدركوه ، فقالوا : ما ينبغى أن يملكنا غيرك ؛ إذ أرحتنا من هذا الخبيث .

* مُلْكُ ذى نُوَاس :

فَملَّكوه ، واجتمعت عليه حمير وقبائل اليمن ، فكان آخر ملوك حمير وهو صاحب الأُخدُود ، وتَسمَّى : يوسفَ ، فأقام فى ملكه زمانا .

* سبب وجود النصرانية بنَجْرَان :

وبنجران بقايا من أهل دين عيسى ابن مريم عليه السلام على الإنجيل . أهل فضل واستقامة من أهل دينهم ، لهم رأس يقال له : عبد الله بن الثامر .

وكان موقع أصل ذلك الدين بنَجْرَان ، وهى بأوسط أرض العرب فى ذلك الزمان ، وأهلها وسائر العرب كلها أهل أوثان يعبدونها ، وذلك أن رجلا من بقايا أهل ذلك الدين يقال له : فَيْمِيُون ، وقع بين أظهرهم ، فحملهم عليه ، فدانوا به .

* فَيْمِيُون (٢) وصَالح ونشر النصرانية :

قال ابن إسحاق : حدثنى المغيرة بن أبى لبيد مولى الأخنس ، عن وهب بن مُنَبِّه اليمانى أنه حدثهم : أن موقع ذلك الدين بنَجْرَان كان أن رجلا من بقايا أهل دين عيسى ابن مريم يقال له فَيْمِيُون ، وكان رجلا صالحا مجتهدا زاهدا فى الدنيا ، مُجَاب الدعوة ، وكان سائحا ينزل بين القُرى ، لا يُعرف بقرية إلا خرج منها إلى قرية لا يعرف بها . وكان لا يأكل إلا من كسب يديه وكان بَنَّاءً يعمل الطين ، وكان يعظِّم الأحد فإذا كان يوم الأحد لم يعمل فيه شيئا ، وخرج إلى فلاة من الأرض يصلى بها حتى يمسى ، قال : وكان فى قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفيا ، ففطن لشأنه رجل من أهلها يقال له : صالح ، فأحبه صالح حُبا لم يحبه شيئا كان قبله . فكان يتبعه حيث ذهب ، ولا يفطن له فيميون ، حتى خرج مرة فى يوم الأحد إلى فلاة من الأرض - كما كان يصنع - وقد أتبعه صالح . وفيميون لا يدرى ، فجلس

(١) تحماس : قيل هو رجل متهم ثم تاب .

(٢) فيميون . وذكر أن النقاش قال : إن اسمه يحيى ، وكان أبوه ملكا فتوفى . وأراد قومه أن يملكوه بعد أبيه . ففر من الملك ولزم السياحة ، انظر الروض الأنف تحقيق طه عبد الرءوف سعد .

صالح منه منظر العين مستخفيا منه ، لا يحب أن يعلم بمكانه ، وقام فيميون يصلى . فبينما هو يصلى إذا أقبل نحوه التِّنِّين - الحية ذات الرءوس السبعة (١) - فلما رآها فَيْمِيُون دعا عليها فماتت ورآها صالح ولم يدر ما أصابها فخافها عليه فَعِيل عَوْلُهُ : فصرخ يا فيميون ، التِّنِّين قد أقبل نحوك فلم يلتفت إليه وأقبل على صلاته حتى فرغ منها وأمسى وانصرف وعرف أنه قد عُرِف ، وعرف صالح أنه قد رأى مكانه . فقال له : يا فَيْمِيُون . تعلم والله أنِّى ما أحببت شيئا قط حبك وقد أردت صحبتك ، والكينونة معك حيث كنت ، فقال : ما شئت ، أمرى كما ترى ، فإن علمتَ أنك تقوى عليه فنعم ، فلزمه صالح ، وقد كاد أهل القرية يفطنون لشأنه ، وكان إذا فاجأه العبد به الضر دعا له فَشُفِى ، وإذا دعى إلى أحد به ضر لم يأته وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير ، فسألَ عن شأن فَيْمِيُون ، فقيل له إنه لا يأتى أحدا دعاه ، ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالأجر ، فعمد الرجل إلى ابنه ذلك ، فوضعه فى حجرته ، وألقى عليه ثوبا ثم جاءه فقال له يا فيميون ، إنى قد أردت أن أعمل فى بيتى عملا ، فانطلق معى إليه حتى تنظر إليه فأشَارِطك عليه فانطلق معه حتى دخل حجرته ، ثم قال له : ما تريد أن تعمل فى بيتك هذا ؟ قال : كذا وكذا ، ثم انْتَشَطَ الرجل الثوب عن الصبى (٢) ، ثم قال له : يا فيميون عبد من عباد الله أصابه ما ترى، فادع الله له ، فدعا له فيميون ، فقام الصبى ليس به بأس ، وعرف فيميون أنه قد عُرِف ، فخرج من القرية ، واتبعه صالح ، فبينما هو يمشى فى بعض الشام إذ مر بشجرة عظيمة ، فناداه منها رجل ، فقال : يا فيميون ! قال : نعم ، قال : ما زلت أنظُرك ، وأقول : متى هو جَاء ؟ حتى سمعت صوتك ، فعرفت أنك هو ، لا تبرح حتى تقوم عَلَىَّ فإنى مَيِّت الآنَ . قال فمات ، وقام عليه حتى واراه ، ثم انصرف وتبعه صالح ، حتى وطئا بعض أرض العرب . فَعَدَوا عليهما فاختطفتهما سَيَّارة من بعض العرب ، فخرجوا بهما ، حتى باعوهما بنَجْرَان ، وأهل نَجْرَان يومئذ على دين العرب ، يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم ، لها عيد فى كل سنة . إذا كان ذلك العيد علقوا كل ثوب حسن وجدوه ، وحُلِىَّ النساء ، ثم خرجوا إليها ، فعكفوا عليها يوما .

---

(١) الرءوس السبعة أى : القرون السبعة .

(٢) انتشط الثوب : رفعه بسرعة .

فابتاع فيميونَ رجلٌ من أشرافهم ، وابتاع صالحا آخرُ ، فكان فيميون إذا قام من الليل - يتهجّد فى بيت له أسكنه إياه سيُده - يصلى - استسرج له البيت نورا حتى يصبح من غير مصباح ، فرأى ذلك سيده ، فأعجبه ما يرى منه . فسأله عن دينه ، فأخبره به ، وقال له فيميون : إنما أنتم فى باطل ، إن هذه النخلة لا تضر ولا تنفع ، ولو دعوت عليها إلهى الذى أعبده ، لأهلكها وهو الله وحده لا شريك له . قال : فقال له سيده : فافعل ، فإنك إن فعلت دخلنا فى دينك ، وتركنا ما نحن عليه قال : فقام فَيْميُون ، فَتطهّر وصلى ركعتين ، ثم دعا الله عليها ، فأرسل الله عليها ريحا فَجَعَفَتْهَا (١) من أصلها فألقتها ، فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه ، فجعلهم على الشريعة من دين عيسى ابن مريم عليه السلام ثم دخلت عليهم الأحداث التى دخلت على أهل دينهم بكل أرض . فمن هنالك كانت النصرانية بنجران فى أرض العرب .

قال ابن إسحاق : فهذا حديث وهب بن منبه عن أهل نَجْران .

* * *

خَبَرُ عبد الله بن الثَّامر وقصة أصحاب الأُخْدُود

* فَيْميُون وعبد الله بن الثامر والاسمُ الأعظم :

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن زياد عن محمد بن كَعب القُرَظى ، وحدثنى أيضًا بعض أهل نجران عن أهلها : أن أهل نَجْران كانوا أهل شِرك يعبدون الأوثان وكان فى قرية من قراها قريبا من نجران - ونجران : القرية العظمى التى إليها جماع أهل تلك البلاد - ساحر يُعَلِّم غلمان أهل نجران السِّحْر ، فلما نزلها فيميون - ولم يسموه لى باسمه الذى سماه وَهْب بن مُنَبِّه ، قالوا : رجل نزلها - ابتنى خَيمة بين نجران ، وبين تلك القرية التى بها الساحر ، فجعل أهل نَجْران يُرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر . ويعلِّمهم السحر ، فبعث إليه الثامر ابنَهُ عبدَ الله بن الثّامِر مع غلمان أهل نجران ، فكان إذ مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى منه من صلاته وعبادته ، فجعل يجلس إليه ، ويسمع منه حتى أسلم فَوحَّد اللهَ وَعبدهُ ، وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتى إذا فَقُه فيه ، جعل يسأله عن الاسم الأعظم ، وكان يعلمه -

(١) جعفتها : أسقطتها .

فكتمه إياه وقال له : يا ابن أخى ! إنك لن تحمله ، أخشى عليك ضعفك عنه . والثامر أبو عبد الله لا يظن إلا أن ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان ، فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه ، وتَخوَّف ضعفه فيه ، عمد إلى قداح (١) فجمعها ، ثم لم يبق لله اسما يعلمه إلا كتبه فى قدْح ، لكل اسم قدح ، حتى إذا أحصاها أوقد لها نارًا ، ثم جعل يقذفها فيها ، قدْحًا قدْحًا ، حتى إذا مر بالاسم الأعظم قذف بقدحه ، فوثب القدح حتى خرج منها لم تَضره شيئًا ، فأخذه ثم أتى صاحبه ، فأخبره بأنه قد علم الاسم الذى كتمه ، فقال : وما هو ؟ قال : هو كذا وكذا ، قال : وكيف علمته؟ فأخبره بما صنع ، قال : أى ابن أخى ! قد أصبته فأمسك على نفسك ، وما أظن أن تفعل .

عبد الله بن الثامر يدعو إلى التوحيد : فجعل عبد الله بن الثامر إذا دخل نَجران لم يلق أحدًا به ضر إلا قال : يا عبد الله ، أتُوحِّدُ الله ، وتدخل فى دينى ، وأدعو الله ، فيعافيك مما أنت فيه من البلاء ؟ فيقول : نعم ، فيوحد الله ويُسلم ، ويدعو له فيُشفى ، حتى لم يبق بنجران أحد به ضر إلا أتاه فاتبعه على أمره ، ودعا له فعوفى ، حتى رفع شأنه إلى ملك نجران ، فدعاه فقال له : أفسدْتَ علىَّ أهل قريتى ، وخالفت دينى ودين آبائى ، لأمثِّلن بك . قال : لا تقدر على ذلك . قال : فجعل يُرسل به إلى الجبل الطويل ، فيطرح على رأسه ، فيقع إلى الأرض ليس به بأس ، وجعل يبعث به إلى مياه بنجران ، بحور لا يقع فيها شىء إلا هلك ، فيلقى فيها ، فيخرج ليس به بأس ، فلما غلبه ، قال له عبد الله ابن الثامر: إنك والله لن تقدر على قتلى حتى توحِّد الله فتؤمن بما آمنت به ، فإنك إن فعلت ذلك ، سُلِّطت علىَّ فقتلتنى ، قال : فوحد الله تعالى ذلك الملك ، وشهد شهادة عبد الله بن الثامر ، ثم ضربه بعصا فى يده ، فشجَّه شجة غير كبيرة ، فقتله ثم هلك الملك مكانه ، واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر ، وكان على ما جاء به عيسى ابن مريم من الإنجيل وحُكمه ثم أصابهم مثل ما أصاب أهل دينهم من الأحداث ، فمن هنالك كان أصل النصرانية بنجران ، والله أعلم بذلك .

قال ابن إسحاق : فهذا حديث محمد بن كعب القُرظى ، وبعض أهل نجران عن عبد الله بن الثامر ، والله أعلم أى ذلك كان .

(١) القداح : السهام .

ذُو نُوَاس يدعو أهلِ نَجران إلى اليهودية : فسار إليهم ذُو نُوَاس بجنوده ، فدعاهم إلى اليهودية ، وخيَّرهم بين ذلك والقتل ، فاختاروا القتل ، فخدَّ لهم الأخدود (١) ، فحرَّق من حرق بالنار وقتل من قتل بالسيف ، ومثَّل بهم ، حتى قتل منهم قريبا من عشرين ألفا ، ففى ذى نواس وجنده تلك أنزل الله تعالى على رسوله سيدنا محمد ﷺ : ﴿ **قُتِلَ أصحاب الأخدود * النار ذات الوقود * إذ هم عليها قعود * وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود * وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد** ﴾ . (سورة البروج ٤ – ٨) .

نهاية عبد الله بن الثامر : قال ابن إسحاق : ويقال : كان فيمن قَتل ذُو نُواس ، عبد الله بن الثامر رأسهم وإمامهم .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أنه حُدِّث : أن رجلا من أهل نجران كان فى زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه – حَفَر خربة من خرب نجران لبعض حاجته ، فوجدوا عبد الله بن الثامر تحت دَفْن منها قاعدًا ، واضعا يده على ضربة فى رأسه ، ممسكا عليها بيده ، فإن أُخرت يده عنها تنبعث دما ، وإذا أرسلت يده ردها عليها ، فأمسكت دمها ، وفى يده خاتم مكتوب فيه : « ربى الله » فكُتب فيه إلى عمر بن الخطاب يُخبر بأمره ، فكتب إليهم عمر رضى الله عنه : أن أقروه على حاله وردوا عليه الدفن الذى كان عليه ، ففعلوا (٢) .

فرار دَوْسٌ ذى ثُعْلُبَان من ذى نُوَاس واستنجاده بقيصر :

قال ابن إسحاق : وأفلت منهم رجل من سَبأ ، يقال له دَوْسٌ ذُو ثُعْلُبان على

---

(١) روى ابن سنجر عن جبير بن نُفَير قال : الذين خددوا الأخدود ثلاثة : تبع صاحب اليمن ، وقسطنطين ابن هلانى – وهى أمه – حين صرف النصارى عن التوحيد ودين المسيح إلى عبادة الصليب ، وبختنصرَّ من أهل بابل حين أمر الناس أن يسجدوا له ، فامتنع دانيال وأصحابه ، فألقاهم فى النار ، فكانت بردًا وسلاما عليهم .

(٢) يصدق ذلك قوله تعالى : ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾ وما وجد من شهداء أحد وغيرهم على هذه الصورة لم يتغيروا بعد الدهور الطويلة ، كحمزة بن عبد المطلب – رضي الله عنه – فإنه وجد حين حفر معاوية العين صحيحًا لم يتغير وأصابت الفأس أصبعه فدميت . وكذلك أبو جابر : عبد الله بن حرام ، وعمرو بن الجموح . وطلحة ابن عبيد الله ، استخرجته بنته عائشة من قبره حين أمرها فى المنام بنقله فاستخرجته من موضعه بعد ثلاثين سنة لم يتغير . وحدثنى من لا أشك فى قوله أنه رأى حين إصلاح بعض الطرق كثيرًا من الشهداء فى حرب فلسطين لم يتغيروا بعد السنين الطويلة .

فرس له ، فسلك الرمل فأعجزهم ، فمضى على وجهه ذلك ، حتى أتى قيصر ملك الروم ، فاستنصره على ذى نواس وجنوده ، وأخبره بما بلغ منهم ، فقال له : بعُدت بلادك منا ، ولكن سأكتب لك إلى ملك الحبشة فإنه على هذا الدين ، وهو أقرب إلى بلادك ، وكتب إليه يأمره بنصره والطلب بثأره .

النجاشى ينصر دوسا : فقدم دَوْسٌ على النَّجاشى بكتاب قيصر ، فبعث معه سبعين ألفا من الحبشة ، وأمَّر عليهم رجلا منهم يقال له : أرياط - ومعه فى جنده أبرهة الأشرم - فركب أرياط البحر حتى نزل بساحل اليمن ، ومعه دَوس ذو ثعلبان .

نهاية ذى نُوَاس : وسار إليه ذو نواس فى حمير ، ومن أطاعه من قبائل اليمن ، فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه ، فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه ، وَجَّهَ فرسه فى البحر ، ثم ضربه ، فدخل به فخاض به ضحْضَاح (١) البحر ، حتى أفضى به إلى غَمْرِه (٢) ، فأدخله فيه ، وكان آخر العهد به . ودخل أرياط اليمن ، فملكها (٣) .

فقال رجل من أهل اليمن - وهو يذكر ما ساق إليهم دوس من أمر الحبشة :

« لاَ كدَوْسٍ ولا كأعلاق رَحْلِه » (٤)

فهى مثل باليمن إلى هذا اليوم .

قول ذى جَدَن الحميرى فى هذه القصة : وقال ذو جَدَن الحميرى :

---

(١) الضحضاح من الماء : الذى يظهر قعره .

(٢) الغمر : الماء الكثير .

(٣) هذا ما ذكره ابن إسحاق وهناك رواية أخرى : أن ذا نواس أدخل الحبشة : صنعاء اليمن ، حين رأى أن لا قبل له بهم ، بعد أن استنفر جميع المقاول ليكونوا معه يدا واحدة عليهم فأبوا إلا أن يحمى كل واحد منهم حوزته على حدته ، فخرج إليهم ومعه مفاتيح خزانته وأمواله على أن يسالموه ومن معه ، فكتبوا إلى النجاشى بذلك فقبل ، ثم كتب ذو نواس إلى كل موضع ببلاده أن اقتلوا كل ثور أسود فقتل أكثر الحبشة فوجه النجاشى جيشًا إلي أبرهة وعليهم أرياط وأمره أن يقتل ذا نواس ، ويخرب ثلث بلاده ويسبى ثلث النساء والذرية ففعل ذلك أبرهة .

(٤) الأعلاق : النفائس .

هَوَنَكِ (١) ليس يَرُدُّ الدمعَ ما فاتا   لاَ تَهْلَكِى أَسَفًا فى إِثْر مَن مَاتا
أَبَعد بَيْنُون لا عيـــنٌ ولا أثَـر   وبعد سِلْحِين يبني الناس أبياتا ؟!

بَيْنُون وسِلحين وغُمدان : من حصون اليمن التى هدمها أرياط ، ولم يكن فى الناس مثلها .

وقال ذو جَدَن أيضًا :

دَعِينى - لا أبَالكِ - لن تُطيقى (٢)   لحَاكِ اللّهُ ! قَدَ أنزفْتِ رِيقــى (٣)
لَدى عَزَف القِيــان إذ انتــشينَا   وإذ نُسقَى من الخَمــر الرحيقِ (٤)
وشُــربُ الخَمر ليـــس علىَّ عَارًا   إذا لم يَشكُنى فيهـــا رَفيقى
فإن المـــوتَ لا ينهـــاهُ نَاهٍ   ولو شَرب الشفـاءَ مع النَّشُوق (٥)
ولا مُترهِّبٌ فـــى أُسطـــوانٍ   يُناطـــح جُدره بَيْض الأنُوق (٦)
وغُمْدانُ (٧) الذى حُدِّثت عـــنه   بَنوهُ مُسَـــمَّكا فى رأس نيق (٨)
بِمَنْهمَة ، وأســـفَلُه جُـرُون   وحُر المَوْحَلِ اللَّثِق الزَّليـــق (٩)

---

(١) هونك : ترفقى ، وقد روى عن ابن إسحاق من غير رواية ابن هشام ، هونكما لن يرد . وهو من باب قول العرب للواحد : افعلا .

(٢) أى لن تطيقى صرفى بالعذل عن شأنى .

(٣) أى أيبست ريقى فى فمى ، وقلة الريق من الحَصْر ، وكثرته من قوة النفس وثبات الجأش .

(٤) الرحيق : الخالص .

(٥) أى لو شرب كل دواء يستشفى به ، وتنشق كل نشوق يجعل فى الأنف للتـداوى به ، ما نهى ذلك الموت عنه .

(٦) مترهب يجوز أن يكون معطوفا على لفظ (ناه) فيكون المعنى : لا ينهى الموت ناه، ولا مترهب أى ولا دعاء مترهب ، ويجوز أن يكون مرفوعًا على الفاعلية . أى : ولا ينجو منه مترهب .

والأسطوان : على وزن أفعوال والنون فيها أصلية ، جمعه ، أساطين ، وليس فى الكلام فاعين . والأسطوان جمع أسطوانة ، وهى السارية ، ويقصد هنا المكان الذى يختلى فيه الراهب . والأنوق : الذكر من الرخم وهو لا يبيض .

(٧) غمدان : هو الحصن الذى كان لهوذة بن على ملك اليمامة .

(٨) مسمكا : مرفعًا . من قوله سمك السماء ، والنيق : أعلى الجبل .

(٩) المنهمة : موضع الرهبان ، والراهب يقال له النهامى ويقال للنجار أيضًا : نهامى=

مَصابيحُ السَّليطِ تَلوحُ فيه إذا يمسى كَتَوماضِ البُروق (١)
ونخلتهُ التى غُرستْ إليه يكادُ البُسر يهصرُ بالعُذوق (٢)
فأصبحَ بعدَ جِدَّته رَمادًا وغيَّر حُسنه لهَبُ الحريق
وأسلم ذُو نُواسٍ مُستكينًا وحذَّر قَومَهُ ضَنْكَ المضيق

قول عمرو بن معدى كرب الزبيدى فى هذه القصة : وقال عَمرو بن مَعدى كَرب الزبيدى (٣) فى شىء كان بينه وبين قيس بن مكشُوح المرادى (٤) ، فبلغه أنه يتوعده ، فقال يذكر حمير وعزها ، وما زال من مُلكها عنها :

أتُوعِدُنى كأنَّكَ ذُو رُعَينٍ بأفضلِ عِيْشَةٍ - أو ذُو نُواسِ
وكائنْ كَان قَبلك من نَعيم ومُلكٍ ثابت فى الناس رَاسى
قديمٍ عهدُهُ من عهدِ عادٍ عظيم قَاهر الجبروتِ قَاسى
فأمسى أهلُهُ بادوا ، وأمسى يُحوَّل من أُنَاسٍ فى أُنَاس

* * *

= فتكون منهمة أيضًا على هذا موضع نجر . والجرون . جمع جرن ، وهو النقير ، من جرن الثوب : إذا لان . روى أبو الوليد الوقشى جروب بالباء وكذلك ذكره الطبرى أيضا ، وفى حاشية كتاب الوقشى أنها الحجارة السوداء . وحر : الخالص من كل شىء . والموحل : من الوحل ، وفى كتاب أبى بحر عن الوقشى : وحر الموجل وفسرها بأنها حجارة ملس لينة ، واللثق من الثق وهو أن يختلط الماء بالتراب فيكثر منه الزلق والزليق الذى يزلق فيه ، انظر الروض الأنف تحقيق طه عبد الرءوف سعد جـ ١ صـ ٥٨ .

(١) السليط : الدهن .

(٢) يهصر : يميل . العزوق : جمع عزق بفتح العين وهى النخلة .

(٣) عمرو بن معدى كرب ﷺ صحابي ، يكنى : أبا ثور تضرب الأمثال بفروسيته وبسالته ، ومعنى معدى كرب : وجه الفلاح ، المعدى هو : الوجه ، والكرب هو : الفلاح .

(٤) ليس من مراد ، وإنما هو حليف لها ، واسم مراد : يحابر بن سعد العشيرة بن مذحج ونسبه فى بجيلة ثم فى بنى أحمس ، وأبوه مكشوح اسمه هُبيرة بن هلال . ويقال : عبد يغوث بن هبيرة بن الحارث بن عمرو بن عامر بن على بن أسلم بن أحسن بن الغوث بن أنمار ، وأنمار هو : والد بجيلة وخثعم ، وسمى أبوه مكشوحا ، لأنه ضرب بسيف على كشحه (ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف) ويكنى قيس : أبا شداد ، وهو قاتل الأسود العنسى الكذاب هو وذدويه وفيروز ، وكان قيس بطلا شجاعًا قتل مع على ﷺ - يوم صفين وله فى ذلك اليوم وفى حروب الشام ضد الروم وقائع لم يسمع بمثلها عن أحد بعد خالد بن الوليد .

النِّزاع على اليمن بين أَبْرَهة وأَرياط

قال ابن إسحاق : فأقام أرياط بأرض اليمن سنين في سلطانه ذلك ، ثم نازعه فى أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشى ، حتى تفرقت الحبشة عليهما ، فانحاز إلى كل واحد منهما طائفة منهم ثم سار أحدهما إلى الآخر ، فلما تقارب الناس أرسل أبرهة إلى أرياط : إنك لا تصنع بأن تلقى الحبشة بعضها ببعض ، حتى تفنيها شيئًا ، فابرز إلىَّ ، وأبرز إليك ، فأينا أصاب صاحبه انصرف إليه جنده ، فأرسل إليه أرياط : أنصفتَ ، فخرج إليه أبرهة - وكان رجلا قصيرًا لحيمًا ، وكان ذا دين فى النصرانية - وخرج إليه أرياط وكان رجلا جميلا عظيمًا طويلا ، وفى يده حربة له وخلف أبرهة غلام له ، يقال له : عَتَودَة (١) ، يمنع ظهره ، فرفع أرياط الحربة ، فضرب أبرهة يريد يافوخه ، فوقعت الحربة على جبهة أبرهة ، فَشَرَمَتْ حاجبه وأنفه وعينه وشفته ، فبذلك سمى : أبرهة الأشرم ، وحمل عتودة على أرياط من خلف أبرهة فقتله ، وانصرف جند أرياط إلى أبرهة ، فاجتمعت عليه الحبشة باليمن ووَدَى (٢) أبرهة أرياط .

غَضبُ النجاشى عَلى أبَرهة :

فلما بلغ النجاشى غضب غضبًا شديدًا وقال : عدا على أميرى فقتله بغير أمرى ، ثم حلف : لا يدع أبرهة حتى يطأ بلاده ، ويجز ناصيته فحلق أبرهة رأسه . وملأ جرابا من تراب اليمن ، ثم بعث به إلى النجاشى ، ثم كتب إليه :

« أيها الملك ، إنما كان أرياط عبدك ، وأنا عبدك ، فاختلفنا فى أمرك ، وكُلٌّ طاعته لك ، إلا أنى كنتَ أقوى على أمر الحبشة ، وأضبط لها ، وأَسْوسَ منه ، وقد حلقت رأسى كله حين بلغنى قسم الملك ، وبعثت إليه بجراب تراب من أرضى ، ليضعه تحت قدميه ، فيبر قسمه فىَّ » .

فلما انتهى ذلك إلى النجاشى رضى عنه ، وكتب إليه . أن اثبت بأرض اليمن حتى يأتيَك أمرى ، فأقام أبرهة باليمن .

« القُلَّيس » أو كنيسة أبرهة : ثم إن أبرهة بنى القُلَّيس (٣) بصنعاء . فبنى

---

(١) العتودة : الشدة فى الحرب .

(٢) وداه : تحمل ديته .

(١) القليس : وهى الكنيسة التى أراد أبرهة أن يصرف حج العرب إليها وسميت بهذا =

كنيسة لم ير مثلها فى زمانها بشىء من الأرض ، ثم كتب إلى النجاشى : إنى قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يُبن مثلها لملك كان قبلك ، ولست بمنته حتى أصرف إليها حَجَّ العرب ، فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشى ، غضب رجل من النَّسأة ، أحد بنى فُقَيم بن عَدِى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مضر .

النَّسَأة : والنسأة : الذين كانوا ينسئون الشهور على العرب فى الجاهلية ، فيحلُّون الشهر من الأشهر الحرم ، ويحرِّمون مكانه الشهر من أشهر الحل ، ليواطئوا عدة ما حرم الله ، ويؤخرون ذلك الشهر ، ففيهم أنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ **إنما النسئ زيادة فى الكفر يُضَلُّ به الذين كفروا يحلُّونه عاما ويحرِّمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرَّم الله** ﴾ . (سورة التوبة : ٣٧) .

أول من ابتدع النسئ : قال ابن إسحاق : وكان أول من نسأ الشهور على العرب ، فأحل منها ما أحل ، وحرم منها ما حرم . القَلَمَّس (١) ، وهو حُذيفة ابن عبد بن فُقيم بن عَدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة ، ثم قام بعده على ذلك ابنه عبَّاد بن حذيفة ، ثم قام بعد عباد : قَلَعُ بن عباد ، ثم قام بعد قلع : أُمية بن قلع ، ثم قام بعد أمية : عوف بن أمية ، ثم قام بعد عوف : أبو ثُمامة ، جُنادة بن عوف ، وكان آخرهم ، وعليه قام الإسلام (٢) ، وكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه ، فحرَّم الأشهر الحرم الأربعة : رجبا ، وذا القعدة ، وذا الحجة ، والمحرم ، فإذا أراد أن يحل شيئًا أحل المحرم فأحلوه وحرم

= الاسم لارتفاع بنائها وعلوها ومنه أخذت القلانس لأنها تعلو الرأس . وقلس طعاما : أى ارتفع من معدته إلى فيه . وقد استذل أبرهة أهل اليمن فى بنيان هذه الكنيسة وجشمهم أنواعا من السخر ، وكان ينقل إليها العدد من الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس وكان من موضع الكنيسة على فراسخ ، ونصب فيها صلبانا من الذهب والفضة ومنابر من العاج والأبنوس وكان أراد أن يرتفع بها حتى يشرف منها على عدن . انظر قصة هذه الكنيسة مفصلة فى الروض الأنف تحقيق طه عبد الرءوف سعد جـ ١ صـ ٦٣ .

(١) وسمى القلمس لجوده : إذ إنه من أسماء البحر .

(٢) وجد السهيلى خبرًا عن إسلام أبى ثمامة فقد حضر الحج فى زمن عمر ، فرأى الناس يزدحمون على الحج فنادى : أيها الناس : إنى قد أجرته منكم ، فخفقه عمر بالدرة ، وقال : ويحك : إن الله أبطل أمر الجاهلية .

مكانه صفر فحرموه ، ليواطئوا عدة الأربعة الأشهر الحرم ، فإذا أرادوا الصَّدر (١) قام فيهم فقال : « اللهم إنى قد أحللتُ لك أحد الصَّفرين ، الصفر الأول : ونَسأت الآخر للعام المقبل (٢) » . فقال فى ذلك عُمير بن قَيس ، جَذْل الطِّعان (٣) ، أحد بنى فراس بن غَنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة ، يفخر بالنسأة على العرب :

لَقد علمتْ مَعدٌّ أن قَومِــــى ... كِرامُ الناس أنَّ لهم كِرامـا (٤)

فَأَىُّ الناسِ فَاتونا بـــــوِترٍ ... وأى الناس لم نُعلك لِجاما (٥)

ألسنا الناسِـئينَ علـــى مَعدٍّ ... شُهور الحل نجعلُها حَرامـا ؟

الكنانى يحْدث فى القُلَّيس : **قال ابن إسحاق** : فخرج الكنانى حتى أتى القُلَّيس فقَعد (٦) فيها – يعنى أحدث فيها – قال ابن إســحاق : ثم خرج فلحق بأرضه ، فأخبر بذلك أبرهة فقال : من صنع هذا ؟ فقيل له : صنع هذا رجل من العرب من أهل هذا البيت الذى تحج العــرب إليه بمكة لما ســمع قولك : « أَصرفُ إليها حَج العرب » غضب فجاء ، فقعد فيها ، أى أنها ليست لذلك بأهل .

خروج أبرهة لهدم الكعبة : فغضب عند ذلك أبرهة وحلف : ليسيرن إلى البيت

---

(١) الصدر هنا : الرجوع من الحج .

(٢) كان نسؤهم على ضربين . أحدهما : ما ذكر ابن إسحاق من تأخير شهر المحرم إلى صفر لحاجتهم إلى شن الغارات وطلب الثارات . والثانى : تأخيرهم الحج عن وقته تحريًا منهم للسنة الشمسية ، فكانوا يؤخرونه فى كل عام أحد عشر يوما أو أكثر قليلا ، حتى يدور الدور إلى ثلاث وثلاثين سنة ، فيعود إلى وقته ، ولذلك قال عليه السلام فى حــجة الوداع : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » وكانت حجة الوداع فى السنة التى عاد فيها الحج إلى وقته ، ولم يحج رســول الله ﷺ من المدينة إلى مكة غير تلك الحجة ، وذلك لإخراج الكفار الحج عن وقته ، ولطوافهم بالبيت عراة – والله أعلم – إذ كانت مكة بحكمهم ، حتى فتحها الله على نبيه ﷺ .

(٣) وكان عمير من أطول الناس ، وسمى جذل الطعان لثباته فى الحرب كأنه جذل شجرة واقف ، وقيل : لأنه كان يستشفى برأيه ، ويستراح إليه ، كما تستريح البهيمة الجرباء إلى الجذل « عود ينصب للبهم الجرباء لتحتك به » .

(٤) أى : آباء كراما وأخلاقا كراما .

(٥) أى : لم ندعهم ونكفهم ، كما يقدع الفرس باللجام . تقول : أعلكت الفرس لجامه إذا رددته عن تنزعه ، فمضغ اللجام كالعلك من نشاطه ، فهو مقدوع .

(٦) قعد : أى أحدث فيها – وهذا شاهد لقول مالك وغيره من الفقهاء فى تفسير القعود على المقابر المنهى عنه وأن ذلك للمذاهب « للمتوضئين » .

حتى يهدمه ، ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت ، ثم سار وخرج معه بالفيل ، وسمعت بذلك العرب ، فأعظموه ، وفظعوا به ، ورأوا جهاده حقا عليهم ، حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة ، بيت الله الحرام .

أشراف اليمن يدافعون عن البيت : فخرج إليه رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له : ذو نَفر ، فدعا قومه ، ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة ، وجهاده عن بيت الله الحرام ، وما يريد من هدمه وإخرابه ، فأجابه إلى ذلك من أجابه ، ثم عرض له فقاتله ، فهُزم ذُو نَفر وأصحابه ، وأُخذ له ذو نفر ، فأتى به أسيرًا ، فلما أراد قتله ، قال له ذو نفر : أيها الملك ، لا تقتلنى فإنه عسى أن يكون بقائى معك خيرًا لك من قتلى ، فتركه من القتل ، وحبسه عنده فى وثاق ، وكان أبرهة رجلا حليما .

خَثْعم تُجاهد أبرهة : ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له ، حتى إذا كانَ بأرض خثَعم [١] عرض له نُفَيل بن حبيب الخثعمى فى قَبيلَتى خَثعم : شهران وناهس [٢] ، ومن تبعه من قبائل العــرب ، فقاتله فهزمه أبرهة ، وأخذ له نفيل أسيرًا ، فأتى به ، فلما هم بقتله قال له نفيل : أيها الملك ، لا تقتلنى فإنى دليلك بأرض العرب ، وهاتان يداى لك على قبيلى خثعم : شهران وناهس بالسمع والطاعة ، فخلى سبيله .

وخرج به معه يدله ، حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب بن مالك ابن كعبٍ بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف فى رجال ثقيف .

نَسب ثقيف [٣] : واسم ثقيف : قَسِيُّ بن النَّبيت بن منبه بن منصور بن يقدم ابن أفصى بن دُعْمِيٍّ بن إياد بن نزار بن معد بن عدنان .

قال أمية بن أبى الصلت الثقفى [٤] :

---

(١) خثعم : اسم جبل سمى به بنو عفرس بن خلف بن أفتل بن أنمار ، لأنهم نزلوا عنده . وقيل : إنهم تخثعموا بالدم عند حلف عقدوه بينهم أى تلطخوا .

(٢) يقال إن خثعم ثلاث : شهران وناهس وأكلب ، غير أن أكلب عند أهل النسـب هو : ابن ربيعة بن نزار ، ولكنهم دخلوا فى خثعم ، وانتسبوا إليهم .

(٣) اختلف النسابون فى نسب ثقيف فبعضهم ينسبهم إلى زياد ، والبعض إلى قيس وقد نسبوهم إلى ثمود أيضًا . وفى حديث رواه معمر بن راشد فى جامعــه : إن أبا رغال من ثمود » .

(٤) واسم أبى الصلت : ربيعة بن وهب .

قَومى إِيادٌ لو أنهم أَمَــــم ... أَو لو أقاموا فتُهــزَل النَّعَمُ (١)

قَومٌ لهم ساحةُ العراقِ إذا ... ساروا جميعًا والقِطُّ والقَلَم (٢)

وقال أمية بن أبى الصلت أيضا :

فإما تَسألى عنِّــى - لُبَيْنَى ... وعن نَسبى - أُخبِّرك اليقينا

فإنا للنَّبيت أبـــى قَسىٍّ ... لمنصـور بن يَقدُم الأقْدمينا

ثَقيف تُهادن أَبرهة : قال ابن إسحاق : فقالوا له : أيها الملك ، إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ، ليس عندنا لك خلاف ، وليس بيننا هذا البيت الذى تريد - يعنون اللات - إنما تريد البيت الذى بمكة ، ونحن نبعــث معك من يدلك عليه ، فتجاوز عنهم .

اللاَّتُ : واللاَّتُ : بيت لهم بالطائف كانوا يعظِّمونه نحو تعظيم الكعبة .

أبو رِغَال ورجم قبره : قال ابن إسحاق : فبعثوا معه أبا رِغَال يدله على الطريق إلى مَكة فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله المُغَمَّس (٣) ، فلما أنزله به مات أبو رغال هناك ، فرجمت قبره العرب ، فهو القبر الذى يرجم الناس بالمغمَّس .

الأَسودُ بن مَقصود يُهاجم مكة : فلما نزل أبرهة المغمَّس ، بعث رجلا من الحبشة يقال له : الأسود بن مقصود (٤) على خيل له ، حتى انتهى إلى مكة ، فساق

---

(١) الأمم : القريب . أو لو أقاموا : أى بالحجاز لأنهم انتقلوا عنها حين ضاقت عن مسارحهم فصاروا إلى ريف العراق .

(٢) القط ما قط من الكاغد والرق وذلك أن الكتابة كانت فى تلك البلاد التى ساروا إليها . وقد قيل لقريش : ممن تعلمتم القط ؟ فقالوا : تعلمناه من أهل الحيرة ، وتعلمه أهل الحيرة من أهل الأنبار .

(٣) المغمس : بفتح الميم الثانية على زنة اسم المفعول فكأنه من غمست الشىء إذا غطيته وذلك أنه مكان مستور إما بهضاب وإما بعضاه (شجر له شوك) فقد روى على بن السكن « أن رسول الله ﷺ إذ كان بمكة ، كان إذا أراد حاجة الإنسان خرج إلى المغمس » وهو على ثلث فرسخ من مكة .

أما على رواية كسر الميم الثانية بزنة اسم الفاعل فهو مشتق من الغميس وهــو الغمير « نبات أخضر ينبت فى الخريف » .

(٤) وهو الأسود بن مقصود بن الحارث بن منبه بن مالك بن كعب بن الحارث بن كعب ابن عمر بن عِلَّة ، ويقال فيه : عُلَم - على وزن عمر - ابن خالد بن مذحج بعثه النجاشى مع الفيلة والجيش ، وكانت الفيلة ثلاثة عشر فيلا هلكت كلها إلا (محمود) فيل النجاشى لامتناعه عن التوجه إلى الكعبة .

إليه أموال تهامة من قريش وغيرهم وأصاب فيها مائتى بعير لعبد المطلب بن هاشم ، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها ، فهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله ، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به ، فتركوا ذلك ·

رسول أبرهة إلى مكة : وبعث أبرهة حُناطة الحِميرى إلى مكة ، وقال له : سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفها ، ثم قل له : إن المَلك يقول لك : إنى لم آت لحربكم ، إنما جئت لهدم هذا البيت ، فإن لم تتعرضوا دونه بحرب ، فلا حاجة لى بدمائكم ، فإن هو لم يرد حربى فأتنى به ، فلما دخل حُنَاطة مكة ، سأل عن سيد قريش وشريفها ، فقيل له : عبد المطلب بن هاشم ، فجاءه ، فقال له ما أمره به أبرهة ، فقال له عبد المطلب : والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله الحرام ، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام - أو كما قال - فإن يمنعه منه ، فهو بيته وحرمه ، وإن يُخَلِّ بينه وبينه ، فوالله ما عندنا دفع عنه · فقال له حُناطة : فانطلق معى إليه ، فإنه قد أمرنى أن آتيه بك ·

أُنَيس يشفع لعبد المطلب : فانطلق معه عبد المطلب ، ومعه بعض بنيه ، حتى أتى العسكر ، فسأل عن ذى نَفْر ، وكان له صديقًا ، حتى دخل عليه وهو فى محبسه ، فقال له : يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا ؟ فقال له ذو نفر : وما غناء رجل أسير بيدَىْ ملك ينتظر أن يقتله غُدوًا أو عشيًّا ؟! ما عندنا غناء فى شىء مما نزل بك ، إلا أن أُنيسا سائس الفيل صديق لى ، وسأرسل إليه فأوصيه بك ، وأعظِّم عليه حقك ، وأسأله أن يستأذن لك على الملك ، فتكلمه بما بدا لك ، ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك · فقال : حسبى · فبعث ذو نفر إلى أُنيس ، فقال له : إن عبد المطلب سيد قريش ، وصاحب عِير مكة ، يطعم الناس بالسهل ، والوحوش فى رءوس الجبال ، وقد أصاب له الملك مائتى بعير ، فاستأذن عليه · وانفعه عنده بما استطعت ، فقال : أفعل ·

فكلم أُنيس أبرهة ، فقال له : أيها الملك : هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك ، وهو صاحب عِير مكة ، وهو يطعم الناس فى السهل ، والوحوش فى رءوس الجبال ، فأْذن له عليك فيكلمك فى حاجته ، قال : فأذن له أبرهة ·

الإبل لى والبيت له ربٌّ يحميه : قال : وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم فلما رآه أبرهة أجلَّه وأعظمه وأكرمه عن أن يجلسه تحته ، وكره

أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه ، فنزل أبرهة عن سريره ، فجلس على بساطه ، وأجلسه معه عليه إلى جنبه ، ثم قال لترجمانه : قل له : ما حاجتك ؟ فقال له ذلك الترجمان · فقال : حاجتى أن يرد على الملك مائتى بعير أصابها لى ، فلما قال له ذلك ، قال أبرهة لترجمانه ، قل له : قد كنت أعجبتنى حين رأيتك ، ثم قد زهدت فيك حين كلمتنى ، أتكلمنى فى مائتى بعير أصبتها لك ، وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه ، لا تكلمنى فيه ؟! قال له عبد المطلب : إنى أنا رب الإبل وإن للبيت ربا سيمنعه ، قال : ما كان ليمتنع منى ، قال : أنت وذاك ·

الوفد المرافق لعبد المطلب : وكان - فيما يزعم بعض أهل العلم - قد ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة ، حين بعث إليه حُنَاطة ، يَعمرُ بن نُفاثة بن عَدى بن الدُّئل ابن بكر بن مناة بن كنانة - وهو يومئذ سيد بنى بكر - وخُويلد بن واثلة الهذلى - وهو يومئذ سيد هذيل - فعرضوا على أبرهة ثلث أمـــوال تهامة ، على أن يرجع عنهم ، ولا يهدم البيت ، فأبى عليهم · والله أعلم أكان ذلك ، أم لا · فرد أبرهة على عبد المطلب الإبل التى أصاب له ·

قريش تستنصر الله على أبرهة : فلما انصرفوا عنه ، انصرف عبد المطلب إلى قريش ، فأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج من مـــكة ، والتحرُّز (١) فى شَعَف الجبال (٢) والشِّعاب (٣) تخوفا عليهم من مَعَرَّة (٤) الجيش ،ثم قام عبد المطلب ، فأخذ بحلقة باب الكعبة ، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ، ويستنصرونه على أبرهة وجنده ، فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :

لاَهُمَّ إنَّ العبـــــد يَمَـــــ ـــنعُ رَحلَهُ فامنع حِلاَلَك (٥)
لاَ يَغْلِبَنَّ صَـــــليبُهُمْ ومِحَالُهم غـــدواً مِحَالك (٦)

---

(١) التحرز : التمنع ·
(٢) شعف الجبال : رءوسها ·
(٣) الشعاب : المواضع الخفية بين الجبال ·
(٤) معرة الجيش : شدته ·
(٥) لاهم : أصلها : اللهم · والعرب تحذف منها الألف واللام · وكذلك تقـــول فى : والله إنك : « لاهنك » وذلك لكثرة دور هذا الاسم على الألسنة · بل قد قالوا فيما هو دونه فى الاستعمال : « إجنك » أي « من أجل إنك » · والحلال فى هذا البيت : الحلول فى المكان والحلال مركب من مراكب النساء ، والحلال أيضا :متاع البيت وجائز أن يستعيره ههنا·
(٦) غدوا : غداً والمحال : القوة والشدة ·

إنْ كنتَ تاركهم وقِبْـــــ ــــلَتنا فَأمرٌ ما بدَا لَكْ (١)

عكرمة بن عامر يدعو على الأسود : قال ابن إسحاق : وقال عِكرمة بن عامر بنَ هشام بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصى :

لاَهُمَّ أَخزِ الأَسودَ بن مقَصودْ   الآخذ الهجمةَ فيها التقـــليدْ (٢)

بينِ حِراءَ وثَبـيرِ فالبـــــيدْ   يحبسهَا وهى أُولاتُ التطـريد (٣)

فَضَمَّها إلى طماطم سُـــــود   أخْفره يا رب وأنت محمــود (٤)

قال ابن إسحاق : ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة ، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظـرون ما أبرهة فاعــل بمكة إذا دخلها .

أبرهة يهاجم الكعبة : فلما أصبح أبرهة تهــيأ لدخول مكة ، وهيأ فيلَه ، وعبَّى (٥) جيشه - وكان اسم الفيل محمودا - وأبرهة مُجمع لهدم البيت ، ثم الانصراف إلى اليمن . فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نفيل بن حبيب (٦) حتى قام إلى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه ، فقال : ابرك (٧) محمود أو ارجع راشدا من حيث

---

(١) روى السهيلى يبعد هذا البيت بيتًا آخر هو :

وانصر على آل الصليب   وعابديه اليوم آلك

(٢) الهجمة : هو ما بين التسعين إلى المائة مـن الإبل ، والمائة منها : هـنيدة ، والمائتان : هند ، قال بعضهم : والثلاثمائة أمامة . وأنشدوا :

تبيّن رويدا   ما أمامة من هند

وكأن اشتقاق الهجمة من الهجيمة ، وهو : الثخين من اللـبن ؛ لأنه لما كثر لبنها لكثرتها ، لم يمزج بماء ، وشرب صـرفا ثخينا ، ويقال للقدح الذى يحلب فيه إذا كان كبيرا : هجم . والتقليد : أى أن القلائد فى أعناقها .

(٣) حراء وثبير : جبلان بالحجاز . (٤) أخفره : أى انقض عزمه وعهده فلا تؤمنه .

(٥) يقال : عبى الجيش بغير همزة وعبأ المتاع بالهمز ، وقد حكى عبأت الجيش بالهمز وهو قليل .

(٦) وقيل هو نفيل بن عبد الله بن جَزء بن عامر بن مالك بن واهب بن جليحة بن أكلب بن ربيعة بن عفرس بن جلف بن أفتل ، وهو : خثعم . كذلك نسبه البرقى . ونفيل من المسمين بالنبات وهو تصغير نفل وهو نبت منبسط على الأرض .

(٧) الفيل لا يبرك ، ويحتمل أن يكون بروكه : سقوطه إلى الأرض لما جاءه من أمر الله . أو يكون فعَل فعْل البارك الذى يلزم موضعه ولا يبرح . ويقول الســهيلى فى الروض الأنف إنه سمع من يقول : إن فى الفيلة صنفا منها يبرك كما يبرك الجمل .

جئت ، فإنك فى بلد الله الحرام ، ثم أرسل أذنه . فبرك الفيل ، وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى أصعد فى الجبل ، وضربوا الفيل ليقوم فأبى ، فضربوا فى رأسه بالطَبرزين (١) ليقوم فأبى ، فأدخلوا محاجن (٢) لهم فى مَراقة (٣) فبزغوه (٤) بها ليقـــوم فأبى ، فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول ، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ،.ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى مكة فبرك .

عقاب الله لأبرهة وجنده : فأرسل الله تعالى عليهم طيرًا من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان (٥) ، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجر فى منقاره ، وحجران فى رجليه ، أمثال الحمص والعَدس (٦) ، لا تصيب منهم أحدًا إلا هلك ، وليس كلهم أصابت وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذى منه جاءوا ، ويسألون عن نُفيل بن حبيب ، ليدلهم على الطريق إلى اليمن ، فقال نفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته :

أَينَ المفَرُّ والإلهُ الطَّـــالبْ ... والأَشْرَمُ المغلُوبُ لَيسَ الغَالِبْ

قال ابن إسحاق : وقال نفيل أيضًا :

ألا حُيِّيـــــتِ عَنَّا يــــارُدَيْنَا ... نعمناكم مع الإِصباح عَينا (٧)
رُدَيْنة لو رأيتِ - ولا تريه ... لَدَى جَنْبِ المحصَّبِ ما رأينا
إذًا لعذرتنى وحمدتِ أمرى ... ولم تأسَىْ على ما فاتَ بَينَا

---

(١) الطبرزين : آلة من الحديد .
(٢) المحاجن : جمع محجن ؛ عصا معوجة .
(٣) المراق : أسفل البطن .
(٤) بزغوه : أدموه .
(٥) الخطاطيف والبلسان : نوعان من الطيور .
(٦) فى الشكل فقط وليس فى المقدار إذ ذكر البرقى أن ابن عباس قال : أصغر الحجارة كرأس الإنسان ، وكبارها كالإبل . وكانت قصة الفيل أول المحرم من سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذى القرنين .
(٧) ردينا : اسم امرأة ، كأنها سميت بتصغير ردنة وهى القطعة من الردن (الحرير) ونعمناكم : أى : نعمنا بكم .

حَمِدتُ اللهَ إذ أبصرتُ طيرًا وخفتُ حجـارةً تُلْقَى عَلينا
وكلُّ القومِ يَسألُ عَن نُفَيلٍ كَأنَ عليَّ للحبشـان دَينا

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ، ويهلكون بكل مهلك على كل منهل ، وأصيب أبرهة فى جسده ، وخرجوا به معهم يسقط أُنْمُلَةً أُنمُلة [١] : كلما سقطت أنملة ، أتبعتها منه مدة تَمُثُّ [٢] قيحًا ودما ، حتى قدموا به صنعاء ، وهو مثل فرخ الطائر ، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ، فيما يزعمون .

قال ابن إسحاق : حدثنى يعقوب بن عتبة أنه حُدِّث : أن أول ما رؤيت الحصبة والجُدْرى بأرض العرب ذلك العام ، وأنه أول ما رؤى بها مرائر الشجر ، والحرمل والحنظل والعُشَر ذلك العام .

اللهُ - جل جلاله - يذكر حادثة الفيل ويمتنُّ على قريش :

قال ابن إسحاق: فلما بعث الله تعالى محمدًا ﷺ - كان مما يَعُدُّ الله على قريش من نعمته عليهم ، وفضله ما رد عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم ، فقال الله تبارك وتعالى : ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم فى تضليل * وأرسل عليهم طيراً أبابيل * ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول** ﴾ (سورة الفيل : ١ - ٥) . وقال : ﴿ **لإيلاف قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف** ﴾ (سورة قريش : ١ - ٤) . أى لئلا يغير شيئا من حالهم التى كانوا عليها ، لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه .

مصير قائد الفيل وسائسه : قال ابن إسحاق : حدَّثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عَمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زَرارة ، عن عائشة رضى الله عنها - قالت : « لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مُقْعَدين يستطعمان الناس » [٣] .

* * *

(١) الأنملة : طرف الأصبع ، ولكن قد يعبر بها عن طرف غير الأصبع ، أى : ينتثر جسمه قطعة قطعة .

(٢) تمث : ترشح .

(٣) أى يطلبان من الناس أن يطعماهما .

ما قيل فى قصة الفيل من الشِّعر

قال ابن إسحاق · فلما رد الله الحبشة عن مكة ، وأصابهم بما أصابهم به من النِّقمة ، أعظمت العرب قريشا ، وقالوا : هم أهل الله ، قاتل الله عنهم وكفاهم مُئونة عدوهم ، فقالوا فى ذلك · أشعاراً يذكرون فيها ما صنع الله بالحبشة ، وما رد عن قريش من كيدهم ·

شعر عبد الله بن الزِّبَعْرَى : فقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى بن عدى بن قيس بن عدى بن سعيد (١) بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لُؤى بن غالب بن فِهر :

تَنَكَّلوا عن بَطنِ مكة ، إنها كانت قديما لا يُرامُ حَرِيمها
لم تَخلق الشِّعرى ليالى حُرِّمت إذ لا عزيز من الأنام يَرُومُها
سَائِل أميرَ الجيش عنها ما رأى ولسوف يُنْبى الجاهلين عَليمُها
سِتون ألفًا لم يَؤُبوا أرضهم ولم يعش بعدَ الإياب سَقيمُها
كانت بها عَادٌ وجُرهُمُ قبلهم واللهَ من فوق العباد يُقيمُها

قال ابن إسحاق : يعنى ابنُ الزبعرى بقوله :

· · · بعد الإياب سقيمها

أبرهة إذ حملوه معهم حين أصابه ما أصابه ، حتى مات بصنعاء ·

شعر ابن الأسلت : وقال أبو قيس بن الأسلت الأنصارى ثم الخطمى ، واسمه : صيفى ·

وَمِنْ صُنْعه يَوم فِيل الحُبُوشِ إذ كُلما بَعثوهُ رَزَمْ (٢)
مَحاجِنُهم تحت أقرابه وقد شَرَّموا أنفه فانخرم (٣)
وقدَ جَعلوا سَوْطَه مغْولاً إذا يَمَّمُوه قَفَاهُ كُلِم (٤)

---

(١) نسب ابن إسحاق عبد الله بن الزبعرى إلى عدى بن سعيد بن سهم · والصواب · سعد بن سهم ، وإنما سعيد : أخو سعد ·

(٢) رزم : ثبت فى مكانه ولزمه لا يبرحه ·

(٣) المحاجن : جمع محجن · عصا معوجة ، والأقراب : جمع قرب · الخصر ، شرموا أنفه : شقوه ·

(٤) المغول : سكين كبير · وكلم : جرح ·

فَولَّى وأدبر أدراجَـــــــهُ وقد باءَ بالظلـــم من كان ثَمْ
فأرسل من فوقهم حَاصبـــــًا فَلفَّهم مثـــل لف القُزُم (١)
تَحضُّ على الصبر أحبارُهُم وقد ثأجوا كثُؤَاج الغَنَم (٢)

قال ابن إسحاق : وقال أبو قيس بن الأسلت :

فَقُوموا فَصلُّوا ربكـــم ، وتمسَّحوا بأركانِ هذا البيت بين الأخاشبِ(٣)
فعندكُمْ منـــــــه بَلاءٌ مُصَدَّق غَداة أبى يَكْسُومَ هادى الكَتَائب
كَتيبتُه بالسهل تُمشى ورجْلُهُ على القاذفات فى رءوس المناقبِ(٤)
فلما أتاكم نصرُ ذى العرش رَدَّهم جنود المليك بين سَافٍ وحاصبِ (٥)
فَولَّوا سِراعا هاربين ولم يَؤُب إلى أهله مِلْحِبْشِ غير عصائبِ (٦)

شعر طالب بن أبى طالب : قال ابن إسحاق : وقال طالب (٧) بن أبى طالب ابن عبد المطلب :

أَلم تَعلموا ما كــان فى حَرب دَاحسٍ وَجيش أبى يكسوم إذ مَلأوا الشِّعْبا (٨)
فلولا دفــــــاعُ الله لا شَىءَ غيرهُ لأصبحتم لا تَمنعون لكـــم سِربًا (٩)

شعر أَبى الصَّلت الثقفى : قال ابن إسحاق : وقال أبو الصـــــلت (١٠) بن أبى ربيعة الثقفى فى شأن الفيل ، ويذكر الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام .

---

(١) القزم : صغار الغنم ، ويقال : رذال المال . (٢) ثأج : صاح .
(٣) صلوا : ادعوا . والأخاشب : جبال مكة .
(٤) القاذفات : أعالى الجبال ، والمناقب : الطرق فى رءوس الجبال .
(٥) الساف : الذى غطاه التراب . والحاصب : الذى أصيب بالحجارة .
(٦) ملحبش : أى من الحبش . والعصائب :الجماعات .
(٧) أكبر أولاد أبى طالب وهو أسن من عقيل بعشرة أعوام ، وعقيل أسن من جعفر بعشرة أعوام وجعفر أسن من على ﷺ - بعشرة أعوام ، ولم يذكر أنه أسلم أى طالب .
(٨) داحس : الفرس الشهيرة التى كانت حرب داحس والغبراء بسببها ، والشعب : الطريق فى الجبل .
(٩) السرب بفتح السين : المال الراعى ، وبالكسر : القطيع من البقر والظباء ، ومن النساء أيضًا .
(١٠) واسم أبى الصلت : ربيعة بن وهب بن علاج .

إنَّ آيــــــات ربِّنا ثَاقِبَاتٌ — لا يُمارِى فيهن إلا الكَفُورُ

خَلَقَ الليلَ والنهـــــارَ فكلٌّ — مُستبِينٌ حِســــــابهُ مقْدورُ

ثم يَجلُو النَهارَ ربٌّ رَحيمٌ — بمَهاةٍ شُعَاعها مَنشــــــورُ (١)

حَبس الفيلَ بالمغمَّس ، وحتى — ظَلَ يَحبـــــو كأنه مَعقورُ

لازِمًا حَلقة الجِران كما قُـــ — ــطِّرَ من صخرٍ كبكبٍ محدور (٢)

حَوله من مُلوك كِنْدة أبطَا — لٌ مَلاويثٌ فى الحروب صُقورُ

خَلَّفُوهُ ثم ابذعـــــروا جَميعًا — كلهم عظـــــم ساقه مكسورُ (٣)

كُلٌّ دِين يوم القيــــــامة عندَ — اللهِ إلا دِين الحَنِيفـــــة بُورُ (٤)

ولدا أبرهة : قال ابن إسحاق : فلما هلك أبرهة ، ملك الحبشة ابنُه يكْسُوم بن أبرهة ، وبه كان يُكنى ، فلما هلك يكسُوم بن أبرهة ، ملك اليمن فى الحبشة أخوه مَسروق بن أبرهة .

* * *

(١) المهاة : اسم من أسماء الشمس ، سميت بذلك لصفائها . والمها من الأجسام : الصافى الذى يرى باطنه من ظاهره ، والمهاة : البلورة . والمهاة : الظبية .

(٢) الجران : العنق . وقطِّر : رمى على قطره وهو الجانب . وكبكب : اسم جبل . والمحدور الذى : حدر من جبل أى وقع .

(٣) ابذعروا : أى تفرقوا .

(٤) الحنيفة : يريد الأمة الحنيفة أى المسلمة التى على دين إبراهيم الحنيف -عليه السلام- ، وذلك أنه حنف عن اليهودية والنصرانية ، أى : عدل عنهما فسمِّى حنيفًا . أو حنف عما كان يعبد آباؤه وقومه .

خروج سيف بن ذى يَزَن وملك وَهْرِز على اليمن

سيف يشكو لقيصر : فلما طال البلاء على أهل اليمن ، خرج سيف بن ذى يزن الحِميرى [١] وكان يكنى بأبى مُرة ، حتى قدم على قيصر ملك الروم ، فشكا إليه ما هم فيه ، وسأل أن يخرجهم عنه ، ويليهم هو ، ويبعث إليهم من شاء من الروم ، فيكون له مُلك اليمن ، فلم يُشْكِه (لم يستجب لشكواه) .

النُّعْمَان يتشفع لسيف عند كسرى : فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر [٢] ، وهو عامل كسرى [٣] على الحيرة ، وما يليها من أرض العراق - فشكا إليه أمر الحبشة ، فقال له النعمان : إن لى على كسرى ،وفادة فى كل عام ، فأقم حتى يكون ذلك ، ففعل ، ثم خرج معه فأدخله على كسرى ، وكان كسرى يجلس فى إيوان مجلسه الذى فيه تاجه ، وكان تاجه مثل القَنْقَل العظيم [٤] - فيما يزعمون - يُضرب فيه الياقوت واللؤلؤ والزبرجد بالذهب والفضة ، معلقا بسلسلة من ذهب فى رأس طاقة فى مجلسه ذلك ، وكانت عنقه لا تحمل تاجه ، إنما يستر بالثياب حتى يجلس فى مجلسه ذلك ، ثم يدخل رأسه فى تاجه ، فإذا استوى فى مجلسه كشفت عنه الثياب ، فلا يراه رجل لم يره قبل ذلك ، إلا برك هيبة له ، فلما دخل عليه سيف ابن ذى يزن برك .

---

(١) وهو سيف بن ذى يزن بن ذى أصبح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس ابن معاوية بن جشيم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن ابن الهميسع بن العرنجج وهو : حمير بن سبأ .

(٢) النعمان : اسم منقول من النعمان الذى هو الدم .

(٣) وكسرى هذا هو : أنوشروان بن قباذ ، ومعناه مجدد الملك ، لأنه جمع ملك فارس بعد شتات .

(٤) القنقل الذى شبه به التاج هو مكيال عظيم . قال الراجز يصف الكمأة :

ما لك لا تجرفها بالقنقل ... لا خير فى الكمأة إن لم تفعل

وفى الغريبين للهروى : القنقل : مكيال يسع ثلاثة وثلاثين منًّا ، والمن وزن رطلين وهذا التاج قد أتى به عمر بن الخطاب رضي الله عنه - حين استُلب من يزدجرد بن شهريار ، تصيَّر إليه من قبل جده أنوشروان المذكور ، فلما أتى به عمر رضي الله عنه ، دعا سراقة بن مالك المُدْلجى ، فحلاه بأسورة كسرى ، وجعل التاج على رأسه ، وقال له : قل : الحمد لله الذى نزع تاج كسرى ، ملك الأملاك من رأسه ، ووضعه فى رأس أعرابى من بنى مدلج ، وذلك بعز الإسلام وبركته لا بقوّتنا ، وإنما خص عمر سراقة بهذا ، لأن رسول الله ﷺ كان قال له : « يا سراق كيف بك إذا وضع تاج كسرى على رأسك ، وإسواره فى يديك » أو كما قال ﷺ .

قال ابن إسحاق : ثم قال له : أيها الملك ، غلبتنا على بلادنا الأغْربةُ ، فقال له كسرى : أى الأغربة : الحبشة أم السند ؟ فقال : بل الحبشة ، فجئتك لتنصرنى ، ويكون ملك بلادى لك ، قال : بعُدتْ بلادك مع قلة خيرها ، فلم أكن لأوَرِّط جيشا من فارس بأرض العرب ، لا حاجة لى بذلك ، ثم أجازه بعشرة آلاف درهم واف ، وكساه كسوة حسنة ، فلما قبض ذلك منه سيف خرج ، فجعل ينثر ذلك الورِق (الفضة) للناس ، فبلغ ذلك الملك ، فقال : إن لهذا لشأنا ، ثم بعث إليه ، فقال : عمدت إلى حِباء الملك تنثره للناس ، فقال : وما أصنع بهذا ؟ ما جبال أرضى التى جئت منها إلا ذهب وفضة - يرغبه فيها - فجمع كسرى مَرَازِبَته [١] ، فقال لهم : ماذا ترون فى أمر هذا الرجل ، وما جاء له ؟ فقال قائل : أيها الملك ، إن فى سجونك رجالا قد حبستهم للقتل ، فلو أنك بعثتهم معه ، فإن يهلكوا كان ذلك الذى أردت بهم ، وإن ظفروا كان ملكا ازددته ، فبعث معه كسرى من كان فى سجونه ، وكانوا ثمانمائة رجل .

انتصارُ سيف : واستعمل عليهم رجلا يقال له وَهْرِز ، وكان ذا سن فيهم ، وأفضلهم حسبا وبيتا ، فخرجوا فى ثمان سفائن ، فغرِقَت سفينتان ، ووصل إلى ساحل عَدَن ست سفائن [٢] فجمع سيف إلى وهرز من استطاع من قومه وقال له : رجلى مع رجلك حتى نموت جميعا ، أو نظفر جميعًا . قال له وهرز : أنصفت . وخرج إليه مسروق بن أبرهة ملك اليمن ، وجمع إليه جنده ، فأرسل إليهم وهرز ابنا له ، ليقاتلهم ، فيختبر قتالهم فقُتِل ابن وهرز ، فزاده ذلك حَنَقًا عليهم ، فلما تواقف الناس على مَصَافهم ، قال وهرِز : أرونى ملكهم ، فقالوا له : أترى رجلا على الفيل عاقدًا تاجه على رأسه ، بين عينيه ياقوتة حمراء ؟ قال : نعم ، قالوا : ذاك ملكهم ، فقال : اتركوه ، قال : فوقفوا طويلا ، ثم قال : علام هو ؟ قالوا : قد تحوّل على الفرس ، قال اتركوه ، فوقفوا طويلا ، ثم قال : علام هو ؟ قالوا : قد تحول على البغلة . قال وهرز : بنت الحمار ؟! ذلّ وذل ملكه ، إنى سأرميه ، فإن رأيتم أصحابه لم يتحركوا فاثبتوا حتى أوذِنكم ، فإنى قد أخطأت الرجل ، وإن

(١) مرازبته : وزراؤه .

(٢) وذكر ابن قتيبة أنهم كانوا سبعة آلاف وخمسمائة ، وانضافت إليهم قبائل من العرب .

رأيتم القوم قد استداروا ولاثوا به فقد أصبت الرجل ، فاحملوا عليهم . ثم وتَّرَ قوسه ، وكانت فيما يزعمـــون لا يوترها غيره من شـــدتها ، وأمر بحاجبيه ، فعُصبا له ، ثم رماه ، فصك الياقوتة التى بين عينيه ، فتغلغلت النُّشَّابة فى رأسه حتى خرجت من قفاه ونكس عن دابته ، واستدارت الحبشة ولاثت به ، وحملت عليهم الفرس ، وانهـــزموا ، فقتلوا وهـــربوا فى كل وجه ، وأقبل وهرز ، ليدخل صنعاء (١) ، حتى إذا أتى بابها ، قال : لا تدخل رايتى مُنكَّسة أبدًا ، اهدموا الباب ، فهدم ، ثم دخلها ناصبًا رايته .

شعر سيف بن ذى يزن فى هذه القصة : فقال سيف بن ذى يزن الحميرى :

يَظُنُّ النـــاسُ بالملكيــــ ـــــن أنهما قد التأمَا (٢)
ومَنْ يَسمع بلأمهـــا فإن الخَطْب قـــد فَقُمَا (٣)
قَتلْنا القيَل مَســـروقًا وروَّيْنَا الكثيبَ دَمَـــا (٤)
وإنَّ القَـــيْلَ قيَـــل النا سِ وهْرِزَ مُقْسِمٌ قَســـمَا
يذوقُ مُشعشعًا حـــتى يُفىء السبى وَالنَّعـــمَا (٥)

---

(١) وإنما كانت تسمى قبل ذلك أوال بفتح الهمزة وكسرها .

قال ابن الكلبى : وسميت صنعاء لقول وهرز حين دخلها : صَنْعة صنعة ، يريد أن الحبشة أحكمت صنعها ، قال ابن مقيل يذكر أوال :

عمد الحُداة بها لعارض قرية وكأنها سفن بسيف أوال

وقال جرير :

وشبهت الحدوج غداة قَوٍّ سفين الهند رَوَّح من أوالا

وقال الأخطل :

خوص كأن شكيمهن معلق بقنا ردينة أو جذوع أوال

وقد قيل : إن صنعاء اسم الذى بناها ، وهو : صنعاء بن أوال بن عيير بن عابر بن شالخ فكانت تعرف تارة بأوال ، وتارة بصنعاء .

(٢) التأما : اصطلحا .

(٣) فقم : ازداد واشتد .

(٤) القيل : الملك .

(٥) المشعشع : الخمر الممزوجة بالماء .

شعر أبى الصلت : قال ابن إسحاق : وقال أبو الصلت بن أبى ربيعة الثقفى :

ليَطْلُب الوتْرَ أمثالُ ابن ذى يَزَن ... ريَّم فى البحر للأعداء أحْوالا (١)
يَمَّمَ قَيصرَ لمـــا حَانت رِحلتهُ ... فلم يجد عنده بعضَ الذى سَالا
ثم انثَنى نحو كسرى بعد عَاشرة ... من السنين يُهين النفسَ والمَالا
حتى أتى ببنى الأحـــــرار يَحملُهم ... إنَّك عَمرى لقد أسرعت قلْقَالا (٢)
لله دَرُّهم مَنْ عُصبــــــة خَرجوا ... ما إن أَرى لهمُ فى الناس أمثالا
بيضًا مرازبةً ، غُلبًا أَســـــاورَة ... أُسْدًا تُربِّبُ فى الغيضات أشبالاً (٣)
يَرمون عــــــن شُدُف كأنها غُبُط ... بزمخرٍ يُعجلُ المرمىَّ إعجالاً (٤)
أرسلتَ أُسدًا على سُود الكلاب فقدْ ... أضحى شريدُهم فى الأرض فُلاَّلا
فاشربْ هَنيئا عليك التاج مرتفقًا ... فى رأس غُمدان دارًا منك محلالا (٥)

---

(١) ريَّم فى البحر : أى : أقام فيه ، ومنه الروايم ، وهى الأثافى ، كذلك وجدته فى حاشية الشيخ التى عارضها بكتاب (أبى الوليد الوقشى) ، وهو عندى غلط ، لأن الروايم من رأمت إذا عطفت ، وريَّم ليس من رأم ، وإنما هو من الريم ، وهو الدرج ، أو من الريم الذى هو الزيادة والفضل ، أو من رام يريم إذا برح ، كأنه يريد : غاب زمانا وأحوالا ثم رجع للأعداء ، وارتقى فى درجات المجد أحوالا إن كان الرِّيم الذى هو الدرج ، ووجدته فى غير هذا الكتاب ، خيَّم مكان ريم ، فهذا معناه ، أقام . انظر الروض الأنف تحقيق طه عبد الرءوف سعد جـ ١ ص ٨٤ . (٢) عمرى : أراد : لعمرى ، وقد قال الطائى :

عمرى لقد نصح الزمانُ ، وإنه ... لمن العجائب ناصح لا يشفق

وأســـــرعت قلقالا بفتح القاف وكسرها ، وكقول الآخر ، « وقلقل يبغى العز كل مقلقـل » . وهى شدة الحركة .

(٣) غلبًا : شداداً ، والأساورة : الرماة ، والغيضات : جمع غيضة الشـــجر الكثير الملتف .

(٤) « يرمون عن شُدُف كأنها غبط » الشدَف : الشخص ، ويجمع على شُدف ، ولم يرد ههنا إلا القسى ، وليس شدف جمعًا لشدَف ، وإنما هو جمع شدوف ، وهو النشيط المرح يقال : شدفَ ، فهو شدف ، ثم نقول : شدوف ، كما تقول مروح ، وقد يستعار المرح والنشاط للقسى لحسن تأتيها وجودة رميها وإصابتها ، فيرمون عن شدف أى : يدفعون عنها بالرمى . ويكون الزمخر : القسى ، أو النبل ، والغبط : الهوادج ، والزمخر : القصب الفارسى .

(٥) غمدان أسسه : يعرب بن قحطان ، وأكمله بعده ، واحتله : وائل بن حمير بن سبأ وكان ملكا متوجا كأبيه وجده .

واشرب هنيئا فقد شالت نَعامتهم ... وأسبل اليوم فى بُرديك إسبالاً (١)
تلك المكارمُ لا قعبان من لَبَن ... شِيبا بِماءٍ فَعادا بَعْدُ أبوالاَ

شعر عَدىِّ بن زَيد : قال ابن إسحاق : وقال عَدىُّ بن زيد الحميرىُّ ، وكان أحد بنى تميم من العباد (٢) :

مَا بَعد صَنعــــاءَ كان يَعمُرهَا ... وُلاة مُلك جَزل مَواهبهـــا
رَفَعها من بنى لَـــدى قَزع الــ ... ـمُزْن وتَنْدى مسكا مَحاربهـــا (٣)
مَحفوفة بالجبال دُون عُرىَ الـ ... ـكائد ما تُرتقى غواربُها (٤)
يأنسُ فَيها صـــوتُ النُّهام إذا ... جَاوبها بالعشــى قَاصبها (٥)
سَاقَت إليه الأسباب جُند بنى الـ ... أحرارِ فُرسَانهـــا مَواكبها
وَفَوَّزَت بالبغال تُوسَقُ بالـ ... ـحَتْفِ وتَسعى بِهَا تَوالبهَا (٦)

---

(١) شالت نعامتهم ، أى : هلكوا ، والنعامة : باطن القدم ، وشالت : ارتفعت ، ومن هلك ارتفعت رجلاه ، وانتكس رأسه ، فظهرت نعامة قدمه · تقول العرب : تَنَعَّمْتَ إذا مشيت حافيًا ، قال الشاعر :

تنعمت لما جاءنى سوء فعلهم ... الا إنما البأســاء للمتنعم

(٢) العباد ، وهم من عبد القيس بن أفصى بن دُعْمِىٍّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة ، قيل : إنهم انتسلوا من أربعة : عبد المسيح ، وعبد كُلال ، وعبد الله ، وعبد ياليل ، وكذلك سائرهم فى اسم كل واحد منهم : عبد ، وكانوا قدموا على ملك فتسموا له ، فقال : أنتم العباد فسموا بذلك ، وقد قيل غير هذا ، وفى الحديث المسند : أبعد الناس عن الإسلام الروم والعباد ، وأحسبهم هؤلاء ، لأنهم تنصَّروا ، وهم من ربيعة ، ثم من بنى عبد القيس ، والله أعلم · والذى ذكره الطبرى فى نسب عدى بن زيد أنه ابن زيد بن حماد بن أيوب بن مجروف ابن عامر بن عُصَيَة بن امرئ القيس بن زيد بن مناة بن تميم · وقد دخل بنو امرئ القيس بن زيد مناة فى العباد ، فلذلك ينسب عدى إليهم ·

(٣) قزع المزن : السحاب المتفرق ·

(٤) دون عُرى الكائد : يريد : عرى السماء وأسبابها ، ووقع فى نسخة أخرى : عَرى بفتح العين ، وهى الناحية ، وأضافها إلى الكائد ، وهو الذى كادهم ، والبارى - سبحانه وتعالى - كيده متين ·

(٥) صوت النهام ، يريد ذكر البوم ، وقاصبها : الذى يزمر فى القصب ·

(٦) فَوَّزَت بالبغال : أى ركـبت المفاوز ، تُوسق بالحتف ، أى : أوســق البغال=

حَتى رآها الأقوالُ من طَرَفِ المَـ ـنقَلِ مُخضرةً كَتائبُهـا (١)
يَومَ يُنادونَ آلَ بَربَر واليكـ ـسُومَ لا يُفلحَنْ هارِبُها (٢)
وكان يوم بـاقى الحديثِ وزا لتْ إمّةٌ ثابت مَراتبها (٣)
وبُدِّل الفيْجُ بالزرافة والأيا مُ جُونٌ جَمٌّ عَجائبها (٤)
بَعدَ بَنى تُبَّعٍ نَخـاورة قَدِ اطمأنتْ بهـا مَرازبها (٥)

* * *

= الحتوف ، وتوالبها : جمع تولب ، وهو ولد الحمار ، والتاء فى تولب بدل من واو ، كما هى فى توءم وتولج وفى توراة على أحد القولين ، لأن اشتقاق التولب من الوالبة ، وهى ما يولده الزرع ، وجمعها : أوالب .

(١) من طرف المنقَل أى : من أعالى حصونها ، والمنقال : الخرج ينقل إلى الملوك من قرية إلى قرية ، فكأن المنقل من هذا ، والله أعلم . مخضرة كتائبها . يعنى من الحديد ، ومنه الكتيبة الخضراء .

(٢) ينادون آل بربر ، لأن البربر والحبشة من ولد حام ، وقد قيل إنهم من ولد جالوت من العماليق .

وقد قيل فى جالوت إنه من الخزر ، وإن أفريقس لما خرج من أرض كنعان سمع لهم بربرة ، وهى اختلاط الأصوات ، فقال : ما كان أكثر بربرتهم ! فسموا بذلك ، وقيل غير هذا .

(٣) الإمة : النعمة .

(٤) الفيج : المتفرد فى مشيته ، والزرافة : الجماعة من الناس .

(٥) النخارة : الكرام ، والمرازبة : الوزراء .

ذكرُ ما انتهى إليه أَمْرُ الفُرس باليمن

مُدَّةُ مُكث الحبشة باليمن : قال ابن إسحاق : فأقام وَهْرِز والفرس باليمن ، فمن بقية ذلك · الجيش من الفرس : الأبناء الذين باليمن اليوم ، وكان ملك الحبشة باليمن ، فيما بين أن دخلها أرياط إلى أن قتلت الفرس مسروق بن أبرهة ، وأخرجت الحبشة ، اثنتين وسبعين سنة ، توارث ذلك منهم أربعة : أرياط ، ثم أبرهة ، ثم يكسوم بن أبرهة ، ثم مسروق بن أبرهة ·

أُمراءُ الفرس باليمن : ثم مات وَهْرِز ، فأمَّر كسرى (١) ابنه المرْزبان بن وَهْرِز على اليمن ، ثم مات المَرزبان ، فأمَّر كسرى ابنه التينُجان بن المرزبان على اليمن ، ثم مات التينجان ، فأمَّر كسرى ابن التَّيْنُجَان على اليمن ، ثم عزله وأمَّر باذان ، فلم يزل باذان عليها حتى بعث الله محمداً النبى ﷺ ·

محمد ﷺ يتنبأ بموت كسرى : قال ابن إسحاق فبلغنى عن الزهرى أنه قال :

كتب كسرى إلى باذان : إنه بلغنى أن رجلا من قريش خرج بمكة ، يزعم أنه نَبى ، فسر إليه فاستتبه ، فإن تاب ، وإلا فابعث إلىَّ برأسه ، فبعث باذان بكتاب كسرى إلى رسول الله ﷺ ، فكتب إليه رسول الله ﷺ : « إن الله قد وعدنى إن يقتل كسرى فى يوم كذا من شهر كذا » (٢) فلما أتى باذان الكتابُ توقف لينظر ،

(١) كسرى هذا هو : أبرويز بن هرمز بن أنوشروان ، ومعنى أبرويز بالعربية : المظفَّر، وهو الذى غلب الروم حـــين أنزل الله : ﴿ الم ۝ **غُلبت الروم فى أدنى الأرض** ﴾ وهو الذى عُرض على الله فى المنام ، فقال له : سلم ما فى يديك إلى صاحب الهراوة ، فلم يزل مذعوراً من ذلك ، حتى كتب إليه النعمان بن المنذر بظهور - النبى ﷺ ، بتهامة ، فعلم أن الأمر سيصير إليه ، حتى كان من أمـــره ما كان ، وهو الذى كتب إليه النبى ﷺ وحفيده : يزدجرد بن شهريار بن أبرويز ، وهو آخر ملوك الفرس ، وكان سلبُ ملكه ، وهدم سلطانه على يدى عمر بن الخطاب ، ثم قتل هو فى أول خلافة عثمان ، وجد مستخفيا فى رحى فقتل وطرح فى قناة الرحى ، وذلك بمرو من أرض فارس ·

(٢) وكان مقتل كسرى حين قتله بنوه ليلة الثلاثاء لعشر من جمادى الأولى سنة سبع من الهجرة ، وأسلم باذان باليمن فى سنة عشر ، وفيها بعث رسول الله ﷺ إلى أبناء الفرس الذين استوطنوا اليمن يدعوهم إلى الإسلام ، فمن الأبناء : وهب بن مُنَبِّه بن سَيج بن ذُكبار ، وطاوس وذادويه وفيروز اللذان قتلا الأسود العنسى الكذاب ، وقد قيل · فى طاوس : إنه ليس من الأبناء ، وإنه من حمير ، وقد قيل : من فارس ، واسمه : ذكوان بن كيسان ، وهو مولى بجير بن ريسان ، وقد قيل : مولى الجَعْد ، وكان يقال له : طاوس القراء لجماله ·

وقال : إن كان نبيًّا ، فسيكون ما قال ، فقتل الله كسرى في اليوم الذي قال رسول الله ﷺ [١] .

وقال خالد بن حق الشيباني :

وَكِسرى إذ تقسَّمه بَنوهُ بأسياف كما اقتسم اللِّحامُ
تَمخَّضتِ المنونُ لهَ بيومٍ أَنَى ، ولكلِّ حَامِلة تمامُ [٢]

إسلام باذان : قال الزهري : فلما بلغ ذلك باذن بعث بإسلامه ، وإسلام من معه من الفرس إلى رسول الله ﷺ ، فقالت الرسل من الفرس لرسول الله ﷺ ، إلى من نحن يا رسول الله ؟ قال : « أنتم منا وإلينا أهل البيت » .

كتاب الحَجَر الذي في اليمن : **قال ابن إسحاق** : وكان في حَجر باليمن - فيما يزعمون - كتاب بالزَّبور كتب بالزمان الأول : لمن مُلْك ذمار [٣] ؟ لحمير الأخيار [٤] ، لمن ملك ذِمار ؟ للحبشة الأشرار [٥] . لمن ملك ذمار ؟ لفارس الأحرار [٦] . لمن ملك ذمار ؟ لقريش التجار » .

---

(١) قال ابن هشام : قتل على يد ابنه شيرويه انظر سيرة ابن هشام ١ / ٦٣ تحقيق طه عبد الرءوف سعد ط مكتبة الكليات الأزهرية .

(٢) تمخضت : حملت ، والمنون : المنية ، وهو أيضًا من أسماء الدهر ، وهو من مننت الحبل إذا اقطعته ، وأنى : أى حان ، وهذه الرواية لابن هشام .

(٣)حكى ابن هشام عن يونس ذمار بفتح الذال ، فدل على أن رواية ابن إسحاق بالكسر ، فإذا كان بكسر الذال فهو غير مصروف ، لأنه اسم لمدينة ، والغالب عليه التأنيث ، ويجوز صرفه أيضًا ، لأنه اسم بلد ، وإذا فتحت الذال ، فهو مبنى مثل : رقاش وحذام .

(٤) وقوله : لحمير الأخيار ، لأنهم كانوا أهل دين ، كما تقدم فى حديث فيميون وابن الثامر .

(٥) وأما قوله للحبشة الأشرار : فلما أحدثوا في اليمن من العيث والفساد ، وإخراب البلاد ، حتى هموا بهدم بيت الله الحرام ، وسيهدمونه فى آخر الزمان إذا رفع القرآن ، وذهب من الصدور الإيمان يشير بذلك إلى حديث : « اتركوا الحبشة ما تركوكم ، فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة » وقد رواه أبو داود بسند ضعيف .

(٦) ولقوله : لفارس الأحرار ، فلأن الملك فيهم متوارث من أول الدنيا من عهد جيومرت فى زعمهم إلى أن جاء الإسلام ، لم يدينوا لملك من غيرهم ، ولا أدوا الإتاوة لذى سلطان من سواهم ، فكانوا أحراراً لذلك .

وذِمار : اليمن أو صنعاء ·

الأعشى يذكر نبوءة شق وسطيح : قال ابن إسحاق : وقال الأعشى - أعشى ابن قيس بن ثعلبة فى وقوع ما قال سطيح وصاحبه ·

مَا نَظرتْ ذَاتُ أَشفارٍ (١) كَنظراتِها ... حقًّا كما صَدقَ الذِّئبى إذ سَجَعا

وكانت العرب تقول لسطيح : الذئبى : لأنه سطيح بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب ·

* قصة مَلك الحَضْر (٢)

سَابور يستولى على الحضر : وكان كسرى سابور ذو الأكتاف غزا ساطرون (٣) ملك الحضر فحصره سنتين ، فأشرفت بنتُ سَاطرون (٤) يوما ، فنظرت إلى سابور ، وعليه ثياب ديباج وعلى رأسه تاج من ذهب مُكلَّل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ ، وكان جميلا ، فدست إليه : أتتزوجنى إن فتحت لك باب الحَضَر ؟ فقال : نعم · فلما أمسى سَاطرون شرب حتى سكر ، وكان لا يبيت إلا سكران ، فأخذت مفاتيح باب الحضر من تحت رأسه ، فبعثت بها مع مولى لها ففتح الباب ، فدخل سابور ، فقتل ساطرون ، واستباح الحضر وخربه (٥) ، وسار بها معه فتزوجها ، فبينا هى نائمة على

---

(١) يريد زرقاء اليمامة ، وكانت تبصر على مسيرة ثلاثة أيام ، وقبل هذا البيت :

قالت : أرى : رجلا فى كفه كتف ... أو يخصف النعل لهفى أية صنعا
فكذبوها بما قالت فصبَّحهم ... ذو آل غسان يزجى الموتَ والشرعا

(٢) الحضر : حصن عظيم كالمدينة ، كان على شاطىء الفرات ·

(٣) الساطرون بالسريانية : هو الملك ، واسم الساطرون : الضيزان بن معاوية : قال الطبرى : هو جُرْمُقانى ، وقال ابن الكلبى : هو قضاعى من العرب الذين تنخوا بالسواد ، فسموا : تنوخ ، أى : أقاموا بها ، وهم قبائل شتى ، ونسبه ابن الكلبى ، فقال : هو ابن معاوية بن عبيد ، ووجدته بخط أبِي بحر ، عبيد بضم العين بن أجرم من بنى سليح بن حلوان ابن الحاف بن قضاعة ، وأمه : جيْهَلة ، وبها كان يعرف ، وهى أيضا قضاعية من بنى تزيد الذين تنسب إليهم الثياب التزيدية ·

(٤) وتسمى النضيرة ·

(٥) وقال المسعودى : دلته على نهر واسع كان يدخل منه الماء إلى الحضر ، فقطع لهم الماء ، ودخلوا منه ·

وقال الطبرى : دلته على طلسم كان فى الحضر ، وكان فى علمهم أنه لا يفتح =

فراشها ليلا إذ جعلت تتململ لا تنام ، فدعا لها بشمع ففتّش فراشها ، فوجد عليه ورقة آس ، فقال لها سابور : أهذا الذى أسهَرَك ؟! قالت : نعم ، قال : فما كان أبوك يصنع بك ؟! قالت : كان يفرش لى الديباج ، ويلبسنى الحرير ، ويطعمنى المخ ، ويسقينى الخمر ، قال : أفكان جزاء أبيك ما صنعت به ؟! أنت إلىَّ بذلك أسرع ، ثم أمر بها ، فربُطت قُرُون رأسها بذَنَب فرس ، ثم ركض الفرس ، حتى قتلها (١) : ففيه يقول أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

قول أعشى قيس فى قصة الحَضْر :

أَلم تَرَ للحَضْرِ إذَ أهلُه ... بنُعْمَى ، وهل خَالدٌ مَن نَعِمْ ؟!
أَقامَ به شَاهبُورُ الجُنُودَ ... حَولين تضرَب فيه القُدُمْ (٢)
فَلمَّا دَعا ربَهُ دَعوةً ... أَناب إليهَ فَلم يَنتقِمْ

وهذه الأبيات فى قصيدة له .

قَولُ عدى بن زيد فى هذه القصة : وقال عدى بن زيد فى ذلك :

والحَضْرُ صَابتْ عَليه دَاهيةٌ ... من فَوقه أيِّدٌ مَناكبُها (٣)
ربِّيَّةٌ لم تُوَقِّ والدَهَا ... لحَينهَا إذ أضَاع رَاقبُها (٤)

= حتى تؤخذ حمامة زرقاء ، وتخضب رجلاها بحيض جارية بكر زرقاء ، ثم ترسل الحمامة ، فتنزل على سور الحضر ، فيقع الطلسم ، فيفتح الحضر .

(١) قال ابن إسحاق : المستبيح للحضر سابور ذو الأكتاف ، وجعله غير سابور بن أزدشير بن بابك ، وقد تقدم أن أزدشير هو أول من جمع ملك فارس ، وأذل ملوك الطوائف ، حتى دان الملك له ، والضيزن ، كان من ملوك الطوائف ، فيبعد أن تكون هذه القصة لسابور ذى الأكتاف ، وهو سابور بن هرمز ، وهو ذو الأكتاف ، لأنه كان بعد سابور الأكبر بدهر طويل ، وبينهم ملوك مسمّون فى كتب التاريخ ، وهم : هرمز بن سابور ، وبهرام بن هرمز ، وبهرام بن بهرام ، وبهرام الثالث ، ونرسى بن بهرام ، وبعده كان ابنه سابور ذو الأكتاف والله أعلم .

(٢) شاهبور : معناه ابن الملك .

(٣) أيد : شديدة .

(٤) ربِّيَّة لم تُوق والدها : يحتمل أن تكون فعيلة من ربيت ، إلا أن القياس فى فعيلة بمعنى مفعولة أن تكون بغير هاء ، ويحتمل أنه أراد معنى الربو والنماء ، لأنها ربت فى =

إذَ غَبقتْهُ صَهبـــــــاء صَافِيةً — والخمرُ وهْل يَهيـــم شَارِبُهَا (١)
فأسلمتْ أهْلَهـــــــا بليلتِها — تَظُنُّ أَنْ الرئيس خَاطِبُهـــــا
فكانَ حَظُّ العَروسِ إذَا جَـــشر — الصبـحُ دِماءً تَجرى سَبائِبها (٢)
وخُرِّبَ الحَضرُ ، واستُبِيحَ ، وقَد — أُحْرِقَ فى خِدْرِهَا مشاجِبُهـــا (٣)

* ذكر ولد نزار بن معد :

قال ابن إسحاق : فولد نزار بن معد ثلاثة نفر ، مُضر (٤) بن نزار ، ورَبيعة بن نزار وأنمار بن نزار ·

أولاد أنْمَار : **قال ابن إسحاق** : فأنمار (٥) : أبو خَثْعَم وبَجيلة · قال جرير بن عبد الله البجلى وكان سيد بجيلة ، وهو الذى يقول له القائل :

=نعمة فتكون بمعنى فاعلة ، ويكون البناء موافقا للقياس ، وأصح من هذين الوجهين أن يكون أراد : ربيئة بالهمزة ، وسهل الهمزة فصارت ياء ، وجعلها ربيئة ، لأنها كانت طليعة حيث اطلعت ، حتى رأت سابور وجنوده ، ويقال للطليعة ذكراً كان أو أنثى : ربيئة ، ويقال له : رباء على وزن فعال وأنشدوا :

رباء شماء لا يأوى لقلتها - البيت

وقوله : أضاع راقبها ، أى أضاع المربأة الذى يرقبها ويحرسها ، ويحتمل أن تكون الهاء عائدة على الجارية أى : أضاعها حافظها ·

(١) والخمر وهْل · يقال : وهل الرجل وهْلا ، ووهَلا إذا أراد شيئًا ، فذهب وهمه إلى غيره · ويقال فيه : وهم أيضا بفتح الهاء ، وأما وهم بالكسر ، فمعناه غلط وأوهم بالألف معناه : أسقط ·

(٢) جشر : ظهر ووضح · سبائبها : السبائب جمع : سبيئة ، وهى كالعمامة أو نحوها ، ومنه السب وهو : الخمار ·

(٣) مشاجبها : المشاجب : جمع مشجب ، وهو ما تعلق منه الثياب ·

(٤) فأما مضر فإنه أول من سن حداء الإبل ، وســـببه - فيما ذكروا - أنه سقط عن بعير ، فوثبت يده ، وكان أحسن الناس صوتًا ، فكان يمشى خلف الإبل ، ويقول : وايدياه وايدياه ، يترنم بذلك فأعنقت الإبل ، وذهب كلالها ، فكان ذلك أصل الحداء عند العـرب ، وذلك أنها تنشط بحدائها الإبل ، فتسرع ·

(٥) وأما أنمار فسمى : بالأنمار جمع نَمر ، كما سموا بسباع ،وكلاب ، وأم بنيه : بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة ولد له من غَيرها أفتل وهو : خثعم ، وولدت له عبقر =

لَوْلاَ جَرِيرٌ هَلَكَتْ بَجِيلَهْ نِعْمَ الفَتى ، وَبِئْسَتِ القَبِيلَهْ !! (١)

وهو ينافر (٢) الفُرَافصة (٣) الكلبى إلى الأقرع بن حابس التميمى :

يَا أَقْرَعُ بنَ حَابسٍ يَا أَقرعُ إِنك إِنْ يُصْرَعْ أَخـــــوك تُصرَعُ (٤)

قال :

أَبَنِى نِزَارٍ انصُرَا أَخَاكُما إِنَّ أبى وجـــــدتُهُ أَبَاكُما

لَنْ يُغلبَ اليوم أَخٌ والاَكُما

وقد تيامنت ، فلحقت باليمن ·

ولدا مُضَر : **قال ابن إسحاق** : فولد مُضر بن نزار رجلين : إلياس بن مُضر ، وَعَيلان (٥) بن مضر ·

= في خمسة عشر ، سماهم أبو الفرج ، عنهم تناسلت قبائل بجيلة وهم : وداعة وخزيمة وصهيبة والحارث ومالك وشيبة وطريفة وفهم والغوث وسهل وعبقر وأشهل كلهم بنو أنمار ، ويقال : إن بجيلة حبشية حضـــنت أولاد أنمار الذين سمَّينا ، ولم تحضن أفتل ، وهو : خثعم · فلم ينسب إليها ·

(١) قال لما سمع هذا : ما مُدح رجل هُجى قومه : وجرير هذا هو : ابن عبد الله بن جابر ، وهو ، الشُّليل بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جشم بن عويف بن جذيمة ·

(٢) ينافر : أى يحاكم ، قال قاسم بن ثابت : لفظ المنافرة مأخوذ من النَّفر ، وكانوا إذا تنازع الرجلان ، وادعى كل واحد منهم أنه أعز نفراً من صاحبه ، تحاكموا إلى العلامة فمن فضَّل منهما قيل : نفره عليه أى فضَّل نفره على نفر الآخر : فمن هذا أخذت المنافرة ·

وقال زهير :

فإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء

(٣) الفرافصة بالضم : اسم الأسد ، وبالفتح اسم الرَجل ، وقد قيل : كل فُرافصة فى العرب بالضم إلا الفَرافصة أبا نائلة صهر عثمان بن عفان فإنه بالفتح ·

(٤) الأشهر فى الرواية : إن يُصرع أخوك ، وإنما لم ينجزم الفعل الآخر على جواب الشرط ، لأنه فى نية التقديم عند سيبويه ، وهو على إضمار الفاء عند المبرد ·

(٥) وأما عَيْلان أخو إلياس ، فقد قيل : إنه قيس نفسه لا أبوه ، وسمى بفرس له اسمه : عيلان ، وكان يجاوره قيس كبَّة من بجيلة عرف بكبة اسم فرسه ، فُرِّق بينهما بهذه الإضافة ، وقيل : عيلان اسم كلب له · =

أولاد إلياس : قال ابن إسحاق : فولد إلياس بن مضر ثلاثة نفر : مُدْرِكة بن إلياس ، وطابخة بن إلياس ، وقَمَعَة بن إلياس ، وأمهم : خِنْدِف (١) ، امرأة من اليمن .

قال ابن إسحاق : وكان اسم مُدْرِكة عامرًا ، واسم طابخة عَمْرًا ، وزعموا أنهما كانا فى إبل لهما يرعيانها ، فاقتنصا صيدًا ، فقعدا عليه يطبخانه ، وعدَتْ عادية على إبلهما فقال عامر لعمرو : أتدرك الإبل ، أم تطبخ هذا الصيد ؟ فقال عمرو : بل أطبخ ، فلحق عامر بالإبل فجاء بها ، فلما راحا على أبيهما حدثاه بشأنهما ، فقال لعامر : أنت مُدْرِكة ، وقال لعمرو : وأنت طابخة (٢) .

وأما قَمَعَة فيزعم نُسَّاب مُضر : أن خزاعة من ولد عمرو بن لُحَى بن قمعة بن إلياس .

* * *

= وذكر ابن إسحاق أم إلياس ، وقال فيها : امرأة من جُرهم ، ولم يسمها ، وليست من جرهم ، وإنما هى الرِّباب بنت حَيْدَة بن معد بن عدنان فيما ذكر الطبرى .

(١) وخندف التى عُرف بها بنو إلياس . وهى التى ضربت الأمثال بحزنها على إلياس ، وذلك أنها تَركت بنيها ، وساحت فى الأرض تبكيه ، حتى ماتت كمدًا ، وكان مات يوم خميس ، وكانت إذا جاء الخميس بكت من أول النهار إلى آخره .

قال الزبير : وإنما نسب بنو إلياس لأمهم ، لأنها حين تركتهم شغلا لحزنها على أبيهم ، رحمهم الناس فقالوا : هؤلاء أولاد خندف الذين تركتهم ، وهم صغار أيتام ، حتى عرفوا ببنى خندف .

(٢) وفى الخبر زيادة : وهو أن إلياس قال لأمهم - واسمها ليلى - وأمها ، ضَرِيَّة بنت ربيعة بن نزار التى ينسب إليها : حمَى ضرية ، وقد أقبلت تُخَنْدف فى مشيتها : - مالك تخندفين ؟ فسميت : خندف ، والخندَفَةُ : سرعة فى مشى ، وقال لمدركة :

وأنت قد أدركْتَ ماطلبتـــا

وقال لطابخة :

وأنت قد أنضجت ماطبختا

وقال لقَمَعَة وهو عُمير :

وأنت قد قعدت فانقمعـــتا

حديث عَمرو بن لُحَىٍّ وذكر أَصنام العرب

عَمرو بن لُحَى يَجر قُصْبَهُ فى النار : قال ابن إسحاق : وحدَّثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه قال :

حُدِّثت أن رسول الله ﷺ قال : « رأيت عَمرو بن لُحَيٍّ يجر قُصْبَه (١) فى النار فسألته عمن بينى وبينه من الناس ، فقال : هلكوا » .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيمى أن أبا صالح السَّمَّان حدَّثه أنه سمع أبا هريرة . يقول :

سمعت رسول الله ﷺ يقول لأَكْثم بن الجَوْن الخزاعى : « يا أكثم ، رأيت عمرو بن لحى ابن قَمعة ابن خِندف يجر قُصْبه فى النار ، فما رأيت رجلا أشبه برجل منك به ، ولا بك منه ، فقال أكثم : عسى أن يَضُرَّنى شبهه يا رسول الله ؟ قال لا ، إنك مؤمن وهو كافر ، إنه كان أول من غَيَّر دين إسماعيل ، فنصب الأوثان ، وبَحَر البحيرة (٢) وسيَّب السائبة ، ووصل الوصيلة ، وحَمَى الحامى » .

سبب عبادة الأصنام : قال ابن إسحاق : ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة فى بنى إسماعيل ، أنه كان لا يَظْعَنُ من مكة ظاعن منهم ، حين ضاقت عليهم ، والتمسوا الفُسَح فى البلاد ، إلا حمل معه حجراً من حجارة الحَرم تعظيمًا للحرم ، فحيثما نزلوا وضعوه ، فطافوا به كطوافهم بالكعبة ، حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم ، حتى خَلَفَ الخُلُوفُ ، ونسُوا ما كانوا عليه ، واستبدلوا بدين إبراهيم ، وإسماعيل غيره ، فعبدوا

---

(١) قصبه : أمعاءه

(٢) وقد روى أيضًا أن أول من بحَّر البحيرة : رجل من بنى مُدلج كانت له ناقتان فجدعِ آذانهما ، وحرم ألبانهما . قال رسول الله ﷺ : فرأيته فى النار يخبطانه بأخفافهما ، ويَعَضَّانه بأفواههما ، وقال عليه السلام : « قد عرفت أول من سيَّب السائبة ، ونصب النصب عمرو بن لحى رأيته يؤذى أهل النار بريح قُصْبه » رواه ابن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر مرسلا .

الأوثان(١)، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات ، وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم يتمسكون بها : من تعظيم البيت ، والطواف به ، والحج والعمرة والوقوف على عرفة والمزدلفة ، وهدى البُدْن ، والإهلال بالحج والعمرة ، مع إدخالهم فيه ما ليس منه . فكانت كنانة وقريش إذا أهلوا قالوا : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك » ، فيوحِّدونه بالتلبية ، ثم يدخلون معه أصنامهم ، ويجعلون ملكها بيده . يقول الله تبارك وتعالى لمحمد ﷺ : ﴿ **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون** ﴾ (يوسف : ١٠٦) أى ما يوحِّدوننى لمعرفة حقى إلا جعلوا معى شريكا من خلقى (٢) .

أَصنامُ قَومِ نُوح : وقد كانت لقوم نوح أصنام قد عكفوا عليها ، قَصَّ الله - تبارك وتعالى - خبرها على رسول الله ﷺ ، فقال : ﴿ **وقالوا لا تَذَرُنَّ آلهتكم ولا تذرن ودًّا ولا سُوَاعا ولا يَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسْراً** * **وقد أضلوا كثيراً** ﴾(٣).

(نوح : ٢٣ ، ٢٤)

القبائل العربية وأصنامها : فكان الذين اتخذوا تلك الأصنام من ولد

---

(١) وكان عمرو بن لحي حين غلبت خزاعة على البيت ، ونفت جرهم عن مكة ، قد جعلته العرب ربًّا لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة ، لأنه كان يطعم الناس ، ويكسو فى الموسم ، فربما نحر فى الموسم عشرة آلاف بدنة ، وكسا عشرة آلاف حُلة ، حتى ليقال : إنه اللاتّ الذى : يلت السويق للحجيج على صخرة معروفة تسمى صخرة اللات ، ويقال إن الذى يلت كان من ثقيف ، فلما مات قال لهم عمرو ، إنه لم يمت ، ولكن دخل فى الصخرة ، ثم أمرهم بعبادتها ، وأن يبنوا عليها بيتًا يسمى : اللات : ويقال : دام أمره وأمر ولده على هذا بمكة ثلاثمائة سنة ، فلما هلك سميت تلك الصخرة : اللات مخففة التاء ، واتخذ صنما يعبد ، وقد ذكر ابن إسحاق ، أنه أول من أدخل الأصنام الحرم ، وحمل الناس على عبادتها .

(٢) وكانت التلبية من عهد إبراهيم : لبيك ، لا شريك لك لبيك . حتى كان عمرو ابن لحى ، فبينما هو يلبى تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبى معه ، فقال عمرو : لبيك لا شريك لك ، فقال الشيخ : إلا شريكا هو لك ، فأنكر ذلك عمرو ، وقال : وما هذا ؟ فقال الشيخ قل : تملكه وما ملَك ، فإنه لا بأس بهذا ، فقالها عمرو ، فدانت بها العرب .

(٣) وتلك هى الجاهلية الأولى التى ذكر الله فى القرآن فى قوله : ﴿ **ولا تبرَّجن تبرج الجاهلية الأولى** ﴾ وكان بدء ذلك فى عهد مهلايل بن قَينان فيما ذكروا ، وقد ذكر البخارى عن ابن عباس قال : « صارت الأوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب بعدُ ، وهى أسماء قوم صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا فى مجالسهم التى =

إسماعيل وغيرهم وسمَّوا بأسمائهم حين فارقوا دين إسماعيل : هُذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر ، اتخذوا سُواعا ، فكان لهـم بُرهَاط [١] ، وكلبُ بن وَبْرَة من قضاعة ، اتخذوا ودًّا بِدومَة الجَندل [٢] .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك الأنصارى :

ونَنسى اللاَّتَ والعُزَّى وودًّا ونَسلُبُها القَلائِدَ والشُّنُـــوفَا [٣]

عُبَّاد يَغوث : قال ابن إسحاق : وأنعُم من طَيىء ، وأهل جُرَش من مَذْحِج اتخذوا يغوث بجُرَش .

عُبَّاد يعوق : قال ابن إسحاق : وخَيْوان بطن من هَمْدان ، اتخذوا يعوق بأرض همدان من أرض اليمن .

عُبَّاد نسر : قال ابن إسحاق : وذو الكُلاَع من حِمير ، اتخذوا نسرًا بأرض حِمير .

عُبَّاد عُميانس : وكان لخَوْلاَن صنم يقال له : عُمْيَانس بأرض خَوْلاَن ، يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسما بينه وبين الله بزعمهم ،فما دخل فى حق

= كانوا يجلسونها أنصابا ، وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك وتُنوسخ العلم عُبدت ، وذكر الطبرى هذا المعنى وزاد : أن سواعا كان : ابن شيث ، وأن يغوث كان : ابن سواع وكذلك يعوق ونسر ، كلما هلك الأول صورت صورته ، وعُظمت لموضعه من الدين ، ولما عهدوا فى دعائه من الإجابة ، فلم يزالوا هكذا حتى خلفت الخلوف ، وقالوا : ما عظم هؤلاء آباؤنا إلا لأنها ترزق وتنفع وتضر ، واتخذوها آلهة وهذه أسماء سريانية وقعت إلى الهند فسمَّوا بها أصنامهم التى زعموا أنها صور الدرارى السبـعة ، وربما كلمتهم الجن من جوفها ففتنتهم ، ثم أدخلها إلى العرب عمرو بن لحى كما ذكر أو غيره ، وعلمهم تلك الأسماء ، وألقاها الشيـطان على ألسنتهم موافقة لما كانوا فى عهد نوح .

(١) رهاط : من أرض ينبع .

(٢) ودومة هذه – بضم الدال – ذكروا أنها سميت بدُومى بن إسماعيل كان نزلها ودومة أخرى بضم الدال عند الكوفة ودوْمة – بفتح الدال – أخرى مذكورة فى أخبار الرِّدة ، كذا وجدته للبكرى مقيداً فى أسماء هذه المواضع . راجع الروض الأنف تحقيق طه عبد الرءوف سعد جـ ١ صـ ١٠٣ .

(٣) الشنوفا : مفرده شنف – القرط .

عميانس من حق الله تعالى الذى سموه له تركوه له ، وما دخل فى حق الله تعالى من حق عميانس ردوه عليه . وهم بطن من خولان ، يقال لهم : الأديم ، وفيهم أنزل الله - تبارك وتعالى - فيما يذكرون : ﴿ **وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبًا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون** ﴾ . (الأنعام : ١٣٦) .

عُبَّاد سَعْد : قال ابن إسحاق : وكان لبنى مِلكان [١] - بن كِنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر - صنم ، يقال له : سَعْد : صخرة بفلاة من أرضهم طويلة ، فأقبل رجل من بنى ملكان بإبل له مؤبَّلة . ليقفها عليه ، التماس بركته فيما يزعم - فلما رأته الإبل وكانت مَرْعية لا تُركَب ، وكان يهراق عليه الدماء ، نفــرت منه ، فذهبت فى كل وجه ، وغضب ربها الملكانى ، فأخذ حجرًا فرماه به ، ثم قال لا بارك الله فيك ، نفَّرْتَ علىَّ إبلى ، ثم خرج فى طلبها حتى جمعها ، فلما اجتمعت له قال :

أَتَيْنا إلى سَعْد ، ليجْمــــع شَملنا فَشَتَّتنا سَعْدٌ ، فَلا نَحنُ مـن سَعْد [٢]

وَهل سَعدُ إلا صــــخرةٌ بتنُوفَــة من الأرض لا تَدعو لِغَى ولا رُشْد [٣]

دَوْس وصنمهم : وكان فى دَوْسٍ صنم لعمرو بن حُمَمَة الدَّوسى .

ودوس بنُ عَدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعــب بن

---

(١) ملكان بن كنانة بكسر الميم . قال أبو جعفر بن حبيب النسابة : كل شيء فى العرب فهو مِلكان بكسر الميم ساكن اللام ، غير مَلكان فى قضاعة ، وملكان فى السَّكون ، فإنهما بفتح الميم واللام ، فملكان قضاعة هو : ابن جَرم بن زبَّان بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وملكان السَّكون هو : ابن عباد بن عياض بن عقبة بن السَّكون بن أشرس من كندة .

(٢) ويمتنع فى العربية دخول لا على الابتداء المعرفة والخبر إلا مع تكرار : لا ، مثل أن تقول لازيد فى الدار ولا عمرو ، وذكر سيبويه قولهم : لا نَوْلك أن تفعل ، وقال : إنما جار هذا ، لأن معناه معنى الفعل ، أى : لا ينبغى لك أن تفعل ، وكذلك ينبغى أن يقال فى بيت الملكانى ، أى : لم يقلها على جهة الخبر ، ولكن علىٍ قصد التبرى منه ، فكان معنى الكـــلام : فلا نتولى سعدًا ، ولا ندين به ، فهذا المعنى حسَّن دخول لا على الابتداء .

(٣) بتنوفة : بأرض جرداء .

عبد الله بن مالك بن نصر بن الأسد بن الغوث · ويقال : دَوسُ بن عبد الله بن زهران بن الأسد بن الغوث ·

عُبَّاد هُبَل : قال ابن إسحاق : وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر فى جَوْف الكعبة يقال له : هُبَل (١) ·

إسَاف ونائلة : قال ابن إسحاق : واتخذوا إسافًا ونائلة ، على موضع زمزم ينحرون عندهما ، وكان إساف ونائلة رجلا وامرأة من جُرْهم – هو إساف بن بَغْى ، ونائلة بنت دِيك – فوقع إساف على نائلة فى الكعبة : فمسخهما الله حجرين (٢) ·

حديث عائشة ﵂ عن إساف ونائلة : قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم · عن عَمْرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زُرارة أنها قالت : سمعت عائشة ﵂ – تقول : ما زلنا نسمع أن إسافا ونائلة كانا رجلا وامرأة من جرهم ، أَحْدثا (٣) فى الكعبة : فمسخهما الله تعالى حجرين والله أعلم ·

قال ابن إسحاق : وقال أبو طالب :

وَحيثُ يُنيخُ الأشْعَرونَ رِكَابَهم بمُفْضَى السيول مِن إسافٍ ونائِل (٤) ·

فعل العرب مع أصنامهم : قال ابن إسحاق : واتخذ أهل كل دار فى دارهم صنمًا يعبدونه ، فإذا أراد الرجل منهم سفرًا تمسَّح به حين يركب ، فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه إلى سفره ، وإذا قدم من سفره تمسح به ، فكان ذلك أول ما يبدأ

(١) وأما هُبَل فإن عمرو بن لحى جاء به من هيت ، وهى من أرض الجزيرة حتى وضعه فى الكعبة ·

(٢) وأخرجه رزين فى فضائل مكة عن بعض السلف : ما أمهلهما الله إلى أن يفجرا فيها ، ولكنه قَبَّلها ، فمسخا حجرين ، فأخرجا إلى الصفا والمروة ، فنصبا عليهما ، ليكونا عبرة وموعظة ، فلما كان عمرو بن لحى نقلهما إلى الكعبة ، ونصبهما على زمزم ، فطاف الناس بالكعبة وبهما ، حتى عُبِدا من دون الله ·

(٣) أرادت الحدث الذى هو الفجور كما قال عليه السلام : « من أحدث حدثًا ، أو آوى محدثًا ، فعليه لعنة الله » وقال عمر – حين كانت الزلزلة بالمدينة : أحدثتم · والله لئن عادت لأخرجن من بين أظهركم وهذا يؤكد أن من أسباب وقوع الزلازل ارتكاب المعاصى والفحشاء ·

(٤) هو ترخيم فى غير النداء لضرورة الوزن فى البيت ·

به قبل أن يدخل على أهله ، فلما بعث الله رسوله محمداً ﷺ - بالتوحيد ، قالت قريش : ﴿ أجعل الآلهة إلهًا واحدًا إن هذا لشيء عُجاب ﴾ (١) .

الطواغيت : وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت ، وهى بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة ، لها سَدَنَة وحُجَّاب ، وتهدى لها كما تهدى للكعبة ، وتطوف بها كطوافها بها ، وتنحر عندها ، وهى تعرف فضل الكعبة عليها ، لأنها كانت قد عرفت أنها بيت إبراهيم الخليل ومسجده .

العُزى وسدنتها وحجَّابها : فكانت لقريش وبنى كنانة : العُزَّى بنخْلة ، وكان سدنتها وحجابها بنو شَيبان من سُلَيم ، حلفاء بنى هاشم .

قال ابن إسحاق : فقال شاعر من العرب :

لَقَدْ أُنكحَتْ أسمـــاءُ رأسَ بُقَيْرةٍ ... من الأُدْمِ أهْداهَا امـرؤٌ من بنى غنْم

رأى قَدعـــا فى عَينها إذ يَسُوقهَا ... إلى غَبْغَبِ العُزَّى فوسَّع فى القسْم (٢)

وكذلك كانوا يصنعون إذا نحروا هَدْيًا قسَموه فى مَن حضرهم ، والغَبْغَب : المَنْحَر ومُهراق الدماء .

من هم السَّدَنَةُ : والسدنة : الذين يقومون بأمر الكعبة قال رؤبة بن العجاج .

فَلا وَربِّ الآمِناتِ القُطَّنِ ... يَعْمُرنَ أمنًا بالحرامِ المأمَنِ

بمحبس الهَدْىِ وبيتِ المَسْدن

---

(١) وقد حكى الله تعالى ذلك عنهم فى سورة (ص) الآية : ٥ .

(٢) والقدع : ضعف البصر من إدمان النظر .

وقوله : فى الغبغب : وهو المنحر ومهراق الدم ، كأنه سمى بحكاية صوت الدم عند انبعاثه ، ويجوز أن يكون مقلوبًا من قولهم : بئر بُغبغ وبغيغ إذا كانت كثيرة الماء . قال الراجز :

بُغبيغ قصيرة الرِّشاء

ومعنى هذا البيت : الذم وتشبيه هذا المهجو برأس بقرة قد قربت أن يذهب بصرها ، فلا تصلح إلا للذبح والقسم .

وهذان البيتان فى أرجوزة له : وسأذكر حديثها إن شاء الله تعالى فى موضعه .

اللاَّت وسدنتها : قال ابن إسحاق : وكانت الَّلات لثقيف بالطائف ، وكان سدنتها وحجَّابها بنو معتِّب من ثقيف .

مَناة وسدنتها : قال ابن إسحاق : وكانت مَناةُ للأوس والخزرج ، ومن دان بدينهم من أهل يثرب ، على ساحل البحر من ناحية المُشَلَّل بقُدَيْد (١) .

ذُو الخَلَصَة وعبَّاده وهدمه : قال ابن إسحاق : وكان ذُو الخَلَصَة لدوس وخَثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتَبَالة :

فبعث إليه رسول الله ﷺ جرير بن عبد الله البجلى فهدمه (٢) .

فَلْسٌ وعبَّاده وهدمه : قال ابن إسحاق : وكانت فلس (٣) لطيىء ومن يليلها بجبلى طيىء ، يعنى سَلْمى وأَجَأ .

ذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ ، بعث إليها على بن أبى طالب فهدمها ، فوجد فيها سيفين ، يقال لأحدهما : الرَّسوب ، وللآخر : المِخْذَم فأتى بهما رسول الله ﷺ ، فوهبهما له ، فهما سيفا على رضي الله عنه .

رِئام : قال ابن إسحاق : وكان لِحمْيَر وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال له : رِئام .

---

(١) قال ابن هشام : فبعث رسول الله ﷺ إليها أبا سفيان بن حرب فهدمها ، ويقال على بن أبى طالب ، انظر سيرة ابن هشام ١ / ٧٩ ط . الكليات الأزهرية تحقيق طه عبد الرءوف سعد .

(٢) وذلك قبل وفاة النبى ﷺ بشهرين أو نحوهما ، قال جرير بعثنى رسول الله ﷺ ، فى مائة وخمسين راكبًا من أحمس إلى ذى الخلصة ، فقلت : يا رسول الله إنى لا أثبت على الخيل ، فدعا لى ، وقال : « اللهم ثبته واجعله هاديًا مهديًا » .

(٣) هكذا وجدته مضبوطا فى القاموس ، وضبطه ابن الكلبى بفتح فسكون ، وضبطه ياقوت بضم الفاء واللام ، وتروى فى بعض المراجع : قاسا ويذكر عن ابن الكلبى أو غيره أن أجأ اسم رجل بعينه ، وهو : أجأ بن عبد الحى ، وكان فجر بسلمى بنت حام ، أو اتهم بذلك ، فصلبا فى ذينك الجبلين ، وعندهما جبل يقال له : العوجاء ، وكانت العوجاء ، حاضنة سلمى - فيما ذكر - وكانت السفير بينهما وبين أجأ فصُلبت فى الجبل الثالث ، فسمى بها .

رُضَاءُ وعبَّاده وهدمه : **قال ابن إسحاق** : وكانت رُضَاء بيتا لبنى رَبيعة بن كعب بن سعد بن زيد مَناة بن تميم ، ولها يقول المستوغِر (١) بن ربيعة بن كعب بن سعد حين هدمها فى الإسلام :

ولقد شَددتُ على رُضَاء شَدَّةً ... فتركتُها قَفْرًا بِقَاعٍ أَسْحَمَا

عُمْرُ المستوغر : ويقال : إن المستوغر عُمِّر ثلاثمائة وثلاثين سنة ، وكان أطول مضر كلها عمرًا ، وهو الذى يقول :

ولَقد سَئِمتُ من الحياة وَطُولِها ... وَعَمرتُ من عَددِ السـنينَ مِئينَا

مائةٌ حَدَتْها بعدها مئتـان لى ... وازْدَدْتُ من عَدد الشهور سنينا

هَل ما بَقِى إلاَّ كَما قد فاتنـا ... يَوْمٌ يَمـرُّ ولَيلةٌ تَحـدونَا

وبعض الناس يروى هذه الأبيات لزهير بن جناب الكلبى (٢) .

ذُو الكَعَبات وعبَّاده : **قال ابن إسحاق** : وكان ذُو الكَعبات لبكر وتغلب ابنى وائل وإياد بِسَنْداد ، وله يقول أعشى بنى قَيس بن ثَعلبة :

بَينَ الخَورنَقِ والسَّدير وبَارِقٍ ... والبيت ذِى الكَعَبات من سِنْداد (٣)

---

(١) واسمه : كعب . قال ابن دريد : سمى مستوغرًا بقوله :

ينش الماء فى الربلات منها ... نشيش الرضف فى اللبن الوغير

والوغير : فعيل من وَغرة الحر وهى شـدته ، وذكر القتبى أن المستوغر حضر سوق عكاظ ، ومعه ابن ابنه ، وقد هرم ، والجد يقوده ، فقال له رجل : ارفق بهذا الشيخ ، فقد طالما رفق بك ، فقال : ومن تراه ؟ فقال : هو أبوك أو جدك ، فقال : ما هو إلا ابن ابنى فقال : ما رأيت كاليوم ولا المستوغر بن ربيعة ، فقال : أنا المستوغر .

(٢) وهو زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن غُدرة أو عُذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة ، وزهير هذا من المعمرين ، وهو الذى يقول :

أبُنى إن أهلـك فإنى ... قد بنيـت لكم بنيَّهْ
وتركتكم أولاد سـادا ... ت وزنادهـم وريَّه
من كل ما نال الفتـى ... قد نلته إلا التحـيه

(٣) الخورنق قصر بناه النعمان الأكبر ملك الحيرة لسابور ، ليكون ولده فيه عنده ، وبناه بنيانا عجيبًا لم تر العرب مثله ، واسم الذى بناه له : سنمار ، وهو الذى رُدِّى من أعـلاه =

البَحيرَة والسَّائبة والوَصيلة والحَامى

رأى ابن إسحاقَ فيها : قال ابن إسحاق : فأما البَحيرة فهى : بنت السائبة ، والسائبة الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليـــس بينهن ذكر ، سُيِّبت ، فلم يُركب ظهرها ، ولم يجز وبرها ، ولم يشرب لبنها إلا ضيف ، فما نتجت بعد ذلك من أنثى شُقت أذنها ، ثم خلى سبيلها مع أمها ، فلم يركب ظهرها ، ولم يجز وبرها ، ولم يشرب لبنها إلا ضيف ، كما فُعل بأمها ، فهى البحيرة بنت السائبة . والوصيلة : الشاة إذا أتأمت [١] عشر إناث متتابعات فى خمسة أبطن ، ليس بينهن ذكر ، جعلت وصيلة . قالوا : قد وصلت ، فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور منهم دون إناثهم ، إلا أن يموت منها شىء ، فيشتركوا فى أكله ذكورهم وإناثهم .

قال ابن إسحاق : والحامى : الفحل إذا نتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهن ذكر ، حَمى ظهره فلم يُركب ، ولم يجز وبره ، وخُلِّىَ فى إبله يَضرب فيها ، لا ينتفع منه بغير ذلك [٢] .

قال ابن إسحاق : فلما بعث الله تبارك وتعالى رسوله محمداً ﷺ أنزل عليه :

= حتى قالت العرب : جزانى جزاء سنمار ، وذلك أنه لما تم الخورنق ، وعجب الناس من حسنه ، قال سنمار : أما والله لو شئت حين بنيته جعلته يدور مع الشمس حيث دارت فقال له الملك : إنك لتحسن أن تبنى أجمل من هذا ؟ وغارت نفسه أن يبتنى لغيره مثله ، وأمر به فطرح من أعلاه ، وكان بناه فى عشرين سنة .

ومعنى السدير بالفارسية : بيت الملك . يقولون له : « سهدلى » أى : له ثلاث شعب وقال البكرى : سمى السدير ، لأن الأعراب كانوا يرفـــعون أبصارهم إليه ، فتسدر من علوه يقال : سدر بصره إذا تحير ، والكعبات : المربعة ، وكل بناء مربع فهو كعبة .

(١) أتأمت : جاءت باثنين فى بطن واحد .

(٢) ابن هشام يخالف ابن إسحاق فى هذه المسألة: قال ابن هشام : وهذا عند العرب على غير هذا إلا الحامى ، فإنه عندهم على ما قال ابن إسحاق . فالبحيرة عندهم : الناقة تشق أذنها فلا يركب ظهرها ، ولا يجز وبرها ، ولا يشرب لبنها إلا ضيف ، أو يتصدق به ، وتهمل لآلهتهم . والسائبة : التى ينذر الرجل أن يسيبها إن برئ من مرضه أو إن أصاب أمراً يطلبه ، فإذا كان أساب ناقة من إبله ، أو جملا لبعض آلهتهم ، فسابت فرعت لا ينتفع بها . والوصيلة : التى تلد أمها اثنين فى كل بطن ، فيجعل صاحبهما لآلهته الإناث منها ، ولنفسه الذكور أما الوصيلة فهى التى ولدتها أمها ومعها ذكر فى بطن ، فيقولون : وصلت أخاها ، فيسيب أخوها معها ، فلا ينتفع به .

قال ابن هشام : حدثنى به يونس بن حبيب النحوى وغيره . روى بعض ما لم يرو بعض .

﴿ ما جعل الله من بَحيرَة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون ﴾ (المائدة : ١٠٣) .

وأنزل الله تعالى : ﴿ وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومُحَرَّم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم ﴾ (الأنعام : ١٣٩) .

وأنزل عليه : ﴿ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آللهُ أذنَ لكم أم على الله تفترون ﴾ (يونس : ٥٩) .

وأنزل عليه : ﴿ ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أم الأُنْثَيَيْنِ أمَّا اشتملت عليه أرحامُ الأُنثيينِ نبئونى بعلم إن كنتم صادقين * ومن الإبل اثنينَ ومن البقر اثنين قل آلذَّكَرَيْنِ حرَّم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين أم كنتم شهداء إذا وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ (الأنعام : ١٤٣ ، ١٤٤) .

* عود إلى النسب :

ونَسبُ خُزَاعة : قال ابن إسحاق : وخزاعة تقول : نحن بنو عمرو بن عامر من اليمن .

وسميت خُزاعة ، لأنهم تَخزَّعوا [١] من ولد عمرو بن عامر حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام فنزلوا بمرِّ الظَّهْرَان ، فأقاموا بها . قال عوف بن أيوب الأنصارى أحد بنى عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة من الخزرج فى الإسلام :

فَلما هَبطنا بَطْنَ مَـرٍّ [٢] تَخزَّعتْ ... خُزَاعَةُ منا فى خُيولٍ كَراكِرِ [٣]

حَمَتْ كل واد من تِهامة واحتَمتْ ... بِصُـمِّ القَنا والمرهَفاتِ البواترِ

وهذان البيتان فى قصيدة له .

(١) تخزعوا ، تأخروا وانقطعوا .

(٢) يريد : مر الظهران ، وسمى : مرًّا لأنه فى عرق من الوادى من غير لون الأرض شبه (الميم) الممدودة وبعدها (را) خلقت كذلك ، ويذكر عن كثير أنه قال : سميت : مرًّا لمرارتها .

(٣) الخيول الكراكر : المجتمعة .

وقال أبو المطَهَّر إسماعيل بن رافع الأنصارى ، أحد بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس :

فَلما هَبطنا بَطْـــنَ مكةَ أحْمــدتْ خُزَاعة دَارَ الآكِــل المتَحامل

فَحلَّتْ أكاريســـــًا ، وشَتَّتْ قَنابلاً على كل حى بين نَجْدٍ وسَاحِل

نَفوْا جُرهُمًا عن بطن مكة ، واحتَبوْا بعزٍّ خُزاعىٍّ شديد الكــواهِل

أولاد مُدْركة وخزيمة : قال ابن إسحاق : فولد مُدْركة بن إلياس رجلين : خُزَيمة بن مدركة ، وهُذَيل بن مُدركة ، وأمهما : امرأة من قُضاعة ، فولد خزيمة ابن مدركة أربعة نفر ، كنانة بن خزيمة ، وأَسَدَ بن خُزيمة ، وأسَدَة بن خزيمة ، والهُونَ بن خُزيمة ، فأم كنانة عُوَانة بنت سَعد بن قيس بن عَيْلان بن مضر ·

أولا كنانة وأمهاتهم : قال ابن إسحاق : فَولَدَ كنانة بن خزيمة أربعة نفر : النضر بن كنانةَ ، ومالك بن كنانة ، وعبد مناة بن كنانة ، وملْكان بن كنانة (١) ، فأم النــضر : بَرَّةُ بنتُ مُر بن أُدٍّ بن طَابخة بن إلياس بن مُضَر ، وســـائر بنيه لامرأة أخرى ·

● **سبب تسمية قريش :**

قال ابن إسحاق : ويقال · إنما سُمـــيت قريش قريشًا : لتجمعـها من بعد تفرقها ·

ويقال للتجمع : التقرش (٢) .

أولاد النَّضْر وأمهاتهم : فولد النضرُ بن كِنانة رجلين : مالك بن النضر ، ويخلُد بن النضر ، فَأم مالك : عاتِكَةُ بنت عَدْوان بنَ عمرو بن قيس بن عَيْلان ، ولا أدرى أهى أم يخلُد أو لا ·

أولاد مالك وفهْر وأمهاتهم : قال ابن إسحاق : فولد مالك بن النضر : فِهْر ابن مالك ، وأمه : جَنَدَلَة بنت الحارث بن مِضَاض الجُرهَمى

(١) وزاد الطبرى فى ولد كنانة : عامرًا والحارث والنضير وغَنْما وسعدًا وعوفًا وجرول والحدال وغزوان · انظر الروض الأنف تحقيق طه عبد الرءوف سعد جـ ١ ص ١١٥ ·

(٢) انظر ما قيل فى قريش مفصلا فى الروض الأنف تحقيق طه عبد الرءوف سعد جـ ١ صـ ١١٥ - ١١٧ ·

قال ابن إسحاق : فولد فِهْر بن مالك أربعة نفر : غالب بن فِهر ، ومُحارب بن فهر والحارث بن فهر ، وأسد بن فهر ، وأمـــهم : ليلى بنت سعد بن هُذيل بن مُدْركة .

أولا غَالب وأمهاتهم : **قال ابن إسحاق** : فَولدُ غالب بن فِهر رجلين : لُؤَىَّ ابن غَالب ، وتَيْم بن غالب ، وأمهما : سَلْمى بنت عَمرو الخُزَاعى : وَتَيْم بن غالب الذين يقال لهم : بنو الأدْرَم (١) .

أولاد لُؤى وأمهاتهم : **قال ابن إسحاق** : فولدَ لُؤىُّ بن غالب أربعة نفر : كَعب بن لُؤى وعامر بن لؤى ، وسَامة بن لؤى ، وعَوف بن لؤى ، فَأُم كعب وعامر وسامة : مَاوِيَّةُ (٢) بنت كعب بن القَين بن جَسْر ، من قُضاعة .

وسعد بن لُؤى ، وهم بُنانة : فى شَيبان بن ثَعلبة بن عُكَابة بن صَعب بن على ابن بكر بن وائل ، من ربيعة .

وبُنانة : حاضنَة لهم من القَيْن بن جَسْر بن شَيْع الله ، ويقال : سَيْع ، ابن الأسد بن وَبْرة بن ثَعَلبة بن حُلْوان بن عمران بن الحاف بن قُضاعة ، ويقال : بنت النمر بن قاسط من ربيعة ، ويقال : بنت جَرْم بن رَبَّان بن حُلْوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة .

---

(١) الأدرم : المدفون الكعبين من اللحم ، يقال : امرأة درمـــاء وكعب أدرم ، قال الراجز :

قامت تريه خشية أن تُصرما ساقًا بَخَنْداة وكعبًا أدرما
وكَفَلا مثل النقا أو أعظَما

والأدرم أيضًا : المنقوض الذقن ، وكان تيم بن غالب كذلك ، فسمى : الأدرم ، قاله الزبير ، وبنو الأدرم هؤلاء هم : أعراب مكة ، وهم من قريش الظواهر (النازلون بظهر مكة) لا من قريش البطاح ، (قبائل عبد مناف) وكذلك بنو محارب من فهر ، وبنو معيص بن عامر .

(٢) سميت بالماوية ، وهى : المرآة ، كأنها نسبت إلى الماء لصفائها ، وقلبت همزة الماء واوا .

وخزيمة بن لؤى بن غالب ، وهم عائذة فى شيبان بن ثعلبة ، وعائذة امرأة من اليمن (١) ، وهى أم بنى عبيدة بن خُزيمة بن لؤى ·

وأم بنى لُؤى كلهم - إلا عامر بن لُؤى : ماويَّة بنت كعب بن القين بن جَسْر ، وأم عامر بن لؤى : مَخْشِيَّة بنت شَيبان بن مُحارب بن فِهر ، ويقال : ليلى بنت شيبان بن مُحارب بن فِهر ·

* أَمْرُ سَامَةَ بن لُؤَىٍّ :

هروبه من أخيه وموته : قال ابن إسحاق : فأما سَامَةُ بن لؤى فخرج إلى عمان ، وكان بها · ويزعمون أن عامر بن لؤى أخرجه ، وذلك أنه كان بينهما شىء ، ففقأ سامة عين عامر ، فأخافه عامر ، فخرج إلى عمان ، فيزعمون أن سامة ابن لؤى بينا هو يسير على ناقته ، إذ وضعت رأسها ترتع ، فأخذت حية بمشفَرِها ، فهصرتها حتى وقعت الناقة لِشقها ، ثم نهشت سامة فقتلته · فقال سامة حين أحس بالموت فيما يزعمون :

شعر سامة ابن لؤى :

عَينُ فَابكِــــى لِسَامَةَ بْنِ لُؤىٍّ عَلِقَتْ ما بســـــامةَ العَلاَّقَهْ
لاَ أَرى مثْل سَامةَ بْنِ لُؤى يَومَ حَلُّوا بــــــه قتيلاً لَناقَهْ
بلِّغا عَامِرًا وكعــــبًا رَسولاً أن نَفْسى إليهما مُشْتَاقَهْ (٢)
إن تكُن فى عُمَان دَارى ، فإنى غَالبِىٌّ ، خَرَجْتُ من غير فَاقَهْ
رُبَّ كَأسٍ هَرقتَ يا ابن لُؤىٍّ حَذَرَ الموتِ لَم تـــكن مُهْراقَهْ
رُمتَ دَفع الحتُوفِ يا ابنَ لُؤىٍّ مَا لمن رَامَ ذاك بالحتفِ طَاقَهْ

(١) وقال غيره : هي بنت الخمس بن قحافة من خثعم ولدت لعبيد بن خزيمة مالكا وحارثا ، فهم بنو خزيمة وعائـــدة من بنى خزيمة أيضًا : بنو حرب بن خزيمة ، قتلتهم المسوَّدة (العباسيون) فى قريتهم بالشام ، وهم يحسبونهم بنى حرب بن أمية ·

(٢) بلِّغَا عامرًا وكعبا رسولا : يجوز أن يكون « رسولا » مفعولا : ببلغا إذا جعلت الرسول بمعنى : الرسالة ، كما قال الشاعر :

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بليلى ، ولا أرسلتهم برسول

أى : برسالة ، وإنما سموا الرسالة : رسولا إذا كانت كتابا ، أو ما يقوم مقام الكتاب من شعر منظوم ونحوه ·

وَخَرُوس السُّرَى تَركْت رَذِيًّا　　بَعْدَ جِدٍّ وجِدَّةٍ وَرَشَاقَهْ (١)

*** أَمْرُ عَوْف بْنِ لُؤَىٍّ ونَقْلَته :**

سبب انتمائه إلَى غَطْفَان : قال ابن إسحاق : وأما عَوف بن لُؤى فإنه خرج - فيما يزعمون - في ركب من قريش ، حتى إذا كان بأرض غَطْفان بن سعد بن قيس ابن عَيلان أبطىء به فانطلق من كان معه من قومه ، فأتاه ثعلبة بن سعد ، وهو أخوه فى نسب بنى ذبيان - ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريْث بن غطفان . وعوف ابن سعد بن ذبيان بن بغيض بن رَيْث بن غطفان - فحبسه وزوَّجه والتاطه (٢) وآخاه ، فشاع نسبه فى بنى ذبيان ، وثعلبة - فيما يزعمون - الذى يقول لعوف حين أُبطىء به ، فتركه قومه :

احْبِسْ علىَّ ابْنَ لُؤَىٍّ جَملكْ　　تَركَكَ القومُ ولَا مَتْرَكَ لَكْ

مكانة مُرَّة : قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جَعفر بن الزُّبير : أو محمد ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن حُصين أن عُمر بن الخطاب قال : لو كنت مدَّعيا حيًّا من العرب ، أو ملحقهم بنا ، لادَّعيت بنى مُرة بن عوف ، إنَّا لنعرف فيهم الأشباه مع ما نعرف من موقع ذلك الرجل حيث وقع ، يعنى : عوف بن لُؤى .

نسب مُرَّة : قال ابن إسحاق : فهو فى نسب غطفان : مُرَّةُ بن عوف بن سعد ابن ذُبيان بن بَغيض بن رَيْث بن غَطْفان ، وهم يقولون إذا ذكر لهم هذا النسب ما ننكره ، وما نجحده ، وإنه لأحب النسب إلينا .

وقال الحارث بن ظالم بن جَذيمة بن يربوع حين هرب من النعمان بن المنذر ، فلحق بقريش :

فَما قَوْمِى بثَعلبةَ بْنِ سَعْد　　وَلاَ بفَزارَةَ الشُّعْر الرِّقَابَا
وَقَومى - إن سألتَ - بنو لُؤَىٍّ　　بمكةَ عَلَّموا مُضَر الضِّرابَا

---

(١) قوله : وخَروسِ السُّرى تركت رذيًّا يريد : ناقة صموتا صبوراً على السرى لا تضجر منه ، فسراها كالأخرس ، والرذى التى سقطت من الأعياء .

(٢) التاطه : ألصقه به وألحقه بنسبه .

سَفِهنَا باتباعِ بنــــــى بِغيضٍ   وَترك الأقــــــربينَ لنَا انتسابَا
سَفَاهَة مُخْلف لَمَّا تَــــــروى   هَراق الماءَ واتَّبعَ السَّرابَا (١)
فَلو طُووعتُ - عَمْرك - كُنتُ فيهم   وَما أُلْفيتُ أَنتجعُ السَّحَابَا (٢)
وَخَشَّ رَواحَةُ القُرشِــــــىُّ رَحْلِى   بناجيةٍ ولم يطـــــلب ثَوابا (٣)

قال ابن إسحاق : فقال الحُصَين بن الحُمام المرِّى ، ثم أحد بنى سَهْم بن مُرةَ يرد على الحارث بن ظالم ، وينتمى إلى غطفان :

ألا لستم منا ، ولَسْـــــنا إليكُم   بَرِئنَا إليكُم مــــنْ لُؤَىِّ بْنِ غَالِب
أقمنا عَلى عِزِّ الحِجَازِ ، وأنتُمُ   بمُعتلِجِ البطْحاءِ بين الأخَاشب (٤)

يعنى : قُريشًا ، ثم نَدم الحصين على ما قال ، وعـــرف ما قال الحارث بن ظالم ، فانتمى إلى قريش ، وأكذب نفسه ، فقال :

نَدِمْتُ عَلى قَوْلٍ مَضَى كُنْتُ قُلْتُه   تبيَّنتُ فيه أنه قَـــــولُ كَـــاذبِ
فَليتَ لِسَانى كَان نِصفين منهمـــا   بُكَيمٌ ، ونصفٌ عند مَجرى الكَواكب
أبُونَا كنــــانىٌّ بمكـــــةَ قَبْرهُ   بمُعتلجِ البَطْحَاءِ بـــــينَ الأخَاشِــــبِ
لنا الرُّبع من بيت الحــــرام وراثةً   وربع البِطَاح عند دار ابن حـاطب (٥)

أى إن بنَى لُؤى كانوا أربعة : كعبًا ، وعامرًا ، وسامة ، وعوفا .

---

(١) المخلف : المستقى للماء .

(٢) وما ألفيت أنتجع السحابا . أى : كانوا يغنوننى بِسيْبِهم ومعروفهم عن انتجاع السحاب ، وارتياد المراعى فى البلاد .

(٣) وخش رَواحة القرشى رحلى بناجية . أي : بناقة سريعة يقال : خش السهم بالريش ، إذا راشه به ، فأراد : راشنى وأصلح رحلى بناجية ، ولم يطلب ثوابا بمدحه بذلك ، ورواحة هذا : هو رواحة بن مَنقذ بن مَعيص بن عامر كان قد ربع فى الجاهلية أى : رأس ، وأخذ ربع الغنيمة .

(٤) بمعتلج البطحاء : أى حيث تعتلج السيول ، والاعتلاج عمل بقوة ، والأخاشب : جبال مكة ، وقد يقال لكل جبل : أخشب .

(٥) قوله : لنا الربع بضم الراء ، يريد : إن بنى لؤى كانوا أربعة : أحدهم : أبوهم وهو عوف ، وبنو لؤى هم : أهل الحرم ، ولهم وراثة البيت .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم أن عمر بن الخطاب ﷺ قال لرجال من بنى مُرة : إن شئتم أن ترجعوا إلى نسبكم ، فارجعوا إليه .

أشراف مُرة : قال ابن إسحاق : وكان القوم أشرافا فى غَطفان ، هم سادتهم وقادتهم ، منهم هرِم بن سنَان بن أبى حَارثة ، وخَارجة [1] بن سنان بن أبى حارثة ، والحارث بن عَوف ، والحُصين بن الحـمام ، وهاشم بن حَرْملة الذى يقول له القائل :

أَحْيَا أباهُ هَاشِمُ بْنُ حَـرْمَلَه [2]
يَوْمَ الهبَاءَات وَيَـومَ اليَعْمَلَهْ
تَرىَ الملوكَ عنـدَهُ مُغَرْبَلَهْ [3]
يَقْتُلَ ذَا الذَّنْبِ ، وَمَـنْ لا ذَنْبَ لَهْ
وَرُمْحُـهُ للـوالِداتِ مُثْكِلَهْ

قال ابن إسحاق : قَومٌ لهم صِيتٌ وذكر فى غطفان وقيس كلها ، فأقاموا على نسبهم ، وفيهم كان البَسْلُ [4] .

* * *

---

(١) خارجة بن سنان الذى تزعم قيس أن الجن اختطفته لتستفحله نساؤها لبراعته ونجدته ونجابة نسله .

(٢) هاشم بن حرملة هو : جد منظور بن ربَّان بن يسار الذى كانت بنته زجلة عند ابن الزبير ، فهو جد منظور لأمه ، واسمها : قهْطم بنت هاشم ، كانت قهطم قد حملت بمنظور أربع سنين ، وولدته بأضراسه ، فسمى منظورا لَطول انتظارهم إياه .

(٣) قيل معناه : منتفخة ، وذكر أنه يقـال : غربل القتيل إذا انتفخ ، وهذا غير معروف ، وإن كان أبو عبيد قد ذكره فى الغريب المصنف ، وأيضًا : فإن الرواية بفتح الباء مغربلة وقال بعضهم : معناه يتخير الملوك فيقتلهـم ، والذى أراه فى ذلك أنه يريد بالغربلة استقصاءهم وتتبعهم .

(٤) البسل وهو الحرام ، والبسـل أيضا : الحلال ، فهو من الأضداد ومنه : بُسْلة الراقى ، أى ما يحل له أن يأخذه على الرقية ، وبسلِ فى الدعاء بمعنى : آمين : قال الراجز :

لا خاب من نفعك من رجاك   بَسْلا ، وعادى الله من عاداك

وكان عمر بن الخطاب يقول فى أثر الدعاء : آمين وبسلا ، أى : استجابة .

أَمْرُ البَسْلُ

تَعريف بالبَسْل : والبَسلُ ، فيما يزعمون ، نسيئهم ثمانية أشهر حُرُم ، لهم من كل سنة من بين العَرب ، قد عَرفت ذلك لهم العرب لا ينكرونه ، ولا يدفعونه ، يسيرون به إلى أى بلاد العرب شاءوا ، ولا يخافون منهم شيَئا ، قال زهير بن أبى سلمى ، يعنى بنى مُرَّة .

تأمل ، فإن تقو المرولاة منهم وداراتها لا تقوم منهم إذا تحل
بلاد بها نادمتهم وألفتهم فإن تقويا منهم فإنهم بَسْلُ

أى حرام : ساروا فى حرمهم

أولاد كَعب وأمهم : قال ابنِ إسحاق : فولَدُ كعب بن لُؤى ثلاثة نفر ، مُرَّة ابن كَعب ، وعَدى بن كعب ، وهُصَيص بن كعب ، وأمهم : وَحشيةُ بنت شَيْبان بن مُحارب بن فِهر بن مالك بن النضر .

أولادَ مرة وأمهاتهم : فَولدُ مُرَّة بن كعب ثلاثة نفر ، كلاب بن مرة ، وتيم ابن مرة ويقظة بن مرة (١) .

فأم كِلابُ : هندُ بنت سُرَير بن ثعلبة بن الحارث بن فِهر بن مالك بن كنانة بن خزيمة وأم يَقظة : البارقيةُ ، امرأة من بارق ، من الأسْد من اليمن ، ويقال : هى أم تيم ، ويقال : تَيم هند بنت سُرَير أم كلاب .

ولدا كلاب وأمهما : قال ابن إسحاق : فولد كِلابُ بن مُرة رجلين : قُصَىَّ ابن كِلاب ، وزُهرة بن كلاب . وأُمهما : فاطمة بنتَ سعد بن سَيَل أحد بنى الجَدَرة ، ومن جُعْثُمة الأزد ، من اليمن ، حلفاء فى بنى الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة (٢) .

قال ابن إسحاق : ولَسعد بن سَيَل يقول الشاعر :

مَا نَرى فى الناس شَخصًا وَاحدًا مَنْ عَلمناهُ كسعد بن سَيَلْ
فَارسًا أَضبطَ ، فيه عُسْرةُ وإذا مَا واقفَ القِرْن نَزَلْ (٣)

---

(١) يقظة بن مرة بفتح القاف ، وقد وجدته بسكون القاف فى أشعار مُدح بها خالد بن الوليد ، فمنها قول الشاعر :

وأنت لمخزوم بن يقْظة جُنته كلا اسميك فيها ماجد وابن ماجد

وأم مخزوم بن يقظة جد بنى مخزوم : كلبة بنت عامر بن لؤى .

(٢) قال ابن هشام : ونعم بنت كلاب وهى أم سعد وسعيد ابنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى ، وأمها فاطمة بنت سعد بن سيل .

(٣) الأضبط الذى يعمل بكلتا يديه ، والعسرة : الشدة ، والقرن : الشديد فى الحرب .

فَارِسًا يَسْتَدرِجُ الخيل كما اسْـ ـتـدَرجَ الحُرُّ القَطامِيَّ الحَجَلْ (١)

أولاد قُصَىٍّ وأمهم : **قال ابن إسحاق** : فولَد قَصى بن كلاب أربعة نفر وامرأتين : عبد مَناف بن قُصَى ، وعبد الدار بن قُصَى ، وعبد العُزَّى بن قُصَى ، وعبد قُصَى بن قُصَى ، وتَخْمُر بنت قُصَى ، وبَرَّة بنت قُصَى ، وأمهم : حُبَّى بنت حُليل بن حَبَشِيَّة بن سَلول بن كعب بن عمرو الخزاعى ·

أولاد عبد مَناف وأمهاتهم : **قال ابن إسحاق** : فولد عبد مناف - واسمه : المغيرة بن قصى - أربعة نفر : هاشم بن عبد مناف ، وعبد شمس (٢) بن عبد مناف ، والمطَّلب بن عبد مناف ، وأمهم : عاتكة بنت مُرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بُهْثَة بن سُليم بن منصور بن عكرمة ، ونَوفل بن عبد مَناف ، وأمه ، واقدة بنت عمرو المازنية ، مازن : بن منصور بن عكرمة ·

أولاد هاشم وأمهاتهم : فَولدَ هاشم بن عبد مناف أربعة نفر وخمس نسوة : عبد المطلب بن هاشم ، وأسد بن هاشـم ، وأبا صَيْفى بن هاشم ، ونَضلة بن هاشم ، والشِّفاء ، وخالدة ، وضعيفة ، ورُقية ، وحَية ، فأم عبد المطلب ، ورقية : سَلمى (٣) بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن غَنْم بن عَدى بن النجار، واسم النجار : تَيْم الله بن ثَعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلـبة بن عمرو ابن عامر ·

وأُمها : عميرة بنت صخر بن حبيب بن الحارث بن ثعلبة بن مازن بن النجار ، وأم عَميرة : سلمى بنت عبد الأشهل النجَّارية · وأم أسد : قَيْلَة بنت عامر بن مالك الخزاعى · وأم أبى صيفى وَحَيَّة : هِند بنت عمرو بن ثعلبة الخزرجية ، وأم نَضْلة والشِّفاء ، امرأة من قُضاعة · وأم خالدة وضعيفة : واقدةُ بنت أبى عَدى المازنية ·

* * *

(١) الحر القطامى : الصقر ·

(٢) وكان تلوا لهاشم ، ويقال : كانا توأمين ، فولُد هاشم ، ورجله فى جبهة عبد شمس ملتصقة ، فلم يقدر نزعها إلا بدم ، فكانوا يقولون : سيكون بين ولدهما دماء ، فكانت تلك الدماء ما وقع بين بنى هاشم ، وبين بنى أمية بن عبد شمس ·

(٣) وأمها : عُميرة بنت صَخر المازنية ، وابنها : عمرو بن أُحيحة بن الجلاح وأخوه : معبد ، ولدتهما لأحيحة ·

* أولادُ عبد المطَّلب بن هاشم وأمهاتهم :

فَولد عبد المطلب بن هاشم عشرة نفرٍ وستَّ نسوة : العباسَ ، وحمزةَ ، وعبد الله ، وأبا طالب - واسمه : عبدُ مَناف (١) ، والزبير (٢) ، والحارث ، وجَحْلا (٣) ، والمقوِّم (٤) ، وضِرارا ، وأبا لهب (٥) ، واسمه : عبد العُزَّى ، وصفيَّة ، وأم حكيم البيضاء ، وعاتكة ، وأميمة ، وأروى وبَرَّة . فَأم العباس وضِرار : نُتَيلة بنت جَناب ابن كُليب بن مالك بن عَمرو بن عامر بن زيد مَناة بن عامر - وهو الضَّحيان - بن سعد بن الخزرج بن تيم اللاَّت بن النَّمر بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن جَديلة بن أسد ين ربيعة بن نزار . ويقال : أفصى بن دُعْمِى بن جَديلة .

وأم حمزةَ والمقوِّم وجَحْل - وكان يلقب بالغَيْدَاق لكثرة خَيرِه ، وسعة ماله - وصفية : هَالةُ بنتُ وهيب بن عبد مَناف بن زُهرة بن كِلاب بـــن مُرة بن كَعب بن لُؤَى .

---

(١) وله يقول عبد المطلب :

أوصيك يا عبد مناف بعدى   بمؤتم بعـــــــد أبيه فرد

مات أبوه وهو حلف المهد

(٢) الزبير ، وهو أكبر أعمام النبى ﷺ وهو الذى كان يُرقِص النبى ﷺ ، وهو طفل ، ويقول :

محمد بن عبْدَمِ   عشت بعيش أنعَم

فى دولة ومغنم   دام سجين الأرلم

وبنته : ضباعة كانت تحت المقداد . وعبد الله ابنه : مذكور فى الصحابة رضي الله عنه - وكان الزبير رضي الله عنه ، يكنى أبا الطاهر بابنه : الطاهر ، وكان من أظرف فتيان قريش ، وبه سَمى رسول الله ، ابنه الطاهر ، وأخبر الزبير عن ظالم كان بمكة أنه مات ، فقال : بأى عقوبة كان موته ؟ فقيل : مات حتف أنفه ، فقال : وإن ، فلابد من يوم ينصف الله فيه المظلومين ، ففى هذا دليل على إقراره بالبعث .

(٣) جَحْلا : بتقديم الجيم على الحاء ، هكذا رواية الكتاب ، وقال الدارقطنى هو : حجْل بتقديم الحاء .

(٤) المقوم : لم يعقب إلا بنتا اسمها : هند .

(٥) واسمه : عبد العُزَّى ، وكنى : أبا لهب لإشراق وجهه ، وأمه : لبنى بنت هاجر بكسر الجيم ، من بنى ضاطرة بضاد منقوطة .

وأم عبد الله ، وأبى طالب ، والزبير ، وجميع النساء غير صَفية : فاطمةُ بنتُ عَمرو بن عائذ بن عمران ، بن مَخزوم بن يَقظة بن مُرة بن كَعب بن لُؤى بن غَالب ابن فِهر بن مالك بن النَّضْر .

وأمها : صَخرةُ بنت عبد بن عِمران بن مَخزوم بن يقظة بن مُرة بن كعب بن لُؤى بن غَالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأم صَخرةَ : تَخْمُرُ بنت عبد بن قصى بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لُؤى بن غالب بن فِهر بن مالك بن النضر .

وأم الحارث بن عبد المطلب : سَمراءُ بنت جُندب بن جُحَير بن رئاب بن حُبَيْب ابن سُوَاءة بن عامر بن صَعصعة بن مُعاوية بن بكر بن هَوازن بن منصور بن عِكرمة .

وأم أبى لهب : لُبْنَى بنت هاجِر بن عبد مَناف بن ضَاطِر بن حُبْشِيَّة بن سلول ابن كعب بن عمرو الخزاعى .

أُم رسول الله ﷺ وأمهاتها : فولَدُ عبدُ الله بن عبد المطَّلب : رسولَ الله ﷺ وشرَّف وعظَّم ، سيد ولد آدم ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، صلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليه وعلى آله .

وأُمه : آمنة بنت وَهْب ، بن عبد مَناف بن زُهْرة [١] بن كِلاب بن مُرَّة بن كَعب ابن لُؤى بن غَالب بن فِهر بن مالك بن النَّضْر .

وأمها : بَرَّةُ بنت عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار بن قُصى بن كلاب بن مُرة ابن كَعب بن لُؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأم بَرَّة : أُمُّ حَبيب بنت أسد بن عبد العُزى بن قُصى بن كِلاب بن مُرة بن كعب بن لُؤى بن غَالب بن فِهر بن مالك بن النضر .

وأُم أُمّ حَبيب : بَرَّةُ [٢] بنتُ عَوفِ بن عُبيد بن عُوَيج بن عَدى بن كَعب بن

---

(١) فى المعارف لابن قتيبة : أن زهرة اسم امرأة عرف بها بنو زهرة ، وهذا منكر غير معروف ، وإنما هو اسم جدهم - كما قال ابن إسحاق : والزهرة فى اللغة : إشراق فى اللون أىِّ لون كان من بياض أو غيره .

(٢) ذكر فى آخر أمهاته ﷺ - برة بنت عوف بن عُبَيْد بن عُوَيج بن عدى وهن كلهن قرشيات ، ولذلك وقف فى بَرَّة ، وإن كان قد ذكر أهل النسب بعد هذا : أم برة ، وأم أمها=

لُؤى بن غَالب بن فهر بن مالك بن النَّضْرِ ·

فرسولُ الله ، ﷺ ، أشرفُ ولد آدم حَسبًا · وأفضلهم نسبًا من قِبَل أبيه ، وأمِّه ﷺ وكرَّم وشرَّف وعظَّم ·

أمر جُرهم ودفن زمزم

ولاة البيت من ولد إسماعيل : قال محمد بن إسحاق المطلبى : لما توفى إسماعيل بن إبراهيم ولى البيت بعده ابنه نابت بن إسماعيل - ما شاء الله أن يليه - ثم ولى البيت بعده : مُضاض بن عمرو الجرهمى ·

* * *

= وأم أم الأم ، ولكنهن من غير قريش ، قال محمد بن حبيب : وأم برة : قلابة بنت الحارث بن مالك بن طابخة بن صعصعة بن غادية بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل ، وأم قلابة : أميمة بنت مالك بن غَنْم بن لحيان بن غادية بن كعب ، وأم أميمة : دبَّة بنت الحارث بن لحيان ، بن غادية ، وأمها : بنت كهف الظلم من ثقيف ، وذكر الزبير قلابة بنت الحارث ، وزعم أن أباها الحارث كان يكنى : أبا قلابة وأنه أقدم شعراء هذيل ·

القسم الأول

من سيرة رسول الله ﷺ

رواية يونس بن بُكير
عن محمد بن إسحاق

حفر زمزم [١]

حدَّثنا أحمد بن عبد الجبَّار [٢] ، قال : نا يونس [٣] بن بُكير قال : كل شيء من حديث ابن إسحاق مسند ، فهو أملاه عليَّ ، أو قرأه عليَّ ، أو حدثني به ، وما لم يكن مسندًا ، فهو قراءة ؛ قرئ على ابن إسحاق .

حدثنا أحمد قال : نا يونسُ ، عن محمد بن إسحاق ، قال : بينا عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف نائمًا في الحِجر، عند الكعبة ، أُتي [٤] ، فأُمر بحفر زمزم .

ويقال إنها لم تزل دفينًا [٥] بعد ولاية بني إسماعيل الأكبر وجرهم [٦] ، حتى أمر بها عبد المطلب ، فخرج عبد المطلب إلى قريش ، فقال : يا معشر قريش ، إني قد أُمرت أن أحفر زمزم ، فقالوا له : أبيِّن لك أين هي ؟ فقال : لا ، قالوا : فارجع إلى مضجعك الذي أريت فيه ما أريت ، فإن كان حقًّا من الله عز وجل بيِّن لك ، وإن كان من الشيطان لم يعد إليك ، فرجع فنام في مضجعه ، فأتى فقيل له : احفر زمزم ، إنك إن حفرتها لم تـــندم ، هي تراث من أبيك الأقدم ، لا تنزف الدهر ،ولا تُذم ، تسقي الحجيج الأعظم مثل نعام حافل لم يقسم ، ينذر فيها ناذر لمنعم ، فهي ميراث وعقد محكم ، ليست كبعض ما قد يعلم ، وهي بين الفـرث والدم .

* عبد المطلب يحفر زمزم

فقال حين قيل له ذلك : أين هي ؟ فقيل له : عند قرية النمل ، حيث ينقر

---

(١) اسمها : زمزم ، زُمازِمُ ، زمزمة الماء (أي صوته) . (٢) هكذا في المخطوطة .

(٣) رمز بمعنى حدثنا ، انظر الباعث الحثيث وكتب مصطلح الحديث .

(٤) أي جاءه هاتف في المنام .

(٥) أي دَفْنٌ بين صنمي قريش : إساف ونائلة ، عند منحر قريش ، وكانت قبيلة جرهم دفنتها حين ظعنت من مكة . انظر السيرة النبوية لابن هشام تحقيق الأســـتاذ . طه عبد الرءوف سعد « بتصرف » ط . دار الجيل بيروت ١ / ٢٣٩ .

(٦) هو قحطان بن عامر بن شالخ بن أرفخشذ ين سام بن نوح ، ويقال : جرهم بن عابر ، وقيل إنه كان مع نوح – عليه السلام ، في السفينة وأنه من ولد ولده وهم العرب العاربة ومنهم تعلم إسماعيل العربية .

الغراب غداً ، فغدا عبد المطلب ومعه الحارث ابنه ، ليس له ولد غيره (١) ، فوجد قرية النمل (٢) ، ووجد الغراب ينقر عندها ، بين الوثنين : إساف ونائلة (٣) ، اللذين كانت قريش تنحر عندهما (٤) ·

حدثنا أحمد قال : نا يونس بن بُكير ، عن ابن إسحاق قال : حدثنى عبد الله ابن أبى بكر بن حَزْم ، عن عَمْرة ابنة عبد الرحمن بن أسعد بن زُرارة ، عن عائشة زوج النبى ﷺ أنها قالت : ما زلنا نسمع أن إسافا ونائلة رجل وامرأة من جُرهم زنيا فى الكعبة ، فمسخا حجرين ·

حدثنا أحمد ، نا يونس عن ابن إسحاق قال : فجاء عبد المطلب بالمِعول (٥) ، فقام ليحفر ، فقالت له قريش حين رأوا جده : والله لا ندعك تحفر بين صنمينا هذين اللذين ننحر عندهما ، فقال عبد المطلب لابنه الحارث : دعنى - أو : ذد عنى - حتى أحفر ، فوالله لأمضين لما أمرت به ، فلما رأوا منه الجد ، خلوا بينه وبين الحفر ،

(١) وقد اصطحب معه الحارث فقط لأنه لم يكن أنجب غيره وقتئذ وهو أكبر أعمام النبى ﷺ انظر السيرة النبوية لابن هشام بتحقيق طه عبد الرءوف سعد ط · مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ٢٣٦ ·

(٢) المقصود بقرية النمل أن زمزم هى عين مكة التى يردُها الحجيج والعمَّار من كل جانب فيحملون إليها البر والشعير وغير ذلك ، وهى لا تحرث ولا تزرع كما قال سبحانه وتعالى مخبراً عن إبراهيم عليه السلام ﴿ **ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع** ﴾ ، إلى قوله : ﴿ **وارزقهم من الثمرات** ﴾ وقرية النمل لا تحرث ولا تبذر وتجلب الحبوب إلى قريتها من كل جانب ، وفى مكة قال الله سبحانه : ﴿ **وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان** ﴾ ·

(٣) يروى أنهما كانا رجلا وامرأة من جرهم فعلا الفاحشة فى الكعبة فمسخهما الله حجرين فأقامهما أهل مكة للعبرة والاتعاظ وبمرور الزمان أصبحا وثنين مقدسين فى مكة ·

(٤) ذكر ابن هشام أن ابن إسحاق قال فى هذا الموضع : فزعموا أنه حين قيل له ذلك قال ، وأين هى ؟ قيل له عند قرية النمل حيث ينقر الغراب غدا ، والله أعلم أى ذلك كان · انظر سيرة ابن هشام تحقيق طه عبد الرءوف سعد · ط مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ١٣٥ ·

(٥) الفأس العظيمة التى يُنقر بها الصخر والجمع المعاول انظر مختار الصحاح تحقيق د · عبد الفتاح البركاوى ص ٢١٨ ·

فكفوا عنه ، فلم يمكث إلا قليلا حتى بدا له الطوى ، فكبَّر (١) · فعرفت قريش أنه قد صُدق وأدرك حاجته ، فقاموا إليه ، فقالوا : إنها بئر أبينا إسماعيل ، وإن لنا فيها حقًّا ، فأشركنا معك فيها ·

قال : ما أنا بفاعل ، وإن هذا لأمر قد خُصصتُ به دونكم ، وأُعطيته من بينكم ، قالوا : فأنصفنا ، فإنَّا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها ، قال : فاجعلوا بينى وبينكم من شئتم أخاصمكم إليه ، فقالوا : كاهنة بنى سعد بن هُذَيم ، قال : نعم ، وكانت بأشراف الشام (٢) ·

حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، قال : نا يونسُ عن ابن إسحاق قال : حدثنى يزيد بن أبى حبيب المصرى عن مرثد بن عبد الله اليزنى عن عبد الله بن زُرَير الغَافقى قال : سمعت على بن أبى طالب ، وهو يحدِّث حديث زمزم فقال : بينا عبد المطلب نائم فى الحجر ، أُتى ، فقيل له : احفر بَرَّة ، فقال : وما بَرَّة ؟ ثم ذهب عنه ، حتى إذا كان الغد نام فى مضجعه ذلك ، فأُتى ، فقيل له : احفر المضنونة ، فقال : وما المضنونة ؟ ثم ذهب عنه ، حتى إذا كان الغـد عاد فنام فى مضجعه ، فأتى ، فقيل له : احفر طيبة ، فقال : وما طيبة ؟ ثم ذهب عنه ، فلما كان الغد عاد لمضجعه فنام فيه ، فأتى فقيل له : احفر زمزم ، فقال : وما زمزم ؟ فقال : لا تنزف ولا تذف ، ثم نعت له موضعها (٣) ·

* * *

* قريش تُنازع عبد المطلب زمزم :

فقام فحفر حيث نُعت له ، فقالت له قريش : ما هذا يا عبد المطلب ؟ فقال : أمرتُ بحفر زمزم ، فلما كشف عنه ، وأبصروا الطوى ، قالوا : يا عبد المطلب إن لنا لحقًّا فيها ، إنها لبئر أبينا إسماعيل ، فقال : ما هى لكم ، لقد خُصصت بها

---

(١) ذكر ابن هشام هنا أن ابن إسحاق قال : فلما بُين له شأنها ودُل على موضعها وعرف أنه قد صُدق ، غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث بن عبد المطلب ليس له يومئذ ولد غيره فحفر فيها ، فلما بدا لعبد المطلب الطى كبَّر انتهى كلام ابن إسحاق · وتكبير عبد المطلب دليل على فطرته السليمة الخالصة ·

(٢) أى على حدود ومشارف الشام ·

(٣) أى وصف له مكانها ·

دونكم ، قالوا : فحاكمنا ، فقال : نعم ، فقالوا : بيننا وبينك كاهنة بنى سعد بن هُذيم ، وكانت بأشراف الشام ·

* التحاكم فى بئر زمزم :

فركب عبد المطلب فى نفر من بنى أبية ، وركب من كل بطن من أفناء قريش نفر ، وكانت الأرض إذ ذاك مفاوز فيما بين الشام ، والحجاز ، حتى إذا كانوا بمفازة من تلك البلاد ، فنى ماء عبد المطلب وأصحابه حتى أيقنوا الهلكة ، فاستسقوا القوم ، قالوا ما نستطيع أن نسقيكم ، وإنَّا لنخاف مثل الذى أصابكم ، فقال عبد المطلب لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : ما رأينا إلاَّ تَبع لرأيك ، قال : فإنى أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرته بما بقى من قوته ، فكلما مات رجل منكم ، دفعه أصحابه فى حفرته ، حتى يكون آخركم يدفعه صاحبه ، فضيعة رجل أهون من ضيعة جميعكم ، ففعلوا ·

ثم قال : والله إن لقاءنا بأيدينا للموت ، لا نضرب فى الأرض ونبتغى ، عجز · فقال لأصحابه : ارتحلوا ، فارتحلوا ، وارتحل ، فلما جلس على ناقته ، وانبعثت به ، انفجرت عين من تحت خفها بماء عذب ، فأناخ وأناخ أصحابه ، فشربوا ، واستقوا وسقوا ، ثم دعوا أصحابهم : هلموا إلى الماء ، فقد سقانا الله عز وجل ، فجاؤوا فاستقوا وسقوا ، ثم قالوا : يا عبد المطلب ، قد والله قُضى لك ، إن الذى سقاك هذا الماء بهذه الفلاة ، لهو الذى سقاك زمزم ، انطلق ، فهى لك ، فما نحن بمخاصميك (١) ·

حدَّثنا أحمد بن عبد الجبار : نا يونُس بن بُكير عن ابن إسحاق ، قال : فانصرفوا ومضى عبد المطلب فحفر ، فلما تمادى به الحفر ، وجد غَزالين من ذهب ،

---

(١) ذكر ابن هشام أن ابن إسحاق قال فى هذا الموضع ، فهذا الذى بلغنى من حديث على بن أبى طالب ﷺ فى زمزم ، وقد سمعت من يحدث عن عبد المطلب أنه قيل له حين أمر بحفر زمزم :

ثم ادع بالماء الرَّوىِّ غير الكدر   يسقى حجيجَ الله فى كل مبر
ليس يخاف منه شىء ما عَمَر

وهما الغزالان اللذان كانت جُرهم دفنت فيها حين أُخرجت من مكة ، وهى بئر إسماعيل بن إبراهيم ، التى سقاه الله عز وجل حين ظمىء ، وهو صغير (١) .

حدثنا أحمد : نا يونُس عن ابن إسحاق ، قال : حدثنى عبد الله بن أبى نَجيح ، عن مُجاهد ، قال : مازلنا نسمع أن زمزم همزة جبريل بعقبه لإسماعيل حين ظمىء (٢) .

حدثنا أحمد : نا يونُس ، عن سعيد بن مَيْسَرة البكرى ، قال : حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : لما طردت هاجر أم إسماعيل القبطية سارة ، ووضعها إبراهيم بمكة ، عطشت هاجر ، فنزل عليها جبريل ، فقال لها : من أنت ؟ فقالت : هذا ولد إبراهيم ، فقال : أعطشانة أنت ؟ قالت : نعم ، فبحث بجناحه الأرض ، فخرج الماء ، فأكبت عليه هاجر تشربه ، فلولا ذلك لكانت أنهارًا جارية .

أنا (٣) أحمد : حدثنا يُونُس ، عن ابن إسحاق ، قال : فلما حفر عبد المطلب زمزم ، ودله الله عز وجل عليها ، وخصه بها ، زاده الله عز وجل شرفًا وخطرًا فى قومه ، وعطلت كل سقاية كانت بمكة حين ظهرت ، فأقبل الناس عليها التماس بركتها ومعرفة فضلها ، لمكانها من البيت ، وأنها سُقيا الله عز وجل إسماعيل .

* فضل زمزم على سائر المياه :

حدثنا أحمد ، قال : ثنا يُونس عن طلحة بن يحيى ، عن عائشة بنت طلحة ، عن عائشة زوج النبى ﷺ أنها قالت : ماء زمزم طعام طعُم وشِفاء سُقم (٤) .

---

(١) ذكر البرقى عن ابن عباس أنها سميت زمزم لأنها زمت بالتراب لئلا يأخذ الماء يمينا وشمالاً ولو تركت لساحت على الأرض حتى تملأ كل شىء ، وقيل الزمزمة عند العرب الكثرة والاجتماع .

(٢) وذلك أن جرهم كانت تتولى أمر الزعامة فى مكة وولاية البيت فجاءت قبيلة خزاعة وقاتلت قبيلة جرهم حتى أخرجتها من مكة وصارت الزعامة لها حتى جاء قصى بنى كلاب فقاتل خزاعة قتالا شديداً وأخرجهم من مكة وولى أمر مكة والبيت وصارت الزعامة لقريش .

(٣) من رموز الحديث بمعنى أخبرنا .

(٤) ذكر ابن هشام هنا أن ابن إسحاق قال : فعفت (أى غطت على غيرها) زمزم على البئار التى كانت قبلها يسقى عليها الحاج وانصرف الناس إليها لمكانها من المسجد الحرام ، ولفضلها على ما سواها من المياه ، ولأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام . قال الشاعر مسافر بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف : =

* ما وجده عبد المطلب فى بئر زمزم :

حدثنا أحمد قال : ثنا يونُس ، عن ابن إسحاق قال : ووجد عبد المطلب أسيافًا مع الغزالين (١) ، فقالت قريش : لنا معك يا عبد المطلب فى هذا شـرك وحق ، فقال : لا ، ولكن هلموا إلى أمر نصف بينى وبينكم ، نضرب عليها بالقداح (٢) ، فقالوا : فكيف تصنع ؟ قال : أجعل للكعبة قدحين ، ولكم قدحين ، ولى قدحين ، فمن خرج له شىء كان له ، فقالوا : قد أنصفت ، وقد رضينا ، فجعل قدحين أصفرين للكعبة ، وقدحين أسودين لعبد المطلب ، وقدحين أبيضين لقريش ، ثم أعطوها الذى يضرب بالقداح ، وقام عبد المطلب يدعو الله ويقول :

اللَّهُم أَنتَ المَلكُ المحمودُ ربِّى وأَنتَ المُبـــدئ المعيدُ
وَمُمْسِكُ الراسية الجَلمُودُ منْ عِندك الطَّـارف والتَّلِيدُ
إنْ شئتَ أَلهمـتَ مَا تُريدُ لِموضعِ الحِلْيَة والحَـــديد
فَبيِّن اليـومَ لِمَـــا تُرِيدُ إنى نَذرتُ عَاهد العُهـــود
أجعله ربِّى فَلا أَعودُ

وضرب صاحب القداح ، فخرج الأصفران على الغزالين للكعبة ، فضربهما عبد المطلب فى باب الكعبة ، فكانا أول ذَهب حُلِيَتْهُ ، وخرج الأسودان على السيوف والأدراع لعبد المطلب فأخذها ٠

وكانت قريش ومن سواهم من العرب إذا اجتهدوا فى الدعاء ، سجعوا وأَلَّفوا الكلام ، وكانت فيما يزعمون قَلما [٣] تُرد إذا دعا بها داع ٠

حدثنا أحمد قال : نا يونُس عن ابن إسحاق ، قال : حدثنـــى عبد الله بن

= ورثنا المجد من آبا ثنا فمشى بنا صـعدا
وزمزم فى أرومتنـا ونفقا عين من حسدا

انظر السيرة النبوية لابن هشام ٠

(١) قال ابن إسحاق عن هذين الغزالين إنهما اللذان دفنت جُرهم فيها حين خرجت من مكة ٠ انظر سيرة ابن هشام بتحقيق طه عبد الرءوف سعد ٠ ط ٠ دار الجيل ١ / ٢٨٢ ٠

(٢) القداح هو السهم قبل أن ينصل ، والجمع القِدْحُ انظر لسان العرب ٥ / ٣٥٤٢ ط٠ دار المعارف ٠

(٣) أى نادراً ٠

أبى نجيح ، عن عبد الله بن عُبيد بن عُمير عن عبد الله بن خريّت - وكان قد أدرك الجاهلية - قال : لم يكن من قريش فخذ إلاّ ولهم ناد معلوم فى المسجد الحرام ، يجلسونه ، فكان لبنى بكر مجلس تجلسه ، فبينا نحن جلوس فى المسجد ، إذ أقبل غلام ، فدخل من باب المسجد مسرعًا حتى تعلق بأستار الكعبة ، فجاء بعده شيخ يريده ، حتى انتهى إليه ، فلما ذهب ليتناوله يبست يداه ، فقلنا ما أخلق هذا أن يكون من بنى بكر ، فتحقبناه العرب مع ما تحدَّث به عنا ، فقمنا إليه ، فقلنا : ممن أنت ؟ فقال : من بنى بكر ، فقلنا : لا مرحبًا بك ، ما لك ولهذا الغلام ؟ فقال الغلام (١) : ولا والله ، إلا أن أبى مات ونحن صبيان صغار ، وأُمنا مؤتمة لا أحد لها فعاذت بهذا البيت فنقلتنا إليه وأوصت فقالت : إن ذهبت وبقيتم بعدي فظلم أحد منكم ، أو ركب بكم أمر ، فمن رأى هذا البيت فليأته فيتعوذ به فإنه سيمنعه ، وإن هذا أخذنى واستخدمنى سنين ، واسترعانى إبله ، فجلب من إبله قطيعًا ، فجاء بى معه ، فلما رأيت البيت ذكرت وصاة أمى ، فقلنا : قد والله أرى منعك ، فانطلقنا بالرجل ، وإن يديه لمثل العصوين قد يبستا ، فأحقبناه (٢) على بعير من إبله ، وشددناه بالحبال ، ووجَّهنا إبله ، وقلنا : انطلق لعنك الله .

حدثنا أحمد قال : أنا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه القاسم بن محمد عن أبى بكر أنه قال : كنت امرءًا تاجرًا ، فسلكت ثَنية فى سفر لى ، فإذا رجل منها يقول : أتؤمنى أؤمنك ؟ فقلت : نعم ، فقال : أدنه ، فأتيته ، فإذا هو نهيش قد أنيبته حية أصابته ، فقال : يا عبد الله هل أنت مُبلغى إلى أهلى ها هنا ، تحت هذه الثنية ؟ فقلت : نعم ، فاحتملته على بعيرى ، فأتيت به على أهله ، فقال لى رجل من القوم : يا عبد الله ممن أنت ؟ فقلت : رجل من قريش ، فقال : والله إنى لأظنك مصنوعًا لك ، والله ما كان لص أعدى منه .

قال : وأضلتنى ناقة لي قد كنت أعلفها العجين ، فلما أيست منها ، اضطجعت عند رحلى ، وتقنَّعت بثوبى ، فوالله ما أهبنى إلاّ حس مشفرها تحرك به قدمى ، فقمت إليها ، فركبتها .

(١) واضح أن جواب الشيخ البكرى سقط من الأصل كما سقط أيضا بداية جواب الغلام .

(٢) أى أردفناه ، أحقب الرجل أردفه (انظر المعجم الوجيز ص ١٦٢) .

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس عن ابن إسحاق ، قال : حدثنى من سمع عكْرمة يذكر عن ابن عباس قال : بينا (١) أنا جالس عند عمر بن الخطاب ، وهو يعرض الناس على ديوانهم ، إذ مرَّ شيخ كبير أعمى يجبذ قائده جبذًا شديدًا ، فقال عمر : ما رأيت كاليوم منظرًا أسوأ .

قال : فقال له رجل : يا أمير المؤمنين هذا ابن صَبْغاء البهزى ، ثم السُّلَمى بَهيك بريق ، فقال عمر : قد أعلـــم أن بريقًا لقب ، فما اسم الرجل ؟ قالوا : عِياض ، قال عمر : ادعوا لى عِياضًا ، فدعى ، فقال : أخبرنى خبرك وخبر بنى صبغاء - وكانوا عشرة نفر .

فقال عِياض : شىء كان فى الجاهلية قد جاء الله بالإسلام ، فقال عمر : اللهم غفرًا ، ما كان أحرانا نتحدَّث عن أمر الجاهلية منَّا حين هدانا الله عز وجل للإسلام ، وأنعم علينا به ! فقال : يا أمير المؤمنين كنت امرءًا قد نفانى أهلى ، وكان بنو صبغاء عشرة ، وكانت بينى وبينهم قرابة وجوار ، فتنقصونى ما بى وتذللونى ، فسألتهم بالله والرحم والجوار إلا ما كفوا عنى ، فلم يفعلوا ، ولم يمنعنى ذلك منهم ، فأمهلتهم حتى دخل الشهر الحرام ، ثم رفعت يدى إلى الله عز وجل فقلت :

اللَّهُمَّ أدعوكَ دُعـــاءً جَاهدَا ... اقتُل بَنى الصَّبغاء إلاَّ وَاحدَا

ثُم اضرِب الرجلَ فَذَرهُ قَاعدَا ... أعمى إذا ما قيد عنِّى القَائدَا

فتتابع منهم تسعة فى عام واحد ، وضرب الله عز وجل هذا ، وأعمى بصره ، فقائده يلقى منه ما رأيت ، فقال عمر : إن هذا لعجب .

فقال رجل من القوم : يا أمير المؤمنـــين شأن أبى تقاصف الخناعى ، ثم الهُذلى ، وإخوته أعجب من هذا ، فقال عمر : وكيف كان شأن أبى تقاصف وإخوته ؟ فقال : كان لهم جار هو منهم بمنزلة عياض من بنى صَبغاء ، فتنقَّصوه وتذللوه فذكَّرهم الله والرحم والجوار ، فلم يعطفهم ذلك عليه ، فأمهلهم حتى إذا دخل الشهر الحرام ، رفع يديه ثم قال :

---

(١) بمعنى بينما .

اللَّهُمَّ رَبَّ كل آمن وخَائِفْ　　وسَامِعَ هتَاف كُلِّ هَاتفْ
إنَّ الخنَاعِى أبا تَقاصِفْ　　لَم يُعطِنى الحقَّ ولَم يُنَاصِفْ
فَاجمع لهُ الأَحِبةَ الألاَطِفْ　　بَين قِران ثم والتواصِفْ

قال فنزلوا فى قَلِيب (١) لهم يحفرونه حيث وصف ، فتهور عليهم ، فإنه لقبرهم إلى يومهم هذا .

فقال رجل من القوم : شأن بنى مؤمل من بنى نصر أعجب من هذا ، كان بطن من بنى مُؤَمل ، وكان لهم ابن عم قد استولى على أموال بطن منهم وراثة (٢) فألجأ نفسه وماله إلى ذلك البطن ، فتنقصوا ماله وتذللوه وتضعفوه ، فقال : يا بنى مُؤمل ، إنى قد ألجأت نفسى ومالى إليكم لتمنعونى ،وتكفُّوا عنى ، فقطعتم رحمى ، وأكلتم مالى وتذللتمونى ، فقام رجل منهم يقال له رياح ، فقال : يا بنى مؤمل صدق ، فاتقوا الله فيه وكفوا عنه ، فلم يمنعهم ذلك منه ، ولم يكفوا عنه ، فأمهلهم حتى إذا دخل الشهر الحرام وخرجوا عُمَّارا (٣) ، رفع يديه فقال :

اللَّهُمَّ زِلَّهمْ عَنْ بَنِى مُؤَمَلْ　　وَارم على أقفَائِهمْ بِمنكَلْ
بِصَخْرة أو بعضِ جَيشٍ جَحفلْ　　إلاَّ رِياحًا إنه لَم يَفْعَلْ

فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق نزلوا إلى جبل فأرسل الله عز وجل من رأس الجبل صخرة تجر ما مرت به من حجر أو شجر ، حتى دكتهم (٤) به دكة واحدة ، إلاَّ رياحًا وأهل خبائه (٥) ، لأنه لم يفعل .

فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إن هذا للعجب ، لمَ ترون هذا كان ؟ فقالوا : يا أمير المؤمنين أنت أعلم ، فقال : أما إنى قد علمت ذاك ، كان الناس أهل

---

(١) القَلِيب : البئر والجمع قلب انظر المعجم الوجيز صـ ٥١٢ .

(٢) هكذا فى الأصل وقد تكون « ورثوها » أو أن فعله هذا وراثة عن أبيه والله أعلم .

(٣) يريدون أداء العمرة .

(٤) أى أهلكهم وأماتهم وسوَّاهم بالأرض .

(٥) أى من معه من أهله .

الجاهلية لا يعرفون ربًّا ولا بعثًا ، ولا قيامة ولا جنة ، ولا نارًا ، فكان الله عز وجل يستجيب لبعضهم على بعض ، للمظلوم على الظالم ، ليكف بذلك بعضهم عن بعض ، فلما بعث الله عز وجل هذا الرسـول ، وعرفوا الله عز وجل والبعث والقيامة ، والجنة والنار ، وقال الله عز وجل : ﴿ **بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر** ﴾ [1] فكانت المدد والإملاء [2] .

* * *

(١) سورة القمر : الآية ٤٦ .

(٢) أى الإمهال وتأخير الحساب للآخرة ،فالله يمهل ولا يهمل .

نَذْر عبد المطَّلب

حدَّثنا أحمد بن عبد الجبار قال : نا يونُس بن بُكير عن ابن إسحاق قال : وكان عبد المطلب بن هاشم فيما يذكرون ، قد نذر حين لقى من قريش - عند حفر زمزم - ما لقى : لئن وُلِدَ له عشرة نفر ، ثم بلغوا معه حتى يمنعوه ، ليَنحرن أحدهم لله عز وجل عند الكعبة ، فلما تَوافى بنوه عشرة : الحارث ، والزبير ، وجُحل ، وضِرار ، والمقوِّم ، وأبو لهب ، والعبَّاس ، وحمزة ، وأبو طالب ، وعبد الله ، وعرفَ أنهم سيمنعونه ، جمعهم ثم أخبرهم بنذره الذى نذر ، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك ، فأطاعوا له ، وقالوا له : كيف تصنع ؟ فقال : يأخذ كل رجل منكم قدحًا ، فيكتب فيه اسمه ، ثم تأتونى ، ففعلوا ، ثم أتوه ، فدخل بهم على هُبل فى جوف الكعبة ، وكان هُبل عظيم أصنام قريش بمكة ، وكان على بئر فى جوف الكعبة ، وكانت تلك البئر التى يجمع فيها ما يهدى للكعبة ، وكان عند هُبل سبعة أقداح (١) ، فى كل قدح منها كتاب ، قدح فيه « العقل » (٢) ، إذا اختلفوا فى العقل من يحمله (٣) منهم ضربوا بالقداح السبعة ، فعلى من خرج حمله ، وفيها قدح « الغفل » (٤) ، وقدح فيه « نعم » للأمر إذا أرادوه ضرب به فى القداح ، فإن خرج قدح « نعم » ، عملوا به ، وقدح فيه « لا » ، فإذا أرادوا أمرًا ضربوا به فى القداح ، فإذا خرج ذلك القدح ، لم يفعلوا ذلك الأمر ، وقدح فيه « منكم » وقدح فيه « من غيركم » وقدح فيه « ملصق » وقدح فيه « المياه » فإذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقداح ، وفيها ذلك ، فحيثما خرج عملوا به ، وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلامًا ، أو ينكحوا منكحًا ، أو يدفنوا ميتًا ، أو شكُّوا فى نسب أحد منهم ، ذهبوا به إلى هُبل ، وذهبوا معهم بجزور ومائة درهم إلي صاحبه (صاحب القداح) التى يضرب بها ، فأعطوها إياه ، ثم قربوا صاحبهم الذى يريدون به ما يريدون ، وقالوا : اضرب ، اللهم أخرج على يديه اليوم الحق ، ثم استقبلوا هُبل ، فقالوا : يا إلهنا ، هذا فلان ابن فلان كما زعم أهله ، يريدون كذا وكذا ، فإن كان كذلك فأخرج فيه « الغفل » ، أو « نعم » أو « منكم » وأقبل هديته ، فإن خرج من هؤلاء

---

(١) سبق تعريفها . (٢) أى الدية .

(٣) أى يتحمله . (٤) أى بدون كتابة .

الثلاثة كتب فى قومه وسيطًا (١) ، وإن خرج عليه « من غيركم » كان حَليفًا ، وإن خرج عليه « ملصق » كانت منزلته فيهم لا نسب ولا حلف ، وإن خرج فيه شىء مما سوى هذا مما يعملون به « نعم » عملوا به ، وإن خرج « لا » أخروه عامه ذلك حتى يأتوا به مرة أخرى ، ينتهون من أمورهم إلى ذلك مما خرجت به القداح .

* عبد المطلب يحتكم إلى القداح :

فقال عبد المطلب : اضرب على بنىَّ هؤلاء بقداحهم هذه ، وأخبره بنذره ، وأعطاه كل رجل منهم قدحه الذى فيه اسمه ، وكان عبد الله بن عبد المطلب ، أبو رسول الله ﷺ أصغر بنى أبيه (٢) ، كان هو والزبير وأبو طالب لفاطمة بنت عَمرو بن عَائذ بن عبد الله بن عُمران بن مَخزوم ، وكان - فيما يزعمون - أحب ولد عبد المطلب إليه ، وكان عبد المطلب يرى أن السهم إذا أخطأه فقد أشوى (٣) ، فلما أخذ صاحب القِداحِ القداحَ ليضرب بها ، قام عبد المطلب عند هُبَل يدعو ويقول :

اللَّهُمَّ لا يَخرجْ عليه القِدْح ... إنى أَخافُ أَن يكون قَدْح
إنْ كَان صَاحبى للذَّبح ... إنى أَراهُ اليوم خَيْرَ قِدْح
حَتى يكون صَاحبى للمِنْح ... يُغْنِى عَنِى اليوم كَل سَرْح

* خروج القدح على عبد الله :

فخرج القدح على عبد الله ، فأخذ عبد المطلب بيده ، وأخذ الشفرة (٤) ، ثم أقبل به إلى إساف ونائلة ، الوثنين اللذَين تنحر عندهما قريش ذبائحها ، ليذبحه ، فقامت إليه قريش من أنديتها ، فقالوا : ماذا تريد يا عبد المطلب ؟ فقال : أذبحه ، وأنشأ يقول :

عَاهَدْتُ رَبِّى وأَنَا مُوفٍ عَهْدَهُ ... أَيامَ أَحْفُرُ وَبَنِىَّ وَحْدَهُ

(١) وسيطًا : أى خالص النسب أو شريفًا فى قومه .

(٢) أى حين أراد نحره ثم وُلد له بعد ذلك حمزة والعباس لأن حمزة أصغر من عبد الله والعباس أصغر من حمزة .

(٣) أى أبقى انظر القاموس المحيط ٢ / ٧٨١ .

(٤) الشفرة : السكين العظيم انظر القاموس المحيط ٢ / ٦٣ .

وَاللهِ لاَ أحمدُ شَيــــئًا حَمْدَهُ ... كَيف أُعَادِيــه وأَنـــــا عَبْدهُ
إِنِّى أَخافُ إِنْ أَخَّـرتُ وَعْـــدَهُ ... أَنْ أُضلَّ إِنْ تَركــــتُ عَهْدَهُ
مَا كُنْتُ أَخشَى أَنْ يكـــونَ وَحْدَهُ ... مثْل الذى لَقيتُ يَــومًا عِـــنْدَهُ
أَوجَعَ قَلبـــى عِنْدَ حَفْرِى رَدَّهُ ... وَاللهِ رَبِّى لاَ أعيـــشُ بَعْــدَهُ

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس عن ابن إســحـاق قال : ذكروا أن العباس بن عبد المطلب اجتره من تحت رجل أبيه حتى خدش وجه عبد الله خَدَشًا ، لم يزل فى وجهه حتى مات .

* **عبد المطلب يحاول ذبح ابنه وقريش تمنعه :**

قال ابن إسحاق : فقالت قريش وبنوه : والله لا تذبحه أبدًا ونحن أحياء حتى نعذر فيه ، لئن فعلت هذا لا يزال رجل يأتى بابنه حتى يذبحه ، فما بقاء الناس على ذلك .

قال ابن إسحاق : وقال المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم - وكان عبد الله بن عبد المطالب ابن أخت القوم - : والله لا تذبحه أبدًا حتى نعذر فيه ، فإن كان فداء ، فديناه بأموالنا ، وقال فيما يزعمون فى ذلك شعرًا حين أجمع عبد المطلب فى ذبح عبد الله بما أجمع :

واعَجَبى مِنْ قَتْلِ عَبد المطَّلبْ ... وَذبحه خرقًا كَتمثالِ الذَّهَبْ
يَا شَيبَ لاَ تَعجلْ عَلينا بالعَجبْ ... فَما ابْننا بِشرطِ القوم النَّجبْ
ولاَ ابنكُم بالْمستذَلّ المغْتَصبْ ... نُفَاديه بالمال حَتى نُختَربْ
فَسَوف أَفديه بمالى والسَّلَبْ ... وَسوف ألقى دُونَه من الغَضبْ
أشوس آباء قَبيحات الخطَبْ ... مَا ذبح عبد الله فينا باللَّعبْ
ذَبحًا كما يُذْبَح مَعتُوبى النُّصب ... كَلاَّ ورَب البيَت مَستَور الحُجَبْ
لاَ يَعجَل المَذبوح حَتى نَضْطَرب ... ضَربًا يزيل الهَام من بعْد الغضَبْ
بِكُل مَصقُولِ رَقيق ذى شَطَبْ ... كَالبرقِ أو كالنارِ فى الثوبِ العَطبْ

قال أبو عمرو : ويقال : القطب والعطب ، القطن .

قال ابن إسحاق : وقد قال أبو طالب حين أراد عبد المطلب ذبح عبد الله - وكان ابن أمه - وحين قال الغميرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ما قال :

كَلاَّ ورَبِّ البيـــتِ ذي الأنْصابِ   ورَبِّ مَا أنْضَى مَـــــنَ الركابِ
كُل قَريبِ الـــدارِ أو مُنْتابِ   يَزورُ بَيْتَ الله ذَا الحجَـــابِ
مَا قَتْلُ عَبْدِ الله باللِّعـــابِ   مِنْ بَين رَهْطٍ عُصبةٍ شَبابِ
ابن نساءِ سِطة [1] الأنســـابِ   أَغر بينَ البيضِ مِنْ كلابِ
وَبين مَخْزومٍ ذَوى الأحْسَـــابِ   أَهْلِ الجِيَادِ القَبِّ والقِبـــابِ
لَستم عَلى ذَلـــك بالأذنابِ   حَتى تَذوقوا حَمس الضِّرابِ
بِكُل عصْبٍ ذَائب اللعـــابِ   ذِى رَوْنقٍ فى الكف كالشِّهابِ
تَلقاه فى الأقرانِ ذَا أنداب   إن لم يجعل أجـــل الكتَابِ
قلت وما قـــولى بالمعَابِ   يَا شيب إنَّ الجورَ ذُو عقابِ
إنَّ لنَا إنْ جَرت فى الخطابِ   أخْوال صِدْقٍ كأُسُود الغَابِ
لَنْ يُسْلِموهُ الدَّهرَ للعذَابِ   حَتى يَمصَّ القَاعَ ذُو الترابِ
دماءَ قَوْمٍ حَرم الأسلابِ

فقال عبد المطلب عند ذلك :

اللهُ ربِّـــــى وَأنَا مُوفٍ نَذْرَهُ   أَخافُ ربِّى إنْ عَصَيْتُ أمـــرهُ
وَالله لاَ يَقـــدرُ شَىءٌ قَدْرَهُ   فَهو وَلِيِّى وإليـــــه عُمرهُ
هَذا بُنَىَّ قَـــد أَردتُ نَحرهُ   فإن نُؤخِّره وتُقْبـــل عُذْرَهُ
وَتصْرِفِ المـــوتَ لَهُ وَحَذَرَهُ   وَتصْرِف المـــوتَ فَلا يَضرُهُ
مِنْ جَهدِ إنسَـــان وَلا تَعرُه   سواكَ رَبِّى ويكـــونَ قَرهُ
لِكُلِّ عَـــينٍ نَاظِرٌ تُسرهُ   أَعْطيتَهُ رَبٌّ فَـــلا تَعرهُ
لحزَن يوجـــعنى مَسرهُ

---

(١) السطة : النسب العريق .

* ما أشارت به عرَّافة الحجاز على عبد المطلب :

فقالت له قريش وبنوه : لا تفعل وانطلق إلى الحـــجاز فإن به عرَّافة يقال لها نجاح (١) ، لها تابع فسلها ، ثم أنت على رأس أمرك ، فإن أمرتك بذبحه ، ذبحته ، وإن أمرتك بغير ذاك مما لك وله فيه فرج قبلته ، فقال : نعم .

فانطلقوا حتى قدموا المدينة ، فوجدوها فيما يزعمون بخيبر ، فركبوا حتى جاءوها ، فسألوها ، وقص عليها عبد المطلب شأنه وشأن ابنه وما كان نذر فيه ، فقالت لهم : ارجعوا عنى اليوم حتى يأتينى تابعى ، فأسأله ، فخرجوا من عندها ، وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل ويقول :

يَا رَبِّ لاَ تُحقِّق حَـــذَرِى وَاصْرِفْ عَنه شَرَّ هَذَا القَدَرِ
فَإِنِّى أَرجُو لِمـــا قَد أَذَرِ لأَن يكون ســيداً للبَشَرِ

ثم غدوا إليها ، فقالت : نعم ، قد جاءنى الخبر ، فكم الدية فيكم ؟ فقالوا : عشرة من الإبل (٢) ، وكانت كذلك ، فقالت : فارجعوا إلى بلادكم ، فقدموا صاحبكم ، وقدموا عشراً من الإبل ، ثم اضربوا عليها بالقداح ، فإن خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم عز وجل ، فإذا خرجت القداح على الإبل ، فقد رضى ربكم ، فانحروها عنه ، ونُجِّى صاحبكم .

فخرجوا حتى قدموا مكة ، فلما أجمعوا لذلك الأمر ، قام عبد المطلب يدعو الله عز وجل ، ويقول :

اللَّهُمَّ إنكَ فَاعـــلٌ لَمَا تُرِدْ إنْ شِئْتَ أَلْهَمْتَ الصَّوابَ والرَّشَدْ
إنِّى مُوَاليكَ عَلى رَغْـــمِ معَدْ وسَـــاقى حَجِيْجكَ الأَبَـــدْ
أَوَرثَنِى سُقياهم أَبى وَجَـــدْ فَإِنَّ وَجْدِى فَاعلمـــن وَجْدُ وَجدْ
أَنْتَ الذى تَعْلَم كُل صَـــمدْ فَلا تُحقق حَـــذَرِى بَـــولدْ
واجعل فِداه فى الجلاه الجـعدْ

---

(١) قيل اسمها : قطبة ، ذكرها عبد الغنى فى كتاب الغوامض والمبهمات ، وذكر ابن إسحاق فى رواية يونس أن اسمها : سجاح .

(٢) وهذا دليل على أن الدية كانت عشرة من الإبل وأن عبد الله جعلها مائة فهو أول من وُدِىَ بمائة من الإبل .

حدثنا أحمد بن عبد الجبَّار قال : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : فلما قربوا عبد الله وعشرًا من الإبل ، وعبد المطلب فى جوف الكعبة يدعو ويقول :

اللَّهُم رَبُّ العَشْرِ بعد العَشْرِ ... وَرَبُّ مَن يأتى بِكُلِ نَذْرِ
أَنْجِ عَبْدَ اللهِ عَنْدَ النَّحْـــرِ ... ونَجِّهِ مِنْ شَفْعِهَا وَالوَتْرِ

ثم ضربوا ، فخرج السهم على عبد الله ، فزادوا عشرًا ، فبلغت الإبل عشرين وقام عبد المطلب يدعو ويقول :

يَا رَبٍّ عِشْرِين وربِّ الشَّفْـــعِ ... أَنْجِ عِبْدَ اللهِ رَب النَّـــفْعِ
مِنْ ضَرْبَةِ القِدْحِ التى فِى الجِذْعِ ... وَأَعْطِه الرَّفْعَ الذى فِى الرَّفْعِ
وَلا يكونَ ضَرَبَـــــهُ كَاللذْعِ ... كَلَذْعَةِ النَّارِ التى فى السَّـفْعِ

ثم ضربوا ، فخرج الســهم على عبد الله ، فزادوا عشرًا ، فبلغت الإبل ثلاثين ، وقام عبد المطلب يدعو الله ويقول :

رَبُّ الثَّلاثِينَ ولِـــىُّ النِّعَمْ ... امْنن أَنْ نُــــصَابَ بِالدَّمْ
هَذا الغُلاَمُ جُنَّةٌ لَـــم يَعْلَمْ ... فَطار قَلبِى فَهوــ مثِل المَغرمْ
لذكر عَبْدِ اللهِ حَتى يَســـْلَمْ ... وَتُنْحَرِ الذَّودُ التى لـم تُقْسَمْ
وَنَجِه مِنْ ضَرَبةٍ لم تكْلَمْ

ثم ضربوا ، فخرج السهـــم على عبد الله ، فزادوا عشرًا ، فبلغت الإبل أربعين ، فقام عبد المطلب يدعو الله ويقول :

اللَّهُمَّ رَب الأربعين إذْ بَلغتْ ... أَنْجِ بَنِىَّ مِنْ قداح كُتِبَتْ
وَانْحَرِ الذُّودَ التى هـــملتْ ... وَجُلِّلَتْ فى قَتلـه وذيخَتْ
بَلِّغْ رِضَاك ربَّنا إذ جعــلت ... عَدْلَ بَنِى عَبْد مَناف وَقَعَتْ

ثم ضربوا فخرج السهم على عبد الله ، فزادوا عشرًا ، فبلغت الإبل خمسين وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل ويقول :

يَا رَبٍّ خَمسِينَ سِمَان بُدْن ... مِنْ كُل كَوْمَاءَ لَه لم تُعْطَنْ
إلا لِرَبٍّ مَاجِـــد مُمَكِّنْ ... أَنْجِ عَبْـدَ اللهِ رَب الأركن
وانْحَرِ الذُّودَ التى لم تَسْكُنْ

ثم ضربوا ، فخرج السهم على عبد الله ، فزادوا عشراً ، فبلغت الإبل ستين وقام عبد المطلب يدعو ويقول :

اللَّهُمَّ رَب الستِّينَ ورَب المَشْعَرْ   ورَب مَنْ حَـجَّ لَهُ وَكَبَّرْ
يَسْعَى لِربٍّ قَادر ليـــغفِرْ   أَنْجِ عَبْدَ الله عنْـدَ المَنْحَرْ
وَعافِه مِنْ ضَرْبَةٍ لا تُـــجبَرْ   لِتَبلغ العَظْمَ بِها فَيُكْـسرَ

ثم ضربوا ، فخرج السهم على عبد الله ، فزادوا عشراً ، فبلغ الإبل سبعين ، وقام عبد المطلب يدعو ويقول :

يَا رَبِّ سَبْعِينَ له قد جُمِعتْ   فَاذبح الذَّودَ التـى قد عُطِّلتْ
وَحُسِبَتْ فِى قَتْله وخيِـستْ   وأخرِج السَّـهم لَها إذ بُذِلَتْ
حتَى تكُونَ دِيَة قد كَمُلَـتْ   عَنْ مَقْتُــول لَه إذ قبلَتْ

ثم ضربوا ، فخرج السهم على عبد الله ، فزادوا عشراً ، فبلغت الإبل ثمانين وقام عبد المطلب يدعو ويقول :

يَا رَبَّ الثمانين ورَبَّ الإهلالْ   ورَبَّ مَنْ يَأتيكَ للإجْـــلالْ
اجعَل فِدَاء ولَدِى ذُود أبَـالْ   سَوفَ تَرى شُكْرِى عِنْدَ الإحلاَلْ
كَشُكْرِ مَنَ يَسْعَـى بِغَيرِ أَنْعَالْ   أمنِنْ به عَلَيَّ رَبَّ الأفْـضَالْ

ثم ضربوا ، فخرج السهم على عبد الله ، فزادوا عشراً ، فبلغت الإبل تسعين وقام عبد المطلب يدعو ويقول :

يَا رَبَّ تسعينَ ورَبَّ المشْـرعْ   وَرَبَّ مَنْ يَدْفَعُ عِنْـدَ المدفَعْ
حَتَى يُجِيزُوا مَعْشَراً للمَجْمَعْ   أَنْجِ لِى عَبْدَ الله عَنْد الأذْرَعْ
وَنَجِّه من ضَرْبَةٍ لاَ تُرْجِعْ

ثم ضربوا ، فخرج السهم على عبد الله ، فزادوا عشراً ، فبلغت الإبل مائة وقام عبد المطلب يدعو ويقول :

اللَّهُمَّ رَبَّ مَائَة تُقْسَـمْ   وَرَبَّ مَن يَهْوِى بكُلِّ مَعْلَم
وَرَبَّ مَنْ أهدَى لِكَل مَحْرَمْ   قَد بَلَغَتْ مَائَةٌ لَمْ تُقْسَـم
أرْغِم أعدَائِى بَها ليرغَموا

ثم ضربوا ، فخرج السهم على الإبل ، فقالت قريش ومن حضره : قد رضى ربك ، وخلص لك ابنك .

* نجاة عبد الله من الذبح :

حدثنا أحمد بن عبد الجبار قال : نا يونُس عن ابن إسحاق قال : فذكروا أن عبد المطلب قال : لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرات ، فضربوا على الإبل وعلى عبد الله ، وقام عبد المطلب يدعو ويقول :

اللَّهُمَّ أَنتَ هَدَيتنـــى لِزَمْزَمَ   إنَّ بُنَىَّ أَحَبُّ مَنْ أن تكلم
فَلا تُرينيه الغَـــداة فى الدَّمْ   فَإِن حُزْنِى يُدخِل فى الأَعْظمْ
فَاجعل فِدَاه مَائة لَـــم تُقْسَمْ   حَتَّى نُفَادِيه بكُـــل أَعْجَمْ
امنن علـــىَّ ذا الجلاَل المُنعِم   وَأَوْقِعِ المــوتَ لِذُود عتم
وثُمَّ رَبٌّ فَاجْعَـــلَنَّ مَا تَمْ   ثُم اصْرِف الموتَ إليها يَسْلَمْ
بَحَوْلك اللَّهُـــمَّ عَيْش خَرمْ   وأَنتْ إنْ سَلمتَهُ لَـــمْ يكْلَمْ
فَبَلِّغ العَيْـــشَ به فَيَهْـــرَمْ   حَتى أَراهُ عِنْـــدَ كلِ مَقْدمْ
يُبَيِّنُ الخَيرَ لِمَـــن توسَّمْ

ثم ضربوا ، فخرج السهم على الإبل ، ثم أعادوا الثانية ، وعبد المطلب مكانه عند هُبل ، فلما أرادوا أن يضربوا ، قال :

يَا رَبُّ لاَ تُشْمتْ بِى الأَعَادى   إن بــنِىَّ ثَمــــرةُ فُؤَادى
فَلا تَسيل دَمَهُ فِى الوَادِى   وَاجْعَل فِدَاهُ اليَوم من تلادَى
ذَودٌ لقـــاح بُدَّنًا أَندَادى   حَتى تكـــون فدْية الأولاد
وَلا تُرَثِّنيـــه الأَذْواد   إن بنَىَّ رَبٌّ لَمْ يُفَــادى
لَكن يَميــــن قَسَّمَ الجَوادِ   فَقَدْ تَرانى رَبٌّ لَـــم أُضَادى

ثم ضربوا ، فخرج السهم على الإبل ، ثم أعادوا الثالثة ، وقام عبد المطلب يدعو ويقول :

يَا رَبٌّ قَدْ أَعْطَيْتنى سُؤالى ... أَكْثَرتُ بَعْـــدَ قلَّة عيالى
فَاجْعَل فداهُ اليَوم جُلَّ مَالى ... مُعْلات تَســحَبُ الأَجْلاَل
وَلا تُرِيـــنَهُ بشَرٌّ حَال ... فَإنه يُدْخلُنـــى سُلاَلَى
بِأَن يكـــون النَّحْرللهلال ... أو تَصرِفَ الموتَ فَلا أُبَالى
عَن ابنى الأَصْغَرِ ذَا الجَلال ... أَنْتَ الولىُّ الْمُنعِمُ المفضَال
فَأَنعِم اليَـــومَ لِذَاك بَالى ... فَإِنَّه قَدْ نَـــزل المَوالى
كُلهُمُ يَبكـــى مَن ... كَل فَتَى أَبيَض كَالهـــلال

وقالت آمنة أم النبى ﷺ (١) :

يَا رَبٌّ بَارِك فَى الغُلامِ الأَزْهَرْ ... فِى الهَاشِمِّى وَالْكَرِيمِ العُنْصُرْ

ثم ضربوا بالقداح على الإبل ، فنحرت ، ثم تركت لا يُصد عنها أحد (٢) .

* * *

(١) هذا ليس حقه أن يأتى هنا والمفروض أن يأتى بعد ذكر ميلاد النبى ﷺ ولكن تركناه التزاما بالترتيب حسب أصل المخطوطة .

(٢) هنا يظهر التكلف والاختراع على هذه القصة شديد الوضوح ، وهى كما يبدو اخترعت من قبل أكثر من إنسان وعبر فترات طويلة ، ويبدو أيضًا أن فكرتها مستوحاة من القرآن حيث تم ذكر النبى إبراهيم مع قصة ذبحه ابنه ومسألة الفداء ، ولا شك أن هذه الرواية استهدفت رفع مكانة النبى محمد ﷺ والعناية الخاصة التى أحيط بها والده ، ومن الأدلة على اختراعها انعدام الأضاحى البشرية فى مجتمع مكة لما قبل الإسلام ، ذلك أن القرآن لم يشر لوجود مثل هذه العادة كما لم يشر من جهة ثانية إلى حادثة من هذا القـــبيل وقعت لأبى النبى ، والمشكلة العويصة فى هذه الرواية هى الشعر ، فهو منظوم ركيك محال ضبطه وبالتالى من العبث شرح كلماته ، وسبق لابن هشام أن واجه هذه المسألة حين أورد هذه القصة فحذف الشعرّ وقال : وبين أضعاف هذا الحديث رجز لم يصح عندنا عن أحد من أهل العلم بالشعر . انظر سيرة ابن هشام ط . مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ١٤٣ تحقيق طه عبد الرءوف سعد .

تزويج عبد الله بن عبد المطلب

• عبد الله يرفض المرأة التي عرضت نفسها عليه :

حدثنا أحمد بن عبد الجبار قال : نا يُونُس ، عن ابن إسحاق قال : ثم انصرف عبد المطلب آخذًا بيد عبد الله ، فمر به - فيما يزعمون - على امرأة (١) من بنى أسد ابن عبد العُزَّى بن قُصَى ، وهى عند الكعبة ، فقالت له حين نظرت إلى وجهه - فيما يذكرون - : أين تذهب يا عبد الله ؟ قال : مع أبى ؛ قالت : لك عندى مثل الإبل التى نحرت عنك ، وقع علىَّ الآن ، فقال : إن معى أبى الآن ، ولا أستطيع خلافه ولا فراقه ، ولا أريد أن أعصيه شيئًا ».

* عبد الله يتزوج آمنة بنت وهب :

فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زُهرة - ووهب يومئذ سيد بنى زُهرة نسبًا وشرفًا - فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهرة ، وهى يومئذ أفضل امرأة فى قريش نسبًا وموضعًا ، وهى لِبَرَّة (٢) .

---

(١) يروى أن عبد الله دعته المرأة الأسدية إلى نفسها لما رأت فى وجهه من نور النبوة، ورجحت أن تحمل بهذا النبى ، فتكون أمه دون غيرها ، فقال عبد الله لها :

أما الحرام فالحمــام دونه   والحل لا حِلَّ فأستبيـــنه
فكيف بالأمر الذى تبغينه   يحمى الكريم عرضه ودينه ؟!

واسم هذه المرأة : رقية بنت نوفل أخت ورقة بن نوفل ، تكنى : أم قتال ، وبهذه الكنية وقع ذكرها فى رواية يونس عن ابن إسحاق ، وذكر البرقى عن هشام بن الكلبى قال : إنما مر على امرأة اسمها : فاطمة بنت مر ، وكانت من أجمل النساء وأعفهن ، وكانت قرأت الكتب فرأت نور النبوة فى وجهه فدعته إلى نكاحها فأبى ، وفى غريب ابن قتيبة : أن التى عرضت نفسها عليه هى : ليلى العدوية .

(٢) أى اسم أمها برة .

أمهات آمنة(١)

بَرَّة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قُصى ٠

وأم بَرَّة : أمُّ حبيب بنت أسد بن عبد العُزى بن قُصى ، وأمُّ حبيب بنت أسد لِبَرَّة بنت عوف بن عبيد بن كعب بن لُؤى ٠

قال ابن إسحاق : فذكروا أنه دخل عليها حين ملكها مكانه (٢) ، فوقع عليها عبد الله ، فحملت برسول الله ﷺ ، فخرج من عندها حتى أتى المرأة التى قالت له ما قالت ، وهى أخت ورقة بن نَوفل بن أسد بن عبد العزى ، وهى فى مجلسها فجلس إليها ، وقال : مالك لا تعرضين علىَّ اليوم مثل الذى عرضت علىَّ أمس ؟ قالت : فارقك النور الذى كان فيك ، فليس لى بك اليوم حاجة ٠

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : وكانت فيما ذكروا ، تسمع من أخيها ورقة بن نوفل ، وكان قد تنصَّر واتبع الكتب - يقول : إنه لكائن فى هذه الأمة نبىٌّ من بَنى إسماعيل ، فقالت فى ذلك شعراً ، واسمها أم قبال ابنة نَوفل بن أسد (٣) كذا قال : « أُم قِبال » :

الآنَ وَقَدْ ضيَّعت ما كنتَ قَادرا … عَليه وفَارقك الذى كَان جَاكَ
غَدَوتَ عَلىَّ حافلاً قَدْ بَذَلْتَهُ … هَناك لِغَيْرى فَالْحَقَنَّ بِشَأنكَا
وَلا تَحْسَبَنِّى اليَوم جَلْوا وَلَيْتَنِى … أَصَبتُ حَبيبًا مِنْك يَا عَبْدَ دَارِكَا
وَلَكن ذَاكُم صَار فى آلِ زُهْرَةَ … بِه يَدْعَمُ اللهِ البَرية نَاسِكَا

فأجابها عبد الله فقال :

تَقُولِينَ قَولاً لَسْتُ أَعلَمُ مَا الذِى … يَكونُ ومَا هُو كَائِن قبل ذَلِك

(١) تكرر هذا الموضوع لفائدة زائدة ٠

(٢) أى : دخل بالسيدة آمنة حين أملكها ٠

(٣) سبق الإشارة أن كنيتها : أم قتال وهنا جاء كنيتها أم قبال فيجوز أن تكون الكنيتان صحيحتين ، ويجوز أن يكون هذا الاختلاف نتج عن أن المخطوطة كتبت بعدة خطوط ، هذا بالإضافة إلى ما حدث للمخطوطة من تأثر بالرطوبة فى المكتبة مما أدى إلى طمس بعضها أحيانا ٠ والله أعلم ٠

فَإنَ كنتُ ضيَّعتُ الذى كَان بيْنَنا ... مَنِ العَهدِ وَالميثاق فى ظلٍّ دَارك

فَمثْلُك قَد أَصَبْت عنَد كل حلّهِ ... ومثلى لا يستام عند الفَوارِك

فقالت له أيضا أم قبال :

عَليك بآل زُهْرةَ حيث كَانُوا ... وآمنةَ التــــــى حَملَتْ غُلامَا

يرى المهــــــدى حينَ يَرى ... عَلَيْه نُورٌ قَدْ تَقَدَّمه أمَامَا

فَيَمْنَعُ كُلَّ مُحصــــــنة خَريد ... إذا مَا كان مُرْتَديًا حســـامَا

وتَخفره الشمـــــال وبَانَ منها ... رِياحُ الجَذْبِ تَحْسَبُه قَتَامَا

فَأنْجبَه ابن هَاشم غير شَك ... وأدته كَريمتــــــــهُ هُمَاما

فَكُلُّ الخَلْق يَرْجُوهُ جَميعًــــــا ... يَسُودُ النَّاس مُهْتَـــــديًا إمَامَا

بَراهُ اللهُ منْ نُورِ مُصَفًّـــــى ... فَأذْهَبَ نُورُهُ عَنَّـــــا الظَّلامَا

وَذَلكَ صُنْعُ رَبِّكَ إذْ حَبَاهُ ... إذا مَا سَار يَومًا أَوْ أَقَامَا

فَيُهدى أَهْلَ مكَّة بَعْدَ كُفْرِ ... وَيَفرِضُ بَعْدَ ذَلكمُ الصِّيامَا

وقال عبد المطلب :

دَعوت رَبِّى مُخْفيًا وَجَهْرا ... أَعلنتُ قَولى وحَمدتُ الصَّبْرَا

يَا رَبِّ لاَ تَنْحَر بُنَيَّ نَحرًا ... وفَاده بَالمــــــال شَفْعًا ووترا

أُعْطيكَ منْ كُل سَوام عَشرًا ... أَوْ مَائة دَهْمًا وكمتا وَحُمْرا

مَعْرُوفَة أعْلامُهَا وَصَـــــحْرًا ... للهِ منْ مَالــــــى وفَاءَ وَنَذْرا

عَفْوًا وَلَم تُشْمتْ عيُونًا خزْرًا ... بِالواضح الوجه المزينِ عُذْرا

فَالحمدُ لله الأجَلّ شُـــــكرا ... أَعْطَانى البِيْضَ بَنِى زُهْرا

ثُمَّ كَفَانى فى الأُمُورِ أَمرًا ... قَدْ كَان أَشْجَانى وَهدَّ الظَّهْرَا

فَلَسْتُ وَالبيتُ المغطَّى سترا ... وَاللاَّت والرُّكْن المحَاذى حجرا

منكَ لأنْعُمـــــــك إلهى كُفْرًا ... مَا دُمتُ حيًا حتى أزور القَبرا

* * *

* قصة حمل آمنة برسول الله ﷺ :

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس بن بُكير ، عن ابن إسحاق قال : حدثنى والدى إسحاق بن يسار قال : حدِّثت أنه كان لعبد الله بن عبد المطلب امرأة مع آمنة ابنة وهب بن عبد مناف ، فمر بامرأته تلك ، وقد أصابه أثر طين عمل به ، فدعاها إلى نفسه ، فأبطأت عليه لما رأت به أثر الطين ، فدخل فغسل عنه أثر الطين ، ثم دخل عامداً إلى آمنة ، ثم دعته صاحبته التى كان أراد إلى نفسها ، فأبى للذى صنعت به أول مرة ، فدخل على آمنة فأصابها ، ثم خرج فدعاها إلى نفسه ، فقالت : لا حاجة لى بك ، مررت بى وبين عينيك غرة ، فرجوت أن أصيبها منك ، فلما دخلت على آمنة ، ذهبت بها منك ·

حدثنا أحمد قال : حدثنا يُونُس بن بُكير عن محمد بن إسحاق قال : حدثت أن امرأته تلك كانت تقول : مرَّ بى وإن بين عينيه لنوراً مثل الغرة ، فدعوته رجاء أن يكون لى ، ودخل على آمنة فأصابها ، فحملت ، برسول الله ﷺ ·

* رؤيا آمنة وهي حامل برسول الله ﷺ :

حدثنا أحمد نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : فكانت آمنة بنـــت وهب أم رسول الله ﷺ تحدث أنها أُتيت حين حملت محمداً ﷺ فقيل لها : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ، فإذا وقع الأرض (١) فقولى :

أُعيذُهُ بالواحـــــدْ مَنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِـــــدْ
فِى كُلِّ بَر عَابِـــــدْ وكُلِّ عَبْدٍ رَائِـــــدْ
نَزولُ غَيْر زَائِـــــدْ فإنه عَبْدُ الحميد الماجِدْ
حَتى أراهُ قَدْ أَتى المشَاهدْ

فإن آية ذلك أن يخرج معه نور يملأ قصور بُصَرى من أرض الشام ، فإذا وقع فسميه محمداً (٢) ، فإن اسمه فى التوراة أحمد، يحمده أهل السماء وأهل الأرض ، واسمه فى الفرقان محمد فسميه بذلك ·

---

(١) فى سيرة ابن هشام « وقع إلى الأرض » وهكذا يستقيم المعنى · انظر سيرة ابن هشام ط · دار الجيل ١ / ٢٩٣ تحقيق طه عبد الرءوف سعد ·

(٢) لا يعرف فى العرب من تسمى بهذا الاسم قبله ﷺ إلا ثلاثة وذلك أن آباءهم طمعوا حين سمعوا بذكر محمد ﷺ - ويقرب زمانه وأنه يبعث فى الحجاز - أن يكون ولداً=

* وفاة عبد الله :

فلما وضعته ، بعثت إلى عبد المطلب جاريتها - وقد هلك أبوه عبد الله وهى حُبلى ، ويقال إن عبد الله هلك والنبى ﷺ ابن ثمانية وعشرين شهرًا ، فالله أعلم أى ذلك كان [(١)] - فقالت : قد ولد لك الليلة غلام فانظر إليه ، فلما جاءها أخبرته خبره ، وحدثته بما رأت حين حملت به ، وما قيل لها فيه ، وما أمرت أن تسميه ، فأخذه عبد المطلب فأدخله فى جوف الكعبة ، فقام عبد المطلب يدعو الله ، ويشكر الله الذى أعطاه إياه ، فقال :

السَّعْدُ لله الَّذِى أَعْطَانِى ... هَذا الغُلاَمَ الطَّيِبَ الأَرْدَانِ
قَدْ سَادَ فِى المهدِ عَلَى الغلْمانِ ... أُعيذُهُ بِالله ذِى الأَرْكَانِ
حَتى يكُون بلغة الفتيَانِ ... حَتَّى أَرَاه بَالغَ البَنَانِ
أُعيذُهُ مِنْ كُلِّ ذِى شَنْئَانِ ... مِنْ حَاسِد مُضْرِبِ العَنَانِ
ذِى هَمة لَيس لَهُ عَيْنَانِ ... حَتَّى أَراهُ رَافِعِ اللِّسَانِ
أَنْتَ الذِى سُمِّيتَ فِى الفُرقَانِ ... فِى كُتبٍ ثَابتَةِ المثَانِى
أحمد مكتوبًا عَلى اللِّسَانِ

= لهم . وقد ذكرهم ابن فورك فى كتاب الفصول وهم : محمد بن سفيان بن مجاشع جد جد الفرزدق الشاعر ، والآخر : محمد بن أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جمحى بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس . والآخر . محمد بن حمران بن ربيعة وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك وكان عنده علم من الكتاب الأول فأخبرهم بمبعث النبى ﷺ وباسمه ، وكان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملا فنذر كل واحد منهم إن ولد له ذكر أن يسميه محمداً ، ففعلوا ذلك ، وهذا الاسم منقول من الصفة ، فالمحمد فى اللغة هو الذى يحمد حمداً بعد حمد ، ولا يكون مفعل مثل : مضرب وممدح إلا لمن تكرر فيه الفعل مرة بعد مرة انظر السيرة النبوية لابن هشام ، مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ١٤٦ .

(١) أكثر العلماء على أنه كان فى المهد . ذكره الدولابى وغيره ، وقيل : ابن شهرين ، ذكره ابن أبى خيثمة ، وقيل أكثر من ذلك ، ومات أبوه عند أخواله بنى النجار ، ذهب ليمتار لأهله تمرا ، وقد قيل مات أبوه وهو ابن ثمان وعشرين شهراً انظر السيرة النبوية لابن هشام ط . دار الجيل ١ / ٢٩٤ .

وقال عبد المطلب حين فرغ من شأن عبد الله ، وفرَّج عنه ما كان فيه من البلاء والهم بذبحه (١) :

دَعَوْتُ ربِّى دَعْوَةَ المناصحْ ... دَعْوَةَ مُبْتَاعٍ رِضَاهُ رَابِحْ
فَاللهُ عِنْدَ قِسْمِــــــــه المَنَائِحْ ... أَعْطَى عَلَى الشُّحِّ من المشَاحِحْ
زَمْزَم لاَ يَمتَاحُهـــــا المائحْ ... إلا الدلاءَ الزبد السَّوافِحْ
كَم مِنْ حَجِيجٍ مُغْتَدٍ وَرائِحْ ... جَادَ بها مِن بَعْدِ لَوْحِ اللائحْ
سُقْيًا عَلى رَغمِ العدو الماشِحْ ... بَعْدَ كُنوزِ الحُلى والصَفائحْ
حُلِىٌّ لبيت الله ذِى المسَارحْ ... بَيْتٌ عَليه النُّورُ كَالمصـــابحْ
بُنْيانُ إبراهيم ذِى المسابحْ ... بَنَاهُ بالرفْقِ وَحِلــمٍ رَاجحْ
بَيْن الجبال الصُّمِّ والصَرادحْ ... فَهو مَثَابٌ لِـــذوى الطلائحْ
ينتابه مِنْ كُـــلِ فَجٍّ نَازِحْ ... مُشْتَبِهِ الأعلامِ والصَّحَاصِحْ

وقال عبد المطلب :

الحَمدُ للخَـــالِق لا العبَاد ... لما رأى جِــدِّى وَاجْتَهادِى
وَإِنَّنِى مُوفِيـــــه بالميعَاد ... وَالعهد إنَّ العَـهْدَ ذُو مَعَاد
فَرَّج عَنِّى كُرْبَةَ الفُؤاد ... وَنَال مِنِّى فِـــدْيَة المفادى
فَادَيْتُ عَبْدَ الله مِنْ تلادى ... إنَّ البَنِـــينَ فَلَذُ الأكْبَاد
ثمَار كَالقَـــرْعِ لِلفؤاد ... أَدمٌ وَحمــر كلها تلاَد
قُلْتُ للحَبـــاسى لها ذَواد ... هَل مِنكم من صيــت يُنَادى
الإبل نَهْبٌ بينَ أهل الوادى ... فَتركوها وَهـــى فى عَصْواد
يَركبـــها بالآلة الحدَاد ... كأنها رَهْوٌ مـــن المزَاد
يَردى بها ذُو أحبـــل صياد ... وَرَاح عَبْـــد الله فى الأبْرَاد

---

(١) من هنا وحتى نهاية الصفحة التالية كان حقه أن يكـــون فى آخر فصل «نذر عبد المطلب » لأن مكانه وموضوعه هناك وليس هنا ، ولكن للأمانة العلمية تركناه هنا كما جاء فى الأصل الذى نحققه وهذا حسب ترتيب صفحات المخطوطة .

يَغيظُ أَعْدائى مــــنَ الحُسَّاد   نَجَّيْته مِنْ كَـــرْبٍ شِدَادِ

وقال عبد المطلب أيضًا :

الحَمدُ لله عَلَى مَا أَنْعَما   أَعْطَى عَلَى رَغْمِ العَدُوِّ زَمْزَمَا
تُرَاثُ قَوْمٍ لَم يَكُنْ مُهَدَّمَا   وَالحاسِدُونَ يَخرقُونَ الأَدَمَا
ولَم يكُنْ حَافِرُهَا لِيَنْدَمَا   أَصَابَ فِيها حِلْيَةَ فَتُسلما
لله مَا أَجْرى عَلَيه الأَسْهُمَا   وَاللهُ أَوْفَى نَذْرَهُ إِذْ أَقْسَما
أَعْطَى بَنِينَ عُصْبَة وَخَدمَا   فَلَسْتُ وَاللهِ أُريدُ مَأْثَمَا
فِي النَّذْرِ أهْرِيق لله دَمَا   مِنْهُم وَقَدْ أَوْفَيْتُهمْ فَتَمَّما
مِنْ بَعْدِ ما كُنْتُ وَحِيدًا أَيِّما   يَرانى الأَعداءُ قَرْنًا أَعْصَما

أَعضَبَ أَو ذَا ارتياب أَعْسَما

وقال عبد المطلـــب :

دَعَوْتُ رَبِّى دَعْوَةَ المَغْلُوبِ   وَنِعْمَ مُدَّعِى السَّائِل المَكْرُوبِ
فَالحمدُ للمستمعِ العَجِيبِ   أَعْطَى عَلى رَغْم ذَوِى الذُّنُوبِ
إلىَّ والشَّحْنَاء والعُيُوبِ   زَمْزَم ذَات الموضِعِ العَجِيبِ
بَيْنَ سَوادِ الصَنَمِ المَنْصُوبِ   وَبينَ بَيْت اللهِ ذِى الحَجُوبِ

وَتَحْتَ فَرْثِ النَّعَمِ المَغْصُوبِ

* * *

مولد رسول الله ﷺ

حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، نا يُونُس بن بُكير ، عن ابن إسحاق قال : حدثني المطلب بن عبد الله بن قَيس ، عن أبيه ، عن جده قيس بن مَخْرمة قال وُلدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل (١) ، كنا لِدَّين (٢) .

حدثنا أحمد : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : وكان رسول الله ﷺ عام عكاظ (٣) ابن عشرين سنة (٤) .

---

(١) ذكر أن مولده ﷺ كان في ربيع الأول وهو المعروف ، وقال الزبير : كان مولده في رمضان ، وهذا القول موافق لقول من قال : إن أمه حملت به في أيام التشريق ، والله أعلم ، وذكروا أن الفيل جاء مكة في المحرم ، وأنه ﷺ ولد بعد مجيء الفيل بخمسين يومًا ، وهو الأكثر والأشهر ، وأهل الحساب يقولون وافق مولده من الشهور الشمسية نيسان (إبريل) فكانت لعشرين مضت منه ، وولد بالغَفْر من المنازل ، وهو مولد النبيين ، ولذلك قيل : خير منزلتين في الأبد بين الزنابا والأسد ، لأن الغفر يليه من العقرب ذناباها ، ولا ضرر في الذنابا إنما تضر العقرب بذنبها ، ويليه من الأسد أليته ، وهو السماك ، والأسد لا يضر بأليته إنما يضر بمخلبه ونابه ووُلد بالشعب ، وقيل بالدار التي عند الصفا ، وكانت لمحمد ابن يوسف أخي الحجاج ثم بنتها زبيدة مسجداً حين حجت ، وقيل في تفسير بقي بن مخلد إن إبليس - لعنه الله ، رن أربع رنات :رنة حين لُعن ورنة حين أهبط ، ورنة حين ولد رسول الله ﷺ ، ورنة حين أنزلت فاتحة الكتاب : قال : والرنين والنخار هو صوت يخرج من الخياشيم كالأصوات التي تخرج من حلق النائم الشخير انظر السيرة النبوية لابن هشام تحقيق طه عبد الرءوف سعد ط . دار الجيل ١ / ٢٩٤ .

(٢) جاء هذا الحديث بهذا السند في سيرة ابن هشام وهو منسوب لابن إسحاق أيضا ولكن بدلاً من « كنا لدِّين » عبارة « فنحن لِدَتان » . انظر على سبيل المثال السيرة النبوية لابن هشام ط . دار المنار ١ / ١٦٥ .

(٣) أي وقت حروب الفجار .

(٤) ذكر ابن هشام أن ابن إسحاق قال : وُلد رسول الله ﷺ يوم الإثنين ، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول عام الفيل . (انظر السيرة النبوية لابن هشام بتحقيق طه عبد الرءوف سعد ط مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ١٤٦) . وروى عن عثمان بن أبي العاص عن أمه أم عثمان الثقفية ، واسمها فاطمة بنت عبد الله قالت : حضرت ولادة رسول الله ﷺ فرأيت البيت حين وضع ، قد امتلأ نوراً ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت أنها ستقع عليَّ ، ووُلد رسول الله ﷺ معذوراً مسروراً ، أي مختونًا مقطوع السرة ، يقال : عُذر الصبي وأعذر إذا ختن ، وكانت أمه تحدث أنها لم تجد حين حملت به ما تجده الحوامل من ثقل ولا وحم ولا غير ذلك ، لما وضعته ﷺ - وقع إلى الأرض مقبوضة أصابع يديه مشيراً بالسبَّابة كالمسبح بها ، انظر السيرة النبوية لابن هشام تحقيق طه عبد الرءوف سعد ط دار الجيل١/ ٢٩٥ .

قال ابن إسحاق : فدفع رسول الله ﷺ إلى أمه ، والتمس له الرضعاء ، واسترضع له حليمة ابنة أبى ذُؤَيب ، وأبو ذُؤَيب عبد الله بن الحارث بن شَجنة بن جَابر بن رِزَام بن نَاصرة بن قُصية بن نَصر بن سَعد بن بكر بن هوازن بن مَنصور بن عكرمة بن خَصَفَة بن قَيس بن عَيلان بن مُضر ، واسم أبى رسول الله الذى أرضعه الحَارث بن عبد العُزى بن رفاعة بن فَلان بن نَاصرة بن قُصية بن نَصر بن سَعد بن بكر ابن هوازن .

* إخوته من الرضاعة :

وإخوته من الرضاعة : عبد الله بن الحارث ، وأنيسة ابنة الحارث ، وحذافة ابنة الحارث ، وهى الشَّيماء (١) ، غلب عليها ذلك ، ولا تعرف فى قومها إلاَّ به ، وهى لحليمة أم رسول الله ، وذكروا أن الشيماء كانت تحضن رسول الله ﷺ مع أمه إذ كان عندهم .

* حليمة ترضع النبى ﷺ :

حدثنا أحمد ، نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : حدثنى جهم بن أبى جهم - مولى لامرأة من بنى تيم ، كانت عند الحارث بن حاطب ، فكان يقال مولى الحارث ابن حاطب - قال : حدثنى من سـمع عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، يقول : حُدِّثتُ عن حليمة ابنة الحارث - أم رسول الله ﷺ ، التى أرضعته أنها قالت : قدمت مكة فى نسوة من بنى سعد بن بكر ، نلتمس بها الرضـعاء (٢) ، وفى سنة شَهباء (٣) ، فقدمت على أتان (٤) لى قمراء كانت أذمت بالركب ، ومعى صبى لنا ، وشارف لنا (٥) ، والله ما ننام ليلنا ذلك أجمع مع صبينا ذاك ، ما نجد فى ثديى ما يغنيه ، ولا فى شارفنا ما يغذيه ، فقدمنا مكة ، فوالله ما علمت منا امرأة إلاَّ وقد

---

(١) ورد أن اسمها أيضًا خذامة .

(٢) هذا غير صحيح لغويًا وقال ابن هشام المراضع ، لأنها جمع مرضع ، وهذا حق لأن الرضعاء جمع رضيع ، ولكن لرواية ابن إسحاق مخرج من وجهين أحدهما : حذف المضاف كأنه قال : ذوات الرضعاء ، والثانى : أن يكون أراد بالرضعاء الأطفال على حقيقة اللفظ لأنهم إذا وجدوا له مرضعة ترضعه فقد وجدوا له رضـيعا يرضع معه ، فلا يبعد أن يقال : التمسوا له رضيعًا ، علمًا بأن الرضيع لابد له من مرضع .

(٣) أى مجدبة شديدة القحط . (٤) أى أنثى الحمار . (٥) أى ناقة كبيرة فى السن .

عرض عليها - رسول الله ﷺ - فإذا قيل « إنه يتيم » تركناه ، وقلنا : ماذا عسى أن تصنع إلينا أمه ، إنما نرجو المعروف من أبى الوليد ، فأما أمه فما عسى أن تصنع إلينا ؟ فوالله ما بقى من صواحبى امرأة إلاَّ أخذت رضيعًا غيرى ، فلما لم أجد غيره ، قلت لزوجى الحارث بن عبد العزى : والله إنى أكره أن أرجع من بين صواحبى ليس معى رضيع ، لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه ، قال : لا عليك ، فذهبت ، فأخذته ، فوالله ما أخذته إلاَّ أنى لم أجد غيره .

* الخير الذى أصاب حليمة بسببه ﷺ :

فما هو إلاَّ أن أخذته ، فجئت به رحلى ، فأقبل عليه ثدياى بما شاء من لبن ، فشرب حتى روى ، وشرب أخوه حتى روى ، وقام صاحبى إلى شارفنا تلك فإذا إنها لحافل ، فحلب ما شرب وشربتُ حتى روينا ، فبتنا بخير ليلة ، فقال صاحبى : يا حليمة ، والله إنى لأراك قد أخذت نسمة مباركة ، ألم ترى إلي ما بتنا به الليلة من الخير حين أخذناه ؟! فلم يزل الله يزيدنا خيراً ، حتى خرجنا راجعين إلى بلادنا ، فوالله لقطعت أتانى بالركب حتى ما يتعلق بها حمار ، حتى إن صواحبى ليقلن : ويلك ، يا بنت أبى ذُؤيب ، أهذه أتانك التى خرجت عليها معنا ؟ فأقول : نعم ، وَالله إنها لهى ، فيقلن : والله إن لها لشأنا ، حتى قدمنا أرض بنى سَعد ، وما أعلم أرضًا من أرض الله عز وجل أجدب منها ، فإن كانت غنمى لتسرح ثم تروح شباعًا ، لُبَّنًا ، فنحلب ما شئنا ، وما حولنا أحد تَبُضُّ له شاة بقطرة لبن ، وإن أغنامهم لتروح جياعًا ، حتى إنهم ليقولون لرعيانهم : ويحكم انظروا حيث تسرح غنم بنت أبى ذُؤيب ، فاسرحوا معهم ، فيسرحون مع غنمى حيث نسرح ، فيريحون أغنامهم جياعًا وما فيها قطرة لبن ، وتروح غنمى شِباعًا ، لبنًا ، نحلب ما شئنا ، فلم يزل الله عز وجل يرينا البركة ، ونتعرفها حتى بلغ سنتيه ، وكان يشب شبابًا لا يشبه الغلمان ، فوالله ما بلغ سنتيه حتى كان غلامًا جفرا [١] ، فقدمنا به على أمه ، ونحن أضَنُّ شىء به مما رأينا فيه من البَركة ، فلما رآته أمه ، قلنا لها : دعينا نرجع ببنينا هذه السنة ، فإنا نخشى عليه أوباء مكة ، فوالله ما زلنا بها حتى قالت : فنعم ، فسرحته معنا .

---

(١) جفرا : أى قوى الجسم شديداً

* حادثة شق الصدر :

فأقمنا به شهرين أو ثلاثة ، فبينا نحن خلف بيوتنا ، وهو مع أخ له من الرضاعة فى بُهم [١] لنا ، جاءنا أخوه يشتد ، فقال : ذاك أخى القُرشى قد جاءه رجلان عليهما ثياب بياض ، فأضجعاه فشقا بطنه [٢] ، فخرجت أنا وأبوه [٣] نشتد نحوه ، فنجده قائمًا ، منتقعًا لونه [٤] ، فاعتنقه أبوه ، وقال : أى بنى ، ما شأنك ؟ قال : جاءنى رجلان عليهما ثياب بياض ، فأضجعانى فشقا بطنى ، ثم استخرجا منه شيئًا فطرحاه ، ثم رداه كما كان ، فرجعنا به معنا ، فقال أبوه : يا حليمة لقد خشيت أن يكون ابنى قد أصيب ، انطلقى بنا ، فلنرده إلى أهله قبل أن يظهر به ما يتخوف .

* حليمة ترد محمدًا ﷺ إلى أمه :

قالت : فاحتملناه ، فلم ترع أمه إلاَّ به قد قدمنا به عليها ، فقالت : ما ردكما به ، قد كنتما عليه حريصين ؟! فقلنا : لا والله يا ظِئر [٥] ، إلاَّ أن الله عز وجل قد أدى عنا وقضينا الذى علينا ، وقلنا : نخشى الإتلاف والأحداث ، نرده إلى أهله ، فقالت : ما ذلك بكما ، فاصدقانى شأنكما ، فلم تدعـنا حتى أخبرناها خبره ، فقالت : أخشيتما عليه الشيطان ، كلا والله ما للشيطان عليه سبيل ، وإنه لكائن لابنى هذا شأن ، الا أخبركما بخبره ؟ قلنا : بلى ، قالت : حملت به ، فما حملت حملاً قط أخف منه ، فأريت فى النوم حين حملت به كأنه خرج منى نور أضاءت له قصور الشام ، ثم وقع حين ولدته وقوعًا ما يقعه المولود ، معتمدًا على يديه ، رافعًا رأسه إلى السماء ، فدعياه [٦] عنكما .

---

(١) البهم : صغار الغنم .

(٢) فى رواية أخرى عن ابن إسحاق أيضًا أنه نزل عليه كُركيان ، فشق أحدهما بمنقاره جوفه ، ومج الآخر بمنقاره فيه ثلجًا أو بردًا أو نحو هذا ، وهى رواية غريبة ذكرها يونس عنه ، واختصر ابن إسحاق حديث نزول الملكين عليه وهو أطول من هذا كثيرًا انظر الروض الأنف بتحقيق طه عبد الرءوف سعد ١ / ١٨٨ .

(٣) أى أبوه من الرضاعة وهو الحارث بن عبد العزى زوج حليمة السعدية .

(٤) أى تغير لونه انظر ترتيب القاموس ٤ / ٤٣٠ .

(٥) الظئر : تطلق على الذكر والأنثى ، ومعناها فى الأصل : التى تعطف على ولد غيرها وترضعه . انظر ترتيب القاموس ٣ / ١١٩ .

(٦) خطاب للمثنى أى اتركاه ، وهو خطاب لحليمة وزوجها ، والمخاطبة هى السيدة آمنة أم رسول الله ﷺ .

* الرسول ﷺ يُسأل عن نفسه ويجيب :

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس بن بكير عن ابن إسحاق قال : حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن مَعْدان ، عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا : يا رسول الله ، أخبرنا عن نفسك ، فقال : دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أُمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور بُصرى من أرض الشام ، واسترضعت في بني سعد بن بكر ، فبينا أنا مع أخ في بهـــم لنا ، أتاني رجلان عليهما ثياب بياض ، معهما طست من ذهب مملوءة ثلجًا ، فأضجعاني ، فشقا بطني ، ثم استخرجا قلبي فشقاه ، فأخرجا منه علقة سوداء ، فألقياها ، ثم غسلا قلبي وبطني بذاك الثلج ، حتى إذا أنقياه [1] ، رداه كما كان ، ثم قال أحدهما لصاحبه : زنه بعشرة من أمته ، فوزنني [2] بعشرة ، فوزنتهم ، ثم قال : زنه بألف من أمته ، فوزنني بألف ، فوزنتهم ، فقال : دعه عنك ، فلو وزنته بأمته لوزنهم .

حدثنا أحمد قال : نا يُونس بن بُكير عن أبي سنان الشَّيباني ، عن حَبيب بن أبي ثابت ، عن يحيى بن جَعْدة ، قال : قال رسول الله ﷺ : إن ملكين جاءاني في صورة كركيين ، معهما ثلج وماء بارد ، فشرح أحدهما صدري ، ومجَّ الآخر منقاره ، فغسله [3] .

* * *

(١) وهذا الخبر يروى عنه ﷺ على وجهين ، أحدهما : أنه شق عن قلبه وهو مع رابّته ومرضعته في بني سعد ،وأنه جيء بطست من ذهب فيه ثلج فغسل به قلبه ، والوجه الثاني : أنه غسل بماء زمزم ، وأن ذلك كان ليلة الإسراء حين عرج به إلى السماء بعدما بعث بأعوام . وفيه أنه أتى بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيماناً فأفرغ في قلبه . وذكر بعض من ألف في شرح الحديث أنه تعارض في الروايتين ، وجعل يأخذ في ترجيح الرواة وتغليط بعضهم ، وليس الأمر كذلك ، بل كان هذا التقديس وهذا التطهير مرتين ، الأولى : في حال الطفولية لينقى قلبه من مغمز الشيطان ، وليطهر ويقدس من كل خلق ذميم ، حتى لا يتلبس بشيء مما يعاب على الرجال ، وحتى لا يكون في قلبه شيء ، إلا التوحيد ، ولذلك قال : فوليا عني يعني الملكين - وكأني أعاين الأمر معاينة . والثانية : في حال الاكتهال وبعدما نُبِّىء وعندما أراد الله أن يرفعه إلى الحضرة المقدسة التي لا يصعد إليها إلا مقدس . وعرج به هناك لتفرض عليه الصلاة ، وليصلي بملائكة السموات ، ومن شأن الصلاة الطهور ، فقدس ظاهراً وباطنا وغسل بماء زمزم انظر الروض الأنف بتحقيق طه عبد الرءوف سعد ١ / ١٩٠ .

(٢) الوزن هنا معنوى ويفيد علو القدر والمنزلة العالية .

(٣) قال ابن إسحاق وكان رسول الله ﷺ ، يقول لأصحابه : « أنا أعربكم ، أنا قرشي ، واسترضعت في بني سعد بن بكر ،وذكر ابن هشام أيضًا أن ابن إسحاق قال : وكان رسول الله ﷺ يقول وما من نبى إلا وقد رعى الغنم قيل وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا » انظر السيرة النبوية لابن هشام تحقيق طه عبد الرءوف سعد ط دار الجيل ١ / ٣٠٣ ، ٣٠٤) .

حديث تُبَّع (١) الحِميرى (٢)

* سبب قتاله أهل المدينة :

حدثنا أحمد بن عبد الجبار : نا يُونسُ بن بُكير عن ابن إسحق قال : ثم إن تبعًا أقبل من مسيره الذى كان سار يجول الأرض فيه ، حتى نزل على المدينة ، فنزل بوادى قِباء ، فحفر فيها بئراً ، فهى اليوم تدعى بئر الملك ، وبالمدينة إذ ذاك يهود ، والأوس والخزرج ، فنصبوا له فقاتلوه ، فجعلوا يقاتلونه بالنهار ، فإذا أمسى أرسلوا إليه بالضيافة وإلى أصحابه ، فلما فعلوا ذلك به ليالى استحيا (٣) ، فأرسل إليهم يريد صلحهم ، فخرج إليه رجل من الأوس يقال له : أُحيحة بن الجَلاح بن حُريش بن جَحجبا بن كلدة بن عَوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، وخرج إليه من يهود بنيامن القُرظى ، فقال له أحيحة : أيها الملك نحن قومك ، وقال بنيامن : أيها الملك هذه بلدة لا تقدر أن تدخلها لو جهدت بجميع جهدك ، فقال : ولمَ ؟ قال : لأنها منزل نبى من الأنبياء ، يبعثه الله عز وجل من قريش ، وجاء تُبَّعا مخبر خبره عن اليمن أنه بعث الله عليها ناراً تحرق كل ما مرت به ، فخرج سريعًا ، وخرج معه بنفر من يهود فيهم بنيامن وغيره ، وهو يقول :

إِنى نَذَرْتُ يَمينًا غَير ذِى خَلْف ... ألاَّ أَجُوزَ وبَالحجَازِ مَخْلَد

(١) تُبَّع فى لغة اليمن : أى الملك المتبوع ، وتبع هذا هو حسان بن تبان أسعد ، وتبان أسعد : اسم مركب وتبان من التبانة أى الذكاء والفطنة ، يقال رجل تبن أى فطن ، وتبَّع هذا هو تبع الآخر ، وكنيته أبو كرب .

(٢) كان حق هذا الباب أن يأتى فى أول الكتاب نظراً للترتيب الزمنى للأحداث وكما هو فى سيرة ابن هشام ؛ لأنه سابق لميلاد النبى ﷺ فوجب أن يأتى قبله ليكون الكلام مسلسلا ومرتباً ولكن جاء ترتيبه مؤخراً هكذا فى أصل المخطوطة فآثرنا أن نلتزم بالأصل للأمانة العلمية وإن كان ذكر قبل وإنما هنا فائدة زائدة .

(٣) ذكر ابن هشام هنا أن ابن إسحاق قال وقد كان رجل من بنى عدى بن النجار يقال له أحمر عدا على رجل من أصحاب تُبَّع حين نزل بهم فقتله وذلك أنه وجده فى عذق له أى نخله يجـــده (يقطعه) فضربه بمنجله فقتله ، وقال : إنما التمر لمن أبَّره (أى أصلحه) فزاد ذلك تبعاً حنقًا (غضبا وحقدًا) عليهم ، فاقتتلوا فتزعم الأنصار أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار ، ويقرونه بالليل ، فيعجبه ذلك منهم ، ويقول : والله إن قومنا لكرام . انظر السِيرة النبوية لابن هشام ط . دار الجيل ١ / ١٣٣ .

حَتَّى أتانى مِنْ قُرِيظَةَ عَالـم   حَبْرٌ لَعَمْرُكَ فى اليهود مسود
أَلْقَى إلىَّ صِيحةً كَى أَزْدَجر   عَنْ قَرْيةٍ مَحجُورة بمحَـــمد

* كسوته البيت وطوافه به وتعظيمه:

حدثنا أحمد : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : ثم خرج يسير حتى إذا كان بالدف من جمدان ، من مكة على ليلتين أتاه ناس من هُذيل بن مُدْركة ، وتلك منازلهم ، فقالوا : أيها الملك ألا ندلك على بيت مملوء ذهبًا وياقوتًا وزبرجدًا تصيبه وتعطينا منه ؟ فقال : بلى ، فقالوا : هو بيت بمكة ، فراح تبع وهو مجمع لهدم البيت ، فبعث الله عز وجل عليه ريحًا فقفعت يديه ورجليه ، وشجت جسده ، فأرسل إلى من كان معه من يهود ، فقال : ويحكم ما هذا الذى أصابنى ؟ فقالوا : أحدثت شيئًا ؟ فقال : وما أحدثت ؟ فقالوا أَحدَّثت نفسك بشىء ؟ قال : نعم جاءنى نفر من أهل هذا المنزل الذى رحنـا منه ، فدلونى على بيت مملوء ذهبًا وياقوتًا وزبرجدًا ، ودعونى إلى تخريبه وإصابة ما فيه ، على أن أعطيهم منه شيئًا ، فرأيت لهم بذلك ، فرحت ، وأنا مُجمع لهدمه ، فقال النفر الذين كانوا معه من يهود : ذلك بيت الله الحرام ، ومن أراده هالـــك ، فقال : ويحكم فما المخرج مما دخلت فيه ؟ قالوا : تحدث نفسك أن تطوف به كما يصنع به أهله وتكسوه وتهدى له ، فحدث نفسه بذلك ، فأطلقه الله عز وجل وقال فى شعره :

بالدُّفِّ من جَمْدانَ فَوزٌ مُصْعدُ   حَتَّ أتانى من هُذَيـــل أَعْبَد
ذَكروا إلىَّ البيْتَ ، قَالوا كنْزهُ   دُرٌ وَياقُوتٌ وَفيه زَبَرْجَـــد
فَأَرَدْتُ أَمراً حالَ ربِّى دونَـــهُ   وَالربُّ يَدْفَعُ عنَ خَرابِ المَسْجد

ثم سار حتى دخل مكة ، فطاف بالبيت ، وسَعى بين الصَّفا والمروة ، فأُرى فى المنام أن يكسو البيت فكساه الخصف [1] ، وكان أول من كساه ، ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه المعافرى ، ثم أُرى أن يكسوه أحسن من ذلك ، فكساه الوصائل ، وصائل اليمن ، وأقام بمكة ستة أيام - فيما ذكر لى - ينحر بها للناس ، ويطعم من كان بها من أهلها ويسقيهم العسل ، قال : فكان تبع فيما ذكر لى أول من

---

(١)هى حصر تصنع من سعف النخيل والليف ، والخصف جمع خصفة ، ويروى أن تبعًا لما كسا البيت المسوح والأنطاع انتفض البيت فزال ذلك عنه ، وفعل ذلك حين كساه الخصيف ، فلما كساه الملأ والوصال قبلها ، والملأ جمع ملاءة وهى الملحفة ، والوصال ثياب موصولة من ثياب اليمن . انظر السيرة النبوية لابن هشام ط مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ٢١ .

كساه وأوصى به ولاته من جرهم ، وأمرهم بتطهيره ، [(١)] ولا يقربوه ميتة ، ولا دمًا ولا مثلانا [(٢)] – وهو المحائض – وجعل له بابًا ومفتاحًا ، وقال تُبَّع فى الشعر :

وَنَحرنَا بالشِّعْبِ ستَّةَ ألف ... تَرى النَّاسَ نحْوهنَّ وُرودَا
وَكَسَوْنَا البيتَ الذى حَرَّمَ اللهُ ... مَلاءً مُعَضَّـــدًا وَبُرودا
وأقمنَا بها مـــن الشَّهرِ ستا ... وَجعلنا لبَابـــه إقْليدا
وأَمَرْنَا به الجُرهميين خيرًا ... وكانوا لحَافتيـــه شُهودا
وأَمْرنا ألاَّ يَقْربنَّ مثلانا ... وَلا ميتًا ولا دمًا مَفْصُـــودا
ثُمَّ سِرنا نَؤُمُّ قَصْدَ سُهَيلٍ ... قَد رَفـــعنَا لِواءَنَا مَعْقُودَا

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : فلما أراد الشخوص إلى اليمن ، أراد أن يخرج حِجْر الركن ، فيخرج به معه ، فاجتمعت قريش إلى خُويلد ابن أسد بن عبد العزى بن قُصى ، فقالوا : ما دخل علينا يا خُويلد إن ذهب هذا بحجرنا ، قال : وما ذاك ؟ قالوا : تبع يريد أن يأخذ حجرنا يحمله إلى أرضه ، فقال خُويلد : الموت أحسن من ذلك ، ثم أخذ السيف ، وخرج وخرجت معه قريش بسيوفهم حتى أتوا تبعًا ، فقالوا : ماذا تريد يا تبع إلى الركن ؟ فقال : أردت أن أخرج به إلى قومى ، فقالت قريش : الموت أقرب من ذاك ، ثم خرجوا حتى أتوا الركن ، فقاموا عنده ، فحالوا بينه وبين ما أراد من ذلك ، فقال خويلد فى ذلك شعرًا :

دَعِينى أُمَّ عَمْـــرِو لا تَلُومِى ... وَمَهْلاً عَاذِلى لاَ تُعْـــذِلينى

(١) ذكر ابن هشام أن ابن إسحاق قال : وتبان أسعد أبو كرب الذى قدم المدينة ، وساق الحبرين من يهود المدينة إلى اليمن وعمَّر البيت الحرام وكساه ، وكان ملكه قبل مُلك ربيعة بن نصر .

(٢) مثلانا : أى خرقة المحيض وتسمى أيضًا مثلاة وجمعها مآلى ، ولم يقصد النساء الحيَّض لأن حائضًا لا تجمع على محائض ومفرد حيض : محيضة .

دَعِينى لاَ أَخذتُ الخســفَ مِنْهُم ... وَبَيتُ اللهِ حَتى يَقتُلُـــونى

فَما عُذْرى وَهَذا السَّيــفُ عِنْدى ... وَعَضْبٌ نَال قَائمهُ يَميـنـــى

وَلَكِنْ لَم أَجِد عَنها مَحيـــدًا ... وَإِنى رَاهِق مَا أَرْهـــقُونِى

* أصل اليهودية باليمن :

حدثنا أحمد قال : حدثنا يُونسُ عن ابن إسحاق ، قال : ثم خرج متوجِّها إلى اليمن بمن معه من جنوده ، حتى إذا قدمها ، وكان لأهل اليمن مدينتان يقال لإحداهما مأْرب ، والأخرى ظِفار ، وكان منزل المـلك فى مأرب مبنيًّا بصفائح الذهب ، وكان منزله فى ظفار مبنيا بالرخام ، وكان إذا شتى ، شتى فى مأْرب ، وإذا صاف ، صاف فى ظفار ، وكانت مأْرب بها ينشأ أبناء الملوك ويتعلمون الكلام ، وكان ابن الحميرى إذا بلغ قال : أرسلوا به إلى مأرب يتعلم المنطق ، وكان فى ظفار اصطوان من البلد الحرام مكتوب فى أعلاها بكتاب من الكتاب الأول : لمن الملك ، ظفار ، لحمير الأخيار ، لمن الملك ظفار ، لفارس الأخيار ، لمن الملك ظفار ، لقريش التجار ، فلما قدمها تبع ، نشرت يهود التوراة ، وجعلوا يدعون الله عز وجل على النار حتى أطفأها الله عز وجل .

* هدم البيت المسمى رئام :

وكان لأهل اليمن شيطان يعبدونه ، قد بنوا له بيتًا من ذهب ، وجعلوا بين يديه حِياضًا ، فكانوا يذبحون له فيها ، فيخرج ، فيصــيب من ذلك الدم ، ويكلمهم ، ويسألونه ، فكانوا يعبدونه (١) ، فلما أطفأت يهود النار قالوا لتبع : إن ديننا هذا الذى نحن عليه خير من دينك ، فلو أنك تابعتنا على ديننا ، فقد رأيت أن إلهك هذا لم يغن عنك شيئًا ، ولا عن قومك عند الذى نزل بكم ، فقال تُبع : فكيف نصنع به ونحن نرى منه ما ترون من الأعاجيب ؟ قالوا : أفرأيت إن أخرجناه عنك تتبعنا على ديننا ؟ قال : نعم ، فجاءوا إلى باب ذلك البيت ، فجلسوا عليه بتوراتهم ثم جعلوا يذكرون أسماء الله عز وجل ، فلما سمع ذلك الشيطان ، لم يثبت

(١) فلما جاء الحَبران مع تُبّع نشرا التوراة عنده ، وجعلا يقرآنها ، فصار ذلك الشيطان حتى وقع فى البحر .

وخرج جهاراً حتى وقع فى البحر ، وهم ينظرون ، وأمر تبع ببيته الذى كان فيه ، فهدم ، وتهود بعض ملوكِ حمير ، ويزعم بعض الناس أن تبعًا قد كان تهوَّد [١] .

حدثنا أحمد قال : نا يونس عن زَكريا بن يحيى المدَنى قال : حدثنا عِكرمة قال: سمعت ابن عباس يقول : لا يشبهن عليكم أمر تبع ، فإنه كان مُسلمًا .

* * *

(١) ذكر ابن هشام أن ابن إسحاق قال : وكان رِئام بيتًا لهم يعظمونه ، وينحرون عنده ويُكلَّمون منه ، إذ كانوا على شركهم ، فقال الحبران لتُبَّع : إنما هو شيطان يفتنهم بذلك فخلِّ بيننا وبينه ، فاستخرجا منه - فيما يزعم أهل اليمن - كلبا أسود فذبحاه ثم هدما ذلك البيت ، فبقاياه اليوم - كما ذكر لى - بها آثار الدماء التى كانت تهراق . السيرة النبوية لابن هشام ط . دار الجيل - بيروت ١ / ١٤١ .

مَقْتَلُ تُبَّعٍ

حدثنا أحمد بن عبد الجبار : نا يُونسُ بن بُكير عن ابن إسحاق قال : لما فعل تبع ما فعل ، غضبت ملوك حمير ، وقالوا : ما كان يرضى أن يطيل غزونا ، ويبعدنا في المســير من أهلينا حتى طعن أيضًا في ديننا وعاب آباءنا ، فاجتمعوا على أن يقتلوه ، ويستخلفوا أخاه [١] من بعده ، فاجتمع رأى الملوك على ذلك كلهم إلا ذا غَمدان [٢] فإنه أبى أن يمالئهم على ذلك ، فثاروا به ، فأخذوه ليقتلوه فقال لهم : أتراكم قاتلى ؟ قالوا : نعم ، قال : أما أنا فإذا قتلتمونى فادفنونى قائمًا ، فإنه لن يزال لكم ملك قائم ما دمت قائمًا ، فلما قتلوه ، قالوا : والله لا يملكنا حيًّا وميتا ، فنكسوه على رأسه ، فقال فى ذلك ذو غَمدان ، فى الذى كان من أمره :

*** ذُو رُعيْن يرى تبعًا :**

إن تَكُ حمير غَدَرَتْ وَخَانَتْ ... فَمَعذرَةَ الإله لـذى رُعَيْنِ
أَلا مَنْ يَشْتَرى سَهــراً بنَوم ... سَعيد مَنْ يَبيتُ قَرِيرَ عَيْنِ

*** عمرو يرثى أخاه تبعا :**

وقال فى ذلك عبد كلال [٣] بعد قــتل أخيه واســتخلافهم إياه حين قتَل وجوه حمير :

شَفيتُ النَّفسَ ممَّن كَان أَمْسَى ... قَرِيرَ العَيْنِ قَد قَتلوا كَرِيمى
فَلما أَنْ فَعلْتُ أَصابَ قَلْبى ... بما قَدْ جِئْت مِنْ قَتْلِ رَغيمِ
أَشَارُوا لِى بِقَتْلِ أخٍ كَرِيمِ ... ولَيس لذى الضَّرائب باللَّئيم
فَعُدْتُ كَأنَ قَلْبِى فى جَناحٍ ... بِعَيشٍ لَيْسَ يَرْجِعُ فى نَعيمِ
وَعَادَ القَلْبُ كالمجنونِ يَنْمِى ... إلى الغَايَاتِ لَيْسَ بذى حَمِيمِ

---

(١) ذُكر أن أخاه هذا اسمه عمرو .

(٢) ذكر ابن هشام أن اسمه ذو رُعَين وليس ذو غمدان ، ذو رُعين تصغير رَعن ، والرَّعنُ : أنف الجبل ، ورعين جبل باليمن وإليه ينسب ذو رعين . انظر السيرة لابن هشام ط مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ٢٣ .

(٣) أخى تُبع الذى ولُّوه عليهم بعد مقتل تبع ، وسبق الإشارة إلى أن اسمه عمرو .

فَلمَّا أنْ قَتَلْتُ بِــــــه كِرَامًا ... وَصَارُوا كُلهــــم كَالمسْتَلِيمِ
رَجَعْتُ إلى الَّذِى قَدْ كَان مِنِّى ... كَأَنْ القَلْبَ لَيْسَ بذِى كَــــلوم
جَزى رَبُّ البَرِيَّةِ ذَا رُعَــــيْن ... جَزَاءَ الخُلْدِ مِـــــنْ دَاعٍ كَرِيمِ
فَإِنِّى سَـــــوْفَ أَحفَظُهُ وَرَبِّى ... وَأُعْطِيهِ الطَّرِيــــفَ مَعَ القَدِيمِ

وقال عبد كلال أيضًا يرثى أخاه:

أَطَعْتُ القَوْمَ إذْ غَشُّوا جَمِيعًا ... وَقَد اتُّهِمْتُ فى غِشٍّ النَّصِيحِ
وَلَو طَاوَعْتُ فِــــى رَأْيِى رُعَيْنًا ... لَقُلْتُ له وَقَـــــولى ذُو نَدُوحِ
فَلمْ أَرْفَع بِقَوْلِه لِــــى كَلامًا ... وَعُدْتُ كَأَنَّنِى عَبْــــــد أَسِيحِ
فَلما أَنْ قَبِلْتُ القَـــــولَ مِنْهُ ... عَلى الأَرْوَاحِ مِنْ حَقٍّ الفُضُوحِ
فَمَنْ أَمْسَى يُطَـــــاوِعُنِى فَإِنِّى ... سَأَجْهَدُ فِى المَقَالِ بِه أَبُوح
فَلما أَنْ لَقِيتُـــــهُمْ أَقَامَتْ ... لِذَاكَ النَّفْسُ فِى هَمٍّ مَرِيحِ

* * *

* هلاك عمرو وتفرق تُبع :

ثم استخلفوا أخًا له ، يقال له عبد كلال ، فزعموا أنه كان لا يأتيه النوم بالليل ، فأرسل إلى من كان ثَم من يهود ، فقال : ويحكم ، ما ترون شأنى ؟ فقالوا: إنك غير نائم حتى تقتل جميع من مالأك على قتل أخيك ، فتتبعهم ، فقتل رؤوس حمير ووجوههم »(١) .

* * *

(١) ذكر ابن هشام أن ابن إسحاق قال : فلما نزل عمرو بن تبان اليمن مُنع منه النوم ، وسلط عليه السهر ، فلما جهده ذلك سأل الأطباء والحزاة (المنجمين) من الكهان والعرافين عما به فقال له قائل منهم : إنه ما قتل رجل قط أخاه أو ذا رحمه بغيًا على مثل ما قتلت أخاك عليه إلا ذهب نومه ، وسُلط عليه السهر ، فلما قيل له ذلك جعل يقتل كل من أمره يقتل أخيه حسان من أشراف اليمن ، وهلك عمرو ، فمرج (أى اختلط) أمر حمير عند ذلك وتفرقوا . انظر السيرة النبوية لابن هشام دار الجيل تحقيق طه عبد الرءوف سعد ١ / ١٤٣ وإذا كان هناك تكرار فنحن نذكر أكثر من رواية لفائدة زائدة .

* **ابتداء مُلك الحبشة :**

ثم خرج ابن لتبع يقال له دَوس [١] ، حتى أتى قيصر ، فهو مثل فى اليمن يضرب بعد : « لا كَدَوس ولا كمعلق رَحْله » فلما انتهى إلى قيصر ، دخل عليه ، فقال له : إنى ابن ملك العرب ، وإن قومى عدوا على أخى [٢] فقتلوه ، فجئت لتبعث معى من يملك لك بلادى ، وذلك لأن ملكهم الذى ملكهم بعد أبي قد قتل أشرافهم ورؤوسهم ، فدعا قيصر بطارقته فقال : ما ترون فى شأن هذا ؟ قالوا : لا نرى أن تبعث معه أحدًا إلى بلاد العرب ، وذلك لأنا لا نأتمن هذا عليهم ليكون إنما جاء ليهلكهم ، فقال قيصر فكيف أصنع به وقد جاءنى مستغيثًا ؟ قالوا : اكتب له إلى النَّجَاشى ملك الحبشة ، وملك الحبشة يدين لملك الروم .

* **النجاشى ينصر دوسًا :**

فكتب له إليه ، وأمره أن يبعث معه رجالاً إلى بلاده ، فخرج دوس بكتاب قيصر حتى أتى به النجاشى ، فلما قرأه نخر وسجد له ، وبعث معه ستين ألفًا واستعمل عليهم روزبة [٣] ، فخرج فى البحر ، حتى أرسى إلى ساحل اليمن .

* * *

فخرج عليهم هو وقومه ، فخرجت عليهم حمير [٤] - وحمير يومئذ فرسان أهل اليمن - فقاتل أهل اليمن قتالا شديدًا على الخيل ، فجعلوا يكردسونهم كَراديس ، ثم يحملون عليهم ، فكلما مضى منهم كردوس تبعه آخر ، فلما رأى ذلك روزبة قال لدوس : ما جئت بى ههنا إلا لتجزرنى قومك ، فأبدأن بك فلأقتلنك قبل

---

(١) ليس ابن تبع ، والدليل ما ذكره ابن هشام أن ابن إسحاق قال عنه إنه رجل من سبأ يقال له . دوس ذو ثعلبان ، انظر مختصر سيرة ابن هشام ط . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١ / ٣٦ .

(٢) هنا لَبس بيِّن ؛ لأن دوس لو كان ابن تبع حقا لقال هنا « عمى » أو « أبى » بدلاً من « أخى » .

(٣) ذكر ابن هشام أن اسمه أرياط . السيرة النبوية لابن هشام ط . مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ٣١ .

(٤) ذكر أن ذا نواس هو الذى تزعم حمير يومئذ ضد أرياط وأبرهة وجنودهما . انظر مختصر سيرة ابن هشام ١ / ٣٦ .

أن أقتل ، قال : لا تفعل أيها الملك ، ولكن أُشير عليك فتقبل منى ، قال : نعم فأشر على ، قال له دوس : أيها الملك ، إن حمير قوم لا يقاتلون إلاَّ على الخيل ، فلو أنك أمرت أصحابك ، فألقوا بين أيديهم ترسهم ودرقهم ، ففعلوا ذلك ، فجعلت حمير تحمل عليهم فتزلق الخيل على الترسة والدَّرْق ، فتطرح فرسانها ، فيقتل الآخرون ، فلم يزالوا كذلك حتى دقوا ، وكثرهم الآخرون وإنهم ساروا حتى دخلوا صنعاء ، فملكوها وملكوا اليمن (١) ، وكان فى أصحاب روزبة رجل يقال له أَبْرَهة بن الأَشْرم (٢) ، وهو أبو يكسوم ، فلما ملكوا اليمن ، قال أبرهة لروزبة : أنا أولى بهذا الأمر منك ، فقال الآخر : وكيف ، والملك بعثنى ؟ قال : وإن كان الملك بعثك ، فأنا أولى بهذا الأمر منك ، ففاته الآخر ، واتبع أبرهة ناس من قومه ، فخرجوا للقتال ، فلما تواقفوا ليقتتلوا ، قال أبرهة لروزبة : ما لك ولأن نفنى الحبشة ، فيذهب ملكنا من هذه البلاد ، اخرج ، فأينا قتل صاحبه كان الملك ، فقال الآخر : نعم ، وكان روزبة رجلاً جسيما ، وكان أبرهة رجلاً حادرًا قصيرًا ، فقال أبرهة لغلام (٣) له : إذا خرجت إليه لأبارزه ، فائته من خلفه فاقتله ، فإن أصحابه لن يزيدوا على أن يفروا ، ولك عندى ما سألتنى من ملكى ، فلما خرجا سل روزبة على أبرهة سيفه ، فضربه ضربة وسط رأسه بالسيف ، وضربه غلام أبرهة من خلفه فقطعه باثنتين ، فاحتمله أصحابه ، واحتمل هذا أصحابه ، ثم إنهم اصطلحوا على أبرهة ، ولم يكن فيهم بعد صاحبهم مثله ، وبلغ ذلك النجاشى ، فكتب إليه يتهدده ، فحلق أبرهة رأسه ، وأخذ ترابًا من تراب أرضه ، فبعث به إليه وقال : أيها الملك ، هذا رأسى وتراب أرضى ، فهو تحت قدميك ، وإنما كنت أنا ورُوزَبَة عَبْدَيك ، فرأيت أنى أقوى على أمر الملك منه ، فلذلك فعلت ما فعلت ، فكتب إليه النجاشى بالرضى ، وأقره على ملكه .

ثم إن أبرهة بن الأشرم ، وهو أبو يَكْسُوم ، بنى كعبة باليمن (٤)

---

(١) ذكر ابن إسحاق أن أرياط أقام بأرض اليمن سنين فى سلطانه انظر السابق ١/ ٣٧ .

(٢) سُمى بذلك لشرم أنفه وشفته أى شقهما .

(٣) قيل اسم هذا الغلام : عَتْودة أى شديد فى الحرب .

(٤) هى كنيسة القُلَّيس التى أراد أبرهة أن يصرف حج العرب إليها وسميت بذلك لارتفاع بنائها وعلوها ومنه أخذت القلانس لأنها تعلو الرأس ، ويقال تقلنس الرجل إذا لبس القلنسوة ، وكان أبرهة قد استذل أهل اليمن فى بنيان هذه الكنيسة وجشمهم أنواعا من السخرة=

وجعل عليها قبابًا من ذهب ، وأمر أهل مملكته بالحج إليها ، يضاهى بذلك البيت الحرام .

* * *

= وكان ينقل إليها العدد من الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس - صاحبة سليمان عليه السلام ، وكان قريبا من موضع الكنيسة ، وكان فيه بقايا من آثار مُلكها ، وكان أراد أن يرفع فى بنائها حتى يشرف منها على عدن ونصب فيها صلبانًا من الذهب والفضة ومنابر من العاج والأبنوس ، وكان حكمه فى العامل إذا طلعت عليه الشمس قبل أن يأخذ فى عمله أن يقطع يده ، فنام رجل منهم ذات يوم ، حتى طلعت الشمس ، فجاءت معه أمه وهى امرأة عجوز ، فتضرعت إليه تستشفع لابنها ، فأبى إلا أن يقطع يده ، فقالت اضرب بمعولك اليوم فاليوم لك ، وغدًا لغيرك . انظر الروض الأنف تحقيق طه عبد الرءوف سعد ١ / ٦٣ .

حادث الفيل (١)

* إحداث الكنانى فى الكنيسة وانتقام أبرهة

حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، قال : نا يونُس عن ابن إسحاق قال : وإن رجلاً من بنى ملْكَان بن كِنانة ، وهو من الحُمس (٢) ، خرج حتى قدم أرض اليمن ، فدخلها (٣) ، فنظر إليها ، ثم قعد فَخَرِى فيها (٤) ؛ فدخلها أبرهة ، فوجد تلك العذرة فيها ، فقال : من اجترأ علىَّ بهذا ؟ فقال له أصحابه : هذا رجل من أهل ذلك البيت الذى يحجه العرب ، قال : فعلىَّ اجترأ بهذا ، ونصرانيتى لأهدمنَّ ذلك البيت ولأخربنه حتى لا يحجه حاج أبدًا ، فدعا بالفيل ، وأذن فى قومه بالخروج ، ومن اتبعه من أهل اليمن ، وكان أكثر من تبعه من عك والأشعريون ، وخثعم ، فخرجوا وهم يرتجزون :

إِنَّ البَلَدَ لَبلدٌ مَأْ كُولْ ‌ ‌ ‌ ‌ يأكله عَكٌّ وَالأشْعَرِيونَ وَالفِيلْ

* * *

* ما حدث بين نُفَيْل وأبرهة :

فخرج يسير ، حتى إذا كان ببعض طرقه ، بعث رجلاً من بنى سُلَيْم ، ليدعو الناس إلى حج بيته الذى بناه ، فتلقاه أيضًا رجل من الحمس ، من بنى كِنانة ، فقتله ، فازداد بذلك - لما بلغه - حنقًا وحردا ، وأحث السير والانطلاق ، حتى إذا أشرف على وادى وَجٍّ من الطائف ، خرجت إليه ثَقيف فقالوا : أيها الملك ، إنما نحن عبيدك ، وليست ربتنا هذه بالتى تريد - يعنون اللات صنمهم - وليست بالتى تحج إليها العرب ، وإنما ذلك بيت قريش ، الذى تجىء إليه العرب ، قال : فابغونى

---

(١) نذكر القصة مرة أخرى من رواية يونس بن بكير وقد ذكرت سابقا من رواية ابن هشام لفائدة زائدة .

(٢) الحمس هم المتشددون في العبادة . .

(٣) أى دخل الكنيسة التى بناها أبرهة .

(٤) أى أحدث فيها - تبرز وعبر هنا ابن هشام بقوله قعد فيها .

دليلا يدلنى عليه ، فبعثوا معه رجلاً من هذيل ، يقال له نُفيل [١] ، فخرج بهم يهديهم ، حتى إذا كانوا بالمغمَّس [٢] ، نزلوا المغمَّس من مكة على ستة أميال ، فبعثوا مقدماتهم إلى مكة [٣] ، فخرجت مكة عباديد فى رؤوس الجبال ، وقالوا : لا طاقة لنا بقتال هؤلاء القوم ، فلم يبق بمكة أحد إلاَّ عبد المطلب بن هاشم ، أقام على سقايته ، وغير شيبة بن عثمان بن عبد الدار ، أقام على حـــجابة البيت ، فجعل عبد المطلب يأخذ بعضادتى الباب ، ثم يقول :

اللَّهُمَّ إنَّ المرءَ يَمْـــــ نـــعُ حلَّهُ فَامنَعْ حلاَلَكْ
لاَ يَغْلبُوا بِصَليبِـــهِـــمْ وَمَحالُهُمْ غَدْرًا مِحَالَـكْ
إنْ يَدْخُلوا البَلَدَ الحَرَامَ غَدًا فَأَمْرٌ مَا بَـــــدا لَكْ

يقول : أى شيد ما بدا لك ، لم تكن تفعله بنا ، ثم إن مقدمات أبرهة أصابت نَعمًا لقريش ، فأصابت فيها مائتى بعير لعبد المطلب بن هاشم ، فلما بلغه ذلك ، خرج حتى انتهى إلى القوم .

* * *

* رسول أبرهة إلى مكة :

وكان حاجب أبرهة رجلاً من الأشعريين [٤] ، وكانت له بعبد المطلب معرفة قبل ذلك ، فلما انتهى إليه عبد المطلب ، قال له الأشعرى : ما حاجتك ؟ فقال : حاجتى أن تستأذن لى على الملك ، فدخل عليه حاجبه .

---

(١) ذكر بعض الرواة عن ابن إسحاق أن اسمه أبو رغال انظر السيرة النبوية لابن هشام ط . دار الجيل ١ / ١٦٦ .

(٢) المغمس : النبات الأخضر الذى ينبت فى الخريف تحت اليابس ، المغمَّس : المكان المستور إما بهضاب وإما بعضاه ويؤيد ذلك ما روى عن رسول الله ﷺ أنه « كان إذا أراد حاجة الإنسان خرج إلى المغمَّس » أى استتر بعيداً ، وكذلك حـــديث « كان ﷺ إذا أراد البراز أبعد » . انظر الروض الأنف تحقيق طه عبد الرءوف سعـــــد ١ / ٦٨ .

(٣) ذكر أن أبرهة لما نزل المغمس بعث رجلا من الحبشة يقال له : الأسود بن مقصود حتى سار ، إلى مكة وكان النجاشى قد بعثه مع الفيلة والجيش . انظر مختصر سيرة ابن هشام ١ / ٤٢ .

(٤) اسمه حناطة الحميرى .

فقال له : أيها الملك ، جاءك سيد قريش الذى يطعم أنيسها فى السهل ووحوشها فى الجبل ، فقال : ائذن له ، وكان عبد المطلب رجلاً جسيمًا جميلا ، فأذن له ، فدخل عليه ، فلما أن رآه أبو يكْسوم ، أعظمه أن يجلسه تحته ، وكره أن يجلسه معه على سريره ، فنزل من سريره ، فجلس على الأرض ، وأجلس عبد المطلب معه ، ثم قال : ما حاجتك ؟ فقال : حاجتى مائتا بعير ، أصابتها مقدمتك ، لى ، فقال أبو يكسوم : والله لقد رأيتك فأعجبتنى ، ثم تكلمت فزهدت فيك ، فقال له : ولمَ أيها الملك ؟ قال : لأنى جئت إلى بيت هو منعتكم من العرب ، وفضلكم فى الناس ، وشرفكم عليهم ، ودينكم الذى تعبدون ، فجئته لأكسره ، وأصيبت لك مائتا بعير ، فسألتك عن حاجتك ، فكلمتنى فى إبلك ، ولم تطلب إلىَّ فى بيتكم ! فقال له عبد المطلب : أيها الملك ، إنما أكلمك فى مالى ، ولهذا البيت رب هو يمنعه ، لست أنا منه فى شىء ، فراع ذلك أبا يكسوم ، وأمر برد إبل عبد المطلب عليه ، ورجع عبد المطلب .

* * *

* أبرهة يهاجم الكعبة وعقاب الله له ولفيله وجنوده :

وأمسوا فى ليلتهم تلك ، فأمست ليلة كالحة ، نجومها كأنما تكلمهم كلاما ، لاقترابها منهم ، وأحست أنفسهم بالعذاب ، وخرج دليلهم حتى دخل الحرم ، وتركهم ، وقام الأشعريون وخَثْعَم ، فكسروا رماحهم ، وسيوفهم ، وبرئوا إلى الله تعالى أن يعينوا على هدم البيت ، فباتوا كذلك بأخبث ليلة ، ثم أدلجوا بسحَر ، فبعثوا فيلهم يريدون أن يصبِّحوا مكة ، فوجهوه إلى مكة ، فربض ، فضربوه فتمرغ ، فلم يزالوا كذلك حتى كادوا يصبحون ، ثم إنهم أقبلوا على الفيل ، فقالوا : لك الله ألا نوجهك إلى مكة ، فجعلوا يقسمون له ، ويحرك أذنيه ، يأخذ عليهم ، حتى إذا أكثروا من القسم ، انبعث ، فوجهوه إلى اليمن راجعًا ، فتوجه يهرول ، فعطفوه حين رأوه منطلقًا ، حتى إذا ردوه إلى مكانه الأول ، ربض وتمرغ ، فلما رأوا ذلك ، أقسموا له ، وجعل يحرك أذنيه يأخذ عليهم ، حتى إذا أكثروا ، انبعث ، فوجهوه إلى اليمن ، فتوجه يهرول ، فلما رأوا ذلك ردوه ، فرجع معهم حتى إذا كان فى مكانه الأول ، ربض فضربوه ، فتمرغ ، فلم يزالوا كذلك ،

فعالجوه ، حتى كان مع طلوع الشمس ، طلعت عليهم الطير معها ، وطلعت عليهم طير من البحر أمثال اليحاميم سُود (١) ، فجعلت ترميهم وكل طائر فى منقاره حجر (٢) ، وفى رِجلَيه حَجران ، فإذا رمت بتلك مضت ، وطلعت أخرى ، فلا تقع حجرة من حجارتهم تلك على بطن إلا خرقته ، ولا عظم إلاَّ أوهاه ونقبه .

وثار أبو يكسوم راجعًا ، قد أصابته بعض الحجارة ، فجعل كلما قدم أرضًا انقطع منه فيها أرب(عضو) ، حتى إذا انتهى إلى اليمن ، ولم يبق منه شيء إلا أباده ، فلما قدمها انصدع صدره ، وانشق بطنه ، فهلك ، ولم يصب من الأشعريين وخَثعم أحد .

ولما فزعوا إلى دليلهم ذلك ، يسألون عنه ، فجعلوا يقولون : يا نُفيل ، يا نُفيل ، وقد دخل نُفيل الحرم ، ففى ذلك يقول نُفيل :

أَلاَ رُدِّى جمالكِ يَا رُدَيْنَا ... نَعِمنَاكُم مَع الإصْبَاحِ عَيْنَا
فَإِنكَ لَو رَأيْتِ ، وَلَنْ تُرِيه ... إلى جَنْبِ المُحَصَّبِ مَا رَأَيْنَا
إذًا لَخشيته وفَزِعْتِ منْهُ ... ولَم تَأْسى عَلى مَا فات عَيْنَا
خشيتُ اللهَ لَما رَأيت طَيراً ... وقَذْف حجَارَة تُرْمَى عَلَيْنَا
وَكُلُّهمُ يُسَائِل عَن نُفَيل ... كَأن عَلَيَّ لِلحبْشَان دَيْنَا (٣)

وقال المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم :

أَنْتَ حَبَسْتَ الفَيلَ بالمُغَمَّسْ ... أَهلَكْتَ أَبا يكْسُومُ والمَغلَّس
كَردستهم وأَنْت غَيْر مُكَرْدَسْ ... تُدْعِسهُمْ وأَنْتَ غَيْرَ مُدَعَّسْ

وقال عبد المطلب ، وهو يرتجز ويدعو على الحبشة :

يَا رَبِّ لاَ أَرجُو لَهم سِوَاكَا ... يَا رَبِّ فَامنَع مِنهم حِمَاكَا

(١) ورد فى وصف هذا الطير أيضًا أنه أمثال الخطاطيف والبلسان وهما نوعان من أنواع الطيور ، وذكرا أيضا أن الطير كانت لها أنياب كأنياب السبع وأكف كأكف الكلاب .

(٢) فى رواية أخرى أن الحجر مثل الحمص والعدس ولكن فى الشكل فقط .

(٣) ورد أن نُفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته قال :

أين المفر والإلهُ الطالب ... والأشرم المغلوب ليس الغالب

إنَّ عَدو البَيْتِ مَنْ عَادَاكا ... إنهم لَنْ يَقْهَـــروا قِوَاكَا

وقال عبد المطلب حين انصرفوا :

مَنَعْتُ الأَرضَ التــــــى حُمِيَتْ ... من اللِّئام فَلم تُخلَق لَهم دَارا
مَنعتُ مكَّةَ منهـــــم إننى رَجُلٌ ... ذَو أسرة لم نكن فى الحُب غَدَّارَا
إذ قلتُ يَا صَاحب الحبْشَان إن لنا ... منْ دون أن يُهْدَم المعمُور أَخطَارَا
فَسار فى جَيْشه بالفيلِ مُقْتَدرًا ... وَسرتُ مُسْتَبْسلا للَموت صَبَّارَا
فِى فِتَيةٍ من قُرَيش لَيْسَ مَيِّتُهم ... بِمورث حَيِّهــــم شَيْنًا وَلا عَارَا

حدثنا أحمد ، نا يُونُس بن بُكير ، عن عبد الله بن عــون ، عن محمد بن سيرين ، عن عبد الله بن عباس فى قوله : ﴿ **وأرسل عليهم طيراً أبابيل** ﴾ (١) ، قال: طير لها خراطيم كخراطيم الطير ، وأكف كأكف الكلاب ·

حدثنا أحمد قال : نا أبى ، ويونُس جميعًا ، عن قيس بن الربيع ، عن جابر ابن عبد الرحمن بن أسباط ، عن عُبيد بن عُمير : ﴿ **وأرسل عليهم طيراً أبابيل** ﴾ قال : طيرًا أقبلت من قبل البحر كأنها رجال الهند : ﴿ **ترميهم بحجارة من سجيل**﴾(٢) · أصغرها مثل رؤوس الرجال ، وأعظمها مثل الإبل الهزل ، وما رمت أصابت ، وما أصابت قتلت ، وزاد فيه أبى : الأبابيل المتتابعة ، ما أرادت أصابت ، ما أصابت قتلت ·

حدثنا أحمد قال: نا يونُس عن ابن إســـحاق ، قال : حـــدثنى عبد الله بن أبى بكر بن حزم ، عن عمرة ابنة عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة عن عائشة زوج النبى ﷺ قالت : لقد رأيت قائد الفيل ، وسائسه أعميين مقعدين ، يستطعمان بمكة ·

حدثنا أحمـــد ، نا يونس عن ابن إســـحاق قال : حدثنى يعقوب بن عتبة ابن المغيرة بن الأخنس قال : حدِّثت أنه أول ما رُؤى فى أرض العرب : الحصبة ،

(١) سورة الفيل : الآية ٢ · (٢) سورة الفيل : الآية ٣ ·

والجـــدُرى ، ومرائر الشجـــر (١) من العشر (٢) والحرمل وأشـباه ذلك ، عام الفيل .

* وفاة السيدة آمنة بنت وهب :

حدثنا أحمد : نا يونُس بن بُكير ، عن ابن إسحاق قال : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن حزم قال : قدمت آمنة بنت وهب ، أم رسول الله ﷺ ، برسول الله ﷺ على أخواله من بَنى عَدى بن النجَّار بالمدينة ، ثم رجعت به ، حتى إذا كانت بالأبواء هلكت بها ، ورسول الله ﷺ ابن ست سنين .

* كفالة عبد المطلب محمدا ﷺ :

حدثنا أحمد : نا يونُس ، عن ابن إسحاق ، قال : وكان رسول الله ﷺ مع جده عبد المطلب ، فحدثنى العباس بن عبد الله بن معْبد ، عن بعض أهله قال : كان يوضع لعبد المطلب جد رسول الله ﷺ فراش فى ظل الكعبة ، فكان لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له ، وكان رسول الله ﷺ يأتى حتى يجلس عليه ، فيذهب أعمامه يؤخِّرونه ، فيـقول جده عبد المطـلـب : دعوا ابنى ، فيمسح على ظهره ، ويقول : إن لِبُنَى هذا شأنا ، فتوفى عبد المطلب ، ورسول الله ﷺ ابن ثمانى سنين ، بعد الفيل بثمانى سنين .

حدثنا أحمد : نا يُونُس ، عن ابن إسحاق قال : نا عبد الله بن أبى بكر بن حزم قال : ذهب رجل بصنعاء يحفر خَرِبة من خربها لبعض ما ينتفع به الناس ، فكشف عن عبد الله بن الثامر ، قاعدًا يده على شجة برأسه موضوعة ، إذا أخروا يده عنها ، نبعت دمًا ، وإذا أرسلوها ردها فوضعها علـــيها ، فى يده خاتم ، نقشه (ربى الله) ، فكتب فى ذلك إلى عمر بن الخطاب ، فكتب أن : ارددوا عليه ما كان عليه ، وأقروه – حدثنا أحمد : نا يونُس عن ابن إسحاق قال : وكان على دين عيسى عليه السلام (٣) .

---

(١) مرائر الشجر : الشجر المر . (٢) العُشر : شجر مر أيضًا .

(٣) سبق أن ذكرت هذه الرواية فى أول الكتاب تحت عنوان « عبد الله بن الثامر يدعو للتوحيد » من رواية ابن هشام وذكرناها هنا من رواية يونس رحمهما الله تعالى .

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس (١) بن بُكير عن أبى خلدة خالد بن دينار قال : نا أبو العالية قال : لما فتحنا تَسْتُر ، وجدنا فى بيت مال الهُرْمُزَان سريراً عليه رجل ميت ، عند رأسه مصحف له ، فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بن الخطاب ، فدعا له كعبًا (٢) ، فنسخه بالعربية ، فأنا أول رجل من العرب قرأه ، قرأته مثلما أقرأ القرآن هذا ، فقلت لأبي العالية: ما كان فيه ؟ فقال: سيرتكم وأموركم ، ولحون كلامكم ، وما هو كائن بعدُ ، قلت : فما صنعتم بالرجل ؟ قال : حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة ، فلما كان الليل دفناه، وسوينا القبور كلها، لنعميه على الناس، لا ينبشونه ، قلت : وما يرجون منه ؟ قال : كانت السماء إذا حُبست عليهم ، برزوا بسريره فيمطرون ، قلت : من كنتم تظنون الرجل ؟ قال : رجل يقال له دانيال ، فقلت : منذ كم وجدتموه مات ؟ قال : منذ ثلاثمائة سنة، قلت : ما كان تغير بشيء ؟ قال : لا ، إلاَّ شعيرات من قفاه ، إن لحوم الأنبياء لا تُبليها الأرض ، ولا تأكلها السباع .

* وفاة عبد المطلب ورثائه :

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس بن بُكير عن ابن إسحاق قال : لما حضرت عبد المطلب الوفاة ، قال لبناته : ابكين حتى أسمع كيف تقلن ، وكن ست نسوة ، وهن: أميمة ، وأم حكيم ، وبرَّة ، وعاتكة ، وصفية ، وأروى فقالت أميمة :

أَلاَ هَلَكَ رَاعِى العَشِيرِ ذُو العُقَدْ ... وَسَاقِى الحَجِيجِ الُمحَامِى عَن الحَمدْ
وَمَنْ يُؤَلِّف الجارَ الغَرِيبَ لِبَيتِهِ ... إِذَا مَا سَماءُ البيت تَبْخَل بَالرَّعَدْ

وقالت عاتكة :

أَعَيْنَىَّ جُودَا وَلا تَبْخَلا ... بِدَمْعِكُما بَعْدَ نَوْمِ النِّيَامْ
أَعَيْنِى وَاسحنْفِزا وَاسْكُبَا ... وَشَوبا بُكاء كمَا بالنِدامْ
عَلَى الجَحْفَلِ الغَمرِ فى النَائبا ... تِ كَرِيمِ المساعى وفىِّ الذِّمَامْ
عَلَى شَيْبَةَ الحَمْدِ وَارِى الزِّنَادِ ... وَذِى مُصْدِق بَعد ثَبْتِ المقامْ

وقالت صفية :

أَرِقْتُ لِصَوتِ نَائِحَةٍ بليل ... عَلَى رَجُلٍ بقَارِعَةِ الصَّعِيدِ

(١) بمعنى حدثنا ، أنا بمعنى أخبرنا ، ثنا : حدثنا ، ثنى : حدثنى ، وهى من رموز علم مصطلح الحديث ، راجع فى ذلك هدى السارى لابن حجرتحقيق طه عبد الرءوف سعد .

(٢)هو سيدنا كعب الأحبار كان من علماء اليهود فأسلم وكان على علم ودراية بالديانات

فَفَاضَتْ عِنْدَ ذَالِكُمُ دُمُوعِى عَلَى خَدِّى كَمُنْحَدِرِ الفَرِيد
عَلَى الفَيَّاضِ شَيْبَةَ ذِى المَعَالِى أَبِيكِ الخَيْرِ وَارِث كُلِّ جُود
طَوِيلِ البَاعِ أَرْوَعَ شَيْظَمِى مُطَاعٍ فِى عَشِيرَتِهِ حَمِيدْ
عَظِيمُ الحِلْمِ مِنْ نَفَرٍ كِرَامٍ خَضَارِمَةٌ مَلاوِثَة أُسُود

وقالت البيضاء أم حكيم ، والبيضاء جدة عثمان بن عفان أم أمه وكانت البيضاء عند كريز بن رَبيعة بن حَبيب بن عبد شمس فولدت له عامرًا وأروى :

أَلَا يَا عَيْنُ جُودِى وَاسْتَهِلِّى وبكى ذا الندى والمكرُمات
أَلَا يَا عَيْنُ وَيْحكَ أَسْعِفِينِى بِدَمْعٍ مِنْ دُمُوعٍ هَاطِلَات
فَبكى خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المطَايَا أَبَاكِ الخَيْرَ تَيَّارَ الفُرَات
طَوِيلُ البَاعِ شَيْبَةَ ذَا المعَالِى كَرِيمُ الخِيم مَحْمود الهِبَات
وَصُولاً لِلْقَرَابَةِ هَبْرَزِيًّا وغيَّاثًا فى السِّنين المُمْحلَات
فَبكيه وَلَا تسمى بحُزْنٍ وَبكى مَا بكين البَاكيات

وقالت بَرَّه :

أَعَيْنَى جُودَا بِدَمْعٍ دُرَرْ عَلَى طَيِّبِ الخِيمِ والمعْتَصَرْ
عَلَى مَاجِدِ الجَد وارى الزِّنَا دِ جَمِيل المُحَيَّا عَظِيم الخَطَرْ
عَلَى شَيْبَةَ الحَمْدِ ذِى المَكْرُمَا تِ وَذِى المجد والعزِّ والمفْتَخَر
وذِى الفَضْلِ والحِلْمِ فى النَّائبا تِ كَثِير المكَارِمِ جَم الفَخَرْ
لَه فَضْلُ مَجْدٍ عَلَى قَوْمِه مُبِين يَلوحُ كَضَوْءِ القَمَرْ
أَتَتْه المنَايا (١) فَلَم تسؤه بِصَرفِ اللَّيَالِى وَرِيبِ القَدَرْ

وقالت أَرْوَى :

بَكَتْ عَيْنِى وَحَقَّ لهَا البُكَاءُ عَلَى سَمْحٍ سَجِيَّتُه الحَيَاءُ
عَلَى سَهْلِ الخَلِيقَةِ أَبْطَحِىٌّ كَرِيمُ الجَدِّ نِيَّتُهُ العَلَاءُ
عَلَى الغَيَّاضِ شَيْبَةَ ذِى المَعَالِى أَبِيكِ الخَيْرِ لَيس لَه كِفَاءُ

(١) أى الموت .

طَوِيْل البَاعِ أَمْلَس شَيْظَمى أَغَر كَأن غرتَّـــــه ضِيَاءُ
ومْعقِل مالـــــك ورَبيعُ فِهر وفَاصِلُهَا إذا التَبسَ القَضَـــاءُ

* * *

حدثنا أحمد : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : ومات عبد المطلب ، ورسول الله ﷺ ابن ثماني سنين ، فلم يُبك أحد كان قبله بكاه .

* ولاية زمزم والسقاية بعد عبد المطلب :

وولى زمزم والسقاية من بنى عبد المطلب بعده العباس بن عبد المطلب ، وهو يومئذ أحدث إخوته سنًّا ، فلم تزل إليه حتى قام الإسـلام وهى بيده ، فأقرها رســول الله ﷺ على ما مضى ، فهى إلى آل العباس بولاية العباس إياها إلى هذا اليوم (١) .

حدثنا أحمد قال : نا يونُس عن ابن إسحاق قال : ولما هلك عبد المطلب ، كانت الرئاسة بعده والشرف والسن فى قومه بنى عبد مـــناف لحرب بن أميـــة بن عبد شمس بن عبد مناف ، فأطعم الناس ، وحاط العشيرة ، وشرف قومه ، ونصب قبة بمكة للضيف ، يطعم فيها من جاءه .

* * *

* عبد المطلب يوصى أبا طالب برعاية محمد ﷺ (٢)

وكان عبد المطلب - فيما يزعمون - يوصى أبا طالب برسول الله ﷺ ، وذلك أن عبد الله وأبا طالب لأم (٣) ، فقال عبد المطلب - فيما يزعمون - فيما يوصيه به ، واسم أبى طالب عبد مناف :

(١) أى زمن المؤلف ابن إسحاق .

(٢) كان حق هذا الموضوع أن يأتى قبل موضوع وفاة عبد المطـلب وذلك لترتيب الأحداث .

(٣) أى أخوين شقيقين .

أُوصيكَ يا عبدَ مَناف بَعْدِى — بمُوحِّد بَعـــد أَبيه فَرْدِ
فَارقَه وهـــو ضَجيعُ المهْدِ — فكُنْتُ كَالأُم لَه فى الوَجْدِ
تُدْنيه مَن أَحْشَائها وَالكَبْدِ — حتى إذا خفْتُ مدَادَ الوَعْدِ
أوصيتُ أَرْجى أَهْلنا للوفْدِ — بابنِ الَّذى غَيَّبْتُهُ فى اللَّحْدِ
بالكُره منى ثُم لاَ بَالعمد — فقال لى والقول ذُو مَرَدِ
مَا ابن أَخى مَا عشْت فى مَعد — إلا كَأدنى وَلَدى فى الوُدِّ
عنْدى أَرى ذَلك بَاب الرُّشْد — بَل أحمد قَد يُرْتَجى للرُّشْدِ
وَكل أَمْر فى الأُمُور ودُّ — قَدْ عَلمت عَلام أهل العَهْدِ
إن ابنى (١) سَيد أَهْلِ نَجْد — يَعْلُو عَلى ذى البدنِ الأَشَدِ

وقال عبد المطلب أيضًا :

أَوْصَيتُ مَنْ كَنَيْتُه بطَالبْ — عَبْدَ مَنَاف وَهو ذُو تَجارِبْ
بابن الذى قَد غَابَ غَيرَ آئبْ — بابن أَخ والنِّسْوَة الحَبائبْ
بابن الحبيب أَقْرَبُ الأَقَاربْ — فَقال لــــى كَشبه المعاتبْ
لا تُوصنى إنْ كُنْتَ بالمَعَاتبْ — بثابت الحَـــق عَلَىَّ وَاجبْ
مُحمد ذُو العُرْف والذَوائبْ — قَلْبى إلَيـــه مُقْبل وَائبْ
فَلَسْـــتُ بالآيس غَيْر الرَّاغب — بَأن يَحقَّ اللهُ قَوْلَ الرَّاهبْ
فيه وَأنْ يَفْضُلَ آلَ غَالبْ — إنى سَمعْتُ أَعْجَبَ العَجَائبْ
منْ كُل حَبْر عَالمٍ وكَاتب — هَذا الَّذى يُقْتَادُ كَالجنائبْ
منْ حل بالأَبْطح وَالأخَاشبْ — أيضاً ومَنْ ثَاب إلى المثاوبْ

منْ سَاكن للحَرَمِ أو مُجَانبْ

(١) يقصد رسول الله ﷺ لأن الابن يطلق على الابن وابنه .

* **إلى هنا تم بحمد الله :**

آخر الجزء الأول من كتاب المغازى لابن إسحاق - يتلوه الجزء الثانى إن شاء الله

قصة بَحِيراَ الراهب

والحمد لله حق حمده ، وصلواته على محمد خير خلقه ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

* * *

القسم الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمـــــــــد لله

* قصة بَحيرا الراهب (١)

أخبرنا الشيخ أبو الحسين أحمد بن محمد بن النَّقُور البزاز قراءة عليه وأنا أسمع قال : أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص قال : قرئ على أبى الحسين رضوان بن أحمد وأنا أسمع قال : حدثنا أبو عمر أحمد بن عبد الجبـار العُطاردى قال : حدثنا يُونُس بن بُكير عن محمد بن إسحاق قال : وكان أبو طالب هو الذى أضاف أمر رسول الله ﷺ إليه بعد جده ، فكان إليه ومعه (٢) .

* محمد يخرج مع عمه إلى الشام

ثم إن أبا طالب خرج فى ركب إلى الشام تاجرًا ، فلما تهيأ للرحيل ، وأجمع السير صبَّ (٣) له رسول الله ﷺ فأخذ بزمام ناقته وقال : يا عمِّ إلى من تكلنى لا أب لى ولا أم ؟ فرقَّ له أبو طالب وقال : والله لأخرجن به معى ولا يفارقنى ولا أفارقه أبدًا ؛ أو كما قال (٤) .

---

(١) كان حق هذا الحديث أن يأتى فى آخر الجزء الأول تحت عنوان « كفالة أبى طالب رسول الله ﷺ » ولكن نظرًا لالتزامنا بالأصل أردنا التنبيه .

(٢) جاء فى سيرة ابن هشام : المسير راجع أى طبعة من طبعات السيرة النبوية لابن هشام .

(٣) أى تعلق به وحن إليه ، والصبابة : رقة الشوق ، ويذكر عن بعض السلف أنه قرأ الآية رقم (٣٣) فى سورة يوسف : ﴿ أصب إليهن وأكن من الجاهلين ﴾ ، وفى غير رواية أبى بحر : ضبث به رســـول الله ﷺ : أى لزمه . انظر السيرة النبوية لابن هشام ط . دار الجيل تحقيق طه عبد الرءوف سعد ١ / ٣٢٠ .

(٤) كان رسول الله ﷺ إذ ذاك ابن تسع سنين كما ذكر بعض أهل السير ، وقال الطبرى : ابن اثنتى عشرة سنة .

* بحيرا يحتفى بتجار قريش :

فخرج به معه ، فلما نزل الركب بُصرى من أرض الشام ، وبها راهب يقال له بَحيراً فى صومعة له ، وكان أعلم أهل النصرانية ، ولم يزل فى تلك الصومعة قط راهب إليه يصير علمهم عن كتاب فيهم فيما يزعمون يتوارثونه كابراً عن كابر ، فلما نزلوا ذلك العام ببَحيرا [١] وكانوا كثيراً مما يمرون به قبل ذلك لا يكلمهم ولا يعرض لهم ، حتى إذا كان ذلك العام نزلوا به قريبًا من صومعته ، فصنع لهم طعامًا كثيراً ، وذلك - فيما يزعمون - عن شيء رآه وهو فى صومعته فى الركب ، حين أقبلوا وغمامًا تظله من بين القوم ، ثم أقبلوا حتى نزلوا بظل شجرة قريبًا منه ، فنظر إلى الغمامة حتى أظلت الشجرة ، وتهصَّرت [٢] أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظل تحتها ، فلما رأى ذلك بَحيراً نزل من صومعته وقد أمر بذلك الطعام فصنع ، ثم أرسل إليهم فقال : إنى قد صنعت لكم طعامًا يا معشر قريش ، وأنا أحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم ، وحرُّكم وعبدكم ، فقال له رجل منهم : يا بَحيرا [٣] إن لك اليوم لشأنا ما كنت تصنع هذا فيما مضى ، وقد كنا نمر بك كثيراً فما شأنك اليوم ؟ فقال له بحيرا : صدقت قد كان ما تقول ، ولكنكم ضيف ، وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعامًا تأكلون منه كلكم ، صغيركم وكبيركم ، فاجتمعوا إليه ، وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم - لحداثة سنه - فى رحال القوم تحت الشجرة ، فلما نظر بَحيرا فى القوم لم ير الصفة التى يعرف ويجد عنده ، قال : يا معشر قريش لا يتخلف أحد منكم عن طعامى هذا ، قالوا له : يا بحيرا ما تخلف عنك أحد ينبغى له أن يأتيك إلاَّ غلام هو أحدث القوم سنًّا تخلف فى رحالهـــم ، قال : فلا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم ، فقال رجل من

(١) جاء فى سيرة الزهرى أن بحيرا كان حبرًا من يهود تيماء ، وجاء فى المسعودى : أنه كان من عبد القيس ، واسمه : سَرجـــس ، وذكر ابن قتيبة فى المعارف أنه سُمع قبل الإسلام · بقليل هاتف يهتف : ألا إن خير أهل الأرض ثلاثة : بحيرا ، ورباب بن البراء الشنِّى ، والثالث : المنتظر ، فكان الثالث رسول الله ﷺ ·

(٢) أى مالت وتدلت ·

(٣) الصواب فتح أوله وكسر ثانيه وليس ما ينطقه العامة ·

القوم من قريش: واللاَّت والعُزَّى إن هذا للؤم بنا، يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن الطعام من بيننا ! ثم قام إليه فاحتضنه، ثم أقبل به حتى أجلسه مع القوم .

*** بحيرا يتثبت من محمد ﷺ :**

فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظًا شديدًا وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده فى صفته ، حتى إذا فرغ القوم من الطعام وتفرقوا قام بَحِيرا فقال له : يا غلام أسألك باللاَّت والعُزى إلاَّ أخبرتنى عما أسألك عنه ، وإنما قال له بَحيرا ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما ، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال له : لا تسلنى باللات والعُزى شيئًا فوالله ما أبغضتُ شيئًا قط بغضهما ، فقال له بحيرا : فبالله إلاَّ أخبرتنى عما أسلك عنه ، قال : سلنى عما بدا لك ، فجعل يسأله عن أشياء من حـاله : من نومه ، وهيئته ، وأموره ، فجعل رسول الله ﷺ يخبره فيوافق ذلك ما عند بَحيرا من صفته ، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التى عنده (١) .

*** بحيرا يوصى أبا طالب بمحمد ﷺ :**

فلما فرغ منه أقبل على عمه أبى طالب فقال له ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابنى ، قال له بحيرا : ما هو بابنك ، وما ينبغى لهذا الـغلام أن يكون أبوه حيًّا ، قال : فإنه ابن أخي ، قال : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حبلى به ، قال : صدقت ، ارجع بابن أخيك إلى بلده ، واحذر عليه اليهود ، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرًّا ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن فأسرع به إلى بلاده ، فخرج به عمه أبو طالب سريعًا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام .

*** بعض أهل الكتاب يريدون بمحمد ﷺ الشر :**

فزعموا فيما يتحدث الناس أن زبيرا (٢) وتَمَّامًا ، ودريسا ، وهم نفر من أهل الكتاب قد كانوا رأوا من رسول الله ﷺ – فى ذلك السفر الذى كان فيه مع عمه

---

(١) لمزيد من المعرفة فى هذا الموضوع انظر كتاب الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية للترمذى تحقيق طه عبد الرءوف سعد ط مؤسسة روز اليوسف .

(٢) جاء فى سيرة هشام « زريراً » .

أبى طالب - أشياء ، فأرادوه ، فردهم عنه بحيرا [١] ، وذكرهم الله عز وجل ، وما يجدون فى الكتاب [٢] من ذكره وصفته ، أنهم إن أجمعوا لما أرادوا لم يخلصوا إليه ، حتى عرفوا ما قال لهم ، وصدقوه بما قال ، فتركوه وانصرفوا ، فقال أبو طالب فى ذلك من الشعر ، يذكر مسيره برسول الله ﷺ وما أرادوا منه - أولئك النفر ، وما قال لهم فيه بحيرا :

إنَّ ابنَ آمنَةَ النبـــى مُحمدًا ... عِنْدى بِمثْلِ مَنَازِلِ الأَوْلاَدِ
لَمَّا تَعلَّقَ بِالزمَامِ رَحِمتُهُ ... وَالعيسُ قَد قَلَّصن بِالأَزْوَادِ
فَارفضَّ مِنْ عَيْنَىَّ دَمْعٌ ذَارِفٌ ... مِثْلَ الجُمَانِ مُفرَّقِ الأَفْرادِ
رَاعيتُ فيـــــه قَرابَةً مَوصُولَةً ... وَحَفظتُ فيه وَصَّيةَ الأَجْدَادِ
وأَمرتُه بالسيـــــرِ بَيْنَ عُمُومَةٍ ... بِيضِ الوُجوهِ مَصالِتٍ أَنْجَادِ
سَاروا لأبعـــــدِ طِيَّةٍ مَعْلُومةٍ ... فَلَقد تَباعد طَـــــيه المرتَادِ
حَتَّى إذا ما القوم بُصرى عَاينوا ... لاقوا على شـــرك من المرصَادِ
حَبْرًا فأخبرهم حَدِيثًا صادقًا ... عَنْهُ وَردَّ مَعاشـــــرَ الحسَّادِ
قَوما يَهودًا قد رأوا ما قد رأى ... ظَلَّ الغمامُ وعز ذى الأَكيَادِ
سَاروا لقتْلِ مُحمـــــدٍ فَنهاهُمُ ... عنه وأَجْهَدَ أَحْسَنَ الإِجْهَادِ
فَثَنى زَبيرًا بَحِـــــيرٌ فَانثنى ... فى القومِ بَعْدَ تَجادُلٍ وبعَادِ
ونَهى دَرِيسًا فَانتهى عَنْ قَوْلِهِ ... حَبْرٌ يُوافِقُ أَمْـــــرهُ بِرشَادِ

وقال أبو طالب أيضًا :

أَلَمْ تَرنى مِنْ بَعْدِ هَمٍّ هممته ... بِفُرقَةِ حُرِّ الوالـــــدين كِرامِ

(١) أورد السهيلى فى الروض : ١ / ٢٠٥ خلاصة المادة الإخبارية العربية حول شخصية بحيرا الراهب ، هذا وتحوى مدينة بصرى بين خرائبها بقايا كنيسة كبيرة يعتقد الأهلون أنها بقايا كنيسة بحيرا ، كل هذا فى حين أن غالبية علماء السيرة لهذا العصر ينفون وجود شخصية بحيرا تاريخيا ، ويرون أن الأخبار حولها مخترعة ، أملاها مجاراة ما جاء فى سير حياة الأنبياء الكتابيين وغيرهم من نبوءات وبشائر . انظر سيرة ابن إسحاق تحقيق د / سهيل زكار .

(٢) أى فى التوراة .

بِأحمد لما أن شَدَدْتُ مَطِيَّتى ... بِرَحْلِى وَقَدْ ودَّعته بِسَلاَم
بَكى حُزْنًا والعِيسُ قَد فَصلَتْ بنا ... وَأَخذتُ بالكَفَّين فَضْل زِمَام
ذَكرتُ أَباهُ ثُم رَقْرقت عَبْرةً ... تَجُودُ مِنَ العَينين ذَات سِجَام
فَقلتُ : تَروحُ رَاشدًا فى عُمومَة ... مُواسينَ فى البَأساء غَير لِئَام
فَرُحْنَا مَع العِير التى رَاح أَهْلُها ... شَآمَى الهوَى والأَصْل غير شَآمى
فَلما هَبطْنَا أَرض بُصْرَى تَشرَّفُوا ... لَنا فوق دور يَنظرون جِسَام
فَجاد بَحيرا عِند ذلك حاشدًا ... لَنــــا بِشَراب طَيِّبٍ وَطَعَام
فَقال : اجْمعوا أَصْحَابكم لِطَعامنَا ... فَقُلْنَا جَمعنا القَوم غَير غُلاَم
يَتِيم فَقــــال : ادْعُوهُ إن طَعامنَا ... كَثِيرٌ ، عَليه اليوم غَيْرَ حَرام
فَلَما رآهُ مُقْبلاً نَحـــــو دَاره ... يُوقيه حَرَّ الشَمــــس ظِلٌّ غَمام
حَنَا رَأسه شِبْه السجُودِ وَضَمَّهُ ... إلى نَحْرِه والصَّدْر أى ضَمام
وَأقبل رَكْب يَطلبون الذى رَأى ... بَحيرًا من الأعلام وَسْطَ خِيَام
فَثَارَ إليهــــم خَشْيَة لِعَرامهم ... وَكانوا ذَوى دهًى مَعـــا وعِرَام
دَرِيسًا وتَمَّامًا وقَد كــــان فِيهمُ ... زَبيرًا وكل القـــــوم غَيْر نِيَام
فَجاءوا وقـــد همُّوا بِقَتل مُحمد ... فَردَّهُم عَنـــه بِحُسْنِ خِصَام
بِتَأويلهِ التـــوراة حَتَى تَفرقوا ... وَقَال لهـــم : ما أنتم بِطَغَام
فَذلك من أَعْلامـــه وَبيانه ... وَليس نَهارٌ وَاضِـــح كَظَلاَم

وقال أبو طالب أيضًا :

بَكى طَرَبًا لَمَّا رَآنا مُحمـــدٌ ... كَأَن لا يَرانى راجعًا لِمَعادِ
فَبِتُّ يُجَافينـــى تَهلُّل دَمْعَة ... وَقَرَّبْته من مَضْجَعى وَوِسَادى
فَقلتُ لَه : قرِّب قُعودكَ وارتَحِلْ ... وَلا تَخْش منِّى جفْوةً بِبلادى
وَخلِّ زِمَام العِيسِ وَارتحلن بنا ... عَلى عَزْمَةٍ مَن أمْرِنا وَرشَادِ

وَرِح رائحًا فى الراشدين مشيَّعا … لِذى رَحِمٍ فى القوم غَيْرِ مَعادِ
فَرحنا مع العير التى راح رَكبها … يؤمُّون عَلى غورى أرض إيادِ
فما رجعوا حتى رأوا من مُحمد … أَحاديث تجلو غمَّ كل فؤادِ
وحتَّى رأوا أحبار كل مدينة … سُجودًا له من عصبة وفرادِ
زَبيرًا وتمَّامًا وقد كان شاهدًا … دَريسًا وهمُّوا كلهم بفسَادِ
فَقال لهم قولاً بحيرا وأيقنوا … له بعد تكذيب وطُول بُعَادِ
كما قال للرهط الذين تَهوَّدُوا … وَجَاهدهم فى الله كُلَّ جهادِ
فقال ولم يملك له النُّصْحَ : رُدُّهُ … فَإن لَه أرصاد كل مُضادِ
فَإنى أَخافُ الحاسِدين وَإِنه … أَخو الكتب مكتوب بكل مِدَادِ

* محمد ﷺ يشب على مكارم الأخلاق :

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : فشب رسول الله ﷺ يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية ومعائبها لما يريد به من كرامته ، ورسالته ، وهو على دين قومه ، حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مُروءة ، وأحسنهم خَلقًا ، وأكرمهم مخالطة ، وأحسنهم جوارًا ، وأعظمهم خُلُقًا وأصدقهم حديثًا ، وأعظمهم أمانة ، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التى تدنس الرجال تنزهًا وتكرمًا ، حتى ما اسمه فى قومه إلاَّ الأمين ، لما جمع الله عز وجل فيه من الأمور الصالحة ، وكان رسول الله ﷺ ، فيما ذكر لى ، يُحدث عما كان يحفظه الله عز وجل فى صِغره وأمر جاهليته .

* * *

* **رسول الله ﷺ يحدّث عن حفظ الله له :**

حدثنا أحمد : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : فحدثنى والدى إسحاق بن يَسَار عمن حدَّثه عن رسول الله ﷺ أنه قال فيما يَذكر من حفظ الله عز وجل إياه : إنى لمع غلمان هم أسنانى (١) قد جعلنا أزرنا على أعناقنا لحجارة ننقلها نلعب بها إذ لكمنى لاكم لكمة شديدة ثم قال : اشدد عليك إزارك (٢) .

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس عن عَمرو بن ثَابت عن سِماك بن حرب عن عِكْرِمة عن ابن عباس قال : حدثنى أبى العباس بن عبد المطلب قال : كنا ننقل الحجارة حين بنت قريش البيت ، فأفردت قريش رجلين رجلين ، وكان النساء ينقلن الشيد ، وكان الرجال ينقلون الحجارة ، فكنت أنقل أنا وابن أخى ، فكنا نحمل على رقابنا وأزرنا تحت الحجارة ، فإذا غشينا الناس ائتزرنا ، فبينا أنا أمشى ومحمد ﷺ قدامى ليس عليه شىء ، إذ خرَّ محمد فانبطح ، فألقيت حجرى وجئت أسعى وهو ينظر إلى السماء فوقه ، فقلت ما شأنك ؟ فقام فأخذ إزاره ونهانى أمشى عُرْيانًا ، فلبثت أكتمها الناس مخافة أن يقولوا مجنون ، حتى أظهر الله عز وجل نبوته .

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : حدثنى محمد بن عبد الله ابن قَيس بن مَخْرَمَة عن الحسن بن محمد بن على بن أبى طالب عن أبيه عن جده على بن أبى طالب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما هَممت بشىء مما كان أهل الجاهلية يهمون به من النساء إلا ليلتين كلتاهما عصمنى الله عز وجل فيهما : قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن فى رعاية غنم أهلنا ، فقلت لصاحبى : أتبصر لى غنمى حتى أدخل مكة فأسمر فيها كما يسمر الفتيان ؟ فقال بلى ، قال : فدخلت

---

(١) أى سنهم واحدة أو متقاربة .

(٢) هذه القصة وردت فى الحديث الصحيح فى بنيان الكعبة ، وكان ﷺ ينقل الحجارة مع قومه إليها ، وكانوا يجعلون أزرهم على عواتقهم لتقيهم الحجارة وكان ﷺ يحملها على عاتقه ، وإزاره مشدود به ، فقال له العباس رضي الله عنه : يا ابن أخى لو جعلت إزارك على عاتقك ففعل فسقط مغشيا عليه ، ثم قال : إزارى إزارى فشد عليه إزاره وقام يحمل الحجارة ، وفى حديث آخر ، أنه لما سقط ضمه العباس إلى نفسه ، وسأله عن شأنه فأخبره أنه نودى من السماء : أن اشدد عليك إزارك يا محمد ، قال : وإنه لأول ما نودى .

انظر السيرة النبوية لابن هشام تحقيق طه عبد الرءوف سعد ط . دار الجيل ١ / ٣٢٣ .

حتى إذا جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفًا بالغرابيل والمزامير ، فقلت : ما هذا ؟ فقيل : تزوج فلان فلانة، فجلست أنظر ، وضرب الله عز وجل على أذنى ، فوالله ما أيقظنى إلاَّ مسُّ الشمس ، فرجعت إلى صاحبى ، فقال : ما فعلت ؟ فقلت : ما فعلت شيئًا ثم أخبرته بالذى رأيت ، ثم قلت له ليلة أخرى : أبصر لى غنمى حتى أسمر بمكة ، ففعل ، فدخلت ، فلما جئت مكة سمعت مثل الذى سمعت تلك الليلة ، فسألت فقيل : فلان نكح[1] فلانة فجلست أنظر ، وضرب الله عز وجل على أذنى ، فوالله ما أيقظنى إلاَّ مس الشمس ، فرجعت إلى صاحبى فقال : ما فعلت ؟ فقلت : لا شىء ، ثم أخبرته الخبر ، فوالله ما هممت ولا عدت بعدهما لشىء من ذلك حتى أكرمنى الله عز وجل بنبوته .

* * *

(١) نكح عقَد عقْد الزواج .

حَديثُ خَديجةَ ابنَة خُوَيْلد (١)

* خروجه ﷺ إلى التجارة بمال خديجة :

حدثنا أحمد : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : وكانت خديجة ابنة خُويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال فى مالها وتضاربهم إياه بشىء تجعله لهم منه ، وكانت قريش قومًا تجارًا ، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه ، وعظم أمانته ، وكرم أخلاقه ، بعثت إليه ، فعرضت عليه أن يخرج فى مالها تاجرًا إلى الشام ، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار مع غلام لها يقال له ميسرة ، فقبله منها رسول الله ﷺ ، وخرج فى مالها ذلك ، ومعه غلامها مَيْسَرة ، حتى قدم الشام ، فنزل رسول الله ﷺ فى ظل شجرة قريبًا من صومعة راهب من الرهبان ، فاطلع الراهب على ميسرة ، فقال : من هذا الرجل الذى نزل تحت هذه الشجرة ؟ فقال له مَيْسَرة : هذا رجل من قريش من أهل الحرم ، فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى ·

ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التى خرج بها ، واشترى ما أراد أن يشترىَ ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة ، فكان ميسرة فيما يزعمون ، إذا كانت الهاجرة ، واشتد الحر يرى ملكين يظلانه من الشمس (٢) ، وهو يسير على بعيره ، فلما قدم مكة على خديجة بمالها ، باعت ما جاء به ، فأضعف ، أو قريبًا ، وحدثها ميسرة عن قول الراهب ، وعما كان يرى من إظلال الملكين إياه ، وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة ، مع ما أراد الله عز وجل بها من كرامته ·

* خديجة ترغب فى الزواج منه :

فلما أخبرها ميسرة عما أخبرها به بعثت إلى رسول الله ﷺ ، فقالت له ،

---

(١) خديجة بنت خويلد تسمى الطاهرة فى الجاهلية والإسلام وفى سير التيمى : أنها كانت تسمى : سيدة نساء قريش ، وكانت متزوجة قبل رسول الله ﷺ من هند بن زرارة ، وكانت قبله متزوجة عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، وولدت له عبد مناف بن عتيق ، ولخديجة من هند ابنان اسم أحدهما الطاهر : والآخر : هالة · انظر الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية للإمام الترمذى تحقيق طه عبد الرءوف سعد ·

(٢) أى يظلان رسول الله ﷺ ·

فيما يزعمون – يا ابن عم إنى قد رغبت فيك لقرابتك منى ، وشرفك فى قومك ، وسِطتك (١) فيهم ، وأمانتك عندهم ، وحُسن خُلقك ، وصدق حديثك ، ثم عرضت عليه نفسها ، وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسبًا ، وأعظمهم شرفًا ، وأكثرهم مالا ، كل قومها قد كان حريصًا على ذلك منها لو يقدر على ذلك .

*** نسب خديجة رضي الله عنها :**

وهى خديجة ابنة خُويلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصى بن كلاب بن مُرَّة بن كَعب بن لُؤى بن غَالب بن فِهر بن مَالك بن النَّضر بن كنانة ، وأمهاَ فاطمة ابنة زيد ابن الأصم بن رَوَاحَة بن حَجَرٍ بن عبد بن مَعِيص بن عامر بن لُؤى ، وأمها هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن عبد بن مَنْقذ بن عَمرو بن مَعيص بن عامر بن لُؤى ، وأمها فلانة ابنة سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هَصيص بن كعب بن لُؤى ، وأمها عَاتكة ابنة عبد العُزى بن قُصى ، وأمها رَيْطة ابنة كعب بن سعد بن تيم بن مُرة بن كَعَب بن لُؤى ، وأمها قيلة ابنة حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى وأمها أُميمة ابنة عامر بن الحارث بن فِهر ، وأمها ابنة سعد بن كَعب بن عمرو ، من خُزاعة ، وأمها فلانة ابنة حرب بن الحارث بن فِهر ، وأمها سلمى بنت غالب بن فهر ، وأمها ابنة محارب بن فهر .

*** الرسول صلى الله عليه وسلم يتزوج من خديجة بعد استشارة أعمامه :**

حدثنا أحمد قال : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فلما قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما قالت ، ذكر ذلك لأعمامه ، فخرج معه منهم حمزة بن عبد المطلب حتى دخل على أسد بن أسد ، فخطبها إليه فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) .

*** أولاده صلى الله عليه وسلم من خديجة :**

فولدت له قبل أن ينزل عليه الوحى ولده كلهم : زينب ، وأم كلثوم ، ورقية ، وفاطمة ، والقاسم ، والطاهر ، والطيب ، فأما القاسم ، والطاهر والطيب فهلكوا قبل الإسلام وبالقاسمِ كان يكنى صلى الله عليه وسلم ، فأما بناته فأدركن الإسلام ، وهاجرن معه ، واتبعنه ، وآمن به عليه الصلاة والسلام .

* * *

---

(١) أى علو شأنك ونسبك ، فالسِّطة من الوسط ، مصدر كالعدة والزِّنة والوسط من أوصاف المدح والتفضيل فى مقامين : ذكر النسب ، وذكر الشهادة ، وهنا ذكر النسب .

(٢) قيل كان سنُّه صلى الله عليه وسلم إحدى وعشرين ، وقيل ثلاثين وقيل خمسا وعشرين .

قصَّة الأَحْبَار

حدثنا أحمد قال : نا يُونُسَ عن ابن إسحاقَ قال : وكانت الأَحبارُ والرهبانُ أهل الكتابين هم أعلم برســول الله ﷺ قبل مبعثه وزمانه الذى يترقب فيه من العرب ، لما يجدون فى كتبهم من صفاته ، وما أثبت فيها عندهم من اسمه ، وبما أخذ عليهم من الميثاق له فى عهد أنبيائهم وكتبهم فى اتباعه ، فيستفتحون به على أهل الأوثان من أهل الشرك ، ويخبرونهم أن نبيًّا مبعوثًا بدين إبراهيم اسمه أحمد ، كذلك يجدونه فى كتبهم وعهد أنبيائهم ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ **الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبًا عندهم** ﴾ إلى قوله : ﴿ **أولئك هم المفلحون** ﴾ (١) وقال الله تبارك وتــعالى : ﴿ **وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى إسرائيل** ﴾ (٢) الآية كلها ، وقال : ﴿ **محمـــد رسول الله والذين معه** ﴾ (٣) الآية كلها ، وقوله : ﴿ **وكانوا من قبل يستفتحون على الــــذين كفروا** ﴾ إلى قوله : ﴿ **فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين** ﴾ (٤) .

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : وكانت العرب أميين لا يدرسون كتابًا ، ولا يعرفون من الرسل عهدًا ، ولا يعرفون جنة ولا نارًا ، ولا بعثًا ولا قيامة إلا شيئًا يسمعونه من أهل الكتاب ، لا يثبت فى صدورهم ، ولا يعملون به شيئًا من أعمالهم .

فكان فيما بلغنا من حديث الأحبار والرهبان عن رسول الله ﷺ قبل أن يبعثه الله عز وجل بزمان .

* اليهود يُخبرون العرب بقرب زمان رسول الله ﷺ :

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس عن ابن إســـحاق قال : حدثـــنى عاصم بن عمر بن قتادة قال حدثنى أشياخ منا قالوا : لم يكن أحد من العــرب أعلم بشأن

(١) سورة الأعراف : الآية ١٥٧ .

(٢) سورة الصف : الآية ٦ .

(٣) سورة الفتح : الآية ٢٩ .

(٤) سورة البقرة : الآيات ٨٩ - ٩٠ .

رسول الله ﷺ منا ، وكان معنا يهود ، وكانوا أهل كتاب ، وكنا أصحاب وثن ، فكنا إذا بلغنا منهم ما يكرهون قالوا : إن نبيًا مبعوثًا الآن قد أظل زمانه نتبعه ، فنقتلكم معه قتل عاد وإرم ، فلما بعث الله رسوله اتبعناه وكفروا به ، ففينا والله وفيهم أنزل الله عز وجل : ﴿ **وكانوا من قبل يستفتحون** (١) **على الذين كفروا فلما جاءهم** ﴾ (٢) الآية .

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : حدثنى صالح بن إبراهيم ابن عبد الرحمن بن عَوف عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زَرارة قال : حدثنى من شئت من رجال قومى عن حَسان بن ثابت قال : والله إنى لغلام يفعة ابن سبع سنين أو ابن ثمانى سنين أعقل كل ما سمعت إذ سمعت يهوديا وهو على أطمَة (٣) بيثرب ، يصرخ : يا معشر يهود ، فلما اجتمعوا إليه قالوا : ويلك مالك ؟ قال : طلع نجم أحمد ، الذى يبعث به ، الليلة .

حدثنا أحمد : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : حدثنى صالح بن إبراهيم عن محمود بن لبيد عن سَلمة بن سلامة بن وقْش قال : كان بين أبياتنا يهودى ، فخرج على نادى قومى بنى عبد الأشهل ذات غداة ، فذكر البعث والقيامة ، والجنة والنار ، والحساب والميزان ، فقال ذاك لأصحاب وثن لا يرون أن بعثًا كائن بعد الموت ، وذلك قبيل مبعث رسول الله ﷺ ، فقالوا : ويلك يا فلان ، وهذا كائن ، إن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار ، يجزون من أعمالهم ؟ قال : نعم والذى يُحلف به ، لوددت أن حظى من تلك النار ، أن توقدوا أعظم تَنُّورٍ فى داركم فتحمونه ، ثم تقذفونى فيه ، ثم تطينون على ، وإنى أنجو من النار غدًا ، فقيل : يا فلان فما علامة ذلك ؟ قال : نبى يبعث من ناحية هذه البلاد ، وأشار بيده نحو مكة واليمن قالوا : فمتى نراه ؟ فومى بطرفه فرآنى وأنا مضطجع بفناء باب أهلى ، فقال - وأنا أحدث القوم - إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه فما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله عز وجل رسوله ﷺ ، وإنه لحى بين أظهركم - فآمنا به ، وصدقناه ، وكفر به بغيًا وحسدا، فقلنا له: يا فلان ألست الذى قلت ما قلت ، وأخبرتنا ؟ قال : ليس به .

---

(١) يستفتحون : يستنصرون . (٢) سورة البقرة : الآية ٨٩ .

(٣) الأطمة : المكان العالى بالجبل .

* **يهودى يتسبب فى إسلام ثلاثة :**

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بنى قريظة قال : هل تدرى عما كان إسـلام أُسيد وثعلبة ابنى سعية (١) وأسد بن عُبيد ، نفر من هُذَيل (٢) ، لم يكونوا من بنى قُريظة ولا النضـير ، كانوا فوق ذلك ؟ فقلت : لا ، قال : فإنه قدم علينا رجل من الشام من يهود يقال له ابن الهيِّبان ، فأقام عندنا ، والله ما رأينا رجلا قط لا يصلى الخمس خيراً منه ، فقدم علينا قبل مبعث رسـول الله ﷺ بسنين ، فكنا إذا قحطنا وقل علينا المطر نقول : يا ابن الهيبان اخرج فاستسق لنا ، فيقول لا والله حتى تقدموا أمام مخرجكم صدقة ، فنقول : كم ؟ فيقول : صاعًا من تمر ، أو مُدَّين من شعير ، فنخرجه ، ثم نخرج إلى ظاهر حرتنا ، ونحن معه فيستسـقى ، فوالله ما يقوم من مجلسـه حتى تمر الشعاب (٣) ، قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ، ولا ثلاثة فحضرته الوفاة ، فاجتمعنا إليه فقال : يا معشر يهود ما ترونه أخرجنى من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع ؟ قالوا : أنت أعلم ، قال : فإنما أخرجنى ، أتوقع خروج نبى قد أظل زمانه ، هذه البلاد مهاجره فأتبعه ، فلا تُسبقن إليه إذا خرج يا معشر يهود ، فإنه يبعث بسفك الدماء وسبى الذرارى والنساء ممن خالفه ، فلا يمنعكم ذلك منه ، ثم مات ؛ فلما كانت الليلة التى فتحت فيها قريظة ، قال أولئك الفتية الثلاثة ، وكانوا شبابًا أحداثًا : يا معشـر يهود والله إنه الذى كان ذكر ابن الهيبان ، فقالوا : ما هو به ، قالوا : بلى والله إنه لصفته ، ثم نزلوا فأسلموا ، وأحرزوا أموالهم وأولادهم وأهاليهم (٤) .

(١) روى إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف المدينى عن ابن إسحاق : أسيد بضم الألف ، وقال يونس بن بكير عن ابن إسـحاق : وهو قول الواقدى وغيره : أسيد بفتحها ، قال الدارقطنى ، وهذا هو الصواب ولا يصح ما قاله إبراهيم عن ابن إسحاق ، وبنو سعية فيهم أنزل الله عز وجـل ﴿ من أهل الكتاب أمة قائمة ﴾ وسعيه أبوهم ، يقال له : ابن العريض انظر السيرة النبوية لابن هشام تحقيق طه عبد الرءوف سـعد مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ١٩٦ .

(٢) جاء فى سيرة ابن هشام « هدل » .

(٣) فى السيرة النبوية لابن هشام « حتى تمر السـحابة ونسقى » انظر السيرة النبوية ط دار المنار ١ / ٢١٩ .

(٤) قال ابن إسحاق : فهذا ما بلغنا عن أخبار يهود .

نا أحمد : قال : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : كانت أموالهم فى الحصن مع المشركين ، فلما فتح رد ذلك عليهم .

نا أحمد : نا يُونُس عن قيس بن الربيع عن يونس بن أبى مسلم عن عكرمة أن ناسًا من أهل الكتاب آمنوا برسلهم ، وصدقوهم ، وآمنوا بمحمد ﷺ قبل أن يبعث ، فلما بعث كفروا به ، فذلك قوله تبارك وتعالى : ﴿ **فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم** ﴾ (١) وكان قوم من أهل الكتاب آمنوا برسلهم وبمحمد ﷺ قبل أن يبعث ، فلما بعث محمد آمنوا به فذلك قوله : ﴿ **والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم** ﴾ (٢) .

* * *

(١) سورة آل عمران : الآية ١٠٦ .

(٢) سورة محمد ﷺ : الآية ١٧ .

إسْلاَمُ سَلْمَانَ الفَارسىِّ
رَحِمَهُ الله ورضى عنه

* سلمان ﷺ يتشوف إلى النصرانية بعد المجوسية :

نا أحمد قال : نا يُونسُ بن بُكير عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن عبد الله بن عباس قال : حدثنى سلمان الفارسى قال : كنت رجلا من أهل فارس من أهل أَصْبهان [١] من قرية يقـــال لها جَىٌّ ، وكان أبى دهقان أرضه ، وكان يحبنى حبًّا شديداً ، لم يحبه شيئًا من ماله ولا ولده ، فما زال به حُبه إياى حتى حبسنى فى البيت كما يحبس الجارية ، واجتهدت فى المجوسية حتى كنت قَطن النار [٢] التى يوقدها لا يتركها تخبو ساعة ، فكنت كذلك لا أعلم من أمر الناس شيئًا إلا ما أنا فيه حتى بنى أبى بنيانًا له ، وكانت له ضيعة فيها بعض العمل ، فدعانى فقال : أى بنى إنه قد شغلنى ما ترى من بنيانى عن ضيعتى هذه ، ولا بد لى من اطلاعها ، فانطلق إليهم فمرهم بكذا وكذا ولا تحتبس عنى فإنك إن احتبست عنى شغلتنى عن كل شىء ، فخرجت أريد ضيعته ، فمررت بكنيسة النصارى ، فسمعت أصواتهم فيها ، فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : هؤلاء النصارى يصلون ، فدخلت أنظر فأعجبنى ما رأيت من حالهم ، فوالله ما زلت جالسًا عندهم حتى غربت الشمس ، وبعث أبى في طلبي فى كل وجه حتى جئته حين أمسيت ، ولم أذهب إلى ضيعته ، فقال : أى بُنى أين كنت ، ألم أكن قلت لك ؟! فقلت يا أبتاه مررت بأناس يقال لهم (النصارى) فأعجبنى صلاتهم ودعاؤهم ، فجلست أنظر كيف يفعلون ، فقال : أى بُنى دينك ودين آبائك خير من دينهم ، فقلت : لا والله ما هو بخير من دينهـــم ، هؤلاء قوم يعبدون الله ويدعونه ويصلون له ، ونحن إنما نعبد نارًا نوقدها بأيدينا ، إذا تركناها ماتت ، فخافنى ، فجعل فى رجلى حديدًا وحبسنى فى بيت عنده ·

---

(١) إصبهان : هكذا قيده البكرى فى كتاب المعجم بالكسر فى الهمزة ، وإصبـــه بالعربية : فرس ، وقيل : هو العسكر ، فمعنى الكلمة : موضع العسكر أو الخيل أو نحو هذا ·

(٢) أى خادمها والقائم بشئونها ·

* سلمان يهرب إلى الشام :

فبعثت إلى النصارى فقلت لهم : أين أهــل هذا الدين الذى أراكم عليه ؟ فقالوا : بالشام ، فقلت : فإذا قدم عليكــم من هناك أناس فآذنونى ، فقالوا : نفعل ، فقدم عليهم ناس من تجارهم ، فبــعثوا إلى : إنه قد قدم علينا تجار من تجارنا ، فبعثت إليهم إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الخروج فآذنونى بهم ، قالوا : نفعل ، فلما قضوا حوائجهم ، وأرادوا الرحيل بعثوا إلى بذلك ، فطرحت الحديد الذى فى رجلى ، ولحقت بهم ، فانطلقت معهم حتى قدمت الشام فلما قدمتها ، قلت : من أفضل أهل هذا الدين ؟ قالوا : الأسقف صاحب الكنيسة .

* سلمان مع أسقف النصارى السيئ :

فجئته فقلت له : إنى قد أحببت أن أكون معك فى كنيستك ، وأعبد الله فيها معك ، وأتعلم منك الخير ؟ قال : فكن معى ، فكنت معه ، وكان رجل سوء ، كان يأمرهم بالصدقة ويرغِّبهم فيها ، فإذا جمعوها إليه اكتنزها ولم يعطها المساكين ، فأبغضته بغضًا شديدًا لما رأيت من حاله ، فلم ينشب أن مات ، فلما جاءوا ليدفنوه ، قلت لهم : إن هذا رجل سوء ، كان يأمركم بالصدقة ، ويرغبكم فيها ، حتى إذا جمعتموها إليه اكتنزها ولم يعطها المساكين ، فقالوا : وما علامة ذلك ؟ فقلت : أنا أخرج لكم كنزه ، فقالوا : فهاته فأخرجت لهم سبع قلال مملوءة ذهبًا ووَرِقًا [(١)] ، فلما رأوا ذلك ، قالوا : والله لا يدفن أبدًا فصلبوه على خشبة ،ورموه بالحجارة ، وجاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه .

* سلمان مع أسقف النصارى الصالح :

فلا والله يا بن عباس [(٢)] ما رأيت رجلا قط لا يصلى الخمس أرى أنه أفضل منه ، أشد اجتهادًا ، ولا أزهد فى الدنيا ، ولا أدأب ليلاً ولا نهارًا ، ما أعلمنى أحببت شيئًا قط قبله حبه ، فلم أزل معه حتى حضرته الوفاة ، فقلت : يا فُلان قد حضرك ما ترى من أمر الله عز وجل وإنى والله ما أحببت شيئًا قط حبك ، فماذا تأمرنى ، وإلى من توصينى ؟ قال : أى بنى والله ما أعلمه إلا رجلاً بالموصل ، فأته فإنك ستجده على مثل حالى .

---

(١) الورق : الفضة .

(٢) يظهر هنا من خلال السياق أن سلمان ﷺ كان يتحدث ويحكى لعبد الله بن عباس ﷺ ، وهو آخر راو فى هذا السند .

* **سلمان يلحق بأسقف الموصل :**

فلما مات وغيب ، لحقت بالموصل ، فأتيت صاحبها ، فوجدته على مثل حاله من الاجتهاد والزهاة فى الدنيا ، فقلت له : إن فلانًا أوصانى إليك أن آتيك ، وأكون معك ، قال : فأقم أى بنى فأقمت عنده على مثل أمر صاحبه حتى حضرته الوفاة ، فقلت له : إن فلانا أوصانى إليك ، وقد حضرك من أمر الله ما ترى ، فإلى من ؟ قال : والله ما أعلمه أى بنى إلا رجلا بنصيبين هو على مثل ما نحن عليه ، فالحق به .

* **سلمان يلحق بأسقف نصيبين :**

فلما دفناه لحقت بالآخر [١] فقلت له : يا فلان إن فلانا أوصانى إلى فلان وفلان أوصانى إليك ، قال : فأقم أى بنى ، فأقمت عنده على مثل حالهم حتى حضرته الوفاة ، فقلت له : يا فلان إنه قد حضرك من أمر الله ما ترى ، وقد كان فلان أوصانى إلى فلان وأوصانى فلان إلى فلان ، وأوصانى فلان إليك ، فإلى من ؟ قال : أى بنى والله ما أعلم أحدًا على مثل ما نحن عليه إلا رجلا بعمورية من أرض الروم فأته فإنك ستجده على مثل ما كنا عليه .

* **سلمان يلحق بصاحب عمورية :**

فلما واريته خرجت حتى قدمت على صاحب عمورية [٢] فوجدته على مثل حالهم ، فأقمت عنده ، واكتسبت حتى كانت لى غنيمة وبقرات ، ثم حضرته الوفاة ، فقلت : يا فلان إن فلانًا كان أوصانى إلى فلان ، وفلان إلى فلان وفلان إليك ، وقد حضرك من أمر الله ما ترى ، فإلى من توصينى ؟ قال : أى بنى والله ما أعلمه بقى أحد على مثل ما كنا عليه آمرك أن تأتيه ، ولكنه قد أظلك زمان نبى يبعث من الحرم ، مهاجره بين حرتين إلى أرض سبخة ذات نخل ، وإن فيه علامات لا تخفى ، بين كتفيه خاتم النبوة ، يأكل الهدية ، ولا يأكل الصدقة ، فإن استطعت أن تخلص إلى تلك البلاد فافعل فإنه قد أظلك زمانه ، فلما واريناه أقمت على خير ، حتى مر بى رجال من تجار العرب ، من كلب ، فقلت لهم تحملوني معكم حتى تقدمونى أرض العرب وأعطيكم غنيمتى هذه وبقراتى ؟ قالوا : نعم .

(١) يقصد أسقف نصيبين ، ونصيبين مدينة بين الموصل والشام كانت مشهورة بكثرة البساتين .

(٢) هى مدينة ببلاد الروم فتحها الخليفة العباسى المعتصم بالله ، وقال فيها الشاعر أبو تمام قصيدة بعنوان « فتح عمورية » ، مطلعها : * السيف أصدق أنباء من الكتب * .

* سلمان يذهب إلى وادى القرى :

فأعطيتهم إياها وحملونى حتى إذا جاءوا بى وادى القرى ظلمونى فباعونى عبداً من رجل من يهود بوادى القرى ، فوالله لقد رأيت النخل وطمعت أن يكون البلد الذى نعت لى صاحبى ، وما حقت عندى حتى قدم رجل من بنى قريظة من يهود وادى القرى ، فابتاعنى من صاحبى الذى كنت عنده .

* سلمان يذهب إلى المدينة ويسمع بهجرة النبى ﷺ :

فخرج بى حتى قدم المدينة فوالله ما هو إلا أن رأيتها ، فعرفت نعته ، فأقمت فى رقى مع صاحبى ، وبعث الله عز وجل رسول الله ﷺ بمكة ، لا يذكر لى شىء من أمره مما أنا فيه من الرق حتى قدم رسول الله ﷺ قباء [١] ، وأنا أعمل لصاحبى فى نخلة له ، فوالله إنى لفيها إذ جاء ابن عم له ، فقال : فلان ، قاتل الله بنى قيلة [٢] ، والله إنهم الآن لفى قباء مجتمعون على رجل جاء من مكة يزعمون أنه نبى ، فوالله ما هو إلا أن سمعتها ، فأخذنى العرواء - يقول الرعدة ، حتى ظننت لأسقطن على صاحبى ، ونزلت أقول ما هذا الخبر ، ما هو ؟ فرفع مولاى يده فلكمنى لكمة شديدة وقال : ما لك ولهذا ، أقبل على عملك ، فقلت : لا شىء إنما سمعت خبرًا ، فأحببت أعلمه .

* سلمان يستوثق من رسالة محمد ﷺ :

فلما أمسيت وكان عندى شىء من طعام ، فحملته وذهبت إلى رسول الله ﷺ ، وهو بقباء ، فقلت : إنى بلغنى أنك رجل صالح ، وأن معك أصحاباً لك غرباء ، وقد كان عندى شىء للصدقة فرأيتكم أحق من بهذه البلاد به ، فها هو هذا فكل منه ، فأمسك رسول الله ﷺ يده وقال لأصحابه : كلوا ولم يأكل فقلت فى نفسى : هذه خلة مما وصف لى صاحبى ، ثم رجعت ، وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة ، فجمعت شيئًا كان عندى ، ثم جئته به ، فقلت : إني رأيتك لا تأكل الصدقة ، وهذه هدية وكرامة ليست بالصدقة ، فأكل رسول الله ﷺ ، وأكل أصحابه ، فقلت هذه خلتان ، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو يتبع جنازة ، وعلى شملتان لى وهو فى أصحابه ، فاستدرت به لأنظر إلى الخاتم فى ظهره ، فلما رآنى

(١) قُباء : بالضم ، وهو اسم بئر فسمى المكان كله به وعرف به ، وهى قرية صغيرة وقد قدمها النبى ﷺ فى الهجرة وصلى فيها وبنى فيها مسجداً سمى مسجد قباء معروف حتى الآن وهو أول مسجد بنى فى الإسلام ، وتقع قباء على بعد ميلين من المدينة المنورة .

(٢) بنو قيلة : أى الأوس والخزرج ، وقيلة هى قيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة أم الأوس والخزرج .

رسول الله ﷺ استدبر عرف أنى أستثبت من شىء قد وُصف لى ، فوضع رداءه عن ظهره ، فنظرت إلى الخاتم بين كتفيه كما وصف لى صاحبى ، فأكببت عليه أقبِّله ، وأبكى ، فقال : تحول يا سَلْمان هكذا ، فتحولت فجلست بين يديه ، وأحب أن يُسمع أصحابه حديثى عنه ، فحدثته يا ابن عباس كما حدثتك .

* سلمان يتحرر من الرق بمساعدة الرسول ﷺ :

فلما فرغت قال رسول الله ﷺ : كاتب يا سلمان ، فكاتبت صاحبى على ثلاثمائة نخلة أحييها له ، وأربعين أوقية ، فأعاننى أصحاب رسول الله ﷺ بالنخل ثلاثين ودية عشر ، كل رجل منهم على قدر ما عنده ، فقال لى رسول الله ﷺ : فقِّر لها فإذا فرغت فآذنى حتى أكون أنا الذى أضعها بيدى ، ففقرتها وأعاننى أصحابي - يقول حفرت لها حيث توضع ، حتى فرغنا منها ، ثم جئت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله قد فرغنا منها ، فخرج معى حتى جاءها ، فكنا نحمل إليه الودى فيضعه بيده ، ويسوى عليه ، فوالذى بعثه بالحق ما ماتت منها ودية واحدة [(١)] .

وبقيت علىَّ الدراهم ، فأتاه رجل من بعض المعادن بمثل البيضة من الذهب فقال رسول الله ﷺ : أين الفارسى المسلم المكاتب ؟ فدعيت له ، فقال : خذ هذه يا سلمان فأد بها ما عليك ، فوالذى نفس سلمان بيده لوزنت لهم منها أربعين أوقية ، فأديتها إليهم ، وعتق سلمان - وكان الرق قد حبسنى حتى فاتتنى مع رسول الله ﷺ بدر وأُحد ، ثم عتقت فشهدت الخندق ، ثم لم يفتنى معه مشهد .

* حديث سلمان مع صاحب عموريه :

نا أحمد : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : حدثنى عاصم بن عمر بن قَتادة قال : حدثنى من سمع عمر بن عبد العزيز ، وحدث هذا من حديث سَلْمان ، فقال : حدثت عن سلمان أن صاحب عَمُورية قال لسلمان ، حين حضرته الوفاة : ائت غَيضتين من أرض الشام فإن رجلاً يخرج من إحداهما إلى الأخرى فى كل سنة ليلة . يعترضه ذوو الأسقام ، فلا يدعو لأحد به مرض إلا شُفِى ، فسله عن هذا الدين الذى تسلني عنه ، عن الحنيفية دين إبراهيم ، فخرجت حتى أقمت بها سنة ، حتى خرج تلك الليلة من إحدى الغيضتين إلى الأخرى ، وإنما كان يخرج مستجيزًا ، فخرج وغلبنى عليه الناس حتى دخل فى الغيضة التى يدخل فيها حتى ما بقى إلا

---

(١) ورد أن سلمان غرس بيده ودية واحدة ، وغرس رسول الله ﷺ سائرها فعاشت كلها إلاَّ التى غرس سلمان .

منكبه ، فأخذت به فقلت : رحمك الله أخبرنى عن الحنيفية دين إبراهيم ؟ فقال : إنك لتسأل عن شىء ما يسأل عنه الناس اليوم ، قد أظلك زمان نبى يخرج عند هذا البيت ، بهذا الحرم ، يُبعث بسفك الدم(١) ، فلما ذكر ذلك سلمان لرسول الله ﷺ قال : لئن كنت صدقت يا سلْمان لقد رأيت عيسى ابن مريم عليه السلام ·

حدثنا أحمد قال : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى يزيد بن أبى حبيب عن رجل من عبد القيس عن سلمان قال : لما أعطانى رسول الله ﷺ ذلك الذهب فقال : اقض به عنك ، فقلت يا رسول الله ، وأين تقع هذه مما علىَّ ؟ فقلبها رسول الله ﷺ على لسانه ، ثم قذفها إلىَّ ، ثم قال : انطلق بها فإن الله عز وجل سيؤدى بها عنك ، فانطلقت فوزنت لهم منها حتى أوفيتهم منها أربعين أوقية ·

حدثنا أحمد قال : نا يونس عن أبى ليلى قال : نا عتّاب البكرى قال : كنا نجالس أبا سَعيد الخُدْرى فيبسط له على بابه بساط ثم يجعل عليه وسادة ويتكىء على الوسادة ونحن حوله نحدق به ، فسألته عن الخاتم الذى كان بين كتفى رسول الله ﷺ ما كان ؟ قال فأشار أبو سعيد بالسبَّابة (٢) ووضع الإبهام (٣) على أول مفصل أسفل من ذلك · قال يونس : أخرج المفصل كله ، قال : كانت بضعة ناشزة بين كتفى رسول الله ﷺ ·

نا أحمد : نا يونس قال : قال ابن إسحاق : وكانت قريش يعظمون الكعبة ويطوفون بها ويستغفرون عندها مع تعظيم الأوثان والشرك فى ذبائحهم ، ويحجون ، ويقفون المواقف ·

* * *

---

(١) لمن يستحق أن يسفك دمه فإنه بعث رحمة للعالمين لا يسفك دم إلا زاهق النفس التى حرم الله أو الزانى المحصن أو التارك لدينه المفارق الجماعة ·

(٢) السبابة : هو الأصبع التى نشير به فى التشهد فى الصلاة دليلا على الوحدانية ·

(٣) الإبهام : هو الأصبع الكبير من أصابع اليد وهو ملاصق للسبابة ·

أثر الكعبة

* آدم وبناء الكعبة :

نا أحمد : نا يونس عن سعيد بن مَيْسَرة البكْرى قال : حدثنى أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : كان موضع البيت فى زمن آدم شبرا أو أكثر ، فكانت الملائكة تحج إليه قبل آدم ، ثم حج آدم فاستقبلته الملائكة ، فقالوا : يا آدم من أين جئت ؟ قال حججت البيت ، قالوا : قد حجته الملائكة قبلك .

نا أحمد نا يونس عن ثابت بن دينار عن عطاء قال : أُهبط آدم بالهند ، فقال : يا رب مالى لا أسمع صوت الملائكة كما كنت أسمعها فى الجنة ؟ فقال له : بخطيئتك يا آدم ، فانطلق فابن لى بيتًا فتطوف به كما رأيتهم يتطوفون ، فانطلق حتى أتى مكة فبنَى البيت ، فكان موضع قَدَمَىْ آدم قُرًى وأنهار وعمارة ، وما بين خطاه مفاوز ، فحج آدم البيت من الهند أربعين سنة (١) .

نا أحمد : نا يونس عن يحيى بن سلمة بن كهيل عن أبيه عن مجاهد قال : لما قيل لإبراهيم : ﴿ وأذِّن فى الناس بالحج ﴾(٢) قال يا رب كيف أقول ؟ قال : قل يا أيها الناس أجيبوا ربكم ، فصعد الجبل فنادى أيها الناس أجيبوا ربكم ، فأجابوه لبيك اللهم لبيك ، فكان هذا أول التلبية .

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى وهب بن سنان قال : سمعت عائذ بن عُمير الليثى يقول : لما أمر إبراهيم بدعاء الناس إلى الحج استقبل المشرق ، فدعا إلى الله عز وجل فأجيب لبيك لبيك ، ثم استقبل المغرب (٣) فدعا إلى الله عز وجل فأجيب : لبيك لبيك ، ثم استقبل الشام فدعا إلى الله عز وجل فأجيب لبيك لبيك ، ثم استقبل اليمن فدعا إلى الله عز وجل فأجيب لبيك لبيك .

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى ثقة من أهل المدينة عن عُروة

---

(١) ورد أيضًا عن عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء وابن المسيب وغيرهما أن الله عز وجل - أوحى إلى آدم : إذا هبطت ابن لى بيتًا ثم احفف به كما رأيت الملائكة تحف بعرشى الذى فى السماء . راجع تفسير القرطبى ١ / ٦١٣ ط دار الغد العربى .

(٢) سورة الحج : ٢٧ . (٣) أى جهة الغرب .

ابن الزبير أنه قال : ما من نبى إلاّ وقد حج البيت ، إلا ما كان من هود وصالح ، ولقد حجه نوح ، فلما كان من الأرض ما كان من الغرق أصاب البيت ما أصاب الأرض ، فكان البيت قطعة حمراء ، فبعث الله تعالى هودًا ، فتشاغل بأمر قومه ، حتى قبضه الله عز وجل إليه ، فلم يحجه حتى مات ، ثم بعث الله تعالى صالحًا فتشاغل بأمر قومه ، فلم يحجه حتى مات ، فلما بوّأه [1] الله عز وجل لإبراهيم حجه ، ثم لم يبق نبى إلاّ حجه ·

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق عن عطاء بن أبى رباح عن كعب الحبر قال: شكت الكعبة إلى ربها عز وجل ، وبكت إليه فقالت : أى ربٍّ ، قَلَّ زوّارى وجَفَانى الناس ، فقال الله عز وجل لها : إنى مُحْدِثٌ لك إنجيلا [كذا] ، وجاعل لك زوّارًا يحنون إليك حَنين الحمامة إلى بيضاتها ·

نا أحمد قال : حدثنى أبى قال : نا جرير بن عبد الحميد عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عَمرو قال: خُلِق البيت قبل الأرض بألفَى عام، ثم دُحِيت الأرض منه ·

* إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يضعان الحجر :

نا أحمد : نا يونس عن الأسباط بن نصر الهمداني عن إسماعيل بن عبدالرحمن السدى قال : خرج آدم من الجنة معه حَجَر فى يده وورق فى الكف الأخرى ، فبث الورق بالهند فمنه ما ترون من الطيب ، وأما الحجر فكان ياقوتة بيضاء يستضاء بها ، فلما بنى [2] إبراهيم البيت فبلغ موضع الحجر قال لإسماعيل : ائتنى بحجر من الجبل ، فقال : غير هذا ، فرده مرارًا لا يرضى بما يأتيه ، فذهب مرة ، وجاءه جبريل بالحجر من الهند الذى أُخرِج به آدم من الجنة فوضعه ، فلما جاءه إسماعيل قال : من جاءك بهذا ؟ قال : من هو أنشط منك [3] .

---

(١) أعدَّه له ، وأنزله إياه ·

(٢) اختُلف فيمن بنى البيت أولاً وأسسه ، فقيل : الملائكة ، ثم لما طرد آدم من الجنة ، أمر ببناء الكعبة فبناها فكان بناء آدم أولا ثم بناء إبراهيم حينما أمره الله أن يرفع قواعدها هو وابنه إسماعيل عليهما السلام · راجع كتب التفسير ·

(٣) ورد أن جبل أبى قبيس نادى إبراهيم : يا خليل الرحمن إن لك عندى وديعة فخذها ، فإذا هو بحجر أبيض من ياقوت الجنة كان آدم قد نزل به من الجنة · انظر تفسير القرطبى ١ / ٦١٥ ط · دار الغد العربى ·

* وَصْفُ الحجَر الأسود :

نا أحمد : نا يونس عن السرى بن إسماعيل عن عامر عن عُمر بن الخطاب أنه قال : الحجر الأسود من أحجار الجنة أُهبط إلى الأرض وهو أشد بياضًا من الكُرْسف (١) ، فما اسود إلا من خطايا بنى آدم ، ولولا ذلك ما مسه أبكم ولا أصم ولا أعمى إلا برأ ٠

نا أحمد : نا يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله بن سَلمة بن كُهَيل عن رجل عن على أنه قال : السكينة لها وجه كوجه الإنسان وهى فى ذلك ريح هفافة ٠

نا أحمد : نايونس عن إبراهيم بن إسماعيل عن يَزيد الرَّقاشى عن أبيه عن أبى موسى الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال : لقد مر بالصخرة من الروحاء سبعون نبيًّا حفاة عليهم العبأ يؤمون بيت الله العتيق منهم موسى عليه السلام ٠

نا أحمد : نا يونس عن سعيد بن ميسرة عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : كان الحجر من ياقوت الجنة فمسحه المشركون فاسود من مسحهم إياه ٠

نا أحمد نا يونس عن وهب بن عقبة عن عطية العوفى عن ابن عباس قال : إن الحَجَر الأسود من حجارة الجنة ، كان أشد بياضًا من اللبن فاسود مما مسحه بنو آدم من ذنوبهم ٠

نا أحمد نا يونس عن مَسْلَمة بن عبد الله القُرَشى عن عبد الكريم أبى أُمَيَّةَ قال : كان البيت ياقوتة من ياقوتات الجنة ، فلما كان زمن الطوفان رفع إلى السماء الدنيا ، فلو وقع الآن وقع على موضع البيت ، يطوف به كل ليلة سبعون ألف ملك ، واستودع جبريل أبا قُبَيْس (٢) الحجر ، وهو ياقوتة بيضاء من ياقوت الجنة ، فلما بنى إبراهيم البيت أتاه جبريل ، فأخرج له الحجر ، فوضعه فى قواعد البيت ؛ وهو يوم القيامة أعظم من أُحد له لسان يشهد به ٠

* * *

(١) القطن الناصع البياض ٠

(٢) أبا قبيس : هو اسم جبل خارج مكة المكرمة ٠

* ما كان يقال عند الطواف فى الجاهلية :

نا أحمد : نا يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله المسعودى عن سعيد بن أبى بُردة الأشعرى عن عبد الله بن عمر أنه قال لأبيه أبى بردة : أتدرى ما كان قومك يقولون فى الجاهلية إذا طافوا بالبيت ؟ قال : وما كانوا يقولون ؟ قال : كانوا يقولون :

اللَّهُمَّ هَذا وَاحِدٌ إنْ تَمَّا أَتَمَّهُ اللهُ وَقَدْ أَتَمَّا
إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمَّا وأَىُّ عَبْدٍ لَكَ لاَ أَلَمَّا

نا أحمد نا يونس عن قَيس بن الربيع عن منصور عن مجاهد قال : كان أهل الجاهلية يقولون حين يطوفون بالبيت :

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرِ جَمَّا وَأَىُّ عَبْدٍ لك لا أَلَمَّا

نا أحمد نا يونس عن هشام بن عُروة عن أبيه قال : لم يكن أحد يطوف بالكعبة عليه ثياب إلا الحُمس [١] ، وكان بقية الناس الرجال والنساء يطوفون عراة ، إلا أن تحتسب عليهم الحمس ، فيعطون الرجل أو المرأة الثوب يلبسه .

نا أحمد : نا يونس عن أبى مَعْشر المدينى عن محمد بن قَيس قال : كان أهل الجاهلية من لم يكن من الحُمس ، فإن طابت نفسه أن يرمى بالثوب الذى عليه إلى الكعبة إذا طاف بالبيت أو وجد عارية من أهل مكة ، طاف فيه ، فإن لم تطب نفسه بالثوب الذى عليه ، ولم يجد عارية من أهل مكة طاف عريانا ، فقالوا : وجدنا آباءنا عليها ، والله أمرنا بها حتى بلغ ﴿ **خالصة يوم القيامة** ﴾ قال محمد بن قيس : هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا يشركهم فيها الكفار ، فإذا كان يوم القيامة خلص بها المؤمنون .

نا أحمد : نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : كانت قريش

(١) الحُمس : جمع أحمس وهو من الشدة والصلابة فى الدين وقد لقبت به قريش وكنانة وخزاعة وهم أهل الحرم ، وكانوا لا يعظمون شيئًا من الحل وتركوا الوقوف على عرفة والإفاضة منها إذ إنها من الحل أما المزدلفة فهى من الحرم .

ومن يدين دينها [١] ، وهم الحُمس ، يقضون عشية عرفة بالمزدلفة يقولون : نحن قطن [٢] البيت ، وكان بقية الناس ، والعرب يقفون بعرفات ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاضَ الناس ﴾ [٣] فتقدموا فوقفوا مع الناس بعرفات .

* الرسول ﷺ يُخالف الحُمس قبل الرسالة :

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني عبد الله بن أبي بكر عن عثمان ابن أبي سليمان عن نافع بن جُبير بن مُطعِم عن أبيه جُبير بن مُطعم قال : لقد رأيت رسول الله ﷺ ، وهو على دين قومه ، وهو يقف على بعير له بعرفات ، من بين قومه حتى يدفع معهم توفيقًا من الله عز وجل له .

* ما كان يفعله المشركون في الجاهلية :

نا أحمد : نا يونس عن زكريا بن أبي زائدة عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عمر قال : كان المشركون بجمع [٤] يقولون : أشرق ثبير [٥] كيما نغير ، قال : فكانوا لا يفيضون من جمع حتى تطلع الشمس ، فنهانا رسول الله ﷺ عن ذاك . قال زكريا : فنفر رسول الله ﷺ قبل أن تطلع الشمس .

نا أحمد : نا يونس عن يوسف بن ميمون عن الحسن قال : كان الناس في الجاهلية إذا أتوا المعرف [٦] قام الرجل فوق جبل فقال : أنا فلان ابن فلان ، فعلت كذا ، وفعل أبي كذا ، وفعل جدي كذا فأنزل الله عز وجل : ﴿ فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا ﴾ [٧] يقول : كما كنتم تذكرون آباءكم في الجاهلية ، فقال رسول الله ﷺ حين نزلت هذه الآية : يا أيها الناس ، إن الله قد رفع عنكم هذه النخوة والتفاخر في الآباء ، فنحن ولد آدم ، وخلق آدم من تراب ، وقال الله عز وجل : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ﴾ . إلى قوله تعالى : ﴿ أتقاكم ﴾ [٨] .

* أصل السعي بين الصفا والمروة وأول من سعى :

نا أحمد : نا يونس عن يوسف بن ميمون التميمي عن عطاء بن أبي رباح أن إنسانا سأله عن السعي بين الصفا والمروة فقال : إن هاجر لما وضعها إبراهيم هي وابنها

---

(١) أي من يتبعها ويوافقها وهم : كنانة وخزاعة .
(٢) بمعنى قطين : أي سكانه وأهله . (٣) سورة البقرة : ١٩٩ .
(٤) جمع : أي المزدلفة . (٥) ثبير : جبل مطل على مكة . (٦) أي : جبل عرفة .
(٧) سورة البقرة : الآية ٢٠٠ . (٨) سورة الحجرات : الآية ٦ .

إسماعيل أصابها عطش شديد حتى أُريت أن إسماعيل سيقتله العطش ، فلما خشيت ذلك منه ، وضعته فى موضع البيت ، وانطلقت حتى أتت الصفا ، فصعدت فوقه تنظر هل مات بعدُ أم لا ؟ فجعلت تدعو الله تعالى له ، ثم نزلت حتى أتت بطن الوادى فسعت فيه ثم خرجت تمشى حتى أتت المروة ، فصعدت فوقها تنظر هل مات بعد أم لا ؟ وكانا حجرين إلى البيت ، ففعلت ذلك سبع مرات ، فهذا أصل السعى بين الصفا والمروة ·

نا أحمد : نا يونس عن هشام بن عُروة عن أبيه ، فى هذه الآية : ﴿ **إن الصفا والمروة من شعائر الله** ﴾ [1] الآية ، فقلت لعائشة : لو أن إنسانا حج فلم يطف بين الصفا والمروة ما ظننت أن عليه حرجًا ، قالت : فاتل على ، فتلوت عليها : ﴿ **فلا جناح عليه أن يطَّوف بهما** ﴾ فقالت : لو كان كما تقول كان : فلا جناح عليه ألا يطوف بهما ، وإنما نزلت هذه الآية فى أناس من قريش كانوا يحرمون لَمنَاة ولا يحل فى دينهم أن يطوفوا بين الصفا والمروة ، فلما أسلموا قالوا لرسول الله ﷺ « إنا كنا نحرم لمنَاة فلا يحل لنا فى ديننا أن نطوف بين الصفا والمروة » فأنزل الله عز وجل الآية : ﴿ **إن الصفا والمروة من شعائر الله** ﴾ فقالت عائشة : هما من شعائر الله ، فما أتم الله حج من لم يطف بهما ·

* سبب رمى الجمار وأول من رمى :

نا أحمد : نا يونس عن يوسف بن ميمون عن عطاء بن أبى رباح أنه سئل عن رمى الجمار فقال : إن إبراهيم أتى البيت الحرام فصلى به ، ثم راح حتى أتى مِنًى فى بعض الليل فانطلق حتى أتى الشجرة فعرض [2] لهِ الشيطان ، فرماه إبراهيم بسبعة أحجار ، يكبِّر مع كل حجر ، فذهب عنه ، ثم مضى حتى أتى مكان الجمرة التى يليها عرض له الشيطان ، فرماه بسبعة أحجار ، يكبر ، مع كل حجر فذهب عنه ، ثم مضى حتى موضع الجمرة الثالثة عرض له الشيطان ، فرماه بسبعة أحجار يكبر مع كل حجر ، فذهب عنه ، فلما بعث الله عز وجل نبيه ﷺ اقتص ما صنع إبراهيم فصنع مثله ·

* * *

(١) سورة البقرة : الآية ١٥٨ ·

(٢) عَرَض له : أى ظهر له وأشرف عليه، واعترض طريقه ·

* ما كان يفعله أهل الجاهلية عند الذبح :

نا أحمد : نا يونس عن أبى بكر الهذلى قال : أنا الحسن قال : كان الناس فى الجاهلية إذا ذبحوا لطخوا بالدماء وجه الكعبة ، وشرَّحوا اللحوم فوضعوها على الحجارة ، وقالوا لا يحل لنا نأكل شيئًا جعلناه لله عز وجل حتى تأكله السِّباع والطير ، فلما جاء الإسلام جاء الناس رسول الله ﷺ فقالوا له : شيئًا كنا نصنعه فى الجاهلية ألا نصنعه الآن ، فإنما هو لله عز وجل ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **فكلوا منها وأطعموا** ﴾ (١) فقال رسول الله ﷺ : « لا تفعلوا فإن ذلك ليس لله عز وجل » . قال الحسن : فلم يعزم عليهم الأكل ، فإن شئت فكُل وإن شئت فدع (٢) .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : سألت ابن أبى نَجيح عن قول رسول الله ﷺ « إن الزمان قد استدار حتى صار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » فقال : كانت قريش يدخلون فى كل سنة شهرًا ، وإنما كانوا يوافقون ذا الحجة فى كل اثنتى عشرة سنة مرة ، فوفق الله تعالى لرسوله فى حجته التى حج ذا الحجة فحج رسول الله ﷺ فيها ، فقال رسول الله ﷺ : « إن الزمان قد استدار حتى صار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض» فقلت لابن أبى نَجيح : فكيف بحجة أبى بكر وعتَّاب بن أسيد ؟ فقال : على ما كان الناس يحجون عليه ، ثم فسر ابن أبى نَجيح فقال : كانوا يحجون فى ذى الحجة ثم العام المقبل فى المحرم ثم صفر حتى يبلغوا اثنى عشر شهرًا .

* جبريل يعلِّم الخليل إبراهيم عليهما السلام مناسك الحج :

حدثنا أحمد قال : نا يونس عن ابن أبى ليلى وابن أبى أنيسة عن عبد الله بن أبى مُليكة عن عبد الله بن عَمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : « نزل جبريل على إبراهيم صلى الله عليهما ، فراح به فصلى به الصلوات بها » ، قال يحيى : الظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء (٣) . ثم اجتمعا ، فبات به حتى صلى الفجر ثم سار به يوم عرفة حتى نزل به المنزل الذى ينزل الناس(٤) ، فصلى به الصلاتين -

---

(١) سورة الحج : الآية ٣٦ . (٢) أى اتركه للفقراء والمساكين .

(٣) أى يوم التروية وهو يوم الثامن من ذى الحجة .

(٤) أى المكان المعروف وهـــو الموقف من عرفة دون غيره لأن غربى عرفة مكان يسمى « بطن عرنة » وهو ليس بموقف وقد نهى النبى ﷺ عن الوقوف فيه فقال : « عرفه كلها موقف وارتفعوا » - أى ابتعدوا - عن بطن عرنة والله أعلم .

« قال يحيى : جميعًا » - ثم اجتمعا ، قال : فسار حتى وقف به فى الموقف حتى كان كأعجل ما يصلى أحد من المسلمين صلاة المغرب ، ثم أفاض حتى أتى به « جمعًا » فصلى به الصلاتين [١] ، قال يحيى : المغرب والعشاء جميعًا . قال : ثم بات بها [٢] حتى إذا كان كأعجل ما يصلى أحد من المسلمين صلاة الفجر أفاض به حتى أتى به الجمرة فرماها ، ثم ذبح وحلق ثم أتى به البيت فطاف به - قال ابن أبى ليلى : ثم رجع به إلى مِنى فأقام فيها تلك الأيام ، ثم أوحى الله عز وجل إلى محمد ﷺ أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا .

نا أحمد نا يونس عن زكريا بن أبى زَائدة عن أبى إسحاق عن زيد بن يُثَيْع عن على قال : بعثنى رسول الله ﷺ حين نزلت « براءة » [٣] ألاّ يطوف بالبيت عُريان .

* قريش تبتدع الحُمس :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وكانت قريش - لا أدرى قبل بناء الكعبة أو بعده - ابتدعت رأى الحمس[٤] ، رأيا رأوه وأداروه بينهم ، فقالوا : نحن بنو إبراهيم وأهل الحرم ، وولاة البيت ، وقاطنو مكة وسكانها ، فليس لأحد من العرب مثل حقنا ، ولا مثل منزلتنا ، ولا يعرف له العرب مثل ما تعرف لنا ، فلا تعظموا شيئا من الحل كما تعظمون الحرم ، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفت العرب حرمتكم ، وقالوا : قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم ، فتركوا الوقوف على عرفة والإفاضة منها ، وهم يقرون ويعرفون أنها من المشاعر [٥] والحج ودين إبراهيم عليه السلام ، فيرون لسائر العرب أن يقفوا عليها وأن يفيضوا منها ، إلا أنهم قالوا نحن أهل الحرم فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرمة ولا نعظمن غيرها كما يعظمها الحمس ، والحمس أهل الحرم ، ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكنى الحل والحرم مثل الذى لهم بولادتهم إياهم ، يحل لهم ما يحل لهم ، ويحرم عليهم ما يحرم عليهم ، وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم فى ذلك ، ثم ابتدعوا فى ذلك أمورًا لم تكن فقالوا : لا ينبغى للحُمس أن يأقطوا الأَقْط [٦] ، ولا يسلوا [٧]

(١) أى بالمزدلفة . (٢) أى : بالمزدلفة أيضا . (٣) سورة التوبة .

(٤) والتحمس التشدد ، وكانوا قد تعالوا على غيرهم ، وكانت نساؤهم لا ينسجن الشعر ولا الوبر . (٥) أى الشعائر . (٦) الأقط : الجبن المصنوع من لبن الغنم .

(٧) سلا السمن : أى طبخ الزبد حتى يصير سمنًا .

السمن وهم حرم ، ولا يدخلوا بيتًا من شعر ولا يستظلوا إلا فى بيوت الأدم [١] ما داموا حرامًا ، ثم رفعوا فى ذلك فقالوا : لا ينبغى لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحل فى الحرم إذا جاءوا حجَّاجًا أو عُمَّارًا ، ولا يطوفوا بالبيت إذا قدموا أول طوافهم إلا فى ثيــاب الحمس ، فإن لم يجدوا شيئًا منها طافوا بالبيت عراة ، فإن تكرم منهم متكرم من رجل أو امرأة لم يجد ثوبًا من ثياب الحمس ، فطاف فى ثيابه التى جاء بها من الحل ، ألقاها إذا فرغ من طوافه ، لم ينتفع بها ، ولم يمسها ، ولا أحد غيره أبدًا ، وكانت العرب تسمى تلك الثياب اللقى ، فحملوا العرب على ذلك فدانت به ، ووقفوا على عرفات ، وأفاضوا منها ، فأطافوا بالبيت عراة ، وأخذوا بما شرعوا لهم من ذلك ، فكان أهل الحل يأتون حجاجًا وعمارًا ، فإذا دخلوا الحرم وضعوا أزوادهم التى جاءوا بها ، وابتاعوا من طعام الحرم والتمسوا ثيابًا من ثياب الحرم إما عارية وإما بإجارة ، فطافوا فيها فإن لم يجدوا طافوا عراة ، أما الرجال فيطوفون عراة ، وأما النساء فتضع إحداهن ثيابها كلها إلا درعًا تطرحه عليها ، ثم تطوف فيه ، فقالت امرأة من العرب وهى كذلك تطوف :

اليومَ يَبدو بَعْضُه أَو كُلُّهُ ۝ وَما بَدا مِنْهُ فَلا أُحلُّهُ

ومن طاف منهم فى ثيابه التى جاء فيها ألقاها فلم ينتفع بها هو ولا غيره ، فقال قائل من العرب يذكر شيئًا تركه لا يقربه وهو يحبه :

كَفَى حُزْنًا كرِّى عليه كأنَّه ۝ لَقىٌّ بَيْنَ أَيْدى الطَّائفين حَرِيمُ [٢]

يقول : لا تُمَسُّ . فكانوا كذلك حتى بعث الله عز وجل نبيه ﷺ [٣] .

* * *

(١) بيوت الأدم : الخيم والأخبية المصنوعة من الجلد .

(٢) الشىء الحريم : المحرم وهو الشىء الذى لا يؤخذ ولا ينتفع به .

(٣) وشرع له سنن حجه وأمر قريش والناس جميعًا بالوقوف بعرفات والإفاضة منها فقال تعالى : ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴾ .

حديث بنيان الكعبة

* سبب بنيان قريش الكعبة :

حدثنا أحمد بن عبد الجبار : نايونس بن بُكير عن ابن إسحاق قال : فأقامت قريش فى كل قبيلة منها أشراف ، فليس بينها اختلاف ولا نائرة . ثم إن قريشًا أجمعوا على بنيان الكعبة [١] ، وكانوا يهمون بذلك فيهابون هدمها ، وإنما كانت رضمًا فوق القامة [٢] ، فأرادوا رفعها وتسقيفها وذلك أن نفرًا من قريش سرقوا كنز الكعبة ، وكان يكون فى بئر جوف الكعبة . وكان الذى وجد عنده الكنز دُوَيل - أو دُوَيد ، شك أبو عمر ، مولى لبنى مُليح بن عمرو من خزاعة ، فقطعت قريش يده من بينهم ، وكان ممن اتهم فى ذلك الحارث بن عامر بن نوفل ، وكان أخا الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف لأمه أبو وهب بن عبد المطلب ، فهو الذى تزعم قريش أنهم وضعوا كنز الكعبة حين أخذوه عند دويل - أو دويد - فلما أتهم قريش دلوهم على دويل - أو دويد [٣] - فقطعوه ، ويقال : إنهم وضعوه عنده ، وذكروا أن قريشًا حين استيقنوا بأن ذلك كان عند الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ،

---

(١) وكان بناؤها فى الدهر كله خمس مرات ، الأولى : حين بناها شيث بن آدم ، الثانية : حين بناها إبراهيم عليه السلام على القواعد الأولى ، والثالثة : حين بنتها قريش قبل الإسلام بخمسة أعوام ، الرابعة حين احترقت فى عهد ابن الزبير بشرارة طارت من جبل أبى قبيس ، وقيل إن امرأة أرادت أن تجمرها فطارت شرارة من المجمر فى أستارها فاحترقت ، فهدمها عبد الملك بن مروان وبناها على ما كانت عليه فى عهد رسول الله ﷺ . أما المسجد الحرام فأول من بناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك أن الناس ضيقوا على الكعبة ، وألصقوا دورهم بها ، فقال عمر : إن الكعبة بيت الله ، ولا بد للبيت من فناء ، فاشترى تلك الدور من أهلها وهدمها ، وبنى المسجد المحيط بها ، ثم لما جاء عثمان رضي الله عنه . اشترى دورًا أخرى وأغلى ثمنها ، وزاد فى سعة المسجد ، فلما جاء ابن الزبير زاد فى إتقانه لا فى سعته ، وجعل فيه عمدًا من الرخام وزاد فى أبوابه وحسنها ، فلما جاء عبد الملك بن مروان زاد فى ارتفاع حائط المسجد وحمل إليه السوارى فى البحر إلى جدة .

(٢) الرضم : هى الصخور العظيمة التى يتراكم بعضها فوق بعض .

(٣) فى سيرة ابن هشام : دُويل .

فخرجوا به إلى كاهنة من كهان العرب ، فسجعت عليه من كهانتها بأن لا يدخل مكة عشر سنين بما استحل من حرمة الكعبة ، فزعموا أنهم أخرجوه من مكة ، فكان فيما حولها عشر سنين ·

وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدة لرجل من الروم فتحطمت ، فأخذوا خشبها فأعدوه لسقفها ، وكان بمكة رجل قبطى نجار [١] ، فتهيأ لهم فى أنفسهم فى بعض ما يصلحها · وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التى كان يطرح فيها مما يهدى لها كل يوم ، فتشرق [٢] على جدار الكعبة ، وكانت مما يهابون ، وذلك أنهم زعموا قلما كان يقترب من بئر الكعبة أحد إلا احزألت [٣] وكشت [٤] ، وفتحت فاها فكانوا يهابونها ، فبينما هى يومًا تشرق على جدار الكعبة كما كانت تصنع ، بعث الله عز وجل عليها طائرًا لا يدرون ما هو فاختطفها من متشرقها ، فذهب بها ، فقالت قريش : إنا نرجو أن يكون الله عز وجل قد رضى ما أردنا ، عندنا عامل رفيق وعندنا الخشب ، وقد ذهب الله تعالى بالحية ، وذلك بعد الفجار بخمس عشرة سنة ، ورسول الله ﷺ إذ ذاك ابن خمس وثلاثين سنة ·

* أبو وهب وما حدث له عند بناء الكعبة :

فلما أجمعوا أمرهم على هدمها وبنائها قام أبو وهب عامر بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم فتناول من الكعبة حجرًا ، فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه - فيما يزعمون - فقال : يا معشر قريش لا تدخلن فى بنيانها من كسبكم إلا طيبا ولا تدخلن فيها مهر بغى ، ولا بيع ربا ، ولا مظلمة من أحد من الناس ، وينحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة ·

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى عبد الله بن أبى نجيح أنه حدث عن عبد الله بن صفوان بن أمية أنه رأى ابنا لجعدة بن هبيرة بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم يطوف بالبيت فسأل عنه ، فقيل هذا ابن

---

(١) ذكر أنه كان علجًا فى السفينة التى حجتها الريح إلى الشعيبة ، وأن اسم ذلك النجار : ياقوم ، وكذلك روى أيضًا فى اسم النجار الذى عمل منبر رسول الله ﷺ من طرفاء الغابة ، ولعله أن يكون هذا ، فالله أعلم ·

(٢) أى تبرز وتظهر للشمس ·   (٣) احزألت : أى ارتفعت ·

(٤) كشت : أى صوتت بسبب احتكاك الجلد بعضه ببعض ·

جعْدة بن هبيرة بن أبى وهب ، فقال عبد الله بن صفوان : إن جده يعنى أبا وهب هو الذى أخذ من الكعبة حجرًا حين أرادت قريش هدمها فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه ، فقال عند ذلك : يا معشر قريش لا تدخلوا فيها من كسبكم إلا طيبًا ، لا تدخلوا مهر بغى ، ولا بيع ربا ، ولا مظلمة لأحد من الناس ، وأبو وهب خال رسول الله ﷺ (١) ، وكان شريفًا ، وله يقول شاعر من العرب :

لَو بأبى وَهْبٍ أَنَخْتُ مَــطِيَّتى ... لَرُحْتُ وَرَاحَتْ رَحْـلُها غيـر خَائبِ
وأَبْيَض من فَرْعَى لُؤَىٍّ بن غَالب ... إذا حُــصِّلت أَنْســـابه لِلذَّوَائِب
أَبــىٌّ لأَخذِ الضيم يَرتاح لِلنَّدَى ... تَوسَّط جَدَّاه فُروع الأَطـــايبِ
عَظِيم رَماد القَدْرِ يَــملا جفَانَهُ ... من الخُبزِ يَعلُوهن مثل السـبَـائِبِ

* نصيب قبائل قريش فى تجزئة الكعبة :

حدثنا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم تجزأت قريش الكعبة ، فكان شق الباب لبنى عبد مناف ، وبنى زُهرة ، وكان مما بين الركنين الأسود والركن اليمانى لبنى مخزوم وتيم وقبائل من قريش ضموا إليهم ، وكان ظاهرها لسهم وجمح ، وكان شق الحجر ، وهو الحطيم ، لبنى عبد الدار بن قُصى ، ولبنى أسد بن عبد العُزى بن قُصى ، وبنى عَدى بن كَعب .

* الوليد بن المغيرة يبدأ بهدم الكعبة

ثم إن الناس هابوا هدمها وفرقوا منه ، فقال الوليد بن المغيرة : أنا أبوؤكم فى هدمها ، فأخذ المِعْول ، فقام عليها ، ثم قال : اللهم لا تردع (٢) ، اللهم إنا لا نريد إلا الخير ، ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس تلك الليلة وقالوا : ننظر ماذا يصيبه ، فإن أصيب لم نهدم منها شيئًا ورددناها كما كانت ، وإن لم يصبه شىء فقد رضى الله عز وجل ما صنعنا ، فأصبح غاديًا يهدم وهدم الناس معه فلما انتهى الهدم إلى أس الكعبة(٣) اتبعوه حتى انتهوا إلى حجارة خضر كالأسنمة آخذ بعضها بعضًا .

---

(١) وقيل : هو خال أبى رسول الله ﷺ والله أعلم .

(٢) جاء فى سيرة ابن هشام « لم تُرَع » وهى تقتضى إظهار قصد البر ، وليس تسكين الرَّوع .

(٣) أى أساسها .

* سبب امتناع قريش عن هدم الأساس :

حدثنا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حُدثت أن رجالاً من قريش ممن كان يهدمها قالوا أدخل رجل بين حجرين منها العثلة [١] ليقلع إحداهما ، فلما تحرك الحجر تنفضت مكة بأسرها ، فهابوا عند ذلك تحريك ذلك الأس .

* الكتاب الذى وجد فى الركن :

حدثنا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنا يحيى بن عَبَّاد بن عبد الله ابن الزبير عن أبيه عباد قال : حُدثت أنهم وجدوا فى أس الكعبة أو فى بعضها شيئًا من صُفر مثل بيض النعام مكتوبٌ فى إحداهما : هذا بيت الله عز وجل الحرام رزق أهله من كذا ، لا يحله أول من أهله ، وفى الأخرى : براءة لبنى فلان حى من العرب ، من حجة لله حجوها .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وحدِّثت أن قريشًا وجدت فى الركن أو فى بعض المقام كتابًا بالسِّريانية لم يدوروا ما هو حتى قرأه عليهم رجل من يهـود : « أنا الله ذو بكة خلقتها يوم خلقت السموات والأرض وصنعت الشمس والقمر ، وحففتها بسبعة أملاك حنفاء لا يزولون حتى تزول أخاشبها [٢] ، مبارك لأهلها فى الماء واللبن » [٣] .

* * *

(١) جاء فى سيرة ابن هشام « العتلة » وهى الصواب .

(٢) جاء فى سيرة ابن هشام : « أخشباها » أى جبلاها .

(٣) ذكر ابن هشام عن ابن إسحاق قال : بلغنى أن قريشا حين بنوا الكعبة وجدوا فيها حجرًا فيه ثلاثة صفوح الصفح الأول : أنا الله ذو بكة صُغتها يوم صغت الشمس والقمر ، وفى الصفح الثانى : أنا الله ذو بكة خلقت الرحم ، واشتققت لها اسما من اسمى ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها بتته ، وفى الصفح الثالث : أنا الله ذو بكة ، خلقت الخير والشر ، فطوبى لمن كان الخير على يديه ، وويل لمن كان الشر على يديه .

* الكتاب الذى وُجد فى المقام :

وحُدثت أنهم وجدوا فى المقام كتابًا فيه : « مكة الحرام يأتيها رزقها من ثلاثة سبل ، لا يحلها أولُ من أهلها » (١) .

نا أحمد : نا يونس عن زكريا بن أبى زائدة عن عامر الشعبى قال : حدثنى من قرأ فى أسفل المقام أو فى تختجة (٢) فى سقف البيت : أنا الله ذو بكة ، بنيته على وجوه سبعة أملاك حنفاء ، باركت لأهله فى اللحم ، والماء ، وجعلت رزقهم من ثلاثة سبل ، ولا يستحل حرمتها أول من أهلها .

نا أحمد : نا يونس عن المنذر بن ثَعْلبة عن سعيد بن حرب قال : شهدت عبد الله بن الزبير وهو يقلع القواعد التى أسس إبراهيم ﷺ لبناء البيت فأتوا على تربة صفراء عند الحطيم ، فقال ابن الزبير : هذا قبر إسماعيل عليه السلام فواراه(٣) .

* الاختلاف بين قريش فى وضع الحجر :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم جمعت القبائل من قريش لبنائها كل قبيل تجمع على جدتها (٤) ثم بنو حتى بلغ البناء موضع الركن فاختصموا فى رفع الركن ، كل قبيلة تريد أن ترفعه دون الأخرى ، فقالت كل قبيلة نحن نرفعه حتى تحازبوا (٥) أو تحالفوا ، وأعدُّوا القتال .

* لعقة الدم :

فقربت بنو عبد الدار جفنة فملؤوها دمًا ثم تحالفوا هم وبنو عدى بن كعب على الموت فأدخلوا أيديهم فى تلك الجفنة فغمسوها فى الدم ، فقال فى ذلك عِكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار :

---

(١) لا يحلها أول من أهلها : أى ، والله أعلم ، ما كان من استحلال قريش فيها القتال أيام ابن الزبير ، وحصين بن نمير ، ثم الحجاج بن يوسف الثقفى .

(٢) أى فتحة قريبة من السقف تكون فى الحائط وتسمى « طاقة » .

(٣) ذكر ابن هشام أن ابن إسحاق قال : وزعم ليث بن أبى سُليم أنهم وجدوا حجراً فى الكعبة قبل مبعث النبى - ﷺ بأربعين سنة - إن كان ما ذكر حقًا - مكتوبا فيه : « من يزرع خيراً يحصد غبطة ، ومن زرع ضراًّ يحصد ندامة ، تعملون السيئات ، وتجزون الحسنات ؟ أجل كما لا يجتنى من الشوك العنب .

(٤) عند ابن هشام : « على حِدة » وهذا أليق وأوضح .

(٥) عند ابن هشام : « تحاوروا » .

وَاللهِ لا نَأتى الذى قَدْ أَردتُم ... ونَحن جَميعٌ أَو نُخضَّب بالَّدمِ
ونَحْن وُلاَةَ البيتِ لاَ تُنْكِرُونَهُ ... فكَيْفَ عَلى عِلْمِ البَرية نُظْلَم
لنَبْغِى به الحَمد الذى هُو نَافعٌ ... ونَخْشَى عِقَاب اللهِ فى كُلِّ محْرَمِ
فَكيْفَ تَرومـــونَا وعز قَنَاتنا ... لَه مكسر صُلْب على كُل مَعْلمِ
فَهيهاتَ أَنَّى يقربُ الركنَ سَالمٌ ... ونَحن جَميعٌ عِندهُ حين يُقْسَمِ
فَإِمَّا تخلونَا وَبيـــتَ حِجَابنا ... وَإما تَنوَؤا ذلك الركْن بالحرم

فأجابه وهب بن عبد مناف :

أَبْلِغ قُرَيشًا إِذا مَا جِئتُ أَكْرمُهَا ... أَنَّا أَبينـــا فَلا نُؤْتيكُمُ غَلبَا
إنَا أبينا إلى الغَضْبِ ظَاهرةً ... إِنَّا وَجدك لاَ نُؤْتيكُم سَلَبا
نَحنُ الكِرَام فَلا حَىٌّ يُقَارِبُنا ... نَحنُ الملوكَ وَنَحْنُ الأكَرَمُونَ أَبا
وَقد أَرى مُحدثًا فى حِلْفِنا طُهرًا ... كَما تَرى فى حِجَابِ الملك مُحْتَجبا
أَبَى لَنا عِزنا مَاذا أَراد بِنَا ... قَوْمٌ أَرادوا بِنَا فى حِلْفهم عجبا
قَومٌ أَرادوا بنا خَسْفًا لنقبله ... كَلاَّ وربِّكَ لا نُؤْتيهم غَضَبا

* أبو أمية بن المغيرة يحل مشكلة وضع الحجر :

حدثنا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فمكثت قريش أربع ليال ، أو خمسًا ، بعضهم من بعض ، ثم إنهم اجتمعوا فى المسجد فتشاوروا ، وتناصفوا ، فزعم بعض أهل العلم والرواية أن أبَا أمية ، وكان كبيراً ، وسيد قريش كلها ، قال : يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل عليكم من باب المسجد .

* الرسول ﷺ يضع الحجر وينهى الإشكال :

فلما توافقوا على ذلك ، ورضوا به ، دخل رسول الله ﷺ ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين قد رضينا بما قضى بيننا ، فلما انتهى إليهم أخبروه الخبر ، فقال : هلموا ثوبًا ، فأتوه به ، فوضع رسول الله ﷺ الركن فيه بيديه ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوا جميعًا ، فرفعوه حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه

رسول الله ﷺ بيده ، ثم بنى عليه [١] ، فكان رسول الله ﷺ يسمى فى الجاهلية الأمين قبل أن يوحى إليه ·

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : كنت جالسًا مع أبى جعفر محمد بن على [٢] فمر بنا عبد الرحمن الأعْرج ، مولى ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، فدعاه فجاءه فقال : يا أعرج ما هذا الذى تحدث به أن عبد المطلب هو الذى وضع حجر الركن فى موضعه ؟ فقال : أصلحك الله حدَّثنى من سمع عمر بن عبد العزيز يحدِّث أنه حُدث عن حَسَّان بن ثابت يقول : حضرت بنيان الكعبة ، فكأنى أنظر إلى عبد المطلب جالسًا على السور شيخ كبير قد عصب له حاجباه حتى رفع إليه الركن ، فكان هو الذى وضعه بيديه ، فقال : انفذ راشدًا ، ثم أقبل علىَّ أبو جعفر فقال : إن هذا الشىء ما سمعنا به قط ، وما وضعه إلا رسول الله ﷺ بيده ، اختلفت فيه قريش فقالوا : أول من يدخل عليكم من باب المسجد فهو بينكم ، فدخل رسول الله ﷺ ، فقالوا : هذا الأمـــين ، فحكموه ، فأمر بثوب فبسط ، ثم أخذ الركن بيديه ، فوضعه على الثوب ، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة من الثوب بناحية ، وارفعوا جميعًا ، فرفعوا جميعًا ، حتى إذا انتهوا به إلى موضعه أخذه رسول ﷺ فوضعه فى موضعه بيده ثم بنى عليه ·

* سن الرسول ﷺ عند بناء الكعبة

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ورسول الله ﷺ يومئذ ابن خمس وثلاثين سنة ، ونزل عليه الوحى بعد بناء الكعبة بخمـس سنين ، وهو ابن أربعين سنة ، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ثم هاجر إلى المدينة [٣] ·

(١) ورد أن إبليس اللعين كان معهم فى صورة شيخ نجدى فصاح بأعلى صوته : يا معشر قريش : أرضيتم أن يضع هذا الركن - وهو شرفكم - غلام يتيم دون ذوى أسنانكم ؟! فكاد يثير شرا فيما بينهم ، ثم سكنوا ذلك ، وأخمد الله كيد إبليس · انظر السيرة النبوية لابن هشام ط · الكليات الأزهرية تحقيق طه عبد الرءوف سعد ·

(٢) هو محمد بن على بن الحسين ابن الإمام على كرم الله وجهه ·

(٣) أما عن ارتفاع الكعبة وكسوتها ، فكانت على عهد رسول الله ﷺ ثمانى عشرة ذراعًا ، وكانت تكسى القباطى (وهى ثياب بيض مصرية) ، ثم كسيت البرود (وهى ثياب يمنية فيه لمع وسواد وبياض) وأول من كساها الديباج : الحجاج بن يوسف الثقفى ·

* **شعر الزبير بن عبد المطلب فى الحية التى كانت تمنع قريشا من بنيان الكعبة :**

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم سقفت فكان ذلك أول ما سقفت الكعبة ، فلما فرغوا من البنيان وبنوها على ما أرادوا قال الزبير بن عبد المطلب فيما كان من أمر الحية التى كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها ، فقال :

عَجِبْتُ لما تَصوَّبت العقَابُ ... إلى الثُّعْبَان وَهى لها اضْطِرابُ
وَقَدْ كَانت يكونُ لها كَشِيشٌ ... وأَحيانًا يكون لَها وثَابُ
إذَا قُمْنَا إلى البُنْيان شَدَّتْ ... تَهيبنا البنَاءُ وَقدْ تهابُ
فَلما أنْ خَشِينا الرجزَ جاءت ... عقَابٌ قَد يَظل لها الضبابُ
فَضمتها إليها ثم خلَّت ... لَنَا البُنْيانَ لَيس له حِجَابُ
فَقُمْنَا حَاشدين على بنَاء ... لَنا منه القَواعد والترابُ
غَدَاةَ نَرْفَعُ التأسيسَ منْهُ ... وَليس عَلى مَساوينا ثيَابُ
أَعزَّ به المليكُ بَنى لُؤَىٍّ ... فَليسَ لأَصْله منهم ذهَابُ
وَقَدْ حَشدَتْ هُنَاك بَنو عَدىٍّ ... وَمُرَّة قَدْ تَقَدَّمها كلاَبُ
فَبَوَّأنا المَليكُ بذَاك عزًّا ... وعِندَ الله يُلتمس الثوابُ

وقال الزبير بن عبد المطلب فى ذَلك أيضًا :

لَقَدْ كَان فى أَمْرِ العقَابِ عَجِيْبَةٌ ... وَمَخْطَفُهَا الثُّعْبَانُ حِينَ تَدلَّت
فَكان مَدى الأَبْصَارِ آخر عَهْدنَا ... بِها بَعدْما بَاتَتْ هُنَاكَ وَطلَّت
إذا جَاء قَومٌ يَرفَعون عمَادَهُ ... مَن البيتِ شَدَّتْ نَحْوهمُ واحزألَّت
فَما بَرِحَتْ حَتَّى ظَنَنا جَمَاعَة ... بَأن عليـنا لَعْنَةَ الله حَلَّت
فَقُلنا جَميعًا قد علمنا خَطية ... فَعسى لَنا والحُلْمُ منا أَضلَّت

وقال الوليد بن المغيرة فى بنيانَ الكعبةَ وشأن الحية :

لَقد كَان فى الثُّعْبَان يَا قومُ عبْرة ... ورَأى لِمنَ رَام الأُمُورَ عَلَى ذُعْرِ
غَدَاةَ هوَى النِّسْرُ المحلقُ يرْتَمى ... به غَير حَمْد مِنْكُمُ يَا بَنى فهر
عَلى حِينِ مَا ضَلَّتْ حلوم سِراتِكم ... وَخِفتُم بأَن لا ترفعوا آخر الدهْرِ

* إبطال مبتدعات الحُمس فى الحج :

حدثنا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وأنزل الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ حين أحكم أمره ، وشرع له سنن حجه : ﴿ **ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله** ﴾ (١) . الآية . يعنى قريشًا والناس العرب فى سنة الحج إلى عرفات والوقوف عليها ، والإفاضة منها ، وأنزل الله تعالى فيما كانوا حرموا على الناس من طعامهم ولباسهم عند البيت حين طافوا عراة وحرموا ما جاءوا به من الطعام من الحل : ﴿ **يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين * قل من حرَّم زينة الله** ﴾ (٢) إلى آخر الآية . فوضع الله تعالى أمر الحمس وما كانت قريش ابتدعت من ذلك على الناس فى الإسلام حين بعث الله عز وجل رسوله محمدًا ﷺ .

* الرسول ﷺ يخالف الحُمس قبل الرسالة :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى عبد الله بن بكر عن عثمان ابن أبى سليمان عن نافع بن جُبير بن مُطْعِم عن أبيه جبير بن مطعم أنه قال : لقد رأيت رسول الله ﷺ يقف على بعير له بعرفات من بين قومه حتى يدفع معهم توفيقًا من الله عز وجل له (٣) .

* الكهان يتحدثون عن بعثة الرسول ﷺ :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق ، قال وكانت الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى ، والكهان من العرب قد تحدثوا بأمر رسول الله ﷺ قبل مبعثه لما تقارب من زمانه . أما الأحبار من يهود ، والرهبان من النصارى فيما وجدوا من صفته فى كتبهم وصفة زمانه لما كان فى عهد أنبيائهم إليهم فيه ، وأما الكهان من العرب فتأتيهم به الشياطين من الجن فيما يسترقون من السمع إذ كانت وهى لا تحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم ، وكان الكاهن والكاهنة من العرب لا يقع منهما ذكر بعض أمره لا تلقى العرب فيه بالا حتى بعثه الله عز وجل ، ووقعت تلك الأمور التى كانوا يذكرون ، فعرفوها .

---

(١) سورة البقرة : ١٩٩ . (٢) سورة الأعراف : الآيتان : ٣١ - ٣٢ .

(٣) للعلم جاء هذا الحديث بهذا السند سابقًا فى الفصل السابق وقد وضعت له هذا العنوان أيضًا وقد أثبتناه كما وجدناه .

* **قذف الجن بالشهب دليل مبعثه :**

فلما تقارب أمر رسول الله ﷺ ، وحضر مبعثه حجبت الشياطين عن السمع ، وحيل بينها وبين المقاعد التى كانت تقعد لاستراق السمع فيها فرُموا بالنجوم ، فعرفت الجن أن ذلك لأمر حدث من الله عز وجل فى العباد [١] يقول الله تعالى لنبيه عليه السلام حين بعثه ، وهو يقص عليه خبر الجن إذ حجبوا عن السمع ، فعرفوا ما عرفوا وما أنكروا من ذلك حين رأوا ما رأوا : ﴿ **قل أُوحى إلىّ أنه استمع** ﴾ إلى قوله : ﴿ **أم أراد بهم ربهم رشدًا** ﴾ [٢] .

فلما سمعت الجن القول [٣] عرفت إنما منعت من السمع قبل ذلك له لئلا يشاكل الوحى شيء من خبر السماء ، فيلتبس على أهل الأرض ما جاءهم من الله عز وجل وقطع الشبه [٤] ، فآمنوا وصدقوا : ﴿ **ولوا إلى قومهم منذرين * قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا** ﴾ إلى آخر الآية .

وكان قول الجن : ﴿ **إنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقًا** ﴾ إنه كان رجال من العرب ، من قريش وغيرهم ، إذا سافر الرجل فنزل ببطن واد من الأرض ليبيت به قال إنى أعوذ بعزيز هذا الوادى من الجن الليلة ، من شر ما فيه .

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى بعض أهل العلم أن امرأة من

---

(١) روى فى مأثور الأخبار أن إبليس كان يخترق السماوات قبل عيسى ، فلما بعث عيسى أو وُلد ، حُجب - إبليس اللعين - عن ثلاث سماوات ، فلما ولد محمد ﷺ حُجب عنها كلها ، وقذفت الشياطين بالنجوم ، انظر سيرة ابن هشام تحقيق طه عبد الرءوف سعد ط . مكتبة الكليات الأزهرية .

(٢) سورة الجن : الآيات ١ - ١٠ .

(٣) أى : القرآن ، فهو قول الله تعالى .

(٤) الذى يظهر من كلامه أن القذف بالنجوم وجد بظهور الإسلام ، لكنه قد كان قديمًا ، وذلك موجود فى أشعار القدماء من الجاهليين مثل : أوس بن حجر ، بشر بن أبى خازم ، وقد وصفوا الرمى بالنجوم ، وذكر عبد الرزاق فى تفسيره عن معمر عن ابن شهاب أنه سئل عن هذا الرمى بالنجوم : أكان فى الجاهلية قال نعم : ولكنه إذ جاء الإسلام غلظ وشدد وفى قوله تعالى ﴿ **ملئت حرسًا شديدًا وشهبًا** ﴾ ولم يقل : حُرست دليل على أنه ، قد كان منه شيء ، فلما بعث النبى ﷺ ملئت حرسا شديدًا وشهبا ،لينحسم أمر الشياطين وتخليطهم ، وتكون الآية أبين انظر السيرة النبوية لابن هشام تحقيق طه عبد الرءوف سعد ط. الكليات الأزهرية.

بنى سَهم يقال لها العَيْطَلجة كانت كاهنة فى الجاهلية جاءها صاحبها ليلة من الليالى فانقض تحتها فقال : إذن من أذن يوم عقر ونحر ، فقالت قريش حين بلغها ذلك : ما يريد ؟ ثم جاءها ليلة أخرى ، فانقض تحتها فقال : شعوب ما لشعوب تصرَّع فيه كعب لجنوب ، فلما بلغ ذلك قريشًا قالوا : ماذا يريد ؟ إن هذا لأمر هو كائن ، فانظروا ما هو ، فما عرفوا حتى كانت واقعة بدر وأُحد بالشعب ، فعرفوا أنه كان الذى جاء به إلى صاحبته .

نا أحمد : نا الحسن عن جرير بن عبد الحميد عن منصور عن إبراهيم فى قوله تعالى : ﴿ **وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقًا** ﴾ قال: كانوا إذا نزلوا واديًا قالوا : إنا نعوذ بسيد هذا الوادى من شر ما فيه قال : فيقول الجنيون تتعوذون بنا نحن لا نملك لأنفسنا ضرًا ولا نفعًا ! قال : ﴿ **فزادوهم رهقًا** ﴾ قال : فازدادوا عليهم جرأة .

حدثنا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وكان هذا الحى من الأنصار يتحدثون مما كانوا يسمعون من يهود من ذكر رسول الله ﷺ ، أن أول ذكر وقع بالمدينة ، قبل مبعث رسول الله ﷺ ، أن فاطمة أم النعمان بن عمرو ، أخى بنى النجار - وكانت من بغايا الجاهلية - وكان لها تابع ، فكانت تحدث أنه كان إذا جاءها اقتحم البيت الذى هى فيه ، اقتحاما على من فيه حتى جاءها يومًا ، فوقع على الجدار ولم يصنع كما كان يصنع ، فقالت له : ما لك اليوم ؟ قال : بعث نبى بتحريم الزنا .

* ثقيف أول من فزعت برمى الجن :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى يعقوب بن عقبة بن المغيرة ابن الأخنس عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مَسعود أنه حدثه : أن رجلاً من ثقيف يقال له عمرو بن أمية ، وكان من أدهى العرب ، وكان يضن برأيه على الناس ؛ قال يعقوب : فلما رُمى بالنجوم ، كان أول حى فزع لها من الناس ثقيف فجاءوا إلى عمرو بن أمية فقالوا له : هل علمت بهذا الحدث الذى كان ؟ فقال : وما هو ؟ فقالوا : نجوم السماء يرمى بها ، قال : ويحكم انظروا فإن كانت هى المعالم التى يهتدى بها فى البر والبحر ، وتعرف بها الأنواء من الشتاء والصيف لصلاح

معايش الناس ، فهو والله فناء الدنيا ، وفناء هذا الخلق ، وإن كان غيرها ، فهو لأمر حدث أراد الله عز وجل به هذا الخلق ، فانظروا ما هو (١) ؟ .

* الرسول ﷺ يصحح اعتقادهم فى رجم الجن بالشهب ويوضحه لهم :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى الزهرى عن على بن حسين عن ابن عباس قال : حدثنى رَهْطٌ من الأنصار قالوا : بينا نحن جلوس مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ، إذ رأى كوكبًا ، فقال ما تقولون فى هذا الكوكب الذى رمى به ؟ فقلنا : يولد مولود ، يهلك هالك ، يملك ملك ، فقال رسول الله ﷺ : ليس كذلك ، ولكن الله عز وجل إذا قضى أمرًا فى السماء سبَّح بذلك حملة العرش فيسبح لتسبيحهم من يليهم ممن تحتهم من الملائكة ، فما يزالون كذلك حتى ينتهى التسبيح إلى السماء الدنيا فيقول أهل السماء الدنيا لمن يليهم من الملائكة مم سبحتم ؟ فيقــولون : ما ندرى ، سمعنا من فوقنا من الملائكة سبح فسبحنا الله عز وجل لتسبيحهم ، ولكنا نسل ، فيسألون من فوقهم ، فما يزالون كذلك حتى ينتهى إلى حملة العرش ، فيقولون : قضى الله عز وجل كذا وكذا ، فيخبرون به من يليهم حتى ينتهوا إلى أهل السماء الدنيا فيسترق الجن ما يقولون ، فينزلون به إلى أوليائهم من الإنس فيلقونه على ألسنتهم ، بتوهم منهم فيخبرون الناس ، فيكون بعضه حقًّا ، وبعضه كذبا ، فلم يزل الجن كذلك حتى رموا بهذه الشهب .

نا أحمد : نا يونس عن يونس بن عمرو عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : إن الشياطين كانوا يصعدون إلى السماء ، فيستمعون الكلمة من الوحى ، فيهبطون بها الأرض ، فيزيدون معها تسعًا ، فيجد أهل الأرض تلك الكلمة حقًّا والتسع باطلا ، فلم يزالوا بذلك حتى بعث الله عز وجل محمدًا ﷺ ، فمُنعوا تلك المقاعد ، فذكروا ذلك لإبليس ، فقال : حدث فى الأرض حدث ، فبعثهم ، فوجدوا رسول الله ﷺ يتلو القرآن بين جبلى نخل ، فقالوا : هذا والله الحدث وإنهم ليرمون فإذا توارى النجم عنكم فقد أدركه لا يخطىء أبدًا ، ولكنه لا يقتله ، يحرق وجهه وجنبه ويده .

(١) وقد فعل ما فعلت ثقيف بنو لِهْب عند فزعهم للرمى بالنجوم ، فاجتمعوا إلى كاهن لهم يقال له : خطر ، فبين لهم الخبر ، وَما حدث من أمر النبوة .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وقد كانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد ، وكان ابن عمها ، وكان نصرانيا قد تبع الكتب وعلم من علم الناس ما ذكر لها غلامها مَيْسَرة من قول الراهب ، وما كان يرى منه ، إذ كان الملكان يظلانه ، فقال ورقة : لئن كان هذا حقًّا يا خديجة ، إن محمدًا لنبى هذه الأمة ، قد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبى يُنتظر ، هذا زمانه - أو كما قال .

فجعل ورقة يستبطىء الأمر ويقول : حتى متى ، فكان فيما يذكرون يقول أشعارًا يستبطىء فيها خبر خديجة ، ويتريث ما ذكرت له ، فقال ورقة بن نوفل :

أَتبْكِر أَمْ أَنتَ العشـــــيَّة رَائِحُ ... وَفِى الصَّدْرِ من إِضْمارك الحزن قَادِحُ
لِفُرْقَة قـــــــوم لا أُحبُّ فِرَاقهم ... كَأَنك عَنْهم بَعْدَ يَومـــــــينَ نَازِحُ
وَأخبار صِدْق خُبِّرت عن مُحمد ... يُخْبِرها عـــــــنه إذا غَابَ نَاصِحُ
فَتَاكِ الذى وَجهت يا خَير حُرَّة ... بِغُورى والنجـــــدين حَيث الصَّحَاصِحُ
إلى سوق بُصرى فى الركاب التى غَدَتْ ... وَهُن من الأَحمال قُعْص دَوالِحُ
فَخبَّرنا عن كـــــــل خَبر بِعلْمه ... وللحَقِّ أَبـــــوابٌ لَهنَّ مَفَاتِحُ
بَأَنَّ ابن عَبْدَ اللهِ أَحْمَد مُرْسَلٌ ... إلى كل مــــــن ضُمَّت عليه الأَباطِحُ
وَظَنِّى به أَنْ سَوف يُبعثُ صَادِقًا ... كَما أُرســــل العَبْدان هُودٌ وصَالِحُ
وَموسى وإبراهيم حتــــــى يرى له ... بهاءٌ ومَنشـــــــور من الذكر وَاضِحُ
وَمتبعه حيا لُؤى جَمــــــاعة ... شَبابهم والأشيـــــبون الجحَاجِحُ
فَإن أبق حتى يدرك النــــاس دهره ... فإنى به مستــــبشر الود فارِحُ
وإلاَّ فإنى يا خَديجة فَاعلــــمى ... عن أرضك فى الأرض العريضة سَائِحُ

حدثنا أحمد : نا يونس عن محمد بن إسحاق قال : وكانت قريش حين رفعوا بنيان الكعبة وسقوفها يترافدون على كسوتها كل عام ، تعظيمًا لحقها ، وكانوا يطوفون بها ، ويستغفرون الله عندها ، ويذكرونه مع تعظيم الأوثان والشرك فى ذبائحهم ودينهم كله ، وقد كان نفر من قريش : زَيد بن عَمرو بن نُفيل ، وورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، وعثمان بن الحارث بن أسد بن عبد العزى وعبد الله بن جحش ابن رئاب ، وكانت أمه أُميمة بنت عبد المطلب بن هاشم حَليف بنى أمية ، حضروا قريشًا عند وثن لهم كانوا يذبحون عنده لعيد من أعيادهم ، فلما اجتمعوا خلا بعض أولئك النفر إلى بعض ، وقالوا :

تصادقوا وليكتُم بعضكم على بعض ، فقال قائلهم : تعلمون والله ما قومكم على شيء لقد أخطأوا دين إبراهيم عليه السلام وخالفوه ، ما وثن يُعبد لا يضر ولا ينفع ، فابتغوا لأنفسكم ، فخرجوا يطلبون ويسيرون فى الأرض يلتمسون أهل الكتاب من اليهود والنصارى والملل كلها ، والحنيفية دين إبراهيم عليه السلام .

*** ورقة بن نوفل يتنصر :**

فأما ورقة بن نوفل فتنصر ، فاستحكم فى النصرانية ، واتبع الكتب من أهلها ، حتى علم علمًا كثيرًا من أهل الكتاب .

*** زيد بن عمرو بن نفيل يدين بالحنيفية :**

فلم يكن فيهم أعدل أمرًا ، ولا أعدل شأنا من زيد بن عمرو بن نُفيل ، اعتزل الأوثان وفارق الأديان من اليهود والنصارى والملل كلها إلاَّ دين إبراهيم يوحد الله عز وجل ويخلع من دونه ، ولا يأكل ذبائح قومه ، بادأهم بالفراق لما هم فيه .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبى بكر قالت : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نُفَيل مسندًا ظهره إلى الكعبة يقول : يا معشر قريش والذى نفس زيد بيده ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيرى ، ثم يقول : اللهم لو أنى أعلم أحب الوجوه إليك عبدتك به ، ولكنى لا أعلمه ثم يسجد على راحته .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى بعض آل زيد بن عمرو بن نُفيل أن زيد كان إذا دخل الكعبة قال : لبيك حقًّا حقًّا تعبدًا ورقًّا ، عذت بما عاذ به إبراهيم ، وهو قائم ، إذ قال : أنفى لك عان راغم مهما تجشمنى فإنى جاشم ، البر أبغى لا الخال - يقول : لا الفخر - ليس مهجر كمن قال .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى هشام بن عروة قال : روانى عروة بن الزبير أن زيد بن عمرو بن نفيل قال :

أَربًا وَاحِــدًا أَم أَلْف رَب   أَدينُ إذا تَقَسَّمَــتِ الأُمُورُ
عَزَلْتُ اللاَّتَ والعُزَّى جَميعًــا   كَذلك يَفْعَل الجَلد الصَّبُورُ
فَلا عُزَّى أَدينُ ولاَ ابنتيــها   ولا صَنَمَىْ بَنِى عَمــرو أُديرُ

وَلا غُنْمـــًا أدينُ وكان ربًّا … لنا فى الـــدهر إذ حُلْمى يَسيرُ
عَجِبتُ وفـــى الليالى مُعْجبات … وَفى الأيــــام يَعْرِفها البَصِيرُ
بأن اللهَ قـــد أفنى رِجَالاً … كَثيرًا كان شَأنهـــم الفُجورُ
وَأبقَى آخَرين ببـــرٍّ قومٍ … فيربك منهم الطفـــل الصَّغيرُ
وبينا المرءُ يَعثر ثابَ يـــومًا … كَما يَتَروح الغُصْـــنُ النَّضيرُ

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وقال زيد بن عمرو بن نُفَيل أيضًا :

أَسْلَمتُ وَجهِى لِمن أَسْلَمتْ … لَه الأرضُ تَحمل صَخْراً ثقالا
وَأَسْلَمتُ وَجهِى لِمن أَسْلَمتْ … لَه المُزْنُ تَحمل عَذْبًا زُلاَلاَ
إذا هِىَ سِيقَتْ إلى بَلْدَة … أَطاعَتْ فَصَبَّتْ عَليها سِجَالاَ
وَأَسْلَمتُ وَجهِى لِمن أَسْلَمتْ … لَهُ الريحُ تُصرف حَالا فحَالا

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وكان الخطاب بن نُفَيل قد آذى زيد ابن عمرو بن نُفَيل حتى خرج عنه إلى أعلى مكة ، فنزل حراء ، مقابل مكة ووكل به الخطاب شبابًا من شـــباب قريش وسفهاء من سفهائهم ، فقال : لا تتركوه يدخل مكة ، فكان لا يدخلها إلا سرًّا منهم ، فإذا علموا بذلك آذنوا به الخطاب ، فأخرجوه وآذوه كراهية أن يفسد عليهم دينهم ، وأن يتابعه أحد منهم على فراقهم ، وكان الخطاب عم زيد ، وأخاه لأمه ، وكان عـــمرو بن نُفَيل قد خلف على أم الخطاب بعده ، فولدت له زيد بن عمرو ، وكان الخطاب عمه وأخوه لأمه مع سنه ، فكان يعاتبه على فراق دين قومه حتى آذاه ، فقال زيد بن عمرو وهو يعظم حرمته على من استحل من قومه ما استحل :

اللَّهُمَّ إنى مُحرم لاَ أُحله … وَإن بَيْتى أَوْسَطُ المحلَّه
عِندَ الصفا ليس بِذى مَظَلة

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : فحدثت أن رسول الله ﷺ قال وهو يحدث عن زيد بن عمـــرو بن نفيل : إن كان لأول من عاب على الأوثان ونهى عنها وقد أقبلت من الطائف ومعى زيد بن حارثة حتى مررت بزيد بن عمرو وهو بأعلى مكة وكانت قريش قد شهرته بفراق دينها حتى خرج من بين أظهرهم ، وكان بأعلى مكة ، فجلست إليه ومعى سفرة لى فيها لحم يحملها زيد بن حارثة من ذبائحنا على

أصنامنا ، فقربتها له ، وأنا غلام شاب ، فقلت : كل من هذا الطعام أى عم ، قال: فلعلها أى ابن أخى من ذبائحكم هذه التى تذبحـــون لأوثانكم ؟ فقلت : نعم ، فقال : أما إنك يا ابن أخي لو سألت بنات عبد المطلب أخبرتك أنى لا آكل هذه الذبائح ، فلا حاجة لى بها ، ثم عاب على الأوثان ومن يعبدها ويذبح لها ، وقال : إنما هى باطل لا تضر ولا تنفع [(١)] أو كما قال .

قال : قال رسول الله ﷺ : فما تمســـست بوثن منها بعد ذلك على معرفة بها ، ولا ذبحت لها حتى أكرمنى الله عز وجل برسالته ﷺ .

نا أحمد : نا يونس عن المسعودى عن نُفيل بن هشام عن أبيه قال : مر زيد بن نُفيل على رسول الله ﷺ وعلى زيد بن حَارثة ، فدعواه إلى سفرة لهما ، فقال زيد : يا ابن أخى إنى لا آكل ما ذُبح على النصب ، قال : فما رئى رسول الله ﷺ بعد ذلك اليوم يأكل شيئًا ذبح على النصب .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وقد كان زيد أجمع على الخروج من مكة يضرب فى الأرض ، يطلب الحنيفية دين إبراهيم ، فكانت امرأته صفية ابنة الحضرمى كلما أبصرته قد نهض إلى الخروج وأراده ، آذنت به الخطاب بن نفيل ، فخرج زيد إلى الشام يلتمس ويطلب فى أهل الكتاب الأول دين إبراهيم ، ويسأل عنه ، فلم يزل فى ذلك حتى أتى الموصل ، أو الجزيرة كلها ، ثم أقبل حتى أتى الشام ، فجال فيها حتى أتى راهبًا ببيعته من أرض البلقاء كان ينتهى إليه علم النصرانية ، فيما يزعمون ، فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم ، فقال الراهب : إنك لتسأل عن دين ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ، لقد درس علمه ، وذهب من يعرفه ، ولكنه قد أظلك خروج نبى يبعث بأرضك التى خرجت منها بدين إبراهيم ، الحنيفية ،فعليك ببلادك فإنه مبعوث الآن ، هذا زمانه ، وقد كان شام اليهودية والنصرانية ، فلم يرض شيئًا منهما فخرج سريعًا - حين قال له الراهب ما قال - يريد مكة ، حتى إذا كان بأرض لخم ، عدوا عليه فقتلوه فـقال ورقة بن نوفل ، وكان قد اتبع مثل أثر زَيد ، ولم يفعل فى ذلك ما فعل ، فبكاه ورقة فقال :

رَشِدتَ وَأَنْعَمتَ ابن عمرو وإنما ... تَجنَّبْتَ تَنــورًا مــن النار حَامِيَا
بِدينك رَبًّا لَيس رَبٌّ كَمثـــــله ... وَتَركُكَ أوثان الطَوَاغِي كَمــا هِيَا

---

(١)لم يفعل ذلك قبلها ولا بعدها فهو فى حفظ الله وكلاءته من يوم ولد بل وقبل أن يولد .

وَقَد تُدرِكُ الإنسانَ رَحمَــةُ ربِّه ... وَلو كان تحت الأَرض سِتين وَادِيًا

* ثناء الرسول ﷺ على زيد بن نفيل

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، أو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمى أن عمر بن الخطاب ، وسعيد بن زيد قالا : يا رسول الله نستغفر لزيد ؟ فقال : نعم ، فاستغفروا له ، فإنه يبعث أمة وحده ·

نا أحمد : نا يونس عن المسعودى عن نُفيل بن هشام عن أبيه أن جده سعيد بن زيد سأل رسول الله ﷺ عن أبيه زيد بن عمرو فقال : يا رسول الله إن أبى زيد بن عمرو كان كما رأيت ، وكمـا بلغك ، فلو أدركك آمن بك ، فأستغفر له ؟ قال : نعم ، فاستغفر له فإنه يجىء يوم القيامة أمة وحده ، وكان فيما ذكروا يطلب الدين ، فمات وهو فى طلبه ·

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : وكان حين أراد الله عز وجل كرامة نبيه ﷺ ورحمة العباد به واتخـاذ الحجة عليهم ، والعرب على أديان مختلفة متفرقة ، مع ما يجمعهم من تعظيم الحرمة ، وحج البيت ، والتمسك بما كان بين أظهرهم من آثار إبراهيم ﷺ ، وهم يزعمون أنهم على ملته ، وكانوا يحجون البيت على اختلاف من أمرهم فيه ·

* من حديث الحُمس :

فكانت الحُمس : قريش وكنانة ، وخزاعة ، ومن ولدت قريش من سائر العرب يُهلون بحجهم ، فمن اختلافهم أن يقـولوا : لبيك ، لا شريك لك إلا شريك هو لك ، تملكه وما ملك · فيوحدونه بالتلبية ، ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده - يقول الله عز وجل لمحمـد ﷺ : ﴿ **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون** ﴾ (١) ولا يخرجون من الحرم ولا يدفعون من المزدلفة ، يقولون : نحن أهل الحرم ، فلا نخرج منه ، وكانوا يسكنون البيوت إذا كانوا حُرمًا ، وكان أهل نجد من مضر يهلون إلى البيت ويقفون على عرفة (٢) ·

---

(١) سورة يوسف : الآية ١٠٦ ·

(٢) كان حق هذا الموضوع أن يأتى فى الفصل السابق أثناء الحديث عن الحُمس ، ولكن تركناه هنا كما فى الأصول التى بين أيدينا ·

* الرسول ﷺ والخلوة :

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى محمد بن شهاب الزهرى عن عروة عن عائشة أنها قالت : أول ما ابتدئ به رسول الله ﷺ من النبوة حين أراد الله عز وجل كرامته ورحمة العباد به ألا يرى شيئًا إلا جاءت كفلق الصبح · فمكث على ذلك ما شاء الله عز وجل أن يمكث ، وحبب الله عز وجل إليه الخلوة ، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده ·

* غار حراء ونزول الوحى :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى عبد الملك بن عبد الله ابن أبى سفيان بن العلاء بن جارية الثقفى ، وكان واعية ، عن بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ حين أراد الله عز وجل كرامته ، وابتدأه بالنبوة ، كان لا يمر بحجر ولا شجر إلا سلم عليه وسمع منه ، فيلتفت رسول الله ﷺ خلفه وعن يمينه وعن شماله فلا يرى إلا الشجر وما حوله من الحجارة وهى تحييه بتحية النبوة : السلام عليك ، رسول الله ، فكان رسول الله ﷺ يخرج إلى حراء فى كل عام شهرا من السنة ينسك فيه ، وكان من نسك فى الجاهلية من قريش يطعم من جاءه من المساكين ، حتى إذا انصرف من مجاورته وقضاه لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة حتى إذا كان الشهر الآخر الذى أراد الله عز وجل ما أراد من كرامته من السنة التى بعثه فيها ، وذلك شهر رمضان ، فخرج رسول الله ﷺ كما كان يخرج لجواره ، وخرج معه بأهله ، حتى إذا كانت الليلة التى أكرمه الله عز وجل فيها برسالته ، ورحم العباد به جاءه جبريل بأمر الله تعالى ، فقال رسول الله ﷺ : جاءنى وأنا نائم فقال : اقرأ ، فقلت : وما أقرأ ؟ حتى ظننت أنه الموت ، ثم كشطه عنى فقال : اقرأ ، فقلت وما أقرأ ؟ فعاد لى بمثل ذلك ثم قال : اقرأ فقلت : وما أقرأ ؟ وما أقولها إلا تنجيا أن يعود لى بمثل الذى صنع بى فقال :

﴿ اقرأ بسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ ثم انتهى فانصرف عنى ، وهببت من نومى (١) وكأنما صوِّر فى قلبى كتاب ، ولم يكن فى خلق الله عز وجل أحد أبغض إلى من شاعر أو مجنون ، كنت لا أطيق أنظر إليهما ، فقلت : إن الأبعد - يعنى نفسه ، ﷺ لشاعر أو مجنون ، ثم قلت : لا تحدث قريش عنى بهذا أبدًا ، لأعمدن إلى حالق من الجبل ، فلأطرحن نفسى منه ، فلأقتلنها ، فلأستريحن ، فخرجت ما أريد غير ذلك ، فبينا أنا عامد لذلك سمعت مناديًا ينادى

(١) لم يكن نائما على أصح الأقوال بل كان فى كامل وعيه ·

من السماء يقول: يا محمد ! أنت رسول الله ، وأنا جبريل ، فرفعت رأسى إلى السماء أنظر ، فإذا جبريل فى صورة رجل صاف قدميه فى أفق السماء يقول : يا محمد ! أنت رسول الله ، وأنا جبريل ، فوقفت أنظر إليه ، وشغلنى عن ذلك وعما أريد ، فوقفت ما أقدر على أن أتقدم ولا أتأخر ولا أصرف وجهى فى ناحية من السماء إلا رأيته فيها ، فما زلت واقفًا ما أتقدم ولا أتأخر حتى بعثت خديجة رسلها فى طلبى حتى بلغوا مكة ورجعوا، فلم أزل كذلك حتى كاد النهار يتحول ، ثم انصرف عنى ، وانصرفت راجعًا إلى أهلى حتى أتيت خديجة فجلست إلى فخذها مضيفًا إليها ، فقالت : يا أبا القاسم أين كنت فوالله لقد بعثت رسلى فى طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا، فقلت لها: إن الأبعد لشاعر أو مجنون ، فقالت : أُعيذك بالله يا أبا القاسم من ذلك ، ما كان الله عز وجل ليفعل بك ذلك مع ما علم من صدق حديثك ، وعظم أمانتك ، وحسن خُلقك ، وصلة رحمك ، وما ذاك يا ابن عم ، لعلك رأيت شيئًا أو سمعته ؟ فأخبرتها الخبر ، فقالت : أبشر يا بن عم ، واثبت له ، فو الذى تحلف به إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة ، ثم قامت فجمعت ثيابها عليها .

*** ورقة بن نوفل يخبر خديجة بأن محمداً خاتم الأنبياء :**

ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل ، وهو ابن عمها ، وكان قد قرأ الكتب ، وكان قد تنصر ، وسمع التوراة والإنجيل ، فأخبرته الخبر ، وقصت عليه ما قص عليها رسول الله ﷺ أنه رأى وسمع ، فقال ورقة : قدوسٌ قدوسٌ ، والذى نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتنى يا خديجة ، إنه لنبى هذه الأُمة ، وإنه ليأتيه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى عليه السلام ، فقولى له فليثبت ، ورجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته ما قال لها ورقة ، فسهل ذلك عليه بعض ما هو فيه من الهم بما جاءه فلما قضى رسول الله ﷺ جواره صنع كما كان يصنع ، بدأ بالكعبة فطاف بها ، فلقيه ورقة وهو يطوف بالكعبة ، فقال : يا ابن أخ أخبرنى بالذى رأيت وسمعت ، فقص عليه رسول الله ﷺ خبره ، فقال ورقة : والذى نفس ورقة بيده إنه ليأتيك الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى عليه السلام ، وإنك لنبى هذه الأمة ، ولتؤذَينَّ ، ولتُكذبن ، ولتُقاتلن ، ولتُنصرن ولئن أنا أدركت ذلك لأنصرنك نصرًا يعلمه الله ، ثم أدنى إليه رأسه فقبَّل يافوخه ، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله وقد زاده الله عز وجل من قول ورقة ثباتًا ، وخفف عنه بعض ما كان فيه من الهَم .

نا أحمد : نا يونس عن قُرَّة بن خالد قال : حدثنى أبو رجاء العُطاردى قال : أول سورة نزلت على محمد ﷺ : ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق ﴾ .

* ورقة ينشد شعرًا مدحًا فى الرسول ﷺ :

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: وقد قال ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قُصى فيما كانت ذكرت له خَديجة من أمر رسول الله ﷺ، فيما يزعمون :

إنْ يَكُ حَقًّا يَا خَديجةُ فَاعْلَمى ... حَديثُك إيانا فَأحمدُ مُرْسَلُ
وجبريلُ يَأتيه وميْكَالُ مَعهُما ... منَ الله وَحْىٌ يَشرحُ الصدْرَ مُنزلُ
يَفُوزُ به مَن فَاز فيها بتوبَةٍ ... وَيشقى به العَاتى الغَوىُّ المضلل
فَريقَان منهُم فِرقَةٌ فى جنَانه ... وَأُخرى بِأَحْواز الجَحيم تُغلل
إذا مَا دعوا بالويلِ فيها تتَابعت ... مَقامِع فى هاماتهم ثم من غل
فَسبحان من تَهْوى الرياحُ بأمرِه ... وَمنْ هُو فى الأيام مَا شاءَ يفعل
وَمنْ عرشُهُ فَوق السَموات كُلها ... وأَقضاؤهُ فى خَلقه لا تُبدَّلُ

وقال ورقة فى ذلك أيضًا :

يَا لَلرجال لِصرَف الدهْرِ والقدَر ... وَمَا لشىء قَضاهُ اللهُ من غير
حَتى خَديجَة تَدعونى لأُخْبرهَا ... ومَا لهَا بخفى الغَيب مِن خَبَرَ
جَاءت لتَسألَنى عَنه لأُخبرها ... أمرًا أَراهُ سَيأتى الناس مِن أَخر
فَخبرتنى بأمر قَد سَمعت به ... فيمَا مَضى من قَديم الدَهر والعُصَرِ
بأن أَحْمَد يَأتيه فَيُخْبرهُ ... جبريلُ أَنَّكَ مبعوثٌ إلى البَشرِ
فَقُلتُ عَلَّ الذى ترجين ينجزهُ ... لَكَ الإله فَرُجِّى الخيرَ وانتظرى
وأرسليه إلينا كَى نُسائلُهُ ... عَنَ أمرِ مَا يرى فى النوم والسَّهرِ
فَقال حين أَتانا مَنطقًا عَجبًا ... يقَف منه أَعالى الجلد والشعرِ
إنى رأيتُ أمين الله وَاجهنى ... فى صورة أكملت فى أهيب الصورِ
ثُمَّ استمر فكاد الخوفُ يَذْعُرنى ... مما يسلم ما حَولى من الشَّجرِ
فَقلتُ ظَنِّى وَما أدرى أيصدقنى ... أَن سوف يُبعْث يَتلو مُنْزلَ السور
وَسوف أُبليكَ إن أعلنتَ دَعوتهمْ ... منَ الجِهاد بَلا منٍّ وَلا كَدَرِ

حدثنا أحمد : نا يونس بن بُكَير عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى عبد الله ابن أبى بكر عن جعفر قال كان رسول الله ﷺ تصيبه العين بمكة ، فتسرع إليه قبل أن ينزل عليه الوحى فكانت خديجة ابنة خويلد تبعث إلى عجوز بمكة ترقيه ، فلما نزل عليه القرآن فأصابه من العين نحو مما كان يصيبه فقالت له خديجة : يا رسول الله ألا أبعث إلى تلك العجوز فترقيك ؟ فقال : أما الآن فلا ·

* الرسول يُحدِّث عن نفسه :

نا أحمد : نا يونس عن هشام بن عروة أن رسول الله ﷺ قال : ما من نبى إلا وقد رعى الغنم ، فقيل : وأنت يا رسول الله؟ ؟ قال : وأنا ·

نا أحمد : نا يونس عن يونس بن عمرو عن أبيه عن عبيدة النَّصرى قال: تفاخر رعاء الإبل ورعاء الغنم عند رسول الله ﷺ فأوطأهم رعاء الإبل غلبة ، فقال: ما أنتم يا رعاء النقد ، هل تحمون أو تصيدون ، ورسول الله ﷺ جالس ، فتكلم فقال : بعث موسى عليه السلام وهو راعى غنم ، وبعث داود وهو راعى غنم ، وبعثت أنا ، وأنا راعى غنم أهلى بأجياد ، فغلبهم رسول الله ﷺ ·

نا أحمد : نا يونس عن عبيد بن عُتيبة العَيْذى عن وهب بن كعب بن عبد الله ابن سُور الأزدى عن سَلمان الفارسى أنه سأل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إنه ليس من نبى إلاَّ وله وصىٌّ وسبطان فمن وصيُّك وسبطاك ؟ فسكنت رسول الله ﷺ لم يرجع شيئًا ، فانصرف سلمان يقول : يا ويله يا ويله كلما لقيه ناس من المسلمين قالوا : مالك سلمان الخير ؟ فيقول سألت رسول الله ﷺ عن شىء ، فلم يرد علىَّ ، فخفت أن يكون من غضب ، فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر قال : ادن يا سلمان ، فجعل يدنو ويقول : أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله ، فقال : سألتنى عن شىء لم يأتنى فيه أمر ، وقد أتانى أن الله عز وجل قد بعث أربعة آلاف نبى ، وكان أربعة آلاف وصى وثمانية آلاف سبط ، فوالذى نفسى بيده لأنا خير النبيين ، وإن وصيى لخير الوصيين ، وسبطاى [1] خير الأسباط ·

---

(١) ومن المعروف أن سبطا رسول الله ﷺ - هما سيدا شباب أهل الجنة الإمامان الحسن والحسين ابنا الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه والسيدة فاطمة الزهراء من خير نساء العالمين رضى الله عنها · انظر مناقبهم جميعاً فى فتح البارى كتاب مناقب الصحابة وكتاب « ريحانة الرسول الإمام الحسين » تأليف المحققين ط · العلم والإيمان بالحسين ·

آخر الجزء - يتلوه فى الثالث إن شاء الله : نا أحمد نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : ثم بعث الله عز وجل محمداً رحمة للعالمين وكافة للناس ·

والحمد لله حق حمده وصلواته على محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم تسليمًا كثيرًا ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ·

* * *

القسم الثالث

رف
يو
عليهِ
قبل
يؤ
فيه
كت
وأ
وال
الك
أرب

فى

أربعي
وعط

يعتك
فإذا
فيطو

بسم الله الرحمن الرحيم
توكلت على الله

*** أخذ الله الميثاق على الرسل بالإيمان بمحمد ﷺ :**

أخبرنا الشيخ أبو الحسين أحمد بن محمد النَّقور البزاز - قراءة عليه وأنا أسمع - قال : أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص قال : قرئ على أبى الحسين رضوان بن أحمد وأنا أسمع قال : نا أبو عمر أحمد بن عبد الجبَّار العُطَاردى قال : نا يونس بن بُكَير عن محمد بن إسحاق قال : ثم بعث (١) ، الله عز وجل محمدًا ﷺ رحمة للعالمين ، وكافة للناس ، وكان الله قد أخذ له ميثاقًا على كل نبى بعثه قبله ، بالإيمان به ، والتصديق له ، والنصر له على من خالفه ، وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى من آمن بهم وصدقهم ، فأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه ، يقول الله تبارك وتعالى لمحمد ﷺ : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم** ﴾ (٢) إلى آخر الآية . فأخذ الله ميثاق النبيين جميعًا بالتصديق له والنصر له على من خالفه ، فأدوا ذلك إلى من آمن بهم وصدقهم من أهل هذين الكتابين ، فبعثه الله بعد بنيان الكعبة بخمس سنين ، ورسول الله ﷺ يومئذ ابن أربعين سنة .

*** ابتداء نزول الوحى :**

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فابتُدئ رسول الله ﷺ بالتنزيل فى شهر رمضان (٣) . بقول الله تبارك وتعالى : ﴿ **شهر رمضان الذى أُنزل فيه**

(١) ورد فى سيرة ابن هشام أن ابن إسحاق قال : إن رسول الله ﷺ بُعث على رأس أربعين من مولده عليه السلام ، وهذا مروي عن ابن عباس وجبير بن مطعم وقباث بن أشيم ، وعطاء وسعيد بن المسيب ، وأنس بن مالك وهو صحيح عند أهل السير والعلم بالأثر .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٨١ .

(٣) ذكر ابن هشام فى سيرته أن ابن إسحاق ذكر أن رسول الله ﷺ كان يجاور - أى يعتكف أو يخلو بنفسه - فى هذا الشهر فى غار حراء من كل سنة يُطعم من جاءه من المساكين فإذا انتهى الشهر ، فأول ما يبدأ به إذا انصرف من جواره يدخل الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعًا أو ما شاء الله ثم يرجع إلى بيته .

القرآن ﴾ (١) إلى آخر الآية ، وقال الله تعالى : **﴿ إنا أنزلناه فى ليلة القدر ﴾** (٢) إلى آخر السورة ، وقال : **﴿ حم * والكتاب المبين * إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين ﴾** (٣) ، وقال : **﴿ إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ﴾** (٤) ، وذلك « التقى » رسول الله ﷺ والمشركين ببدر .

* تاريخ غزوة بدر الكبرى :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى أبو جَعفر محمد بن على بن الحسين أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون يوم بدر صبيحة الجمعة لسبع عشرة من شهر رمضان (٥) .

نا أحمد : نا يونس عن أسباط بن إسماعيل بن عبد الرحمن قال : كان يوم بدر يوم الجمعة لسبع عشرة من شهر رمضان (٦) .

نا أحمد : نا يونس عن قرة بن خالد قال : سألت عبد الرحمن بن قاسم عن ليلة القدر ، فقال : كان زيد بن ثابت يعظم سابعة عشر ويقول : هي وقعة بدر .

نا أحمد : نا يونس عن بسر بن أبى حفص الكندى الدمشقى قال : نا مكحول أن رسول الله ﷺ قال لبلال : ألا لا يغادرك صيام الإثنين ، وأوحى إلىَّ يوم الإثنين ، وهاجرت يوم الإثنين ، وأموت يوم الإثنين .

* تحديد ليلة القدر :

نا أحمد بن عبد الجبار قال : نا محمد بن فضيل عن عاصم بن كليب عن أبيه عن عبد الله بن عباس قال : كنت عند عمر بن الخطاب رحمه الله وعنده أصحابه ، فسألهم فقال : أرأيتم قول رسول الله ﷺ فى ليلة القدر « التمسوها فى العشر الأواخر وترًا » أى ليلة ترونها ؟ فقال بعضهم : ليلة إحدى ، وقال بعضهم : ليلة ثلاث ، وقال بعضهم : ليلة خمس، وقال بعضهم: ليلة سبع ، وأنا ساكت ، فقال :

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٨٥ . (٢) سورة القدر : الآية الأولى .
(٣) سورة الدخان : الآيات ١ - ٣ . (٤) سورة الأنفال : الآية ٤١ .

(٥) وكانت فى السنة الثانية من الهجرة المباركة ، ونصر الله رسوله وجنده ، وكان عددهم قليلا لا يجاوز الثلاثمائة ، وعدد المشركين أضعافهم ، وأنزل فيهم قوله : **﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ﴾** .

(٦) كان حق الحديث عن غزوة بدر الا يأتى هنا نظرًا للترتيب الزمنى للأحداث لأنها وقعت بعد الهجرة للمدينة المنورة فى السنة الثانية من الهجرة ولكنه بمناسبة ذكره لنزول القرآن وغزوة بدر فى شهر رمضان.

مالك لا تتكلم ؟ فقلت : إنك أمرتنى ألا أتكلم حتى يتكلموا ، فقال : ما أرسلت إليك إلا لتتكلم ، فقال : إنى سمعت الله يذكر السبع فذكر : ﴿ **سبع سموات ومن الأرض مثلهن** ﴾ [(١)] ، وخلق الإنسان من سبع ، ونبات الأرض من سبع ، فقال عمر : هذا أخبرنى ما أعلم ، أرأيت ما لا أعلم قولك نبات الأرض من سبع ؟ قال : قلت : قال الله : ﴿ **شققنا الأرض شقًّا * فأنبتنا فيها حبًّا * وعنبًا وقضبًا * وزيتونًا ونخلاً * وحدائق غلبًا** ﴾ « فالحدائق غلبًا » الحيطان من النخل والشجر ، ﴿ **وفاكهة وأبًّا** ﴾ [(٢)] ، قال: الأبُّ ما أنبتت الأرض مما تأكل الدواب والأنعام ولا يأكل الناس ، فقال عمر لأصحابه : أعجزتم أن تقولوا كما قال هذا الغلام الذى لم تجتمع له شؤون رأسه ، والله إنى لأرى القول كما قال .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : تتام الوحى إلى رسول الله ﷺ وهو مؤمن بالله ومصدق لما جاءه ، قد تقبله بقول ، وتحمَّل منه ما حمله الله على رضا العباد وسخطهم ، وللنبوة أثقال ومؤونة [(٣)] لا يحملها ولا يستطيعها إلا أهل القوة والعزم من الرسل بعون الله وتوفيقه لما يلقون من الناس ، وما يرد عليهم مما جاء به من عند الله تعالى .

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى ربيعة بن أبى عبد الرحمن قال: سمعت ابن منبه وهو فى مسجد منى، وذكر له يُونُس النبى عليه السلام فقال : كان عبدًا صالحًا وكان فى خلقه ضيق ، فلما حملت عليه أثقال النبوة - ولها أثقال ، فلما حملت عليه تفسخ تحتها تفسخ الرُّبع [(٤)] تحت الحمل الثقيل، فألقاها عنه وخرج هاربًا .

نا أحمد : نا يونُس عن ابن إسحاق قال : كانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدق ما جاء به ، فخفف الله بذلك عن رسول الله ﷺ ، لا يسمع شيئًا يكرهه من ردٍّ عليه ، وتكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرَّج الله عنه بها ، إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه ، وتصدقه وتهون عليه أمر الناس ، رحمها الله رضى عنها .

* الرؤيا الصادقة أول ما بدئ به رسول الله ﷺ :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : أول ما ابتدئ به رسول الله ﷺ من النبوة حين أراد الله كرامته ورحمة

---

(١) سورة الطلاق : الآية ١٢ . (٢) سورة عبس : الآيات ٢٦ - ٣١ .

(٣) أى مؤنة ، وهى التعب والشدة . (٤) أى الجمل الصغير .

العباد به لا يرى شيئًا إلا جاءت كفلق الصبح [١] ، يمكث على ذلك ما شاء الله أن يمكث ، وحبب إليه الخلوة ، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده [٢] .

* الرسول ﷺ يخبر خديجة بنزول جبريل عليه :

نا أحمد : نا يُونُس عن يُونُس بن عمرو عن أبى مَيْسرة عمر بن شُرَحْبيل أن رسول الله ﷺ قال لخديجة : إنى إذا خلوت وحدى أسمع نداء وقد والله خشيت أن يكون هذا الأمر ، فقالت : معاذ الله ما كان الله ليفعل بك ذلك فوالله إنك لتؤدى الأمانة ، وتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، فلما دخل أبو بكر رحمه الله · وليس رسول الله ﷺ ، ثم ذكرت خديجة حديثه له ، فقالت : يا عتيق [٣] اذهب مع محمد إلى ورقة ، فلما دخل رسول الله ﷺ أخذ أبو بكر بيده : فقال : انطلق بنا إلى ورقة ، فقال : ومن أخبرك ؟ قال : خديجة ·

* بين الرسول وورقة بن نوفل :

فانطلقا إليه فقصا عليه ، فقال : إذا خلوت وحدى سمعت نداء خلفى : يا محمد ، يا محمد ، فأنطلق هاربًا فى الأرض ، فقال له : لا تفعل إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ، ثم ائتنى فأخبرنى فلما خلا ناداه يا محمد قل : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين** ﴾ حتى بلغ ﴿ **ولا الضالين** ﴾ [٤] قل : لا إله إلا الله ، فأتى ورقة فذكر ذلك له ، فقال له ورقة : أبشر ثم أبشر ، فأنا أشهد

---

(١) أى تحققت كوضوح النهار ، والرؤيا الصادقة جزء من أربعين جزءًا من النبوة قالت عائشة رضي الله عنها ، أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة ؛ فجاءه الملك فقال : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق** ﴾ أخرجه البخارى ، وعلى هذا فكما قال معظم المفسرين إن أول ما نزل من القرآن : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق** ﴾ ولمزيد من المعرفة انظر تفسير القرطبى ١٠ / ٧٤٥٧ ط · دار الغد العربى ·

(٢) ورد أيضًا دليلا على نبوته ﷺ غير الرؤيا الصادقة ، تسليم الحجارة والشجر عليه ، فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله ، وكان ذلك قبل بعثه ، وقال ﷺ : « إنى لأعرف بمكة حجرًا كان يسلم علىَّ قبل أن يَنزل علىَّ » ذكر بعض الرواه أنه الحجر الأسود ·

(٣) عتيق : اسم سيدنا أبى بكر الصديق رضي الله عنه ، وورد فى سيرة ابن هشام أن خديجة هى التى ذهبت لابن عمها ورقة بن نوفل وقصت عليه القصة ، وأن ورقة قابل رسول الله ﷺ - وهو يطوف بالكعبة فطلب منه أن يخبره بما رأى ، وما سمع فأخبره ثم أخبره أنه نبى هذه الأمة ثم قبل يافوخه ، وأخبره أن قومه سيكذبونه ويؤذونه ويخرجونه ويقاتلونه ولئن عاش لينصرنه ·

(٤) سورة الفاتحة : الآيات ١ - ٧ ·

أنك الذى بشَّر بك ابن مريـــم ، وأنك على مثل [١] ناموس موسى ، وأنك نبى مرسل ، وأنك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا ، ولئن أدركنى ذلك لأجاهدن معك ؛ فلما توفى ورقة قال رسول الله : « لقد رأيت القس فى الجنة عليه ثياب الحرير لأنه آمن بى وصدقنى - يعنى ورقة » .

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه قال : سابَّ أخ لورقة ، فتناول الرجل ورقة فسبه ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فقال لأخيه : هل علمت أنى رأيت لورقة جنة أو جنتين ، فنهى رسول الله ﷺ عن سبه .

* تثبت خديجة ﵂ من الوحى وإيمانها بالرسول ﷺ :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى إسماعيل بن أبى حكيم مولى الزبير ، أنه حدث عن خديجة بنت خُوَيلد أنها قالت لرسول الله ﷺ ، فيما تثبته به ، فيما أكرمه الله به من نبوته : يا ابن عم هل تستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك ؟ قال : نعم ، فقالت : إذا جاءك فأخبرنى ، فبينا رســـول الله ﷺ عندها يومًا ، إذ جاء جبريل ، فرآه رسول الله ﷺ ، فقال : يا خديجة هذا جبريل قد جاءنى ، فقالت أتراه الآن ، فقال نعم ، قالت : فاجلس إلى شقى الأيسر فجلس ، فقالت هل تراه الآن ؟ قال : نعم ، قالت : فاجلس إلى شقى الأيمن ، فتحول فجلس ، فقالت : هل تراه الآن ؟ قال : نعم ، قالت : فتحول فاجلس فى حجرى ، فتحول رسول الله ﷺ فجلس ، فقالت : هل تراه الآن ؟ قال : نعم ، فتحسرت فألقت خمارها ورسول الله ﷺ جالس فى حجرها ، فقالت : هل تراه الآن ؟ قال : لا ، قالت : ما هذا الشيطان ، إن هذا لملك يا ابن عم فاثبت ، وأبشر ، ثم آمنت به ، وشهدت أن الذى جاء به الحق [٢] .

---

(١) الناموس : أى الوحى ، وقال بعض العلماء : صاحب سر الملك ، أو صاحب سر الخير ، والجاسوس صاحب ســـر الشر .

(٢) كانت ﵂ ، أول من آمنت بالرسول ، من النساء ، وصدقته ، وصدقت بما جاءه من الله ، وآزرته ، وكانت حقا نعم الزوجة ، ضربت أروع مثال لخير زوجة ، ونموذج نسائى فريد للزوجة الوفية المخلصة التى ضحت بالغالى والثمين وبكل ما تملك ، ووقفت بجانب زوجها ، فاستحقت أن تكون خير نساء العالمين ، واستحقت بشارة الله لها على لسان الرسول ﷺ : « أمرت أن أبشر خديجة ببيت فى الجنة ، من قصب - أى لؤلؤ مجوف - لاصخب فيه ولا نصب - أى لا تعب فيه » . فيا ليت نساء المسلمين يتأسين بها ويقتدين بها ، فكانت بحق أعظم زوجة وأعظم أم ﵂ .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فحدثت عبد الله بن الحسن [1] هذا الحديث ، فقال : قد سمعت فَاطمة بنت الحسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة ، إلا أنى سمعتها تقول : أدخلت رسول الله ﷺ بينها وبين درعها ، فذهب عند ذلك جبريل عليه السلام ·

نا يونس عن زكريا بن أبى زائدة عن عَامر الشعبى قال : سئل رسول الله ﷺ متى استنبئت ؟ فقال : بين خلق آدم ونفخ الروح فيه ·

نا يونس عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع الأنصارى عن رجل عن سعيد بن المُسَيَّب قال : نزل الوحى على رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين ، فأقام بمكة عشرًا ، وبالمدينة عشرًا ·

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ونزل الوحى على رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة ، فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وبالمدينة عشرا [2] ·

نا أحمد : نايونس عن ابن إسحاق قال : وأمر رسول الله ﷺ بالصبر لله على رسالته وتبليغ ما أمر به ·

* الرسول من أُولى العزم من الرسل [3] :

نايونس عن عيسى بن عبد الله التميمى عن الربيع بن أنـــس عن أبى العالية : ﴿ **فاصبر كما صبر أُولوا العزم من الرسل** ﴾ [4] : نوح ، وهود ، وإبراهيم ، فأمر رسول الله ﷺ أن يصبر كما صـــبر هؤلاء ، وكانوا ثلاثة ورسول الله ﷺ رابعهم ، عليهم السلام ورحمة الله ، قال نوح : ﴿ **يا قوم إن كان كبرُ عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله** ﴾ [5] إلى آخرها ، فأظهر لهم المفارقة ، وقال هود حين قالوا : ﴿ **إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إنى أُشهد الله واشهدوا أنى برئٌ مما تشركون** ﴾ [6] فأظهر لهم المفارقة ، وقال عن إبراهيم : ﴿ **قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم** ﴾ [7] إلى آخر الآية ، فأظهر لهم المفارقة ، وقال محمد : ﴿ **إنى نُهيت**

---

(١) هو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ·

(٢) وهذا هو المشهور والمتواتر المجزوم بصحته ، وما عليه الأئمة وغالبية العلماء ·

(٣) أولى العزائم : أى أصحاب الشدة والصبر وقوة التحمل وهم أعلى مراتب الأنبياء عليهم الصلاة و السلام ·

(٤) سورة الأحقاف : الآية ٣٥ ·

(٥) سورة يونس : الآية ٧١ ·

(٦) سورة هود : الآية ٥٤ ·

(٧) سورة الممتحنة : الآية ٤ ·

أن أَعْبُدَ الذين تدعون من دون الله ﴾ [١] فقام رسول الله ﷺ عند الكعبة ، فقرأها على المشركين فأظهر لهم المفارقة .

* انقطاع الوحى ونزول سورة « الضحى » :

نا أحمد نا يونس عن ابن إســحاق قال : ثم فتر الوحى عن النبى ﷺ فترة [٢] من ذلك حتى شق عليه وأحزنه ، ثم قال فى نفسه مما أبلغ ذلك منه : لقد خشيت أن يكون صاحبى قد قلانى وودَّعنى ، فجاء جبريل بسورة « والضحى » ، يقسم له به ، وهو الذى أكرمه : ﴿ **ما ودَّعك ربك وما قلى** ﴾ فقال ﴿ **والضحى * والليل إذا سجى** ﴾ يقول : ﴿ **ما ودعك ربك وما قلى** ﴾ ما صــرمك وتركك وما قلى : ما أبغضك منذ أحبك ، ﴿ **وللآخرة خير لك من الأولى** ﴾ أى ما عندى من مرجعك إلى خير لك مما عجلت لك من الكرامة فى الدنـيا ، ﴿ **ولسوف يعطيك ربك فترضى** ﴾ من الفتح فى الدنيا والثواب فى الآخرة ، ﴿ **ألم يجدك يتيمًا فآوى * ووجدك ضالاً فهدى * ووجدك عائلاً فأغنى** ﴾ يعرفه ما ابتداه به من كرامته فى عاجل أمره ومنِّه عليه فى يتمه وعيلته وضلالته ، واســتنقاذه من ذلك كله برحمته ﴿ **فأما اليتيم فلا تقهر * وأما السائل فلا تنهر**﴾لا تكن جبارًا ولا متكبرًا ولا فاحشا فظًّا على الضعفاء من عباد الله : ﴿**وأما بنعمة ربك فحدث**﴾أى بما جاء من الله من كرامته ونعمته من النبوة ، فحدث : اذكرها وادع إليها ، يذكره ما أنعم الله به عليه وعلى العباد من النبوة .

نا أحمد : نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن خديجة أنها قالت : لما أبطأ على رسول الله ﷺ الوحى جزع من ذلك جزعًا شديدًا [٣] ، فقلت له مما رأيت من جزعه : لقد قلاك ربك ممـا يرى من جزعــك ، فأنزل الله ﴿ **ما ودعك ربك وما قلى** ﴾ .

* الرسول ﷺ يسأل جبريل عن غيبته :

نا يونس عن عمر بن ذر عن أبيه عن ســعيد بن جُبير عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لجبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ؟ فأنزل الله تعــالى : ﴿ **وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وما كان ربك نسيا** ﴾ [٤] .

---

(١) سورة الأنعام : الآية ٥٦ .
(٢) كانت فترة انقطاع الوحى سنتين ونصفاً تقريبًا .
(٣) أي حزن حزنًا شديدًا .   (٤) سورة مريم : الآية ٦٤ .

* جبريل يعلّم الرسول ﷺ الوضوء والصلاة :

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم إن جبريل أتى رسول الله ﷺ حين افترضت عليه الصلاة [(١)] ، فهمز له بعقبه فى ناحية الوادى فانفجرت منه عين ماء مزن ، فتوضأ جبريل عليه السلام ، ومحمد ينظر إليه ، فوضأ وجهه ومضمض واستنشق ومسح برأسه وأذنيه ورجليه إلى الكعبين ، ونضح فرجه ، ثم قام فصلى ركعتين ، وسجد أربع سجدات على وجهه .

* الرسول ﷺ يعلّم خديجة الوضوء والصلاة :

ثم رجع النبى ﷺ قد أقر الله عينه وطابت نفسه ، وجاءه ما يحب من الله ، فأخذ بيد خديجة حتى أتى بها العين ، فتوضأ كما توضأ جبريل ، ثم ركع ركعتين وأربع سجدات هو وخديجة ، ثم كان هو وخديجة يصليان سرًّا .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى صالح بن كيسان عن عروة ابن الزبير عن عائشة أن الصلاة أول ما افترضت ركعتين ، ثم أكملت أربعًا ، وأثبتت للمسافر . قال : فحدثت ذلك عمر بن عبد العزيز ، فقال لعروة : حدثتنى أن عائشة كانت تصلى فى السفر أربعًا ، فجاء عروة فقلت فى نفسى لا يكون هذا بى ، فسألته عن الحديث ، فحدثه ، فقال عمر : ما أدرى ما أحاديثكم هذه ! ثم حول وركه ونزل عن سريره ودخل .

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت : أول ما افترضت الصلاة ركعتين فأثبتت للمسافر وأكملت للمقيم أربعًا .

نا يونس عن سالم مولى أبى المهاجر قال : سمعت ميمون بن مهران يقول : كان أول الصلاة مثنى مثنى مثنى [(٢)] ، ثم صلى رسول الله ﷺ أربعًا فصارت سنة ، وأقرت الركعتين للمسافر وهى تمام .

* * *

---

(١) والصلاة هى أول ما فُرض على الرسول ﷺ - وذكر ابن إسحاق عن صالح بن كيسان عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : افترضت الصلاة على رسول الله ﷺ أول ما افترضت عليه : ركعتين ، ركعتين ، كل صلاة ، ثم إن الله أتمها فى الحضر أربعًا وأقرها فى السفر على فرضها الأول ركعتين .

(٢) يبدو والله أعلم أن هذه اللفظة زائدة وقد تكون تكرار خطأ من الناسخ لأن الصواب مثنى مثنى » أى اثنتين اثنتين ، فلا داعى لهذه الثالثة ، ويؤيد كلامنا الروايات السابقة لهذه الرواية .

إسلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه

* الرسول ﷺ يعرض الإسلام علَى عليٍّ رضي الله عنه :

نا أحمد: حدثني يونس عن ابن إسحاق قال : ثم إن على بن أبى طالب جاء بعد ذلك بيومين فوجدهما يصليان ، فقال على : ما هذا يا محمد ؟ فقال النبى ﷺ : دين الله الذى اصطفى لنفسه وبعث به رسله فأدعوك إلى الله وحده ، وإلى عبادته ، وكفر باللات والعزى ، فقال له على : هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم فلست بقاض أمرًا حتى أحدث أبا طالب ، فكره رسول الله ﷺ أن يفشى عليه سره قبل أن يستعلن أمره ، فقال له : يا على إذا لم تسلم فاكتم ، فمكث على تلك الليلة ، ثم إن الله أوقع فى قلب على الإسلام، فأصبح غادياً إلى رسول الله ﷺ حتى جاءه فقال: ما عرضت على يا محمد؟ فقال له رسول الله ﷺ : تشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وتكفر باللات والعزى وتبرأ من الأنداد(١)، ففعل على وأسلم، ومكث على يأتيه على خوف من أبى طالب، وكتم على إسلامه ولم يظهر به .

وأسلم زيد بن حارثة(٢) فمكث قريباً من شهر يختلف عليٌّ إلى رسول الله ﷺ .

• على ينشأ فى كنف الرسول :

وكان مما أنعم الله به على علي أنه كان فى حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام(٣) .

---

(١) جمع ند، وهو الشريك، والله واحد لا شريك له، ولا شريك معه، سبحانه وتعالى .

(٢) هو زيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب الكلبى ، مولى رسول الله ﷺ وكان أول من أسلم وصلى بعد على .

(٣) ذكر ابن هشام فى سيرته أن ابن إسحاق قال : إن قريشا أصابتهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثير ، فقال رسول الله - وكان ذلك قبل البعثة - للعباس عمه ، وكان من أيسر بنى هاشم ، إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة ، فانطلق بنا إليه فلنخفف عنه من عياله ، آخذ من بنيه رجلا وتأخذ أنت رجلا فنكلهما عنه ، فانطلقا حتى أتيا أبا طالب ، فقالا إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه ، فقال لهما : إذا تركتمالى عقيلا فاصنعا ما شئتما فأخذ رسول الله ﷺ عليًا فضمه إليه ، وأخذ العباس : جعفرا فضمه إليه ، فلم يزل على مع رسول=

* سن عليٍّ عند إسلامه :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى عبد الله بن أبى نَجيح - قال : أراه عن مُجاهد - قال : أسلم على بن أبى طالب وهو ابن عشر سنين (١) .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى يحيى بن أبى الأَشْعَث الكِنْدى - من أهل الكوفة - قال : حدثنى إسماعيل بن إياس بن عَفيف عن أبيه عن جده عفيف أنه قال : كنت امرءًا تاجرًا فقدمت أيام مِني ، أيام الحج ، وكان العباس ابن عبد المطلب امرءًا تاجرًا ، فأتيته أبتاع منه وأبيعه ؛ قال فبينا نحن إذ خرج رجل من خباء (٢) يصلى فقام تجاه الكعبة ، ثم خرجت امرأة ، فقامت تصلى معه ، وخرج غلام ، فقام يصلى معه ، فقلت : يا عبَّاس ما هذا الدين ، إن هذا الدين ما ندرى ما هو ؟ فقال العباس : هذا محمد بن عبد الله يزعم أن الله أرسله وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه ، وهذه امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به ، وهذا الغلام ابن عمه على بن أبى طالب آمن به؛ قال العفيف: فليتنى آمنت يومئذ وكنت أكون ثانيًا .

نا يونس عن يُوسف بن صُهيب عن عبد الله بن بُرَيْدَة قال : أول الرجال إسلامًا على بن أبى طالب ثم الرهط (٣) الثلاثة : أبو ذَرٍّ ، وبُريدة ، وابن عَمٍّ لأبى ذَر .

* * *

= الله حتى بعثه الله تعالى نبيًا فاتبعه على ، وآمن به ، وصدقه ، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه . وكان على أصغر من جعفر بعشر سنين . انظر سيرة ابن هشام ط مكتبة الكليات الأزهرية تحقيق طه عبد الرءوف سعد .

(١) وكان كرم الله وجهه أول من آمن بالرسول من الغلمان ، أى الصِّبية .

(٢) أى خيمة .

(٣) الرهط : الجماعة من الثلاثة إلى العشرة .

إسلام أبى بكر الصديق رضي الله عنه (١)

* الرسول ﷺ يُعرض الإسلام على أبى بكر :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم إن أبا بكر لقى رسول الله ﷺ فقال : أحق ما تقول قريش يا محمد من تركك آلهتنا ، وتسفيهك عقولنا وتكفيرك آباءنا ؟ فقال رسول الله ﷺ : يا أبا بكر إنى رسول الله ونبيه ، بعثنى لأبلغ رسالته وأدعوك إلى الله بالحق ، فوالله إنه للحق أدعوك إلى الله يا أبا بكر ، وحده لا شريك له ، ولا يعبد غيره ، والموالاة على طاعته أهل طاعته، وقرأ عليه القرآن ، فلم يفر ، ولم ينكر ، فأسلم وكفر بالأصنام وخلع الأنداد ، وأقر بحق الإسلام ، ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدق ·

* استجابته الفورية للإسلام :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمى أن رسول الله ﷺ قال : ما دعوت أحدًا إلى الإسلام إلا كانت له عنه كبوة (٢) وتردد ونظر إلا أبا بكر ما عتم حين ذكرته له ، وما تردد فيه ·

* إعلانه الإسلام رضى الله عنه :

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : فابتدأ أبو بكر أمره ، وأظهر إسلامه ، ودعا الناس ، وأظهر على وزيد بن حارثة إسلامهما فكبر ذلك على قريش ·

وكان أول من اتبع رسول الله ﷺ خديجة بنت خُويلد ، زوجته ، ثم كان أول ذكر آمن به علي ، وهو يومئذ ابن عشر سنين ، ثم زيد بن حارثة ، ثم أبو بكر الصديق رضى الله عنهم ·

---

(١) هو : أبو بكر بن أبى قحافة ، واسمه عتيق ، واسم أبيه ، عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر ·

(٢) الكبوة : التأخر وعدم الإجابة ·

* إيلاف قريش له :

فلما أسلم أبو بكر وأظهر إسلامه ودعا إلى الله ورسوله ، وكان أبو بكر رجلاً مآلفًا لقومه ، مُحببًا سَهلاً ، وكان أنسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بما كان فيها من خير أو شر ، وكان رجلاً تاجراً ، ذا خلق ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر لعلمه وتجارته وحسن مجالسته (١) ، فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه ·

إسلام خمسة على يديه :

فأسلم على يديه فيما بلغنى الزُبير بن العوَّام ، وعثمان بن عفان ، وطلحة بن عُبيد الله ، وسعد بن أبى وقَّاص ، وعبد الرحمن بن عَوْف ، ومعهم أبو بكر ، فانطلقوا حتى أتوا رسول الله ﷺ ، فعرض عليهم الإسلام ، وقرأ عليهم القرآن ، وأنبأهم بحق الإسلام ، وبما وعدهم الله من كرامة فآمنوا ، وأصبحوا مقرين بحق الإسلام ، فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام فصلُّوا وصدَّقوا رسول الله ﷺ ، وآمنوا بما جاء من عند الله تعالى ·

* * *

(١) قيل سمى عتيقًا لعتاقة وجهه وهو الحسن ·

إسلام أبى ذرٍّ رضي الله عنه(١)

* ذهابه إلى مكة وسماعه الرسول وإسلامه ومن معه :

نا يونس عن يوسف بن صُهَيب عن عبد الله بن بُريدة قال : انطلق أبو ذر وبريدة ، معهما ابن عم لأبى ذر يطلبون رسول الله ﷺ ، وهو بالجبل مكتتم بطائفة من مكة ، وأتوه وهو نائم فى الجبل مسجًّا (٢) بثوبه ، خارجة قدميه ، وكان رســـول الله ﷺ من أحسن الناس قدمًا ، فقال أبو ذر : إن كان نبى بهذه البلاد فهو هذا النائم ، فمشوا حتى قاموا عليه ، ومع أبى ذر عَصًا يتَوكأ علــــيها ، فقال أبو ذر : أنائم الرجل ، وكان رســـول الله ﷺ نائمًا ، فلم يجبه رسول الله ﷺ ، ثم نادى أبو ذر : أنائم الرجل فلم يجبه ، ثم أعاد عليه أبو ذر : أنائم الرجل وغمز بعصاه فى باطن قدم رســـول الله ﷺ فاستيقظ رسول الله ﷺ فقعد ، فقال له أبو ذر : يا محمد أتيناك لنسمع ما تقول ، وإلى ما تدعو ، فقال رسول الله ﷺ : أقول : لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، فآمن به أبو ذر وصاحباه وكان علي رضى الله عنه فى حاجة لرسول الله ﷺ أرسله فيها .

* خيرية أمة محمد :

نا يونس عن جعفر بن حيان عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال : أنتم توفون بسبعين أمة ، أنتم خيرها وأكرمها على الله .

* صفة رسول الله ﷺ فى التوراة :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى محمد بن ثابت بن شُرَحْبيل عن أم الدرْدَاء قالت : قلت لكَعب الحَبْر : كيف تجدون صفة رسول الله ﷺ فى التوراة ؟ قال : نجده محمدا رسول الله ، اسمه المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سخَّاب (٣) فى الأسواق ، وأُعطى المفاتيح ليبصر الله به أعينًا عورًا ، ويسمع به آذانًا وقرًا (٤) ، ويقيم به ألسنًا معوجة ، حتى تشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يعين المظلوم ويمنعه .

---

(١) هو أبو ذر الغفارى نسبة إلى قبيلة غفار .

(٢) أى مُغطًى .

(٣) جاء هذا الحديث فى صحيح البخارى بلفظ ولاصخَّاب .

(٤) الوقر ثقل فى الأذن .

* **أسماء رسول الله ﷺ :**

نا يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عـــمرو بن مُرة عن أبى عُبيدة عن أبى موسى قال سمى لنا رسول الله ﷺ نفسه أسماء منها ما حفظنا ، قال : أنا محمد وأحمد والمقفى ، والحاشر ، ونبى التوبة والملحمة .

* **صفة رسول الله ﷺ فى الإنجيل :**

نا يونس عن يونس بن عمرو عن العيزار بن حريث عن عائشة رضي الله عنها قالت : لَرسول الله ﷺ مكتوب فى الإنجيل ، لا فظ ، ولا غليظ ، ولا سخاب بالأسواق ولا يجزى بالسيئة مثلها ، ولكن يعفو ويصفح (١) .

* **منزلة أمة محمد :**

نا يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله عن زياد مولى مُصعب عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : مضت تسع وستون أمة وأنتم توفون سبعين أمة ، أنتم خيرها وأكرمها على الله .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : أخبرنى الزهرى عن مُحمد بن جُبَير ابن مُطْعِم عن أبيه قال سمعت رســول الله ﷺ يقول لى خمسة أسماء : أنا محمد ، وأحمد ، وأنا الماحى الذى يمحو الله به الكفر ، وأنا العاقب ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدميه .

* * *

(١) ذكر ابن هشام أن ابن إسحاق ذكر أنه ورد عن عيسى عليه السلام . فى الإنجيل مخاطبًا أهل الإنجيل قائلاً : « فلو قد جاء المُنحَمنَّا ، هذا الذى يرسله الله إليكـــم من عند الرب ، وروح القدس ، هذا الذى من عند الربِ خرج ، فهو شهيد علىَّ ، وأنتم أيضًا - أى شهيد عليكم - لأنكم قديمًا كنتم معى فى هذا ، قلت لكما لكيما تشكوا » المنحمنا بالسريانية : أى محمد .

إسلامُ المُهَاجرين رضي الله عنهم

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم انطلق أبو عُبيدة بن الحارث ، وأبو سَلمة [١] بن عبد الأسد ، وعبد الله بن الأرقم المخْزُومى [٢] ، وعثمان بن مَظْعُون حتى أتوا رسول الله ﷺ فعرض عليهم الإسلام ، وقرأ عليهم القرآن ، فأسلموا وشهدوا أنه على هدى ونور .

ثم أسلم ناس من قبائل العرب منهم : سَعيد بن زَيد بن عَمْرو بن نُفيل ، أخو بَنى عَدِى بن كَعْب ، وامرأته فاطمة بنت الخطاب بن نُفَيل بن عبد العزَّى ، أخت عمر بن الخطاب ، وأسماء بنت أبى بكر ، وعائشة بنت أبى بكر وهى صغيرة ، وقُدَامة بن مَظْعُون ، وعبد الله بن مَظْعُون الجمحيان ، وخباب بن الأرت حليف بنى زهرة ، وعمير بن أبى وقاص الزهرى [٣] وعبد الله بن مسعود حليف بنى زهرة ، ومسعود بن القارى وسُليط بن عمرو أخو بنى عامر بن لُؤى ، وعيَّاش بن أبى ربيعة المخْزُومي وامرأته أسماء بنت سـَلامة بن مخرمة التميمى ، وخنيس بن حُذافة السهمى ، وعامر بن ربيعة حلـــيف بنى عَدِى بن كَعْب ، وعبد الله بن جَحش الأسدى ، وأبو أحمد بن جحـــش ، وجعفر بن أبى طالب وامرأته أسماء بنت عُميس ، وحاطب بن الحارث الجمحى وامرأته أسماء بنت المحلل أخت بنى عامر بن لُؤى ، والخطاب بن الحارث وامرأته فكيهة بنتُ يسَار ، ومعمر بن الحارث بن معمر الجُمَحى ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، والمطالب بن أزْهَر بن عبد عوف الزهرى

(١) أبو سلمة أخو رسول الله ﷺ من الرضاعة ، كان من السابقين للإسلام وهاجر هو وامرأته إلى الحبشة وإلى المدينة ، مات بعد أُحد ، وخلفه رســول الله ﷺ على زوجته أم سلمة .

(٢) من السابقين الأولين إلى الإسلام ، اتخذ الرسول ﷺ - داره مدرسة يلتقى بها بأصحابه يعلمهم القرآن وتعاليم الدين الحنيف وقواعد الإسلام الصحيح .

(٣) أخو سعد بن أبى وقاص أسلم مبكراً وهاجر الهجرتين وشهد بدراً قتله عمرو بن ود الذى قتله سيدنا علىٌ فى غزوة الخندق .

وامرأته رَمْلة بنت أبى عوف بن صَبِير بن سعد بن سهم ، والنحَّام واسمه نعيم بن أسد أخو بنى عَدِى بن كَعْب ، وعامر بن فُهيرة مولى أبى بكر الصديق (١) ، وخالد ابن سعيد بن العَاص وامرأته أُمينة بنت خلف بن أسـعد بن عامر بن بياضة من خُزَاعة ، وحاطب بن عَمرو بن عبد شمس أخو بنى عامر بن لُؤى ، وأبو حُذَيفة بن عُقْبة (٢) بن ربيعة ، وواقد بن فائد بن عبد الله بن عزيز بن ثعلبة التميمى حليف بنى عدى بن كعب ، وخالد بن البكير ، وعامر بن البكير ، وعاقل بن البُكير ، وإياس ابن البكير بن عبد الله بن ناشب من بنى سعد بن ليث ، حلفاء بنى عدى بن كعب ، وعمار بن ياسر حليف بنى مخزوم ، وصهيب بن سنان حليف بنى تميم .

ثم دخل الناس فى الإسلام أرسالا من النساء والرجال حتى فشا ذكر الإسلام وتُحدِّث به ، فلما أسلم هؤلاء النفر وفشا أمرهم بمكة أعظمت ذلك قريش ، وغضبت له ، وظهر فيهم لرسول الله ﷺ البغى والحسـد ، وشخص له منهم رجال فبادوه (٣) العداوة ، وطلبوا له الخصومة منهم : أبو جهل بن هشام ، وأصحابه وأبو لهب (٤) ، وعبيد بن عبد يغوث ، وعمرو بن الطُّلاطلة ، والوليد بن المغيرة ، والعاصى بن وائل ، وأُمية بن خلف ، وأُبَى بن خلف ، وهو الذى أصاب وجه رسول الله ﷺ بمكة ، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة ، وأبو قيس بن الأسلت والحُضين ، أو الحُضير بن الحارث بن سعيد بن الحجاج وهو زهير بن أبى أمية بن المغيرة ، والسائب بن صيفى بن عائذ ، والأسود بن عبد الأسد ، والعاصى ابن سعيد ، وعُتْبة بن ربيعة ، وشَيْبة بن ربيعة ، وأبو سـفيان بن حرب ، وأبو العاصى بن هشام ، وعقبة بن أبى مُعيط ، وأبو الأشد الهُذلى ، نطحته أروى فسقط فتقطع ، والحكم بن أبى العاصى ، وعدى بن جبر الثقفى ، وزمعة بن الأسود .

وكان الذين يؤذونه : أبو لهـب ، وعُقْبة بن أبى مُعَيط ، والحكـم بن أبى العاصى ، وعَدِى بن جبر الثقفى ، ورجل آخر .

---

(١) أسلم وهو عبد فأوذى فى الله كثيراً فاشتراه سيدنا أبو بكر واعتقه ، وكان له دور كبير فى هجرة النبى ﷺ .

(٢) ذكر ابن هشام أن اسمه مهشم ، وقد أسلم مبكراً وهاجر الهجرتين وشهد بدراً ، وكان له موالى منهم سالم الذى كان يسمى سالم مولى أبى حذيفة ، وكان حافظا للقرآن .

(٣) أى أظهروا وأعلنوا له العداوة .

(٤) وكان عم رسول الله ﷺ وأنزل الله فيه سورة وبين فيها عقابه فى الآخرة هو وزوجته أم جميل -﴿ تبت يدا أبى لهب وتب ﴾ .

قوله عز وجل ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ (١)

*** أمر الله رسوله بتبليغ دعوته :**

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وكان الذى تنتهى إليه عداوة رســول الله ﷺ ، ويجتمع إليه فيها أبو جهل ، حَسدًا وبغيًا ، لما خص الله به رسوله ﷺ من كرامته ·

ثم إن الله تعالى أمر رسوله ﷺ أن يصدع (٢) بما جاء به ، وأن ينادى الناس بأمره ، وأن يدعو إلى الله تعالى ، وكان ربما أخفى الشىء ، واستسر به إلى أن أمر بإظهاره ، فلبث سنين من مبعثه ، ثم قال الله تعالى : **﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾** (٣) ، وقال : **﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين * واخفض جناحك لمن اتَّبعك من المؤمنين * فإن عصوك فقل إنى برئٌ مما تعملون ﴾** (٤) .

نا أحمد : نايونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى من سمع عبد الله بن الحارث ابن نوفل واستكتمنى اسمه عن ابن عباس عن على بن أبى طالب ؓ قال : لما نزلت هذا الآية على رسول الله ﷺ : **﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين * واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾** قال رسول الله ﷺ : عرفت أنى إن بادأت بها قومى رأيت منهم ما أكره ، فصمت (٥) عليها ، فجاءنى جبريل فقال : يا محمد إنك إن لم تُفعل ما أمرك ربك تعالى عذبك ربك ، قال على : فدعانى رسول الله ﷺ فقال : يا على إن الله قد أمرنى أن أنذر عشيرتى (٦) الأقربين فعرفت أنى إن بادأتهم

---

(١) سورة الشعراء : الآية ٢١٤ ·

(٢) الصدع : أى التفريق بين الحق والباطل ، اصدع بما تؤمر : أي بالذى تؤمر لكنه لما عدى الفعل إلى الهاء حسن حذفها ههنا أحسن من ذكرها ، لأن ما فيها من الإبهام أكثر مما تقتضيه (الذى) وقولهم (ما) مع الفعل بتأويل المصدر راجع إلى معنى الذى إذا تأملته وذلك أن (الذى) تصلح فى كل موضع تصلح فيه (ما) المصدرية انظر الروض : الأنف ٢ / ٦ تحقيق طه عبد الرءوف سعد

(٣) سورة الحجر : الآية ٩٤ ·

(٤) سورة الشعراء : الآيات ٢١٤ - ٢١٦ ·

(٥) أى سكت وما كان لرسول أن يسكت عما أمر به فإنه يجب عليهم التبليغ ·

(٦) عشيرة الرجل بنو أبيه الأقربون وقبيلته ·

بذلك رأيت منهم ما أكره ، فصمت عن ذلك حتى جاءنى جبريل [(١)] فقال : يا محمد إن لم تفعل ما أمرت به عذبك ربك ، فاصنع لنا يا على رِجل شاة على صاع من طعام ؛ وأعد لنا عِسَّ لبن ، ثم اجمع بنى عبد المطلب ففعلت ، فاجتمعوا له وهم يومئذ أربعون رجلاً أو ينقصون ؛ فيهم أعمامه : أبو طالب ، وحمزة ، والعباس ، وأبو لهب الكافر الخبيث ، فقدمت إليهم تلك الجفنة فأخذ منها رسول الله ﷺ حذية فشقها بأسنانه ، ثم رمى بها فى نواحيها ، ثم قال : كلوا باسم الله ، فأكل القوم حتى نهلوا عنه ، فما رؤى إلا آثار أصابعهم ، والله إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها ، ثم قال رسول الله ﷺ : اسقهم يا على ، فجئت بذلك القعب فشربوا حتى نهلوا جميعًا ، وايم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله ، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال : لهد [(٢)] ، ما سحركم صاحبكم ! فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله ﷺ ، فلما كان الغد قال رسول الله ﷺ يا على عد لنا بمثل الذى كنت صنعت لنا بالأمس من الطعام والشراب ، فإن هذا الرجل قد بدرنى إلى ما قد سمعت قبل أن أكلم القوم ، ففعلت ، ثم جمعهم له فصنع رسول الله ﷺ كما صنع بالأمس ، فأكلوا حتى نهلوا عنه ، ثم سقيتهم فشربوا من ذلك القعب حتى نهلوا عنه ، وايم الله إن الرجل منهم ليأكل مثلها ، ويشرب مثله ، ثم قال رسول الله ﷺ : يا بنى عبد المطلب ، والله ما أعلم شابا من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة [(٣)] .

* الرسول ﷺ يصف نزول الوحى عليه :

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت : سأل الحارث بن هشام رسول الله ﷺ فقال : كيف ينزل عليك الوحى ؟ فقال

(١) جبريل عليه السلام هو سفير الله لرسله ، وحامل الوحى إليهم ، واسم جبريل سريانى ، ومعناه عبد الرحمن أو عبد العزيز ، هكذا جاء عن ابن عباس موقوفًا . وذهب بعض العلماء إلى أن : جبر اسمه ، إيل : اسم الله .

(٢) ربما تكون « صه » بمعنى اسكت .

(٣) أورد ابن هشام فى سيرته أن ابن إسحاق قال . وكان بين ما أخفى رسول الله ﷺ أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين .

رسول الله ﷺ : كل ذلك يأتينى الملك أحيانًا فى مثل صَلْصَلة الجرس، وهو أشقه [(١)] علىَّ ، فيفصم عنى قد وعيته ، ويتمثل لى الملك أحيانًا فى صورة رجل [(٢)] فيكلمنى فأعى ما يقول .

نا يونس عن عبَّاد بن منصور عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحى ثقل عليه ، وتربَّد له جلده ، وأمسك الناس عن كلامه .

نايونس عن عمرو بن ذر عن مجاهد قال : كان إذا نزل القرآن على رسول الله ﷺ قرأه على الرجال ثم على النساء [(٣)] .

* الرسول يأمر أهله بالعمل الصالح :

نا يونس عن أبى مَعْشر عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : يا بنى عبد المطلب ، يا فاطمة بنت محمد ، يا صفية عمة رسول الله اشتروا أنفسكم من الله ، لا أغنى عنكم من الله شيئًا ، سلونى من مالى ما شئتم ، واعلموا أن أول آت يوم القيامة المتقون ، فإن تكونوا يوم القيامة مع قرابتكم فذاك وإياى لا يأتون الناس بالأعمال وتأتون بالدنيا تحملونها على أعناقكم فأصد وجهى عنكم ، فتقولون : يا محمد ، فأقول هكذا - فصرف وجهه ، فتقولون يا محمد فأقول هكذا - وصرف وجهه إلى الشق الآخر .

* خروج الرسول ﷺ بأصحابه للصلاة فى الشِّعب :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا

---

(١) أى أشده عليه ، قيل لأنه يستجمع قلبه عند تلك الصلصلة ، فيكون أوعى لما يسمع ، وألقن لما يلقى .

(٢) كان جبريل يأتيه فى صورة رجل هو : دحية بن خليفة الكلبى، وورد أيضًا أنه كان يأتيه أيضًا فى صورته التي خلقه الله عليها ، له ستمائة جناح ، ينتثر منها اللؤلؤ والياقوت .

(٣) وقد ورد عن النبى ﷺ أنه كان يخصص يوماً للنساء فى المسجد يلتقى بهن ويقرأ عليهن القرآن ويشرح لهن أمور الدين ويجيبهن على أسئلتهن ، وذلك أن النساء قلن للرسول ﷺ لقد غلبنا الرجال فاجعل لنا يومًا يا رسول الله ، فوافق الرسول ﷺ - وجعل لهن يوما ، ومن هنا رأى العلماء ضرورة تخصيص يوم للنساء بالمساجد لتعليمهن أمور دينهن ، وقد وفق الله الأزهر الشريف بأن خصص بعض مساجد الأوقاف ليقام فيها دروس للسيدات وذلك فى كل أنحاء الجمهورية منذ أربعين عامًا ومستمر حتى اليوم بفضل الله ويقوم علماء الوعظ والإرشاد بالأزهر الشريف بإعطاء هذه الدروس للسيدات حمى الله الأزهر الشريف بعلمائه منارة لمصر .

صلوا ذهبوا إلى الشِّعاب ، واستخفوا بصلاتهم عن قومهم ، فبينا سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في شعب من شعاب مكة ، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون ، فناكروهم [١] وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم ، واقتتلوا ، فضرب سعد بن أبي وقاص رجلاً من المشركين بلحى [٢] بعير فشجه [٣] ، فكان أول دم أهريق في الإسلام .

* عداوة قومه ومساندة أبي طالب له :

فلما رأت قريش رسول الله ﷺ لا يعتبهم من شيء أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم ، ورأوا عمه أبا طالب قد حدب [٤] عليه ، وقام دونه فلم يسلمه لهم ، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب فيهم عتبة بن ربيعة ، وشيبة ، وأبو سفيان ، وأبو البَخْترى ، والأسود بن المطلب ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل ، والعاصي بن وائل ، ومُنَبه ونبيه ابنا الحجَّاج ، أو من مشى فيهم .

* وفد قريش يعاتب أبا طالب على فعَل ابن أخيه :

فقالوا : يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا ، وسفَّه أحلامنا ، وضلل آباءنا ، فإما أن تكفه عنا ، وإما أن تخلي بيننا وبينه فنكفيكه وإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه ، فقال أبو طالب قولاً رقيقًا ، ورد ردًّا جميلاً ، فانصرفوا عنه .

* الرسول ﷺ يستمر في دعوته وقريش تظهر عداوتها للمسلمين :

ومضى رسول الله على ما هو عليه يظهر دين الله ، ويدعو إليه ، ثم إن قريشًا تآمروا بينهم على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ، ومنع الله منهم رسوله بعمه أبي طالب [٥] ، وقد قال أبو طالب ، حين رأى قريشًا تصنع ما

---

(١) أي أنكروا عليهم فعلهم . (٢) لحى البعير : العظم الذى عليه الأسنان .
(٣) أي جرحه . (٤) أي عطف عليه ورق له .
(٥) والحق يقال إن أبا طالب ظل يدافع عن رسول الله ﷺ ويناصره حتى مات ولم يصب النبي ﷺ أذى إلا بعد موته ولذلك لما مات ثم بعد بفترة قليلة ماتت السيدة خديجة رضي الله عنها سمى الرسول ﷺ ذلك العام ، عام الحزن ، الحزن على أعز نصيرين عمه وزوجته ومن مآثر أبي طالب الحميدة ، ودليل مساندته للرسول ما أنشده من شعر :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا

تصنع فى بنى هاشم وبنى المطلب ، دعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه ، فاجتمعوا إليه وقاموا معه وأجابوا إلى ما دعاهم إليه من دفع عن رسول الله ﷺ إلا ما كان من أبى لهب ، وهو يحرِّض بنى هاشم ، وإنما كانت بنو المطلب تدعى لهاشم إذا دعوا بالحلف الذى كان بين بنى هاشم وبين بنى المطلب دون بنى عبد مناف ، فقال :

حَتَّى مَتَى نَحنُ عَلى فِتْنَة ... يَا هَاشِمُ وَالقومُ فى مَحفَلِ
يَدْعونَ بالخيلِ عَلَى رِقْبَةٍ ... مِنَّا لَدى الخوف وَفى مَعْزِل
كَالرَّجْبَةِ السَّوْداء يَعْلو بهـا ... سُرعَانُها فى سَبْسَبٍ مُجْفَل
عَليهم النـزك عَلى رَعْله ... مِثل القَطَا الشَّارب المُهْمَلِ
يَا قَومِ ذُودُوا عَن جماهيركُم ... بِكُلِّ مِفضالٍ عَلى مَسْبِل
وَقد شَهِدتُ الحَربَ فى فِتْيَةٍ ... عِنْدَ الوَغَا فى عَثِير القَسْطَل

فلما اجتمعت بنو هاشم وبنو المطلب معه ورأى أن قد امتنع بهم وأن قريشًا لن يعادوه معهم قال أبوطالب ، وبادى قومه بالعداوة ، ونصب لهم الحرب فقال :

مَنَعْنَا الرَّسولَ رَسولَ المَليكِ ... ببيضٍ تَلألأ كَلَمْعِ البُروقْ
بِضَرْبٍ يِزَبْرٍ دُونَ التِهـابِ ... حَذارِ البَوادر كالخنفقيق
أَذُبُّ وَأَحْمِى رَسول المليك ... حِمَايَة حَامٍ عَليـه شَفيقْ
وَما إن أدبَّ لأعْدائه ... دَبِيب البكَار حَذَار الفَنيقْ
وَلَكنْ أزأر لَهُم سَامِيًا ... كَما زَأَر لَيثٌ بغيلٍ مَضيقْ

* شعر أبى طالب فى مدح قومه لنصرته :

فلما رأى أبو طالب من قومه ما سرَّه من جدهم معه ، وحدبهم عليه جعل يمدحهم ويذكر قديمهم ، ويذكر فضل رسول الله ﷺ فيهم ، ومكانه منهم ليشتد لهم رأيهم فيه ، وليحدبوا معه على أمرهم ، فقال أبو طالب :

إِذا اجتمعتْ يَومًا قريشٌ لِفَخْرِ ... فَعبد مَناف سِرُّها وَصَميمُها
وإن حُصِّلَتْ أشرافُ عَبْد مَنافها ... فَفى هَاشِمٍ أَشْرافُها وَقَديمُها
وَإنْ فَخَرت يَومًا فَإِن مُحَمدًا ... هُو المصْطَفى مِنْ سِرِّها وكَرِيمَها
تَداعَتْ قُرِيشٌ غثُّها وَسَمِينُهَا ... عَلينا فَلم تَظْفَر وَطاشتْ حُلومُها
وكُنَّا قَديمًا لاَ نُقِرُّ ظَلامَة ... إذا ما ثنوا صُعر الخُدود نُقيمُها
ونَحْمى حِمَاها كُلَّ يَومِ كَرِيهةٍ ... ونَضرِبُ عَنْ أحْجَارها مَن يَرومُهَا

* **أبو طالب يسخر من أبى لهب :**

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم أقبل أبو طالب على أبي لهب حين ظافر عليه قومه ، ونصب لعداوة رسول الله ﷺ مع من نصـب له ، وكان أبو لهب للخُزَاعية ، وكان أبو طالب وعبد الله أبو رسول الله والزبير لفاطمة بنت عمرو بن عَائذ بن عُمْران بن مَخْزوم ، فغمزه أبوطالب بأُمٍّ له يقال لها اسْمَاحِيج ، وأَغْلظ له فى القول :

مُسْتَعرض الأقْوامِ يُخْبِرهُم ... عُذْرِى وَما إِنْ جِئْتُ مِنْ عُذْرِ
فَاجْعَل فُلاَنَةَ وَابْنَها عِوضًـــا ... لِكَرائم الأَكْفَاء والصِّهْرِ
وَاسْمَع نَوادِرَ مِنْ حَديث صَادِقِ ... تَهْوين مِثْلَ جَنَادِل الصَّخْرِ
إِنَّا بَنُو أُمِّ الزُبَيْرِ وَفَحلها ... حَملتْ بِنا لِلطِّيبِ والطُّهْرِ
فَحرِّمت مِنَّا صَاحبًا وَمُوازرًا ... وَأَخًا عَلى السَّراء والضُّرِّ

* **أبو طالبَ يعلن لقريش تمسكه بنصر ابن أخيه :**

قال : فلما مضى أبو طالب على أمره من خلاف قومه فيما أراد رسول الله ﷺ ، واجتمعت قريش على عُدوانه وخلافه ، قال أبو طالب فى ذلك :

مَا إن جَنَيْنَا مِنْ قُرَيـــشٍ عَظِيمَة ... سَوى أَن مُنعْنَا خَيْر مَن وَطِئَ التُّرْبَا
أَخَائِقَــــة لِلنَّائِبــــات مَورًا (١) ... كَرِيمًا ثَناه لاَ لَئِيمـــــًا وَلا ذَرِبَا
فَيا أَخَوَيْنا عَبْدَ شَمْـــــس وَنَوْفَلا ... فَإِياكُما ان تُسْـــــعرا بِينَنا حَرْبَا

(١) أى سريع الإجابة .

وَإن تُصبِحُوا من بَعْد ودٍّ وإلْفَةٍ ... أَحابيشَ فِيها كُلكم يَشْتكى النَّكْبَا
أَلم تَعْلموا مَا كان فِى حَربِ دَاحِسٍ ... ورَهْط أبى يكْسوم إذ ملأوا الشِّعْبَا
فَوالله لَوْلاَ اللهُ لا شــــىء غَيره ... لأَصْبَحتُم لاَ تملكــــون لنا سِربًا

* الوليد بن المغيرة يكيد للرسول :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدَّثنى محمد بن أبى محمد عن سعيد بن جُبير ، أو عكرمة عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش وكان ذا سن فيهم ، وقد حضر الموســـم ، فقال : يا معشر [١] إنه قد حضر الموسم [٢] ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم وقد ســـمعوا بأمر صاحبكم هذا [٣] ، فاجمعوا فيه رأيا واحدًا ، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضًا ، ويرد قول بعضكم بعضا ، فقالوا : فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيًا نقوم به ، فقال : بل أنتم : قولوا أسمع ، فقالوا : نقول : كاهن ، فقال : ما هو بكاهن ، لقد رأيت الكهان فما هو بزمزمة الكاهن وســجعه فقال : نقول مجنون ، فقال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو تخنقه ، ولا تخالجه ، ولا وسوسته ، فقالوا : نقول : شاعر ، فقال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر برجزه [٤] وقريضه ، ومقبوضه ، ومبسوطه ، فما هو بالشعر ، قالوا : فنقول : ساحر ، قال : ما هو بساحر ، قد رأينا السحار وسحرهم ، فما هو بنفثه ولاعقده [٥] ، قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة ، إن أصله لغدق ، وإن فرعه لجنًا ، فما أنتم بقائلين من هذا شيئًا إلا عرف أنه باطل ، وإن أقــرب القول لأن تقولوا : ساحر : فقولوا ساحر يفرق بين المرء وبين أبيه ، وبين المرء وبين أخيه ، وبين المرء

(١) فى سيرة ابن هشام « يا معشر قريش » ويبدوا أنها سقطت هنا لأن الكلام لا يستقيم بدونها .

(٢) أى موسم الحج ، وكان الناس فى الجاهلية يأتون الكعبة ويطوفون بالأصنام ويذبحون لها تقربًا .

(٣) يقصد رسول الله ﷺ .

(٤) فى ابن هشام « لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه » ، انظر سيرة ابن هشام ط . مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ٢٤٣ تحقيق طه عبد الرءوف سعد .

(٥) العقد والنفث : هو أن يعقد الساحر خيطا وينفث فيه بفمه .

وزوجه ، وبين المرء وعشيرته ، فتفرقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون يسألون الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه ، وذكروا لهم أمره .

• القرآن يرد على الوليد :

فأنزل الله تعالى فى الوليد بن المغيرة ، وفى ذلك من قوله : ﴿ **ذرنى ومن خلقت وحيداً** ﴾ إلى قوله: ﴿ **سأصليه سقر** ﴾ (١) ، وأنزل الله عز وجل فى النفر الذين كانوا معه يصنِّفون(٢) له القول فى رسول الله ﷺ وفيما جاء به من عند الله تعالى : ﴿ **الذين جعلوا القرآن عضين** ﴾ أى أصـنافًا : ﴿ **فوربك لنسئلنَّهم أجمعين** ﴾ (٣) أولئك النفر الذين يقولون ذلك لرسـول الله ﷺ لمن لقوا من الناس ، وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله ﷺ ، وانتشر ذكره فى بلاد العرب كلها (٤) .

نا يونس عن أبى معشر عن محمد بن قيـس فى قوله : ﴿ **وقالوا قلوبنا فى أكنة** ﴾ (٥) قال : قالت قريش لرسول الله ﷺ : إن ما تقول حق ، فوالله إن قلوبنا لفى أكنة منه ما نعقله ، وفى آذاننا وقر فما نسمعه ، ومن بيننا وبينك حجاب فما ندرى ما تقول .

* قريش تعرض عمارة بن الوليد على أبى طالب بدل محمد :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم إن قريشًا حين عرفت أن أبا طالب أبى خُذْلان رسـول الله ﷺ ، وإسلامه ، وإجماعه لفراقهم فى ذلك ، وعدوانهم ، مشوا إليه ومعهم عمارة بن الوليد بن المغيرة ، فقالوا له فيما بلغنـا : يا أبا طالب قد جئناك بفتى قريش عُمارة بن الوليد جمالا ، وشبابًا ، ونهادة ، فهو لك نصره وعقله ، فاتخذه ولدًا تنازع فيه ، وخل بيننا وبين ابن أخيك هذا الذى فارق دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومه ، وسفَّه أحلامهم ، فإنما رجـل كرجل لنقتله ، فإن ذلك أجمع للعشيرة ، وأفضل فى عواقب الأمور مغَبَّة ، فقال

(١) سورة المدثر :الآيات ١١ - ٢٦ . (٢) أى يؤلفون ويصنعون .

(٣) سورة الحجر : الآيات ٩١ - ٩٢ .

(٤) وذكر بالمدينة وكان من أكثر أحياء العرب علما بهذا الموضوع هم الأوس والخزرج بالإضافة إلى ما سمعوه من أحبار اليهود قبل ذلك ، وكان هذا فى صالح الرسـول ﷺ لأن أثره ظهر فيما بعد ، وذلك عندما فكر كثير منهم فى هذا الكلام وفى صاحبه فتوصلوا للحق وعلموا أنه نبى فجاء منهم وفدان بايعا الرسول ﷺ بيعة العقبة الأولى وبيعة العقبة الثانية ، وكانوا نواة لنشأة دولة الإسلام بالمدينة ومبرراً لهجرة الرسول ﷺ .

(٥) سورة فصلت : الآية ٥ .

لهم أبو طالب : والله ما أنصفتمونى ، تعطونى ابنكم أغذوه لكم ، وأعطيكم ابن أخى تقتلونه ، هذا والله لا يكون أبدًا ، أفلا تعلمون أن الناقة إذ فقدت ولدها لم تحن إلى غيره ، فقال له المُطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف : لقد أنصفك قومك يا أبا طالب ، وما أراك تريد أن تقبل ذلك منهـــم ، فقال أبو طالب للمطعم بن عدى : والله ما أنصفتمـــونى ولكنك قد أجمعت على خــذلانى ومظاهرة القوم علىَّ ، فاصنع ما بدا لك ، أو كما قال أبو طالب ، فحقب [١] . الأمر عند ذلك ، وجمعت للحرب [٢] ، وتنادى القوم ، وبادى بعضهم بعضا، فقال أبو طالب عند ذلك - وإنه يعرض بالمطعم - ويعم من خذله من بنى عبد مناف، ومن عاداه من قبائل قريش ، ويذكر ما سألوه فيما طلبوا منه وما تباعد من أمرهم .

* شعر أبى طالب فى المطعم ومن خذله :

أَلا لَيْتَ حَظِّى مِنْ حِياطَتِكُم بكْرٌ [٣] ... يَرِشُّ عَلى السَّاقِينَ مِنْ بَوْلِه قَطْرُ
مِنَ الخُورِ حَبْحَاب كَثِيرٌ رُغَاؤهُ ... إذا مَا علا الفَيْفَاءَ تَحْسبهُ وَبَر [٤]
أَرى أَخَوَيْنَا مِنْ أبينــــا وأمِّنَا ... إذَا سُئِلا قَالا إلى غيرنا الأَمْرُ
بَلْ لَهمَا أَمر ولكن تَرجمـــــا ... كَما ترجمت [٥] مِنْ رَأس ذى الفَلَقِ الصَّخْرُ
هُما أَغمزا للقوم فى أَخَوَيهمَا ... وَقَدْ أَصبَحَا منهم أَكُفُّهمَا صِفْرُ
أَخُصّ خُصُوصًا عَبْدَ شَمْسٍ ونَوفَلاً ... هُما نَبذانا مثل مــــا نبذ الجمرُ
فَأقسمت لاَ ينفك منهم مُجاور ... يُجادِرُنا ما دامَ من نَسْلِنا شَفْرُ
هُما أشْرَكا فى المجدِ مَنْ لاَ أخَا لهُ ... مِنَ الناسِ إلا أن يُرش لَه ذِكْرُ
وَليدًا أَبوهُ كَان عبدًا لِجدِّنا ... إلى عِلْجَة زَرقاء جَاش بها البَحْرُ
وَتَيمٌ ومَخزُومٌ وَزهرةُ منْهُمُ ... وكَانوا لنا مَولًى إذا ابتغى النَّصرُ
وَقد سفهت أَحلامُهُمْ وَعقُولُهم ... وكانوا كَجَفْرٍ شَرَّهَا ضَغَطَت [٦] جَفْرُ

---

(١) أى اشتد . (٢) فى سيرة ابن هشام « وحميت الحرب » .
(٣) يريد أن يقول هنا : إن بكرًا من الإبل أنفع لى منكم، وقد جاء هذا البيت فى سيرة ابن هشام كما يلى : ألا قل لعمرو والوليد ومطعم ألا ليت حظى من حياطتكم بكر
(٤) الوبر: دويبة صغيرة تشبه الهرة . (٥) فى ابن هشام: « جرجمت » : أى انحدرت .
(٦) فى ابن هشام « صنعت » .

بَابُ مَا نَالَ أَصْحَابَ رَسولِ اللهِ مِنَ البَلاَءِ والجَهْدِ

* رجوع الوفد لأبى طالب مرة ثانية :

ثم إن قريشًا مشوا إلى أبى طالب تارة أخرى فكلَّمــوه ، وقالوا : ما نحن يا أبا طالب ، وإن كنت فينا ذا منزلة بسنِّك وشرفك وموضعك ، بتاركى ابن أخيك على هذا حتى نهلكه أو يكف عنا ما قد أظهر بيننا من شتم آلهتنا ، وسبٍّ آبائنا ، وعيب ديننا ، فإن شئت فاجمع لحربنا ، وإن شئت فدع ، فقد أعذرنا إليك ، وطلبنا التخلص من حربك وعداوتك فكل ما نظن أن ذلك مخلص ، فانظر فى أمرك ، ثم اقض إلينا قضاك .

* ما دار بين الرسول ﷺ وعمه أبى طالب :

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى يعقوب بن عُتْبة بن المُغيرة بن الأخْنس أنه حدث أن قريشًا حين قالت لأبى طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له : يا ابن أخى إن قومك قد جاءونى فقالوا : كذا وكذا ، للذى قالوا له، وآذونى قبل ، فأبق علىَّ وعلى نفسك ، ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت ، واكفف عن قومك ما يكرهون من قولك هذا الذى فرق بيننا وبينهم ، فظن رسول الله ﷺ أنه قدْ بَدَا لعمِّه فيه بَداء [(١)] ، وأنه خَاذله ومسلِّمه ؛ وضعف عن نصرته والقيام معه ، فقال رسول الله ﷺ : يا عم لو وضعت الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى [(٢)] ما تركت الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فى طلبه ، ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى ، فلما ولى قال له - حين رأى ما بلغ الأمر برسول الله ﷺ - : أقبل يا ابن أخى ، فأقبل عليه ، فقال : امض على أمرك وافعل ما أحببت ، فوالله لا نسلِّمك بشىء أبدًا .

---

(١) أى ظهر له رأى ، فسمى الرأى بداء ، لأنه شىء يبدو بعدما خفى ، والمصدر البدء، والبدو ، والاسم : البداء .

(٢) خص الشمس باليمين لأنها الآية المبصرة ، وخص القمر بالشمال لأنها الآية الممحوة.

نا يونس عن طلحة بن يحيى بن طلحة بن عُبيد الله عن موسى بن طلحة قال : أخبرنى عقيل بن أبى طَالب قال : جاءت قريش إلى أبى طالب فقالوا : إن ابن أخيك هذا قد آذانا فى نادينا ومسجدنا (١) ، فانهه عنا ، فقال يا عقيل انطلق فأتنى بمحمد ﷺ فانطلقت إليه ، فاستخرجته من خِيس ، يقول بيت صغير ، فجاء به فى الظهيرة فى شدة الحر ، فجعل يطلب الفيء يمشى فيه من شدة الحر الرحَض(٢) ، فلما أتاهم قال أبو طالب : إن بنى عمك هؤلاء قد زعموا أنك تؤذيهم فى ناديهم ومسجدهم ، فانته عن أذاهم ، فحلَّق رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء فقال أترون هذه الشمس ؟ قالوا : نعم ، قال : فما أنا بأقدر على أن أدع ذلك منكم على أن تستشعلوا منها شعلة فقال أبو طالب : والله ما كذبنا ابن أخى فارجعوا .

* شعر أبى طالب فى مساندة ابن أخيه :

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق: ثم قال أبو طالب من شعر قاله حين أجمع لذلك من نُصرة رسول الله ﷺ، والدفاع عنه على ما كان من عداوة قومه وفراقهم له :

والله لَنْ يَصلوا إليه (٣) بجَمعهمْ ... حتَّى أُوسَّدَ فى التُّرابِ دَفينَا
امضى لأمركَ مَا عليك غَضاضةٌ ... وَابْشِر وَقرَّ بذاك منْك عُيونَا
وَدعوتنى وَعلمْتُ أنك نَاصِحٌ ... فَلقد صَدقْتَ وكُنْتَ قدْمًا أَمينا
وَعَرضتَ دينًا قَدْ عرفتُ بأنهُ ... منْ خَير أَدْيان البر َ(٤) دينَا
لولا الملامة أو حَذارِى سُبَّةٌ ... لَوجدتنى سَمْحًا لذاك مُبينا

فلما قالت قريش : لقد سفَّه أحلامنا ، وعَاب ديننا ، وسب آباءنا ، فوالله لا نقر بهذا أبدًا، وقام أبو طالب دون رسول الله ﷺ ، وكان أحب الناس إليه ، فشمَّر فى شأنه ، ونادى قومه ، قال قصيدة تعوذ فيها منهم ، وبادأهم فى آخرها ، فقال :

لما رَأيتُ القَوم لا وُدَّ بَينهُـــمْ ... وَقد قَطَعُوا كل العُرَى والوسائل
وَقَدْ صَارحُونا بالعَداوَةِ والأذَى ... وَقَدْ طَاوَعُوا أَمْرَ العدُوِّ المُزايـــلِ

(١) أى الكعبة التى يطوفون حول الأصنام بها .
(٢) الحر الرحض : أى الحر الذى يكثر العرق بسببه .
(٣) فى بعض المصادر « إليك » .
(٤) جاء فى إحدى المخطوطات : « البرية » وهى الصواب وبدونها يختل وزن البيت عَرُوضيًا ، وكذلك فى تاريخ الإسلام للذهبى « البرية » انظر تاريخ الإسلام قدم له وعلَّق عليه بدوى طه بدوى ط دار الغد العربى .

وَقَدْ حَالفوا قَومًا عَلينـــا أظنـــة ... يعضون غَيْظًـا خَلْفنَا بالأنامـل
صَبرتُ لَهم نَفْسى بِصَفـراء[(١)] سَمْحة ... وأبيضَ عَضْـب من سُيُوف المُقاول[(٢)]
وأحضرتُ عندَ البيت رَهطى وأُسرتى[(٣)] ... وأمسكـتُ مِنْ أثوابه بالوَصـائلِ[(٤)]
عُكُـوفًا مَعًـا مُستقبلين وتَاره[(٥)] ... لَدى حَيث يقضى حلفه كل نافلِ[(٦)]
وَحيث يَنيـخُ الأشعريـونَ ركابهمْ ... بمفضى السُّيول بين سَافٍ[(٧)] ونائل[(٨)]

* مقاطعة قريش بنى هاشم وبنى المطلب :

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : فلما مضى رسول الله ﷺ على الذى بعث به ، وقامت بنو هاشم ، وبنو المطلب دونه ، وأبوا أن يسلموه ، وهم من خلافه على مثل ما قومهم عليه ، إلا أنهم أنفوا أن يستذلوا ، ويسلموا أخاهم لمن فارقه من قومه ، فلما فعلت ذلك بنو هاشم ، وبنو المطلب ، وعرفت قريش أنه لا سبيل إلى محمد ﷺ معهم ، اجتمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بنى هاشم وبنى المطلب ألا يناكحوهم ولا ينكحوا إليهم ، ولا يبايعونهم ولا يبتاعون منهم ، فكتبوا صحيفة فى ذلك ، وكتب فى الصحيفة عكرمة بن هاشم بن عبد منـاف بن عبد الدار ، وعلّقوها بالكعبة ، ثم عدوا على من أسلم فأوثقوهم ، وآذوهم ، واشتد البلاء عليهم ، وعظمت الفتنة فيهم وزلزلوا زلزالاً شديدًا ، فخرج أبو لهب عدو الله يظاهر عليهم قريش ، وقال : قد نصرت اللات والعزى يا معشر قريش ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ تبت يدا أبى لهب ﴾ إلى آخرها .

* شعر صفية عمة رسول الله ﷺ - لقريش :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وقالت صفية بنت عبد المطلب :

---

(١) فى سيرة ابن هشام : « بسمراء » . (٢) أراد بالمقاول : آباءه ، شبههم بالملوك .

(٣) فى سيرة ابن هشام « وإخوتى » .

(٤) الوصائل : ثياب مخططة حمراء ، كان يكسى بها البيت الحرام .

(٥) هذا الشطر جاء فى سيرة ابن هشام هكذا « قيامًا مستقبلين رتاجه » .

(٦) النافل : المتبرئ .

(٧) عند ابن هشام : إساف ، ومن المعروف أن إساف ونائلة كانا رجلاً وامرأة من قبيلة جرهم ، فعلا الفاحشة فى الكعبة فمسخهما الله حجرين ، ومع مرور الأيام قدسهما المشركون وعبدوهم وكانوا يؤدون لهما القرابين .

(٨) هو ترخيم فى غير النداء لضرورة الوزن فى البيت والأصل نائلة فخذف الحرف الأخير

أَلا مَنْ مُبلغٌ عَنّى قُريشًا ... فَفيم الأَمْرُ فـــينَا والإمارُ
لَنَا الأَمرُ المقدَّم قَدْ عَلمتُم ... وَلم تُوقَد لنـــا بالغَدْر نَارُ
مَجَازِيلُ العَطـــا إذَا وَهَبْنَا ... وأَيسَارٌ إذا ابتغـــى اليَسارُ
وكُلَ مَنَاقب الخــيرات فينا ... وَبعضُ الأَمرِ مَنْقَصَةٌ وَعَارُ
فَلا والعَاديات غَـــداةَ جَمْع ... بأيديهَا إذا سَطـــعَ الغُبَارُ
لَنَصْطَبِرَنَّ لأَمْـــر اللهِ حتّى ... يُبيِّنُ ربــــنا أَينَ القَرارُ

• شعر أبى طالب لقريش :

وقال أبو طالب :

أَلاَ أَبْلغَا عنِّى عَـــلى ذَات نَأْيها ... لُؤَيًا وَخُصًّا منْ لُؤَىٍّ بَنى كَعْب
أَلم تعلموا أنا وَجَدْنَا محـــمدًا ... نَبيا كَمُوسى خَطَّ فى أول الكُتُب
وأَنْ عَليـــه فى العباد مَحبةً ... ولَا خَير فيمَنْ خَصَّه اللهُ بالحُبِّ
وأن الذى أَضَفْتُم فى كتابكم ... لَكم كَائن نَحْسًا كَراعية السقب
أَفيقوا أَفيقوا قبل أن تُحفر الثّرى ... ويَصبح من لم يُجْنِ ذَنْبًا كَذى الذَّنْب
ولا تتبعُوا أَمرَ الغواة وتَقْطَعوا ... أَواصرنا بَعْدَ المودة والقُـــرب
وتستجلبوا حَربًا عـــوَانا وربما ... أمر على من ذَاقه حَلَب الحرب
ولسنا ورَبِّ البيت نُسْلِم أَحمدًا ... عَلى الحال مَن عض الزّمان ولاَ كَرب
أَليس أَبونا هَاشمٌ شَـــد أَزرَهُ ... وأَوْصَى بنيه بالطِّعان وبالضرب
ولَسْنا نَمل الحربَ حـــتى تَملّنا ... ولَا نتشكّى مَا ينوبُ منَ النكب
ولَكننا أَهلَ الحفاظ ذوو النهى ... إذا طَار أَرْوَاحُ الكُمَاة من الرُّعُب

وقال أبو طالب :

أَلا أَبْلغَا عنِّى لُؤَيًّا رسَـــالة ... بحقٍّ وَما تُغْنى رسَـــالة مُرْسلِ
بَنى عَمِّنَا الأدنين تَيما نَخصـــهم ... وَأخوتنا من عَبْد شَمـــسٍ ونَوفلِ
أَظاهرتُم قَومًا عَلينـــا ولاية ... وأَمرٌ غَوى مـــنْ غُواة وَجُهلِ
يَقولونَ إنْ قَد قَتلنـــا مُحَمدًا ... أَقَرت نَواصى هَاشـــم بالتذللِ
كَذَبْتُم ورَبِّ الهَدْى تُدْمى نُحورهَا ... بمكة والرُّكنِ العتيقَ المقبـــلِ
تَنَاولونه أو تُعْطِلونَ لِقَتْله صَوارم ... تَفْرى كُلَّ عَظْمٍ ومَفْصَـــلِ

وَتَدعو بَوَيْلٍ أنتم إنْ ظَلمتُم ... مُقَابله فى يوم أغر محجـــل
فَمَهلا وَلما تَنْجَح الحرب بَكْرها ... وَيَأتى تماما أو بآخــــر مَعْجَلِ
وَإنا مَتَى مَا نَمْرُهَا بِســـيُوفنَا ... تجَلْجَل وتَعْرك مَنْ نَشـــا بِكَلْكَلِ
وَيعلو رَبِيع الأبْطحَين مُحمــــد ... عَلَى رَبْوة مِنْ رَأس عَنْقاء عَيْكَلِ (١)
وَيَأوى إليها هَاشِمٌ إنَّ هَاشماً ... عَرانين كَعْبَ آخــــر بعد أوّل
فَإن كَنتم تَرجونَ قَتل مُحمد ... فَروموا بما جَمـــعتم نَقل يَذْبلِ (٢)
فَإنا سَنَمنَعه بـكـــل طُمرةً ... وذى مَيْعة نهـــد المَرَاكل هيْكل
وَكل رَدينى طُـــمى كُعُوبَة ... وعضب كَما مَاضَ الغَمـــامة مفْصَلِ
بِأيمان شُم مِنْ ذؤابَة هَاشمٍ ... مُغَاوير بالأبَطـــال فى كل مَحْفَلِ

* أبو طالب يدعو رب البيت على قاطع المحارم :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فلما سمعت قريش بذلك ، ورأوا منه الجد وأيسوا منه ، فأبدوا لبنى عبد المطلب الجفاء ، فانطلق بهم أبو طالب فقاموا بين أستار الكعبة ، فدعوا الله على ظلم قومهم لهم ، وفى قطيعتهم أرحامهم واجتماعهم على محاربتهم ، وبتأولهم سفك دمائهم ، فقال أبو طالب : اللهم إن أبى قومنا إلا النصر علينا ، فعجِّل نصرنا ، وحل بينهم وبين قتل ابن أخى ثم أقبل إلى جمع قريش وهم ينظرون إليه وإلى أصحابه ، فقال أبو طالب : ندعو برب هذا البيت على القاطع المنتهك للمحارم ، والله لتنتهنَّ عن الذى تريدون ، أو لينزلن الله بكم فى قطيعتنا بعض الذى تكرهون ، فأجابوه إنكم يا بنى عبد المطلب لا صلح بيننا وبينكم ولا رحم إلا على قتل هذا الصبى السفيه .

* قريش تحاصر بنى هاشم وبنى المطلب فى شعبهم :

ثم عمد أبو طالب فأدخل الشعب ابن أخيه وبنى أبيه ومن اتبعهم من بين مؤمن دخل لنصرة الله ، ونصرة رسول الله ﷺ ، ومن بين مشرك يحمى ، فدخلوا شعبهم ، وهو شعب فى ناحية من مكة ، فلما قدم عمرو - عمرو بن العاصى - وعبد الله بن أبى ربيعة إلى قريش وأخبروهم بالذى قال النجاشى لمحمد ﷺ

(١) العيكل : هو الجبل العظيم من الرمال .

(٢) يقول لهم هنا لا تستطيعون قتل محمد كما لا تستطيعون نقل جبل يَذبل بنجد ، وهذا منتهى التحدى لهم ومساندته ومؤازرته لابن أخيه .

وأصحابه ، اشتد وجدهم ، وآذوا النبى وأصحابه أذى شديدًا وضربوهم فى كل طريق وحصروهم فى شعبهم وقطعوا عنهم المادة من الأسواق ، فلم يدعوا أحدًا من الناس يُدخل عليهم طعامًا ولا شيئًا مما يرفق بـــهم ، وكانوا يخرجون من الشعب إلى الموسم ، وكانت قريش تبادرهم إلى الأسواق فيشترونها ويغلونها عليهم ، ونادى منادى الوليد بن المغيرة فى قريش : أيما رجل وجـدتموه عنده طـــعام يشتريه فزيدوا عليه .

* الوليد بن المغيرة يؤذى أهل الرسول ﷺ :

نا يونس عن عيسى بن عبد الله التيمى عن الربيع بن أنس قال : نزلت فى الوليد بن المغيرة : ﴿ **عُتُلٍّ بعد ذلك زنيم** ﴾ (١) قال : فاحش مع ذلك لئيم .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق فى حديثه عن الوليد : فمن رأيتموه عند طعام يشتريه فزيدوا عليه (٢) ، وحولوا بينهم وبينه ومن لم يكن عنده نقد فليشتر وعلىّ النقد ، ففعلوا ذلك ثلاث سنين حتى بلغ القوم الجهد الشديد ، وحتى سمعوا أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب ، وكان المشركون يكرهـــــون ما فيه بنو هاشم من البلاء ، حتى كره عامة قريش ما أصاب بنى هاشم ، وأظهروا لكراهيتهم لصحيفتهم القاطعة الظالمة التى تعاهدوا فيها على محمد ﷺ ورَهطه ، وحتى أراد رجال منهم أن يبرءوا منها ، وكان أبو طالب يخاف أن يغتالوا رسول الله ﷺ ليلا أو سرًا ، فكان رسول الله ﷺ إذ أخذ مضجعه أو رقد بعثه أبو طالب عن فراشه وجعله بينه وبين بنيه خشية أن يقتلوه ؛ وتصبح قريش فيسمعوا من الليل أصوات صبيان بنى هاشم الذين فى الشعب يتضاغون من الجوع ، فإذا أصبحوا جلسوا عند الكعبة فيسأل بعضهم بعضًا ، فيقول الرجل لصاحبه : كيف باتَ أهْلك البارحة ؟ فيقول : بخير ، فيقول : لكن إخوانكم (٣) هؤلاء الذين فى الشِّعب بات صبيانهم يتضاغون (٤) من الجوع حتى أصبحوا ، فمنهم من يعجـبه ما يلقى محمد ﷺ ورهطه ، ومنهم من يكره ذلك ، فقال أبو طالب ، وهو يذكر ما طلبوا من محمد ﷺ ، وما حشدوهم فى كل موسم يمنعونهم أن يبتاعوا بعض ما يصلحهم ، وذكر فى الشعر :

---

(١) سورة القلم : الآية ١٣ . (٢) أى أغلوا عليه فى السعر .

(٣) يقصد بنى هاشم وبنى المطلب . (٤) أى يتألمون ويصرخون .

أَلا مَنْ لَهَم آخرِ الليْلِ مُعْتم … طوانى وأُخرى النجم لم يُتقَحَّم
طَوانى وقـــد نَامتْ عيونٌ كَثيرةٌ … وَسائرُ أُخرى سَاهر لَم يُنوم
لأَحلامِ أقوامٍ أرادوا محمـــداً … بسوءٍ ومن لا يتَّقى الظلم يُظلمِ
سَعوا سَفهاً واقتادهم سُوء رأ … يهم على قائل من رأيهم غَير محكمِ
رَجاء أُمور لم ينَالوا نِظَامهـــا … وإنْ حَشدوا فى كل نَفر وموسمِ
يَرجون أَنْ نَسْخَا بقَتل محمدٍ … ولَم تختضب سمرَ العوالى من الدمِ
يَرجون منَّا خطـــة دون نَيلها … ضراب وَطَعن بالوشيجِ المقوم
كَذبتُم وَبيتُ الله لاَ تقتلونَهُ … جَماجم تُلْقى بالحطيم وزَمزم
وتُقْطَع أَرحامٌ وتَنْسَى حليلةٌ … حَليلها ونغشا محرماً بعد محرمِ
وَينهض قَوم فى الدروعِ إليكم … يَذُبُّونَ عن أحَسابهم كل مجرمِ

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق : فأقامت قريش على ذلك من أمرهم فى بني هاشم وبنى المطلب سنتين أو ثلاثاً ، حتى جهد [1] القوم جهداً شديدًا لا يصل إليهم شىء إلا سرًّا ، أو مستخفًا ممن أراد صلتهم من قريش ، فبلغنى أن حكيم بن حزام خرج يومًا ومعه إنسان يحمل طعامًا إلى عمته خديجة ابنة خويلد ، وهى تحت رسول الله ﷺ ، ومعه فى الشعب ، إذ لقيه أبو جهل فقال : تذهب بالطعام إلى بنى هاشم والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضـــحك عند قريش ، فـــقال له أبو البخترى بن هاشم بن الحارث بن أســد : تمنعه أن يرسل إلى عمته بطعام كان لها عنده ، فأبى أبو جهل أن يدعه ، فقام إليه أبو البَخْترى بساق بعير فشجه ووطئه وطئًا شديدًا ، وحمزة بن عبد المطلب قريبًا يرى ذلك وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله ﷺ وأصحابه فيشمتوا بهم ، فقال أبو البخترى بن هاشم فى ذلك :

ذُقْ يَا أَبا جَهْلٍ لَقيتَ غَما … كَذلك الجَهْلُ يَكونُ ذَمَّا
سَوف تَرى عُودى إن ألما … كَذلك اللومِ يعَودُ ذَمَّـــا
تَعلَّم أَنَّا نفرج المَهــما … ونمنع الأَبْلَج أَنْ يَطمـــا

(١) أى تعبوا تعبًا شديدًا

* **ما فعله الله بالصحيفة :**

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم إن الله عز وجل برحمته أرسل على صحيفة قريش التى كتبوا فيها تظاهرهم على بنى هاشم ، الأَرَضَة [1] ، فلم تدع فيها اسم هو لله عز وجل إلا أكلته ، وبقى فيها الظلم والقطيعة والبهتان [كذا] ، فأخبر الله عز وجل بذلك رسول الله ﷺ ، فأخبر أبا طالب ، فقال أبو طالب : يا ابن أخي من حدَّثك هذا ، وليس يدخل إلينا أحد ، ولا تخرج أنت إلى أحد ، ولست فى نفسى من أهل الكذب ، فقال له رسول الله ﷺ أخبرنى ربى هـذا ، فقال له عمه : إن ربك لحق ، وأنا أشهد أنك صادق ، فجمع أبو طالب رهطه ولم يخبرهم بما أخبره به رسول الله ﷺ كراهية أن يفشوا ذلك الخبر فيبلغ المشركين ، فيحتالوا للصحيفة الخبث والمكر ، فانطلق أبو طالب برهطه حتى دخلوا المسجد ، والمشركون من قريش فى ظل الكعبة ، فلما أبصروه تباشروا به ، وظنوا أن الحصر والبلاء حملهم على أن يدفعوا إليهم رسول الله ﷺ فيقتلوه ، فلما انتهى إليهم أبو طالب ورهطه رحبوا بهم وقالوا : قد آن لك أن تطيب نفسك عن قتل رجل فى قتله صلاحكم وجماعتكم ، وفى حياته فرقتكم وفسادكم ! فقال أبو طالب : قد جئتكم فى أمر لعله يكون فيه صلاح وجماعة فاقبلوا ذلك منا ، هلموا صحيفتكم التى فيها تظاهركم علينا ، فجاءوا بها ، ولا يشكون إلا أنهم سيدفعون رسول الله ﷺ إليهم إذا نشروها ، فلما جاءوا بصحيفتهم قال أبو طالب : صحيفتكم بينى وبينكم ، وإن ابن أخى قد خبرنى - ولم يكذبنى - أن الله عز وجل قد بعث على صحيفتكم الأرضة ، فلم تدع لله فيها اسمًا إلا أكلته وبقى فيها الظلم والقطيعة والبهتان ، فإن كان كاذبا فلكم على أن أدفعه إليكم تقتلونه ، وإن كان صادقًا فهل ذلك ناهيكم عن تظاهركم علينا ؟ فأخذ عليهم المواثيق ، وأخذوا عليه ، فلما نشروها فإذا هى كما قال رسول الله ﷺ ، وكانوا هم بالغدر أولى منهم ، واستبشر أبو طالب وأصحابه ، وقالوا : أينا أولى بالسحر والقطيعة والبهتان ؟ فقال المُطْعم بن عدى بن نوفـل بن عبد مناف ، وهشام بن عمرو ، أخو عامر بن لؤى بن حارثة ، فقالوا : نحن براء من هذه الصحيفة القاطعة العادية الظالمة ، ولن أغالى أحدًا فى فساد أنفسنا وأشرافنا

(١) الأرضة : دويبة بيضاء تشبه النملة ، تظهر أيام الربيع ، انظر المعـجم الوجيز ص ١٣ .

وتتابع على ذلك ناس من أشراف قريش ، فخرج أقوام من شِعبهم وقد أصابهم الجهد الشديد ، فقال أبو طالب فى ذلك من أمر محمد ﷺ وما أرادوا من قتله :

تَطاوَل لَيلى بِهَمٍّ وَصَبْ ... ودَمْعٍ كَسَحِّ السِّقَاء السَّرِبْ
للعب قُصَى بأحْلامِهــا ... وَهل يَرجع الحِلْم بَعد اللّعَبْ
وَنفى قُصَــى بَنى هاشم ... كَنفى الطُهاة لِطاف الحطَبْ
وَقولٌ لأحمــدَ أَنتَ امرءٌ ... خَلوفُ الحديث ضَعيف النَّسَبْ
وإنْ كَان أحــمد قَد جاءهم ... بِحقٍّ ولَم يأتهــم بالكَذِبْ
عَلى أن إخــوَتَنا وَازروا ... بَنى هَاشــمٍ وبَنى المطلبْ
هُما أخوان كَعظم اليَمين ... أَمرَّ عَلينـــا كَعقد الكَرِب
فَيا لَقُصَى أَلم تخبروا بما ... قد مضَى من شــؤون العَرب
فلا تمسكـــن بأيديكم ... بعد الأنوف بعجب الذنبْ
عَلام عـــلام تَلافيتُم ... بأمر مُزاح وحِــلْم عَزِبْ
وَرمتُم بِأَحْمــدَ مَا رُمتم ... عَلى الأصرات وقُرْبِ النَّسبْ
فإنّى وَما حج من رَاكِب ... لكَعبـــة مكَّةَ ذات الحُجُبْ
تنالون أحمـــداً وتَصْطَلوا ... ظُبات الرِّمَاح وحَدَّ القَضَبْ
وتغتـــرفوا بَيْن أبياتكم ... صُدُورَ العَوالى وَخَيْل عُصبْ
تراهن من بين صَافى السبيبْ ... قَصير الحـــزام طَويلِ اللبب
وَجَرْداء كالطير سَمْحوجة ... طَواها المقـــانعُ بَعْدَ الحَلبْ
عَليها صَناديدٌ (١) مِنْ هَاشم ... هم الأنجبـــونَ مع المنتجبْ

وقال أبو طالب فى شأن الصحيفة حين رأى قومه لا يتناهون وقد رأوا فيها العلم من العلم ما رأوا :

---

(١) الصناديد : أى الأكابر والزعماء .

أَلا مَنْ لَهمٍّ آخر الليلِ منصب ... وشِعْب العَصَا مِنْ قَوْمك المتشعِّب
وَحَرْبُ أبينا من لُؤَىٍّ بن غالب ... مَتى ما تُزاحمها الصحيفة تَحرب
إذا ما مُشير قَام فيها بخُطَّةٍ ... الذؤابة ذنـــباً وليس بمذنب
وَمَا ذَنبُ مَن يَدْعُو إلى البر والتُّقى ... ولَم يَسْتَطِع أَنْ يأرب الشعب يَأرب
وَقد جَرَّبوا فيما مضى غب أمرهم ... وَما عَالم أمرًا كَمن لم يُجَرِّب
وَقد كان فى أَمْر الصَّحيفة عبرة ... مَتى ما يخـــبر غَائب القوم يُعْجب
مَحى اللهُ منها كُفْرَهم وعقُوقَهم ... ومَا نقَموا من بَاطِل الحق مُعْرب
فَأصبح مَا قالوا من الأمر بَاطلا ... ومن يَخْتلق مَا لِيس بالحق يُكْذَب
وَأمسى ابنُ عَبْد الله فينا مُصدَّقاً ... على سَخْط من قَوْمنا غيَر معْتب
فلا تَحسبوا يَا مُسْلمينَ مُحمداً ... لـــذى غُرْبة منَّا وَلا مُتَغرب
سَتَمنَعــــــهُ منَّا يَدٌ هاشميَّةٌ ... مَركبهـــا فى النَاس خَيْر مَرْكَب

فلما بادأهم أبو طالب بالعداوة (١) ، وباداهم بالحرب ، عدت قريش على من أسلم منهم فأوثقوه وآذوه واشتد البلاء عليهم ، وعظمت الفتنة فيهم ، وزلزلوا زلزالاً شديدًا ، وعدت بنو جمح على عثمان بن مظعون ، وفر أبو ســـلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم إلى أبى طالب ليمنعه ، وكان خاله فجاءت بنو مخزوم ليأخذوه ، فمنعهم ، فقالوا : يا أبا طالب منعتنا ابن أخيك أتمنع منا ابن أخينا ؟! فقال أبو طالب : أمنع ابن أختى مما أمنع ابن أخى ، فقال أبو لهب - ولم يتكلم بكلام خير قط ليس يومئذ - : صدق أبو طالب لا يسلمه إليكم ، فطمع فيه أبو طالب حين سمع منه ما سمع ، ورجا نصره والقيام معه ، فقال شعرًا استجلبه بذلك :

---

(١) كان حق هذه الرواية أن تأتى سابقا ، لأن الحديث عن انتهاء الصحيفة ، وفك الحصار من الشعب تم فى الصفحة السابقة ، أما هذا الكلام وما بعده فكان حقه أن يأتى مقدمًا مع غيره من الروايات فى نفس الموضوع وهو خبر الصحيفة وإيذاء المشركين وحصار الرسول وأهله فى الشعب ، وهذا دليل أن ابن إسحاق كان يدمج الروايات ببعضها ، وقد مر فيما سبق شىء من هذا .

وَإِنَّ امْرَءًا أبـــو عُتيبة عَمه ... لفى رَوضة من أن يسام المظالما
أَقولُ لَـــه وأينَ منِّى نصيحتى ... أَبا مُعتبٍ ثَبِّت سوادك قَائمـــا
وَلا تُقْبلن الدهر مَا عشتَ خطة ... تسبُّ بِها لمـــا هَبطتَ المواسما
وَحارب فإن الحربَ نصفٌ ولَنْ ترى ... أَخَا الحرب يُعْطِى الضيم إلاَّ مُسَالما
وَولى سَبِيل العَجْزِ غَيركَ مِنْهم ... فَإنكَ لَنْ تَلْحَق على العَجْز لاَزما

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم إنه قام فى نقضِ الصحيفة التى تكاتبت قريش على بنى هاشم ، وبنى المطلب ، نفر من قريش ، ولم يبل أحد فيها بلاء أحسن بلاء من هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن خُزيمة بن نَصر ابن مالك بن حِسل بن عامر بن لُؤى ، وذلك أنه كان ابن نَضْلة بن هاشـــم بن عبد مناف لأمه ، وكان عمرو ونضلة أخوين لأم ، وكان هشام لبنى هاشم واصلاً ، وكان ذا شرف فى قومه ، وكان فيما بلغنى يأتى بنى المغيرة وبنى هاشم وبنى المطلب فى الشعب ليلاً ، قد أوقر جملاً طعامًا ، حتى إذا أقبله فى الشِّعب حل خطامه من رأسه ثم ضرب جنبه ، فدخل الشعب عليهم ، ويأتى به قد أوقره بُرًّا أو بزا فيفعل به مثل ذلك .

ثم إنه مشى إلى زهير بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكانت أمة عاتكة بنت عبد المطلب ، فقال لزهير : قد رضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء ، وإخوانك حيث قد علمت لا يباعون ولا يباع منهم ، ولا ينكحون ولا ينكح إليهم ، ولا يأمنون ولا يؤمن عليهم ، أما إنى أحلف بالله لو كانوا أخوال أبى الحكم بن هشام ثم دعوته إلى مثـل ما دعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبدا، قال : ويحـــك فما أصنع وأنا رجل واحد ؟! قال : فقال : قد وجدت ثانيًا ، قال : ومن هو ؟ قال : أنا أقوم معك فقال له زُهير : أبغنا ثالثا ؛ قال : وذهب إلى المطْعِم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف فقال له يا مُطْعِم قد رضيت أن تهلك بطن من بنى عبد مناف وأنت شاهد على ذلك موافق عليه ، أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنهم إليها سراعًا منكم ، فقال : ويحك فما أصنع إنما أنا رجل واحد ؟! فقال : قد وجدت ثانيًا ، قال : فمن هو ؟ قال أنا ، قال : فابغنا ثالثًا ، قال : قد فعلت ، قال : ومن هو ؟ قال : زهير بن أبى أمية ، قال : فابغنا

رابعًا يتكلم معنا ، قال : فذهب إلى أبى البَخْتَرى بن هشام فذكر قرابتهم وحقهم ، فقال : هل من أحد يعين على هذا ؟ قال : نعم ، المطعم بن عدى ، وزهير بن أبى أمية ، فقال : أبغنا خامسًا ، فذهب إلى زمْعَة بن الأسود بن المطلب بن أسد فكلمه ، وذكر له قرابتهم وحقهم ، فقال له زمعة : هل معك على هذا الأمر الذى تدعونى إليه من أحد ؟ فقال : نعم ثم سمى له القوم ، فتواعدوا عند خَطم الحجون ليلاً بأعلى مكة ، فاجتمعوا هناك وأجمعوا أمرهم ، وتعاهدوا على القيام فى الصحيفة حتى ينقضوها ، فقال زُهير : أنا أبدأ فأكون أولكم .

* حديث نقض الصحيفة :

فلما أصبحوا غدوا على أنديتهم ، وغدا زهير بن أبى أمية فى حُلة له فطاف بالبيت سبعًا ، ثم أقبل على الناس فقال : يا أهل مكة أنأكل الطعام ونشرب الشراب ، ونلبس الثياب ، وبنو هاشم وبنو المطلب هلكى لا يباعون ولا يباع منهم ، ولا ينكحون ولا ينكح إليهم ، والله لا أذوق طعامًا ولا شرابًا حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة ، فقال أبو جهل ، كذبت والله - وهو فى ناحية المسجد - لا تشق هذه الصحيفة ، فقال زمعة بن الأسود : بل أنت والله أكذب ، ما رضينا كتابها حين كتبت ، فقال أبو البخْترى : صدق زمْعَة بن الأسود ، لا نرضى بما كتب فيها ولا نعرفه ، فقال المُطْعِم بن عدى صدقتما وكذب من قال غير ذلك ، نبرأ إلى الله عز وجل منها ومما كتب فيها ، وقال هشام بن عمرو مثل ما قالوا فى نقضها وردها ، فقال أبو جهل : هذا أمر قضى بليل تشوور فيه - يعنى بغير هذا المكان - وأبو طالب جالس فى ناحية المسجد يرى ما يصنع القوم ، ثم إن المطعم بن عدى قام إلى الصحيفة فشقها فوجد الأرضة قد أكلها (١) إلا باسمك اللهم(٢) وكان الذى كتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار فشلت يده فيما يزعمون ، والله أعلم .

فلما مزقت وبطل ما فيها قال أبو طالب فى ذلك مما كان فى أمر أولئك النفر فى نقضها يمدحهم :

---

(١) عند ابن هشام « أكلتها » .

(٢) فى أول الموضوع أنها لم تترك إلا الظلم .

أَلا هَلْ أَتى الأَعْدَاء رَأْفة رَبِّنَا ... عَلى نَأْيهم وَاللهِ بالناس أَرْود
فَيُخْبِرهم أن الصحيفةَ مُزِّقَتْ ... وأَنْ كل ما لم يَرْضَه الله مُفْسد
تَداعى لها إِفْكٌ وَسِحْرٌ مُجمعٌ ... ولم يَلف سِحْر آخر الدهر يصْعَد
تَداعى لها مَنْ لَيس فِيها بقُربة ... فَطائرها فى وَسْطِهـــا يتَردد
أَلم تَكُ حـــقا وقعة صيلمية ... ليقطع فيها ساعـــد ومُقَلد
وَيظْعَنُ أَهل ماكثـــون فَيهربوا ... فَرائصهم من خـــشية الموت ترعد

● **عمرو وعمارة وذهابهما إلى الحبشة :**

نا أحمد : نا يونس عن ابن إســحاق قال : وقد كان عمارة بن الوليد بن المغيرة ، وعمرو بن العاص بعد مبعث رسول الله ﷺ ، ومشى قريش بعُمارة إلى أبى طالب قد خرجا تاجرين إلى أرض الحبشة ، وكانت لقريش ملجأ ووجهًا ، وهما على شركهما ، وكلاهما كان شاعرًا غازيًا فاتكا ، وكان عمارة رجلاً جميلاً وسيمًا ، يفتن النساء ، صاحب محادثة ، فركب البحر ، ومع عمرو بن العاص امرأته حتى إذا سارا فى البحر ليالى أصابا من خمر معهما ، فلما انتشى عمارة بن الوليد قال لامرأة عمرو قبلينى ، فقال عمرو : قبلى ابن عمك ، فقبلته ، فألقاها عُمارة بن الوليد فجعل يريدها عن نفسها ، فامتنعت منه ثم إن عمراً قعد على منجاف [(١)] السفينة يبول فدفعه عمارة فى البحر ، فلما وقع فيه سبح حتى أخذ بمنجاف السفينة ، فقال له عمارة : أما والله لو عرفت يا عمرو أنك تسبح ما طرحتك ، ولكن كنت أظنك لا تحسن السباحة ، فلما قال ذلك عمارة لعمرو ضغن عليه عمرو فى نفسه ، وعرف أنه قد أراد قتله ومضيا فى وجههما حتى قدما أرض الحبشة كتب عمرو إلى أبيه العاصى ابن وائل أن اخلعنى وتبرأ من جريرتى إلى بنى المغيرة وجميع بنى مخزوم ، وخشى على أبيه أن يتبع بجريرته، فلما قدم الكتاب على العاصى مشى إلى رجال من بنى مخزوم ، ورجال من بنى المغيرة فقال : إن هذين الرجلين قد خرجا حيــث قد علمتم ، وكلاهما فاتك صاحب شر ، غير مأمونين على أنفسهما : ولا أدرى ما يكون ، إنى أتبرأ إليكم من عمرو وجريرته فقد خلــعته ، فقالـــت له عند ذلك بنو المغيرة ورجال من بنى مخزوم : وأنت تخاف عمراً على عمارة ونحن قد خلعنا عمارة وتبرأنا إليك من جريرته ، فخلِ بين الرجلين ، فقال : قد فعلت ، فخلعوهما وتبرأ كل واحد من صاحبهم ، ومما جرَّ عليهم .

---

(١) هو : مؤخرة السفينة الذى يحدد اتجاهها وتتجه به يمينًا ويسارًا .

فلما اطمأنا لم يلبث عمارة أن دب [١] لامرأة النجاشي [٢] ، وكان رجلاً جميلاً وسيمًا ، فأدخلته فاختلف إليها ، وجعل إذا رجع من مدخله ذلك يحدث عمرًا بما كان من أمره ، فجعل عمرو يقول : ما أصدقك إنك قدرت على هذا ، شأن المرأة أرفع من هذا ! فلما أكثر عليه عمارة ، وكان عمرو قد صدقه وعرف أنه قد دخل عليها ، ورأى من هيئته وما يصنع به والذهاب إذا أمسى وبيتوتته عنه حتى يأتى من السَّحر [٣] ما عرف به فى ذلك ، وكانا فى منزل واحد ، ولكنه كان يريد أن يأتيه بشىء لا يستطيع دفعه إن هو رفع شأنه إلى النجاشى ، فقال له فى بعض ما يذكر له من أمرها : إن كنت صادقًا أنك بلغت منها ما تقول ، فقل لها فلتدهنك من دهن النجاشى الذى لا يدهن به غيره ، فإنى أعرفه ، وائتنى منه بشىء حتى أصدقك بما تقول ، قال : أفعل ، قال : فجاءه فى بعض ما يدخل عليها ، فدهنته وأعطته منه شيئًا فى قارورة ، فلما شمه عمرو عرفه ، وقال له عند ذلك أشهد أنك قد صدقت ، ولقد أصبت شيئًا ما أصاب أحد من العرب مثله ، امرأة الملك ، ما سمعنا مثل هذا ، وكانوا أهل جاهلية ، وكان ذلك فى أنفسهم فضلا لمن أصابه وقدر عليه ، ثم إنه سكت عنه حتى إذا اطمأن دخل عمرو على النجاشى فقال : أيها الملك معى سفيه من سفهاء قريش ، وقد خشيت أن يعزى [٤] عندك أمره ، وقد أردت أن أرفع إليك شأنه ولم أعلمك ذلك حتى استثبت أنه قد دخل على بعض نسائك فأكثر ، وهذا دهنك قد أعطته وادهن به ، فلما شم النجاشى الدهن ، قال : صدقت هذا دهنى الذى لا يكون إلا عند نسائى ، ثم دُعى بعُمارة بن الوليد ، ودعا بالسواحر فجردنه من ثيابه ثم أمرهن فنفخن فى إحليله ، ثم خلى سبيله فخرج هاربًا فى الوحش [٥] ، فلم يزل بأرض الحبشة حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فخرج إليه رجال من بنى المغيرة منهم عبد الله بن أبى ربيعة بن المغيرة ، وكان اسم عبد الله قبل أن يسلم بجير ، فلما أسلم سمَّاه رسول الله ﷺ عبد الله ، فرصده بأرض الحبشة بماء كان يرده مع الوحش ، فذكروا أنه أقبل فى حمُر من حمُر الوحش يرد معها ، فلما

(١) أى : مشى رويدًا يريد فتنتها .

(٢) النجاشى : هو ملك الحبشة ، وكان ملكاً لا يظلم عنده أحد .

(٣) السَّحر : آخر الليل قبيل الفجر .

(٤) بمعنى ينتشر ويتفشى .

(٥) أى فى الصحراء مع الوحوش .

وجد ريح الإنس هرب حتى أجهده العطش ، فورد فشرب حتى إذا امتلأ خرجوا فى طلبه ، قال عبد الله بن أبى ربيعة : فسبقت إليه فالتزمته ، فجعل يقول : أى بجير أرسلنى فإنى أموت إن أمسكتنى ، قال عبد الله : فضـــبطته فمات فى يدى مكانه ، فواريته ثم انصرفنا ، وكان شَعره فيها يزعمون قد غطى كل شىء منه ، فقال عمرو ، وهو يذكر ما صنع به وما أراد من امرأته :

تَعْلم عُمار أنْ منْ شَر شيمَةٍ ... بمثلك أنْ يَدعا ابن عَم لكائن مَا
أإن كُنتَ ذَا بُرْدَين أحْوَى مُرحَلاً ... فَلست تَرأى لابَن عَمِّك مَحْرمَا
إذَا المرءُ لم يترك طعاماً يُحبُّه ... ولَم يَنْهَ قَلباً غاوياً حيـــث يمَّمَا
قَضى وَطَرًا منها يسيرًا فَأصبحتْ ... إذَا ذُكرت أمثـــاله تَملأ الفَما
أَصبتُ من الأمر الدقيـق جليلَهُ ... وعَيشاً إذا لاقيـــت من قَدْ تَلوَّما
ألا فَارفع عَنْ مَطامـــع خَشْيَة ... وعَالجِ أمر المجـــد لاَ يتندما
فَليس الفتـــى وإن أنمت عُرُوقَه ... بِذى كَرم إلا بـــأن يتكرَّمَا

*   *   *

إسلام حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه [١]

* **سبب إسلامه :**

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فحدثنى رجل من أسلم [٢] ، وكان واعية أن أبا جهل اعترض رسول الله ﷺ عند الصفا ، فآذاه وشتمه ونال منه ما يكره من العيب لدينه ، والتضعيف له ، فلم يكلمه رسول الله ﷺ ، ومولاة لعبد الله بن جدعان التَّيْمى فى مسكن لها فوق الصفا تسمع ذلك ، ثم انصرف عنه فعمد إلى نادى [٣] لقريش عند الكعبة ، فجلس معهم ، ولم يلبث حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوشحًا قوسه ، راجعًا من قنص له ، وكان إذا فعل ذلك لا يمر على نادٍ من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم ، وكان أعز قريش وأشدها شكيمة ، وكان يومئذ مشركًا على دين قومه ، فلما مر بالمولاة وقد قام رسول الله ﷺ فرجع إلى بيته ، فقالت له : أبا عمارة [٤] لو رأيت ما لقى ابن أخيك من أبي الحكم آنفًا قبيل ، وجده هاهنا فآذاه وشتمه وبلغ منه ما يكره ، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد ، فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله عز وجل به من كرامته ، فخرج سريعًا لا يقف على أحد كما كان يصنع يريد الطواف بالبيت ، مُعداً لأبى جهل أن يقع به ،

---

(١) هو عم النبى ﷺ كان إسلامه فى السنة الثانية من البعثة ، وكان إسلامه هو وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما عزا ونصرًا للإسلام فى بدايته وكيدًا للكافرين وتخفيفًا لأذاهم عن رسول الله وقد هاجر حمزة إلى المدينة ، وشهد بدرًا وأبلى فيها بلاء حسنًا ، واستشهد رضي الله عنه فى غزوة أحد ، وقاتله وحشى ، وحزن النبى ﷺ لفراقه حزنًا شديدًا لدرجة أن وحشيا قاتله أسلم فيما بعد وجاء إلى الرسول فلم يطق النبى ﷺ رؤية قاتل عمه - رغم إسلامه - وطلب منه أن يعيش خارج المدينة ونفذ وحشى رغبة الرسول ﷺ .

(٢) أى من بنى أسلم .

(٣) النادى : المكان الذى يجتمع فيه القوم إذا أنهوا أعمالهم . فيلتقون فيه ويتسامرون ويتعرفون أخبار بعضهم ، وقد يطلق لفظ « نادى » ويراد به الناس المجتمعون فيه وليس المكان مثل قوله تعالى : ﴿ فليدع ناديه ﴾ أى فليدع قومه وعشيرته ، وهذا فى البلاغة يسمى مجازا مرسلا علاقته المحلية .

(٤) كان يكنى أبا عمارة ، وقد سماه النبى ﷺ أسد الله لشجاعته وبسالته وبلائه الحسن .

فلما دخل المسجد نظر إليه جالسًا فى القوم ، فأقبل نحوه حتى قام على رأسه ، رفع القوس وضربه بها ضربة شجه بها شجة منكرة ، وقامت رجال من قريش من بنى مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل منه ، فقالوا : ما تراك يا حمزة إلا قد صبأت ؟! فقال حمزة : وما يمنعنى منه وقد استبـان لى منه ذلك ، وأنا أشهد أنه رسول الله ، وأن الذى يقول حق ، فوالله لا أنزع فامنعونى إن كنتم صادقين ، فقال أبو جهل : دعوا أبا عمارة فإني والله لقد سببت ابن أخيه سبًّا قبيحًا ، وتم حمزة على إسلامه وعلى ما بايع عليه رسول الله ﷺ من قوله .

* حمزة يهجو أبا جهل ويعتز بإسلامه :

فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع وأن حمزة سيمنعه ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه ، فقال فى ذلك شعرًا حين ضرب أبا جهل وأسلم :

ذُقْ يَا أبا جَهْلٍ بَما عسَيتْ ... منْ أَمرك الظالمِ إذْ مَشيتْ
سَتسعط الرغم بما أتَيتْ ... تُؤذى رَسولَ الله إذْ نَهيتْ
عَنْ أمرك الظالم إذْ عَتيتْ ... لَو كُنت تَرجو اللهَ مَا شَقيتْ
وَلا تَركتَ الحقَ إذْ دُعيتْ ... وَلا هَويتْ بعَدما هَويتْ
تُؤذى رَسولَ الله قَد غَويتْ ... مَا كُنت حبًّا بعدما غَدرتْ
فَحتى تَذوق الخزى قد لَقيتْ ... فَقَد شَفيت النفس وأَشفَيتْ

* الشيطان يوسوس لحمزة ليترك الإسلام :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم رجع حمزة إلى بيته فأتاه الشيطان فقال أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابئ ، وتركت دين آبائك ، للموت كان خير لك مما صنعت فأقبل على حمزة بثه [1] فقال : ما صنعت اللهم ، إن كان رشدًا فاجعل تصديقه فى قلبى ، وإلا فاجعل لى مما وقعت فيه مخرجًا ، فبات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان وتزيينه حتى أصبح ، فغدا على رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخى إنى قد وقعت فى أمر لا أعرف المخرج منه وإقامة مثلى على ما لا أدرى

(١) البث : الحزن الذى لا يصبر عليه صاحبه .

ما هو أرشد هو أم غى شديدة ؟ فحدِّثنى حديثًا فقد اشتهيت يا ابن أخي أن تحدثنى ، فأقبل رسول الله ﷺ فذكره ووعظه وخوَّفه وبشَّره ، قال : فألقى الله عز وجل فى نفسه الإيمان بما قال رسول الله ﷺ ، فقال أشهد أنك صادق ، شهادة الصدق العارف ، فأظهر يا ابن أخى دينك [١]، فوالله ما أحب أن لى ما أظلته السماء وأنى على دينى الأول فكان حمزة ممن أعز الله به الدين .

* **حمزة يحمد الله على إسلامه :**

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وقال حمزة بن عبد المطلب :

حَمدتُ اللهَ حين هدى فُؤادى ... إلى الإسلام والدين الحَنيف
لدين جاءَ مـن رب عَزيز ... خَبير بالعبادِ بهـم لَطِيف
إذا تُلِيَت رَسـائلهُ علينا ... تَحدَّر دمع ذى اللب الحصيف
رَسائلُ جاء أَحمـد من هُداها ... بآيات مُبينـات الحروف
وأحمد مُصطـفى فينا مُطَاع ... فَلا تَغشوهُ بالقَول العنيف
فَلا والله نُسلِمُهُ لِقَـومٍ ... ولَما نقض فيـهم بالسيوف
ونَترك مِنهم قَتْلـى بِقَاعٍ ... عَليها الطير كالورد العكُوف
وَقد خَبِرت ما صَنعـتْ ثَقيف ... بَه فجزى القَبائل من ثَقيف
إله الناس شـر جَزاء قومٍ ... ولا أسقاهم صَوب الخريف

* * *

(١) أى : أعلن الإسلام .

ما جاء فى هجرة أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة

* الرسول يأمر أصحابه بالهجرة للحبشة :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ومنع (١) الله بأبى طالب رسول الله ﷺ فلما رأى رسول الله ﷺ أصحابه وما يصيبهم من البلاء والشدة ، وأن الله تعالى قد أعفاه من ذلك ، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم من قومهم ، وأنه ليس فى قومهم من يمنعهم كما منعه عمه أبو طالب ، أمرهم بالهجرة إلى أرض الحبشة ، وقال لهم : إن بها ملكًا (٢) لا يُظلم الناس ببلاده فى أرض صدق فتحرزوا عنده يأتكم الله عز وجل بفرج منه ، ويجعل لى ولكم مخرجًا ، فهاجر رجال من أصحابه إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة ، وفروا إلى الله عز وجل بدينهم ، واستخفى آخرون بإسلامهم (٣) .

---

(١) أى أجاره وحماه .

(٢) هو النجاشى ، وكان يدين بالنصرانية ، وقد رحَّب بالمسلمين المهاجرين أسمى ترحيب ، وقبلهم فى بلاده معززين مكرمين ، وعلم أنهم على حق ، وقال لهم : إن ما جاء به صاحبكم - يعنى رسول الله وما جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة - أى من أصل واحد . وقد أسلم النجاشى بعد هجرة الرسول ﷺ المدينة ، ولما مات النجاشى صلى عليه الرسول واستغفر له ، وكان موته فى رجب سنة تسع ، ونعاه رسول الله إلى الناس فى اليوم الذى مات فيه ، وصلى عليه بالبقيع ، وقيل رُفع إليه سريره بأرض الحبشة حتى رآه وهو بالمدينة فصلى عليه .

(٣) ذكر ابن هشام فى سيرته أن ابن إسحاق قال : لما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية ، بمكانه من الله ومن عمه أبى طالب ، وأنه لا يقدر أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكًا لا يُظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه ، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ - إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم ، فكانت أول هجرة فى الإسلام . انظر : السيرة النبوية لابن هشام ط . دار المنار ص ٣٠٩ .

نا يونس عن عيسى بن عبد الله التَّميمى عن الرَّبيع بن أنس عن أبى العالية فى قوله عز وجل : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم ﴾ (١) الآية ، فمكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين بعدما أوحى إليه خائفاً هو وأصحابه يدعون لله عز وجل سرًّا وعلانية ، ثم أمروا بالهجرة إلى المدينة ، وكانوا بها خائفين يمسون ويصبحون فى السلاح ، فقال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ : يا رسول الله أما يأتى علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح ؟ فقال رسول الله ﷺ : لن تعبروا إلا يسيرًا حتى يجلس الرجل منكم فى الملأ العظيم ليس فيه حديد ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ﴾إلى آخر الآية لقول الرجل ولقول رسول الله ﷺ ، وقوله : ﴿ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ (٢) قال : ومن كفر بهذه النعمة ، ليس يقول : من كفر بالله (٣) ، وكانوا كذلك حتى قبض الله عز وجل رسوله ﷺ ، ثم كانوا كذلك فى إمرة(٤) أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ثم غيروا (٥) فغير ما بهم ، كفروا بهذه النعمة فأدخل الله عز وجل عليهم الخوف الذى كان قد وضعه عنهم .

نا يونس عن هشام بن سَعيد بن زيد بن أسْلم قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ على ثلاث فرق : فرقة بالمدينة ، وفرقتين بمكة ، فرقة كانوا يؤذون بمكة عشر سنين فيعفون عن المشركين ، وفرقة كانوا إذا أوذوا انتصروا منهم ، فأنزل الله عز وجل عليهم جميعًا ، فقال : ﴿ الذين يجتنبون كبائر الإثم ﴾ وهو الشرك ﴿ والفواحش ﴾ وهو الزنا : ﴿ وإذا ما غضبوا هم يغفرون ﴾ هؤلاء الذين كانوا لا ينتصرون من المشركين :﴿ والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ﴾ الذين كانوا بالمدينة لم يكن عليهم أمير ، كان رسول الله ﷺ بمكة وهم بالمدينة ، يتشاورون فى أمرهم : ﴿ والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون ﴾ هؤلاء الذين انتصروا : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله ﴾ الذين عفوا ﴿ ولمن انتصر بعد ظلمه ﴾، إلى قوله : ﴿ فى الأرض بغير الحق ﴾ المشركين الذين كانوا يظلمون الناس المسلمين ﴿ لهم عذاب أليم ﴾ (٦) .

* * *

(١) سورة النور : الآية ٥٥ . (٢) سورة النور : الآية ٥٥ .

(٣) الكفر هنا بمعنى : الجُحود والإنكار ، لأن من أسماء الكفر ، كفر الجحود ، وهو لا يخرج من الملة أى لا يكفر صاحبه بعكس كفر العقيدة . (٤) أى فى خلافة .

(٥) أى بدّلوا ، وابتدعوا . (٦) سورة الشورى : الآيات ٣٦ - ٤٢ .

تسمية من هاجر إلى أرض الحبشة من مكة

* أوائل المهاجرين إلى الحبشة :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وكان ممن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة ، قبل هجرة جعفر (١) وأصحابه من بنى أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف : عثمان بن عفان معه امرأته رقيَّة ابنة رسول الله ، (٢) ، وأبــو حُذيفَة بن عُتْبة بن عبد شمس معه امرأته سَهْلَة ابنة سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر ابن مالك بن حسل ، ولدت هناك محمد بن أبى حُذيفة (٣) .

ومن حلفائهم : عبد الله بن جحش بن رئاب (٤) .

ومن بنى نوفل بن عبد مناف : عتبة بن غزوان بن جابر ، حليف لهم من قيس عيلان .

ومن بنى أسد بن عبد العزَّى بن قُصى : الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد .

ومن بنى عبد الدار بن قُصى : مصعب بن عمير بن عامر بن هاشـــم بن عبد مناف بن عبد الدار .

---

(١) لم يكن جعفر أول من هاجر إلى الحبشة ، وإنما سبقة عشرة من المسلمين وكان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة ، وكان عثمان بن مظعون أميرًا عليهم ، هكذا أورد ابن هشام فى سيرته ، وأورد أيضًا أن ابن إسحاق قال : ثم خرج جعفر ابن أبى طالب ﷺ ، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبـــشة ، فكانوا بها منهم من خرج أهله معه ، ومنهم من خرج بنفسه لا أهل له معه . انظر سيرة ابن هشام تحقيق طه عبد الرءوف سعد . ط . مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ٢٨١ .

(٢) كان سيدنا عثمان بن عفان ﷺ - أول من هاجر من المسلمين من بنى أمية ومعه زوجته بنت خير الخلق محمد ﷺ .

(٣) وأبو حذيفة ﷺ كان ممن هاجـــر إلى الحبشـــــة من بنى عبد شمس بن عبد مناف ، وممن هاجر من بنى عبد شمـــس أيضًا : أبو موســـى الأشـــعرى ، واسمه عبد الله ابن قيس ، حليف آل عتبة بن ربيعة .

(٤) وهو من بنى أسد بن خزيمة ، وهاجر معه أخوه عبيد الله بن جحـــش معه امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب بن أمية ، وقيس بن عبد الله وامرأته بركة بنت يسار .

ومن بنى عبد بن قُصى : طليب بن عُمير بن وهب بن أبي كثير [١] بن عبد بن قصى .

ومن بنى زُهرة بن كلاب : عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ، وعبد الله بن مسعود ، حليف لهم ، والمقداد ، حليف لهم [٢] .

ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مُرة : أبو سلمة بن عبد الأسد [٣] معه امـــرأته أم سلمة بنت أبى أمية [٤] ، وسلمة بن هشام بن المغيرة ، حبس بمكة فلم يقدم إلا بعد بدر وأحد ، والخندق ، وعياش بن أبي ربيعة بن المغيرة هاجر معه إلى المدينة ولحق به أخواه لأمه : أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام فرجعا به إلى مكة فحبساه بها حتى مضى بدر وأُحد والخندق .

ومن حلفائهم : عمار بن ياسر - يشك فيه أكان خرج إلى الحبشة أم لا ، ومُعتب بن عوف بن عامر بن خُزاعة من بنى عدى بن كعب بن لُؤى بن عامر بن ربيعة [٥] ، حليفًا لهم ، مع امرأته ليلى ابنة أبى حثمة بن غانم .

ومن بنى جُمح بن عمرو بن هَصيص : عثمان بن مَظْعُون بن حبيب بن وهب ابن حذافة بن جمح ، وابنه السائب ، وقُدامة بن مظعون [٦] .

---

(١) عند ابن هشام « أبى كبير » انظر على سبيل المثال السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٣١١ ط . دار المنار .

(٢) وأيضًا : عامر بن أبى وقاص ، وأبو وقاص هو : مالك بن أهيب بن عبد مناف ابن زهرة والمطلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة معه امـــــرأته رملة بنت أبى عوف بن ضبيرة بن سعيل ، وولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن المطلب .

(٣) اسم أبى سلمة : عبد الله .

(٤) اسم أم سلمة : هند ، وولدت بأرض الحبشة زينب بنت أبى سلمة .

(٥) وهو الذى يقال له : عيهامة ، وقال ابن هشام ، وهو الذى يقال له : معذِّب بن حمراء .

(٦) وهو أخوه ، وكذلك عبد الله بن مظعون ، وحاطب بن الحارث بن معمر بن حبيب ابن جمح ومعه امرأته فاطمة بنت المجلل بن عبد الله بن قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل وابناه : محمد بن حاطب ، والحارث بن حاطب ، وأخوه : خطاب بن الحارث معه امرأته فكيهة بنت يسار ، وسفيان بن معمر بن حبيب بن حذافة بن جمح ، وابناه جابر بن سفيان ، وجنادة بن سفيان ومعهما أمهما حسنة ، وأخوهما من أمهما شرحبيل ابن حسنة .

ومن بنى سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : خنيس بن حذافة بن قَيس بن عَدى ، وهشام بن العاصي بن وائل [(١)] .

ومن بنى عامر بن لُؤَى : حاطب بن عمرو بن عبد شمس ، وهو أول من هاجر ، فيما يقال ، وسليط بن عمرو بن عبد شمس ، معه امرأته أُم يقَظة بنت علقمة ، ولدت له ، سليط بن سليط ، والسكران بن عمرو بن عبد شمس ، معه امرأته سودة بنت زمعة بن قيس ، مات بمكة قبل هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة ، فخلف رسول الله ﷺ على امرأته سودة ابنة زمعة [(٢)] .

ومن حلفائهم : سعيد بن خولة [(٣)] .

ومن بنى الحارث بن فهر بن مالك : أبو عبيدة بن الجراح ، وسهيل بن بيضاء ، وعمرو بن أبى شريح بن ربيعة ، وعمرو بن الحارث بن زُهَير بن أبى شداد .

* سورة النجم وما فعل الشيطان بالمشركين :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فأقاموا حتى بلغهم أن أهل مكة قد أسلموا وسجدوا ، وذلك أن سورة النجم أنزلت على رسول الله ﷺ ، فقرأها رسول الله ﷺ ، فأنصت لها كل مسلم ومشرك ، وحتى انتهى إلى قوله : ﴿ **أفرأيتم اللاَّت والعُزَّى** ﴾ [(٤)] فأصاخوا له والمؤمنون يتصدقون [(٥)] ،وارتد ناس حين سمعوا سجع الشيطان [(٦)] ، فقال : والله لنعبدهن ليقربونا إلى الله زلفا ، وعلم

(١) وعبد الله بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهل .

(٢) أى تزوجها رسول الله ﷺ بعد وفاته ، وكانت رضي الله عنها من أمهات المؤمنين .

(٣) جاء فى سيرة ابن هشام : سعد بن خولة : وهو من اليمن .

(٤) سورة النجم : الآية ١٩ .

(٥) أى : يصدِّقون .

(٦) وذلك أن الرسول ﷺ قرأ ﴿ **والنجم إذا هوى** ﴾ وذلك أمام المسلمين والمشركين، فلما بلغ : ﴿ **أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى** ﴾ سها أو سكت ، وهنا استغل الشيطان اللعين هذه السكتة ، ونطق بلفظ أسمعه الكفار وقرب صوته من صوت النبى ﷺ مقلداً نغمة النبى ﷺ قائلا: « إن شفاعتهم ترتجى،وإنهن الغرانيق العلا»حتى التبس الأمر على المشركين ، فظنوها من قول النبى ﷺ ففرحوا بذلك وسجدوا وأشاعوها ، وقالوا : محمد قرأها وهذا أحد الأقوال وهناك أقوال أخرى تراجع فى تفسير الآلوسى تحقيق طه عبد الرءوف سعد . ط . دار الغد العربى .

الشيطان بتيك (١) الآيتين كل مشرك ... بها ألسنتهم ، وكبر ذلك (٢) على رسول الله ﷺ حتى أتاه جبريل عليه السلام ، فشكا إليه هاتين الآيتين وما لقى من الناس فيهما ، فتبرأ جبريل عليه السلام منهما وقال : لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله عز وجل ، وقلت ما لم يقل لك ، فحزن رسول الله ﷺ (٣) حزناً شديداً ، وخاف ، فأنزل الله عز وجل تعزية له : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى (٤) ألقى الشيطان فى أُمنيته** ﴾ (٥) إلى قوله : ﴿ **عليم حكيم** ﴾(٦) .

* رجوع بعض المهاجرين إلى مكة :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فلما بلغ من بالحبشة من المسلمين سجود أهل مكة مع رسول الله ﷺ أقبلوا ، أو من شاء الله عز وجل منهم وهم يرون أنهم قد تابعوا رسول الله ﷺ فلما دنوا من مكة بلغهم الأمر فثقل عليهم أن يرجعوا إلى أرض الحبشة ، وتخوفوا أن يدخلوا مكة بغير جوار ، فمكثوا على ذلك حتى دخل كل رجل منهم بجوار (٧) من بعض أهل مكة (٨) ، وقدم عثمان بن مظعون بجوار من الوليد بن المغيرة ، وأبو سلمة بن عبد الأسد بجوار من أبى طالب ، وكان خاله ، وأم أبى سلمة برة بنت عبد المطلب .

* عثمان بن مظعون يطلب من الوليد أن يرد عليه جواره :

فأما عثمان بن مظعون فكان من خبره أن يُونس بن بُكير : نا عن محمد بن إسحاق قال : فحدثنى صالح عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عمن حدثه قال : لما رأى عثمان ما يلقى رسول الله ﷺ وأصحابه من الأذى ، وهو يغدو ويروح

---

(١) أى بهاتين . (٢) أى شق عليه ، وحزن لذلك .

(٣) أى لهذه الشبهة وما أشاعه المشركون ، وقال ﷺ : « إن ذلك من الشيطان» .

(٤) تمنى : أى قرأ وتلا . (٥) أمنيته : أى قراءته وتلاوته .

(٦) سورة الحج : الآية ٥٢ راجع أقوالا أخرى فى تفسير الآلوسى .

(٧) أى فى حماية ومنعة .

(٨) أى فى جوار أحد من المشركين .

بأمان الوليد بن المغيرة قال عثمان : والله إن غدوى ورواحى آمنا بجوار رجل من أهل الشرك ، وأصحابى وأهل بيتى يلقون من البلاء والأذى فى الله عز وجل ما لا يصيبنى لنقص كثير فى نفسى ، فمشى إلى الوليد بن المغيرة وهو فى المسجد ، فقال : يا أبا عبد شمس وفت ذمتك ، قد كنت فى جوارك ، وقد أحببت أن أخرج منه إلى رسول الله ﷺ ، ولى به وبأصحابه أسوة ، قال الوليد : فلعلك يا ابن أخى أوذيت ، أو انتهكت ؟ فقال : لا ولكنى أرضى بجوار الله تعالى ولا أريد أن أستجير بغيره ، قال : فانطلق إلى المسجد ، فاردد علىَّ جوارى علانية كما أجرتك علانية ، فقال : أنطلق قال : فخرجا حتى أتيا المسجد فقال الوليد : هذا عثمان بن مظعون قد جاء ليرد علىَّ جوارى ، فقال عثمان : صدق ، وقد وجدته وفيًّا كريم الجوار ، وقد أحببت ألا أستجير بغير الله ، وقد رددت عليه جواره .

* عثمان يؤذى فى سبيل الله ويصبر :

ثم انصرف عثمان بن مظعون ولبيد بن ربيعة بن جعفر بن كلاب القيسى فى مجلس قريش ، فجلس معهم عثمان ، فقال لبيد وهو ينشدهم :

أَلا كُلُّ شَيءٍ مَا خَلا اللهَ باطِلِ . . . .

فقال عثمان : صدقت ، فقال لَبيد :

. . . . وَكُلُّ نَعيمٍ لاَ مَحالةَ زَائِلُ

فقال عثمان : كذبت ، فالتفت إليه القوم وقالوا للبيد : أعد علينا ، فأعاد لبيد ، وعاد له عثمان بتصديقه مرة وتكذيبه مرة ، وإنما يعنى عثمان إذ قال : كذبت ، يعنى نعيم الجنة لا يزول ، فقال لبيد : والله يا معشر قريش ما كانت مجالسكم هكذا! فقام سفيه منهم إلى عثمان ولطم عينه فاخضرت ، فقال له من حوله : والله يا عثمان لقد كنت فى ذمة منيعة ، وكانت عينك غنية عما لقيت ! فقال عثمان : جوار الله آمن وأعز ، وعينى الصحيحة فقيرة إلى ما لقيت أختها ولى برسول الله ﷺ أسوة ، وبمن معه أسوة ، فقال الوليد : هل لك فى جوارى ؟ قال عثمان : لا إرب لى (١) فى جوار أحد إلا جوار الله ، ثم قال عثمان فى ذلك :

---

(١) أى لا حاجة لى .

لا إربَ لى يا ابنَ المغيرةِ فى الذى تقولُ ولكنى بأحمـــــــــد واثقُ
رَسولٌ عَظيم الشـــــانِ يتلو كِتَابَهُ لَهُ كل من يبغى التلاوةَ وامقُ
مُحبٌّ عَليه كـــل يـــــوم طَلاوة وَإنْ قَال قَولاً فالـــذى قال صَادقُ
فَيَا رَبِّ إنـــــى مُؤمـــن لمحمَّدٍ وجبْريلَ إذْ جِبريلُ بالوحـــى طارقُ
وَمَا نزل الرحمـــــنُ منْ كُلِّ آيةٍ لها كل قلـــب حِينَ يذكر خَافِقُ
منَ الخـــوف مما يُنذرُ الله خَلْقَهُ إذا صدَّ عن آيات ذِى العرش وَامِقُ
تَرى النَّاس ضُلاَّلاً وقـــد ضَلَّ سعيه وبالخير مَغْبونٌ وبَالشـــــر سابِقُ

* * *

إسلام عُمر بن الخطاب رضي الله عنه

* متى أسلم عمر رضي الله عنه :

نا أحمد : نا يونس عن محمد بن إسحاق قال كان إسلام عمر بن الخطاب بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة ·

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال حدثنى عبد الرحمن بن الحارث عن عبد العزيز بن عبد الله عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أمه ليلى قالت : كان عمر ابن الخطاب من أشد الناس علينا فى إسـلامنا ، فلما تهيأنا للخروج إلى أرض الحبشة ، جاءنى عمر بن الخطاب وأنا على بعيرى نريد أن نتوجه ، فقال : أين يا أم عبد الله ؟ فقلت له : آذيتمونا فى ديننا فنذهب إلى أرض الله عز وجل حيث لا نؤذى فى عبادة الله ، فقال : صحبكم الله ، فذهب ، ثم جاءنى زوجى عامر بن ربيعة ، فأخبرته بما رأيت من رقة عمر فقال : أترجين يسلم ؟ فقلت : نعم ، فقال : والله لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب (١) .

* عمر يذهب لدار الأرقم يريد قتل الرسول ﷺ :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسـحاق قال : ثم إن قريشًا بعثت عمر بن الخطاب - وهو يومئذ مشرك - فى طلب رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ فى دار فى أصل الصفا (٢) ، ولقيه النحَّام وهو نعيم بن عبد بن أسد ، أخو بنى عَدى بن كعب ، قد أسلم قبل ذلك ، وعمر متقلِّد سيفه ، فقال : يا عمر أين تراك تعمد(٣) ؟ فقال : أعمد إلى محمد هذا الذى سفَّه أحلام قريش ، وسفه آلهتها ، وخالف جماعتها ، فقال له النحَّام : والله لبئست الممشى مشيت يا عمر ، ولقد فرطت وأردت

---

(١) هذه العبارة دليلاً على أنه استبعد إسلام عمر وجعله مستحيلا لما كان عليه عمر من البأس وإيذائه للمسلمين ، وهذه العبارة تبين منتهى اليأس من إسلام عمر بسبب غلظته وقسوته بالمسلمين ولكن أراد الله - ولا راد لمشيئته ـ أن يعز الإسلام بعمر ·

(٢) وهى دار عبد الله بن الأرقم المخزومى التى اتخذها الرسول ﷺ مدرسة لتعليم صحابته قواعد الإسلام وقراءة القرآن عليهم ·

(٣) أى تذهب ·

هلكة بنى عدى بن كعب ، أو تراك تنفلت من بنى هاشم ، وبنى زهرة وقد قتلت محمدًا - ﷺ ؟! فتحاورا حتى ارتفعت أصواتهما ، فقال له عمر : إنى لأظنك قد صبأت (١) ، ولو أعلم ذلك لبدأت بك فلما رأى النحّام أنه غير منته قال : فإنى أخبرك ، إن أهلك وأهل خَتَنك قد أسـلموا وتركوك وما أنت عليه من ضلالتك ، فلما سمع عمر تلك المقالة يقولها قال : فأيهـم ؟ قال : ختنك (٢) وابن عمك وأختك ، فانطلق عمر حتى أتى أخته (٣) .

* الرسول ﷺ يدعو أن يعز الله الإسلام بعمر :

وكان رسول الله ﷺ إذا أتته الطائفة من أصحابه من ذوى الحاجة نظر إلى أولى السَّعة فيقول : عندك فلان فليكن إليك ، فوافق ذلك ابن عم عمر وخِتنه زوج أخته سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فدفع إليه رسول الله ﷺ خَبَّاب بن الأرت ، مولى ثابت بن أم أنمار حليف بنى زهرة ، وقد أنزل الله عز وجل : ﴿ **طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى * إلا تذكرة لمن يخشى** ﴾ وكان رسول الله ﷺ دعا ليلة الخميس فقال : اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبي الحكم بن هشام (٤) ، فقال ابن عم عمر وأخته : نرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ لعمر، فكانت .

* سبب إسلام عمر :

فأقبل عمر حتى انتهى إلى باب أخته ليغير عليها ما بلغه من إسلامها ، فإذا خَبَّاب بن الأرت عند أخت عمر يدرس عليها طه (٥) ، ويدرس عليها إذا الشمس كورت ، وكان المشركون يدعون الدراسة الهينمة (٦) ، فدخل عمر فلما أبصرته أخته عرفت الشر فى وجهه فخبأت الصحيفة (٧) ، وراغ خباب فدخل البيت (٨) ، فقال عمر لأخته : ما هذه الهينمة فى بيتك ؟ قالت : ما عدا حديثًا نتحدث به بيننا ، فعذلها وحلف ألا يخرج حتى تبين شأنها ، فقال له زوجها سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل : إنك لا تستطيع أن تجمع الناس على هواك يا عمر وإن كان الحق سواه ،

---

(١) يقصد تركت دين آبائك ، وأسلمت مع محمد والصابى الخارج من دين إلى دين .
(٢) أى زوج أختك وهو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل .
(٣) هى : فاطمة بنت الخطاب . (٤) هو أبو جهل - لعنه الله .
(٥) أى يعلمها هى وزوجها ويقرأ عليهما . (٦) الهينمة : صوت الكلام الذى لا يفهم .
(٧) التى فيها القرآن . (٨) أى اختبأ .

فبطش به عمر فوطئه (١) وطئًا شديدًا وهو غضبان ، فقامت إليه أخته تحجره عن زوجها فنفحها (٢) عمر بيده فشجها ، فلما رأت الدم قالت : هل تسمع يا عمر ، أرأيت كل شىء بلغك عنى مما يذكر من تركى آلهتك وكفرى باللات والعزى فهو حق ، أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله ، فائتمر أمرك ، واقض بما أنت قاض ، فلما رأى ذلك عمر سقط فى يديه ، فقال عمر لأخته ، أرأيت ما كنت تدرسين أعطيك موثقًا من الله لا أمحوها حتى أردها إليك ، ولا أريبك فيها ، فلما رأت ذلك أخته ، ورأت حرصه على الكتاب رجت أن تكون دعوة رسول الله ﷺ له ، فقالت : إنك نجس ﴿ لا يمسه إلا المُطَهَّرُون ﴾ (٣) ، ولست آمنك على ذلك ، فاغتسل غسلك من الجنابة ، وأعطنى موثقًا تطمئن إليه نفسى ففعل عمر ، فدفعت إليه الصحيفة ، وكان عمر يقرأ الكتاب ، فقرأ ﴿ طه ﴾ حتى إذا بلغ . ﴿ إن الساعة آتية أكادُ أُخفيها لتُجزى كل نفس بما تسعى ﴾ إلى قوله ﴿ فتردى ﴾ (٤) وقرأ ﴿ إذا الشمس كُورت ﴾ حتى بلغ ﴿ علمت نفس ما أحضرت ﴾ (٥) فأسلم عند ذلك عمر (٦) ، فقال لأخته ، وختنه : كيف الإسلام ؟ قالا : تشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله ، وتخلع الأنداد (٧) ، وتكفر باللات والعزى ، ففعل ذلك عمر ، وخرج خبَّاب ، وكان فى البيت داخلاً ، فكبَّر خباب وقال : أبشر يا عمر بكرامة الله فإن رسول الله ﷺ قد دعا لك أن يعز الله الإسلام بك ، قال عمر : فدلونى على المنزل الذى فيه رسول الله ﷺ فقال له خَبَّاب بن الأرت : أنا أخبرك ، فأخبره أنه فى الدار التى فى أصل الصفا .

* ذهاب عمر للرسول ﷺ معلنًا إسلامه :

فأقبل عمر ، وهو حريص على أن يلقى رسول الله ﷺ ، وقد بلغ رسول الله ﷺ أن عمر يطلبه ليقتله ولم يبلغه إسلامه ، فلما انتهى عمر إلى الدار استفتح ، فلما رأى أصحاب رسول الله ﷺ عمر متقلدا بالسيف ، أشفقوا

(١) أى : ضربه . (٢) أى : لطمها .
(٣) سورة الواقعة : الآية ٧٩ . (٤) سورة طه : الآيات ١ - ١٦ .
(٥) سورة التكوير : الآيات ١ - ١٤ .
(٦) أى ألقى الله فى قلبه الإيمان ، وعلم أن هذا هو الحق من عند الله .
(٧) أى : تترك عبادة الأصنام التى تجعلهم شركاء لله .

منه
عز
يكز
عليه
ردا
أرا
قال
وأشـ
الدا
با

منه [١] ، فلما رأى رسول الله ﷺ وَجَلَ القوم قال : افتحوا له فإن كان الله عز وجل يريد بعمر خيراً اتبع الإسلام وصدق الرسول ، وإن كان يريد غير ذلك لم يكن قتله علينا هينا ، فابتدره رجال من أصحاب رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ يوحى إليه ، فخرج رسول الله ﷺ حين سمع صوت عمر ، وليس عليه رداء ، حتى أخذ بمجمع قميص عمر [٢] ، ورداءه فقال له رسول الله ﷺ : ما أراك منتهيًا يا عمر حتى ينزل الله بك من الرجز [٣] ما أنزل بالوليد بن المغيرة ، ثم قال : اللهم اهد عمر ، فضحك عمر . فقال : يا نبى الله أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فكبّر أهل الإسلام تكبيرة واحدة سمعها من وراء الدار والمسلمون يومئذ بضعة وأربعون رجلاً وإحدى عشرة امرأة .

* عمر يعلن إسلامه بشعر رقيق أمام الرسول وأصحابه :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق : قال : قال عمر حين أسلم :

الحمدُ لله ذى المنِّ الذى وجَبتْ ... لهُ عَلينا أيَادى مَا لـها غيرُ
وَقد بَدأنا فكذَّبنا فقـال لنَا ... صَدق الحديث نبى عـنده الخَبَرُ
وَقد ظَلَمتُ ابنةَ الخطاب ثم هَدَى ... رَبى عشية قالوا قـد صَبَا عمرُ
وَقَد نَدمتُ علـى ما كان من زَلَلٍ ... بِظلمها حين تُتْلَى عنـدها السورُ
لَما دعت ربهـا ذا العرش جَاهدة ... والدمع من عينـها عجلان يبتدر
أيقنتُ أن الذى تـدعوه خَالِقها ... فكاد يَسْبِقنى مـن عَبْرةٍ دُرَر
فقلتُ أشهدُ أن الله خالقـنا ... وأن أحـمد فينا اليوم مشتهرُ
نَبىٌّ صِدْقٍ أتى بالحـق من ثِقَة ... وَافى الأمانة ما فى عوده خَوَرُ

* عمر يخرج بالمسلمين إلى الكعبة :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : قال عمر عند ذلك : والله لنحن بالإسلام أحق أن ننادى منا بالكفر ، فليظهرن لمكة دين الله ، فإن أراد قومنا بغيًا

(١) أى : خافوا منه . (٢) أى موضع شد الإزار . (٣) أى الزجر والوعيد .

علينا ناجزناهم ، وإن قومنا أنصفونا قبلنا منهم ، فخرج عمر وأصحابه ، فجلسوا فى المسجد (١)، فلما رأت قريش إسلام عمر سقط فى أيديهم (٢) .

* ثبات عمر فى إسلامه :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى نافع عن ابن عمر قال : لما أسلم عمر بن الخطاب قال : أى أهل مكة أنقل للحديث ؟ قالوا : جميل بن معمر الجمحى ، فخرج عمر ، وخرجت وراء أبى وأنا غليم (٣) أعقل كلما رأيت حتى أتاه ، فقال : يا جميل هل علمت أنى أسلمت ؟ فوالله ما راجعه الكلام . حتى قام يجر رداءه ، وخرج عمر معه ، وأنا مع أبى ، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش إن عمر قد صبا ، فقال عمر : كذبت ولكنى أسلمت ، فبادروه فقاتلهم وقاتلوه حتى قامت الشمس على رؤوسهم وبلح (٤) ، فجلس وعرشوا على رأسه قيامًا وهو يقول : اصنعوا ما بدا لكم فأقسم بالله لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركتموها لنا أو تركناها لكم ، فبينا هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حُلة حَبرة وقميص قومسى (٥) ، فقال : مَهْ (٦) ؟ فقالوا : خيرًا ، عمر بن الخطاب صبا ، فقال فمه ؟! رجل اختار لنفسه دينًا أترون بنى عدى بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا ؟! عن الرجل فوالله لكأنما كان ثوب كشف عنه ، فلما قدمنا المدينة قلت : يا أبه (٧) من الرجل صاحب الحلة الذى صرف القوم عنك ؟ قال : ذاك العاص بن وائل السَّهمى (٨) .

---

(١) أى بفناء الكعبة المشرفة .

(٢) قال عبد الله بن مسعود : إن إسلام عمر كان فتحًا ، وإن هجرته كانت نصرًا ، وإن إمارته كانت رحمة ، ولقد كنا ما نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه .

(٣) تصغير غلام ، أى طفل صغير .

(٤) عند ابن هشام « وطلح » أى تعب وأعيا وكذا فى تاريخ الإسلام للذهبى .

(٥) عند ابن هشام « وقميص موشى » ، والحبرة : نوع من برود وثياب اليمن .

(٦) مهْ : أى اكفف .

(٧) أى يا أبتِ ، ومثلها يا أُمَّه : أى يا أمى ، وكلاهما صحيح .

(٨) هو والد عمرو بن العاص .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى المنكدر أن أعرابيًّا من بنى الدِّئل قال حيث بلغه أمر رسول الله ﷺ وظهوره واختلاف الناس بها قال : فما فعل الأصلع الطوال الأعسر ، مع أىِّ الحزبين هو ، فوالله ليملأنها غدًا خيرًا أو شرًّا ، يعنى عمر بن الخطاب .

نا يونس عن النَّضْر أبى عُمر عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : اللهم أيد الإسلام بأبى جَهْل بن هشام أو بعمر بن الخطاب ، فأصبح عمر فغدا على رسول الله ﷺ فأسلم ، ثم خرج فصلى فى المسجد ظاهرًا .

نا يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله عن القاسم عن عبد الله بن مسعود أنه قال : كان إسلام عمر بن الخطاب فتحًا ، وهجرته نَصرًا ، وإمارته رحمة ، وما استطعنا أن نصلى ظاهرين عند الكعبة حتى أسلم عمر رحمه الله .

* عبد الله بن مسعود أول من جهر فى مكة بالقرآن :

نا يونس عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى يحيى بن عُروة بن الزُّبير بن العوَّام عن أبيه قال : كان أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ عبد الله ابن مسعود ، اجتمع يومًا أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا : والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط [١] ، فمن رجل يسمعهم ؟ فقال عبد الله بن مسعود [٢] : أنا قالوا : إنا نخشاهم عليك إنما نريد رجلاً له عشيرة تمنعه من القوم إن آذوه ، فقال : دعونى فإن الله عز وجل سيمنعنى ، فغدا عبد الله حتى أتى المقام فى الضحى وقريش فى أنديتها [٣] حتى قام عند المقام رافعًا صوته : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ الرحمن * علم القرآن ﴾[٤] فاستقبلها فقرأها ، فتأملوا فجعلوا يقولون ما يقول ابن أم عبد [٥] ، ثم قالوا : إنه يتلو بعض ما جاء به محمد ﷺ فقاموا

---

(١) أى أبدًا .

(٢) وكان ﷺ نحيفًا خفيفًا ، لدرجة أنه يروى أنه طلع ذات يوم فوق شجرة الأراك ليأتى بسواك فقامت عاصفة شديدة فألقته الرياح من فوق الشجرة لشدة خفته ونحافة جسمه .

(٣) أى أماكن تجمعها .

(٤) سورة الرحمن : ١ ، ٢ وقد روى عن سيدنا على ﷺ أن رسول الله ﷺ ، قال : « لكل شىء عروس وعروس القرآن الرحمن » .

(٥) أى عبد الله بن مسعود ، وكذلك إذا قيل عبد الله فهو ابن مسعود عادة .

فجعلوا يضربون فى وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ، ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا بوجهه (١) ، فقالوا : هذا الذى خشينا عليك ، فقال : ما كان أعداء الله قط أهون على منهم الآن ، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غدا (٢) ، قالوا : حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون ٠

نا يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله بن المطْعِم قال : كان أول من أفشى القرآن بمكة وعذِّب فى رسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ٠

آخر الجزء الثالث
يتلوه إن شاء الله من عُذِّب فى الله بمكة من المؤمنين
وحسبنا الله وصلى الله على سيدنا النبى محمد وآله وسلم ٠

* * *

(١) أى ترك الضرب أثراً فى وجهه ٠

(٢) روى أن عبد الله بن مسعود لما جهر بالقرآن عند الكعبة وضربه المشركون ، أمسك أبو جهل - لعنه الله - بأذن ابن مسعود فقطعها - أو قطع جزءاً منها - فلما ذهب ابن مسعود للرسول ضحك رسول الله ﷺ فلما سأله ابن مسعود علام تضحك يا رسول الله لم يجبه النبى ﷺ ، ومرت الأيام وجاءت غزوة بدر وإذا بعبد الله بن مسعود يقتل أبا جهل ويقطع راسه ويأتى بها إلى النبى ﷺ ففرح رسول الله ﷺ وقال له : أذنُ بأذن والرأس زيادة ، وذكَّره بضحكه يوم جهر بالقرآن ٠

القسم الرابع

أسم
رضو
نا يو
سفي
بالليـ
صا-
الطر
لأوة
إلى
بعضـ
رجل
الطر

بسم الله الرحمن الرحيم

توكلت على الله

من عُذِّب فى الله بمكة من المؤمنين

* قصة استماع قريش إلى قراءة النبى ﷺ :

أنا (١) الشيخ أبو الحسين أحمد بن محمد بن النقور البزاز قراءة عليه ، وأنا أسمع قال: أنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص قال : قرئ على أبى الحسين رضوان بن أحمد وأنا أسمع قال : نا أبو عمر أحمد بن عبد الجبّار العُطَاردى قال : نا يونس بن بُكير عن ابن إسحاق قال : نا الزهرى قال : حدثت أن أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن الشّريق خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلى بالليل فى بيته ، وأخذ كل رجل منهم مجلسًا ليستمع فيه ، وكلا (٢) لا يعلم بمكان صاحبه (٣) ، فباتوا يسمعون له حتى إذا أصبحوا أو طلع الفجر ،تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فتلاوموا (٤) ، وقال بعضهم لبعض لا تعودوا لو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم فى نفسه شيئًا ، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثلما قالوا أول مرة ، ثم انصرفوا ، فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق فقالوا : لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود ، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا .

* الأخنس يستفهم عما سمعه :

فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصا ثم خرج حتى أتى أبا سفيان فى بيته ،

---

(١) رمز من رموز الحديث بمعنى أخبرنا . (٢) عند ابن هشام : « وكل »

(٣) أى أنهم اختبئوا من بعضهم بحيث لا يرى أحد منهم أحداً .

(٤) أى لام بعضهم بعضًا .

فقال : حدثنى يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : يا أبا ثعلبة ، والله سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، وأشـــياء ما أعرف معناها ولا ما يراد بها ، فقال الأخنس : وأنا والذى حلفت له ، ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته ، فقال : يا أبا الحكم : ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال ماذا سمعت ، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسى رهان قالوا : منا نبى يأتيه الوحى من السماء ، فمتى تـدرك هذه ؟! والله لا نؤمن به أبدًا ، ولا نصدِّقه ؛ فقام عنه الأخنس بن شريق .

* عدوان المشركين وفتنة المستضعفين :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم عدوا على من أسلم واتبع رسول الله ﷺ من أصحابه ، فوثبت كل قبـــيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يعذبونهم .

* تعذيب بلال :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إســـحاق قال : حدثنى هشام بن عروة عن أبيه قال : كان ورقة بن نوفل يمر ببلال [(١)] وهو يـعذَّب على الإســـلام ، وهو يقول أَحَدٌ ، أحد [(٢)] ، فيقول ورقة : أحد ، أحد ، والله يا بلال لن تفنى ، ثم يقبل على من يفعل ذلك به من بنى جمح وعلى أمية فيقول : أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنَّه حنانا [(٣)].

* عمَّار يمدح أبا بكر لإعتاقه بلالاً :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فبلغنى أن عمار بن ياسر قال : وهو يذكر بلال بن رباح ، وأمه حمامة [(٤)] ، وأصحابه ، وما كانوا فيه من البلاء ، وعتاقة أبى بكر رضى الله عنه إياهم ، فقال :

---

(١) هو : بلال بن رباح كان عبدًا مولدا من مولدى بنى جمح ، وكان صادق الإسلام أعلن إسلامه ولم يخف من الكفار وتحمل الأذى فى سبيل الله .

(٢) أى الله واحدٌ أحد لا شريك له .

(٣) أى إذا مات أجعل قبره متبركا به ، وهذا يدل على تعاطف ورقة بن نوفل مع المسلمين وشفقته عليهم لعلمه أنهم على الحق .

(٤) أى أم بلال .

جَزِى اللهُ خيرًا عَنْ بِلاَلَ وَصَحْبه عَتيقاً (١) وأخزى فاكهاً وأبا جَهل
عَشيةَ همُّوا فى بـــــلال بسَوءَة ولم يحذَروا ما يحذر المرءُ ذو العقْل
بتَوحيده رَبَّ الأنام وقـــــوله : شَهدتُ بأن الله ربى على مهل
فإن تَقْتلونى تَقْتُلونى ولـــم أكنْ لأشرك بالرَّحمن منْ خيْفة القتل
فَيا ربَّ إبراهيمَ والعبد يونس وموسى وعيسى نَجنى ثم لا تملى
لمن ظَلَّ يَهْوَى الغَىَّ مَنْ آلِ غالب عَلى غير بر كان منه ولا عَدْل

* **من أعتقهم أبو بكر :**

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه أن أبا بكر أعتــق ممن كان يعذَّب فى الله عز وجل سبعة ، أعتق : بلالاً (٢) ، وعامر بن فُهيرة ، والزِّبيرة ، وجارية بنى عمرو ابن مُؤمل (٣) ، والهندية (٤) وابنتها ، وأم عُبيـــس ، وذكر أنه مر بالنهدية ومولاتها تعذبها ، تقول والله لا أعتقك حتى تعتقك حياتك ، فقال أبو بكر : أجل (٥) يا أم فلان ، قالت : فأعتقها إذًا فإنها على دينك ، قال أبو بكر فباكتُن (٦) ؟ قالت : بكذا وكذا ، فقال : قد أخذتها وأعتقتها ، ردى عليها طحيــنها ، قالت : دعنى أطحنه لها (٧) .

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه قال : ذهب بصر الزبيرة ، وكانت ممن

---

(١) عتيق : لقب سيدنا أبى بكر الصديق رضي الله عنه .

(٢) ذكر ابن هشام فى سيرته أن ابن إسحاق قال : كان أمية بن وهب بن حذافة بن جمح يخرج بلالاً إذا حميت الظهيرة فى بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى ، فيقول وهو فى البلاء: أحد أحد . وهو دليل على الثبات على الحق وتحمل الأذى فى سبيل الله .

(٣) بنى مؤمل حى من بنى كعب ، وهذه الجارية كان عمر بن الخطاب وهو مشرك يعذبها لاعتناقها الإسلام .

(٤) عند ابن هشام : « النهدية » ونلاحظ أنها هنا ذكرت فى نفس السطر « النهدية » وهذا دليل على صوابها .

(٥) عند ابن هشام « حلٍّ » أى تحللى من يمينك ، وكانت هذه المرأة المشركة من بنى عبد الدار .

(٦) عند ابن هشام « فبكم » .

(٧) جاءت هذه القصة عند ابن هشام أن أبا بكر مر بالنهدية وابنتها وهما يعذبان فأعتقهما .

تعذَّب فى الله عز وجل علي الإسلام ، فتأبى إلا الإسلام ، فقال المشركون : ما أصاب بصرها إلا اللاَّت والعُزَّى ، فقالت : كذا [١] ؟! والله ما هو كذلك ، فرد الله عليها بصرها .

* أبو قحافة يلوم أبا بكر :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى أبو عبد الله بن أبى عتيق عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال : لما جعل أبو بكر يعتق أولئك الضعفاء بمكة قال له قحافة [٢] : أى بنى لو أنك إذا أعتقت أعتقت رجالاً جُلدا [٣] يمنعونك ويقومون معك ، فقال له : يا أبه [٤] (إنما أريد ما أريد لله عز وجل) [٥] قال : فيحدث أن هذه الآيات نزلت فى أبى بكر : ﴿ **فأما من أعطى واتقى * وصدَّق بالحسنى * فسنيسره لليسرى** ﴾ [٦] إلى آخر السورة .

* تعذيب آل ياسر :

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : فحدثنى رجال من آل عَمار بن ياسر أن سمية أم عمار عذبها هذا الحى من بنى المغيرة بن عبد الله بن مخزوم على الإسلام وهى تأبى غيره حتى قتلوها ، وكان رسول الله ﷺ يمر بعمار وبأمه وهم يعذبون بالأبطح فى رمضاء (٧) مكة ، فيقول : صبراً آل ياسر موعدكم الجنة .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وكان ياسر عبدًا لبنى بكر من بنى الأشجع بن ليث فاشتروه منهم ، فزوجوه سمية أم عمَّار ، فولدت عمارا ، وكانت سمية أمة لهم ، فأعتقوا سُمية ، وعماراً ، وياسراً (٨) .

---

(١) عند ابن هشام « كذبوا » وهو المناسب والأليق .

(٢) عند ابن هشام « أبو قحافة » وهو الصواب .

(٣) أى : أقوياء . (٤) أى يا أبت .

(٥) زيادة من سيرة ابن هشام ١ / ٢٧٩ ط . مكتبة الكليات الأزهرية .

(٦) سورة الليل ٥ - ٧ .

(٧) الرمضاء : الرمال شديدة الحرارة .

(٨) وقد قتل المشركون سمية أم عمَّار وماتت رضي الله عنها وهى تأبى إلا الإسلام ، وما استطاعوا أن يزحزحوا عقيدتها .

نا يونس عن عبد الله بن عون عن محمد بن سيرين قال : مر رسول الله ﷺ بعمار بن ياسر وهو يبكى بذلك عينيه فقال له رسول الله ﷺ : مالك ، أخذك الكفار ، فغطوك فى الماء ، فقلت كذا وكذا ، فإن عادوا لك فقل كما قلت [١] .

* مدى فتنة المسلمين :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : يا أبا [٢] عباس أكان المشركون يبلغون من المسلمين فى العذاب ما يعذرون به فى ترك دينهم ؟ فقال : نعم والله إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر على أن يستوى جالسًا من شدة الضر الذى به حتى أنه ليعطيهم ما سألوه من الفتنة وحتى يقولوا : اللات والعزي إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم ، وحتى أن الجُعل ليمر بهم فيقولون أهذا الجُعل إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم افتداء منهم لما يبلغون من جهده [٣] .

* خالد بن الوليد يهجو اللات والعزي :

نا يونس عن العيزار بن حريث قال : مرّ خالد بن الوليد على اللاّت والعزى فقال :

كُفْرَانَكِ لاَ سُبْحَانَكْ إِنِّى رَأَيْتُ اللهَ قَدْ أَهَانَكْ

ثم مضى .

* ثبات بلال رضي الله عنه :

نا يونس عن حبيب بن حَسَّان الأسَدى عن مسلم بن صُبَيْح قال : قال أصحاب رسول الله ﷺ : إنا قد كثرنا ، فلو أمرت كل عشرة منا فأتوا رجلاً من صَناديد

---

(١) وذلك كان دأب المشركين اللعناء ويروى أن أبا جهل الكافر كان إذا سمع بالرجل قد أسلم وله شرف ومنعة أنّبه وأخزاه وقال له : تركت دين أبيك وهو خير منك لنسفهن حلمك ولنقبحن رأيك ولنضعن شرفك ، وإن كان تاجراً قال له : والله لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك ، وإذا كان ضعيفًا ضربه وأغرى به .

(٢) فى بعض النسخ : يا ابن .

(٣) وهذا يسمى بالمداراة وهو عكس المداهنة ، وهو أن الإنسان إذا اضطر لنطــق كلمة الكفر حتى لا يقتله الأعداء نطقها بلسانه وهو مؤمن بقلبه إيمانًا ثابتًا بلا شك ، وقد ورد أن ياسر أبا عمار كان واحدًا من هؤلاء فذهب إلى الرسول ﷺ وهى يبكى لخوفه من الذنب وقال له هلكت يا رسول الله ، قال الرسول ﷺ ، كيف ؟ فحكى له ما حدث ، فطمأنه الرسول ﷺ وقال له: وإن عادوا فعد ، وتلا عليه قــــول الله تعــالى: ﴿ إلاّ من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾ .

قريش ليلاً وأخذوه فقتلوه ، فتصبح البلاد لنا ؟ فسر النبى ﷺ بذلك حتى رؤى فى وجهه [١] ، فقام عثمان بن عفَّان فقال : يا رسول الله أبناءنا ، آباءنا ، إخواننا ، فما زال عثمان يردد ذلك حتى سلم [٢] رسول الله ﷺ قولهم الأول ورؤى فى وجهه ، حتى رفض ذلك ، وأخذنا المشركون حين أمسينا فما من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلاَّ قد أعطى الفتنة [٣] غير بلال فإنه قال : الأحد الأحد [٤] .

* مالاقاه مصعب بن عمير من بلاء :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال حدثنى صالح بن كيسان عن بعض آل سعد عن سعد بن أبى وقاص قال : كنا قومًا يصيبنا صلف العيش [٥] بمكة مع رسـول الله ﷺ وشدته ، فلما أصابنا البلاء اعترفنا لذلك ، وصبرنا له ، وكان مصعب بن عُمير أنعم غلام بمكة[٦] ، وأجوده حُلَّة مع أبويه ، ثم لقد رأيته جهد فى الإسلام جهدًا شديدًا حتى لقد رأيت جلده يتحشف تحشف جلد الحية عنها حتى إن كنا لنعرضه على قسينا [٧] فنحمله مما به من الجهد ، وما يقصر عن شىء بلغناه ، ثم أكرمه الله عز وجل بالشهادة يوم أُحد .

* شفقة الرسول ﷺ على مصعب :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القُرظى قال : حدثنى من سمع على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول : إنا لجلوس مع رسول الله ﷺ فى المسجد إذ طلع علينا مصعب بن عمير ما عليه إلا بُردة له مرقوعة بفرو [٨] ، قال : فلما رآه رسول الله ﷺ بكى للذى كان فيه من

---

(١) أى ظهر السرور والارتياح على وجهه .

(٢) لعلها : سئم أى كره ، لأنها المناسبة للسياق أو ساءه القول الأول .

(٣) أى فُتن فى دينه وعذِّب حتى يترك دينه ورأيه.

(٤) أى أنه ثبت ولم ينطق كلمة الكفر وظل يقـــول : أحد أحد .

(٥) أى : خشونة المعيشة وشدتها .

(٦) كان مصعب قبل إسلامه فتى مدللا ،ويمشى وعليه أبهة ، وكان يتعطر بأفخم أنواع المسك وكان مسكه يُشم على أمتار فيعلم المار أن مصعب قادم ، وعذبته أمه على إسلامه فتركها وترك زينة الدنيا الخادعة ولازم الرسول ﷺ وتحمل الأذى فى سبيل الدعوة رضى الله عنه وكان أول سفير فى الإسلام - أرسله الرسول إلى المدينة قبل الهجرة ليعلم من أسلموا القرآن ، وشهد بدراً وأحداً ، وأبلى بلاء حسنا .

(٧) قسى جمع قوس مثل : أقواس والقوس : آله تشبه الهلال ترمى بها السهام وكانت قديمًا تستخدم فى الحرب .

(٨) أى كساء مرقعة - مقطوعة وموصولة بجلد شاة .

النعمة وما لهو فيه اليوم ، فقال رسول الله ﷺ : كيف بك إذا غدا أحدكم فى حُلَّة وراح فى حُلَّة ، ووضعت بين يديه صحفة[١] ورفعت أخرى وسترقم [٢]جدُر بيوتكم كما تستر الكعبة ، فقالوا : يا رسول الله نحن يومئذ خير منا اليوم نتفرغ للعبادة ونكفى المؤنة ؟ فقال رسول الله ﷺ : أنتم اليوم خير منكم يومئذ .

* نماذج مما لاقاه المسلمون من البلاء :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى صالح بن كيسان عن بعض آل سعد عن سعد بن أبى وقاص قال : لقد رأيتنى مع رسول الله ﷺ بمكة فخرجت من الليل أبول فإذا أنا أسمع قعقعة [٣] شىء تحت بولى فنظرت فإذا قطعة جلد بعير فأخذتها فغسلتها ثم أحرقتها فرضضتها [٤] بين حجرين ثم استففتها ، فشربت عليها من الماء ، فقويت عليها ثلاثًا .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القُرظى قال : حدثنى من سمع على بن أبى طالب ﷺ يقول : خرجت فى يوم شات [٥] من بيت رسول الله ﷺ ولقد أخذت إهابًا [٦] معطونًا فخويت وسطه فأدخلته فى عنقى ، وشددت وسطى وحزمته بخوص [٧] النخل ، وإنى لشديد الجوع فلو كان فى بيت رسول الله ﷺ طعام لطعمت منه ، فخرجت ألتمس شيئًا ، فمررت بيهودى فى مال له وهو يستقى ببكرة له [٨] ، فاطلعت عليه من ثلمة فى الحائط [٩] فقال : مالك يا عربى ، هل لك فى كل دلو بتمرة ؟ فقلت : نعم ، فافتح حتى أدخل ، ففتح فدخلت فأعطانى دلوه فلما نزعت دلوًا أعطانى تمرة ، حتى إذا امتلأت كفى أرسلت الدلو وقلت : حسبى ، فأكلتها ، ثم نزعت فى الماء فشربت ، ثم جئت المسجد فوجدت رسول الله ﷺ .

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : كان ضجاع [١٠] رسول الله ﷺ أدما حشوه ليف .

(١) هى إناء يوضع فيه الطعام – الطبق .
(٢) لعلها خطأ من الناسخ فالصواب « وسترتم » .
(٣) القعقعة : هى إحداث صوت عند التحريك أو التحرك . انظر المعجم الوجيز ص ٥١٠ .
(٤) أى دقها .
(٥) يوم شات : أى اشتد برده .
(٦) الإهاب : هو جلد البقر أو الغنم ، والإهاب المعطون : أى مدبوغ .
(٧) أى سعف النخل .
(٨) أى يخرج الماء من البئر بالدلو .
(٩) الحائط : البستان المسور .
(١٠) أى وسادته التى ينام عليها ﷺ وهذا منتهى الزهد فى الدنيا ، وهو الذى طلب منه ملك الجبال أن لو شاء لحول له الجبل ذهبًا فأبى ﷺ .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق عن الزهرى عن عبيد الله بن أبى ثور عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : دخلت على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على خصفة [(١)] وإن بعضه لفى التراب ، متوسدًا [(٢)] وسادة أدم محشوة ليفًا ، فوق رأسه إهاب معطون [(٣)] معلق فى سقف العُلية ، وفى زاوية البيت شىء من قَرَظٍ .

نا يونس عن أبى معشر المدنى عن سعيد المقبرى قال: كان لرسول الله ﷺ حصير يفرشه بالنهار حتى إذا كان الليل احتجره فى المسجد فصلى فيه .

نا يونس عن المسعودى عن عمرو بن مُرَّة عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : اضطجع رسول الله ﷺ ذات يوم على حصير فقام وقد أثر بجلده ، فلما استيقظ جعلت أمسح عنه وأقول: الا آذنتنا حتى نبسط لك على الحصير شيئًا يقيك منه ، فقال رسول الله ﷺ : وما أنا والدنيا ، ما أنا والدنيا ، إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها [(٤)] .

* فزع أبى جهل وهيبته من رسول الله ﷺ :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى عبد الملك بن أبى سفيان الثقفى قال : قدم رجل من إراش [(٥)] بإبل له مكة ، فابتاعها منه أبو جهل بن هشام فمطله [(٦)] بأثمانها ، وأقبل الإراشى حتى وقف على نادى قريش ورسول الله ﷺ جالس فى ناحية المسجد فقال : يا معشر قريش من رجل يؤدينى على أبى الحكم بن هشام فإنى غريب ابن سبيل ، وقد غلبنى على حقى [(٧)] ، وأنا غريب ابن سبيل ؟ فقال أهل المجلس : ترى ذلك الرجل - وهم يهزؤون به ، إلى رسول الله ﷺ ، لما يعلمون بينه وبين أبى جهل من العداوة - اذهب إليه فهو يؤديك عليه [(٨)] ، فأقبل

(١) الخصفة : قطعة مما تخصف به النعل . (٢) أى متخذاً وسادة .

(٣) أى إهاب مدبوغ

(٤) وهذا دليل على زهده ﷺ الشديد فى الدنيا وورد أن عمر بن الخطاب دخل عليه ذات مرة فوجده نائماً على حصير قد أثر فيه فقال : يا رسول الله ملوك الفرس والروم تنام على الحرير وأنت تنام على الأرض، فقال له ﷺ فيما معناه « الا يرضيك يا عمر أن تكون لهم الدنيا الفانية ولنا الآخرة الباقية » .

(٥) قبيلة خارج مكة . (٦) أى ماطله ، ورفض إعطاءه الثمن .

(٧) أى ظلمنى ولم يعطنى حقى .

(٨) قال المشركون ذلك استهزاء بالرجل وبالرسول ، فهم يرون أن الرسول ضعيف لا يستطيع أخذ الحق للرجل من أبى جهل - وهو الزعيم فى قومه - لكن الله خيب ظنهم وكادهم وغاظهم ، وألقى الرعب والذعر فى قلب أبى جهل ، واستجاب لأمر الرسول وأعطى الرجل حقه ، وكله خوف من رسول الله ﷺ وهذا من سلسلة تأييد الله لرسوله ونصره له .

الإراشى حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال : يا عبد الله إن أبا الحكم بن هشام قد غلبنى على حق لى قِبَله [١] ، وأنا غريب ابن سبيل ، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤدينى عليه ، يأخذ لى حقى منه فأشاروا لى إليك ، فخذ لى حقى منه ، رحمك الله ؛ فقال رسول الله ﷺ : انطلق إليه ، وقام معه ، فلما رأوه قام معه قالوا لرجل ممن معهم : اتبعه فانظر ماذا يصنع ، فخرج رسول الله ﷺ حتى جاءه ، فضرب عليه بابه [٢] ، فقال : من هذا ؟ فقال : محمد فاخرج إلىّ ، فخرج إليه وما فى وجهه رائحة ، قد امتقع لونه [٣] ، فقال له : أعط هذا الرجل حقه ، فقال : نعم ، لا يبرح حتى أعطيه الذى له ، فدخل ، فخرج إليه بحقه فدفعه إليه ، ثم انصرف رسول الله ﷺ وقال للإراشى : الحق بشأنك .

فأقبل الإراشى حتى وقف على ذلك المجلس فقال : جزاه الله خيرًا فقد أخذ الذى لى ، وجاء الرجل الذى بعثوا معه ، فقالوا له : ويحك ماذا رأيت ؟ فقال : عجبًا من العجب ، والله إلا [٤] أن ضرب عليه بابه فخرج وما معه رُوحه [٥] فقال : أعط هذا الرجل حقه ، قال : نعم لا يبرح حتى أخرج إليه حقه ، فدخل فأخرج إليه حقه فأعطاه إياه ؛ ثم لم يلبث أن جاء أبو جهل فقالوا له : ويلك مالك فوالله ما رأينا مثل ما صنعت ؟! قال : ويحكم والله ما هو إلا أن ضرب علىّ بابى وسمعت صوته فَمُلِئتُ رعبًا ثم خرجت إليه وإن فوق رأسى [٦] لفحل من الإبل ما رأيت مثل هامته ولا قَصرته [٧] ولا أنيابه لفحل قط ، والله لو أبيتُ لأكلنى .

* * *

(١) قبله : أى عنده .

(٢) أى طرق بابه .

(٣) أى تغير لونه من شدة الخوف والذعر والرعب من رسول الله ﷺ .

(٤) فى شرح السهيلى : « والله ما هو إلا » .

(٥) هذه مبالغة فى القول وهى أشد دليل على فزع أبى جهل وخوفه ورعبه من الرسول ﷺ .

(٦) فى إحدى الروايات : « فوق رأسه » أى فوق رأس الرسول ﷺ . وهذا أقرب للصواب .

(٧) أصل عنقه .

حديثُ النبي ﷺ حيثُ خاصمهُ المشركون

* زعماء قريش تفاوض الرسول ﷺ :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى شيخ من أهل مكة قديم منذ بضع [١] وأربعين سنة عن عكرمة [٢] عن ابن عباس أن عتبة وشـيبة ابنى ربيعـة وأبا سفيان بن حرب ، والنضـر بن الحارث أخا بنى عبد الدار ، وأبا البخترى أخا بنى أسد ، والأسود بن المطلب بن أسد ، وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيـرة ، وأبا جهل بن هشام ، وعبد الله بن أمية ، وأُمية بن خلف ، والعاصى بن وائل ، ونبيه ومنبه ابنى الحجاج السهميين اجتمعوا ، أو من اجتمع منهم بعد غروب الشمس عند ظَهر الكعبة فقال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد وكلِّموه وخاصموه حتى تُعْذروا فيه ، فبعثوا إليه : إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك ، فجاءهم رسول الله ﷺ سريعًا وهو يظن أن قد بدا لهم فى أمره بداء [٣] ، وكان عليهم حريصًا يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم [٤] ، حتى جلـس إليهم فقالوا له : يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنُعْذَر فيك [٥] ، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخـل على قومه ما أدخلت على قومك ، ولقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ، وسفهت الأحلام وشتمت الآلهة ، وفرقت الجماعة ، فما بقى أمر قبيح إلا جئته فيما بيننا وبينك ، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا سوَّدناك علينا [٦] ، وإن كنت تريد به مُلكًا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك بما يأتيك به رئى [٧] تراه قد غلب عليك -

---

(١) البضع فى العدد : من الثلاث إلى التسع .

(٢) عكرمة : من التابعين - أى الذين رأوا الصحابة ولم يروا الرسول ، وكان مولى لابن عباس ، وروى عنه جلَّ أحاديثه ، وكان من تلامذة ابن عباس .

(٣) أى قد ظهر لهم شىء ، ويقصد أنه ظن أنهم فكروا فى الدخول فى الإسلام .

(٤) أى تكبرهم وعنادهم . (٥) أى يكون لنا العذر إذا فعلنا أى شىء ضدك .

(٦) أى جعلناك سيداً علينا .

(٧) ظاهر كلامهم أنهم تحيروا من أمره ، وأعياهم التفكير ولم يعرفوا لماذا يفعل محمد هذا ، ولذلك عرضوا عليه هذا العرض وفى رأيى الشخـصى أنهم ليسوا بصادقين لسببين : أولا : أنهم كانوا يوقنون أنه على حق فيما يدعو إليه وفيما يقول ، وكانوا متأكدين من ذلك لكن الكبر منعهم من الإسلام ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ﴾ جحدوا الرسالة والنبوة تكبرًا . =

وكانوا يسمون التابع من الجن رئيا ، فربما كان ذلك بذلنا أموالنا فى طلب الطب لك حتى نبرئك منه ، أو نعذر فيك ، فقال لهم رسول الله ﷺ : ما أدرى ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به لطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثنى إليكم رسولاً وأنزل علىَّ كتابا ، وأمرنى أن أكون لكم بشيراً ونذيراً فبلَّغتكم رسالة ربى ، ونصحتُ لكم فإن تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوا على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم ، أو كما قال رسول الله ﷺ .

* زعماء قريش يطلبون من الرسول أن يحيى الله قُصى بن كلاب ، ويسيِّر الجبال عنهم وغير ذلك :

فقالوا : يا محمد فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فإنك قد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلاداً ولا أقل ماء ، ولا أشد عيشًا منا ، فسل لنا ربك الذى بعثك بما بعثك به فليسيِّر عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا ، وليبسط [1] لنا بلادنا ، وليجرى فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضى من آبائنا ، وليكن فيمن يبعث لنا فيهم قُصى بن كلاب [2] فإنه كان شيخًا صدوقًا ، نسألهم عما تقول أحق هو أم باطل ، فإن صنعت لنا ما سألناك وصدقوك صدقناك وعرفنا به منزلتك من الله ، وأنه بعثك رسولاً كما تقول ، فقال لهم رسول الله ﷺ : ما بهذا بعثت إنما جئتكم من الله بما بعثنى به ، وقد بلغتكم ما أرسلت به فإن تقبلوا منى فهو حظكم من الدنيا والآخرة وإن تردوه علىَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم .

فقالوا فإن لم تفعل لنا هذا فخذ لنفسك ، فسل ربك أن يبعث معك ملكًا

= ثانيًا : لو أنهم لم يوقنوا أنه نبى لما جرءوا أن يعرضوا عليه هذه العروض حتى يترك ما عليه وذلك لاحتمالين : الأول : عناية الله لنبيه وحفظه وإلقاء الرعب فى قلوب المشركين، ولو لم يكن نبيًا لسهل عليهم قتله واستراحوا منه .

الثانى : لو كان رجلا عاديًا لما جرءوا أن يعرضوا عليه هذا ، إذ لا يُعقل أنهم يطلبون من رجل عادى أن يجعلوه سيدهم وملكا عليهم وهم المشهورون بحب الزعامة والسيادة والقتال عليها . هذا والله أعلم وأستغفر الله إن أخطأت الرأى .

(١) أى يوسع .

(٢) اسمه : زيد ، وسمى قصيًا لأنه كان بعيدًا عن بلده مكة ، كانت له ولاية الكعبة ، وزعامة مكة .

يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك وسله فليجعل لك جنانا وكنوزًا وقصورًا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغى ، فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش (١) كما نلتمسه ، وحتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولاً كما تزعم ، فقال لهم رسول ﷺ : ما أنا بفاعل ، وما أنا بالذى يسل ربه هذا ولا بعثت إليكم بهذا ، ولكن الله بعثنى بشيرًا ونذيرا،فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علىّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم .

قالوا : فأسقط السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل فإنا لا نؤمن لك إلا أن تفعل ، فقال رسول الله ﷺ : ذلك إليه إن شاء فعل ذلك بكم ؛ قالوا : يا محمد فأعلم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ونطلب منك ما نطلب ، فيتقدم إليك فيعلمك ما تراجعنا به ويخبرك ما هو صانع فى ذلك بنا إذا لم نقبل منك ما جئتنا به ، فقد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن (٢) ، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبدًا فقد أعذرنا إليك يا محمد ، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى تهلك أو تهلكنا ، وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة وهن بنات الله ، وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً ، فلما قالوا له ذلك قام رسول الله ﷺ عنهم ، وقام معه عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وهو ابن عمته ، ابن عاتكة بنت عبد المطلب ، فقال له : يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لأنفسهم أمورًا ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل ، ثم إن تعجّل لهم بعض ما تخوفُهم به من العذاب ، فوالله لا أُومن بك أبدًا حتى تتخذ إلى السماء سُلمًا ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها ، ثم تأتي معك بصكٍّ (٣) منشور ومعك أربعة من الملائكة يشهدون أنك كما تقول ، وايم الله أن لو فعلت ذلك ما ظننت أنى أصدقك ، ثم انصرف عن

---

(١) أى المعيشة والسعى والعمل والكد .

(٢) يقصدون مسيلمة الكذّاب ، وكان قد ادعّى النبوة باليمامة ، وادّعى أن الوحى ينزل عليه ، وسمى رحمن اليمامة ، تزوج بامرأة تسمى سجاح كانت تدّعى النبوة أيضًا ، قتله وحشى - قاتل حمزة - فى معركة اليمامة ، وقال وحشى بعدما قتله : قتلت بحربتى خير الناس - يعنى حمزة عم الرسول - وقتلت بها شرّ الناس - يعنى مسيلمة .

(٣) أى بوثيقة أو كتاب أو شهادة .

رســـول الله ﷺ ، وانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزينًا آسفًا لما فاته مما كان فيه يطمع من قومه حين دعوه ، ولما رأى من مباعدتهم إياه .

*** أبو جهل يتوعد الرسول ﷺ :**

فلما قام عنهم رسول الله ﷺ قال أبو جهل : يا معشر قريش إن محمدًا قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا ، وسب آلهتنا ، وإنى أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر ما أطيق حمله ، فإذا سجد فى صلاته فضخت [١] به رأسه ، فأسلمونى عند ذلك وامنعونى [٢] فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره ، وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو ، وكان رسول الله ﷺ بمكة وقبلته إلى الشام وكان إذا صلى صلى بين الركنين الأسود واليمانى ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، فقام رسول الله ﷺ يصلى وقد غدت قريش فجلسوا فى أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل ، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل الحجر [٣] ، ثم أقبل نحوه ، حتى إذا دنا منه رجع متهيباً منتقعاً قد تغير لونه مرعوبًا قد يبست يده على حجره حتى قذف الحجر من يده ، وقامت إليه رجال قريش فقالوا : ما لك يا أبا الحكم ؟ فقال : قمت إليه لأفعل ما قلت لكم البارحة ، ولما دنوت منه عرض لى دونه فحل من الإبل [٤] والله ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط ، فهَمَّ بأن يأكلنى .

*** حفظ الله لنبيه ﷺ :**

نا أحمد : نا يونس عن ابن إســحاق قال : فذكر لى أن رسول الله ﷺ قال : ذاك جبريل لو دنا لأخذه .

*** النضر بن الحارث ينصح قريشًا :**

نا يونس قال : ثم رجع الحديث إلى الأول قال : فلما قال له ذلك أبو جهل قام النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى فقال : يا معشر قريش إنه والله قد نزل بكم أمر ما أشلتم [٥] له نبله بعد ، لقد كان محمد

---

(١) عند ابن هشام : « نضخت » أى كسرت .

(٢) عند ابن هشام « أو امنعونى » . (٣) أى احتمل أبو جهل الحجر .

(٤) أى ذكر قوى من الإبل .

(٥) عند ابن هشام : « قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعدُ » .

فيكم غلامًا حدثًا ، أرضاكم فيكم [(١)] ، وأصدقكم حديثًا ، وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم فى صدغيه الشيب [(٢)] وجاءكم بما جاءكم قلتم ، ساحر ، ولا والله ما هو بساحر ، قد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم ، وقلتم : كاهن ، ولا والله ما هو بكاهن ، وقد رأينا الكهنة وحالهم وسمعنا سجعهم ، وقلتم : شاعر ، ولا والله ما هو بشاعر ولقد روينا الشعر وأصنافه كلها هزجه ورجزه وقريضه ، وقلتم : مجنون ، ولا والله ما هو بمجنون ، ولقد رأينا الجنون ، فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه ، يا معشر قريش انظروا فى شأنكم ، فإنه والله قد نزل بكم أمر عظيم .

* أذى النضر الرسول :

وكان النضر من شياطين قريش ، وممن كان يؤذى رسول الله ﷺ ، وينصب له العداوة [(٣)] ، وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث ملوك فارس [(٤)] ، وأحاديث رستم [(٥)] ، وأسفندباذ وكان رسول الله ﷺ إذا جلس مجلسًا يذكر فيه بالله ويحذّر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله ، خلفه فى مجلسه [(٦)] إذا قام ، ثم يقول : أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثًا منه ، فهلموا فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم وأسفندباذ ، ثم يقول : بماذا محمد أحسن حديثًا منى .

* ما نزل فى النضر من قرآن :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى رجل من أهل مكة عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس قال : أنزل الله فى النضر ثمانى آيات ، قول الله تعالى : ﴿ **إذا تُتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين** ﴾ [(٧)] وكل ما ذكر فيه الأساطير من القرآن [(٨)] .

---

(١) والمراد هنا أحبه إليكم .

(٢) أى أصبح مكتمل الرجولة والرزانة وبلغ الأربعين .

(٣) أى يعلن عداوته له .

(٤) لأنها تتبع ملك الفرس ، وملكها هو النعمان بن المنذر .

(٥) أحد ملوك الفرس . (٦) أى تحدث بعده . (٧) سورة المطففين : الآية ١٣ .

(٨) مثل ما جاء فى هذه السور : الأنعام : ٢٥ ، الأنفال : ٣١ ، النحل : ٢٤ ، المؤمنون : ٨٣ . الفرقان : ٥ ، النمل ، ٦٨ ، الأحقاف : ١٧ ، القلم : ١٥ .

* قريش تسأل أحبار اليهود عن الرسول ﷺ :

فلما قال النضر ذلك بعثوه وبعثوا معه عُقْبة بن أبى مُعَيط [١] إلى أحبار يهود بالمدينة فقالوا لهما : سلوهم عن محمد ، وصفوا لهم صفته ، وأخبروهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء ، فخرجا حتى قدما المدينة فسألا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ ، ووصفوا لهم أمره ، وأخبروه ببعض قوله ، وقالوا لهم : إنكم أهل التوراة فقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ، فقالت لهم أحبار يهود : سلوه عن ثلاث يأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبى مُرسَل ، وإن لم يفعل فالرجل مُتَقوِّل ، فَرَوْا [٢] فيه رأيكم ، سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول ما كان من أمرهم ، فإنه كان لهم حديث عجب ، وسلوه عن رجل طوّاف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان بناؤه ، وسلوه عن الروح ما هو ، فإن أخبركم بذلك فهو نبى فاتّبعوه وإن لم يخبركم فهو رجل متقول فاصنعوا فى أمره ما بدا لكم .

* قريش تسأل والرسول يجيب :

فأقبل النضر وعقبة حتى قدما مكة على قريش فقالا : يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور فأخبروهم بها ، فجاءوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمد أخبرنا ، فسألوه عما أمروهم به فقال لهم رسول الله ﷺ : أخبركم عما سألتم عنه غدًا ، ولم يستثن [٣] فانصرفوا عنه ، فمكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله تعالى إليه فى ذلك وحيًا ، ولا يأتيه جبريل عليه السلام حتى أرجف أهل مكة وقالوا : وعدنا محمد غدًا واليوم خمس عشرة وقد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشىء مما سألناه عنه ، حتى حزن [٤] رسول الله ﷺ مُكث الوحى عنه ، وشَقّ عليه ما تكلم به أهل مكة ، ثم جاءه جبريل من الله بسورة أصحاب الكهف ، فيها معاتبته إياه على حزنه وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية ، والرجل الطوّاف [٥] ، يقول الله تعالى : ﴿ **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾ [٦] .

---

(١) كان عقبة بن أبى معيط من أشد الكفار أذى للمسلمين وللرسول ﷺ بالقول والفعل . (٢) فعل أمر من رأى ، أى افعلوا به ما ترون .

(٣) أى لم يقدِّم المشيئة لم يقل : إن شاء الله .

(٤) بمعنى أحزن . (٥) وهو ذو القرنين .

(٦) سورة الإسراء : الآية ٨٥ .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فبلغنى أن رسول الله ﷺ افتتح السورة فقال : ﴿ الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ﴾ يعنى محمد إنك رسول منِّى ، تحقيقًا لما سألوه عنه من نبوته : ﴿ ولم يجعل له عوجًا * قيمًا ﴾ أى معتدلاً لا اختلاف فيه : ﴿ لينذر بأسًا شديداً من لدنه ﴾ [1] قال : عاجل عقوبة فى الدنيا ، وعذابه فى الآخرة من عند ربك الذى بعثك رسولاً .

* * *

(١) سورة الكهف : الآيات ١ - ٢ .

باب أحاديث الأحبار وأهل الكتاب بصفة النبى ﷺ

* الرسول يُسئل عن الروح وإجابته :

نا يونس عن الأعمش عن إبراهيم عن عبد الله (١) قال كنت مع رسول الله ﷺ فهو يمشى فى حرث ومعه عسيب (٢) يتوكأ عليه فمر على ناس من اليهود فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ، وقال بعضهم : لا تسلوه ، فقام إليه بعضهم فقال : أخبرنا يا محمد عن الروح ما هو ؟ فقام رسول الله ﷺ ساكتًا لا يتكلم ، فعرفت أنه يوحى إليه ، وكنت وراءه فتأخرت ، ثم تكلم رسول الله ﷺ فقال : ﴿ **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى** ﴾ (٣) إلى قوله : ﴿ **قليلاً** ﴾ فقالوا : أليس قد نهيناكم أن تسألوه ؟!

* قلة علم البشر :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى رجل بمكة عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس أن أحبار يهـود قالوا لرسول الله ﷺ بالمدينة : يا محمد أرأيت قولك : ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾ إيانا تريد أم قومك ؟ فقال رسول الله ﷺ : كلا (٤) ، فقالوا : ألست تتلو فيما جاءك أنَّا قد أوتينا التوراة فيها تبيان كل شيء ؟ فقال رسول الله ﷺ : إنها فى علم الله قليل وعندكم من ذلك ما يكفيكم لو أقمتموه ، فأنزل الله عز وجل فيما سألوه عنه من ذلك : ﴿ **ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلام** ﴾ إلى قوله : ﴿ **ما نفدت كلمات الله** ﴾ (٥) إنى أرى التوراة فى علم الله قليل .

(١) هو ابن مسعود ؛ لأنه إذا قيل عبد الله فقط فهو ابن مسعود غالبا ، أما عبد الله بن عباس فتارة يذكر : عبد الله بن عباس ، وتارة يذكر : ابن عباس ، وكذلك عبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود .

(٢) العسيب : جريدة النخل المستقيمة المكشوط خوصها .

(٣) سورة الإسراء : ٨٥ .

(٤) أى كلاكما أو كلاً منكما .

(٥) سورة لقمان : ٢٧ .

* الحديث عن ذى القرنين :

نا يونس عن بسَّام مولى على بن الطفيل قال : قام على بن أبى طالب على المنبر فقال : سلونى قبل ألا تسألونى ولن تسألوا بعدى مثلى ؛ فقام ابن الكواء [1] فقال : يا أمير المؤمنين ما ذو القرنين أنبى أو ملك ؟ فقال : ليس بملك ولا نبى ولكن كان عبدًا صالحًا أحب الله فأحبه وناصح الله بنصحه فضرب على قرنه الأيمن فمات ثم بعثه ، ثم ضرب على قرنه الأيسر فمات وفيكم مثله ·

نا يونس عن عمرو بن ثابت عن سماك بن حرب عن رجل من بنى أسد قال : سأل رجل عليًّا : أرأيت ذا القرنين [2] كيف استطاع أن يبلغ المشرق والمغرب ؟ فقال : سخَّر له السحاب ومدَّ له فى الأسباب [3] وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء ·

* استكبار قريش عن الإيمان بالرسول ﷺ :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فلما جاءهم رسول الله ﷺ بما عرفوا من الحق وعرفوا صدقه فيما حدث وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب حين سألوه عما سألوه عنه ، فحال الحسد منهم له بينهم وبين اتباعه وتصديقه ، فعتوا [4] على الله وتركوا أمره عيانًا ، ولجوا فيما هم عليه من الكفر فقال قائلهم : ﴿ **لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون** ﴾ ، أى اجعلوه لعبًا وباطلاً ، واتخذوه هزوًا ، أى لعلكم تغلبون ، تغلبونه بذلك ، فإنكم إن

---

(١) ابن الكواء هذا كان من الخوارج وكان يسأل لكى يجادل ·

(٢) ذكر ابن هشام فى سيرته أن ابن إسحاق قال : حدثنى من يسوق الأحاديث عن الأعاجم فيما توارثوا من علمه : أن ذا القرنين كان رجلا من أهل مصر اسمه مرزبان بن مرذبة اليونانى من ولد يونان بن يافث بن نوح ، وذكر ابن هشام أن اسمه : الإسكندر ، وقال : وهو الذى بنى الإسكندرية فنسبت إليه · انظر سيرة ابن هشام ١ / ٢٧٠ تحقيق طه عبد الرءوف سعد ط · مكتبة الكليات الأزهرية ·

(٣) جاء فى سيرة ابن هشام أن ابن إسحاق قال : وقد حدثنى ثور بن يزيد عن خالد ابن معدان الكلاعى : أن رسول الله ﷺ سئل عن ذى القرنين ، فقال : « ملك مسح الأرض من تحتها بالأسباب » انظر السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٢٩٦ ط دار المنار ·

(٤) بمعنى تكبروا ·

وافقتموه وناصفتموه غلبكم ، فلما قال ذلك بعضهم لبعض جعلوا إذا جهر رســـول الله ﷺ بالقرآن وهو يصلى يتفرقون عنه ويأبون أن يسمعوا له ، وكان الرجل منهم إذا أراد أن يسمع من رسول الله ﷺ بعض ما يتلو من القرآن وهو يصلى استتر واستمع دونهم ، فرقًا منهم ، فإن رأى أنهم عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم ولم يستمع ، وإن خفض رسول الله ﷺ صوته فظن الذين يستمعون أنهم لم يسمعوا من قراءته شيئًا وسمع هو دونهم أشاح [(١)] له ليستمع منه .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى داود بن الحسين عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ إذا جهر بالقرآن وهو يصلى تفرقوا عنه وأبوا أن يستمعوا منه ، وكان الرجل إذا أراد أن يستمع من رسول الله ﷺ بعض ما يتلو وهو يصلى يسترق السمع دونهم فرقًا منهم ،، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم ولم يستمع ، وإن خفض رسول الله ﷺ صوته فظن الذى يستمع أنهم لم يسمعوا شيئًا من قراءته وسمع من دونهم أشاح له يستمع ، فأنزل الله تعالى : **﴿ ولا تجهر بصلاتك ﴾** فيتفرقوا عنك **﴿ ولا تخافت بها ﴾** فلا يسمع من أراد أن يستمعها ممن يسترق ذلك دونهم لعله يرعوى إلى بعض ما يسمع فيقتنع به **﴿ وابتغ بين ذلك سبيلاً ﴾** [(٢)] .

نا يونس عن هشام بن عُروة عن أبيه عن عائشة : **﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ﴾** قالت : نزلت فى الدعاء .

نا يونس عن عيسى بن عبد الله التميمى عن رجل عن مجاهد فى قول الله تعالى : **﴿ فاصدع بما تُومر ﴾** [(٣)] قال : أمر رسول الله ﷺ أن يجهر بالقرآن بمكة .

نا يونس عن يونس بن عمرو الهمـــدانى عن أبيه عن سعد بن عياض اليمانى قال ، كان رسول الله ﷺ من أقل الناس منطقا [(٤)] ، فلما أمر بالقتال شمَّر ، فكان من أشد الناس بأسًا [(٥)] .

---

(١) عند ابن هشام : « أصاخ » .
(٢) سورة الإسراء : الآية ١١٠ .
(٣) سورة الحجر : الآية ٩٤ .
(٤) اى تكلُّمًا .
(٥) اى قوة ، وورد أن رسول الله ﷺ كان إذا خطب كأنه منذر جيش .

*** عتبة بن ربيعة يفاوض الرسول ﷺ :**

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى يزيد بن زياد مولى بنى هاشم عن محمد بن كعب قال : حدثت أن عتبة بن ربيعة كان سيدًا حليمًا قال ذات يوم وهو جالس فى نادى قريش ورسول الله ﷺ جالس وحده فى المسجد : يا معشر قريش الا أقوم إلى هذا فأكلمه أمورًا لعله أن يقبل بعضها فنعطه أيها شاء ويكف عنا ؟ - وذلك حين أسلم حمزة بن عبد المطلب ، ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون - فقالوا : بلى يا أبا الوليد فقم فكلـــمه ، فقام عُتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخى إنك منا حيث قد علمت من السطة [١] فى العشيرة والمكان فى النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرّقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت من مضى من آبائهم فاسمع منى أعرض عليك أمورًا تنظر فيها لعلك أن تقبل منها بعضها ، فقال رسول الله ﷺ · قل يا أبا الوليد أسمع ، فقال يا ابن أخى إن كنت إنما تريد بما جئت من هذا القول مالاً جمعنا من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت إنما تريد شرفًا شرفناك علينا [٢] حتى لا نقطع أمرًا دونك ، وإن كنت تريد ملكًا ملكناك ، وإن كان هذا الذى يأتيك رئيًا [٣] تراه ، ولا تستطيع أن ترده عن نفسك طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه ، ولعل هذا الذى تأتى به شعر جاش به صدرك ، فإنكم لعمرى يا بنى عبد المطلب تقدرون منه على ما لا يقدر عليه أحد ، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال رسول الله ﷺ : أفرغت يا أبا الوليـد ؟ قال : نعم ، قال : فاستمع منى ، قال : أفعل ، فقال رســـول الله ﷺ : بســم الله الرحمن الرحيم : ﴿ **حم * تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فُصِّلت آياته قرآنًا عربيًا** ﴾ [٤] فمضى رسول الله ﷺ يقرأها عليه ، فلما سمعها عتبة أنصت له ، وألقى بيده خلف ظهره معتمدًا عليها يستمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فسجد فيها ، ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك ·

(١) أى الشرف وعلو المكانة ·

(٢) أى جعلناك سيدًا علينا ·

(٣) الرئى : ما يظهر للناس من الجن وهذا الموضع كرره ابن إسحاق ·

(٤) سورة فصلت : الآيات ١ - ٣ ·

***عتبة يعترف للمشركين بأن محمدًا على حق ويأمرهم بتركه :**

فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به ، فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ فقال : ورائى أنى والله قد سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة ، يا معشر قريش أطيعونى واجعلوها بى ، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت نبأ ، فإن تصيبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزّه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به ، قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ، فقال : هذا رأى لكم فاصنعوا ما بدا لكم (١) .

*** قريش تفتن ضعفة المسلمين :**

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم إن الإسلام جعل يفشو (٢) بمكة حتى كثر فى الرجال والنساء ، وقريش تحبس من قدرت على حبسه ، وتفتن (٣) من استطاعت فتنته من الناس ، فقال أبو طالب يمدح عُتبة بن ربيعة حين رد على أبى جهل ، فقال : ما تنكر أن يكون محمد نبيًّا ؟! .

عَجبتُ لحلم يا ابنَ شيبةَ ... واحلامُ أقوامٍ لديك سِخَاف
يَقولون شَايع من أراد محمَّدا ... بسوءٍ وقم فى أمره بِخلافِ
فَلا تَرْكبن الدهرَ منِّى ظَلامة ... وأنت امرؤ من خير عبد منَافِ
ولا تَتركنه ما حييت لمطمع ... وكن رجلاً ذا نَجدة وَعفافِ
تدور العدى عن دورة هَاشمية ... ألا فهم فى الناس خير آلافِ
فإن له قُربًا لديك قَريبة ... وليس بذى حلف ولا بمضافِ

---

(١) وهذه شهادة من مشرك ، والفضل ما شهدت به الأعداء ، وهذا يؤكد أن من المشركين من كان يعلم أنه على حق ، وورد أيضًا أن عتبة قال لهم : لقد سمعت كلامًا إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه يعلو ولا يعلى عليه .
(٢) أى ينتشر .
(٣) تفتن أى ترد وتمنع من أراد الإسلام .

ولكنْ من هاشمٍ فى صميمها … إلى أبحر فوق البحور صَوافِ
وزاحِمْ جميع الناس فيه وكن لهُ … ظهيراً (١) على الأعداء غير مُجَافِ
فإن غضبتْ فيه قريش فقل لهم : … بنى عمنا ما قومكم بضِعافِ
فما بالكم تغشون منا ظلامة … وما بال أحلام هناك خِفافِ
وما قومنا بالقوم يغشون ظلمنا … وما نحن فيما ساءهم بخِفافِ
ولكنا أهل الحفاظ والنُّهى … وعز ببطحاءِ الحطيم مَوافِ

* الرسول يأمر قريشًا باتباعه :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : إن رسول الله ﷺ قال : يا معشر قريش اتبعونى وأطيعوا أمرى فإنه الهدى ودين الحق يعززكم ويمنعكم من الناس : ﴿ **ويمددكم بأموال وبنين** ﴾ (٢) فقالت قريش : « إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا » فأنزل الله تعالى : ﴿ **أوَلَمْ نمكّن لهم حرمًا آمنًا** ﴾ إلى قوله : ﴿ **أكثرهم لا يعلمون** ﴾ (٣) .

نا يونس عن يونس بن عمرو عن العيزار بن حريث قال : كان رسول الله ﷺ يقول : اللهم إنى أدعو قريشًا لتملك بتلك برًّا وبحرًا ، وقد جعلوا طعامى كطعام الحجلة ، يا معشر قريش أطيعونى يطأ الناس أعقابكم إلى يوم القيامة ، قال أبو جهل : والله لئن بايعناك يا ابن أخى لا تبايعك مضر ولا ربيعة ، قال : بلى والله طوعًا وكرها ، وفارس والروم .

* شفقة الرسول ﷺ على المشركين :

نا يونس عن محمد بن أبى حميد المدينى عن محمد بن المنكدر قال : أُتى رسول الله ﷺ فقيل له : إن قريشًا يتواعدونك ليقتلوك ، فخرج رسول الله ﷺ من باب الصفا حتى وقف عندها فأتاه جبريل عليه السلام فقال له يا محمد إن الله قد أمر السماء أن تطيعك ، والأرض أن تطيعك ، وأمر الجبال أن تطيعك ، فإن أحببت فمر السماء أن تنزل عليهم عذابًا منها ، وإن أحببت فمر الأرض أن تخسف بهم ، وإن أحببت فمر الجبال أن تنضم عليهم ، فقال رسول الله ﷺ : أُؤخر عن أمتى لعل الله أن يتوب عليهم .

---

(١) أى نصيراً .　(٢) سورة نوح : الآية ١١ .　(٣) سورة القصص : الآية ٥٧ .

نا أحمد بن عبد الجبار قال : نا أبو معاوية عن الأعمش عن أبى المنهال عن سعيد وعبد الله بن الحارث عن ابن عباس قال : لما أتى موسى قومه فأمرهم بالزكاة جمعهم قارون فقال : هذا جاءكم بالصوم والصلاة وأشياء تحملونها ، أفتحتملون أن تعطوه أموالكم ؟ قالوا : ما نحتمل أن نعطيه أموالنا فما ترى ؟ قال : أرى أن ترسلوا إليه بغى بنى إسرائيل فتأمروها أن ترميه بأنه أرادها على نفسها ، فرمت موسى على رؤوس الناس بأنه قد أرادها على نفسها ، فدعا الله عليهم ، فأمر الله الأرض أن تطيعه ، فقال للأرض : خذيهم فأخذتهم إلى أعقابهم فجعلوا يقولون : يا موسى يا موسى ، فقال : خذيهم فأخذتهم إلى ركبهم ، فجعلوا يقولون : يا موسى يا موسى ، فقال : خذيهم فأخذتهم إلى حُجزهم (١) ، فجعلوا يقولون : يا موسى يا موسى ، فقال : خذيهم ، فأخذتهم فغيبتهم فيها ، فأوحى الله إليه أن يا موسى سألك عبادى وتضرعوا إليك فلم تجبهم ، لو إياى دعوا لأجبتهم (٢) .

* الرسول ﷺ يدعو أبا جهل للإسلام :

نا يونس عن هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم عن المغيرة بن شعبة قال : إن أول يوم عرفت فيه رسول الله ﷺ ، إنى أمشى أنا وأبو جهل بن هشام فى بعض أزقة (٣) مكة إذ لقينا رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لأبى جهل : يا أبا الحكم هلم إلى الله وإلى رسوله ، إنى أدعوك إلى الله ، فقال أبو جهل : يا محمد هل أنت منته عن سب آلهتنا ، هل تريد إلا أن تشهد أن قد بلغت ، فنحن نشهد أن قد بلغت ، فوالله لو أنى أعلم أن ما تقول حقًّا ما تبعتك ، فانصرف رسول الله ﷺ وأقبل علىَّ فقال : والله إنى لأعلم أن ما يقول حق ولكن بنى قُصى قالوا : فينا الحجابة ، فقلنا : نعم ؛ قالوا : فينا الندوة ، قلنا : نعم ؛ قالوا : فينا اللواء ، قلنا : نعم ؛ قالوا : فينا السقاية : قلنا : نعم ؛ ثم أطعموا وأطعمنا حتى إذا تحاكت الركب (٤) قالوا : منا نبى فلا والله لا أفعل .

* * *

(١) الحُجز : موضع شد الإزار من الوسط . انظر المعجم الوجيز ١٣٦ .

(٢) وهذا خير دليل على رحمة الله حتى بالعصاة والمذنبين فما بالنا بالمطيعين ؟!

(٣) أى طرقات . (٤) يقصد تساووا .

* فرعون أمة محمد :

نا يونس عن المبارك بن فضالة عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال : إن لكل أمة فرعونا ، فإن فرعون هذه الأمة أبو جهل .

* ما نزل في القرآن زجراً لأبى جهل :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى حكيم بن حكيم عن عباد بن حنيف عن عكرمة عن ابن عبـاس أنه تلا : ﴿ والشجرة الملعونة فى القرآن ﴾ [(١)] قال : يقول المذمومة نزلت فى أبي جهل بن هشام .

* دعاء الرسول ﷺ على صناديد الكفر :

نا يونس عن يونس بن عمرو عن أبيه عن عمرو بن ميمون الأودى قال : نا عبد الله بن مسـعود قال بينا رسول الله ﷺ يصلى عند المقام ، فقال أبو جهل لأصحابه ، وهم جلوس عنده : من يذهب فيأتينا بسَلَى الجزور [(٢)] عند بنى فلان ، فقام غاو منهم فجاء به فقيل له : إذا رأيت محمداً ساجداً فضعه بين كتفيه ، فلما سجد رسول الله ﷺ وضعه بين كتفيه ، فلم يتحلل حتى فرغ من سجوده ، وبلغ فاطمة [(٣)] فجاءت وهى جارية [(٤)] فأخذته وجعلت تمسح عن ظهر رسول الله ﷺ ثم أقبلت عليهم تشتمهم واستضحكوا حتى صرعوا فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته استقبل الكعبة ورفع يديه فدعا عليهم : اللهم عليك بعمرو بن هشام ، وعُتْبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة وعمارة بن الوليد ، وأمية بن خلف ، وعقبة بن أبى معيط ، قال عبد الله بن مسعود : وأنا يومئذ غلام غير ذى منعة فى القوم ، فوالذى أنزل الكتاب على محمد لقد رأيتهم صرعى فى الطوى طوى بدر[(٥)].

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : وقد قال عمر بن الخطاب فيما يزعمون

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٦٠ .

(٢) سلى الجزور : غشاء رقيق يحيط بالجنين ويخرج معه من بطن أمه .

(٣) هى السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها ابنة أعظم الخلق محمد ﷺ وزوجة عظيم من الصحابة على كرم الله وجهه ، وأم أعظم شهيدين الحسن والحسين ، سيدى شباب أهل الجنة رضي الله عنهم .

(٤) يعنى صبية لم تبلغ مبلغ الشباب .

(٥) وأنزل الله على نبيه ﷺ فى شأن أبى جهـل : ﴿ أرأيت الذى ينهى * عبداً إذا صلى ﴾ إلى آخر الآيات زجراً ووعيداً له وبيان جزائه عند الله .

بعد إسلامه يذكر ما رأت قريش من العبرة فيما كان أبو جهل هم به من رسول الله ﷺ ، وقائل يقول قالها أبو طالب (١) ، فالله أعلم بمن قالها :

أفيقوا بَنــــى غَالبٍ وانْتَهوا ... عَنِ البَغْيِ فى بعض ذَا المنطق
وَإلا فَإنــــى إذًا خَائف ... بَوائق فى دَاركم تَلتقى
تكون لغَابركــــم عبرةً ... ورب المغَارب والمشرقِ
كَما ذاَق من كَان مـــن قَبْلكم ... ثَمود وعَاد فَمن ذَا بقَى
غَداة أتاهم بها صَرصرًا ... ونَاقة ذى العرش إذ تَسْتقى
فَحل عليهم بها سُخْطَةً ... من الله فى ضَرْبَة الأزرق
غَداة يعض بِعرقُوبها ... حُسام من الهنـد ذُو رَونق
وأعجب من ذاك من أمركم ... عجائب فى الحجر الملصق
بكفٌ الذى قام من حينـــه ... إلى الصابر الصادق المتقى
فَأيبســـــه الله فِى كَفِّه ... عَلى رغم ذا الخائن الأحمق
أحيمق مَخزومكم إذ غوى ... بَغْىَ الغَواة ولم يصدق

* **هلاك من عاند الرسول ﷺ :**

نا يونس عن المبارك بن فضالة عن الحسن أن رسول ﷺ قال : أيها الناس انظرونى ، وقريشًا فإن غلبونى فسترون ذاكم ، وإن غلبهم الله لى فانتظروا ، فكفٌ ناس وقالوا : صدق إن غلب قريشًا فما ذاك إلا من الله ليس من هذا فكفُّوا (٢) عن قتاله ، وأبى آخرون فهلكوا ·

نا يونس عن قَيس بن الرَّبيع عن حكيم بن الديلم عن الضحاك بن مزاحم عن

(١) ربما يكون هذا الرأى أقرب للصواب - والله أعلم - وذلك لورود شعر كثير له فى مواطن متعددة ، أما عمر فلم يرد عنه شعر إلا نادرًا جدًا ·

(٢) كفوا : أى امتنعوا ·

عبد الله بن عباس فى قوله تعالى : ﴿ **وأنتم سامدون** ﴾ [1] قال : كانوا يمرون على رسول الله ﷺ وهو يصلى ألم تر إلى البعير يكون فى الإبل فتراه يخطر بذنبه شائحًا .

* * *

(١) سورة النجم : ٦١ ، وسامدون : أى لاهون معرضون ، وقد ذكر النحاس أن الرسول ﷺ عندما قرأ : ﴿ **أفمن هذا الحـــديث تعجبون * وتضحكون ولا تبكون * وأنتم سامدون** ﴾ لم ير ضاحكا إلا متبسما حتى مات ﷺ . انظر تفسير القرطبـــى ٩ / ٦٥٢٤ ط . دار الغد العربى .

حديث الهجرة الأُولى إلى الحبشة [١]

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فلما اشتد البلاء وعظمت الفتنة تواثبوا على أصحاب رسول الله ﷺ وكانت الفتنة الآخرة التى أخرجت من كان هاجر من المسلمين بعد الذين كانوا خرجوا قبلهم إلى أرض الحبشة .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى الزهرى عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أُم سلمة زوج النبى ﷺ أنها قالت : لما ضاقت علينا مكة وأوذي أصحاب رسول الله ﷺ وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة فى دينهم وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم ، وكان رسول الله ﷺ فى منعة [٢] من قومه وعمه [٣] لا يصل إليه شىء مما يكره مما ينال أصحابه ، فقال لهم رسول الله ﷺ : إن بأرض الحبشة ملكًا لا يُظلم أحد عنده [٤] ، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجًا ومخرجًا مما أنتم فيه ، فخرجنا إليها أرسالاً حتى اجتمعنا بها فنزلنا بخير دار إلى خير جار أمنًا على ديننا ، ولم نخش منه ظلمًا [٥] .

* قريش ترسل لملك الحبشة كي يرد المسلمين :

فلما رأت قريش أن قد أصبنا دارًا وأمنًا أجمعوا على أن يبعثوا إليه فينا ليخرجنا من بلاده وليردنا عليهم ، فبعثوا عمرو بن العاص [٦] ، وعبد الله بن أبى ربيعة فجمعوا له هدايا ولبطارقته [٧] ، فلم يدعوا منهم رجلاً إلا هيأوا له هدية على ذى حدة ، وقالوا لهما : ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا فيهم ، ثم ادفعوا إليه هداياه ، وإن استطعتم أن يردهم عليكما قبل أن يكلمهم فافعلا [٨] .

فقدما عليه ، فلم يبق بطريق من بطارقته إلا قدَّموا له هديته وكلموه

---

(١) تقدم الحديث عن هذا الموضوع فى الفصل السابق ، لكن هنا روايات مختلفة عما مضى .

(٢) أى فى حفظ وحماية . (٣) أى : أبى طالب . (٤) هو النجاشى .

(٥) وهذا تأكيد على عدالة النجاشى وحسن ضيافته لهم .

(٦) ولم يكن قد أسلم بعدُ لأنه أسلم بعد الهجرة للمدينة .

(٧) أى قواده .

(٨) يلاحظ أن الراوى يقدم ويؤخر فى سرد الأحداث .

وقالوا له : إنا قدمنا على هذا الملك فى سفهاء من سفهائنا فارقوا أقوامهم في دينهم ولم يدخلوا فى دينكم ، فبعثنا قومهم فيهم ليردهم الملك عليهم ، فإذا نحن كلمناه فأشيروا عليه بأن يفعل ، فقالوا : نفعل ، ثم قدَّما إلى النجاشى هداياه ، وكان أحب ما يهدى إليهع من مكة الأدم (١) ، فلما أدخلوا عليه هداياه قالوا له : أيها الملك إن فتية منا سفهاء فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا فى دينك (٢) ، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه ، وقد لجأوا إلى بلادك ، فبعثنا إليك فيهم عشائرهم : آباؤهم ، وأعمامهم ، وقومهم لتردهم عليهم ، فهم أعلى بهم عينًا ، فقالت بطارقته : صدقوا أيها الملك لو رددتهم عليهم كانوا هم أعلى بهم عيناً ،فإنهم لم يدخلوا فى دينك فتمنعهم بذلك ، فغضب ثم قال : لا لعمر الله لا أردهم عليهم حتى أدعوهم ، وأكلِّمهم وأنظر ما أمرهم ، قوم لجأوا إلى بلادى واختاروا جوارى على جوار غيرى ، فإن كانوا كما يقولون رددتهم عليهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم ولم أخل بينهم وبينهم ، ولم أنعمهم عيناً (٣) .

• استدعاء النجاشى المهاجرين وما دار بينهم من حوار :

فأرسل إليهم النجاشى فجمعهم ولم يكن شيء أبغض إلى عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة من أن يسمع كلامهم ، فلما جاءهم رسول النجاشى اجتمع القوم فقالوا : ماذا تقولون ؟ فقال : وماذا نقول ، نقول والله ما نعرف ، وما نحن عليه من أمر ديننا ، وما جاء به نبينا كائن فى ذلك ما كان ، فلما دخلوا عليه كان الذى يكلمه منهم جعفر بن أبى طالب (٤) ، فقال له النجاشى : ما هذا الدين الذى أنتم عليه ، فارقتم دين قومكم ، ولا تدخلوا فى يهودية ولا نصرانية ، فما هذا الدين ؟ فقال جعفر : أيها الملك كنا قوماً على الشرك : نعبد الأوثان ، ونأكل الميتة ،

---

(١) الأدم : الجلد المدبوغ .

(٢) كان النجاشى يدين بالنصرانية ، وقالوا له هذا ليستعطفوه حتى يقسوَ عليهم .

(٣) وفى هذا نرى مدى عدالة النجاشى ، لا يتأثر برأى من حوله حتى يعلم الحقيقة بنفسه وهكذا يكون عدل الملوك والحكام .

(٤) تحدث نيابة عنهم .

ونسيء الجوار ، ونستحل المحارم (١) بعضنا من بعض فى سفك الدماء وغيرها ، لا نحل شيئًا ولا نحرِّمه ، فبعث الله إلينا نبيًّا من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقه وأمانته فدعانا إلى أن نعبد الله وحده لا شريك له ، ونصل الرحم ، ونُحسن الجوار ، ونصلى ونصوم ، ولا نعبد غيره ، فقال : هل معك شىء مما جاء به - وقد دعا أساقفته فأمروهم فنشروا المصاحف حوله ؟ فقال جعفر : نعم ، قال : هلم فاتل علىَّ ما جاء به ، فقرأ عليه صدرًا (٢) من ﴿ كهيعص ﴾ (٣) فبكى والله النجاشى حتى أخْضَل لحيته (٤) ، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم ، ثم قال : إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة الذى جاء بها موسى (٥) ، انطلقوا راشدين ، لا والله لا أردهم عليكم ولا أنعمكم عينًا ، فخرجا من عنده ، وكان أتقى الرجلين فينا عبد الله ابن أبى ربيعة ، فقال له عمرو بن العاص : والله لآتينه غدًا بما أستأصل به خضراءهم ، لأخبرنه أنهم يزعمون أن إلهه الذى يعبد - عيسى ابن مريم - عبد ، فقال له عبد الله بن أبى ربيعة : لا تفعل فإنهم وإن كانوا خالفونا فإن لهم رحمًا ولم حقًّا ، فقال : والله لأفعلن (٦) .

* المهاجرون يشرحون للنجاشى رأى الإسلام فى عيسى عليه السلام :

فلما كان الغد دخل عليه (٧) فقال : أيها الملك إنهم يقولون فى عيسى قولاً

(١) أي ننتهك المحارم . (٢) أى بداية سورة مريم .

(٣) سورة مريم : الآية ١ . (٤) أى ابتلت .

(٥) عند ابن هشام : « جاء به عيسى » وهو الصواب ، لأن النجاشى يدين بالنصرانية ويؤمن بعيسى ، وقيل غير ذلك .

(٦) وهذا يبين مدى ما كان عليه عمرو فى جاهليته من حقد على الإسلام لكنه لمَّا فكر بعد ذلك بجدية وجد أن الإسلام حق فأسلم وحسن إسلامه ، وكان من عظماء وأبطال المسلمين ، وإليه يرجع الفضل فى إسلام المصريين فهو الذى فتح مصر ، وحررها من رق عبودية الرومان إلى عدالة الإسلام وكان ذلك عام ٢٣ هـ أيام خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وعين عمرو واليا على مصر ، وبنى بها أول وأقدم مسجد فى مصر وإفريقيا ، وهو مسجد عمرو بن العاص بمدينة الفسطاط « مصر القديمة الآن » وقد ورد أنه قد أمَّ الصلاة فيه ثمانين من صحابة رسول الله ﷺ .

(٧) أي عمرو بن العاص .

عظيمًا ، فأرسل إليهم فسلهم عنه ، فبعث إليهم ، ولم ينزل بنا مثلها ، فقال بعضنا لبعض : ماذا تقولون له فى عيسى إن هو سألكم عنه ؟ فقالوا : نقول والله الذى قاله فيه ، والذى أمرنا نبينا أن نقوله فيه ، فدخلوا عليه وعنده بطارقته ، فقال : ما تقولون فى عيسى ابن مريم ؟ فقال له جعفر : نقول : هو عبد الله ورسوله وكلمته وروحه ألقاها إلى مريم العذراء البتول فدلَّى النجاشى يده إلى الأرض فأخذ عويدًا بين أصبعيه فقال : ما عدا عيسى ابن مريم مما قلت هذا العود ، فتناخرت بطارقته ، فقال : وإن تناخرتم والله ، اذهبوا فأنتم شيوم بأرضى ، والشيوم [١] : الآمنون ، ومن سبكم غرم ، ومن سبكم غرم ، ومن سبكم غرم ، ثلاثًا ، ما أحب أن لى دبيرًا [٢] ، وأنى آذيت رجلاً منكم ، والدبير بلسانهم الذهب ، فوالله ما أخذ الله منى الرشوة حين رد علىَّ ملكى ، فآخذ الرشوة فيه [٣] ، ولا أطاع الناس فىَّ فأطيع الناس فيه ، ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لنا بها ، واخرجا من بلادى ، فخرجا مقبوحين مردود عليهما ما جاءا به ·

* فرح المسلمين بانتصار النجاشى :

فأقمنا مع خير جار فى خير دار ، فلم ينشب أن خرج عليه رجل من الحبشة ينازعه فى ملكه [٤] ، فوالله ما علمنا حزنًا قط كان أشد منه ، فرقًا أن يظهر ذلك الملك عليه فيأتى ملك لا يعرف من حقنا ما كان يعرف ، فجعلنا ندعوا الله ، ونستنصره للنجاشى ، فخرج إليه سائرًا ، فقال أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم لبعض : من رجل يخرج فيحضر الوقعة حتى ينظر على من تكون فقال الزبير - وكان من أحدثهم سنًّا [٥] : أنا ، فنفخوا له قربة ، فجعلها فى صدره ثم خرج يسبح عليها فى النيل حتى خرج من شقه الآخر إلى حيث التقى الناس ، فحضر

(١) يقول السهيلى : يحتمل أن تكون لفظة حبشية غير مشتقة ، أو مشتقة من شمت السيف إذا أغمدته لأنه الآمن غمد عنه السيف · انظر الروض الأنف تحقيق طه عبد الرءوف سعد ٢ / ١٩٢ ·

(٢) عند ابن هشام : « دبراً » ·

(٣) وهذ دليل على أن الشرفاء قبل الإسلام كانوا يرفضون الرشوة ولا يقبلونها ·

(٤) أى أراد أحد الأحباش أن يتولى الملك ويخلع النجاشى ·

(٥) أى أصغرهم سنًّا ·

الوقعة ، فهزم الله ذلك الملك وقتله ، وظهر [١] النجاشى عليه ، فجاءنا الزبير فجعل يليح إلينا بردائه ويقول : ألا أبشروا فقد أظهر الله النجاشى فوالله ما علمنا فرحنا بشىء قط فرحنا بظهور النجاشى ، ثم أقمنا عنده حتى خرج من خرج منا راجعًا إلى مكة ، وأقام من أقام .

* قصة تملك النجاشى على الحبشة :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : قال الزهرى : فحدثت بهذا الحديث عروة بن الزبير عن سلمة ، فقال عروة : هل تدرى ما قوله : ما أخذ الله منى الرشوة حين رد علىَّ ملكى ، فآخذ الرشوة فيه ، ولا أطاع الناس فى فأطيع الناس فيه ؟ فقال الزهرى : لا ، ما حدثنى ذاك أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث عن أم سلمة ، فقال عُروة [٢] : فإن عائشة حدثتنى أن أباه كان ملك قومه ، وكان له أخ ، من صلبه اثنا عشر رجلاً ، ولم يكن لأبى النجاشى ولد غير النجاشى ، فأدارت الحبشة رأيها بينها فقالوا : لو أنا قتلنا أبا النجاشى وملكنا أخاه فإن له اثنى عشر رجلاً من صلبه فيتوارثوا الملك لبقيت الحبشة عليهم دهرًا طويلاً لا يكون بينها اختلاف ، فغدوا عليه فقتلوه وملكوا أخاه ، فدخل النجاشى لعمه حتى غلب عليه فلا يدير أمره غيره ، وكان لبيبًا فلما رأت الحبشة مكانه من عمه قالوا : لقد غلب هذا الغلام على أمر عمه ، فما نأمن أن يملكه علينا ، وقد عرف أنا قتلنا أباه وجعلناه مكانه ، وإنا لا نأمن أن يملكه علينا فيقتلنا ، فإما أن نقتله وإما أن نخرجه من بلادنا ، فقال : ويحكم قتلتم أباه بالأمس ، وأقتله اليوم ! بل أخرجوه من بلادكم ، فخرجوا به فوقفوه بالسوق فباعوه من تاجر من التجار ، فقذفه فى سفينته ، بستمائة درهم أو سبعمائة درهم ، فانطلق به ، فلما كان العشى هاجت سحائب الخريف ، فخرج عمه ، يتمطر [٣] تحتها فأصابته صاعقة فقتلته ، ففزعوا إلى ولده فإذا هم محمقون [٤] ليس فى أحد منهم خير ، فمرج على الحبشة أمرهم [٥] ، فقال بعضهم

(١) أى انتصر .

(٢) كانت السيدة عائشة ﵂ - خالته .

(٣) بمعنى يستمطر : أى يطلب المطر .

(٤) أى حمقى لا يصلحون للرياسة .

(٥) أى اختلط أمرهم وانتشرت الفوضى .

لبعض : تعلمن والله إن ملككم الذى لا يصلح أمركم غيره للذى بعتم الغداة ، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأدركوه قبل أن يذهب ، فخرجوا فى طلبه حتى أدركوه فردوه فعقدوا عليه تاجه وأجلسوه على سريره [١] وملكوه ، فقال التاجر ردوا على مالى كما أخذتم منى غلامى ، فقالوا : لا نعطيك ، فقال : إذًا والله أكلمه ، فقالوا : وإن ؛ فمشى إليه فقال : أيها الملك إنى ابتعت غلامًا فقبض منى الذين باعوه ثمنه ، ثم عدوا على غلامى فنزعوه من يدى ولم يردوا علىَّ مالى ، فكان أول ما اختبر من صلابة حكمه وعدله أن قال : لتردن عليه ماله أو ليجعلن غلامه يده فى يده فليذهبن به حيث شاء ؟ فقالوا : بل نعطه ماله ، فأعطوه إياه ، فلذلك يقول : ما أخذ الله منى رشوة فآخذ الرشوة فيه حين رد إلىَّ مُلكى ، ولا أطاع الناس فىَّ فأطيعهم فيه [٢] .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال : إنما كان يكلم النجاشىَّ عثمانُ بن عفان .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وليس كذلك ، إنما كان يكلمه جعفر بن أبى طالب [٣] .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى بعض أهل العلم أن فتية من الحبشة قد رأوا رقية بنت رسول الله ﷺ وهى هناك مع زوجها عثمان بن عفان ، وكانت فيما يقال أجمل وأحسن البشر ، وكانوا يقفون إليها ينظرون إليها ويدركلون لها إذ رأوها عجبًا منها حتى آذاها ذلك من أمرهم ، وهم يتقون أن يؤذوا أحدًا منهم للغربة ، ولما رأوا من حسن جوارهم ، فلما سار النجاشى إلى عدوه ، ساروا معه فقتلهم الله جميعًا لم يفلت منهم أحد .

* قدوم وفد من نصارى الحبشة على الرسول وإسلامهم :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم قدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريبًا من ذلك من النصارى ، حين ظهر خبره من الحبشة

(١) أى كرسى الحكم والسلطنة .

(٢) فأطيعهم فيه : استفهام معناه أفأطيعهم فيه .

(٣) وهو ما جاء فى كتب السيرة والتاريخ .

فوجدوه فى المسجد فجلسوا إليه فكلموه وسألوه ، ورجال من قريش فى أنديتهم حول الكعبة ، فلما فرغوا من مسألتهم رسول الله ﷺ عما أرادوا دعاهم رسول الله ﷺ وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدّقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم فى كتابهم من أمره ، فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل فى نفر من قريش فقالوا : خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل ، فلم تطمأن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم ، فصدقتموه بما قال لكم ، ما نعلم ركبًا أحمق منكم ، أو كما قالوا لهم ؛ فقالوا : سلام عليكم لا نجاهلكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لا نألوا أنفسنا خيرًا ، ويقال إن النفر النصارى من أهل نجران ، فالله أعلم أى ذلك كان ، ويقال - والله أعلم - إن فيهم نزلت هؤلاء الآيات : ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون** ﴾إلى قوله: ﴿ **لا نبتغى الجاهلين** ﴾[(١)].

نا يونس عن أسباط بن نصر الهمدانى عن إسماعيل بن عبد الرحمن قال : بعث النجاشى إلى رسول الله ﷺ اثنى عشر رجلاً يسألونه ويأتونه بخبره ، فقرأ عليهم رسول الله ﷺ القرآن ، فبكوا وكان فيهم سبعة رهبان وخمسة قسيسين ، أو خمسة رهبان وسبعة قسيسين ، ففيهم ، أنزل الله : ﴿ **وإذا سمعوا ما أُنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع** ﴾ [(٢)] إلى آخر الآية .

* إسلام النجاشى :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : سألت الزهرى عن الآيات : ﴿ **ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانًا وأنهم لا يستكبرون * وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول** ﴾ إلى قوله : ﴿ **مع الشاهدين** ﴾[(٣)] ، وقوله: ﴿ **وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما** ﴾ [(٤)] فقال : ما زلت أسمع علماءنا يقولون نزلت فى النجاشى وأصحابه .

(١) سورة القصص : الآيات ٥٢ - ٥٥ .
(٢) سورة المائدة : الآية ٨٣ .
(٣) سورة المائدة : الآيات ٨٢ - ٨٣ .
(٤) سورة الفرقان : الآية ٦٣ .

* الرسول ﷺ يصلّي على النجاشي يوم موته :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال : خرج بنا رسول الله ﷺ إلى المصلى ، فصفنا خلفه ، وكبّر بنا أربعًا ، فلما انصرف قلنا : يا رسول الله على من صلّيت ؟ فقال على أخيكم النجاشى ، مات اليوم (١) .

نا يونس عن عبد الله بن عمر بن شهاب قال : كبّر رسول الله ﷺ على النجاشى أربعًا .

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى يزيد بن رُومَان عن عُروة بن الزُّبيرة عن عائشة زوج النبى ﷺ أنها قالت : ما كان يزال يُرى على قبر النجاشى نور .

نا يونس عن ابن إسحاق قال : كان اسـم النجاشى أَصْحَمَه وهو بالعربية عطية ، وإنما النجاشى اسم الملك ، كقولك كسرى وهرقل .

نا أحمد : نا يونس عن يُونس الإيلى عن الزهرى قال : قال ابن عمر لرجل جالس معه تمنّه فقال : لا أفعل ، فقال ابن عمر : لكنى لوددت أن لى مثل أُحد ذهبًا أحصى وزنه وأُؤَدِّى زكاته .

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت : إذا تمنى أحدكم فليستكثر فإنما يسأل ربه عز وجل (٢) .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسـحاق قال : حدثنى والدى إسحاق بن يسار قال : رأيت أبا نَيْزَر بن النجاشى فما رأيت رجلاً قط عربيًا ولا عجميا أعظم ولا أطول ولا أوسم منه ، وجده على بن أبى طالب مع تاجر بمكة فابتاعه منه وأعتقه مكافأة للنجاشى لما كان ولى من أمر جَعْفر وأصحابه ، فقلت لأبى : أكان (أبو) (٣) نَيْزر أسود كسواد الحبشة ؟ فقال : لو رأيته لقلت رجل من العرب .

---

(١) كان موت النجاشى فى رجب سنة تسع ، ونعاه الرسول ﷺ إلى الناس فى اليوم الذى مات فيه ، وصلى عليه بالبقيع واستغفر له ، وتسمى صلاة الغائب - وورد أن سرير النجاشى (نعشه) وكان بأرض الحبشة رفع للنبي ﷺ وهو بالمدينة فصلى عليه .

(٢) أى يسأل كريمًا يجود بالخير على عباده ، وورد أن الرسول ﷺ قال : « إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة . . . وفوقه عرش الرحمن » .

(٣) ما بين الحاصرتين زائدة عن الأصل لعلها طمست ، والمعنى لا يستقيم بدونها .

* رفض أبى نيزر ملك الحبشة :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى عبد الله بن الحسن أن أمه فاطمة بنت الحسين حدثته قالت : قَدم على أبى نيزر بن النجاشى - وكان على أعتقه - ناس من الحبشة فأقاموا عنده شهراً ينحر لهم على بن أبى طالب ويصنع لهم الطعام فقالوا له : إنّ أمر الحبشة قد مرج عليهم ، فانطلق معنا نملكك عليهم ، وإنك ابن من قد علمت ، فقال : أما إذ أكرمنى الله بالإسلام ما كنت لأفعل ، فلما أيسوا منه رجعوا وتركوه ، وكان أيما رجل غير أنه كان رجلاً يتلمز ويصيب الخمر [1] .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وكان مما قيل فى الحبشة من الشعر أن عبد المطلب بن الحارث بن قيس بن عدى بن سَعْد بن سهم ، حين أمنوا بأرض الحبشة وحمدوا جوار النجاشى ، وعبدوا الله لا يخافون على دينهم أحدًا ، وكان قد أحسن النجاشى جوارهم حين نزلوا به فقال :

يا راكبـــــا أبلغا عَنى مغلغلة ... من كان يرجو بَلاغ اللهِ والدينِ
كُل امرئٍ من عباد الله مُضْطَهد ... ببَطن مكــــة مقهُور ومفتون
أنَّا وجـــدنا بلاد الله واسعةً ... تنجى من الــذلِّ والمخزَاةِ والهُونِ
فلا تقيموا على ذُل الحياة ولا ... خزى الممات وعيب غير مَأمون
إنا تَبعنا رســـول اللهَ فَاطرحُوا ... قَولَ النـــبى وغَالوا فى الموازين
فاجعل عذابك فى القوم الذين بغوا ... وعائذ بك أن يعلوا فيطغونى

وقال أيضًا يذكر نفى قريش إياهم من بلادهم ويعاتب بعض قومهم فى ذلك فقال :

أبت كَبِدى لا أكذبنـــك قِتالهم ... علىَّ وَتَأباه عَلى أنــــاملى
وكَيف قَتـــالى مَعْشر يأدبونهم ... عَلى الحق ألا يَأشبوه بِباطِلِ
نَفيتُم عِبَاد الله من حُرِّ أرضـــهم ... فَاضْحَوا على أمر كثير البلابلِ
فإن تك كانت فى عَدى أمانة ... عَدى بن كعب من يفى ويواسلِ
فَقَد كنتُ أحسب أن ذلك فيكم ... بحمد الذى لا يطبا بالجعائل
فَبدلت شبِلا شبل كل كتيبة ... بذى فَخرها مأوى الضعاف الأرامِلِ

(١) أى عياب ويشرب الخمر .

وقال أبو طالب حين رأى ذلك من رأيهم ، وما نشبوا فيه ، أبياتا للنجاشى يحضه على حسن جوارهم والدفع عنهم فقال [1] :

أَلا ليتَ شعْرِى كيْفَ فِى النَّأى جعْفَرٌ ... وزيد وأعداءُ العدو الأقارب
وهَل نال أفعالُ النَّجاشى جعفرا ... وأصْحابه أم عَاق ذلك شاغِبُ
تَعلم - أَبيْتَ اللعن - أنك مَاجدٌ ... كَريم فَلا يَشْقَى لديكَ المجانب
تَعَلَّم بأنَ الله زَادك بَسْطَةً [2] ... وأسباب خَيْر كلها بكَ لازِبُ
فَإنك فَيْضٌ ذو سجالِ غَزِيرةٍ ... يَنَال الأعادِى نَفعُها والأقارِبُ

وقال أبو طالب أيضًا :

تَعلم خِيار الناسِ أنَ محمـــــدًا ... وَزيرٌ لموســـــى والمسيح ابن مَرْيَم
أَتى بهــــدى مثل الذى أتيا به ... وكلٌّ بأمرِ الله يهــــدى ويعصم
وأنكم تتلـــــــونه فى كِتَابكم ... بِصدق حـــديث لا حديث الترجُّمِ
وأنك ما يأتيك مـــــــنا عصـــابة ... لفضلك إلا أُرجعــــوا بالتكرمِ

* فضل مهاجرى الحبشة :

نا يونس عن زكريا بن أبى زائدة عن عامر الشعبى عن أسماء بنت عُمَيس أنها انطلقت إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إن ناسًا من المهاجرين يفخرون علينا ويزعمون أنا لسنا من المهاجرين الأولين ، فقال رسول الله ﷺ : لكم هجرتان : هاجرتم إلى أرض الحبشة ونحن مدهنون بمكة ، وهاجرتم بعد ، وكانوا قدموا عليه خيبر .

نا يونس عن إبراهيم بن إسماعيل عن الزُّهرى عن قبيـــصة بن ذؤيب عن أبى سلمة بن عبد الأسد ، وكان ابن عمة رسول الله ﷺ ، وأول من هاجر بظعينته [3] إلى أرض الحبشة ثم إلى المدينة ، وكانت تحته أم سلمة التى هاجر بها ، فلما توفى عنها تزوجها رسول الله ﷺ بعده .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى صالح بن إبراهيـــم عن عبد الرحمن بن عَوف عن أبيه قال : كنا نسير مع عثمان بن عفان فى طريق مكة إذ رأى عبد الرحمن بن عوف فقال : ما يستطيع أحد أن يعيد [4] على هذا الشيخ فضلاً فى الهجرتين جميعًا - يعنى هجرته إلى الحبشة وهجرته إلى المدينة .

(١) كان حق هذه الأبيات أن تأتى فى أول الفصـــل فهناك مكانها نظرًا لتسلسل الأحداث . (٢) أى قوة وسعة . (٣) يقصد زوجته . (٤) قد تكون بمعنى ينكر والله أعلم .

تسمية من هاجر إلى أرض الحبشة (١)

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : هذه تسمية من هاجر إلى أرض الحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ من شهد بدراً ، ومن تخلف حتى قدوم (٢) بعد بدر منهم ، ومن تخلف حتى بعث فيهم رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمرى ، فجعلهم فى سفينة ثم بعث بهم إليه فقدموا عام الحديبية سنة سبع ؛ وكان من قدم عليه وشهد معه بدراً من بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف : عثمان بن عفان ، ضرب له رسول الله ﷺ فى بدر بسهمه وأجره ، وكان يخلف على رقية بنت رسول الله ﷺ ، وكانت معه بأرض الحبشة ، وله عقب . وأبو حُذيفة بن عُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، قتل يوم اليمامة (٣) شهيداً ، وكانت معه امرأته بأرض الحبشة سهلة بنت سُهيل بن عمرو أخى بنى عامر بن لُؤى ، وولدت له بأرض الحبشة محمد بن أبى حُذَيفة ، لا عقب له (٤) .

ومن بنى أسد بن عبد العُزَّى : الزبير بن العوام .

ومن بنى عبد الدار بن قُصى : مصعب بن عُمير .

ومن بنى زهرة : عبد الرحمن بن عوف .

ومن بنى مخزوم : أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، معه امرأته أم سَلَمة بنت أبى أُمية .

ومن بَنى جمح بن عَمرو بن هُصَيص : عثمان بن مَظْعُون .

ومن بنى عَدِى بن كعب : عامر بن ربيعة حليف آل الخطاب ، معه امرأته ليلى بنت أبى حثمة .

---

(١) مرغالبية هذا الفصل فيما سبق ، وبعضه إعادة لما سبق ، وهذا جعل بعض الباحثين يؤكد أن ابن إسحاق كان يدمج الروايات ولا يرتبها ولا ينسقها ولا يجعلها فى موضوعها وإنما تتناثر فى أكثر من مكان وأثبتناها كما وجدناها .

(٢) هكذا بالأصل والصواب « قدم » .

(٣) هى حرب الردة وكانت فى بداية خلافة أبى بكر الصديق .

(٤) أى لم ينجب ، ليس له ذرية .

ومن بنى عامر بن لؤى : أبو سبرة بن أبى رهم بن عبد العزى ، ويقال : بل هو أبوه [١] حاطب بن عبد شمس بن عبد ودٍّ بن نصر بن مالك ، ويقال : بل هو كان أول من قدمها [٢] .

ومن بنى الحارث بن فهر : سُهَيل بن بَيضاء ، وهو سُهيل بن ربيعة بن هلال ابن أهيب ، وكانوا هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة فيما بلغنى .

ثم جعفر بن أبى طالب .

ومن بنى نوفل بن عبد مناف بن قُصى : عُتْبة بن غَزْوان بن جابر بن وهب ، حليف لهم ، رجل ، وله عقب .

ومن بنى عبد الدار : سويبط بن سَعْد بن حَرْملة بن مالك بن عَميلة بن السباق ابن عبد الدار ، وجهم بن قَيْس بن عبد بن شَرَحبيل بن هاشم بن عبد مـــناف بن عبد الدار ، معه امرأته أم [٣] حرملة بنت الأسود بن خزيمة بن أقيش بن عامر بن بياضة بن تبيع بن خيثمة [٤] بن خزاعة ، وابناه عمرو بن جهم ، وأبو الروم بن عمير ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وفراس بن النضر بن الحارث بن كلدة بن علقه بن عبد مناف بن عبد الدار .

ومن بنى عبد بن قُصَى : طُليب بن عُمير بن وهب بن أبى كبير [٥] بن عبد بن قُصى ، رجل لا عقب له .

ومن بنى زُهْرة بن كِلاب : عبد الرحمن بن عَوْف له عقب ، وعَلْقمـــة بن أبى وقَّاص ، ووقاص ، وأبو وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زُهرة ،

---

(١) هكذا بالأصل والصواب أن كلمة (أبوه) زائدة لأن حاطب ليس بأبيه ، وقد ورد عند ابن هشام ذكر الاثنين كلاً على حدة ولم يذكر أن حاطب أبوه ولو كان أباه لذكر ابن هشام ذلك انظر السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٢٨٥ ط . مكتبة الكليات الأزهرية .

(٢) أى حاطب بن عبد شمس من باب عود الضمير على أقرب مذكور .

(٣) زيادة من سيرة ابن هشام ، وربما يكون سقط بالأصل أو طمس ولم يشر النساخ إليه ، انظر السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٣١١ ط . دار المنار .

(٤) عند ابن هشام : « سبيع بن جعثمة » .

(٥) ذكر قبل ذلك « أبى كثير » وجاء عند ابن هشام « أبى كبير » وهو الصواب .

والمطلب ابن أزهر بن عبد عوف بن عبد الحـارث بن زُهرة ، معه امرأته رملة بنت أبى عوف بن ضبيرة ، ولدت له بأرض الحبشـة عبد الله بن المطلب . ومن حلفائهم عبد الله بن مسعود (١) وأخوه عُتْبة بن مسعود .

ومن بَهْراء : المقداد بن عمرو ، وكان يقال المقداد بن الأسود بن عبد يغوث ابن وهب بن عبد مناف بن زُهرة ، وذلك أنه كان تبناه ، وحالفه ، ستة نفر .

ومن بنى مخزوم : شماس بن عثمان بن الشريد بن سويد بن هرم بن عمر بن مخزوم ، وكان اسم شماس (٢) عثمان ، ولا عقب له ، وهبار بن سـفيان بن عبد الأسد بن هلال ، وأخوه عبد الله بن سفيان ، وهشام بن أبى حُذيفة .

ومن حلفائهم : مُعْتب بن عوف بن عامر بن الفضل بن عفيف ، وهو الذى يدعى عيهلة (٣) ، بن فليت بن سلول بن كعب بن خُزَاعة .

ومن بنى عَامر بن لُؤى (٤) : عبد الله بن سُهَيل بن عَمرو ، وله عقب ، وأبو سبرة بن أبى رهم معه امرأته أُمُّ كلثوم ابنة سُهيل بن عمرو ، وعبد الله بن مَخْرمة بن عبد العزى بن أبى قَيس بن عبد ودٍّ ، وسُلَيْط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودٍّ ، وأخوه السكران بن عمرو ، معه امرأته سودة بنت زمعة ، ومالك بن ربيعة بن قيس ابن عبد شمس بن لُؤى ، ومعه امرأته عمرة بنت السعدى وسعيد حليف لهم .

ومن بنى جمح بن عمرو بن هُصَيص : عثمان بن مَظْعون ، وابنه السائب بن عثمان ، لا عقب لهما ، وأخوه قدامة بن مظعون ، له عقب ، وحاطب بن الحارث ابن المغيرة بن حبيب بن حُذافة ، معه امرأته فاطمة بنت المحجل بن عبد الله ، وابناه

---

(١) وهو الصحابى المشهور ، وقد روى كثيراً من أحاديث رسول الله ﷺ وهو أول من جهر بالقرآن فى مكة ، وكان يجيد قراءة وتلاوة القرآن ، وورد أن الرسول ﷺ قال له : « اقرأ علىَّ » فقال له : أأقرأ عليك وعليك أنزل ، فقال له الرسول ﷺ : « اقرأ علىَّ فإنى أحب أن أسمعه من غيرى » فقرأ عليه من سورة النساء حتى قوله تعالى : ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً** ﴾ فبكى الرسول ﷺ ، وقال له : أمسك .

(٢) اسمه عثمان وإنما سمى شماسًا ، لأن شماسًا من الشمامسة قدم مكة فى الجاهلية ، وكان جميلا فعجب الناس من جماله ، فقال عتبة بن ربيعة ، وكان خال شماس بن عثمان : أنا آتيكم بشماس أحسن منه ، فجاء بابن أخته عثمان بن عثمان .

(٣) قيل : يدعى عيهامة .

(٤) مر فى الصفحة السابقة طرفًا من هذا ، لكن هنا تفصيل أكثر .

محمد بن حاطب ، والحارث بن حاطب ، وهما لابنة المحجل ، وابنه الحارث بن حاطب معه امرأته فُكيهة بنت يسار ، وسفيان بن معمر بن حبيب ، معه أبناؤه جابر ابن سفيان ، وجُنادة بن سفيان ، ومعه امرأته حسنة ، وهى أمهما ، وأخوهما من أمهما شُرحبيل بن حَسنة ، وعثمان بن ربيعة بن أُهبان ، أحد عشر رجلاً .

ومن بَنى سهم بن عمرو بن هُصَيص : خُنيس بن حُذافة ، قتل يوم بدر شهيدًا لم يكن له عقب إلا امرأته ، وكانت عنده حفصة بنت عمر بن الخطاب ، خلف عليها رسول الله ﷺ بعده ، وعبد الله بن الحارث بن قيس ، وهشام بن العاصى ابن وائل ، وأبو قيس بن الحارث ، والحجاج بن الحارث ، ومعمر بن الحارث ، وأخ له من أمه من بنى تميم يقال له سعيد بن عمرو ، وسعيد بن الحارث بن قيس ، والسائب بن الحارث بن قيس ، وعمران بن رئاب [(١)] بن حُذيفة ؛ ومحمية بن جزء حليف لهم من بنى زبيد ، اثنا عشر رجلاً .

ومن بنى الحارث بن فهر : أبو عبيدة ، وهو عامر بن عبد الله بن الجراح هلك [(٢)] بِعمواس [(٣)] من أرض الشام أميرًا لعمر بن الخطاب ، لا عقب له . وسُهيل ابن بيضاء ، وهو سُهَيل ابن بيضاء بن سهيل بن وهب ، والبيضاء أمه - كذا فى الأصل - وهو سُهيل بن وهب بن ربيعة ، ولا عقب له ، ولكن أمه غلبت على نسبه ، فهو ينسب إليها وهى دعد بنت جحدم بن أُمية بن ضرب ، وكانت تدعى البيضاء ، قتل يوم بدر شهيدًا ، وعياض بن زُهير بن أبى شديد بن ربيعة لا عقب له ، ويقال ابن ربيعة بن هلال بن مالك ، والحارث بن عبد قيس بن عامر بن أمية ، وعمرو بن أبى سَرح بن ربيعة بن هلال ، ثمانية نفر .

ثم تتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة ، فكانوا بها منهم من خرج بنفسه وأهله معه .

---

(١) جاء فى سيرة ابن هشام : « عمير بن رئاب بن حذيفة » .

(٢) كره فريق من العلماء لفظة « هلك » للمسلم عند موته ، واستحبوا أن يقال : مات ، أو استشهد ، أما « هلك » فالأفضل أنها تقال للكافر مثل : هلك أبو جهل : أى مات وفنى ، وهذا رأى له وجاهته وحكمته .

(٣) هو طاعون عمواس .

من بنى هاشم بن عبد مناف : جعفـــر بن أبى طالب ، قتل يوم مُؤته (١) شهيدًا ، أميرًا لرسول الله ﷺ ، له عقب ، وكان يقال إنه أول من عقر من المسلمين دابته له عند الحرب ، معه امرأته أسماء بنت عميس بن كعب بن مالك بن قُحافة من خثعم ، ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن جعفر ، رجل .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير عن أبيه عبَّاد عن رجل من بنى مُرَّة بن رباب ، ويقال ابن ذبيان ، قال كأنى أنظر إلى جعفر حين لحمته الحرب (٢) عقر فرسًا له شقراء (٣) ، ثم قاتل حتى قتل .

ومن بنى أُمية بن عبد شمس : خالد بن سعيد بن العاص ، معه امرأته أمينة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة ، من بنى سُبيع بن خَثعمة من خُزاعة ، ولدت له بأرض الحبشة سعيد بن خالد ، وأمة ابنة خالد ، فتـزوج أمة الزبير بن العوَّام ، فولدت له عمرو بن الزبير ، وخالد بن الزبير ، قتل خالد يـــوم مرج الصفر (٤) بأرض الشام ، وعمرو بن سعيد بن العاصى ، معه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن شفى بن محرب بن شفى الكنانى ، قتل يوم أجنادين (٥) ، ولعمرو يقول أبو سعيد :

بَكيتُ بِشعـــــرى عنك يا عمرو سَائلاً إذا شبَّ واشتدت بـدماه تبلجا
أَتتركُ أمر القـــوم فيــــه بَلابِل وتكشف غيظا كان فى الصدر مُوهَجا

ومن حلفائهم من بنى أسد بن خزيمة : عبد الله بن جَحش ، معه امرأته بَركة بنت يسار ، ومعيقب بن أبى فاطمة ، وهو أبوه سعيد بن العاصى ، وله عقب (٦) .

ومن بنى عبد الدار بن قصى : جهم من قيس بن عبد شَرَحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وعمرو بن جهم ، وأبو الروم بن عمير بن وهب .

ومن بنى عبد بن قُصى : طُليب بن عمير بن أبى كبير ، لا عقب له .

---

(١) غزوة مؤتة كانت بين المســـــلمين والروم ، واستـشهد فيها أيـــضاً زيد بن حارثة أبو أسامة . (٢) أى دخل فى الحرب .

(٣) فرسًا بيضاء تميل إلى الحمرة .

(٤) كانت موقعة أيام خلافة أبى بكر الصديق عام ١٣ هـ .

(٥) كانت أيضًا عام ١٣ هـ ، وهما من معارك فتوح الشام .

(٦) جاء فى سيرة ابن هشام : « وهؤلاء آل سعيد بن العاص » .

ومن بنى أسد بن عبد العُزّى بن قصى : الأسود بن نوفل بن خويلد . ومن بَنى زُهْرة بن كلاب : عامر بن أبى وقّاص ، وهو مالك بن أُهيب بن عبد مناف بن زُهرة ، وله عقب ، وعتبة بن مسعود بن الحارث .

ومن بنى تيم بن مُرَّة : الحارث بن خالد بن صخر بن عامر بن كعب بن ربيعة ابن تيم بن مُرَّة ، معه امرأته ريطة بنت الحارث من بنى تميم ، ولدت له بأرض الحبشة : موسى بن الحارث ، وعائشة بنت الحارث ، وزينب بنت الحارث ... وعمرو بن عثمان بن كعب بن سعد بن تيم ، رجلان .

* عدد مهاجرى الحبشة :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين ، سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم ، أو ولدوا بها نيفًا وثمانين رجلاً ، إن كان عمار بن ياسر فيهم ، وهو يُشك فيه .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق فقالت هِنْد بنت عُتْبة ، تهجو أبا حُذَيفة حين أسلم :

الأحولُ الأَبْلقُ المقلوبُ كلْيتهُ   أَبُو حذيفة شر الناس فى الدِّين
مَاذا جَزَيت أبًا ربَّاك من صغَر   ثَمت غذاك غذاء غير محجون

* كتاب النبى ﷺ للنجاشى :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وهذا كتاب النبى ﷺ إلى النجاشى :

بسم الله الرحمن الرحيم .

هذا كتاب من محمد النبى إلى النجاشى الأصحم ، عظيم الحبشة [1] .

---

(١) نلاحظ هنا مدى ما كان يتمتع به النبى ﷺ من أدب جم وخلق رفيع ، وأسلوب حسن فى تعامله مع الناس ، وأنه كان يُنزل الناس منازلهم ، أى يوقرهم لمكانتهم ، وقد أمرنا ﷺ بذلك ، وقال فيما معناه أيضًا : « ليس منا - أى فى هدينا وسنتنا - من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويعطى لعالمنا حقه » ، وهذا درس فى أدب التعامل والمعاملات نستفيده من خير الخلق ﷺ فصدق من قال : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ وصدق ﷺ حين قال : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » .

سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ولم يتخذ صاحبة ، ولا ولدًا وأن محمدًا عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاية الله فإنى أنا رسوله فأسلم تَسْلَم : و﴿ **يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشـــرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله** ﴾ (١) فإن أبيت فعليك إثم النصارى قومك .

نا يونس عن ابن إسحاق قال : فقال عبد الله بن الحارث السهمى يذكر نفى (٢) قريش إياهم :

تلك قُرَيْشٌ تجــحدُ اللهَ حَقَّهُ ... كَما جحدت عَادٌ ومَدينُ والحِجْرُ
فَإِن أنا لم أبرق فلا يســعُنى ... من الأرضِ بَرٌّ ذو فَضاءٍ ولا بَحْرُ
بِأَرضٍ بَها عَبَدَ الإلهَ محــمدٌ ... أَبين ما فى النفس إذ بلــغ الثغر

* * *

(١) سورة آل عمران : الآية ٦٤ .

(٢) أى طرد وإبعاد .

حديث ما لقى رسول الله ﷺ من أذى قومه

* أشد ما أوذى به الرسول ﷺ :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى يحيى بن عروة عن أبيه عُروة ابن الزبير قال : قلت لعبد الله بن عمرو بن العاصى : ما أكثر ما رأيت قريشًا أصابت من رسول الله ﷺ فيما كانت تظهر من عداوته ؟ فقال لقد رأيتهم وقد اجتمع أشرافهم يومًا فى الحجر فقالوا فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط : سفّه أحلامنا وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعاتنا ، وسب آلهتنا ، وصبرنا منه على أمر عظيم ، أو كما قال ؛ فبيناهم فى ذلك طلع رسول الله ﷺ فأقبل يمشى حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفًا بالبيت ، فغمزوه ببعض القول (١) ، فعرفت ذلك فى وجه رسول الله ﷺ (٢) ، فمضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفتها فى وجهه ، فمضى ، ثم مر الثالثة فغمزوه بمثلها فوقف ثم قال : أتسمعون يا معشر قريش أما والذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح (٣) ، فأخذت القوم كلمته حتى ما من رجل إلا ولكأنما على رأسه طائر واقع ، وحتى أن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك لتلقاه بأحسن ما يجد من القول ، حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم راشدًا ، فوالله ما أنت بجهول ، فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان من الغد اجتمعوا فى الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه ، فبينا هم على ذلك طلع رسول الله ﷺ ، فوثبوا إليه وثبة رجل ، وأحاطوا به يقولون أنت الذى يقول كذا وكذا ، لما كان يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم ، فيقول رسول الله ﷺ : نعم ، أنا الذى أقول ذلك ، فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجامع ردائه ، وقام أبو بكر الصديق دونه يبكى ويقول : ويلكم ﴿ **أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله** ﴾ (٤) ؟! ثم انصرفوا عنه ، فإن ذلك لأكثر ما رأيت قريشًا بلغت منه قط (٥) .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى بعض آل أم كُلْثوم بنت

---

(١) أى تكلموا كلامًا مستهزئين به ، ويسخرون منه .

(٢) أى ظهر على وجهه الأسى والحزن والتأسف لما سمعه منهم .

(٣) يعرض ﷺ بهلاكهم .   (٤) سورة غافر : الآية ٢٨ .

(٥) وهذا يبين مدى ما لاقاه الرسول ﷺ فى سبيل تبليغ الدعوة من أذى المشركين والصبر عليهم .

إبى بكر أنها كانت تقول : لقد رجع أبو بكر ذلك اليوم ، ولقد صدعوا فرض رأسه بما جبذوه ، وكان رجلاً كثير الشعر ·

* إيذاء أبى جهل الرسول ﷺ :

نا يونس عن عيسى بن عبد الله التميمى عن الربيع بن أنس البكرى قال : كان رسول الله ﷺ يصلى فلما سجد جاءه أبو جهل فوطىء عنقه ، فأنزل الله فيه : ﴿ **أرأيت الذى ينهى * عبداً إذا صلى** ﴾ أبو جهل : ﴿ **أرأيت إن كان على الهدى** ﴾ محمداً : ﴿ **أرأيت إن كذب وتولى** ﴾ أبو جهل : ﴿ **كلا لئن لم ينته** ﴾ أبو جهل : ﴿ **سندع الزبانية** ﴾ (١) ، قال : هم تسعة عشر خزنة النار ، فقال رسول الله ﷺ : والله لئن عاد لتأخذنه الزبانية ، فانتهى فلم يعد ·

نايونس عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال : بات جهلة قوم رسول الله ﷺ عامَّة ليلة يقولون له : يا محمد ، تكفِّر آباءك وتراد أمرهم ، وتفعل وتفعل ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **أفغير الله تأمرونِّى أعبد أيها الجاهلون** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وكن من الشاكرين** ﴾ (٢) ·

* ابن أم مكتوم وسورة عبس :

نا يونس عن أبى معشر عن محمد بن قيس قال : كان رسول الله ﷺ جالسًا وعنده عُتْبَة بن رَبيعة (٣) ، وابن أمُّ مكْتوم (٤) الأعمى ، فقال : يا رسول الله علِّمنى القرآن ، فعبس (٥) رسول الله ﷺ فى وجهه وصرفه (٦) عنه كراهية أن يُزْهد إقباله

---

(١) سورة العلق : الآيات ٩ - ١٨ ·

(٢) سورة الزمر : الآيات ٦٤ - ٦٦ ·

(٣) ورد فى رواية أخرى أنه الوليد بن المغيرة وكان رسول ﷺ يطمع فى إسلامه ·

(٤) هو سيدنا عبد الله بن أم مكتوم ، وكان كفيفًا ، وكان يؤذن الأذان الثانى للفجر ، وهو الذى قال عنه النبى ﷺ : « إن بلالاً يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم » ، وهذا الحديث عن الصيام وذلك أن بلالا كان يؤذن الأذان الأول للفجر وابن أم مكتوم كان يؤذن الأذان الصادق الذى به يجب الإمساك ·

(٥) عبس أى تجهَّم وظهر على ملامح وجهه الغضب والتضجر ·

(٦) أى أعرض عنه وتركه ·

عليه عُتْبة في الإسلام (١) ، يقول : إنما يتبع هذا (٢) العميان والمساكين ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **عبس وتولى** ﴾ إلى قوله : ﴿ **فأنت له تصدى** ﴾ عتبة : ﴿ **وأما من جاءك يسعى * وهو يخشى** ﴾ (٣) ، ابن أم مكتوم ، فلم يعذر رسول الله ﷺ بمثل ذلك (٤) .

* الرسول يدعو إلى التوحيد :

نا يونس عن مسعر بن كدام عن أشعث بن أبي الشعثاء عن رجل من كنانة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفْلحوا .

* * *

(١) فعل الرسول ﷺ ذلك لأنه كان حريصًا على إسلام عتبة .

(٢) أى محمداً ﷺ .

(٣) سورة عبس : الآيات ١ - ٩ .

(٤) وذلك لأن هذه الآيات كلها عتاب من الله تعالى لنبيه ﷺ وورد أن الرسول ﷺ بعد ذلك كان إذ لقى ابن أم مكتوم رحَّب به والآن له الحديث وقال له « مرحباً بمن عاتبنى ربى فيه » أو معناه .

قصة النبى لما عرض نفسه على العرب

* الرسول يدعو القبائل فى المواسم :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فكان رسول الله ﷺ على مثل ذلك من أمره يدعو القبائل إلى الله وإلى الإسلام ، يعرض عليهم نفسه وما جاء به من الله تعالى من الهدى والرحمة .

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى الزهرى قال : أتى رسول الله ﷺ ناسًا من كِندة فى مياه لهم ، وفيهم سيد لهم فقال [١] له فليح [٢] ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه ، فأبوا أن يقبلوا منه نقمة عليه .

ثم أتى حيًّا من كلب يقال لهم بنو عبد الله ، فقال لهم : يا بنى عبد الله إنَّ الله قد أحسن اسم أبيكم ، فلم يقبلوا ، فأعرض عنه [٣] .

نا يونس عن يزيد بن زياد عن أبى الجَعْدى عن جامع بن شَدَاد عن طارق قال : رأيت رسول الله ﷺ مرتين : رأيته بسوق ذى المجاز وأنا فى بياعة لى ، فمر وعليه حُلة حمراء فسمعته يقول : أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا ، ورجل يتبعه يرميه بالحجارة وقد أدمى كعبيه ، وهو يقول : يا أيها الناس لا تطيعوا هذا فإنه كذَّاب ، فقلت : من هذا ؟ فقيل هذا غلام من بنى عبد المطلب ، فقلت من هذا الذى يرميه بالحجارة ؟ فقيل : عمه عبد العزى ، أبو لهب ، بن عبد المطلب ، فلما أظهر الله الإسلام خرجنا من الرَّبَذَة ومعنا ظعينة لنا حتى نزلنا قريباً من المدينة ، فبينا نحن قعود إذا أنا برجل عليه ثوبان ، فسلم علينا فقال : من أين أقبل القوم ؟ فقلت : من الربذة ، ومعنا جمل أحمر ، فقال : تبيعون الجمل ؟ فقلنا : نعم ، فقال : بكم ؟ فقلنا : بكذا وكذا صاعًا من تمر ، فقال : قد أخذته وما استنقصنا ، وأخذ بخطام الجمل فذهب به حتى توارى بحيطان المدينة ، فقال بعضنا لبعض : أتعرفون الرجل ؟ فلم يكن منا أحد يعرفه ، فلام القوم بعضهم بعضاً وقالوا : تعطون

(١) الصواب : يقال كما جاء فى ابن هشام .

(٢) جاء فى سيرة ابن هشام . مليح .

(٣) أى فأعرض الرسول ﷺ عن الحى ، وعند ابن هشام : « ما عرض عليهم » .

جملكم من لا تعرفون ! فقالت الظَّعينة : فلا تلاوموا فلقد رأيت وجه رجل لا يغدر بكم ما رأيت شيئًا أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه ، فلمــا كان العشى أتانا رجل فقال : الســلام عليكم ورحمة الله ، أأنتم الذين جئتم من الربذة ؟ فقلنا : نعم ، فقال : أنا رسولُ رسولِ الله ﷺ إليكم وهو يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر حتى تشبعوا وتكتالوا حتى تستوفوا ، فأكلنا من التمر حتى شبعنا ، واكتلنا حتى استوفينا ، ثم قدمنا المدينة من الغد ، فإذا رسول الله ﷺ قائم يخطب الناس على المنبر ، فسمعته يقول : يد المعطى العليا ، وابدأ بمن تعول (١) : أمك وأباك وأختك وأخاك ، وأدناك أدناك ، وثم رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله هؤلاء بنو ثعلبة بن يربوع الذين قتلوا فلانا فى الجاهلية فخذ لنا بثأرنا ، فرفع رسول ﷺ يده حتى رأيت بياض إبطيه ، فقال : لا تجنى أم على ولد ، لا تجنى أم على ولد (٢) .

يونس عن يونس بن عمرو عن أبى السفيان سعيد بن أحمد الثورى قال : بعث أبو طالب إلى رسول الله ﷺ فقال : أطعمنى من عنب جنتك ، وأبو بكر الصديق جالس عند رســول الله ﷺ ، فقال أبو بكــر : ﴿ **إن الله حرمهما على الكافرين** ﴾ (٣) .

نا يونس قال : قال ابن إسحاق : ولما سمع أبو سفيان بإسلام خفاف بن إيماء ابن رحضة قال : لقد صبأ (٤) الليلة سيد بنى كِنانة .

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى يعقوب بن عُتْبة عن ســالم ابن عبد الله بن عمر قال : جاء رجل من قريش بمكة إلى رسـول الله ﷺ فقال : يا محمد ألم يبلغنى أنك تنهى عن السِّباء ، يقول عن سباء العرب ، فقال رسول الله ﷺ : بلى ، فتحول الرجل فكشف عن استه (٥) فى وجه رسول الله ﷺ (كذا)،

(١) بمن تعول : أى من يلزمك ويجب عليك نفقتهم .

(٢) وهذا أمر من الرسول ﷺ ولفظ الجناية عام يشمل الضرب وغيره ، وقد ورد أن النبى ﷺ نهى أن يدعو الأب أو الأم على الابن فقال : « لا يدعو أحدكم على ولده فتوافق ساعة الإجابة » أو معناه ، أو الدعاء على الأبناء تجنى عليهم .

(٣) سورة الأعراف : الآية ٥٠ .

(٤) صبأ : أى ترك دين إلى دين آخر .

(٥) الاست : مقعدة الإنسان أو فتحة الشرج .

فلعنه رسول الله ﷺ ودعا عليه ، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ **ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون** ﴾ (١) فأسلم الرجل بعد ذلك وحسن إسلامه .

نا يونس عن يونس بن عمرو عن أبيه قال : شَجَّ غلام من قريش فاطمة بنت رسول الله ﷺ وهى غَادية ، فنادت يا آل عبد شمس ، فخرج أبو سفيان ، وخرج أبو جهل فقال : يا أبا سفيان هذه يدى فرجع .

نا يونس عن زكريا بن أبى زائدة عن الشعبى أنه سئل عن الزنيم (٢) ، فقال هو الرجل تكون له الزَّنمة من الشر يعرف بها ، وهو الأخنس بن شريق الثقفى نزلت فيه .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى والدى إسحاق بن يسار عن رجال من بنى سعد بن بكر قال : قدم الحارث بن عبد العزى (٣) ، أبو رسول الله ﷺ من الرضاعة ، على رسول الله ﷺ بمكة ، فقالت له قريش حين أنزلت عليه ألا تسمع يا حار (٤) ما يقول ابنك هذا ! قال : وما يقول ؟ قالوا : يزعم أن الله يبعث بعد الموت ، وأن لله دارين يعذب فيهما من عصاه ، ويكرِّم فيهما من أطاعه ، وقد شتت أمرنا ، وفرق جماعتنا ، فأتاه فقال : أى بنى مالك ولقومك يشكونك ويزعمون أنك تقول إن الناس يبعثون بعد الموت ، ثم يصيرون إلى جنة ونار ؟! فقال رسول الله ﷺ : نعم ، أنا أزعم ذلك ، ولو قد كان ذلك اليوم يا أبْه (٥) لقد أخذت بيدك حتى أعرفك حديثك اليوم ، فأسلم الحارث بعد ذلك ، فحسن إسلامه ، وكان يقول حين أسلم : لو قد أخذ ابنى بيدى فعرفنى ما قال لم يرسلنى إن شاء الله حتى يدخلنى الجنة .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى الزهرى عن عروة عن عائشة

---

(١) سورة آل عمران : ١٢٨ .

(٢) من معانى الزنيم أيضًا : الدعى فى القوم وليس منهم ، وكان الأخنس حليف بنى زهرة .

(٣) هو زوج السيدة حليمة السعدية مرضعة رسول الله ﷺ .

(٤) أى ياحارث فرخم بحذف الحرف الأخير . (٥) أى يا أبت .

قالت كان لأبي بكر مسجد [١] بفناء داره ، فكان إذا صلى فيه وقرأ القرآن بكى بكاء كبيرًا ، فتجتمع إليه النساء والصبيان والعبيد يعجبون مما يرون من رقته [٢] ، وقد كان استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة حين أوذوا بمكة ، فأذن له رسول الله ﷺ فخرج حتى كان من مكة على يومين لقيه ابن الدغنّة ، رجل من بنى الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، وكان سيد الأحابيش ، فقال له : أين يا أبا بكر ؟ فقال : آذانى قومى وأخرجونى من بلادى ، فأود أن أؤم بلدًا أكون فيه ، أستريح من أذاهم ، وآمن منهم ، فقال : ولم ؟ فوالله إنك لتزين العشيرة ، وتعين على النائبة ، وتفعل المعروف ، وتكسب المعدم ، ارجع فأنت فى جوارى ، فرجع ، فلما دخل مكة قام فصرخ بمكة : يا معشر قريش إنى قد أجرت ابن أبى قحافة ، فلا يؤذيه أحد ، وكانوا إذا عقدوا فنخ [٣] ، وكف عنه هذا الحى من قريش ، وكان إذا صلى فى مصلاه ذلك بمكة كان من أمره ما وصفت ، فمشى إليه رجال من قريش ، فقالوا : يا ابن الدغنة إن هذا الرجل الذى أجرت ، رجل له حال ما هو لغيره ، إنه إذا تلا ما جاء به محمد بكى بكاء لا يكيه أحد [٤] ، فيرق لذلك منه ضعفاؤنا ونساؤنا وخدمنا ، فمره فليكف عنا ، يتخذ مصلى غير هذا فى بيته ، فمشى إليه ابن الدغنة فقال : يا أبا بكر إنى لم أجرك لتؤذى قومك ، فاتخذ مصلى غير هذا ، فقال أبو بكر : أو غير ذلك ؟ فقال : وما هو ؟ قال : أرد عليك جوارك ، وأرضى بجوار الله فقال : نعم ، فقال أبو بكر : لقد رددت عليك جوارك ، فقال ابن الدغنة : يا معشر قريش إن أبا بكر قد رد على جوارى ، فشأنكم بصاحبكم .

* * *

(١) المسجد : هو موضع السجود ، والمكان المخصص للصلاة ، ويظهر من هذا أن أبا بكر كان يخصص فى بيته مكانا للصلاة ، ومن هنا استحب فريق من العلماء أن يكون بالبيت مكان مخصص بالصلاة يسمى « مسجد البيت » يصلى فيه أهله النفل والتطوع والتهجد وقيام الليل وتصلى فيه النساء وليتعود الأطفال على الصلاة إذا رأوا الأب والأم يصليان . وهذا رأى وجيه .

(٢) ورد أنه كان رجلاً أسيفًا أى رقيق القلب كثير البكاء ﷺ . (٣) أى منع .

(٤) وهذا دليل رقة أبى بكر وشدة إيمانه ومدى تأثره عند تدبر القرآن أثناء التلاوة .

وفاة أبى طالب وما جاء فيه

* المشركون يطلبون من أبى طالب عهداً بينهم وبين ابن أخيه :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فقال أبو جهل وعُتْبة وشَيْبة ابنا ربيعة ، والعاصى بن سعيد ، وأمية بن خلف : يا معشر قريش إن هذا الأمر يزداد وإن أبا طالب ذو رأى وشرف وسن ، وهو على دينكم ، وهو اليوم مدنف (مريض) ، فامشوا إليه فأعطوه السواء يأخذ لكم وعليكم فى ابن أخيه ، فإنكم إن خلوتم بعمر بن الخطاب وبحمزة بن عبد المطلب وقد خالفا دينكم تكون الحرب بينكم وبين قومكم ، فأقبلوا يمشون إلى أبى طالب [1] حتى جاءوه فقالوا : أنت سيدنا وأنصفنا فى أنفسنا ، وقد رأيت الذى فعل هؤلاء السفهاء مع ابن أخيك ، من تركهم آلهتنا وطعنهم فى ديننا ، وقد فرق بيننا محمد وأكفر آلهتنا وسب آباءنا ، فأرسل إلى ابن أخيك ، فأنت بيننا عدل .

* الرسول يرد على عمه أبى طالب :

قال : فأرسل أبو طالب إلى رسول الله ، ، فأتاه ، فقال : هؤلاء قومك وذووا أسنانهم وأهل الشرف منهم ، وهم يعطونك السواء ، فلا تمل عليهم كل الميل ، فقال رسول الله ﷺ : قولوا أسمع قولكم ، فقال أبو جهل بن هشام : ترفضنا من ذكرك ، ولا تلزمنا ولا من آلهتنا ، فى شىء فندعك وربك ، فقال رسول الله ﷺ : إن أعطيتكم ما سألتم ، أمعطى أنتم كلمة واحدة لكم فيها خير ، تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم ، فقال أبو جهل ، وهو مستهزئ نعم لله أبوك كلمة نعطيكها وعشرة أمثالها ، فقال : قولوا : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، فنفروا من كلامه وخرجوا مفارقينه وقالوا : **﴿ امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشىء يراد * ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق * أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم فى شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب ﴾** [2] . وكان ممشاهم إلى أبى طالب لما لقوا من عمر [3] ، وسمعوا منه .

---

(١) أى ليطلبوا منه أن يأخذ على ابن أخيه عهدا ، وذلك قبل موته .

(٢) سورة ص : الآيات ٦ - ٨ .

(٣) أى بعد إسلام عمر وإظهار الإسلام .

نا أحمد : نا يونس عن محمد بن إسحاق قال : فلما رأى رسول الله ﷺ تكذيبهم بالحق قال : لقد دعوت قومى إلى أمر ما اشتططت فى القول ، فقال عمه : أجل لم تشتط ، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك - وأعجبه قول عمه - يا عم بك على كرامة ويدك عندى حسنة ، ولست أجد اليوم ما أجزيك به ، غير أنى أسألك كلمة واحدة تحل لى بها الشفاعة عند ربى ، أن تقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، تصيب بها الكرامة عند الممات ، فقد حيل بينك وبين الدنيا ، وتنزل بكلمتك هذه الشرف الأعلى فى الآخرة ، فقال له عمه : والله يا ابن أخى لولا رهبة أن ترى قريش إنما ذعرنى الجزع ، وتعهدك بعدى سبة تكون عليك وعلى بنى أبيك غضاضة لفعلت الذى تقول ، وأقررت بها عينك ، لما أرى من شدة وجدك ونصحك لى ..

* أبو طالب يأمر بنى المطلب باتباع محمد :

ثم إن أبا طالب دعا بنى عبد المطلب فقال : إنكم لن تزالوا بخير ما سمعتم قول محمد واتبعتم أمره ، فاتبعوه وصدقوه ترشدوا ، فقال له رسول الله ﷺ عند ذلك : تأمرهم بالنصيحة وتدعها لنفسك ؟! فقال له عمه : أجل لو سألتنى هذه الكلمة وأنا صحيح لها لاتبعتك على الذى تقول ، ولكنى أكره الجزع عند الموت وترى قريش أنى أخذتها عند الموت ، وتركتها وأنا صحيح ، فأنزل الله تعالى : **﴿ إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴾** (١) .

* ما حدث عند وفاة أبى طالب :

نا يونس عن محمد بن أبى أنيسة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبى أُمية ، فقال رسول الله ﷺ لأبى طالب: يا عماه ، قل لا إله إلا الله ، كلمة أشهد لك بها عند الله ، فقال أبو جهل وعبد الله : يا أبا طالب أترغب (٢) عن ملة عبد المطلب ؟ ، فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ، ويعيد له تلك المقالة حتى قال له أبو طالب ، آخر ما كلمهم : هو على ملة عبد المطلب ، ويأبى أن يقول لا إله إلا الله ، فقال رسول الله ﷺ : أما والله لأستغفرن لك ما

(١) سورة القصص : الآية ٥٦ .

(٢) المعنى أتترك وتبعد .

لم أنه (١) عنك، فأنزل الله فى ذلك : ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم** ﴾ (٢) ، وأنزل الله فى أبى طالب : ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ .

نا يونس عن قيس بن الربيع عن حبيب بن أبى ياسر قال : حدثنى من سمع ابن عباس يقول فى قوله تعالى : ﴿ **وهم ينهون عنه وينأون عنه** ﴾ (٣) نزلت فى أبى طالب ، كان ينهى عن أذى محمد ، وينأى عما يجىء به أن يتبعه .

* الرسول يطلب من عمه نطق الشهادة عند الموت :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن ابن إسحاق قال : لما أتى رسول الله ﷺ أبا طالب فى مرضه فقال له : يا عم قل لا إله إلا الله أستحل بها لك الشفاعة يوم القيامة ، قال : والله يا ابن أخى لولا أن تكون سبة عليك وعلى أهل بيتك من بعدى يرون أنِّى قلتها جزعاً حين نزل بى الموت لقلتها ، لا أقولها إلا لأسرك بها (٤) فلما ثقل أبو طالب رؤى يحرك شفتيه ، فأصغى إليه العباس ليسمع قوله ، فرفع العباس عنه فقال : يا رسول الله قد والله قال الكلمة التى سألته (٥) ، فقال رسول الله ﷺ : لم أسمع .

* الرسول يُسئل عن جزاء عمه بعد موته :

نا يونس عن سنان بن إسماعيل الحنفى عن يزيد الرقاشى قال : قيل لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، أبو طالب ونصرته لك وحيطته عليك أين منزلته ؟فقال رسول الله ﷺ : هو فى ضَحْضَاح (٦) من نار ، فقيل : وإن فيها لضحضاحًا وغمرًا ؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم ، إن أدنى أهل النار منزلة لمن يحذى له نعلان

---

(١) أى ما لم ينهنى ربى عن ذلك .

(٢) سورة التوبة : الآية ١١٣ .

(٣) سورة الأنعام : الآية ٢٦ .

(٤) أى لتفرح بها ويحدث لك السرور .

(٥) أى شهد أن لا إله إلا الله .

(٦) أى يصل إلى كعبيه لا يغرقه .

من نار يغلى من وهجهما دماغه حتى يسيل على قوائمه ، قال سنان : فبلغنى أنه يُنادى تُرى ألا يعذَّب أحد عذابه من شدة ما هو فيه ؟! .

نا يونس عن يونس بن عمرو عن أبيه عن ناجية بن كعب عن على بن أبى طالب قال : لما مات أبو طالب أتيت رسول الله ﷺ فقلت : إن أبا طالب ، عمك الكافر ، قد مات ، فقال رسول الله ﷺ اذهب فواره (١) فقلت : والله لا أواريه ، قال : فمن يواريه إن لم تواره ، فانطَلق فواره ثم لا تُحدث شيئًا حتى تأتينى ، فانطلقت فواريته ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ فقال انطلق فاغتسل ثم ائتنى ، ففعلت ثم أتيته ، فلما أن أتيته دعا لى بدعوات ما أحب أن لى بهن ما على الأرض من شىء .

* اعتراف الرسول ﷺ بنصرة عمه له :

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : مازالت قريش كاعين (٢) عنى حتى مات أبو طالب .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وقال على بن أبى طالب يرثى أباه لما مات :

أَرقت لِنَوح آخر الليل غَرَّدا لشيـــ ... ـــخى بنَعى والرئيس المسوَّدا
أبَا طالبٍ مأوى الصَعاليك ذَا النَّدَىَ ... وذَا الحلم لا جَلفاً ولم يَكُ قعددا
أَخا الهلك خَلا ثَلْمه سَيْشدها ... بَنُو هَاشم أو تُستباح وَتضهدا
فَأَمسَتْ قُرَيشٌ يَفْرحونَ لفَقْده ... وَلَستُ أَرَى حَيًّا لِشَىءِ مخلَدا
أَرادوا أُمورًا زَينتهـــا حلُومهم ... ستوردهم يَومًا من الغَىِّ مَوْردا
يَرجون تكْذيبَ النبـــى وَقَتْله ... وإنْ يَفْتروا بُهتًا عَليه وَجُحدا
كَذَبْتُمْ وَبيتَ الله حتـــى نُذيقكُم ... صدُور العَوالى والصَّفيح المهَندا
وَيبدو منَّا مَنْظَر ذُو كَريهـــة ... إذا مَا تَسَربلنا الحديد المُسَردا
فَإمَّا تُبِيدُونا وَإما نُبِيدكـــم ... وَإمَّا تَروا سَلم العَشيرة أرشدا

(١) أى ادفنه (واره التراب) .
(٢) أى مانعين عنى أذاهم .

وإلا فَإن الحي دون محمد　　بَنو هَاشم خير البرية محتدا
وَإن له منكم من الله نَاصرًا　　ولستُ بِلاقٍ صَاحب الله أوحدا
نَبِى أَتى مِنْ كَل وَحى بحظه　　فَسمَّاهُ ربِّى فَى الكتَاب مُحَمدا
أَغر كَضوءِ الشمس صُورة وَجْهه　　جَلا الغيْمَ عنه ضَوءه فَتعددا
أَمين على مَا استودع اللهُ قَلْبَه　　وَإن قَال قَولاً كان فيهَ مُسددا

آخر الجزء الرابع بحمد الله

بعده وفَاة خديجة بنت خويلد رضى الله عنها .

*　*　*

القسم الخامس

قال
رضو
قال
ماتا ،
طالب

ﷺ
صَخَبَ

نصيرير
وكانت
عضداً
والمعرا
له ان أ
بعنايته

يقر وي
عنه ،

عن عا
والقصد
هشام ١

بسم الله الرحمن الرحيم

وفاة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها

أنا الشيخ أبو الحسين أحمد بن محمد بن النقور البزّاز قراءة عليه وأنا أسمع قال : أنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص قال : قرئ على أبى الحسين رضوان بن أحمد وأنا أسمع قال : نا أبو عمر أحمد بن عبد الجبار العطاردى قال : نا يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال : ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب ماتا فى عام واحد (١) فتتابعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المصائب بهلاك خديجة وأبى طالب ، وكانت خديجة وزيرة صدق على الإسلام ، كان يسكن (٢) إليها ·

*** جزاء الله خديجة رضي الله عنها :**

نا يونس عن فايد بن عبد الرحمن العبدى عن عبد الله بن أوفى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أتانى آت من الله عز وجل يبشر (٣) خديجة ببيت فى الجنة من قَصب لا صَخَبَ فيه ولا نَصَب ·

---

(١) سمى ذلك العام عام الحزن ؛ وذلك لشدة حزن النبى صلى الله عليه وسلم على فقد أعظم نصيرين له ، وذلك أن خديجة رضي الله عنها ضربت أروع الأمثلة على عظمة الزوجة الحنون الشفوق وكانت خير زوجة وخير أم وخير من نصر الرسول وآزره وأعانه ، وأبو طالب كان للرسول عضداً ، ومنعة وناصراً ، وكان وفاتهما قبل هجرته صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين ، وكانت رحلة الإسراء والمعراج بعد وفاتهما لكى يخفف الله عن رسوله صلى الله عليه وسلم ما فيه من هم وحزن وضيق ولكى يبين له أن أهل الأرض إذا كانوا قد تخلوا عنك فإن رب الأرض والسماء معك يعينك ويأيدك ويرعاك بعنايته ·

(٢) عند ابن هشام : « يشكو إليها » والاثنان صواب ، فكان صلى الله عليه وسلم يسكن إليها : أى يقر ويطمئن بها ، وأيضاً كان يشكو إليها فعل المشركين به وأذاهم له فكانت تهدئه وتخفف عنه ·

(٣) ذكر ابن هشام فى سيرته حديثا آخر مرسلا رواه مسلم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قال صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب لاصخب فيه ولا نصب » والقصب : اللؤلؤ المجوف ، النصب : التعب فكان جزاؤها من جنس عملها انظر سيرة ابن هشام ١ / ٢٢٥ تحقيق طه عبد الرءوف سعد ط · مكتبة الكليات الأزهرية ·

نا يونس عن هشام بن عُروة عن أبيه عن عائشة قالت : ما غرت على امرأة لرسول الله ﷺ ما غرت (١) على خديجة مما كنت أسمع من ذكره لها (٢) ، وما تزوجنى إلا بعد موتها بثلاث سنين ، ولقد أمره ربه أن يبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا نصب ولا صخب (٣) .

* غيرة السيدة عائشة من حديث الرسول عن خديجة :

نايونس عن عبد الواحد بن أيمن المخزومى قال : نا أبو نجيح أبو عبد الله ابن أبى نجيح قال : أهدى لرسول الله ﷺ جزور ولحم ، فأخذ عظمًا منها فناوله الرسول (٤) بيده فقال له : اذهب بهذا إلى فلانة ، فقالت له عائشة : لم غمرت يدك ؟ فقال رسول الله ﷺ : إن خديجة أوصتنى بها ، فغارت عائشة ، وقالت : لكأنه ليس فى الأرض امرأة إلا خديجة ! فقام رسول الله ﷺ مغضبًا ، فلبث ما شاء الله ، ثم رجع فإذا أم رومان (٥) ، فقالت : يا رسول الله مالك ولعائشة إنها حدث (٦) وأنت أحق من تجاوز عنها ، فأخذ بشدق عائشة وقال : ألست القائلة كأنه ليس على الأرض امرأة إلا خديجة ؟! والله لقد آمنت بى إذ كفر قومك ، ورُزِقتُ منِّى الولد (٧) وحرمتموه (٨) .

---

(١) أى مثل غيرتى .

(٢) ورد أن الرسول ﷺ من شدة حبه للسيدة خديجة ﵂ كان دائما يذكرها بعد موتها بكل خير وطيب - والحق أنها تستحق ذلك - وورد أيضًا أن النبى ﷺ كان يصل أقاربها ومن كانت تصلهم فى حياتها ، وذلك لشدة حبه لها ، وإخلاصه ﷺ لها حتى بعد موتها .

(٣) أي لا نصب ولا صخب فيه .

(٤) أي : رسول رسول الله ﷺ وهو المرسال الذى أرسله باللحم .

(٥) هى أم السيدة عائشة ﵂ - ويتضح لنا هنا كيف أن الأم فى ذلك العصر كانت تلقى اللوم على ابنتها إذا فعلت ما يغضب الزوج ، وكانت تصلح بينهما وتتدخل للم الشمل وليس للإفساد .

(٦) أى صغيرة السن .

(٧) أى الأولاد ، ولفظ الولد يطلق على الذكر والأنثى .

(٨) وفى رواية أخرى فيما معناه : « لقد آمنت بى حين كفر الناس ، وواستنى بمالها» .

* مكانة السيدة خديجة :

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر عن على بن أبى طالب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : خير بناتها [١] مريم ابنة عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد .

نا يونس عن الحسن بن دينار عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال : حسبك من نساء العالمين أربع مريم ابنة عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة ابنة محمد ﷺ .

نا يونس قال : كل شيء من ذكر أزواج النبى ﷺ فهو إملاء ابن إسحاق حرفًا حرفًا .

* ذكر أبناء الرسول ﷺ وبناته :

نا يونس عن ابن إسحاق قال : كان أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قُصى [٢] ، وتزوج خديجة قبل رسول الله ﷺ - وهى بكر - عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فولدت له امرأة ثم هلك عنها ، فتزوجها بعده أبو هالة النباشى بن زرارة أحد بنى عمرو بن تميم ، حليف بنى عبد الدار ، فولدت له رجلا وامرأة ، ثم هلك عنها ، فتزوجها رسول الله ﷺ فولدت له بناته الأربع : زَينب ، ورُقية ، وأُم كلثوم ، وفاطمة ، وولدت بعد البنات : القاسم ، والطاهر ، والطيب ، فذهب الغلمة جميعًا وهم يرضعون .

نا يونس عن إبراهيم بن عثمان عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال : ولدت خديجة لرسول الله ﷺ غلامين وأربع نسوة : القاسم ، وعبد الله ، وفاطمة ، وأم كلثوم ، وزينب ، ورُقية .

نا يونس عن أبى عبد الله الجعفى عن جابر عن محمد بن على قال : كان

---

(١) أى خير بنات الدنيا .

(٢) كان عمرها أربعين سنة وكان عمر الرسول ﷺ خمسة وعشرين عامًا ، أو يقرب من ذلك .

القاسم ابن رسول الله ﷺ قد بلغ أن يركب الدابة ، ويسير على النجيبة ؛ فلما قبضه الله عز وجل قال عمرو بن العاص (١) : لقد أصبح محمد أبتر من ابنه ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ عوضًا ، يا محمد من مصيبتك بالقاسم : ﴿ **فصل لربك وانحر * إن شانئك هو الأبتر** ﴾ (٢) .

نا أحمد عن يونس عن ابن إسحاق قال : وعاشت رقية حتى تزوجها عثمان ابن عفان ، فلما ماتت زوجه رسول الله ﷺ أم كلثوم ، ويزعمون أنه قد ولد له من رقية غلام ، فذهب وهو صغير رضيع ، وبه كان يكنى عثمان ، أبا عبد الله .

أنا أحمد : أنا يونس عن ابن إسحاق قال : وكانت زينب عند (٣) أبى العاصى ابن الربيع ،. فولدت له أمامة ، وعليًّا ، فذهب على وهو غلام ، وبقيت أمامة حتى تزوجها على (٤) بعد فاطمة ، فتزوجت بعد قتل على المغيرة بن نَوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، فهلكت عنده (٥) .

* * *

(١) الصواب أنه العاص بن وائل السهمى أبو عمرو كما جاءت الروايات الصحيحة بذلك .

(٢) سورة الكوثر : الآيات ١ - ٣ .

(٣) أى زوجته .

(٤) أى على بن أبى طالب - كرم الله وجهه .

(٥) أى ماتت رضي الله عنها .

تزويج فاطمة (١) رضي الله عنها

أنا (أخبرنا) أحمد : أنا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد عن علي قال : خُطبت (٢) فاطمة إلى رسول الله ﷺ فقالت لي مولاة لي : هلا سمعت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله ﷺ (٣) ؟ فقلت : لا ، قالت : فقد خطبت ، فما يمنعك أن تأتي رسول الله ﷺ فيزوجك ، فقلت : وعندي شيء أتزوج به (٤) فقالت : إنك إن جئت رسول الله ﷺ زوجك فوالله ما زالت ترجيني حتى دخلت على رسول الله ﷺ ، وكان لرسول الله ﷺ جلال وهيبة ، فلما قعدت بين يديه أفحمت (٥) ، فوالله ما استطعت أن أتكلم ، فقال رسول الله ﷺ : ما جاء بك ألك حاجة ؟ فسكت ، فقال : ما جاء بك ، ألك حاجة ؟ فسكت ، فقال : لعلك جئت تخطب فاطمة ؟ فقلت : نعم ، فقال : وهل عندك من شيء تستحلها به (٦) ؟ فقلت : لا والله يا رسول الله ، فقال : ما فعلت درع سلَّحكتها (٧) ، فوالذي نفس علي بيده إنها لحطمية ما ثمنها أربعة دراهم ، فقلت : عندي ، فقال : قد زوجتكها فابعث بها إليها فاستحلها بها ، فإن كانت لصداق فاطمة ابنة رسول الله ﷺ (٨) .

---

(١) هي السيدة الفاضلة فاطمة الزهراء أم الإمامين الشهيدين الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة ، وزوجة الإمام علي بن أبي طالب ، وكانت السيدة فاطمة أحب بنات الرسول إلى نفسه ، حتى إنها كانت إذا دخلت عليه قام لها ﷺ انظر كتاب « عقيلة آل البيت » تأليف المحققين ط . مكتبه العلم والإيمان بالحسين .

(٢) ورد أيضًا أن عمر بن الخطاب ونفر من الصحابة تقدم كل منهم على حدة لرسول الله ﷺ لخطبة فاطمة فلم يرد الرسول بالرفض ولا بالقبول ، وبعد أيام الح عمر على عليٍّ أن يتقدم لخطبة فاطمة ، فتقدم .

(٣) أي تقدم الرجال لخطبتها .

(٤) أي هل عندي شيء أتزوج به ؟! جمله استفهامية الغرض منها التعجب .

(٥) لم يستطع أن يتكلم لحيائه وخجله من الرسول ﷺ .

(٦) أي المهر . (٧) أي سلحتك بها .

(٨) مهر ابنة أشرف الخلق أربعة دراهم ، ياليت أولياء الأمور يتأسون ويقتدون برسول الله ﷺ : ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر** ﴾ وليس معنى ذلك الا يأخذوا مهرًا ولكن على حسب مقدرة الزوج إن كان غنيا أخذوا ما يناسبهم =

أنا يونس عن عباد بن منصور عن عطاء بن أبى رباح قال : لما خطب على فاطمة أتاها رسول الله ﷺ فقال : إن عليًّا قد ذكرك ، فسكتت ، فخرج رسول الله ﷺ فزوجها [(١)] .

أنا أحمد : أنا يونس قال : سمعت ابن إسحاق قال : فولدت فاطمة لعلى الحسن ، والحسين ، ومحسن ، فذهب مُحسن صغيراً [(٢)] ، وولدت له : أمَّ كلثوم وزينب [(٣)] .

أنا يونس عن يونس بن عمرو عن أبيه عن هانئ بن هانئ عن على قال لما ولد حسن سميته حربًا ، قال : فجاء رسول الله ﷺ فقال : أرونى بُنىَّ ، ماذا سـميتموه ؟ فقلت : سميته حرباً ، فقال رسول الله ﷺ : لله عليه ، لا ولكن اسمه حسن [(٤)] ، فلما ولدت حُسيناً سميته حرباً ، فجاء رسول الله ﷺ فقال :

= ولا يرهقونه ، وإن كان فقيراً أخذوا ما قدر الزوج على دفعه والأهم من ذلك كله هو معيار الدين والخلق لقول رسول الله ﷺ : « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » وما كثر الزنا إلا بسبب المغالاة فى المهور ، فيا ليت الآباء والأمهات يعقلون ذلك ويتعظون .

(١) ورد فيما معناه أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة عند زواجها : « لقد أتانى ملك الجبال ، وقال لى : لو شئت لجعلت لك أحد - أى جبل أحد - ذهبًا ليكون مهراً لفاطمة فما رأيك ، فقالت السيدة العفيفة الشريفة الزاهدة التقية الورعة كلمات قلائل لكن معناها كبير وعظيم ، ولا يقولها إلا شخص حكيم كلمات نورانية خرجت من قلب كله إيمان وزهد فى الدنيا وتطلع لما عند الله ، قالت له : (يا أبت إن الدنيا دار من لا دار له ، وعلم من لا علم له ، ولها يجمع من لا عقل له) صدقت يا سيدتى ، ونعم من رباك ، بهذه الكلمات رسمت أروع صورة لأعظم نموذج نسائى فريد ، تربى فى بيت النبوة وأنجبت زينة الشباب وأفضلهم وسيدى الشهداء فى الجنة رضي الله عنهم جميعا وجعلنا معهم - آمين يا رب العالمين .

(٢) أى مات صغيراً .

(٣) أم كلثوم وزينب : سمتهما بأسماء أخواتها .

(٤) وهو الذى قال عنه النبى ﷺ فى الحديث الصحيح « إن ابنى هذا سيد ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » رواه البخارى ، ولقد تحقق ذلك عندما تنازل سيدنا الحسن لمعاوية بعد موت أبيه سيدنا على ، واجتمعت كلمة المسلمين على معاوية ، وسمى « عام الجماعة » وذلك سنة أربعين من الهجرة ، انظر قواعد أصول الحديث لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم ص ٢٨٣ .

أرونى ابنى (١) ما سميتموه ؟ فقلت : سميته حربًا ، فقال : لا ولكن اسمه حسين فلما ولدت الثالث سميته حربًا ، فجاء رسول الله ﷺ فقال : أرونى ابنى ماذا سميتموه ؟ فقلنا : سميناه حربًا ، فقال : لا ولكن اسمه مُحسن ، ثم قال : إنى سميتهم ببنى هرون ، شَبَره وشُبيرًا ، يقول حسن وحُسين .

* * *

(١) كان ﷺ يقول للحسن والحسين ابنىَّ .

تزويج عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت على رضي الله عنهم (١)

نا أحمد : نايونس عن ابن إسحاق قال : وتزوج أم كلثوم ابنة على من فاطمة ابنة رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب ، فولدت له زيد بن عمر وامرأة معه ، فمات عمر عنها ٠

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة قال : خطب عمر بن الخطاب إلى على بن أبى طالب ابنته أم كلثوم وكانت لفاطمة بنت رسول الله ﷺ ، فاعتل على عليه (٢) ، وقال : هى صغيرة ، فقال عمر : لا والله ما ذاك بك ولكن أردت منعى ، فإن كان كما تقول فابعثها إلى ، فرجع على فدعاها فأعطاها حُلّة فقال : انطلقى بهذه إلى أمير المؤمنين فقولى : يقول لك أبى كيف ترى هذه الحلة ، فأتته بها ، فقالت له ذلك ، فأخذ بدرعها (٣) فاجتبذتها منه ، وقالت : أرسل ، فأرسلها وقال : حصان كريم ، انطلقى فقولى له : ما أحسنها وأجملها ، ليست والله كما قلت ، فزوجها إياه ٠

نا يونس عن خالد بن صالح عن واقد بن محمد بن عبد الله بن عمر عن بعض أهله قال : خطب عمر بن الخطاب إلى على بن أبى طالب ابنته أم كلثوم ، وأمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، فقال له على : إن علىّ فيها أمراء حتى استأذنهم ، فأتى ولد (٤) فاطمة ، فذكر ذلك لهم فقالوا : زوِّجه ، فدعا أم كلثوم وهى يومئذ صبية فقال (٥) : انطلقى إلى أمير المؤمنين فقولى : إن أبى يقرئك السلام ويقول لك

---

(١) كان ذلك فى أواخر حياة عمر رضي الله عنه ٠

(٢) أى تعلل له ، ولم يظهر موافقة سريعة ٠

(٣) أي قميصها ٠

(٤) أى أتى أبناءه ، وهنا يعلمنا على درسا فى الشورى فى تربية الأولاد ٠

(٥) لو كان أحد غير عمر خطبها لما أرسلها علىٌّ إليه ، ولكنه أرسلها إلى عمر لتبلغه موافقة أبيها : لأن عمر هو أمير المؤمنين وحاكم المسلمين ولما يتمتع به عمــــر من ورع وإيمان لا يخاف منه وقد تخطى سن المراهقة فهو أكبر من أبيها سنا ثم إنه تقدم لخطبتها فوافق أبوها وأرسلها إليه تعلمه موافقته ، والزواج إيجاب وقبول وقد تم الاثنان ٠

إنا قد قضينا حاجتك التى طلبت ، فأخذها عمر فضمها إليه وقال [١] : إنى خطبتها إلى أبيها فزوجنيها ، فقيل : يا أمير المؤمنين ما كنت تريد إليها وهى صبية صغيرة ؟ قال : إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : كل سبب [٢] منقطع يوم القيامة إلا سببى [٣] ، فأردت أن يكون بينى وبين رسول الله ﷺ سبب صهر .

نا أحمد : نايونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى أبو جعفر عن أبيه على بن الحسين قال : لما تزوج عمر بن الخطاب أم كلثوم ابنة على أتى مجلساً فى مسجد رسول الله ﷺ بين القبر والمنبر للمهاجرين لم يكن يجلس فيه غيرهم ، فدعوا له بالبركة فقال : أما والله ما دعانى إلى تزويجها إلا أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا ما كان من نسبى وسببى .

أنا يونس عن هشام بن سعد القرشى عن عطاء الخراسانى عن عمر بن الخطاب أنه قال : لا تغالوا فى مهور النساء فإنه لو كان تقوى لله أو مكْرمة فى الدنيا كان نبيكم أولاكم بذلك ، ما أصدق [٤] أحدًا من نسائه ولا أصدق بناته أكثر من اثنتى عشرة أوقية أربعمائة وثمانون درهماً . ثم إن عمر بن الخطاب بعدُ خطب أم كلثوم ابنة على ابن أبى طالب فأصدقها أربعين ألفاً .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فلما مات عمر بن الخطاب عن أم كلثوم ابنة على تزوجت عون بن جعفر [٥] ، فهلك [٦] عنها عون ولم يصب منها ولدا .

* * *

(١) وهذا إعلان من عمر لزواجه منها حتى لا يظن به أحد ظن سوء ولكى يتقى الشبهات .

(٢) أى الوصلة .

(٣) أى نسبى .

(٤) الصداق : هو المهر .

(٥) أى جعفر بن أبى طالب ابن عمها .

(٦) أى : مات .

تزويج أم كلثوم عون بن جعفر بن أبى طالب

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى والدى إسحاق بن يسار عن حسن بن حسن عن على بن أبى طالب أنه قال : لما أيمت [١] أم كلثوم ابنة على من عمر بن الخطاب دخل عليها حسن وحسين أخواها فقالا لها : إنك من قد عرفت سيدة نساء المسلمين وابنة سيدتهن وإنك والله لئن أمكنت عليًا من زمتك لينكحنك بعض أيتامه ، ولئن أردت أن تصيبين بنفسك مالاً عظيماً لتصيبنه ، فوالله ما قاما حتى طلع على متوكياً [٢] على عصاه ، فجلس فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر منزلتهم من رسول الله ﷺ وقال : قد عرفتم منزلتكم يا بنى فاطمة وآثرتكم على سائر ولدى لمكانكم من رسول الله ﷺ وقرابتكم منه ، فقالوا : صدقت رحمك الله وجزاك عنا خيراً ، فقال : أى بنية [٣] إن الله عز وجل قد جعل أمرك بيدك فأنا أحب أن تجعليه بيدى ، فقالت : أى أبة ، والله إنى لامرأة أرغب فيما يرغب فيه النساء ، وأحب أن أصيب ما تصيبه النساء من الدنيـا ، فأنا أريد أن أنظر فى أمر نفسى ، فقال : لا والله يا بنية ما هذا من رأيك ، ما هو إلا من رأى هذين [٤] ، ثم قام فقـال : والله لا أكلم رجلاً منهما أو تفعلين ، فأخذا بثيابه فقالا : اجلس يا أبة فوالله ما على هجرتك من صبر [٥] ، اجعلى أمرك بيده ، فقالت : قد فعلـت ، قال : فإنى قد زوجتك عون بن جعفر [٦] ، وإنه لغلام ، ثم رجع إلى بيته فبعث

---

(١) مات عنها زوجها . (٢) أى متوكئا مستنداً على عصا .

(٣) هنا يخاطب ابنته أم كلثوم . (٤) أى الحسن والحسين .

(٥) أى لا نقدر على غضبك منا وانصرافك عنا - وهذا من أدبهم العظيم الذى تعلموه من رسول الله ﷺ .

(٦) وهذا دليل على أن الصالحين كان يخطبون لبناتهم ، وكانوا يختارون لهم الزوج الصالح ، ويعرضون عليه الزواج من بناتهم ، وليس هذا عيبًا كما يعتقد بعض الآباء الآن ، لكنه غاية فى العقل لأن نبى الله شعيب عرض على سيدنا موسى أن يزوجه إحدى ابنتيه لما رأى أنه رجل صالح ، وغيره كثير فى التاريخ ، وقليل نادر من الآباء العظماء اليوم من يفعل ذلك وأكثر ، فيا ليت الآباء يعرفون أن هذا هو خير وسيلة للقضاء على ظاهرة تأخر البنات عن الزواج وتقدم السن بهن ، فهذا للأسف أصبح ظاهرة عامة بين المسلمين اليوم .

إليها بأربعة آلاف ، وبعث إلى ابن أخيه فأدخله عليها ، قال حسن : فوالله ما سمعت بمثل عشق منها له منذ خلقك الله ، فما نشب عون أن هلك ، فرجــــع إليها على فقال : أى بنيه اجعلى أمرك بيدى ففعلت ، فزوجها محمد بن جعفر ثم خرج فبعث إليها بأربعة آلاف درهم ثم أدخله عليها ٠

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فمات عون بن جعفر عن أم كلثوم ابنة على فتزوجها محمد بن جعفر بن أبى طالب [1] فمات عنها ولم يـــــصب منها (أولادا) ٠

* * *

(١) أخو عون زوجها السابق ٠

تزويج زينب بنت على
ابنة فاطمة بنت رسول الله ﷺ

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : كانت زينب ابنة على تحت (١) عبد الله ، بن جعفر بن أبى طالب ؛ فولدت له على بن عبد الله بن جعفر ، وأم أبيها ، فتزوج أم أبيها عبد الملك بن مروان وطلقها فتزوجها على بن عبد الله بن عباس .

نا يونس عن ثابت بن دينار عن أبى جعفر قال : خطب معاوية بن أبى سفيان إلى عبد الله بن جعفر ابنته من زينب ابنة على وأمها فاطمة ؛ وقال له معاوية : أقضى عنك دينك ، فوعده ، فقال عبد الله : إن علىَّ أميراً لست أستطيع أن أزوجها حتى استأمره ، فقال له معاوية : فاستأمره ، وأتى حسين بن على (٢) ، وقال : إن معاوية خطب إلى ابنتى ووعدنى قضاء دينى ، وإنما أنت والد ، أنت خالها فما ترى ؟ قال له : أحب أن تجعل أمرها بيدى ، قال : هو بيدك ، قال : فدخل حسين بن على على الجارية (٣) فقال : إن أباك قد جعل أمرك بيدى فاجعلى أمرك بيدى (٤) ، فقالت : هو بيدك ، فخرج حسين فقال : اللهم أقدر لها خير من تعلم ، فلقى شاباً منهم (٥) فقال : يا فلان اجعل أمرك بيدى ، فقال : هو بيدك .

وكتب معاوية إلى مروان بن الحكم ، وهو أمير المدينة : إننى خطبت إلى أبى جعفر ابنته فاشترط رضى حسين فادعه إليك حتى يسلم ، فجمع مروان الناس وجاء بالدف (٦) والسكر ، ودعا حُسينا فقال : إن أمير المؤمنين كتب إلىَّ أنه خطب إلى عبد الله بن جعفر ، واشترط رضاك ، فسلم له ، فحمد الله حسين وأثنى عليه ثم قال : أشهدكم أنى قد زوجتها فلانا يعنى الشاب الذى لقيه ، فقال مروان « أبيتم يا بنى هاشم إلا غدرا ، فقال له حسين : نشدتك بالله (٧) هل تعلم أن الحسن بن على

---

(١) أى زوجة . (٢) وهو أخو زوجته زينب عليها السلام .

(٣) أى على ابنة أخته ، والجارية تطلق على الفتاة الصغيرة .

(٤) أى فوضينى ووكلينى بتزويجك . (٥) أى من بنى هاشم .

(٦) أى الطبل . (٧) أى أستحلفك بالله .

خطب ابنة عثمان بن عفان فاجتمع الناس مثل اجتماعهم الآن ، وحضر الحسن لذلك ، فجئت أنت فخطبت ثم زوجتها غيره ؟ فقال : نعم ، قال الحسين : فمن الغادر نحن أم أنتم ، ثم أعطى حسين عبد الله بن جعفر أرضاً له يقال لها البغيبغة فباعها (١) من معاوية بألفى ألف ، وأعطى الشاب الذى زوج أرضاً له أخرى قُوِّمت(٢) ألفى ألف ،وأعطى من صلب ماله قيمة أربعة آلاف ألف .

* * *

(١) أى اشتراها معاوية .

(٢) أى كان ثمنها .

ما جاء فى تزويج عثمان بن عفان رضي الله عنه

نا يونس عن الحسن بن دينار عن الحسن قال : أتى رسول الله ﷺ على عثمان وهو مهموم ، فقال له رسول الله ﷺ : مالك ؟ قال : خطبت إلى عمر فردّنى [١] ، فقال رسول الله ﷺ : أفلا أدلك على ختَن [٢] خير لك من عمر ، وأدل عمر على ختَن خير له منك ، فتزوج رسول الله ﷺ حفصة ابنة عمر وزوج النبى ﷺ ابنته [٣] عثمان بن عفان ·

نا يونس عن هشام بن سنبر عن يحيى بن أبى كثير عن المهاجر بن عكرمة المخزومى قال : كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن ينكح امرأة من بناته جلس عند خدرها [٤] فقال : إن فلاناً يريد فلانة ·

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى من لا أتهم أن رسول الله ﷺ كان يغار لبناته غيرة شديدة ، وكان لا ينكح بناته على ضرة ·

أنا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى عمرو بن عبيد عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال لامرأة عثمان : أى بنية إنها لا امرأة لرجل [٥] لم تأت ما يهوى ودمه فى وجهه وإن أمرها أن تنقل من جبل أسود إلى جبل أحمر ، أو من جبل أحمر إلى جبل أسود فاستصلحى زوجك [٦] .

*** غيرة الرسول ﷺ لفاطمة :**

انا يونس عن زكريا بن أبى زائدة عن عامر الشعبى قال [٧] : خطب على ابنة أبى جهل إلى عمها الحارث ، فاستأمر رسول الله ﷺ ، فقال : عن أى شأنها تسلنى ، عن حسبها ؟ قال : لا ولكن تأمرنى بها ، فقال : فاطمة مضغة منى [٨] ولا أحب أن تجزع ، فقال : لا آتى شيئاً تكرهه [٩] ·

* * *

---

(١) أى تقدم لخطبة ابنته فرفض ·   (٢) أى نسب وصهر ·

(٣) هى السيدة رقية رضي الله عنها ·

(٤) هو ستر يمد للمرأة فى ناحية البيت · انظر المعجم الوجيز صـ ١٨٧ ·

(٥) أى لا تصلح المرأة أن تكون زوجة لرجل ·

(٦) وهذا توجيه نبوى كريم من الرسول ﷺ لابنته وكل بنات المسلمين ينصحهن ﷺ بأن يطعن أزواجهن ، وأن يكن زوجات صالحات لأزواجهن ·

(٧) كان حق هذه الرواية أن تأتي فى موضع تزويج فاطمة رضي الله عنها ·(٨) أى بضعة منى ·

(٩) وهذا أدب جم من سيدنا على كرم الله وجهه ·

تَزويجُ النبى ﷺ سَوْدَةَ بنت زَمْعَة

أنا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فماتت خديجة بنت خويلد قبل مهاجر النبى ﷺ بثلاث سنين (١) ، لم يتزوج رسول الله ﷺ عليها امرأة حتى ماتت هى وأبو طالب فى سنة ، ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد خديجة سودة بنت زمعة ، وكانت قبله عند السكران بن عمرو ، أخى سُهيل بن عمرو وكان ابن عمها تزوجها وهى بكر ، فهاجر إلى أرض الحبشة ، ثم قدما مكة فمات عنها مسلماً بمكة . فتزوجها رسول الله ﷺ ولم يصب منها ولداً حتى مات .

نا يونس عن النعمان بن ثابت عن الهيثم أن رسول الله ﷺ قال لسودة ابنة زمعة : اعتدى (٢) فتعرضت له فى طريقه فقالت له : نشدتك بالله ألا راجعتنى ولك يومى أجعله لأي نسائك شئت فإنما أريد أن أحشر من أزواجك يوم القيامة فراجعها رسول الله ﷺ .

* * *

(١) أى قبل هجرة النبى ﷺ إلى المدينة بثلاثة أعوام ، وهو عام الحزن الذى مات فيه أيضًا عمه أبو طالب .

(٢) كناية عن طلاقها .

تزويجُ النبيِّ ﷺ عائشة
بنت أبى بكر الصديق رضي الله عنهما

نا يونس عن هشام بن عُروة عن أبيه عروة بن الزبير قال : لما دخلت (١) سودة فى السن جعلت يومها (٢) لعائشة فكان رسول الله ﷺ يقسم به لها ·

قال ابن إسحاق : ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد سودة بنت زَمْعة عائشة بنت أبى بكر وهى بِكْر ، لم يتزوج بكراً غيرها ولم يصب منها ولداً حتى مات ·

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه قال تزوج رسول الله ﷺ عائشة (٣) بعد موت خديجة بثلاث سنين ، وعائشة يومئذ ابنة ســـت ســـنين ، وبنى (٤) بها رسول الله ﷺ وهى ابنة تسع سنين ، ومات رسول الله ﷺ وعائشة ابنة ثمانى عشرة سنة ·

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن رســـول الله ﷺ قال : « أُريتك (٥) فى المنام مرتين ، أرى أن رجلا يحملك فى سرقة (٦) حرير فيقول : هذه امرأتك فأكشف فأراك فأقول إن كان هذا من عند الله يمضه » ·

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : كانت أمى تعالجنى (٧) تريد لتسمننى بعض السمن لتدخلنى على رسول الله ﷺ فما استقام لها بعض ذلك حتى أكلت التمر بالقثاء ، فسمنت عليه كأحسن ما يكون من السِّمَن ·

نا يونس قال : تحدث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : إنى لألعب

---

(١) أى كبر سنها ·

(٢) أي يومها الشرعى الذى خصصه لها النبى ﷺ ·

(٣) أى عقد عليها ·　　　(٤) أى دخل بها ·

(٥) الخطاب للسيدة عائشة رضي الله عنها أريتك : أرانى الله إياك ·

(٦) أى قطعة حرير ·　　　(٧) أى تهتم بأكلى ·

مع جوارى من الأنصار فى أرجوحة بين نخلتين إذ أتت أمى فأخذت بيدى ما أدرى ما تصنع بى فجعلت أضع يدى على بطنى لأرد نفسى لكى ترى ما بى ، فذهبت بى أمى ونطقتنى وأدخلتنى [١] على رسول الله ﷺ .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى يحيى بن عباد عن أبيه عباد ابن عبد الله بن الزبير عن عائشة قالت : لما قدمنا مهاجرين سلكنا فى ثنية صعبة فنفر [٢] بى جمل كنت عليه ، قوى منكر ، فوالله ما أنسى قول أمى : واعروساه ، فركب بى رأسه فسمعت قائلا يقول : والله ما أراه ألقى خطامه ، فألقيته فقام يستدير عليه كأنما إنسان جالس تحته يمسكه .

* * *

(١) كان ذلك بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة .

(٢) أى فزع .

تَزويجُ النبى ﷺ
حَفْصَة بنت عمر رضى الله عنهما

نا أحمد : نا يونس عن محمد بن إسحاق قال : ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد عائشة حَفْصة (١) بنت عمر ، وكانت قبله عند خُنَيس بن حُذَافة ، أحد بنى سهم فمات رسول الله ﷺ ولم يصب منها ولداً .

نا يونس عن سليمان الأعْمش عن أبى صالح عن ابن عمر (٢) قال : دخل عمر على أختى حَفْصة وهى تبكى ، فقال لها : ما يبكيك ، لعل رسول الله ﷺ طلقك ، إنه قد كان طلقك مرة ثم راجعك ، والله إن كان طلقك أخرى لا أكلمك كلمة أبداً (٣) .

* * *

---

(١) ورد أن عمر بن الخطاب عرض على أبى بكر الزواج من ابنته حفصة فلم يبد موافقة ، فحزن عمر ، ثم عرض على عثمان فلم يبد موافقة فحزن حزنا شديداً فرآه الرسول ﷺ فسأله عن حزنه فأخبره ، فقال له لعل الله يجعل لها خيراً أو معناه - ثم بعد ذلك خطبها النبى ﷺ من عمر وتزوجها .

(٢) هو سيدنا عبد الله بن عمر ، كان من المكثرين من الرواية عن رسول الله ﷺ روى كثيرا من أحاديث رسول الله ﷺ .

(٣) كان بكاؤها - والله أعلم - بسبب هجر الرسول ﷺ لها ولنسائه كلهن وذلك لأن السيدة عائشة والسيدة حفصة تظاهرتا على الرسول بسبب شربه العسل عند السيدة زينب بنت جحش ، وتواطأتا على أن أيتهما يدخل عليها الرسول ﷺ بعدما يأتى من عند زينب ، فلتقل له : إنى أجد منك ريح مغافير ، فدخل على حفصة فقالت له ذلك ، فقال ﷺ : بل شربت عسلا عند زينب ولن أعود له ، وأسر ذلك ، فأنزل الله عز وجل معاتبا نبيه ﷺ : ﴿ يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك ﴾ ، ومعاتبا حفصة وعائشة : ﴿ إن تتوبا إلى الله ﴾ وفى رواية لابن عباس أن الرسول ﷺ دخل بأم ولده مارية فى بيت حفصة وكانت عند أبيها - فجاءت حفصة فوجدت الرسول ﷺ مع مارية ، فقال لها ﷺ : « لا تذكرى هذا لعائشة فهى أى مارية على حرام إن قربتها » وطلب منها الا تذكره لأحد ، فذكرته لعائشة ، فاعتزلهن النبى ﷺ شهراً فأنزل الله : ﴿ يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك ﴾ انظر تفسير القرطبى ١٠ / ٦٩٠٣ . ط . دار الغد العربى .

تَزويجُ النبىِّ ﷺ
زينب بنت خُزَيمة رضي الله عنها

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق : ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد حفصة زينب ابنة خُزيمة الهلالية ، أُمُّ المساكين (١) ، وكانت قبله عند الحصـــين بن الحارث أو عند أخيه الطُّفيل بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف ، ماتت بالمدينة ، أول نسائه موتًا ، ولم يصب رسول الله ﷺ منها ولدًا ·

نا يونس عن زكريا بن أبى زائدة عن عامر الشعبى قال : قلن النسوة لرسول الله ﷺ : أيُّنا أسرع بك لحوقًا (٢) ؟ قال : فقال أطولكن يدًا (٣) ، فأخذن ستنازعن عن أطولهن يدًا ، فلما توفيت زينب علـــموا أنها كانت أطولهن يدًا فى الخير والصدقة ·

* * *

(١) لُقِّبت بهذا اللقب لشدة عطفها وإحسانها على الفقراء والمساكين رضى الله عنها ·

(٢) أى موتًا بعدك ·

(٣) وهذا من باب المجاز ·

تَزويجُ النبي ﷺ أم حبيبة رضي الله عنها

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد زَينب أم حبيبة بنت أبى سفيان ، كانت قبله عند عبيد الله بن جَحش بن رئاب ، أحد بنى أسد أخى عبد الله بن جحش ، كان تزوجها وهى بكر ، وكان له منها حبيبة ابنة عبيد الله ، فمات عنها بأرض الحبشة وقد تنصر بعد إسلامه ، وكانت مهاجرة معه بأرض الحبشة ، فلم يصب رسول الله ﷺ منها ولداً .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى أبو جعفر قال : بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى ، فزوجه أم حبيبة ابنة أبى سفيان وساق عنه أربعمائة دينار (١) .

* * *

(١) دفعها لها مهرا .

تَزْويجُ النبى ﷺ أُمُّ سَلَمة رضي الله عنها

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد أم حبيبة أم سلمة هند بنت أبى أمية ، وكانت قبله عند أبى سلمة عبد الله بن عبد الأسد ابن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم هاجرا جميعاً إلى أرض الحبشة ، ثم قدما المدينة ، فأصابته جراحة بأحد ، فمات بها من جراحته ، كان تزوجها وهى بكر ، فولدت له سلمة ، وعمر ، ودرة ، وزينب ، ولم يصب رسول الله ، منها ولداً .

نا يونس عن يونس بن عمرو عن أبيه عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال : كان رسول الله ﷺ يخطب أم سلمة يجلس على إسكفة الباب ويضع ثوبه ويتكىء عليه ويقول عليه السلام : إن كان إنما بك أن أزيدك فى الصداق زدتك ، وإن أردت أزد النسوة .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى والدى إسحاق بن يسار قال : كان لرسول الله ﷺ فى كل يوم من سعد بن عبادة جفنة طعام يدور بها معه حيث دار ، وكان رسول الله ﷺ إذا خطب امرأة عرض عليها ما أراد أن يسمى لها(١) ، ثم يقول : وجفنة سعد بن عبادة تأتيك كل غداة .

نا يونس عن أبى معشر المدنى عن سعيد المقبرى قال : بعث رسول الله ﷺ إلى أم سلمة يخطبها ، فقالت : إنى فى خصال (٢) لا أقدر على أن أتزوجك يا رسول الله ، إنى امرأة كبيرة ، وأنا أغار على زوجى وأخاف أن أغار على رسول الله ﷺ ، وأنا امرأة مخسوسة سهمى ، وأنا مطفل ذات عيال ، فقال رسول الله ﷺ : أما ما تذكرين من الكبر فإنه ليس عليك أن تتزوجى من هو أكبر منك ، وأما ما تذكرين من الغيرة فإنى أدعو الله عز وجل أن يذهبها عنك وأما ما تذكرين من السهم ، فأنا أدعو الله أن يحسن سهمك ، وأما ما تذكرين من العيال ، فمن ترك مالاً فلورثته ، ومن ترك ديناً أو عيالاً فعلى الله وعلى رسوله فتزوجها رسول الله ﷺ .

(١) أى من المهر .   (٢) أى صفات .

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن حزم، وعبد الرحمن بن الحارث ومن لا أتهم عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال: كان الذى زوج رسول الله ﷺ أم سلمة ابنها سلمة، فزوجه رسول الله ﷺ ابنة حمزة وهما صبيان صغيران، فلم يجتمعا حتى ماتا، فقال رسول الله ﷺ: هل جزيت سلمة بتزويجه إياى أمه.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثنى عبد الملك بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أبيه قال: تزوج رسول الله ﷺ، أم سلمة فى شوّال وجمعها فى شوّال فقالت له: سبِّع عندى، فقال رسول الله ﷺ إن شئت فعلت وسبعت عند صواحبك، وإن شئت فثلاث [1] ثم أدور عليهن فى يومك، فقالت: لا بل ثلاث.

نا يونس عن النعمان بن ثابت عن الهيثم أن رسول الله ﷺ أوْلَمَ [2] على أم سلمة بتمر وسويق.

* * *

(١) وهكذا يفعل مع الثيب.

(٢) أى أقام وليمة لزواجه من أم سلمة.

تَزْويجُ النبي زَينب ابْنَة جَحْش رضي الله عنها

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد أم سلمة زينب ابنة جَحْش أخت عبد الله بن جحش إحْدَى نساء بنى أسد بن خزيمة ، وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة ، زوَّجه الله إياها [(١)] ، فمات رسول الله ﷺ ، ولم يصب منها ولداً ، وهى أم الحكم .

نا يونس عن أبى سلمة الهمذانى مولى الشَّعبى عن الشعبى قال : مرض زيد ابن حارثة فدخل عليه رسول الله ﷺ يعوده ، وزينبُ ابنة جَحْش امرأته جالسة عند رأس زيد ، فقامت زينب لبعض شأنها ، فنظر إليها رسول الله ﷺ [كذا] ، ثم طأطأ رأسه [(٢)] فقال : سبحان الله مقلِّب القلوب والأبصار ، فقال زيد : أطلقها لك يا رسول الله ؟ فقال : لا ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وكان أمر الله مفعولاً** ﴾ [(٣)] .

* * *

(١) أى زوَّج اللهُ رسوله إياها .

(٢) أى خفض رأسه وغض بصره .

(٣) سورة الأحزاب : الآية ٣٧ راجع (روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى) عند تفسيره لهذه الآية تحقيق طه عبد الرءوف سعد / ط دار الغد العربى .

تَزويج النبي جُوَيْرِيةَ ابنة الحارث رضي الله عنها

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : تزوج رسول الله ﷺ بعد زَينب بنت جَحش جُوَيْرية ابنة الحارث بن أبى ضرار ، وكانت قبله عند ابن عم لها يقال له ابن ذى الشفر ، فمات رسول الله ﷺ ولم يصب منها ولداً .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عن عائشة أنها قالت : لما قسَّم رسول الله ﷺ سَبايا بنى المصْطَلق [١] وقعت جويرية ابنة الحارث فى السهم لثابت بن قيس ولابن عم له ، فكاتبته [٢] على نفسها ، وكانت امرأة حلوة ملاحة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه ، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه فى كتابتها ، قالت عائشة : فوالله ما هو إلا أن رأيتها فكرهتها وقلت : سيرى منها مثلما رأيت [٣] ، فلما دخلت عليه قالت : يا رسول الله أنا جويرية ابنة الحارث ، سيد قومه ، وقد أصابنى من البلاء ما لم يخف عليك وقد كاتبت على نفسى فأعنى على كتابتى ، فقال رسول الله ﷺ : أو خير من ذلك ، أؤدى [٤] عنك كتابتك وأتزوجك فقالت : نعم ، ففعل رسول الله ﷺ ، فبلغ الناس أن رسول الله ﷺ تزوجها ، فقالوا : أصهار رسول الله ﷺ ، فأرسلوا ما كان فى أيديهم من بنى المصطلق ، فلقد أعتق بها مائة أهل بيت من بنى المصطلق ، فما أعلم امرأة أعظم بركة على أهل بيت منها .

* * *

(١) كانت غزوة بنى المصطلق فى السنة الخامسة للهجرة .

(٢) أى كتبت بينها وبينه اتفاقًا على مال معلـــوم تقسطه له فإذا ما دفعته كله صارت حرة .

(٣) وهذا دليل على غيرة السيدة عائشة رضي الله عنها على رسول الله ﷺ .

(٤) أى أدفع ما كاتبت عليه .

تَزْويجُ النبى صَفيَّة ابنة حُيَىٍّ رضي الله عنها

نا يونس عن زكريا بن أبى زائدة عن عامر الشعبى قال : كانت جويرية من ملك يمين (١) رسول الله ﷺ فأعتقها واستنكحها وجعل مهرها عتق كل مملوك من بنى المصطلق .

نا أحمد : نايونس عن ابن إسحاق قال : ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد جويرية صفية ابنة حيى ، وكانت قبله عند كنانة بن الربيع بن أبى الحُقَيق ، فمات عنها رسول الله ﷺ ولم يصب منها ولداً .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى والدى إسحاق بن يسار قال لما افتتح رسول الله ﷺ حصن ابن أبى الحقيق أتى بصفية ابنة حيى ومعها ابنة عم لها جاء بها بلال فمر بهما على قتلى من قتلى يهود ، فلما رأتهم التى مع صفية صكت (٢) وجهها ، وصاحت وحثت التراب على رأسها ، فقال رسول الله ﷺ غربوا (٣) هذه الشيطانة عنِّى ، وأمر بصفية خلفه وغطى عليها ثوبه ، فعرف الناس أنه اصطفاها لنفسه ، وقال رسول الله ﷺ لبلال ، حيث رأى من اليهودية ما رأى : يا بلال نزعت منك الرحمة حين تمر بامرأتين على قتلاهما ، وقد كانت صفية رأت قبل ذلك ، أن قمراً وقع فى حجرها ، فذكرت ذلك لأبيها (٤) فضرب وجهها ضربة أثر فيه ، وقال : إنك لتمدين عنقك إلى أن تكونى عند ملك العرب ، فلم يزل الأثر فى وجهها حتى أتى بها رسول الله ﷺ ، فسألها عنه ، فأخبرته خبره .

يونس عن هشام بن أبى عبد الله عن شُعيب بن الحبحَاب عن أنس بن مالك قال : أعتق رسول الله ﷺ صفية وجعل عتقها صداقها .

نا يونس عن عبد الله بن عبد الله الأزدى عن أنس بن مالك قال : لما تزوج رسول الله ﷺ صفية ابنة حُيَى دعا الناس على مأدبته وهى يومئذ بالحيس والتمر .

يونس عن سليمان الأعمش قال : بلغنى رسول الله ﷺ أوْلَمَ على بعض نسائه بقدر من جشيشة (٥) .

---

(١) أى جارية له . (٢) أى لطمت . (٣) أى ابعدوا .

(٤) قيل إنها ذكرت ذلك لزوجها .

(٥) الجشيشة هى الحب المجروش يُلقى عليه لحم أو تمر فيطبخ - انظر المعجم الوجيز ص ١٠٦ .

تَزويجُ النبي ﷺ
ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد صفية ميمونة بنت الحارث الهلالية ، وكانت قبله عند أبي رهم بن أبي قيس أحد بني مالك بن حسل من بني عامر بن لُؤى ، مات رسول الله ﷺ ولم يصب منها ولداً .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني ثقة عن سعيد بن المسيب أنه قال : هذا عبد الله بن عباس يزعم أن رسول الله ﷺ نكح ميمونة وهو مُحْرِم (١) ، وكذب ، إنما قدم رسول الله ﷺ مكة فحل (٢) ، فكان الحل والنكاح جميعاً فشبه (٣) ذلك على الناس .

نا يونس عن جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران عن يزيد بن الأصم قال : تزوج رسول الله ﷺ مَيمونة وهو حلال (٤) ، بعث إليها الفضل بن عباس ورجلاً معه فزوجاها إياه .

نا يونس عن عبد الله بن محرز عن يزيد بن الأصم أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة وهو حلال بسرف (٥) ، وبنى بها (٦) وهو حلال في قبة لها ، فماتت فيها (٧) .

نا يونس عن عبد الله بن مُحْرِز عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال تزوج رسول الله ﷺ ميمونة وهو مُحْرِم .

نا يونس عن زكريا بن أبي زائدة عن الشعبي قال : تزوج رسول الله ﷺ ميمونة وهو محرم (٨) .

* * *

(١) أي محرم مرتدي ملابس الإحرام . (٢) أي تحلل من الإحرام .
(٣) أي تشابه والتبس . (٤) أي ليس مُحْرِمًا .
(٥) سرف : موضع يبعد عن مكة بأميال قليلة .
(٦) أي دخل بها .
(٧) أي ماتت فيما بعد بسرف وذلك لأن الرسول ﷺ مات قبلها .
(٨) كان ذلك بعد فتح مكة .

تزويج النبى أسماء بنت كَعْب الجَوْنِية وعمرة بنت يزيد

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : كان رسول الله ﷺ تزوج أسماء ابنة كعب الجونية ، ولم يدخل بها حتى طلقها ، وتزوج عمرة ابنة يزيد إحدى نساء بنى كلاب ثم بنى الوحيد ، وكانت قبله عند الفضل بن العباس بن عبد المطلب فطلقها رسول الله ﷺ قبل أن يدخل بها .

* * *

تزويج النبى امرأة من غفار

نا يونس عن أبى يحيى عن جميل بن زيد الطائى عن سعد بن زيد الأنصارى قال : تزوج رسول الله ﷺ امرأة من غِفار ، فدخل بها فأمرها فنزعت ثوبها فرأى بها بياضا من بَرص عند ثديها فانماز (١) رسول الله ﷺ وقال : خذى ثوبك والحقى بأهلك ، وأكمل لها صداقها .

نا يونس عن إبراهيم بن إسماعيل عن عثمان بن كعب القرظى أن أخا لتميمة ابنة وهب ذكر أختاً له لرســـول الله ﷺ ، وذكر حالها ، فقال لها رسول الله ﷺ : أتُحبين أن أتزوجك ، فقالت : أعوذ بالله منك ، فقال رسول الله ﷺ منع الله عائذة .

نا أحمد : نا يونس ، عن ابن إسحاق قال : حدثنى الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة عن ابن عباس قال : نظر رسول الله ﷺ إلى أم حبيب ابنة عباس وهى بدر (٢) بين يديه فقاك رسول الله ﷺ : لئن بلغت هذه وأنا حى لأتزوجنها ، فقبض (٣) رسول الله ﷺ قبل أن تبلغ فتزوجها الأسود بن عبد الأسد أخو أبى سلمة ، فولدت له رزق بن الأسود ولبابة ابنة الأسود ، سمتها باسمها أم الفضل وكان اسمها لبابة .

* * *

---

(١) بمعنى ابتعد .

(٢) أي جميلة كالبدر ، وكانت طفلة صغيرة .

(٣) أى انتقل إلى الرفيق الأعلى .

عَددُ النِّسْوة اللاتى وَهَبْنَ أنفسهن للرسول ﷺ

نا يونس عن زكريا بن أبى زائدة عن الشعبى قال : وهبن لرسول الله ﷺ نساء أنفسهن ، فدخل ببعضهن ، وأرجأ (١) بعض فلم يقربهن حتى توفى ، ولم ينكحن بعده ، فيهن أم شُريك ، فذلك قوله : ﴿ **تُرجى من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك** ﴾ (٢) .

نا أحمد قال : نا أبى عن جرير بن عبد الحميد عن منصور بن أبى رُزَين فى قول الله تعالى : ﴿ **تُرجى من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء** ﴾ فكان فيمن أرجأ رسول الله ﷺ سودة ، وأم حبيبة ، وميمونة (٣) ، فأراد فراقهن فقلن لا تفارقنا ودعنا على حالنا واقسم لنا ما شئت من نفسك ومالك ، قال : فتركهن على حالهن وقسم لهن ما شاء ، قال : وكان ممن آوى : عائشة ، وأم سلمة ، وزينب ، وحفصة ، وكانت قسمته من نفسه وماله بينهن سواء .

نا يونس عن هشام بن عُروة عن أبيه عن عائشة قالت : كنت أَغَارُ ، فقلت لامرأة ممن وهبت نفسها لرسول الله ﷺ : أما تستحى المرأة أن تهب نفسها بغير صداق ، وكان رسول الله ﷺ قد اعتزل بعضهن ، وكنت على رجاء فلما نزل : ﴿ **ترجى من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك** ﴾ أيستُ وقلت : إني لأرى ربك يسارع لك فى هواك .

نا يونس عن عنبسة بن الأزهر عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال : لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها له .

نا يونس عن أبى سلمة الهمذانى عن الشعبى : نزل على رسول الله ﷺ : ﴿ **يا أيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها** ﴾ (٤) إلى آخر

---

(١) اى أجّل . (٢) سورة الأحزاب : الآية ٥١ .

(٣) ارجأهن بعد أن كبرن فلم يقسم لهن أيامهن وكان معهن كما يشاء وهذا قولا ذكره ابن إسحاق وإن كان فيه ما فيه .

(٤) سورة الأحزاب : الآيات ٢٨ - ٢٩ .

الآيتين ، فخيّرهن رسول الله ﷺ فاختَرن الله ورسوله والدار الآخرة ، فشكر الله لهن ذلك وانزل الله عليه : ﴿ **لا يحل لك النساء من بعد ولا أنْ تبدل بهن من أزواجٍ ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك** ﴾ (١) .

* * *

(١) سورة الأحزاب : الآية ٥٢ .

ما اتَّخَذه النبى ﷺ من السرارى

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ومات رسول الله ﷺ عن التسع من نسائه ولم تمت قبله غير خديجة ابنة خويلد وزينب أمُّ المساكين ، ومات عن التسع البواقى (١) ، ولم يهاجر منهن إلى أرض الحبشة غيرها ولا الثلاث : أم سَلَمة وأم حبيبة وفلانة ، ولم يصب الولد إلا من خديجة ، وكان عند رسول الله ﷺ فى ملك يمينه : ريحانة ابنة عمرو بن حُذافة ، فلم يصب منها ولداً حتى مات ، ومارية أم إبراهيم (٢) القبطية ، ولدت له إبراهيم فلم يصب رسول الله ﷺ الولد (٣) إلا من خديجة ومارية .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى محمد بن طلحة عن يزيد ابن ركانة قال : مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وهو ابن ثمانية عشر شهراً ، فلم يصلَّ عليه .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى عبد الله بن أبى بكر عن عمرة عن عائشة بمثله .

نا يونس عن إبراهيم بن عثمان عن الحاكم عن مقسم عن ابن عباس قال ولدت مارية القبطية لرسول الله ﷺ إبراهيم ، فقال رسول الله ﷺ : إن له لمرضعة فى الجنة ، ولو بقى لكان صديقًا نبيًّا ، ولو بقى لأعتق كل قبطى .

نا يونس عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن عطاء بن جابر عن عبد الرحمن بن عوف قال : أخذ رسول الله ﷺ بيدى فانطلق بى إلى النخل ، فوجد فيه إبراهيم ابن النبى ﷺ ، فأخذه فوضعه فى حجره ، فذرفت عيناه ، ثم

---

(١) يقول الإمام الغزالى رحمه الله فى كتابه الإحياء : لا يغرنك كثرة نكاح رسول الله ﷺ فإنه كما جاء فى الحديث : « كان لا يشغل قلبه جميع ما فى الدنيا عن الله تعالى » .

(٢) وهو الذى حزن ﷺ لموته حزنًا شديداً وبكى ، وقال : « إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون » والبكاء نوع من الحنان القلبى .

(٣) الولد بمعنى الأولاد وليس الولد الذكر فكل مولود ولد ، إذن كلمة ولد تطلق على الذكر والأنثى .

قال يا بنى ما أملك لك من الله شيئًا ، فقلت له : يا رسول الله تبكى ، ألم تنه عن البكاء ؟ فقال : إنما نهيت عن النوح [(١)] ، عن صوتين أحمقين فاجرين ؛ صوت عند نغمة لعب ولهو ، ومزامير شيطان ، وصوت عند مصيبة ، خمش وجوه ، وشق جيوب ورنة شيطان [(٢)] ، وهذا رحمة ومن لا يرحم لا يُرحم، يا إبراهيم لولا أنه أمر حق ، ووعد صدق ، وأنها سبيل مأتية [(٣)] لابد منها حتى يلحق آخرنا أولنا لحزنا عليك حزنًا هو أشد من هذا ، وإنا بك لمحزونون ، تبكى العين ويحزن القلب ، ولا نقول ما يسخط الرب ·

نا يونس عن المبارك بن فضالة عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال : ولد لى البارحة غلام فسميته باسم أبى إبراهيم ·

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى إبراهيم بن محمد بن على ابن أبى طالب عن أبيه عن جده على بن أبى طالب قال : دعانى رسول الله ﷺ وقد كان كبر على مارية أم إبراهيم فى ابن عم لها يزورها ويختلف إليها قبطى ، قال خذ هذا السيف وانطلق فإن وجدته عندها فاقتله ، فقلت يا رسول الله أكون فى أمرك كالمشكة المحماة لا يثنينى شىء حتى أمضى لما أمرتنى به ، أو الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ؟ فقال رسول الله ﷺ : بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، فأقبلت متوشحًا السيف فأجده عندها ، فلما رآنى اخترطت سيفى فعرف أنى أريده ، اشتد فى نخلة فرقا فيها حتى إذا كان فى نصفها ودنوت منه رمى بنفسه على ظهره ، ثم شغر برجله فإذا إنه لأمسح أجب ماله مما للرجال قليل ولا كثير فغمدت [(٤)] السيف ثم جئت رسول الله ﷺ فأخبرته الخبر فقال : الحمد لله الذى يصرف عنا أهل البيت ·

* * *

(١) أى النواح : وهو الصراخ والعويل ·

(٢) ورد أن الرسول ﷺ - قال : « ليس منا من لطم الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية » ·

(٣) أى أن الموت حق علينا سيأتينا جميعًا ·

(٤) أى أدخله فى غمده وهو غلافه ·

ما عُوِّض النبى ﷺ من أبنائه

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال حدثنى يزيد بن زومان قال : كان العاصى (١) بن وائل السهمى إذا ذُكر رسول الله ﷺ قال : دعوه فإنما هو رجل أبتر (٢) لا عقب له (٣) ، لو قد هلك قد انقطع ذكره ، فاسترحتم منه ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر ﴾ حتى قضى السورة ، إنا قد أعطيناك الكوثر (٤) ما هو خير لك من الدنيا وما فيها ، أو الكوثر العظيم من الأمر ، ﴿ إن شانئك (٥) هو الأبتر ﴾ (٦) العاص بن وائل .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق : حدثنى جعفر بن عمرو بن أمية الضمرى عن عبد الله بن مسلم الزهرى قال : سمعت أنس بن مالك يقول : قيل لرسول الله ﷺ : ما الكوثر الذى أعطاك ربك ؟ فقال : نهر كَمثل ما بين صنعاء إلى أيلة من أرض الشام ، آنيته أكثر من عدد نجوم السماء ، يرده طير لها أعناق كأعناق البخت (٧) فقال عمر بن الخطاب : والله يا رسول الله إنها لناعمة ؟ فقال رسول الله ﷺ : آكلُها أنعم منها .

نا يونس عن عيسى بن عبد الله التميمى عن عبد الله بن أبى نجيح عن أنس بن

---

(١) وينطقه البعض وإثبات ياء المنقوص إذا كان بالألف واللام العاص .

(٢) الأبتر : من لا عقب له .

(٣) وقال العاص بن وائل هذا عندما مات القاسم ابن رسول الله ﷺ من السيدة خديجة ، وكان عمره أكثر من عام .

(٤) الكوثر نهر فى الجنة يقول عنه الرسول ﷺ : « الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج » حديث حسن صحيح اللهم اسقنا منه يارب .

(٥) أى مبغضك . وهو العاص بن وائل .

(٦) أى مقطوع ذكره من خيرى الدنيا والآخرة .

(٧) نوع من الإبل .

مالك قال فى قول الله عز وجل : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ قال : نهر فى الجنة قال ابن أبى نجيح : وقالت عائشة : هو نهر فى الجنة ليس أحد يدخل أصبعيه فى أذنيه إلا سمع خرير ذلك النهر (١) .

نا يونس عن يزيد بن زياد بن أبى الجعد عن عاصم الجحدرى عن على : ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ قال : وضع اليمين على الشمال فى الصلاة ·

نا يونس عن فطر بن خليفة قال : سألت عطاء عن الكوثر قال : نهر فى الجنة ، ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ قال : أمر أن يصلى الفجر يوم النحر (٢) ثم ينحر ·

* * *

(١) أى مثل خريره لا صوته حقيقة ·

(٢) أى يوم عيد الأضحى العاشر من ذى الحجة والأصل أن يصلى العيد ويذبح بعد ذبح الإمام ·

قصةُ المستهزئين والآيات

* عقاب الله لمن عاند وآذى رسوله ﷺ :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : قام رسول الله ﷺ على أمر الله محتسبًا مؤديًا إلى قومه النصحية على ما كان فيهم من النائرة [1] ، والأذى والاستهزاء ، وكان عظماء المستهزئين برسول الله ﷺ كما حدثنى يزيد بن رُومان عن عُروة أو غيره من العلماء قال : كان المستهزئين برسول الله خمسة : الأسود بن عبد يغوث بن وهب ، والأسود بن المطلب بن أسد ، والوليد بن المغيرة ، والعاصى ابن وائل والحارث بن الطّلاطلة أحد بنى خزاعة ، فكانوا يهزؤون برسول الله ﷺ ويغمزونه فأتاه جبريل عليه السلام فوقف به عند الكعبة وهم يطوفون به ، فمر به الأسود بن عبد يغوث فأشار جبريل إلى بطنه فمات حبنًا [2] ؛ ومر به الأسود بن المطلب فرمى فى وجهه بورقة خضراء فعمى ، ومر به الولَيد بن المغيرة فأشار إلى جرح فى كعب رجله قد كان أصابه قبل ذلك بيسير ، فانتقض به فقتله ، ومر به العاصى بن وائل فأشار إلى أخمص رجله ، فركب إلى الطائف على حمار فربض به على شبرقة [3] فدخلت فى أخمص رجله [4] شوكة فقتلته ، ومر به الحارث بن الطلاطلة فأشار إلى رأسه فامتخض قيحاً حتى قتله ، ففيهم أنزل الله عز وجل : ﴿ إنا كفيناك المستهزئين ﴾ [5] .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال حدثنى الزهيرى عن عكّاشة بن عبد الله بن أبى أحمد أنه حدث أن رجالاً من بنى مخزوم مشوا إلى هشام بن الوليد حين أسلم أخوه الوليد بن الوليد وقد كانوا أجمعوا أن يأخذوا فتية منهم كانوا قد أسلموا : سلمة بن هشام · وعياش بن أبى ربيعة ، فقالوا له – وخشوا شره : إنا

(١) الفتنة · (٢) أى كبرت بطنه من داء فيها ·

(٣) زرع به شوك ·

(٤) أى باطن قدمه ·

(٥) سورة الحجر : الآية ٩٥ ·

قد أردنا أن نعاقب هؤلاء الفتية على هذا الدين الذى أحدثوا فإنا نأمن بذلك فى غيرهم فقال : من فعل هذا فعليكم به (وهذا أخى) [١] فعاقبوه وإياكم نفسه وقال :

ألا لاَ تَقتُلوا أخِى عُبَيْشٍ فَيبقَى بَيْنَنَا أبداً تَلاحِ

احذروا على نفسه ، فأقسم بالله لئن قتلتموه لأقتلن أشرفكم رجلاً ، فقالوا اللهم العنه من يغرر [٢] بهذا الخبيث ، فوالله لو أصيب فى أيدينا لقتل أشرفنا رجلاً ، فتركوه ونزعوا عنه ، فكان مما دفع الله به عنهم ·

نا يونس عن أبى معشر عن محمد بن كعب قال : كلمت رسول الله ﷺ قريش فقالوا : يا محمد تخبرنا أن موسى كان معه عصا ضرب به الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ، وتخبرنا أن عيسى كان يحيى الموتى ، وتخبرنا أن ثمود (صالحا) كانت له ناقة ، فأتنا ببعض تلك الآيات حتى نصدقك ، فقال رسول الله ﷺ : أى شىء تحبون أن آتيكم به قالوا : تجعل لنا الصفا [٣] ذهبًا قال : فإن فعلت تصدقونى ؟ قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعين ، فقام رسول الله ﷺ يدعو فجاءه جبريل عليه السلام فقال له : ما شئت إن شئت أصبح ذهباً ، ولكن لم أرسل آية ولم يصدقوا عند ذلك إلا عذّبتهم ، وإن شئت فاتركهم حتى يتوب تائبهم فأنزل الله عز وجل : ﴿ **وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها** ﴾ إلى قوله : ﴿ **ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله** ﴾ [٤] .

نا يونس عن عيسى بن عبد الله التميمى عن الربيع بن أنس البكرى قال : قال الناس لرسول الله ﷺ : لو جئتنا بآية كما جاء بها صالح [٥] والنبيون ، فقال رسول الله ﷺ : إن شئتم دعوت الله فأنزلها عليكم ، فإن عصيتم هلكتم ، يقول : ينزل العذاب ، قالوا : لا نريدها [٦] .

---

(١) غير موجود بالأصل لكن زيدت ليستقيم المعنى ·

(٢) أى يغدر ·

(٣) هو جبل الصفا المعروف بمكة ·

(٤) سورة الأنعام : الآيات ١٠٩ -١١١ ·

(٥) أى نبى الله صالح عليه السلام ·

(٦) وهذا أوضح دليل على أنهم يعلمون فى أنفسهم أن الرسول ﷺ على حق ، وما جاء به هو الحق مصداقًا لقوله تعالى : ﴿ **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم** ﴾ ولو لم يكونوا يوقنون أنه على حق ما خافوا العذاب وما قالوا له : لا نريدها ·

نا يونس عن أبى معشر المدينى عن محمد بن كعب القُرظى قال : كلمت قريش رسول الله ﷺ فقالت : يا محمد إنا فى واد ضيق قليل الماء فسيِّر عنا بقرآنك هذه الجبال ، وأخرج لنا من الأرض ينبوعاً حتى نشرب منه الماء ، وأخرج لنا آباءنا نكلمهم فنسألهم : ماذا لقوا ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **ولو أن قُرآنا سيِّرت به الجبال أو قُطِّعت به الأرض أو كُلِّم به الموتى** ﴾ (١) يقول يا محمد لو أن قرآنا صُنعت به هكذا لصنعته بقرآنك .

* الفرق بين القرآن المكى والمدنى :

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عروة قال : كل شىء نزل على رسول الله ﷺ من القرآن فيه ذكر الأمم والقرون وما يثبت به الرسول فإنما نزل بمكة ، وما كان من الفرائض والسنن فإنما نزل بالمدينة (٢) .

نا يونس عن مُبارك بن فُضَالة عن الحسن قال : قدم عبد الله الكوفة فرأى أناساً من الزط ففزع منهم فقال : ما هؤلاء ؟ فقيل الزط ، فقال : هؤلاء أشبه من رأيت بالجن الذين أقرأهم رسول الله ﷺ (٣) .

نا يونس عن الأعمش قال : بلغنى أن الجن الذين خاطبوا رسول الله ﷺ كانوا تسعة .

* * *

---

(١) سورة الرعد : الآية ٣١ .

(٢) والقرآن المكى هو ما نزل بمكة ، والمدنى ما نزل بعد الهجرة حتى ولو كان بمكة والله أعلم راجع تاريخ القرآن للزنجانى تحقيق طه عبد الرءوف سعد ط مؤسسة الحلبى .

(٣) أى قرأ عليهم الرسول ﷺ القرآن وأنزل الله فيهم سورة سماها باسمهم ، سورة الجن ﴿ **قل أوحى إلىَّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبًا** ﴾ وكان قرأ عليهم سورة الرحمن .

حَدِيثُ رُكَانَة بن عبد يزيد

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني والدى إسحاق بن يسار أن رسول الله ﷺ قال لركانة بن عبد يزيد : أسلم ، قال : لو أعلم ما تقول حقًّا لفعلت فقال له رسول الله ﷺ - وكان ركانة من أشد الناس (١) : أرأيت إن صرعتك تعلم أن ذلك حق ؟ قال : نعم ، فقام رسول الله ﷺ فصرعه فقال له : عد يا محمد ، فعاد له رسول الله ﷺ ، فأخذه الثانية فصرعه ، وانطلق ركانة يقول : هذا ساحر ، لم أر مثل سحر هذا قط (٢) ، والله ما ملكت من نفسى شيئاً حتى وضع جنبى إلى الأرض .

* * *

(١) أى قوة .

(٢) وهنا نرى مدى عناد ومكابرة المشركين .

أعلامُ النبوة

* من معجزات النبى ﷺ :

نا يونس عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن يعلى بن مُرة عن أبيه قال : سافرت مع رسول الله ﷺ سفراً ، فرأيت منه شيئاً عجباً ، نزلنا منزلاً فقال : انطلق إلى هاتين الأشاءتين (١) فقل : إن رسول الله يقول لكما أن تجتمعا ، فانطلقت فقلت لهما ذلك ، فانتزعت كل واحدة منهما من أصلها فمرتْ كل واحدة إلى صاحبتها فالتقتا جميعاً ، فقضى رسول الله ﷺ حاجته (٢) من ورائهما ثم قال انطلق فقل لهما لتعود كل واحدة منهما إلى مكانها ، فأتيتهما فقلت ذلك لهما ، فمرت كل واحدة حتى عادت إلى مكانها .

وأتته امرأة فقالت : إن ابنى هذا به لمم (٣) منذ سبع سنين يأخذه كل يوم مرتين فقال رسول الله ﷺ : أدنيه (٤) ، فأدنته منه ، فتفل فى فيه (٥) وقال : اخرج عدو الله ، أنا رسول الله ، ثم قال لها رسول الله ﷺ : إذا رجعنا فأعلمينا ما صنع ، فلما رجع رسول الله ﷺ استقبلته ومعها كبشان وأقط (٦) وسمن ، فقال (٧) لى رسول الله ﷺ : خذ هذا الكبش ، فأخذ منه ما أراد (٨) فقالت : والذى أكرمك ما رأينا به شيئاً منذ فارقنا .

ثم أتاه بعير فقام بين يديه فرأى عينيه تدمعان ، فبعث إلى أصـــحابه فقال :

---

(١) أى نخلتين صغيرتين .

(٢) أى تبول أو تبرز .

(٣) أى به مس من الجن .

(٤) أى قربيه منى .

(٥) أى فى فمه .

(٦) الأقط : لبن محمــض يجمد حتى يستحجر ويطبـــخ به ، انظر المعجـــم الوجيز صـ ٢١ .

(٧) المتحدث هنا هو مرة أبو يعلى الذى كان مصاحبًا للرسول ﷺ فى سفره هذا .

(٨) وفى هذا جواز أخذ الهدية على الرقية الشرعية بشرط أن تقدَّم إليه بسماحة وصفاء نية منهم ولا يطلبها هو .

ما لبعيركم هذا يشكوكم ؟ فقالوا : كنا نعمل عليه ، فلما كبر وذهب عمله تواعدنا لنحره غدا ، فقال رسول الله ﷺ فلا تنحروه ، واجعلوه فى الإبل يكون فيها ·

نا يونس عن الأعمش عن شَمر بن عَطية عن بعض أشياخه قال : جاءت امرأة بابن لها إلى رسول الله ﷺ قد تخرس فقالت : يا رسول الله إن ابنى هذا لم يتكلم منذ ولد ، فقال رسول الله ﷺ : أدنيه ، فأدنته منه ، فقال : من أنا فقال : أنت رسول الله ·

نا يونس عن إسماعيل بن عبد الملك عن أبى الزبير عن جابر قال : خرجت مع رسول الله ﷺ فى سفر ، وكان رسول الله ﷺ إذا أراد البراز تباعد حتى لا يراه أحد [١] ، فنزلنا منزلاً بفلاة [٢] من الأرض ليس فيها علم ولا شجر ، فقال لى : يا جابر خذ هذه الأداوة وانطلق بنا ، فملأت الأداوة ماء وانطلقنا فمشينا حتى لا نكاد نرى فإذا شجرتان بينهما أذرع ، فقال رسول الله ﷺ : يا جابر انطلق فقل لهذه الشجرة : يقول لك رسول الله الحقى بصاحبتك حتى أجلس خلفكما ففعلتُ ، فرجعت حتى لحقت بصاحبتها ، فجلس خلفها حتى قضى حاجته ، ثم رجعنا فركبنا رواحلنا [٣] ،وسرنا كأنما علينا الطير تظلنا ، فإذا نحن بامرأة قد عرضت لرسول الله ﷺ معها صبى تحمله فقالت : يا رسول الله إن ابنى هذا يأخذه الشيطان كل يوم ثلاث مرات لا يدعه ، فوقف رسول الله ﷺ فتناوله فجعله بينه وبين مقدمة الرحل ، فقال رسول الله ﷺ : اخس [٤] عدو الله أنا رسول الله ، فأعاد رسول الله ﷺ ذلك ثلاث مرات ، ثم ناولها إياه فلما رجعنا وكنا بذلك الماء عرضت لنا المرأة معها كبشان تقودهما ، والصبى تحمله ، فقالت : يا رسول الله اقبل هديتى ، فو الذى بعثك بالحق أن [٥] عاد إليه بعدُ ، فقال رسول الله ﷺ : خذوا أحدهما منها وذروا الآخر ، ثم سرنا ورسول الله ﷺ بيننا ، فجاء جمل باد [٦] ،

(١) وهذا من أدب النبى ﷺ الذى يعلمنا إياه ·

(٢) أي بصحراء ·

(٣) دوابنا ·

(٤) أى اخسأ ، ابعد ·

(٥) أن هنا بمعنى « ما » ·

(٦) أى من البادية ·

فلما كان بين السماطين خر ساجدًا ، فقال رسـول الله ﷺ من صاحب هذا الجمل ؟ فقال فتية من الأنصار : هو لنا يا رسول الله ، قال : فما شأنه ؟ قال : قالوا : سنونا [١] عليه منذ عشرين سنة ، فلما كبرت سنه وكانت عليه شحيمة فأردنا نحره لنقسمه بين غلمتنا ، فقال رسول الله ﷺ تبيعونه ؟ فقالوا : يا رسول الله هو لك ، قال : فأحسنوا إليه حتى يأتيه أجله فقالوا : يا رسول الله نحن أحق أن نسجد لك من البهائم ! فقال رسول الله ﷺ : لا ينبغى لبشر ، أن يسجد لبشر ولو كان ذلك ، كان النساء لأزواجهن ·

نا يونس عن المبارك بن فُضَالة عن الحسن قال : خرج رسول الله ﷺ إلى بعض شعاب [٢] مكة ، وقد دخله من الغم ما شاء الله ، من تكذيب قومه ، فقال : رب أرنى ما أطمئن إليه ويذهب عنى هذا الغم ، فأوحى الله عز وجل إليه : ادع أى أغصان هذه الشجرة شئت ، فدعا غصناً فانتزع من مكانه ، ثم خد [٣] فى الأرض حتى جاء رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ : ارجع إلى مكانك ، فرجع الغصن فخد فى الأرض حتى استوى كما كان ، فحمد رسـول الله ﷺ الله عز وجل وطابت نفسه ، وقد كان قال المشركون : أتضلل آباءك وأجدادك يا محمد ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **أفغير الله تأمرونّى أعبدُ أيها الجاهلون** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وكن من الشاكرين** ﴾ [٤] .

نا يونس عن مالك بن مغوَل عن طَلْحة بن أبى صالح قال : بينا رسول الله ﷺ فى مسير له إذ نفدت أزوادهم حتى هم رسول الله ﷺ أن ينحر بعض حمائلهم ، فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله لو أمرت ما بقى من أزودة القوم فجمعته ، فدعوت الله فيه بالبركة ، فجاء صاحب التمر بتمره وصاحب البُرُّ ببُرُّه [٥] قال : وقال مجاهد وذو النوى بنواه ، فقلت : وما كانوا يصنعون بالنوى ؟ قال : كانوا يمضغونه ويشربون عليه الماء - فدعا الله تعالـى فيه بالبركة ، فملأ القوم

---

(١) أى استقينا عليه كان يحمل لهم الماء ·

(٢) طرق مكة بين جبالها ·

(٣) أى شق ·

(٤) سورة الزمر : الآيات ٦٤ - ٦٦ ·

(٥) البُرُّ : حب القمح ·

أزودتهم ، ثم قال عند ذلك أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، من آمن بالله غير شاك فيهما لم يحجب عن الجنة .

نا يونس عن القاسم بن الفضل قال : حدثنى أبو نضْرة العبدى عن أبى سعيد الخُدْرى أنه حدثهم قال : بينما راع يرعى فى الحـــرة [1] إذ عرض ذئب لشاة من غنمه ، فحال بين الذئب وبينها ، فأقعى الذئـــب على ذنبه فقال للراعى : أما تتقى الله ، تحول بينى وبين رزق ساقه الله إلىَّ ، قال الراعى : عجبًا من ذئب مقعى على ذنبه يكلمنى كلام الآدميين ! فقال له الذئب : ألا أحدثك بأعجب منى ، رسول الله ﷺ يحدث الناس بأنباء ما قد سبق فساق الراعى شياهه حتى أتى المدينة فزواها [2] إلى زاوية من زواياها ، ثم دخل على رسول الله ﷺ فحدثه بما قال الذئب فخرج رسول الله ﷺ إلى الناس فقال للراعى حدثهم ، فأخبرهم بما قال الذئب فقال رسول الله ﷺ : صدق الراعى ، والذى نفسى بيده ، إنها من أشراط الساعة كلام السِّباع الإنس ، ولا تقوم الساعة حتى تكلم السِّباع الإنس ، ويكلمه شِراكُ نَعْله ، ويحدثه سوطه ، ويخبره فخذه ما أحدث أهله بعده [3] .

نا يونس عن عبد الحميد بن بَهْرام الفَزارى قال : حدثنى شهر بن حوْشب عن أبى سعيد أنه قال : بينا [4] رجل من أسلم فى غنيـــمة له يهش عليها ببيداء ذى الحليفة [5] إذ عدا عليه الذئب فانتزع شاة من غنمه ، فجهجاه (زجره) الرجل ، ورماه حتى استنقذ منه شاته ، ثم أقبل الذئب حتى أقعى مستقرًا بذنبه مقابل الرجل فقال : أما اتقيت الله ، حلت بينى وبين شاة رزقنيها الله ، فقال الرجل : تالله ما سمعت كاليوم قط ، فقال الذئب : ممَّ تعجب ؟ قال أعجب من مخاطبتك إياى ! فقال الذئب أعجب من ذلك رسول الله ﷺ بين الحرتين ، فى النخلات يحـــدث الناس ما خلا [6] ، ويحدثهم بما هو آت ، وأنت ها هنا مع غنمك ، فلما سمع

---

(١) الحرة : أرض كلها حجارة شديدة الحرارة وهى فى أطراف المدينة .

(٢) جمعها وجعلها فى ناحية .

(٣) وذلك إذا سافر وبْعد عن أهله .

(٤) بمعنى بينما .

(٥) بلدة بينها وبين المدينة حوالى سبعة أميال .

(٦) أى ما مضى .

الرجل قول الذئب ساق غنمه يحوزها حتى إذا أدخلها قُباء (١) ، قرية الأنصار ، فسأل عن رسول الله ﷺ ، فصادفه فى بيت أبى أيوب ، فأخبره بخبر الذئب ، فقال رسول الله ﷺ : صدقت ، احضر العشية فإذا رأيت الناس قد اجتمعوا فأخبرهم ذلك ففعل ، فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر واجتمع الناس أخبرهم الأسلمى خبر الذئب ، فقال رسول الله ﷺ : صدق ، صدق ، صدق ، تلك الأعاجيب بين يدى الساعة ، فرددها ثلاثاً ، أما والذى نفس محمد بيده ليوشك الرجل أن يغيب عن أهله الروحة أو الغدوة ثم يخبره سوطه أو عصاه أو نعله بما أحدث أهله من بعده (٢) .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى عبد الرحمن الأعرج عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال - وحدث عن رجل ركب بقرة فاستحثها يضربها فقالت : يا عبد الله إنى لم أخلق لهذا ، قال القوم : سبحان الله ، فقال رسول الله ﷺ : عجبتم لذلك ؟ قالوا نعم يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ : فأنا أومن به ، وأبو بكر ، وعمر وما هما ثَمَّ (هناك) .

ثم قال رسول الله ﷺ : إن ذئباً عدا على غنم رجل فأخذ منها شاة ، فطلبها الرجل حتى نزعها منه ، فقال الذئب : هذا أنت منعتها اليوم منى فمن الذى يمنعها يوم السَّبُع إذ ليس فيها راعى غيرى ؟! فسبح القوم ، فقال رسول الله ﷺ : أتعجبون من هذا ؟ قالوا : نعم ، قال : فإنى أومن به أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثم .

نا يونس عن يحيى بن أبى أنيسة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : بينما راعى فى غنمه ، فعدا الذئب فأخذ شاة من غنمه فطلبها الراعى حتى استنقذها منه ، فالتفت إليه الذئب فقال له : من لها يوم السَّبُع ، يوم ليس راع ؟ فقال القوم سبحان الله ؟ ! فقال رسول الله ﷺ : إنى أؤمن بذلك أنا وأبو بكر وعمر .

---

(١) قرية قرب المدينة بنى بها أول مسجد فى الإسلام .

(٢) انظر فى ذلك كتاب دلائل النبوة لأبى نعيم ، وكتاب دلائل النبوة للماوردى ، وكتاب الشمائل المحمدية للترمذى تحقيق طه عبد الرءوف سعد وبدوى طه بدوى .

نا يونس عن ابن أبى أُنَيسة عن أبى عن الزُّهْرى عن سعيد بن المُسيَّب وأبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : بينا رجل يسوق بقرة لنفسه قد حمل عليها ، فالتفتت إليه البقرة فقالت : إنى لم أخلق لهذا ولكن خُلقت للحرث ! فقال الناس : سبحان الله ! فقال رسول الله ﷺ : فإني أومن به أنا وأبو بكر وعمر ·

نا يونس عن السَّرى بن إسماعيل عن الشعبى قال : كان رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره فنزل فأتى بأداوة من ماء [1] ، فقيل له : يا رسـول الله ما معنا ماء غيرها ، فسكبها فى ركوة [2] ، ثم وضع أصبعه فى وسط الركوة ، غمسها فى الماء فجعل يجىء الناس فيتوضئون ، حتى صدروا ، فأبصر رسول الله ﷺ عقب [3] بعضهم لم يصبه الماء ، فقال : اللهم اغفر لأعقابهم ·

نا يونس عن مالك بن مغول عن طَلْحة عن أبى صالح أن رسول الله ﷺ قال متى ألقى إخوانى [4] ؟ فقيل : يا رسول الله ألسنا إخوانك ؟ فقال : أنتم أصحابى وإخوانى قوم من أمتى لم يرونى يؤمنون بى ويصدقوننى ، فقال رسول الله ﷺ : أى الخلق أعجب إيماناً ؟ قالوا : ملائكة الله ، فقال رسول الله ﷺ : وما لهم ألا يؤمنوا وهم عند ربهم ! قالوا : فالنبيون ، قال : وما لهم لا يؤمنون وهم موحى إليهم ! قالوا : فأصحاب النبيين ، فقال رسول الله ﷺ : وما لهم لا يؤمنون وأنبياء الله عز وجل فيهم ! لكنَّ قومًا من أمتى لم يدركونى يؤمنون بكتاب من ربهم فيؤمنون به ويصدقونه ·

نا يونس عن الأعمش عن عمارة بن عُمير عن عبد الرحمن بن يزيد قال : تذكروا فضل أصحاب النبى ﷺ فقال عبد الله [5] : ما كان أبيه فضَّله لمن رآه ، والذى لا إله غيره ما آمن مؤمن قط أفضل إيمانا من مؤمن بغيب ، ثم تلا عبد الله : ﴿ الم * ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ حتى بلغ ﴿ أولئك هم المفلحون ﴾ [6] .

---

(١) إناء فيه ماء · (٢) إناء صغير من جلد أو دلو صغيرة ·

(٣) أى عظم مؤخر القدم · انظر المعجم الوجيز ٤٢٦ ·

(٤) فى رواية أخرى « أحبابى » ·

(٥) أى ابن عمر بن الخطاب ·

(٦) سورة البقرة : الآيات ١ - ٥ ·

نا يونس عن إسماعيل بن عبد الملك عن عطاء أن رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه وهم مجتمعون حوله : عجب وليس بالعجيب أن رجلاً منكم بعث إليكم فآمن به من آمن منكم ، وصدقه من صدقه منكم ، فهذا عجب وليس بالعجيب ، وعجب وهو العجب العجيب لقوم يؤمنون بى ولم يرونى ·

نا يونس عن إسماعيل قال : حدثنى يزيد بن أبى حبيب عن مزيد بن عبد الله عن أبى عبد الرحمن الجهنى قال : بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبل راكبان من أهل اليمن ، فلما رآهما رسول الله ﷺ قال : كنديان ، مذحجيان ، أتيا رسول الله ﷺ ليبايعاه ، فقال أحدهما حين أخذ بيده ليبايعه : يا رسول الله أرأيت من أدركك فآمن بك وصدقك وشـــهد أن ما جئت به هو الحق ماذا له ؟ قال : طوبى له [1] فماسحه ثم انصرف ، وأقبل الآخر فقال : يا رسول الله أرأيت من لم يرك وصدقك وشهد أن ما جئت به هو الحق ماذا له ؟ قال : فقال رسول الله ﷺ : طوبى له فماسحه ثم انصرف ·

نا يونس عن فائد بن عبد الرحمن العـــبدى قال : نا عبد الله بن أوفى أن رسول الله ﷺ قال : إنى لمشتاق إلى إخـــوانى ، فقال عمر : يا رسول الله ألسنا إخوانك ؟ فقال : لا أنتم أصحابى ؛ إخوانى قوم آمنوا بى ولم يرونى ، فجاء أبو بكر فأخبره عمر بالذى قال له رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : يا أبا بكر ألا تحب قوماً بلغهم أنك تحبنى فأحبوك ، فأحبهم أحبهم الله [2] ·

* * *

(١) أى هنيئا له ·

(٢) وهذه بشارة من رسول الله ﷺ لكل من آمن به ولم يره ·

ر
ش
إلم
ما
أو
فو

إسلامُ أُمِّ شريك الدوسية

نا يونس عن عبد الأعلى بن المُساور القرشي عن محمد بن عمرو عن عطاء عن أبي هريرة قال : كانت امرأة من دوس (١) يقال لها أم شريك أسلمت في رمضان فأقبلت تطلب من يصحبها إلى رسول الله ﷺ ، فلقيت رجلاً من اليهود فقال : ما لك يا أم شريك ؟ قالت : أطلب رجلاً يصحبني إلى رسول الله ﷺ ، قال : فتعالي أنا أصحبك ، قالت : فانتظرني حتى املأ سقائي (٢) ماء ،. قال : معي ما تريدين من ماء فانطلقت معهم فساروا يومهم حتى أمسوا فنزل اليهودي ووضع سفرته فتعشى وقال : يا أم شريك تعالي إلى العشاء ، فقالت اسقني من الماء فإني عطشى ولا أستطيع أن آكل حتى أشرب، فقال: لا أسقيك حتى تهوّدي (٣) ، قالت : لا جزاك الله خيراً غررتني ومنعتني أحمل ماء ، قال : لا والله لا أسقيك منه قطرة حتى تهوّدين ، فقالت : لا والله لا أتهود أبدًا بعد إذ هداني الله للإسلام ، فأقبلت إلى بعيرها فعقلته ووضعت رأسها على ركبته فنامت ، قالت فما أيقظني إلا برد دلو قد وضع على جبيني،فرفعت رأسي إلى دلو أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ، فشربت حتى رويت ، ثم نضحت على سقائي حتى ابتل ، ثم ملأته ثم رفع بين يدي وأنا أنظر حتى توارى عني في السماء ، فلما أصبحت جاء اليهودي فقال : يا أم شريك ، فقلت : قد والله سقاني الله ، قال : من أين أنزل عليك من السماء ؟ قلت : نعم والله قد أنزل الله علّي من السماء ، ثم رفع بين يدي حتى توارى عني في السماء ؛ ثم أقبلت حتى دخلت على رسول الله ﷺ فقصت عليه القصة ، فخطب إليها رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله لست أرضى بنفسي لك ، ولكن بضعي لك فزوجني من شئت ، فزوجها زيداً ، وأمر لها بثلاثين صاعاً ، وقال : كلوا ولا تكيلوا ، وكان معها عكة (٤) سمن هدية لرسول الله ﷺ ، فقالت لجارية لها أبلغي هذه العكة رسول الله ﷺ ، وقولي : أم شريك تقرئك السلام وتقول : هذه عكة سمن أهديناها لك ، فانطلقت بها ، فأخذوها يفرغونها ، وقال لها

(١) قبيلة أبي هريرة رضي الله عنه . (٢) أي القربة .
(٣) أي تتركين الإسلام وتدخلين في الديانة اليهودية . (٤) صرة فيها سمن .

رسول الله ﷺ : علقوها ولا توكوها (١) ، فعلقوها فى مكانها ، فدخلت أم شريك فنظرت إليها مملوءة سمنًا فقالت : يا فلانة أليس أمرتك أن تنطلقى بهذه العكة إلى رسول الله ﷺ ؟ فقالت : قد والله انطلقت بها كما قلت ثم أقبلت بها أصوبها ما يقطر منها شيء ، ولكنه قال : علقوها ولا توكوها ، فعلقتها فى مكانها ، وقد أوكتها أم شريك حين رأتها مملوءة ، فأكلوا منها حتى فنيت (٢) ، ثم كالوا الشعير فوجدوه ثلاثين صاعاً لم ينقص منه شيء .

* * *

(١) أى لا تربطوا فمها .

(٢) أى نفدت ولم يبق منها شيء .

إسلام أبى هريرة من دَوْس (١)

نا يونس عن أبى خلدة خالد بن دينار عن أبى العالية قال : لما أسلم أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : ممن أنت ؟ فقال : من دوس ، فوضع رسول الله ﷺ يده على جبينه ثم نفضها ، فقال : ما كنت أرى من دوس أحداً فيه خير ·

نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى بعض أصحابى عن أبى هريرة قال : كان اسمى فى الجاهلية عبد شمس بن صخر ، فتسميت فى الإسلام عبد الرحمن ، وإنما كنانى (٢) بأبى هريرة أنى كنت أرعى غنما له فوجدت أولاد هرة وحشية فجعلتها فى كمى فلما أرحت عليه غنمه سمع أصواتهن فى صفنى (٣) ، فقال : ما هذا يا عبد شمس ؟ فقلت : أولاد هرة وجدتها ، قال : فأنت أبو هريرة فلزمتنى بعدُ ·

نا يونس قال : قال ابن إسحاق : وكان وسيطاً فى دوس حيث يحب أن يكون منهم ·

نا يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله عن هزان بن سعيد قال : أتيت بيت المقدس فلقيت بها على بن عبد الله بن العباس فسلمت عليه ، فقال لى : من أنت ؟ قلت : رجل من أهل الرها ، قال : مرحباً برجل من قوم أوصى بهم رسول الله ﷺ ، ثم قال : قال رسول الله ﷺ : أوصيكم بالرهاويين والدوسيين والداريين خيراً · فزعم عبد الرحمن أن هذه أسماء من قبائل العرب ·

* * *

(١) هو من أكثر الصحابة رواية للحديث ، ويلقب بأمير المؤمنين فى الحديث ، وجزم فريق من العلماء بأنه روى كل أحاديث الرسول ﷺ الصحيحة ، وبعض العلماء يرى أنه روى جُلَّها أى أكثرها ·

(٢) أى رسول الله ﷺ ·

(٣) ما يضع فيها متاعه ·

إسلامُ عَدِىٍّ بن حاتم

نا يونس عن عبد الأعلى بن أبى المساور القرشى عن عامر الشعبى عن عَدِى ابن حاتم قال : بُعث رسول الله ﷺ بالنبوة وما أعلم أحدًا من العرب كان أشد بغضًا ولا كراهية له منى حتى لحقت بالروم ، فلما بلغنى ما يدعو إليه من الأخلاق الحسنة وما قد اجتمع له من الناس ارتحلت حتى أتيته ، فوقفت عليه وعنده صهيب وسلمان وبلال ، فرفع رسول الله ﷺ رأسه فنظر إلىَّ فقال : يا عدى بن حاتم أسلم تسلم ، فقلت أخ أخ فأنخت ، ثم جئت حتى ألصقت ركبتى بركبته فضرب على فخذى وقال يا عدى بن حاتم أسلم تسلم ، فقلت : وما الإسلام ؟ قال : تشهد ألا إله إلا الله وأنى رسول الله وتؤمن بالأقدار كلها خيرها وشرها ، حلوها ومرها يا عدى بن حاتم لا تقوم الساعة [١] حتى تفتح خزائن قيصر وكسرى يا عدى بن حاتم : لا تقوم الساعة حتى تأتى الظعينة [٢] من الحيرة - ولم يكن يومئذ كوفة - فتطوف بهذه الكعبة بغير جوار ، يا عدى بن حاتم لا تقوم الساعة حتى يحمل الرجل جراب المال فيطوف به ، ولا يجد أحداً يقربه فيضرب به الأرض فيقول : ليتك لم تكن لى ، ليتك كنت تراباً [٣] .

نا يونس عن سعيد بن عبد الرحمن عن محمد بن سيرين عن أبى عُبَيدة بن حُذَيفة بن اليمان ، ولم أر سنه تزيد عليه ، وكان يوم رأيته ابن أربعين سنة ، عن رجل كان يسمى السمير أنه دخل على عدى بن حاتم فقال : إنه بلغنى عنك حديث

(١) أى من علامات الساعة الصغرى ، وقد حدثت هذه العلامات ، وهى من أعلام النبوة التى أخبر بها ﷺ قبل وقوعها .

(٢) الظعينة : المرأة على الدابة التى يُرتحل عليها .

(٣) حدث هذا فى خلافة الخليفة عمر بن عبد العزيز ، وحدث أن امتلأ بيت المال وفاض بالأموال والقمح والشعير وغيرها ونادى سيدنا عمر فى الناس من عليه حاجة فقضاء حاجته من بيت المال فجاء الناس وأخذ كل محتاج وبقى المال كما هو ، فنادى ثانية من كان عليه دين فقضاء دينه من بيت مال المسلمين فجاء الناس وقضى الدين وبقى المال كما هو ، فنادى عمر ثالثة أيما شاب يريد الزواج ولا يقدر فزواجه من بيت مال المسلمين فجاء الشباب وأخذ كل حاجته وبقى المال كما هو .

أحببت أن أكون أنا أسمعه منك " فقال : بُعث رسول الله ﷺ ، وكنت أشد الناس له كراهية ، أو من أشد الناس ، فلحقت بأقصى أرض العرب من قبل الروم ، وكرهت مكانى أشد من كراهتى الأمر الأول ، فقلت ، لآتين هذا الرجل فلئن كان صادقاً لا يخفى على ، ولئن كان كاذبًا لا يخفى على أو لا يضرنى شك محمد ، فقدمت المدينة فاستشرفنى الناس ، فقالوا : عدى بن حاتم ، فأتيت رسول الله ﷺ فقال : يا عدى بن حاتم أسلم تسلم ، فقلت : إن لى ديناً ، فقال أنا أعلم بدينك منك ، فقلت : ما يجعلك أعلم بدينى منى ؟ قال : ألســت ترأس قومك ألست تأخذ المرباع [١] ؟ فقلت : بلى ، قال : فإن ذلك لا يحــل لك فى دينك ، فكان ذلك وهنًا [٢] فى نفسى ، فقال : يمنعك أن تسلم خصاصة من ترى ، وإنك ترى الناس ألبوا علينا مأخذًا – أو يدًا واحدة ، شك محمد – فقلت : أجل فقال : هل أتيت الحيرة ؟ فقلت : لا ، وقد علت مكانها ، فقال : توشك الظعينة أن تخرج من الحيرة حتى تطوف بالبيت بغير جوار[٣] ،وتوشك أن تفتح كنوز كسرى بن هرمز [٤] ، فقلت : كنوز كسرى بن هرمز ؟! فقال : كنوز كسرى بن هرمز ، مرتين ، ويوشك أن يخرج الرجل الصدقة من ماله فلا يجد من يقبلها ، قال : فقد رأيت الظعينة تخرج من الحيرة حتى تطوف بالبيت بغير جوار وقد كنت فى أول جيش أغار على المدائن ، وايم الله [٥] لتكونن الثالثة ، إنه لقول رسول الله ﷺ .

نا يونس عن إبراهيم بن عبد الرحمن الشيبانى عن محمد بن سيرين عن عدى ابن حاتم قال : أخبرنا رسول الله ﷺ أنه قال : لا تقوم الساعة حتى يفتح القصر الأبيض الذى بالمدائن [٦] ، ولا تقوم الساعة حتى تسير الظعينة من الحجاز إلى العراق

---

(١) أى ربع الغنائم ، وذلك لأنه كان سيد قومه وكان يأخذ منهم ربع ما غنموه .

(٢) أى ضعفا .

(٣) وهذا من أعلام النبوة التى أخبر بها النبى ﷺ قبل وقوعها وحدثت فيما بعد فى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٤) حدث ذلك أيضًا فى خلافة عمر بن الخطاب .

(٥) لفظ من ألفاظ القسم واليمين ، أى أقسم بالله .

(٦) أى ببلاد فارس .

آمنة لا تخاف شيئاً ، فقد رأيتهما جميعاً ، ولا تقوم الساعة حتى يكون على الناس إمام يحثى المال حثياً .

نا يونس عن عَنْبَسة بن الأزهر عن سعيد بن مَسْروق قال : كلم عدى بن حاتم عمر فى شىء ، فقال له عدى : يا أمير المؤمنين ألا تعرفنى ؟ قال عمر بلى آمنت إذ كفروا ، وصدقت إذ كذَّبوا ، فأعطيت إذ مُنعوا .

نا يونس عن قُرَّة بن خالد : نا يزيد بن عبد الله بن الشِّخِّير قال : بينا نحن بهذا المربد إذ أتى علينا أعرابى شعث الرأس معه قطعة أديم [(١)] ، أو قطعة جراب فقلنا : كأن هذا ليس على أهل البلد ، فقال أجل هذا كتاب كتبه إليَّ رسول الله ﷺ ، فقال القوم : هات ، فأخذته فقرأته فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم .

هذا كتاب من محمد النبى رسول الله ﷺ لبنى زُهَير بن أقيش - قال أبو العلاء : وهم حى من عكل - إنكم إن شهدتم ألا إله إلا الله ، وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة ، وفارقتم المشركين ، وأعطيتم من الغنائم الخمس وسهم النبى ﷺ ، والصفى - وربما قال : وصفيه - فأنتم آمنون بأمان الله وأمان رسوله ﷺ .

فقال القوم : هات أصلحك الله حديثا ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول ؟ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : صوم شهر الصبر [(٢)] وثلاثة أيام من كل شهر يذهب من وحر [(٣)] الصدر ، فقال القوم : أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ يقول ؟ فقال : لا أراكم تخافون أن أكون أكذب على رسول الله ﷺ ، لا والله لا أحدثكم حديثاً اليوم ، ثم أهوى إلى [(٤)] الصحيفة فانتزعها ، ثم انصاع مدبراً .

نا يونس عن يونس بن عمرو عن أبيه عن أبى تميمة الهجيمى قال : أتى رسولَ الله ﷺ أعرابىٌّ فقال : يا محمد إلى ما تدعو ؟ قال : أدعوك إلى من

---

(١) أى قطعة جلد .

(٢) أى شهر رمضان المعظم ، ففى الحديث « وهو شهر الصبر ، والصبر ليس له ثواب إلاَّ الجنة » .

(٣) أى حقد وغيظ .

(٤) أى انكب على واندفع إلى .

أصابك ضر فدعوته كشف عنك ضرك ، وإلى من إن كنت بفلاة من الأرض فأضللت راحلتك فدعوته رد عليك ، وإلى من إن أصابتك سَنة [(١)] فأجدبت أنبت لك ، فقال الأعرابي : ما أحسن هذا ، أوصني ، فقال رسول الله ﷺ : أوصيك ألا تغتبط الناس ، ولا تزهد في المعروف ، وألق أخاك حين تلقاه ووجهك منبسط إليه وإن لم يكن لك إلا دلو واحد فسألك أن تفرغ له من دلوك فأفرغ منه ، وإياك وإسبال الإزار [(٢)] فإنه من المخيلة [(٣)] ، وإن الله عز وجل لا يحب المخيلة [(٤)] .

نا يونس عن يوسف بن ميمون عن الحسن قال : جاء رجل من أشراف أهل البوادي إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد إلى ما تدعو ؟ قال : أدعوك إلى من إن أَسْنَتَّ [(٥)] ثم دعوته أنبت لك ، وإن أضللت ثم دعوته رد عليك ، وإن أصابك كرب أو هم أو غم ثم دعوته كشف عنك ، ثم أسلم ، ثم مكث ما شاء الله أن يمكث ثم قال : يا رسول الله إني أريد الرجوع إلى أهلي فأوصني ، فقال رسول الله ﷺ : أوصيك بتقوى الله وأن تَصدَّق [(٦)] ، فقال : من أي شيء أتصدق ، فقال : من إبلك ، فقال : وكلنا له إبل ؟ قال : فمن غنمك ، فقال : وكلنا له غنم ؟ قال : فمن مالك ، فقال : وكلنا له مال ؟ فقال رسول الله ﷺ : يا هذا تكف [(٧)] لسانك عن الناس فإنها صدقة عليك حسنة .

* * *

---

(١) أي قحط وجدب .

(٢) أي إرخائه وتطويله .

(٣) الكبر .

(٤) وهذه وصايا نبوية عظيمة .

(٥) أي أصابتك سنة وهو قحط وجدب .

(٦) أي تتصدق .

(٧) أي تمنع ، والمعنى تمنع أذاك عن الناس ، وورد عنه ﷺ أنه قال : « الكلمة الطيبة صدقة » .

إسلام جرير بن عبد الله (١)

نا يونس عن داود بن زيد عن عامر الشَّعبى عن جرير بن عبد الله أنه حدثه قال : أتيتُ رسول الله ﷺ أبايعه (٢) فقال رسول الله ﷺ : أرنى يدك يا جرير ، فقلت : على مه ؟ (٣) فقال على أن تسلم لله ، والنصيحة لكل مسلم ، فأدركها جرير ، وكان رجلاً فطنًا (٤) ، فقال : يا رسول الله فيما أطقت (٥) ، فكانت له وللناس بعدُ ، قال جرير : وسمعت رسول الله ﷺ يقول : بُنى الإسلام على خمس : شهادة ألا إله إلا الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان .

نا يونس عن قيس بن الربيع عن سماك بن حرب وعبد الله بن عمر بن جابر ابن سَمُرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لتَفتتحن أرض كسرى عصابة من المسلمين (٦) .

نا يونس عن قيس بن الربيع عن جبلة بن سُحيم عن موثو بن غفارة العبدى قال : نزلت بابن الخصاصية (٧) فى ركب من عبد القيس فقال : بايعنى رسول الله ﷺ على الصلوات الخمس ، وصيام رمضان ، وحج البيت ، والزكاة طيبة بها نفسك ، والجهاد فى سبيل الله ، فقلت : يا رسول الله كل هذا لا أستطيع ، أما الزكاة فليس لى إلا مال أعيش فيه ، وأهلى يعتملون عليه وأما الجهاد فإنى أخاف أن تخشع نفسى فأفر فأبوء بغضب من الله ، فكف يده عنى فقال : لا جهاد ولا صدقة ، فبم تدخل الجنة ؟ فقلت يا رسول الله مد يدك فأبايعك عليهن كلهن فبسط يده فبايعه .

---

(١) من صحابة الرسول ﷺ وروى عنه بعض الأحاديث .

(٢) أى أبايعه على الإسلام .

(٣) أى على ماذا ؟

(٤) ذكيًّا .

(٥) أى بقدر طاقتى واستطاعتى .

(٦) هذا من أعلام النبوة وقد حدث فى خلافة عمر بن الخطاب .

(٧) اسمه بشير بن الخصاصية .

نا يونس عن يحيى بن أبى حيَّة الكَلبى عن زاذان عن جرير بن عبد الله قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ على إبل آكلة نواء فلما بلغنا [١] إلى الصحراء طلع راكب يوضع نحونا ، فقال رسول الله ﷺ إياكم يريد هذا ، فلما دنا [٢] قال رسول الله ﷺ : من أين أقبلت ؟ قال : من مالى وولدى وعشيرتى ، فقال : أين تريد ؟ قال : أردت رسول الله ﷺ ، فقال له : قد أصبت ، فقال له : يا رسول الله علمنى الإسلام ، فلما رأينا رسول الله ﷺ قد أقبل عليه حففنا ببعيره ، فقال له : تشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، قال : أقررت ، قال : وتصلى الصلوات المكتوبة ، قال : أقررت ، قال : وتــؤدى الزكاة المفروضة ، قال : أقررت ، قال : وتحج البيت ، قال : أقررت ، قال : وتصوم رمضان ، قال : أقررت ، فقال رســول الله ﷺ : هذا الإسلام ، فسار مع رسول الله ﷺ فوقعت رجل بعيره فى شبكة جرذان [٣] فعثر ، فوقع الرجل على رأســه ، فقال رسول الله ﷺ أخاكم ، فوثب إليه حذيفة وعمار فأسنداه فقالا : يا رسول الله قد مضى الرجل [٤] فأعرض عنه ما شاء الله ، ثم أقبل بوجهه فقال : ألم ترونى حين أعرضت فإنى رأيت ملكين يحشوان فِى فيه [٥] من ثمار الجنة ، فعرفت أن الرجل كان جائعاً ، فقال رسول الله ﷺ : عمل قليلاً وأجــر كثــيراً ، هذا والله من **﴿ الذين آمنوا ولم يُلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾** [٦] احملوا أخاكم فاحتملناه فلما انتهينا به إلى الماء قال رسول الله ﷺ : اغســلوه وكفنوه وحنِّطوه ، ففعلنا ، ثم صلى عليه ، ثم جلس رســول الله ﷺ على شفير القبر فقال : ألحدوا له فإن اللحــد لنا والشق لغيرنا [٧] .

نا يونس عن عبد الرحمن بن أمين الكنانى قال : حدثنى محمد بن على بن

---

(١) وصلنا .

(٢) اقترب .

(٣) أى شبكة فئران كبيرة .

(٤) أى قد مات .

(٥) أى فمه .

(٦) سورة الأنعام : الآية ٨٢ .

(٧) أى لغير المسلمين .

الحسين بن على بن أبى طالب ؛ وحدثنى الزهرى ، قالا : جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ فقال : إن قومى أسلموا فزادهم الإسلام فقراً ، فالتفت رسول الله ﷺ إلى رجل كان دفع إليه نفقة فقال : قد أنفقت ما كان معى ، فقال يهودى خلف رسول الله ﷺ : هذا رجل يعطيك ورقاً [(١)] ، يسلفك [(٢)] فى تمر حائط [(٣)] كذا وكذا ، فقال رسول الله ﷺ : لا نسمى لك حائطاً ولكن تسلفنا فى تمر مسمى فى كيل معلوم إلى أجل معلوم ، فبايعه اليهودى ، ثم حل ورقاً معه فقال رسول الله ﷺ : ادفعها إلى الأعرابى الحق فأغث بها قومك ، فخرج رسول الله ﷺ فى جنازة ، فلما وضع الميت فى قبره وحثوا عليه [(٤)] ، قام اليهودى فقال : يا محمد ألا تقضينً تمرى ، فوالله ما أعلمكم يا بنى عبد المطلب إلا تمطلون [(٥)] الناس بحقوقهم ، فقال عمر بن الخطاب ﷺ : والله لولا مجلسه لوجأت أنفك [(٦)] ، وقال الزهرى : لوجأت خطمك [(٧)] ، فقال رسول الله ﷺ : يا عمر أنت إلى غير هذا أحوج أن تأمره فيحسن طلبى ، وتأمرنى فأحسن قضاءه ، انطلق معه إلى حائط كذا وكذا ، وهو الذى كان أراد من رسول الله ﷺ فأبى أن يسميه له ، فأدخله فقل لفلان يكشف له عن الطعام ليريه إياه ، فإن رضيه فمره فليوفه ماله ، وكِل [(٨)] له كذا وكذا صاعاً بشتمك إياه ، فانطلق به عمر ، فأراه فرضى فكال له ما أمره به رسول الله ﷺ ، فقال اليهودى لعمر : إنه لم يكن بقى شيء مما وجدنا فى كتابنا مما وصف لنا موسى عليه السلام إلا قد رأيناه فى محمد ﷺ ، إلا الحلم فقد رأيناه الآن منه فأنا أشهدك أنى أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وأشهد أن نصف ما أملك صدقة على من آمن بمحمد ﷺ ، فقال له عمر : إنه قد حقت على نصيحتك ، لا يسعهم كلهم ولكن اجعله لمن مع

---

(١) الورِق : الفضة ، ويقصد هنا الدراهم .

(٢) أى يقرضك .

(٣) الحائط البستان أو الحديقة المسورة.

(٤) أى وضعوا عليه التراب .

(٥) أي تماطلون فى أداء الدين .

(٦) أى لقطعت أنفك .

(٧) خطمك أى مقدمة أنفك .

(٨) من الكيل .

رسول الله ﷺ ، ففعل ، ثم إن هذا اليهودى مات فخرج رسول الله ﷺ فحمل سريره [١] على عاتقه الإيمن وحمل علىٌّ أيضًا سريره على عاتقه الأيسر .

نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى قال كان عبد الله بن مُزينة ذو البجادين بينما هو فى حجر عمه ، وكان يعطيه ، وكان محسناً إليه ، فبلغ عمه أنه قد تابع دين محمد ﷺ ، فقال له : لئن فعلت وتبعت محمداً لأنزعن [٢] منك كل شىء أعطيتك ، فقال : إنى مسلم فنزع منه كل شىء أعطاه حتى جرده من ثوبه ، فأتى أمه فقطعت له بجاداً [٣] لها باثنين ، فائتزر نصفًا وارتدى نصفًا [٤] ، ثم أصبح فصلى مع رسول الله ﷺ الصبح ، فلما صلى رسول الله ﷺ تصفح الناس ينظر من أتاه ، وكذلك كان يفعل ، فرآه رسول الله ﷺ فقال : من أنت ؟ قال : أنا عبد العزى ، فقال : بل أنت عبد الله ذو البجادين . فالزم بابى ، فكان يلزم باب رسول الله ﷺ ، وكان يرفع صوته بالقرآن والنحيب [٥] والتسبيح ، فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله أُمُرَائِى هو ؟ قال : دعه عنك فإنه أحد الأواهين [٦] .

* * *

(١) أى نعشه الذى حمل عليه .

(٢) أى لأحرمنك .

(٣) أى كساء سميكًا .

(٤) أى لبس واحدة من أسفل والثانية من أعلى .

(٥) أى البكاء تأثراً بكلام الله .

(٦) أى من كثيرى التأوه وهو البكاء من خشية الله وقد وصف الله نبيه إبراهيم عليه السلام ﴿ إن إبراهيم لأواه ﴾ .

حديث الإسراء برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس(١)

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فدعا رسول الله ﷺ قومًا إلى الإسلام وكلمهم وأبلغ إليهم فيما بلغنى ، قال زمعة : لو جعل معك ملك يحدث معك الناس ويرى معك ، قوله تعالى : ﴿ **لولا أُنزل عليه ملك** ﴾ ، قال : ثم إن رسول الله ﷺ أُسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وهو بيت المقدس من إيلياء ، وقد فشى (٢) الإسلام بمكة وفشى فى القبائل كلها ، وكان مسراه (٣) ، وما ذكر منه ، بلاء وتمحيص وأمر من الله عز وجل فى قدرته وسلطانه عبرة لأولى الألباب ، وهدى ورحمة وبيان ، لمن آمن وصدق ، وكان من أمر الله على يقين ، فأسرى به كيف شاء وكما شاء ، ليريه من آياته ما أراد ، حتى عاين ما عاين من أمر الله عز وجل وسلطانه العظيم ،وقدرته التى صنع بها ما يريد،حتى ذكر من يصدقه .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى بعض آل أبى بكر عن عائشة أنها كانت تقول : ما فقد جسد رسول الله ﷺ ولكن الله عز وجل أسرى بروحه (٤) ، ثم وصف لأصحابه إبراهيم وعيسى والأنبياء وما أتى به من الماء والخمر واللبن وشربه من آنية جبريل وعيسى ابن مريم عليهما السلام ، وقال : أُريت الجنة والنار وأُريت فى السماء كذا وكذا ، وقال : وفُرِضت علىَّ الصلاة .

نا يونس عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع الأنصارى قال : حدثنى

---

(١) كان ذلك بعد وفاة زوجه خديجة وعمه أبى طالب وقبل الهجرة للمدينة وبعد رحلته ﷺ للطائف لدعوة أهلها وما فعلوه به ، وأراد الله تعالى من هذه الرحلة أن يطمئن رسوله إلى أن عناية السماء معه وإذا كان أهل الأرض تخلوا عنه فإن رب الأرض والسماء معه وناصره .

(٢) أى انتشر واشتهر .

(٣) أى إسرائه ﷺ .

(٤) والصواب أنه أسرى به ﷺ بروحه وجسده كما ثبت فى الروايات الصحيحة المتواترة وكما أجمع عليه أكثر العلماء .

ابن شهاب الزهرى قال : أخبرنى سعيد بن المسيَّب أن رسول الله ﷺ قال : لقيت إبراهيم وموسى وعيسى عند بيت المقدس ، فإذا عيسى رجل أحمر كأنما خرج من ديماس (١) ، وإذا موسى رجل شحب ضرب (٢) كأنه من رجال شَنُوءَة (٣) ، وأنا أشبه ولد إبراهيم به ، فأُتيت بقدحين ، قدح لبن وقدح نبيذ (٤) ، فاخترت قدح اللبن فقال جبريل عليه السلام : هديت للفطرة ، لو أخذت قدح النبيذ لغوت أمتك ، وحانت الصلاة فأممتهم .

قال ابن شهاب : قال عبد الله بن عمر : ما قال رسول الله ﷺ لعيسى ابن مريم أحمر كأنما خرج من ديماس ولكنه قال : أرانى أطاف بالبيت فإذا رجل أحمر حشيم يمشى بين رجلين ينطف رأسه ، أو أهراق من رأسه ماء ، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : هذا عيسى ابن مريم ، ثم التفت فإذا رجل أحمر أعور العين اليمين (٥) كأنما عينه عنبة طافية (٦) ، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : هذا الدجال .

نا يونس عن خالد بن دينار البصرى عن فُضَيل الأعور قال : حضرت جنازة فيها أنس بن مالك فجاء أبو العالية وقد صلى على الجنازة فتخطى الناس حتى خلص إلى أنس بن مالك فقال : يا أبا حمزة عليك برنس (٧) أو برنسان ، رأيتك البارحة فى هذا المكان وعليك برنسان ، فقال : الصدق ما رأيت ، على برنسى الذى ترى على ، وعلى برنس الإسلام فتذاكروا الرؤيا ، فقال أنس : كنت بالمدينة فمرضت مرضًا أشرفت على الموت ، فجاءنى إبراهيم وموسى عليهما السلام ، فجلس إبراهيم عند رأسى وموسى عند رجلى ، فاستيقظت فبرئت ، قال أبو العالية : وأنا كنت بخراسان فمرضت مرضًا أشرفت منه على الموت فجاءنى إبراهيم ، وموسى فجلس أحدهما عند رأسى والآخر عند رجلى ، فاستيقظت فبرئت ، قال أنس بن مالك : انعتهما لى إن رؤياك من رؤياى ، قال : أما إبراهيم فرجل أبيض ، أبيض الرأس واللحية ، معروق اللحم ، طويل الأنف ، وأما موسى فرجل

---

(١) أى من حمام . (٢) خفيف اللحم .
(٣) هم قبيلة من العرب يكادون يتقاربون فى الشبه . (٤) نوع من الخمر .
(٥) فى رواية أخرى « أعور العين اليسرى » . (٦) أى بارزة .
(٧) البرنس : كل ثوب رأسه منه ملتزق به ، انظر المعجم الوجيز صـ ٤٧ .

أشعر (١) شديد الأدمة ، عريض المنكبين ، شعره يضرب إلى منكبيه ، فقال أنس : كذا رأيت أنا ·

نا يونس عن زكريا عن الشعبى قال : شبَّه رسول الله ثلاثة نفر من أمته قال : دحْية الكلبى شبَّه بجبريل وعُروة بن مسعود الثقفى شبه بعيسى ابن مريم ، وعبد العزى شبه بالدجال ·

نا يونس عن عنبسة بن الأزهر عن سماك بن حرب عن عكرمة قال : لما كان شأن بنى قريظة بعث إليهم رسول الله ﷺ عليًّا ، وجاء جبريل رسول الله ﷺ على فرس أبلق ، قالت عائشة : فكأنى أنظر إلى رسول الله ﷺ يمسح الغبار عن وجه جبريل فقلت هذا دحية الكلبى يا رسول الله ؟ قال : هذا جبريل ·

نا يونس عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال : إن رسول الله ﷺ قال : أتيت على موسى وهو قائم يصلى فى قبره ، رجل آدم (٢) جعد أشبه من رأيت برجال شنوءة ، ومررت على عيسى فسلم على رجل شاب طويل ، مرجل قد تعلوه حمرة ·

نا يونس عن أسباط بن نصر عن إسماعيل السدى قال : فُرض على رسول الله ﷺ الخمس (٣) فى بيت المقدس ليلة أسرى به قبل مهاجره بستة عشر شهراً ·

نا يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عُتْبَة عن عمرو بن مُرَّة عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن معاذ بن جبل قال : أحيلت الصلاة ثلاث أحوال وأحيل الصيام ثلاثة أحوال فأما أحوال الصلاة فإن رسول الله ﷺ قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس سبعة عشر شهراً ، ثم إن الله عز وجل حوله إلى القبلة ، فهذه حال وكادوا أن ينقسوا (٤) عند حضرة الصلاة ، فجاء عبد الله بن زيد الأنصارى فقال : يا رسول الله لو أخبرتك أنى لم أكن نائماً صدقتك إن شاء الله ، إنى بينا أنا بين النائم واليقظان رأيت شخصاً عليه ثياب خُضر ، فاستقبل القبلة فقال :

---

(١) أى كثير الشعر ·

(٢) أى أسمر شديد السمرة ·

(٣) أى الصلوات الخمس المكتوبات ·

(٤) أى يستخدموا الناقوس · وكان ذلك قبل شروع الأذان ·

الله أكبر الله أكبر ، مثنى [١] ، أشهد ألا إله إلا الله مرتين ، أشهد أن محمدًا رسول الله مرتين ، حى على الصلاة مثنى ، حى على الفلاح مثنى ، الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ، ثم أمهل ساعة [٢] ، ثم قام فقال مثل مقالته [٣] غير أنه حين فرغ من قوله حى على الفلاح قال : قد قامت الصلاة ، قد قامت الصـــلاة ، الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ، الأذان والإقامة مثنى مثنى ، فقال رسول الله ﷺ : علمها بلالاً ، فأُمر بلال فأذن بها ، وجاء عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله لقد رأيت مثل الذى أُرى الأنصارى ، ولكنه سبقنى إليك ، فهذه حال أُخرى ، وكان الرجل إذا انتهى إلى الناس وهم فى الصلاة سألهم : كم صليتم ؟ فيـــشيرون إليه بواحدة واثنتين بكم كان ، فيبدؤون بما فاتهم ، ثم يدخلون فيما بقى من الصلاة ، فجاء معاذ فوجد رسول الله ﷺ قد صلى بعض صلاته فثبت على ما أدرك فصلى ، فلما فرغ رسـول الله ﷺ من صلاته قام معاذ فقضى ما فاته ، فقال رسول الله ﷺ : قد بين [٤] لكم معاذ ، فهكذا فافعلوا ، فهذه حال .

وأما الصيام فإن رسول الله ﷺ قدم المدينة فصام يوم عاشوراء [٥] ، وثلاثة أيام من كل شهر [٦] ، ثم إن الله عز وجل فرض شهر رمضان فأنزل الله عز وجل : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين** ﴾ فكان من شاء صام ومن شاء أفطر وأطعم مسكينًا ، ثم إن الله عز وجل أوجب الصيام على الصحيح المقيم وكتب الإطعام للكبير الذى لا يستطيع الصوم

---

(١) أى كل واحدة مرتين .

(٢) ليست ساعة كما يتبادر إلى الذهن ، ولكن المقصود فترة قصيرة .

(٣) وهى إقامة الصلاة .

(٤) أى وضح ، وقال ﷺ « ما أدركتم أى مع الإمام ، فصلُّوا ، وما فاتكم فأتموا - أى أتموه بعد تسليم الإمام » .

(٥) وذلك أنه ﷺ وجد اليهود يصومونه فسأل عن ذلك فقالوا ذلك يوم نجى الله فيه موسى ، فقال ﷺ نحن أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه ، وهو يوم العاشر من شهر المحرم ، وقال : إذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا التاسع فلم يعش ﷺ .

(٦) وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ، وسميت الأيام البيض لأن نور القمر فى لياليها ظاهر .

فأنزل الله عز وجل : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ (١) إلى آخر الآيات ، وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا ، فإذا ناموا تركوا الطعام والشراب وإتيان النساء ، فكان رجل من الأنصار يدعى صرمة يعمل فى أرض له ، فلما كان عند فطره (٢) نام فاستيقظ - يعنى أصبح - فأصبح صائمًا فجهد (٣) جهدًا شديدًا ، فقال له رسول الله ﷺ : ما لى أراك قد جهدت ؟ فأخبره ما كان من حاله ، واختلس رجل نفسه بإتيان النساء فأنزل الله عز وجل : ﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ﴾ (٤) إلى آخر الآية .

نا يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله عن القاسم قال : أول من أذَّن بلال .

نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى الزهرى قال : قدم عثمان بن مظعون على رسول الله ﷺ فوجده يصلى فسلم عليه فرد عليه رسول الله ﷺ وهو يصلى (٥) .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى أبو الزناد عن عامر الشعبى عن عبد الله بن مسعود : دخلت فسلمت على رسول الله ﷺ وهو يصلى ، فأشار ولم يرد على السلام ، فقلت له : لم رددت على عثمان بن مظعون ولم ترد علىَّ فقال ﷺ : إن الله عز وجل يقلب الليل والنهار كما يشاء (٦) . . . وإن . . . حدث إلىَّ إلا وسلم (٧) فى الصلاة .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد ابن ثابت قال : حدثنى (٨) . . . أو عكرمة ، شك محمد بن أبى محمد عن ابن عباس قال : صرفت (٩) القبلة عن الشام نحو الكعبة فى رجب على رأس سبعة عشر شهرًا (١٠) من مقدم رسول الله ﷺ المدينة . . . رسول الله ﷺ . . . عمرو وكعب بن الأشرف بن أبى . . . كعب بن الأشرف والربيع بن الربيع (١١) .

* * *

---

(١) سورة البقرة : الآيات ١٨٣ - ١٨٥ . (٢) أى عند المغرب .
(٣) أى أرهق وتعب . (٤) البقرة ١٨٧ .
(٥) كان ذلك فى بداية مشروعية الصلاة ثم أُمر النبى بمنع ذلك .
(٦) هنا سقط بالأصل . (٧) قد تكون « ألا أُسلِّم » والله أعلم .
(٨) طمس بالأصل . (٩) أى تحولت .
(١٠) قيل أيضًا ستة عشر شهرًا . (١١) هكذا نقص بالأصول التى رأيناها .

القسم السادس

— اد

يشمل بعض غزوات النبى ﷺ

عن أبى جعفر عبد الله بن محمد بن على بن نُفيل الحَرَّانى رواية أبى شُعَيب عبد الله بن الحسن الحرَّانى .

مما رواه عنه أبو على محمد بن أحمد بن الحسن الصَوَّاف رواية الشيخ الفاضل أبى الفتح محمد بن أحمد ابن أبى الفوارس .

مما حدثنا به الشيخ الجليل الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادى .

سـماع طاهر بن بركات بن إبراهيم بن على بن محمد بن على الخشوعى القرشى .

نفعه الله به .

يتلوه غزوة السويق .

غزوة ذى أمر إلى نجد سنة ثلاث .

وقف

قرأ فيه إسماعيل بن إبراهيم بن سالم الأنصارى عفا الله عنه

بد
الـ
الـ
وتـ
جا

بيـ
عز
المـ
بر
يرا
الـ
الـ
أهـ

هـ
عـ
خـ
سـ
و

بسم الله الرحمن الرحيم

قطعة من غزوة بدر

أخبرنا الشيخ الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادى بدمشق فى شهر رمضان من سنة أربع وخمسين وأربع مائة قال : أخبرنا أبو نُعيم الحافظ قال : نا : أبو على محمد بن أحمد بن الحسن الصواف قال : أنا أبو شُعيب الحرانى : نا النُّفيلى : نا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال ثم قال تبارك وتعالى : ﴿ **وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم** ﴾ [(١)] الآية .

وذكر استدراج إبليس إياهم بتشبهه بسراقة بن جعشم [(٢)] لهم حين ذكر لهم ما بينهم وبين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة فى الحرب التى كانت بينهم وبينه يقول الله عز وجل لنبيه ﷺ : ﴿ **فلما تراءت الفئتان** ﴾ ونظر عدو الله إلى جنود الله من الملائكة قد أمد الله بهم رسوله والمؤمنين على عدوهم : ﴿ **نكص على عقبيه وقال إنى برئ منكم إنى أرى ما لا ترون** ﴾ وصدق عدو الله إنه رأى ما لا يـــــرون فقال : ﴿ **إنى أخاف الله والله شديد العقاب** ﴾ فأوردهم ثم أسلمهم ، فذكر لى أنهم كانوا يرونه فى كل منزل فى صورة سراقة لا ينكرونه ، حتى إذا كان يوم بدر ، والتقى الجمعان ، وكان الذى رآه حين نكَص على عقبيه الحارث بن هشام ، وعمير بن وهب الجمحى ، قد ذكر أحدهما فقال : أين يا سُراقة ومثل عدو الله فذهب ثم ذكر الله أهل الكفر وما يلقون عند موتهم فوصفهم بصفتهم فأخبر نبيه عنهم حتى انتهى إلى

---

(١) سورة الأنفال : الآية ٤٨ .

(٢) هو سراقة بن مالك بن جعشم كان الشيطان يأتى المشركين فى صورته ، وسراقة هذا هو الذى لحق برسول الله ﷺ يوم الهجرة ، وكان كافراً وقتها ، طمعًا أن يرجع الرسول ﷺ إلى المشركين فى مكة أو يقتله حتى يفوز بجائزة كفار مكة وهى مائة ناقة ، ولكن الله خذله فعثرت فرسه وغرزت قدماها فى الرمال واستغاث بالرسول ﷺ أن يسامحه ، وعلم ساعتها أن محمدا على حق وأنه ظاهر منتصر ، فسامحه الرسول ﷺ وأعطاه كتابًا بينه وبينه وطلب منه ألا يخبر أحداً ففعل سراقة ، وأسلم بعد ذلك .

قوله ﴿ **فإما تثقفنهم فى الحرب فشرِّد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون** ﴾ أى فنكِّل بهم من ورائهم لعلهم يعقلون ، ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** ﴾ (١) إلى قوله : ﴿ **وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوفَّ إليكم وأنتم لا تُظلمون** ﴾ (٢) أى لا يضيع لكم أجره عند الله فى الآخرة ، وعاجلَ خلفه فى الدنيا ثم قال : ﴿ **وإن جنحوا للسلم فاجنح لها** ﴾ (٣) أى إن دعوك إلى السلم ، يعنى الإسـلام فصالحهم علـيه ، ﴿ **وتوكل على الله** ﴾ إن الله كافيك إن الله ، ﴿ **هو السميع العليم** ﴾ ﴿ **وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله** ﴾ (٤) هو من وراء ذلك ، ﴿ **هو الذى أيدك بنصره** ﴾ بعد الضعف ﴿ **وبالمؤمنين** ﴾ ﴿ **وألَّف بين قلوبهم** ﴾ على الهدى بالذى بعثك إليهم ﴿ **لو أنفقت ما فى الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم** ﴾ بدينه الذى جمعهم عليه ﴿ **إنه عزيز حكيم** ﴾ .

وقال : ﴿ **يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين * يا أيها النبى حرِّض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفًا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون** ﴾ (٥) أى لا يقاتلون على نية ولا حق ولا معرفة بخير ولا شر .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرانى قال : أنا النُّفيلى قال : نا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال حدثنى أبو جعفر محمد بن على قال : قال رسول الله ﷺ : « نُصرت بالرعب ، وجعلت لى الأرض مسجدًا وطهورًا ، وأعطيت جوامع الكلم ، وأحلت لى المغانم ولم تحل لنبى كان قبلى ، وأُعطيت الشفاعة ، خمس لم يؤتهن نبى قبلى » ، ﴿ **ما كان لنبى** ﴾ (٦) قبلك ﴿ **أن يكون له أسرى** ﴾ مـــن عدوه

---

(١) سورة الأنفال : الآية ٥٧ . (٢) سورة الأنفال : الآية ٦٠ .

(٣) سورة الأنفال : الآية ٦١ . (٤) سورة الأنفال : الآيات ٦٢ - ٦٣ .

(٥) سورة الأنفال : الآيات ٦٤ - ٦٥ .

(٦) نزلت هذه الآية يوم بدر عتابًا من الله عز وجل لأصحاب نبيه ﷺ وليست عتابا للنبى ، وهذا قول أكثر المفسرين .

قال ابن عباس فلما أسروا الأسرى قال ﷺ لأبى بكر وعمر : « ما تريا فى هؤلاء الأسارى » فقال أبو بكر : يا رسول الله هم بنو العم والعشـيرة أرى أن تأخذ منهـم فدية فتكون لنا قوة على الكفار ، فعسى الله أن يهديهم للإسلام ، فقال ﷺ : « ما ترى يا ابن الخطاب » قال : لا والله يا رسول الله ما أرى الذى رأى أبو بكر ولكنى أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها ، فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو =

﴿ **حتى يثخن فى الأرض** ﴾ أى يثخن عدوه حتى ينفيه من الأرض ﴿ **يريدون عرض الدنيا** ﴾ أى المتاع ، الفداء بأخذ الرجال ﴿ **والله يريد الآخرة** ﴾ (١) أى بقتلهم بظهور الدين الذى يريدون إظهاره الذى تدرك به الآخرة ﴿ **لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم** ﴾ من الأسارى والمغانم ﴿ **عذاب عظيم** ﴾ أى لولا أن سبق أن لا أعذب إلا بعد النهى ، ولم يكن نهاهم ، لعذبكم فيما صنعتم ، ثم أحلها لهم رحمة ونعمة وعائدة من الرحمن الرحيم فقال : ﴿ **فكلوا مما غنمتم حلالاً طيبا واتقوا الله إن الله غفور رحيم * يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الأسرى إن يعلم الله فى قلوبكم خيراً يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم** ﴾ (٢) فكان العباس بن عبد المطلب يقول : فىَّ والله نزلت حين ذكرت لرسول الله ﷺ إسلامى وسألته أن يقاصنى (٣) بالعشرين الأوقية التى أخذ منى ، فأبى على ، فعوضنى الله منها عشرين عبداً كلهم تاجراً يضرب بمالى ، مع ما أرجو من رحمته ومغفرته . ثم حض المسلمين على التواصل وجعل المهاجرين والأنصار ولاية فى الدين دون من سواهم ، ثم جعل الكفار بعضهم أولياء بعض قال : ﴿ **إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير** ﴾ أى ليتولى المؤمن المؤمن دون الكافر وإن كان ذا رحم ، ﴿ **تكن فتنة** ﴾ أى شبهة فى الحق والباطل ، فى ظهور المفاسد فى الأرض ، بتولى المؤمن الكافر من دون المؤمن ، ثم رد المواريث إلى الأرحام ممن أسلم بعد الولاية من المهاجرين والأنصار ، وردهم إلى الأرحام التى بينهم فقال : ﴿ **والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله** ﴾ أى بالميراث : ﴿ **إن الله بكل شىء عليم** ﴾ (٤) .

= ما قال عمر ، فلما كان من الغد جاء عمر فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان ، فقال عمر يا رسول الله أخبرنى من أى شىء تبكى أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما ، فقال ﷺ أبكى للذى عرض علىَّ أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض علىَّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة » لمزيد من التفصيل انظر تفسير القرطبى ٤ / ٢٩٧٢ ط دار الغد العربى .

(١) سورة الأنفال : الآية ٦٧ . (٢) سورة الأنفال : الآية ٦٨ – ٦٩ .

(٣) أى يترك له .

(٤) سورة الأنفال : الآيات ٧٣ – ٧٥ .

* **عدد من شهد بدراً :**

جميع من شهد بدراً من المسلمين من المهاجرين والأنصار الأوس والخزرج ومن ضُرب له سهمه وأجره ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً من المهاجرين دون الأنصار ثلاثة وثمانون رجلاً ، ومن الأوس واحد وستون رجلاً ، ومن الخزرج مائة وسبعون رجلاً واستشهد مع رسول الله ﷺ من قريش ثم من بنى المطلب بن عبد مناف :

عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، قطع رجله عتْبة بن رَبِيعة بن عبد شمس فمات بالصفراء (١) .

ومن بنى زُهرة بن كلاب : عُمير بن أبى وقاص بن أهيْب بن عبد مناف ابن زهرة ، وذو الشمالين عبد عمرو بن نضلة حليف لهم ، من بنى غبشان .

ومن بنى عدى بن كعب : عاقل بن البُكير ، حليف لهم ، من بنى سَعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، ومهجع مولى عمر بن الخطاب .

ومن بنى الحارث بن فِهر : صَفْوان بن بيضاء .

ومن الأنصار ، ثم من بنى عَمرو بن عوف : سعد بن خيثمة ومُبشر بن عبد المنذر بن زنبر .

ومن بنى الحارث بن الخزرج : يزيد بن الحارث ، وهو الذى يقال له فسحم .

ومن بنى سلمة ، ثم من بنى حرام بن كعب بن غُنْم بن كعب بن سلمة : عُمير بن الحُمام .

ومن بنى حُبيب أو خبيب بن عبد حارثة بن مالك : رافع بن المُعَلَّى .

ومن بنى النجار ، ثم من بنى عدى بن النجار : حارثة بن سراقة بن الحارث .

ومن بنى غَنْم بن مالك بن النجار : عوف ومُعوِّذ ابنا الحارث بن سواد ، وهما ابنا عفراء ، ثمانية نفر .

وكان الفتية الذين قتلوا مع قريش يوم بدر فنزل فيهم القرآن فيما ذكر لنا .

﴿ الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً ﴾ (٢) .

---

(١) هو وادٍ فى المدينة قريب من بدر .

(٢) سورة النساء : الآية ٩٧ .

وذلك أنهم كانوا أسلموا (ورسول الله ﷺ بمكة فلما هاجر)[١] رسول الله ﷺ إلى المدينة حبسهم آباءهم وعشائرهم بمكة وفتنوهم فافتتنوا ثم ساروا مع قومهم إلى بدر فأصيبوا به جميعاً فهم فتية مُفَتَّنون ٠

ومن بنى أسد بن عبد العزّى بن قُصَى : الحارث بن ربيعة وعقيل بن الأسود ابن المطلب بن أسد ٠

ومن بنى مخزوم أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة ٠

ومن بنى جُمح : على بن أُمية بن خلف ٠

ومن بنى سَهْم : العاص بن مُنَبَّة بن الحجاج ٠

غزوة بنى سليم

فلما قدم رسول الله ﷺ من بدر إلى المدينة وكان فراغه من بدر فى عقب رمضان أو فى أول شوّال ، فلم يقم بالمدينة إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بنى سُليم ، حتى بلغ ماء من مياههم يقال له الكُدْر[٢] ، فأقام عليه ثلاث ليال ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً[٣] ، فأقام بقية شوّال وذا القعدة وفادى فى إقامته تلك جل الأسارى من قريش ٠

* * *

(١) زيد ما بين المعكوفتين من رواية ابن هشام ٠ انظر سيرة ابن هشام ٢ / ٢٠٦ تحقيق طه عبد الرءوف سعد ، ط ٠ مكتبة الكليات الأزهرية ٠

(٢) قرية من المدينة ٠

(٣) أى لم يلق من بنى سليم حرباً ٠

غزوة السويق

ثم غزا أبو سفيان بن حرب غزوة السويق فى ذى الحجة ، وولى تلك الحجة المشركون من تلك السنة . أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرانى قال : حدثنا النُّفَيلى قال : نا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال : فكان أبو سفيان كما حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، ويزيد بن رُومان ، ومن لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب ابن مالك ، وكان من أعلم الأنصار ، حين رجع إلى مكة ورجع فلُّ قريش [١] من بدر حلف ألا يمس رأسه ماء من جنابة [٢] حتى يغزو محمدًا ﷺ فخرج فى مائتى راكب من قريش ليبر يمينه فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة إلى جانب جبل يقال له تيت [٣] : من المدينة على بريد أو نحوه ، ثم خرج من الليل حتى أتى بنى النضير من تحت الليل فأتى حيى بن أخطب [٤] فضرب عليه بابه فخاف فلم يفتح له فانصرف إلى سلام بن مشكم وكان سيد بنى النضير فى زمانه ذلك ، وصاحب كنزهم [٥] ، فاستأذن عليه ، فأذن له وقراه [٦] وسقاه وبطن [٧] له من خبر الناس ، ثم خرج من عقب ليلته حتى أتى أصحابه ، فبعث رجالاً من قريش إلي المدينة ، فأتوا ناحية منها يقال لها العُريض فحرقوا فى أصوار [٨] من نخل بها ، ووجدوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له فى حرث لهما فقتلوهما ، ثم انصرفوا راجعين ، ونذر بهم الناس ، فخرج رسول الله ﷺ فى طلبهم حتى انتهى إلى قرقرة الكدر [٩] ، ثم انصرف راجعاً وقد فاته أبو سفيان وأصحابه ، وقد رأوا أزواداً من أزواد القوم قد

(١) أى المنهزمين من قريش .

(٢) علَّق السهيلى على هذا قائلا : « إن الغسل من الجنابة كان معمولا به فى الجاهلية بقية من دين إبراهيم وإسماعيل كما بقى معهم الحج والنكاح » .

(٣) عند ابن هشام : « ثَيْب » .

(٤) هو والد السيدة صفية زوج رسول الله ﷺ - وأم المؤمنين رضي الله عنها ومات يهوديا .

(٥) كانوا يجمعون المال ويدخرونه عنده لنوائبهم .

(٦) أى أكرمه وصنع له طعام الضيف .

(٧) أى أعلمه وأخبره .

(٨) أى النخل الصغار .

(٩) هى موضع بينها وبين المدينة ثمانية بُرد .

طرحوها ، فى الحرث يتخففون منها للنجاء ، فقال المسلمون حين رجع بهم رسول الله ﷺ : أنطمع أن تكون لنا غزوة ؟ قال : نعم ، فقال أبو سفيان وهو يتجهز غازياً من مكة إلى المدينة أبياتاً من الشعر :

كَرُّوا عَلَى يَثرب وجَمعِـــــهم ... فإنَّ ما جمّـــعوا لكمَ نفلُ
إنْ يكُ يومُ القُلَيبِ كان لهـــمْ ... فإنَّ ما بعده لكـــمْ دُوَل
واللاَّت لاَ أقرب النَســـاء ولا ... يَمس رأْسِى وَجلْدى الغسلُ
حَتى تَبيروا قبـائـل الأَوْسِ والـ ... ـخَزْرَج إِنَّ الفُؤَادَ مُشـتَعلُ

فأجابه كعب بن مالك (١) :

يا لَهفَ أم المشـجِّعين عــــلى ... جيْشِ ابــن حربٍ فى الحرَّة الفَشل
إذ يَطْرحون الرمال من نِسم الطيـ ... ـر ترقوا بقــــية الجبــلِ
جَــاؤوا بجمع لو قيس منـــزله ... لم يـك إلاَّ كمُــعرْس الدؤلِ

الدؤل دويبة أصغر من القطا .

وبه سمى أبو الأسود الدؤلى .

وقال أبو سفيان بن حرب حين انصرف من المدينة إلى مكة :

إنِى تَخَيرتُ المدينة واحــــدًا ... لحلف فلم أنـــدم ولم أتلَوم
سَقانى فَروانِى كَمـــيتاً مُدَامَة ... عَلَى عَجل منِى سَلامُ بن مُشكم
فلما تولى الجيش قلـت ولم أكنْ ... لأترحـــه أبشــــر بعزٍّ وَمَغْنَم
تأمل فإن القوم فى سَـــرواتهم ... صَرِيح لُؤى لا شماطيط جُرهـــم
فما كان إلا بعض ليلة راكـــب ... أتى ساعياً من غير حلـــة معدم

* * *

(١) وكان من شعراء المسلمين المدافعين عن الإسلام هو وحســـان بن ثابت وعبد الله ابن رواحة ﷺ .

غَزْوةُ ذى أمر إلى نجد
سنة ثلاث

فلما رجع رسول الله ﷺ من غزوة السويق (١) أقام بالمدينة ذا الحجة والمحرم ، أو قريباً منه ثم غزا نجداً يريد بنى غطفان وهى غزوة ذى أمر (٢) ، فأقام بنجد صفراً كله ، أو قريبًا من ذلك ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدًا .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرانى قال : حدثنا النُّفيلى قال : نا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى رجل من أهل الشام يقال له أبو منظور عن عمه قال : حدثنى عمى عن عامر الرامى أخى النضر قال : إنى لببلادنا إذ رفعت إلى ألوية ورايات فقلت : ما هذا ؟ قالوا : هذا لواء رسول الله ﷺ ، فأتيته وهو تحت شجرة قد بسط له تحتها كساء وهو جالس عليه ، وقد اجتمع إليه أصحابه رضى الله عنهم فجلست إليهم ، فذكر رسول الله ﷺ الأسقام فقال : إن المؤمن إذا أصابه السقم ، ثم أعفاه الله منه كان كفارة لما مضى من ذنوبه وموعظة له فيما يستقبل به ، وإن المنافق إذا مرض ثم أعفى كان كالبعير عقله (٣) أهله ثم أرسلوه ولم يدر لم أرسلوه ، فقال رجل ممن حوله : وما الأسقام ، والله ما مرضت قط ؟ قال : قم عنا فلست منا ، قال : فبينا نحن عنده إذ أقبل رجل عليه كساء معه شىء فى يده قد التف عليه ، فقال : يا رسول الله لما رأيتك أقبلت فمررت بغيضة من شجر فسمعت فيها أصوات فراخ طائر فأخذتهن فوضعتهن فى كسائى ، فأقبلت أمهن حتى استدارت على رأسى ، فكشفت لها عنهن فوقعت معهن فلففتهن ، فهن الآن معى ، فقال : ضعهن عنك ، قال : فوضعتهن بكسائى وأبيت إلا لزومهن فقال : رسول الله ﷺ :

---

(١) السويق هو تحميص القمح والشعير ثم طحنه وقد يمزج باللبن والسمن والعسل أو يمزج بالماء ، وسميت غزوة السويق لأن أكثر ما طرح القوم من أزوادهم السويق ، فهجم المسلمون على سويق كثير فسميت غزوة السويق .

(٢) موضع معروف قريب من مكة .

(٣) أى ألجمه .

أتعجبون لرحمة أم الأفراخ فراخها ؟ قالوا : نعم ، قال : فوالذى بعثنى بالحق لله أرحم بعباده من أم الأفراخ بفراخها ، ارجع بهن حتى تضعهن من حيث أخذتهن وأمهن معهن قال : فرجع بهن .

غزوة الفُرع (١) من بحران

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلق كيداً فلبث بها شهر ربيع الأول كله إلا قليلاً منه ، ثم غزا يريد قريشًا وبنى سليم حتى بلغ بحران معدن بالحجاز فى ناحية الفُرع ، وذلك المعدن للحجاج بن علاط البهزى فأقام به شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً .

غزوة بنى قينقاع

وقد كان فيما بين ذلك من غزوة رسول الله ﷺ بنى قَيْنُقَاع وكان من حديث بنى قَيْنُقَاع أن رسول الله ﷺ جمعهم فى سوق بنى قينقاع فقال لهم : يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة (٢) ، وأسلموا فإنكم قد عرفتم أنى نبى مُرْسَل ، تجدون ذلك فى كتابكم (٣) ، وعهد الله إليكم ، قالوا : يا محمد إنك ترانا كقومك ، يغرك (٤) إنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة ! إنا والله لو حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس .

* ما نزل فى يهود بنى قينقاع :

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرانى قال : نا النُّفيلى قال : حدثنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى مولى لآل زيد بن ثابت عن سعيد بن جُبير أو عكرمة عن ابن عباس قال : ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيهم ﴿ **قل للذين كفروا ستُغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد** ﴾ إلى قوله ﴿ **قد كان لكم آية فى فئتين التقتا** ﴾ أى فى أصحاب بدر من أصحاب رسول الله ﷺ وقريش ﴿ **فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة** ﴾ إلى قوله : ﴿ **إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار** ﴾ (٥) .

---

(١) الفرع : قرية قريبة من المدينة . (٢) أى الهزيمة واللعنة فى بدر .

(٣) أى التوراة . (٤) عند ابن هشام « لا يغرنك أنك لقيت » .

(٥) سورة آل عمران : الآيات ١٢ - ١٣ .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرانى قال حدثنا النفيلى قال : نا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن بنى قينقاع كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ عليه وحاربوا فيما بين بدر وأحد [١] فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه ، فقام إليه عبد الله بن أُبى ابن سلول حين أمكنه الله منهم فقال : يا محمـــد أحسن فى موالىَّ ، وكانوا حلفاء الخزرج ، فأبطأ عنه رسول الله ﷺ فقال : يا محمد أحسن فى موالى ، فأعرض عنه رسول الله ، فأدخل يده في جيب درع رسول الله ﷺ ، قال : فقال رسول الله ، وغضب رسول الله ، ثم قال · أرسلنى [٢] : فقال : لا والله لا أرسلك حتى تحسن فى موالى ، أربع مائة حاسر [٣] وثلاثمائة دارع [٤] منعونى من الأحمر والأسود تحصدهم فى غداة واحدة ، إنى والله امرؤ أخشى الدوائر [٥] فقال رسول الله ﷺ : هم لك ·

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرانى قال : نا النُّفيلى قال : نا محمد بن سَلمة عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى أبى إسحاق بن يسار عن عبادة بن الوليد بن عُبادة ابن الصَّامت قال : لما حاربت بنو قَيْنُقاع تشبث بأمرهم عبد الله بن أبى ابن سلول وقام دونهم ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ ، وكان أحد بنى عوف ابن الخزرج ، ولهم من حلفه مثل الذى لهم من عبد الله بن أبى. [٦] فخلعهم إلى رســـول الله ﷺ ، وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم فقال : يا رسول الله أتولى الله ورسوله والمؤمنين ، وأبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم ، قال : ففيه وفى عبد الله بن أُبىٍّ نزلت القصة فى المائدة : **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ﴾** إلى قوله : **﴿ فترى الذين فى قلوبهم**

---

(١) أى بين السنة الثانية والثالثة للهجرة ·

(٢) عند ابن هشام : « وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه ظللا أى سحابة » ·

(٣) لا درع عليه ·

(٤) أى لابس الدرع ·

(٥) أى الهزائم ·

(٦) عبد الله بن أبى ابن سلول هو زعيم المنافقين فى المدينة كان قد أظهر الإسلام وأخفى الكفر ؛ ولذلك فإن المنافق أخطر على الإسلام من الكافر ؛ لأن الكافر ظاهر الكفر ، أما المنافق فهو يخفى الكفر ويسره ·

مرض يسارعون فيهم ﴾ يعنى عبد الله بن أبىٍّ لقوله : أخشى الدوائر ﴿ يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده ﴾ إلى قوله : ﴿ وهم راكعون ﴾ وذلك لقول عُبادة بن الصامت : أتولّى الله ورسوله وأبرأ من بنى قينقاع من حلفهم وولايتهم . ﴿ ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴾ (١) .

سرية زيد بن حارثة إلى القردة

وسرية زيد بن حارثة التى بعثه رسول الله ﷺ فيها ، حين أصابت عير قريش ، فيها أبو سفيان بن حرب على القَرَدَة ، ماء من مياه نجد .

وكان من حديثها أن قريشًا كانت قد أخافت طريقها التى تسلك إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان ، فسلكوا طريق العراق ، وخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان ابن حرب ومعه فضة كثيرة ، وهو عظم تجارتهم ، واستأجروا من بنى بكر بن وائل رجلاً يقال له : فُرات بن حيَّان (٢) يدلهم على الطريق ، وبعث رسول الله ﷺ زيد ابن حارثة فى ذلك الوجه ، فلقيهم على ذلك الماء فأصاب تلك العير وما فيها ، وأعجزه الرجال ، فقدم بها رسول الله ﷺ .

فقال حسان بن ثابت يذكر قريشًا وأخذها على ذلك الطريق بعد أُحد فى غزوة بدر الآخرة ، وذلك أن رسول الله ﷺ خرج لميعاد أبى سفيان مُنْصَرفه من أحد ، فسار حتى نزل بدرًا ، فأقام بها ثمان ليال ، وأخلفه أبو سفيان فقال حسان بن ثابت (٣) .

---

(١) سورة المائدة : الآيات ٥١ - ٥٦ .

(٢) قال ابن هشام : فرات بن حيان من بنى عجل ، حليف لبنى سهم انظر مختصر سيرة ابن هشام ط . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية صـ ٤١٦ .

(٣) هو شاعر الرسول ﷺ وهو من الشعراء المخضرمين الذين عاشوا فى الجاهلية وفى الإسلام ، وكان شعره دفاعًا عن الرسول ورسالته .

دَعُوا، فَلْجَات الشَّامِ قَد حَار دُونَها ... جِلادُ كأفواه المَخاض الأوارِك
بأيدى رِجَال هَاجروا نَحو رَبهم ... وأنصاره حقًّا وأيدى الملائك
إذا سَلكت للغورِ مِنْ رَمْل عَالج ... فقُولا لها ليس الطريق هنالك
أقمنا على الرسِّ النزوع ثمانيا ... بأرعنَ جَرَّارٍ عريضِ المبارك
بكل كُمَيت جَوزُه نصفُ خَلقه ... وقُب طوال مشرفات الحوارك
ترى العرفج العاديَّ تَذرى أصوله ... مَناسم أخفاف المطى الرواتك
فإن نَلق فى تطوافنا والتماسنا ... فُراتَ بن حيَّان يكن رهنَ هالك
وإن نلق قيس بن امرئ القيس بعده ... يُزَدْ فى سواد لونه لونُ حالك

* مقتل كعب بن الأشرف :

وقتل كعب بن الأشرف ، وكان من حديثه أنه لما أصيب أهل بدر ، وقدم زيد ابن حارثة إلى أهل السافلة ، وقدم عبد الله بن رُواحة إلى أهل العالية مبشِّرين ، بعثهما رسول الله ﷺ إلى أهل المدينة من المسلمين بفتح الله وقتل من قتل من المشركين ، كما حدثنى عبد الله بن المغيث بن أبى بُردة الظفَرى ، وعبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم ، وعَاصم بن عمر بن قتادة ، وصالح بن أبى أُمامة ابن سهل كل قد حدثنى بعض حديثه قالوا [(١)] : قال كعب بن الأشرف ، وكان رجلاً من طيء ، ثم أحد بنى نبهان ، وكانت أمه من بنى النضير حين بلغه الخبر : ويحكم أحقٌّ هذا ؟ أترون أن محمداً قتل هؤلاء الذين يُسمى هذان الرجـــلان يعنى زيداً وعبد الله - فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس ، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها ! فلما تيقن عدو الله الخبر خرج حتى قدم مكة ، فنزل على المطلب بن أبى وداعة بن ضُبَيرة السهْمى وعنده عاتكة ابنة أبى العاص بن أمية بن عبد شمس فأنزلته وأكرمته وجعل يحرض على رسول الله ﷺ ، وينشد الأشعار ويبكى على أصحاب القليب من قريش الذين أصيبـــوا ؛ ثم رجـع كَعْب

(١) زيادة عن الأصل من رواية ابن هشام انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٦٤٤ ط دار المنار

ابن الأشرف (١) فشبب بأم الفضل ابنة الحارث (٢) ، ثم شبب بنساء المسلمين ، فقال رسول الله ﷺ - كما حدثنى عبد الله بن مغيث : من لى بابن الأشرف ؟ فقال : محمد بن مسلمة أخو بنى عبد الأشهل أنا لك به يا رسول الله ، أنا أقتله ، قال : افعل إن قدرت على ذلك ، فرجع محمد فمكث ثلاثا لا يأكل ولا يشرب إلا ما يعلق نفسه (٣) فذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال (٤) : لو تركت الطعام والشراب ؟ قال : يا رسول الله إنى قلت لك قولاً لا أدرى هل أقر به أم لا ، قال : إنما عليك الجُهْد (٥) ، قال : يا رسول الله إنه لابد لنا أن نقول ، قال : قولوا ما بدا لكم فأنتم فى حل من ذلك ، فأجمع (٦) فى قتله محمد بن مسلمة ، وسلْكان بن سلامة بن وقش ، وهو أبو نائلة أحد بنى عبد الأشهل (٧) ، والحارث بن أوس بن معاذ أحد بنى عبد الأشهل ، ثم قدموا إلى عدو الله ابن الأشرف قبل أن يأتوه سلكان بن سلامة أبا نائلة فجاءه ، فتحدث معه ساعة وتناشدا ، وكان أبو نائلة يقول الشعر ثم قال :

ويحك يا بن الأشرف إنى قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك فاكتمها عنى ، قال: أفعل ، قال : كان قدوم هذا الرجل علينا من البلاء ، عادتنا (٨) العرب ورمتنا عن قوس واحدة ، وقطعت عنا السُّبل حتى ضاع العيال ، وجهدت الأنفس ، فأصبحنا وقد جهدنا وجهد عيالنا ، فقال كعب : أنا ابن الأشرف أما والله لقد كنت أخبرك يا ابن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما كنت أقول لك ، فقال سلكان : إنى قد أردت أن تبيعنا طعاماً ونرهنك . ونوثّق لك ونحسن فى ذلك ، قال : ترهنونى أبناءكم ؟ قال : أردت أن تفضحنا إن لى أصحاباً على مثل رأيى ، وقد أردت أن آتيك بهم

---

(١) أى رجع إلى المدينة .

(٢) أى تغزّل بها ووصف محاسنها .

(٣) عند ابن هشام : « إلا ما يعلق به نفسه » .

(٤) عند ابن هشام : « فدعاه فقال له » .

(٥) الجُهد : أى الوسع والطاقة ، والمعنى بقدر طاقتك وبوسعك ، والله أعلم .

(٦) عند ابن هشام : « فاجتمع » .

(٧) عند ابن هشام : « وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة .

(٨) أي أظهرت لنا العداء .

لتبيعهم وتحسن فى ذلك ونرهنك من الحلقة ما لك فيه وفاء ، وأراد سلكان أن لا ينكر السلاح إذا جاؤوا به ، قال : إن فى الحلقة لوفاء ، فرجع سِلكان إلى أصحابه فأخبرهم خبره ، وأمرهم أن يأخذوا السلاح ، ثم ينطلقوا فيجتمعوا إليه ، فاجتمعوا عند رسول الله ﷺ .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرَّانى قال : نا النفيلى قال : نا محمد بن سَلَمة عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى ثور عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس قال : مشى معهم رسول الله ﷺ إلى بقيع الغَرْقد [١] ، ثم وجههم وقال : انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعنهم ثم رجع إلى بيته فى ليلة مقمرة ، فانتهوا إلى حصنه [٢] ، فهتف به أبو نائلة وكان حديث عهد بعرس ، فوثب فى ملحفته [٣] ، فأخذت امرأته بناحيتها وقالت : إنك رجل محارَب وإن صاحب الحرب لا ينزل فى مثل هذه الساعة ، قال [٤] : أبو نائلة لو وجدنى نائماً ما أيقظنى ، قالت : فوالله إنى لأعرف فى صوته الشر ، قال : يقول لها [٥] : لو يدعى الفتى لطعنة لأجاب .

قال أبو شُعيب : حدثنا التوزى أبو محمد قال : قال الأصمعى ما تكلم بهذه الكلمة : لو وجدنى نائمًا ما أيقظنى أحد فى جاهلية ولا إسلام إلا قُتِل قال : فنزل فتحدث معه ساعة ، وتحدثوا معه ، ثم قال : هل لك يا ابن الأشرف أن نتماشى إلى شعب العجوز [٦] ، فنتحدث بقية ليلتنا هذه ؟ قال : إن شئتم ، فخرجوا يتماشون ساعة ، ثم إن أبا نائلة شام يده فى فود رأسه ثم شم يده ، ثم قال ما رأيت كالليلة طيباً أعطر قط ، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثله فأخذ بفودى رأسه ، ثم قال اضربوا عدو الله فضربوه فاختلفت عليه أسيافهم فلم تغن شيئاً [٧] ، قال محمد بن مسلمة فذكرت مغولا [٨] فى سيفى حين رأيت

(١) هى مدافن المسلمين بالمدينة .

(٢) أى داره ، ويبدو أنها كانت قصراً .

(٣) أى غطاءه وقام .

(٤) عند ابن هشام « إنه أبو نائلة » .

(٥) عند ابن هشام « يقول لها كعب » .

(٦) مكان خارج المدينة .

(٧) أى لم تؤثر فيه ولم يمت .

(٨) أى حديدة .

أسيافنا لم تغن شيئًا ، فأخذته ، وقد صاح عدو الله صيحة لم تبق حولنا حصن إلا أوقدت (١) عليه النار فوضعته(٢) فى ثنته (٣) ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته فوقع عدو الله وقد أصيب الحارث بن أوس بن معاذ فجرح فى رأسه أو فى رجله أصابه بعض أسيافنا ، قال : فخرجنا حتى سلكنا على بنى أمية بن زيد ، ثم على بنى قريظة ، ثم على بعاث حتى أسندنا (٤) فى حرة العريض (٥) وقد أبطأ عنا صاحبنا الحارث بن أوس ونزفه الدم ، فوقفنا له ساعة ، ثم أتانا يتبع آثارنا ، فاحتملناه فجئنا به رسول الله ﷺ وهو قائم يصلى ، فسلمنا عليه فخرج إلينا فأخبرناه بقتل عدو الله ، وتفل (٦) على جرح صاحبنا ، ورجعنا إلي أهلنا ، فأصبحنا وقد خافت يهود تبعتنا (٧) ، فليس بها يهودى إلا وهو يخاف على نفسه .

* أمر محيصة وحويصة :

وقال رسول الله ﷺ : من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه ، فوثب محيصة بن مسعود على أبى سنينة (٨) ، رجل من تجار يهود ، وكان يلابسهم ويبايعهم فقتله ، وكان حويصة بن مسعود إذ ذاك لم يسلم فقال لمحيصة ، وكان أسن منه (٩) ، لما قتله ، وجعل يبصره (١٠) : يا عدو الله أقتلته أما والله لَرُبَّ شحم فى بطنك من ماله ! فقال محيصة : والله لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لضربت

---

(١) عند ابن هشام : « إلاَّ قد أوقدت » .

(٢) أى وضعت المغول (الحديدة) .

(٣) أى ما بين السرة والعانة .

(٤) أى ارتفعنا .

(٥) فى ضواحى المدينة وهى أرض ذات حجارة سوداء .

(٦) أى بصق بصقا خفيفاً .

(٧) أى طلبنا لهم .

(٨) كذا عند ابن هشام .

(٩) أى أكبر منه .

(١٠) عند ابن هشام : « فلما قتله جعل حويصة يضربه ويقول : أى عدو الله » .

عنقك قال : فقال : والله إن دينًا بلغ بك هذا لدين له شأن ، انطلق إلى صاحبك حتى أسمع منه ، فانطلق إلى رسول الله ﷺ عليه ، فكان أول إسلام حُوَيصة فقال مُحيِّصَة :

يَلومُ ابن أُمِّى لَو أَمــــرتُ بِقَتْله … لَطبقــتُ ذَفْراه بأبيــضَ قَاضبِ
حُسام (١) كَلونُ الملح أخلَصَ صِقْلَهُ … مَتى مَا أصـــوبه فَليس بكاذبِ
وَما سَــــرَّنى أنِّى قَتَلْتُكَ طَائعاً … وأن لنا مــا بين بُصــرى فمأربِ

وقال على بن أبى طالب ﷺ فى قتل ابن الأشرف :

عَرفتُ وَمَنْ يعتدل يَعْرف … وأيقنــت حقًّا فلم أَصْدِف
عن الكَلِم المحكمات التى … مـــنَ الله ذى الرَّأفة الأرأفِ
رَسائلُ تُدرَس فى المؤمنينَ … بِهن اصطــفَى أحمد المصطفى
فَأصبح أحمدُ فينا عَزيزًا … عَزيز المقـــامَة والموقف
فَيا أيها الموعدوه سَفاهًا … ولم يأت حُوبًا (٢) ولَم يعنف
أَلستُم تَخافون أدنى العذاب … وَما آمـــنَ الله كالأخوف
وأن تَصْرعُوا تحتَ أسيَافه … كَمصرعِ كَعب أَبـــى الأشرف
غَداةَ رَأى اللهُ طُغْيَـــانَهُ … فَأعرضَ كالجَمـــلِ الأجنَف
فَأنزل جبريلُ فى قَتله … بوَحيِ إلـــى عَبْده مُلْطف
فَدس الرسول رَسولاً إليه … بأبيـــض ذى هبَّة مُرهَفَ
فَباتتْ لــــه عيون مغولا … ت ومن دَمْع كَعْب لَها تَذْرف
فَقُلنا لأحمدَ ذَرنا قليلاً … فَإنا منَ القـــوم لَم نَشْتَف
فَأجْلاَهم ثم قـــال اظعَنُوا … دُحُورًا علـــى رَغم الآنف
فَأجلى النَّضيرَ إلـــى غُرْبَة … وكانوا بـــدار ذَوى زُخرف
إلى أذْرُعَاتِ رَدِ أفاوهـــم … على كـــلِ ذى دَبَر أعجف

وكانت إقامة رسول الله ﷺ بالمدينة بعد قدومه من بحران جمادى الآخرة ورجبًا وشعبان ورمضان وغزته قريش غزوة أُحد فى شوَّال سنة ثلاث .

* * *

(١) من أسماء السيف : حسام : أى سيف بتار قاطع . (٢) أى إثما .

غَزْوَةُ أُحُد (١)

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحَرَّانى قال : أنا النّفيلى عن محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال : وكان من حديث أُحد كما حدثنى محمد بن مُسلم بن عُبيد الله الزُّهرى ، ومحمد بن يحيى بن حبَّان ، وعاصم بن عمر بن قتادة والحُصين ابن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا كلٌّ قد حدثنى بعض الحديث عن يوم أُحد ، فاجتمع حديثهم كله فيما سقت من هذا الحديث عن يوم أحد ، قال : لما أصيبت قريش ؛ أو من قاتله منهم ببدر وأصحابُ القليب من كفار قريش ؛ فرجع فلُّهم (٢) إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بعيره (٣) مشى عبد الله بن أبى ربيعة وعكرمة بن أبى جهل وصفوان بن أُمية فى رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر وكلَّموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له فى تلك العير تجارة فقالوا : يا معاشر قريش إن محمداً قد وتركم (٤) وقتل رجالكم وخياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا أن ندرك منه ثأرنا بما أصاب منا ، ففيهم فيما ذكرلى بعض أهل العلم أنزل الله : ﴿ **إن الذين كفروا يُنفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون** ﴾ (٥) .

فلما فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب تلك العير أجمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ بأحابيشها (٦) ومن أطاعهم من قبائل بنى كنانة وأهل تهامة ، كل أولئك قد استغووا على حرب رسول الله ﷺ . وكان أبو عزيز بن عمرو بن عبد الله الجُمحى (٧) قد منَّ عليه رسول الله ﷺ وعاهده أن لا يظاهر عليه ، فأجمعت

(١) كانت غزوة أُحد فى السنة الثالثة من الهجرة فى شهر شوَّال .

(٢) أى من بقى منهم من المنهزمين .

(٣) زيادة من عند ابن هشام .

(٤) أى قتل أهلكم وأحبابكم .

(٥) سورة الأنفال : الآية ٣٦ .

(٦) أى من اجتمع إلى العرب وانضم إليهم من غيرهم .

(٧) عند ابن هشام : « أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحى » .

قريش السير إلى أُحد ، قال صفوان بن أُمية : يا أبا عزيز إنك امرؤ شاعر فأعنَّا بلسانك واخرج معنا ، فقال : إن محمداً قد منَّ عليَّ ، ولا أريد أن أظاهر عليه أحدًا ، قال : بلى فأعنَّا بنفسك ، فلك إن رجعت أن أغيثك ، فإن أُصبت أجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما أصابهن من عُسر ويسر ، فخرج أبو عزيز يسير فى تهامة يدعو بنى كنانة يقول :

يا بَنى عَبد مَناة الزرَّام (١) أَنتُم بَنُو الحرب ضَرَّابُو الهَامْ
أَنتُم حُمَاةُ وَأبوكُمُ حَـام لاَ تَعْدُونى نَصْرَكم بعد العَامْ
لا تسلمونى لا يحل إسلام (٢)

* جُبير بن مُطعم يحرض وحشيًّا على قتل حمزة :

ثم دعا جُبير بن مُطْعم بن عدى بن نوفل غلامًا له (٣) يقال له وحشى ، وكان حبشيًا يضرب بحربة له قذف الحبشة قلَّ ما يخطىء بها (٤) فقال : اخرج مع الناس فإن أنت قتلت عم محمد - يعنى حمزة - بعمى طُعيمة بن عدى فأنت عتيق - وكان طعيمة ممن قتل الله يوم بدر - فخرجت قريش بحدِّها وحديدها وأحابيشها ومن تبعها من كنانة وأهل تهامة وخرجوا بالظعن (٥) التماس الحفيظة لئلا يفروا ، فخرج أبو سفيان وهو قائد الناس معه بهند ابنة عُتبة بن ربيعة (٦) ، وخرج صفوان بن أُميَّة بن خلف ببرزة ابنة مسعود بن عمرو بن عُمير الثقفية وهى أم عبد الله بن صَفوان ؛ وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت منبِّه بن الحجاج وهى أم عبد الله بن عمرو ، وكانت هند بنت عُتبة كلما مرت بوحشى أو مرَّ بها قالت : أبا دسـمة اشف

(١) عند ابن هشام « الرزَّام » وهى جمع رازم وهو الذى يثبت فى الحرب ولا يفر .
(٢) اختلف ترتيب الأبيات عند ابن هشام عما جاء هنا .
(٣) أى عبدًا له .
(٤) دليل على قوته وجلده وبسالته .
(٥) أى بالنساء فى الهوادج ، وكان ذلك من عادة العرب أن يخرجوا معهم النساء حتى لا يهابوا المعركة ولكى يستميتوا فى القتال حتى لا تسبى نساؤهم .
(٦) زوجته ، وكانت تحرض المشركين هى والنساء معها على الاستماتة فى قتال المسلمين .

واشتف (١) ، وكان وحشى يكنى بأبى دسمة ، فأقبلوا حتى نزلوا ببطن السبخة من قناة على شفير الوادى مما يلى المدينة (٢) . فلما سمع بهم رسول الله ﷺ والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا قال رسـول الله ﷺ للمسلمين : إنى قد رأيت نفرًا (٣) ، ورأيت فى ذباب سيفى ثلمًا (٤) ، ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة فتأولتها (٥) المدينة ، فإن رأيتم أن تقيموا وتدعوهم حيث قد نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن دخلوا علينا قاتلناهم فيها .

* الرسول ﷺ يشاور المسلمين فى الخروج وانخذال المنافقين :

ونزلت قريش منزلها بأحد يوم الأربعاء فأقاموا بها ذلك اليوم ، ويوم الخميس ويوم الجمعة ، وراح رسول الله ﷺ حين صلاة الجمعة فأصبح بالشِّعب من أُحد ، فالتقوا يوم السبت فى النصف من شوال سنة ثلاث ، وكان رأى عبد الله بن أُبَى بن سلول مع رسول الله ﷺ يرى رأيه فى ذلك « ألاَّ يخرج إليهم » ، وكان رسول الله ﷺ يكره الخروج من المدينة فقال رجال من المسلمين ، ممن أكرمهم الله بالشهادة يوم أُحد ، وغيرهم ممن كان فاتته بدر وحضروه : يا رسول الله اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جَبُنَّا عنهم أو ضعفنا ، قال عبد الله بن أُبَى ابن سلول : يا رسول الله أقم بالمدينة فإن أقاموا أقاموا بشر مجلس ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا ، وإن دخلوها قاتلهم الرجال فى وجوههم ، ورماهم الصبيان والنساء بالحجارة من فوقهم فلم يزل الناس برسول الله ﷺ ، الذين كان من أمرهم حب لقاء الله ، حتى دخل

---

(١) أبا دسمة هى كنية وحشى ، والمقصود بقول : اشف أى اشف غليلى وغيظى بقتل حمزة واشتف حتى تعتق وتكون حرًا ، وذلك أن مطعم بن جبير وعده أن يعتقه إذا قتل حمزة عم الرسول ﷺ ووعدته هند أن تعطيه قرطها وقلائدها فلذلك قالت له : اشف واشتف مثل قول العامة الآن : نفع واستنفع .

(٢) مكان يسمى عينيز مقابل المدينة .

(٣) عند ابن هشام : « رأيت بقرًا » وذكر تفسير الرسول ﷺ لها أن البقر : ناس من الصحابة يقتلون ، والثلم : رجل من أهل بيت الرسول ﷺ يقتل . وقد حدث الاثنان - استشهد عدد من المسلمين ، وحمزة رضى الله عنهم .

(٤) ثلم السيف : أى صيره غير ماضى القطع ، انظر المعجم الوجيز ص ٨٧ .

(٥) عند ابن هشام : « فأوّلتها » .

رسول الله ﷺ بيته فلبس لأمتهُ (١) ، وذلك؛ يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة ، وقد مات فى ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له مالك بن عمرو أحد بنى النجار ، فصلى عليه رسول الله ثم خرج وقد ندم الناس وقالوا : استكرهنا (٢) رسول الله ﷺ . فقالوا : يا رسول الله استكرهناك ، اقعد ، ولم يكن لنا ذلك صلى الله عليك ، فقال : رسول الله عليه الصلاة والسلام : ما ينبغى إذا النبى لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل ، فخرج رسول الله فى ألف من أصحابه (٣) حتى إذا كان بالشوط بين المدينة وأُحد انخذل عنه عبد الله بن أُبى ابن سلول بثلث الناس ، وقال : أطاعهم وعصانى ، والله ما ندرى على ما نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس ، ثم رجع معه من قومه من أهل النفاق وأهل الرِّيَب (٤) ، واتبعهم عبد الله بن عمـرو بن حَرَام أخو بنى سَلَمَة (٥) يقول : يا قومِ أذكركم الله أن لا تخذلوا نبيكم وقومكم عندما حضر من عدوكم قالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ولكنا لا نرى أن يكون ، فقال فلما استصعبوا عليه وأبَوا إلاَّ الانصراف عنهم قال : أبعدكم الله أعداء الله فسيغنى الله عنكم ، ومضى رسول الله ﷺ حتى سلك حرة بنى حارثة فذب فرس بذنبه (٦) فأصاب كلاَّب سيف فاستله (٧) فقال رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ يحب الفأل ولا يعتا (٨) ، لصاحب السيف : شم (٩) سيفك فإنى أرى أن السيوف ستسل اليوم ، ثم قال رسول الله ﷺ لأصحابه : مَنْ رجل يخرج بنا على القوم من كثب - أى قريب - من طريق لا يمر بنا عليهم ؟ فقال أبو خَيْثمة ، أخو بنى حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله فنفذ به فى حرة بنى حارثة ، وبين أموالهم حتى يسلك به

---

(١) أى عدة الحرب .

(٢) أى ألححنا عليه حتى خرج وهو كاره الخروج - وليس هذا حقا .

(٣) استخلف الرسول ﷺ ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس بالمدينة .

(٤) أى الشك .

(٥) كان مسلمًا ولم يكن منافقًا مثل عبد الله بن أبى ابن سلول .

(٦) أى حركه ليبعد به الذباب .

(٧) كلاَّب السيف : أى المسمار الذى فى مقبضه .

(٨) عند ابن هشام « ولا يعتاف » أى لا يتطير ولا يتشاءم .

(٩) أى أدخل سيفك فى غمده .

في مال لربعي بن قيْظي [١] ، وكان رجلاً منافقًا ضرير البصر ، فلما حسَّ برسول الله ﷺ ومن معه قام يحثو في وجوههم التراب وهو يقول : إن كنت رسول الله فلا أحل لك أن تدخل حائطي [٢] ، وقد ذكر لي أنه أخذ حفنة من تراب بيده ثم قال : والله لوْ أعلم أني لا أصيب بها غيرك لضربت بها وجهك ، فابتدره القوم ليقتلوه فقال لهم [٣] : هذا الأعمى ، أعمى القلب والبصر وقد بدر إليه سعد أخو بني عبد الأشهل قبل نهي رسول الله ﷺ فضربه بالقوس في رأسه ، ومضى رسول الله ﷺ على وجهه حتى نزل بالشعب من أُحد من عدوة الوادي إلى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد ، وقال : لا يقاتل أحد حتى نأمره بالقتال ؛ وقد سرَّحت قريش الظهر والكراع [٤] في زروع كانت بالصمغة [٥] من قناة ، فقال رجل من الأنصار حين نهى رسول الله ﷺ عن القتال : أتُرعى زروع بني قَيْلة [٦] ولمَّا نضارب ؟! وتعبأ رسول الله ﷺ للقتال في سبع مائة رجل ، وتعبأت [٧] قريش وهم ثلاثة آلاف ، ومعهم مائتا فرس قد جنبوها ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل ، وأمَّر رسول الله ﷺ على الرماة وهم خمسون رجلاً عبد الله بن جُبير أخا بني عمرو بن عوف ، وهو يومئذ مُعلم بثياب بياض ، وقال : انضح عنا الخيل [٨] بالنبل لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا ، اثبت مكانك لا نؤتين من قبلك [٩] ، وظاهر رسول الله عليه السلام بين درعين [١٠] ، وقال : من يأخذ هذا السيف بحقِّه ؟ فقام إليه رجال ، فأمسكه عنهم ، حتى قام إليه أبو دجانة سماك بن خرشة ، أخو بني ساعدة ، فقال : وما حقه

(١) عند ابن هشام « لمربع بن قيظي » .
(٢) أي بستاني .
(٣) هنا زيادة من عند ابن هشام « لا تقتلوه » .
(٤) أي تركت إبلها وخيلها .
(٥) أرض قريبة من أُحد .
(٦) هم الأوس والخزرج ، وقد نسبوا إلى قيلة وهي من أمهات الأنصار .
(٧) تجهزت واستعدت .
(٨) أي ادفعهم عنا وارمهم .
(٩) أي لانهزم من ناحيتك وبسببك .
(١٠) أي لبس درعين أحدهما فوق الآخر .

يا رسول الله ؟ قال أن تضرب به القوم حتى ينثنى ، قال : أنا آخذه يا رسول الله بحقه ، فأعطاه إيَّاه وكان أبو دُجانة رجلاً شجاعًا يختال عند الحرب إذا كانت ، وكان إذا عُلِّم بعصابة له حمراء يعصبها على رأسه علم الناس أنه سيقاتل ، فلما أخذ السيف من يد رسول الله أخرج عصابته تلك فعصب بها رأسه ، فجعل يتبختر بين الصفين .

* أبو دُجانة يستعرض قوته أمام الأعداء :

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرانى قال : أنا النُّفيلى قال : أنا محمد بن سَلَمَة عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى جعفر بن عبد الله بن أسْلَم مولى عمر بن الخطاب عن رجل من الأنصار من بنى سَلَمَة قال : قال رسول الله ﷺ ، حين رأى أبا دُجانة يتبختر : إنها لمشية يبغضها الله إلاَّ فى هذا الموطن [١] .

* ما فعله أبو عامر الفاسق :

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحَرَّانى قال : أنا النُّفيلى قال : أنا ابن سَلَمَة عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى عاصم بن عمر بن قَتَادة أن أبا عامر (عبد عمرو ابن) [٢] صيفى بن مالك بن النعمان بن أمية أحد بنى ضبيعة قد كان خرج حين خرج من مكة مباعداً لرسول الله عليه السلام بخمسين غلامًا من الأوس منهم عثمان بن حُنيف ، وبعض الناس يقول كانوا خمسة عشر ، فكان أبو عامر يعد قريش ، أن لو قد لقى قومه لم يتخلف منهم رجلان ، فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر فى الأحابيش وعبدان أهل مكة فنادى : يا معاشر الأوس أنا أبو عامر ، فقالوا : لا نعم الله بك عينًا يا فاسق ، وكان أبو عامر يسمى فى الجاهلية الراهب ، فسماه رسول الله ﷺ الفاسق ، فلما سمع ردهم عليه ، قال : لقد أصاب قومى بعدى شر ، ثم قاتلهم قتالاً شديداً ، وأضمخهم [٣] بالحجارة ، فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قامت هند بنت عُتبة فى النسوة اللاتى معها ، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرِّضنهم ، فقالت هند فيما تقول :

---

(١) لإظهار القوة للكفار لكى يغيظهم ويخافوه .

(٢) زيادة من عند ابن هشام .

(٣) عند ابن هشام « راضخهم » أى رماهم .

نحنُ بنَـــات طَارقْ
إنْ تُقْبلوا (١) نعـــانقْ
ونَفرشُ النمـــــارقْ
وإنْ تُدْبروا (٢) نُفَارقْ
فراقٌ غَيْرُ وامـــقْ (٣)

فاقتتل الناس حتى حميت الحرب وقاتل أبو دجانة سماك بن خرشة حتى أمعن فى العدو ، وحمزة ، وعلى بن أبى طالب فى رجال من المســلمين ؛ فأنزل الله نصره ، وصدقهم وعده ، فحســوهم بالسيوف حتى كشفوهم ، وكانت الهزيمة لا يشك فيها .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحَرَّانى قال : أنا النُّفيلى قال : أنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال : أنا يحيى بنُ عبَّاد بن عبد الله بن الزبير عـــن أبيه عن عبد الله بن الزبير عن الزبير قال : لقد رأيتنى أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير ، إذ مالت الرماة عن العسكر ، حين كشفنا القوم عنه ، يريدون النهب ، وخلوا ظهورنا للخيل ، فأُتينا من أدبارنا (٤) ، وصرخ صارخ ألا إن محمداً قد قتل (٥) ، فانكفأنا وانكفأوا علينا ، بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم ، فانكشف المسلمون فأصاب منهم العدو (٦) ، فكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله من أكرم بالشهادة ، وكان من المسلمين فى ذلك اليوم لما أصابهم فيه من شدة البلاء ثلاثًا : فثلث قتيل ، وثلث جريح وثلث

---

(١) أى تنتصروا .

(٢) أى تنهزموا .

(٣) والمعنى إن تنتصروا نقابلكم معانقين لكم ونعد لكم الفراش أحسن الإعداد ، وإن تنهزموا نبتعد عنكم بعد الكاره غير المحب .

(٤) أى من خلفنا .

(٥) وهذا ظن ووهم من ابن قميئة الليثى ؛ لأنه قتل مصعب بن عمير الذى كان يحامى عن الرسول ﷺ ويقاتل دونه فلما قتل ظن ابن قميئة أنه الرســول ﷺ فقال لقد قتلت محمداً .

(٦) أى قتل من المسلمين .

منهزم ، قد لقيته الحرب حتى ما يدرى ما يصنع ، حتى خلص العدو إلى رسول الله ﷺ ، فقُذف بالحجارة حتى وقع لشقة [١] ، وأصيبت رباعيته [٢] وشج فى وجنتيه [٣] ، وكُلمت [٤] شفتاه ، وكان الذى أصابه عُتبة بن أبى وقَّاص .

* بلاء ابن السَّكن وبسالته :

وقال رسول الله ﷺ حين غشيه القوم : من يشترى [٥] لنا نفسه كما حدثنى حُصَين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن محمد بن عمرو [٦] بن يزيد ابن السكن ، فقام زياد بن السَّكن فى خمسة نفر من الأنصار ، وبعض الناس يقول إنما هو عُمارة بن زياد بن السكن ، فقاتلوا دون رسول الله ﷺ رجلاً فرجل ، فيقتلون دونه حتى كان آخرهم زياد بن السكن أو عمارة بن زياد ، فقاتل حتى أثبتته الجراح ، ثم فاءت فئة [٧] من المسلمين فأجهضوهم [٨] عنه ، فقال رسول الله ﷺ : ادنوه منى ، فوسَّده رسول الله ﷺ على قدمه ، فمات وخده فوق قدم رسول الله ﷺ ، وترس أبو دُجانة رسول الله بنفسه يقع النبل فى ظهره وهو منحن حتى كثر فيه النبل ، ورمى سعد بن أبى وقاص دون رسول الله ﷺ ، قال سعد : فلقد رأيته يناولني النبل ويقول : ارمن فداك أبى وأمى ، حتى إنه ليناولنى السهم ما له من نصل فيقول ارم به .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرَّانى قال : أنا النُّفيلى قال : أنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى عاصم بن عُمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ رمى عن قوسه حتى اندقت سيتُها [٩] ، فأخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده ، وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته .

---

(١) أى وقع ﷺ فى ناحية من الجبل لجنبه .
(٢) أى السن التى بين الثنية والناب ، وقد كسرت رباعيته ﷺ اليمنى السفلى .
(٣) أى جُرح فى خَدَّيه الشريفين .
(٤) أى جُرحت .
(٥) عند ابن هشام : « من يشرى » .
(٦) عند ابن هشام : « محمود بن عمرو » .
(٧) أى رجعت عليهم جماعة من المسلمين .
(٨) أى غلبوهم .
(٩) أى طرفها .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عُمر بن قتادة ، أن رسول الله ﷺ ردها بيده فكانت أحسن عينيه وأحدَّهما .[1]

وقاتل مصعب بن عُمير دون رسول الله ﷺ ومعه لواؤه حتى قتل ، فكان الذى أصابه ابن قميئة الليثى ، وهو يظن أنه رسول الله ﷺ ، فرجع إلى قريش فقال : قد قتلت محمداً ، فلما قُتل مُصعب أعطى رسول الله ﷺ علـــى بن أبى طالب اللواء ، وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرطأة بن شرحبيل بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصى ، وكان أحد النفر الذين يحملون لواء قريش ، ثم مر به سباع بن عبد العُزَّى الفيشانى وكان يكنى بأبى نيار فقال له حمزة : هلم إلىَّ يا ابن مقطِّعة البظور [2] فضربه فكأن ما أخطأ رأسه ، وكانت أم نيار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفى ختَّانة بمكة ، فلما التقيا ضربه حمزة فقتله ، وقال وحشى غلام جبير بن مُطعم : والله إنى لأنظر إلى حمزة يهدُّ الناس بسيفه ما يُليق [3] شيئًا مثل الجمل الأورق [4] إذ تقدمنى إليه سباع بن عبد العزى فقال له حمزة هلمَّ إلىَّ يا ابن بنت مقطعة البظور فضربه فكأنَّ ما أخطأ رأسه ، وهززت حربتى حتى إذا رضيت منها ذفعتها عليه حتى وقعت فى ثُنَّته [5] حتى خرجت من بين رجليه ، وأقبل فقلب ، فأمهلته حتى إذا ما مات جئت إليه فأخـــذت حربتى ، ثم تنحيت إلى العسكر ، ولم يكن لى بشىء حاجة غيره [6] . وقد قتل عاصم بن ثابت بن الأقلح أخو بنى عمرو ابن عوف مُسافع بن طلحة وأخاه جلاسًا ، كلاهما يشعره سهمًا ، فيأتى أمه سُلافة فيضع رأسه فى حجرها ، فتقول : يا بنى ما أصابك ؟ فيقول : سمعت رجلاً حين رمانى يقول : خذها إليك وأنا ابن الأقلح فتقول أقلحى هو ؟ فنذرت إن الله أمكنها من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر ، وكان عاصم قد أعطى الله عهدا ألاَّ يمس مشركًا ولا يمسه أبدًا .

---

(١) زيادة من عند ابن هشام .

(٢) وكانت أمه تختن البنات .

(٣) أى لا يبقى أحدًا دليلا على شجاعته .

(٤) أى أغبر لما عليه من تراب المعركة .

(٥) ما بين بطنه وعانته .

(٦) فى هذا دليل على أن مهمته كانت قتل حمزة فقط .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرَّانى قال : أنا النُّفَيلى قال : أنا محمد بن سَلَمَة عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بنى عدى ابن النجار قال : انتهى أنس بن النضر - وهو عم أنس بن مالك ، وبه سمى أنس أنسًا - إلى عمر بن الخطاب ، وطلحة بن عُبيد الله ﷺ فى رجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم فقال : ما يجلسكم ؟ قالوا : قتل رسول الله ﷺ قال : فما تضنون [1] بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ ، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرَّانى قال : أنا النُّفيلى قال : أنا محمد بن سَلَمَة عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى حُميد الطويل عن أنس بن مالك قال : لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربة ما عرفَته إلا أخته ، عرفت بنانه [2] .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرَّانى قال : أنا النُّفيلى قال : أنا محمد بن سَلَمة عن محمد بن إسحاق قال : كان أول من عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة ، وقول الناس قتل رسول الله ، كما حدثنى ابن شهاب الزُّهرى عن عبد الله بن كعب بن مالك أخو بنى سلمة قال : قال كعب : عرفت عينيه تزهران من تحت المغفر فناديت بأعلى صوتى : يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله ﷺ ، فأشار إلىَّ أن أنصت ، فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به ، ونهض معهم نحو الشِّعب ، معه : أبو بكر بن أبى قُحافة . ، وعُمر بن الخطاب ، وعلى بن أبى طالب ، وطلحة بن عُبيد الله ، والزبير بن العوام ، والحارث بن الصمة رضى الله عنهم أجمعين ، فى رَهْط من المسلمين ، فلما أسند رسول الله ﷺ فى الشِّعب ، أدركه أُبى بن خلف وهوً يقول : أين يا محمد أين محمد لا نجوتُ إن نجوتَ ، فقال القوم : أيعطف عليه يا رسول الله رجل منا ؟ فقال : دعوه فلما دنا تناول رسول الله الحربة من الحارث بن الصمة ، يقول بعض القوم فيما ذكر لى . فلما أخذها رسول الله ﷺ انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعر [3] من ظهر البعير إذا انتفض بها ، ثم استقبله فطعنه بها طعنة تردى بها عن فرسه مراراً .

---

(١) عند ابن هشام : « تصنعون » .

(٢) أى طرف إصبعه .

(٣) عند ابن هشام : « الشعراء » وهو ذباب يلدغ كالعقرب .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرَّانى قال : أنا النُّفيلى قال : أنا محمد بن سَلمَة عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال : كان أُبى بن خلف يلقى رسول الله ﷺ بمكة فيقول : يا محمد إن عندى العوز (١) أعلفه كل يوم فرقًا من ذرة أقتلك عليه فيقول : بل أنا أقتلك إن شاء الله ، فرجع إلى قريش وقد خدشه خدشًا فى عنقه غير كبير فاحتقن الدم فقال : قتلنى والله محمد ، قالوا : ذهب والله فؤادك أن كان بك بأس ، قال : إنه قد كان قال لى بمكة : بل أنا أقتلك ، فوالله لو بصق علىَّ لقتلنى ، فمات عدو الله بسرف (٢) وهم قافلون (٣) به إلى مكة . فقال حسان بن ثابت فى قتل رسول الله أبيًّا وقوله له بمكة ما قال :

لقد وَرِثَ الضَّلالَة عن أَبيهِ ... أُبىٌّ حينَ بَارزَهُ الرَّسولُ

فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى فم الشعب خرج على بن أبى طالب رحمة الله عليه بالدرقة حتى ملأها ماء من المهراس (٤) . ثم جاء به إلى رسول الله ﷺ فوجد له ريحًا فعافه (٥) فلم يشرب منه ، وغسل عن وجهه الدم وصب على رأسه وهو يقول : اشتد غضب الله على من دمَّى وجه رسول الله (٦) .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرَّانى قال : أنا النُّفيلى قال : أنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى صالح بن كيسان عمن حدثه عن سعد بن أبى وقَّاص أنه كان يقول : ما حرصتُ على قتل أحد ما حرصت على قتل عُتبة بن أبى وقَّاص (٧) ، وإن كان ما علمت لسيىء الخلق مبغضًا فى قومه ولقد كفانى منه قول رسول الله : اشتد غضب الله على من دمَّى وجه رسوله ، فبينما رسول الله ﷺ فى الشِّعب معه أولئك النفر من أصحابه إذ علت عالية على الجبل، فقال رسول الله :

---

(١) عند ابن هشام : « العوذ » اسم فرس

(٢) مكان قريب من مكة .

(٣) راجعون .

(٤) حجر فيه ماء بجوار بئر فى أُحد .

(٥) أى كرهه .

(٦) يقصد عتبة بن أبى وقاص ومن أصابه .

(٧) وذلك لأنه هو الذى جرح الرسول ﷺ فى أُحد .

وال
والا
خذ
جه
صو

إنه لا ينبغى لهم أن يعلونا ، فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم عن الجبل ، ونهض رسول الله إلى صخرة من الجبل ليعلوها ، وكان قد بدن (١) وظاهر رسول الله بين درعين ، فلما ذهب لينهض لم يستطع ، فجلس تحته طلحة بن عُبيد الله ، فنهض به حتى استوى عليها .

أخبرنا عبد الله بن الحسن قال : أنا النُّفيلى قال : أنا محمد بن سَلَمَة عن محمد بن إســحاق قال : حدثنى يحيــى بن عباد بن عبد الله بن الزبير (عن الزبير) (٢) قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول أوجب طلحة حين صنع ما صنع برسول الله ، وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله ﷺ حتى انتهى بعضهم إلى المنَقَّى دون الأعوص (٣) ، وفر عثمان بن عفان ، وعقبة بن عثمان ، وسعد بن عثمان رجلان من الأنصــار ، ثم من بنى زريق حتى بلغوا الجَلْعب جبلاً بناحية المدينة ، فأقاموا به ثلاثًا ثم رجعوا إلى رسول الله عليه السلام ، فقال رسول الله فيما زعموا لقد ذهبتم فيها عريضة .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرَّانى قال : أنا النُّفيلى قال : أنا محمد بن سَلَمَة عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى عاصم بن عُمر بن قَتادة عن محمود بن لبيد عن حنظلة بن أبى عامر أخو بنى عمرو بن عوف أنه التقى هو وأبو سفيان بن حرب ، فلما استعلاه حنظلة ، رآه شداد بن الأســـود ، وكان يقال له ابن شعوب قد عــــلا أبا سفيان ، فضربه شداد فقتله ، فقال رسول الله إن كان صاحبكم - يعنى حَنْظلة لتغسله الملائكة (٤) فسألوا أهله ما شأنه ؟؟ فسئلت صاحبته ، فقالت : خرج وهو جُنب حين سمع الهائعة (٥) ، فقال رسول الله : لذلك غسلته الملائكة (٦) .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرانى قال : أنا النفيلى قال : أنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال : قد وقفت هِنْد بنت عُتبة كما حدثنى صالح بن كيسان

ما ثـ
وإنه
لقول
مثل
ومن

(١) أى سمن جسده .
(٢) زيادة من عند ابن هشام .
(٣) موضعان قرب المدينة .
(٤) ويسمى غسيل الملائكة .
(٥) أى مُنادى الجهاد مع رسول الله ﷺ .
(٦) وكان حديث عهد بعرس ﷺ .

والنسوة الآتون معها يمثّلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ يُجدِّعن الآذان [١] والآناف حتى اتخذت هند من أذان الرجال وآنافهم خذمـــًا وقلائد ، وأعطت خذمها [٢] وقلائدها وقرطيها وحشيًّا غـــلام جُبير بن مُطْعِم ، وبقــــرت عن كبد حمزة [٣] ، فلاكتها [٤] فلم تستطع أن تسيغها ، ثم علت على صخرة فصرخت بأعلى صوتها وقالت ، من الشعر حين ظفروا بما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ :

نَحنُ جزيناكم بيومِ بَدْر

فأجابتها هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف فقالت :

خَزِيتِ فى بدر وبعد بدرِ

ثم إن أبا سفيان حين أراد الانصراف علا الجبل ثم صرخ بأعلى صوته :

أَنْعَمت فَعَـــــالْ   إن الحَرْب سجَالْ

يَوْمٌ بيَوْمٍ بَــــــدْرٍ أَعْلُ هُبَــــلْ

أى ظهر دينك - فقال رسول الله لعمر - رحمة الله عليه قم فأجبه :

اللهُ أَعْلاَ وأَجَـــلْ لاَ سَـــــــواء

قتـــلانا فى الجنةِ وقَتْلاكُم فى النارِ

فلما أجاب أبا سفيان قال : هلم إلى يا عمر ، فقال له رسول الله : ائته فانظر ما شأنه ، فقال له أبو سُفيان : أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمدًا ؟ قال : اللهم لا ، وإنه ليسمع كلامك الآن . قال فأنت والله أصدق عندى من ابن قَمِيئة [٥] وأبر ، لقول ابن قميئة : قتلت محمدًا ، ثم نادى أبو سفيان : إنه قد كان فى قـــتلاكم مُثْلٌ [٦] ، والله ما رضيت وما سخطتُ وما أمرتُ ولا نهيتُ ، ولما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى : إن موعدكم بدر العام المقبل ، فقال رسول الله لرجل من أصحابه :

---

(١) أى يقطعن آذانهم .

(٢) عند ابن هشام : « خدمها » أى خلخالها .

(٣) أى شقت بطنه وأخرجت كبده رضي الله عنه .

(٤) أى مضغتها .

(٥) ذلك المشرك الذى قتل مصعب بن عمير وظنه الرسول ﷺ .

(٦) أى تمثيل بجثث الشهداء .

قل : نعم هى بيننا وبينك موعدًا ، ثم بعث رسول الله ﷺ على بن أبى طالب فقال : اخرج فى إثر [١] القوم فانظر ماذا يصنعون ، وماذا يريدون ، فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل (فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل) [٢] فإنهم يريدون المدينة ، والذى نفسى بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ، ثم لأناجزنهم ، قال علىّ رحمة الله عليه ورضى عنه فخرجت فى إثرهم أنظر ماذا يصنعون ، فلما جنبوا الخيل ، وامتطوا الإبل ، ووجهوا إلى مكة ، أقبلت أصيح ما أستطيع أن أكتم ما أمرنى به رسول الله ﷺ لما بى من الفرح إذا رأيتهم انصرفوا عن المدينة [٣] .

* **الرسول ﷺ يتفقد القتلى :**

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرَّانى قال : أنا النُّفيلى قال : أنا محمد بن سَلمَة عن محمد إسحاق قال : وفزع الناس لقتلاهم ، فقال رسول الله كما حدثنى محمد ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى [٤] صَعصعة المازنى أخو بنى النجار : مَن رجل ينظر لى ما فعل سعد بن الربيع أخو بلحارث بن الخزوج فى الأحياء أو فى الأموات ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل ، فنظر فوجده جريحًا فى القتلى ، به رمق ، فقال له : إن رسول الله أمرنى أن أنظر له فى الأحياء أنت أم فى الأموات ، قال : فأنا فى الأموات فأبلغ رسول الله عنِّى السلام ، وقل له : إن سعد ابن الربيع يقول : جزاك الله عنا خيرا ما جزى نبيًّا عن أُمته ، وأبلغ قومك عنى السلام وقل : إن سعد بن ربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله إن يخلص إلى نبيكم ومنكم عين تطرف ، قال : ثم لم أبرح حتى مات رحمة الله عليه ، فجئت رسول الله فأخبرته خبره ، فخرج رسول الله - فيما بلغنى يلتمس حمزة بن عبد المطلب ، فوجده ببطن الوادى قد بقر بطنه عن كبده ، ومُثِّل به وجدع أنفه وأذناه .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرَّانى قال : أنا النُّفيلى قال : أنا محمد بن سَلَمَة

(١) أى تتبع خطواتهم . (٢) زيادة من عند ابن هشام .
(٣) وفى هذا أقوى دليل على أن المسلمين كانوا لا يحبون سفك الدماء ولا الحرب .
(٤) زيادة من عند ابن هشام .

عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير أن رسول الله ﷺ قال حين رأى ما رأى : لولا أن تحزن صفية [١] أو تكون سنة من بعدى ما غيبته ولتركته حتى يكون فى بطون السباع وحواصل الطير ، ولئن أنا أظهرنى الله على قريش فى موطن لأمثّلن بثلاثين رجلاً منهم ، فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ وغيظه على ما فُعل بعمه ، قالوا : والله لئن أظهرنا الله عليهم لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط .

* ما نزل من القرآن فى النهى عن المُثلة :

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرانى قال : أنا النفيلى قال : أنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال حدثنى بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمى عن محمد بن كعب القُرظِى ، وحدثنى من لا أتهم عن ابن عباس أن الله أنزل فى ذلك من قول رسول الله وقول أصحابه ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين** ﴾ [٢] إلى آخر القصة فعفا رسول الله ﷺ وصبر ونهى عن المثل [٣] .

أخبرنا عبد الله بن الحسن قال : حدثنا النُّفيلى قال : أنا محمد بن سَلمة عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى حميد الطويل عن الحسن عن سُمْرة بن جندب أنه قال : ما قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا ففارقه حتى يأمرنا بالصدقة وينهانا عن المثلة .

والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلم تسليمًا وحسبنا الله ونعم الوكيل .

* * *

(١) هى صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ وأخت حمزة أسد الله .

(٢) سورة النمل : الآية ١٢٦ .

(٣) أى عن المُثلة (التمثيل بجثث الموتى) وهنا تدرك مدى تمسك النبى ﷺ بأوامر الله رغم ما فعله الكفار وما أصاب الرسول ﷺ من حزن وليس بعد قول الله تعالى قول .

فهرست الموضوعات

ا

ا

إه

مة

مف

الت

من

الر

شر

نس

تر

نس

أسا

تلا

مك

مؤل

رح

تقس

لماذا

انتق

وفات

مراء

ذكر

سيا

السا

أولا

عمر

حدي

المجلد الأول

الموضوع	الصفحة
إهداء	٣
مقدمة فى علم السيرة	٤
مفهوم السيرة	٥
التأريخ عند العرب والمسلمين	٥
منهج السيرة	٦
الرواد الأوائل من كتاب السيرة	٧
شُرَّاح السيرة	٧
نسخ وطبعات السيرة رواية ابن هشام	٨
ترجمة ابن إسحاق	١٠
نسبه ونشأته	١٠
أساتذته	١٠
تلامذته	١٠
مكانة ابن إسحاق وثناء العلماء عليه	١١
مؤلفاته	١١
رحلاته طلبا للعلم	١٢
تقسيم سيرة ابن إسحاق	١٢
لماذا كتب ابن إسحاق السيرة ؟	١٢
انتقادات لابن إسحاق والرد عليها	١٣
وفاته وكم كان عمره	١٤
مراجع المقدمة والترجمة	١٥
ذكر سرد النسب الزكى	١٦
سياقه النسب من ولد إسماعيل عليه السلام	١٧
أولاد إسماعيل ونسب أمهم	١٧
عمر إسماعيل ووفاته	١٧
حديث الوصاة بأهل مصر وسببها	١٧
أولاد عدنان	١٨
ذكر نسب الأنصار	١٩
أمر عمرو بن عامر فى خروجه إلى اليمن وقصة سد مأرب	٢١
حديث ربيعة بن نصر ورؤياه	٢٢
استيلاء أبى كرِب تبان أسعد على ملك اليمن وغزوه إلى يثرب	٢٥
قصة مقاتلة تبان لأهل المدينة	٢٦
ذهاب تُبع لمكة وطوافه بالكعبة	٢٨
أصل اليهودية باليمن	٣٠
محاكمة تُبع إلى النار	٣١
هدم البيت المسمى رئام	٣١
ملك حسان بن تُبان وقتله على يد أخيه عمرو	٣٢
هلاك عمرو وتفرق حمير	٣٣
خبر لخنيعة وذى نواس	٣٣
ملك ذى نواس	٣٤
سبب وجود النصرانية بنجران	٣٤
فيميون وصالح ونشر النصرانية	٣٤
خبر عبد الله بن الثامر وقصة أصحاب الأخدود	٣٦
فيميون وعبد الله بن الثامر والاسم الأعظم	٣٦
عبد الله بن الثامر يدعو إلى التوحيد	٣٧
ذو نواس يدعو أهل نجران إلى اليهودية	٣٨
نهاية عبد الله بن الثامر	٣٨

الموضوع	الصفحة
فرار دَوس ذى ثعلبان من ذى نواس واستنجاده بقيصر	٣٨
النجاشي ينصر دوساً	٣٩
نهاية ذى نواس	٣٩
شعر ذى جدن الحميرى فى هذه القصة	٣٩
شعر عمرو بن معدى كرب فى هذه القصة	٤١
النزاع على اليمن بين أبرهة وأرياط	٤٢
غضب النجاشى على أبرهة	٤٢
القُلَّيس أو كنيسة أبرهة	٤٢
النَّسَأة	٤٣
أول من ابتدع النسىء	٤٣
الكناني يحدث فى القليس	٤٤
خروج أبرهة لهدم الكعبة	٤٤
أشراف اليمن يدافعون عن البيت	٤٥
خثعم تجاهد أبرهة	٤٥
نسب ثقيف	٤٥
ثقيف تهادن أبرهة	٤٦
اللاَّت	٤٦
أبو رغال ورجم قبره	٤٦
الأسود بن مقصود يهاجم مكة	٤٦
رسول أبرهة إلى مكة	٤٧
أنيس يشفع لعبد المطلب	٤٧
الوفد المرافق لعبد المطلب	٤٨
قريش تستنصر الله على أبرهة	٤٨
عكرمة بن عامر يدعو على الأسود	٤٩
أبرهة يهاجم الكعبة	٤٩
عقاب الله لأبرهة وجنده	٥٠

الموضوع	الصفحة
الله – جل جلاله – يذكر حادثة الفيل ويمتن على قريش	٥١
ما قيل فى قصة الفيل من الشعر	٥٢
شعر عبد الله بن الزبعرى	٥٢
شعر طالب بن أبى طالب	٥٣
شعر أبى الصلت الثقفى	٥٣
ولدا أبرهة	٥٤
خروج سيف ذى يزن وملك وهرز على اليمن	٥٥
سيف يشكو لقيصر	٥٥
النعمان يتشفع لسيف عند كسرى	٥٥
انتصار سيف	٥٥
شعر سيف فى هذه القصة	٥٧
شعر أبى الصلت	٥٨
شعر عدى بن زيد	٥٩
ذكر ما انتهى إليه أمر الفرس باليمن	٦١
مدة مُكث الحبشة باليمن	٦١
أمراء الفرس باليمن	٦١
تنبؤ الرسول ﷺ بموت كسرى	٦١
إسلام باذان	٦٢
كتاب الحجر الذى فى اليمن	٦٢
الأعشى يذكر نبوءة شق وسطيح	٦٣
قصة ملك الحضر	٦٣
سابور يستولي على الحضر	٦٣
قول أعشى قيس فى قصة الحضر	٦٤
قول عدى بن زيد فى هذه القصة	٦٤
ذكر ولد نزار بن معد	٦٥
أولا أنمار	٦٥
ولدا مضر	٦٦
أولاد إلياس	٦٧

الموضـــوع	الصفحة
حديث عمرو بن لُحى وذكر أصنام العرب	٦٨
عمرو بن لحى يجر قُصبه فى النار	٦٨
سبب عبادة الأصنام	٦٨
أصنام قوم نوح	٦٩
القبائل العربية وأصنامها	٦٩
عُبَّاد يغوث	٧٠
عباد يعوق	٧٠
عباد نسر	٧٠
عباد عُميانس	٧٠
عباد سعد	٧١
دوس وصنمهم	٧١
عباد هُبل	٧٢
إساف ونائلة وحديث عائشة ﵂	٧٢
فعل العرب مع أصنامهم	٧٢
الطواغيت	٧٣
العزى وسدنتها وحجَّابها	٧٣
من هم السدنة؟	٧٣
اللات وسدنتها	٧٤
مناة وسدنتها	٧٤
ذو الخلصة وعبَّاده وهدمه	٧٤
فَلْس وعبَّاده وهدمه	٧٤
رئام	٧٤
رضاء وعبَّاده وهدمه	٧٥
عُمر المستوغر	٧٥
ذو الكعبات وعبَّاده	٧٥
البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى	٧٦
عود إلى النسب	٧٧
نسب خزاعة	٧٧

الموضـــوع	الصفحة
أولاد مُدْرِكَة وخزيمة	٧٨
أولاد كنانة وأمهاتهم	٧٨
سبب تسمية قريش	٧٨
أولاد النضر وأمهاتهم	٧٨
أولاد مالك وفهر وأمهاتهم	٧٨
أولاد غالب وأمهاتهم	٧٩
أولاد لؤى وأمهاتهم	٧٩
أمر أسامة بن لؤى	٨٠
هروبه من أخيه وموته	٨٠
أمر عوف بن لُؤى ونقلته	٨١
سبب انتمائه إلى غطفان	٨١
مكانة مرة	٨١
نسب مرة	٨١
أشراف مرة	٨٣
أمر البسل	٨٤
أولاد كعب وأمهم	٨٤
أولاد مرة وأمهاتهم	٨٤
ولدا كلاب وأمهما	٨٤
أولاد قُصى وأمهم	٨٥
أولاد عبد مناف وأمهاتهم	٨٥
أولاد هاشم وأمهاتهم	٨٥
أولاد عبد المطلب بن هشام وأمهاتهم	٨٦
أم رسول الله ﷺ وأمهاتها	٨٧
أمر جرهم ودفن زمزم	٨٨
ولاة البيت من ولد إسماعيل	٨٨
حفر زمزم	٩١
عبد المطلب يحفر زمزم	٩١
قريش تنازع عبد المطلب زمزم	٩٣
التحاكم فى بئر زمزم	٩٤
فضل زمزم على سائر المياه	٩٥

الموضوع	الصفحة
ما وجده عبد المطلب فى بئر زمزم	٩٦
نذر عبد المطلب	١٠١
عبد المطلب يحتكم إلى القداح	١٠٢
خروج القداح على عبد الله	١٠٢
عبد المطلب يحاول ذبح ابنه وقريش تمنعه	١٠٣
ما أشارت به عرّافة الحجاز على عبد المطلب	١٠٥
نجاة عبد الله من الذبح	١٠٨
تزويج عبد الله بن عبد المطلب	١١٠
رفض عبد الله المرأة التى عرضت نفسها عليه	١١٠
زواج عبد الله بآمنة بنت وهب	١١٠
أمهات آمنة	١١١
قصة حمل آمنة برسول الله ﷺ	١١٣
رؤيا آمنة وهى حامل برسول الله ﷺ	١١٣
وفاة عبد الله	١١٤
مولد رسول الله ﷺ	١١٧
إخوته من الرضاعة	١١٨
حليمة ترضع الرسول ﷺ	١١٨
الخير الذى أصاب حليمة بسببه ﷺ	١١٩
حادثة شق الصدر	١٢٠
حليمة ترد محمداً ﷺ إلى أمه	١٢٠
الرسول ﷺ يُسأل عن نفسه ويجيب	١٢١
حديث تُبع الحميرى	١٢٢
سبب قتاله أهل المدينة	١٢٢
كسوته البيت وطوافه به وتعظيمه	١٢٣
أصل اليهودية باليمن	١٢٥
هدم البيت المسمى رئام	١٢٥
مقتل تُبَّع	١٢٧
ذو رعين يرثى تُبعًا	١٢٧
عمرو يرثى أخاه تبعًا	١٢٧
هلاك عمرو وتفرق تُبع	١٢٨
ابتداء ملك الحبشة	١٢٩
النجاشى ينصر دوسًا	١٢٩
حادثة الفيل	١٣٢
إحداث الكنانى فى الكنيسة وانتقام أبرهة	١٣٢
ما حدث بين نفيل وأبرهة	١٣٢
رسول أبرهة إلى مكة	١٣٣
أبرهة يهاجم الكعبة وعقاب الله له ولفيله وجنوده	١٣٤
وفاة السيدة آمنة بنت وهب	١٣٧
كفالة عبد المطلب محمداً	١٣٧
وفاة عبد المطلب ورثاؤه	١٣٨
ولاية زمزم والسقاية بعد عبد لمطلب	١٤٠
عبد المطلب يوصى أبا طالب برعاية محمد ﷺ	١٤٠
قصة بحيرا الراهب	١٤٥
محمد يخرج مع عمه إلى الشام	١٤٥
بحيرا يحتفى بتجار قريش	١٤٦
بحيرا يتثبت من محمد ﷺ	١٤٧
بحيرا يوصى أبا طالب بمحمد ﷺ	١٤٧
بعض أهل الكتاب يريدون بمحمد ﷺ الشر	١٤٧
محمد ﷺ يشب على مكارم الأخلاق	١٥٠
رسول الله ﷺ يحدّث عن حفظ الله له	١٥١
حديث خديجة ابنة خويلد	١٥٣
خروجه ﷺ إلى التجارة بمال خديجة	١٥٣
خديجة ترغب فى الزواج منه	١٥٣

الموضـوع	الصفحة
نسب خديجة	١٥٤
زواج الرسول ﷺ من خديجة	١٥٤
أولاده ﷺ من خديجة	١٥٤
قصة الأحبار	١٥٥
اليهود يخبرون العرب بقرب زمان الرسول ﷺ	١٥٥
يهودى يتسبب فى إسلام ثلاثة	١٥٧
إسلام سلمان الفارسى رضى الله عنه	١٥٩
سلمان يتشوف إلى النصرانية بعد المجوسية	١٥٩
سلمان يهرب إلى الشام	١٦٠
سلمان مع أسقف النصارى السيىء	١٦٠
سلمان مع أسقف النصارى الصالح	١٦٠
سلمان يلحق بأسقف الموصل	١٦١
سلمان يلحق بأسقف نصيبين	١٦١
سلمان يلحق بصاحب عمورية	١٦١
سلمان يذهب إلى وادى القرى	١٦٢
سلمان يذهب إلى المدينة ويسمع بهجرة النبى ﷺ	١٦٢
سلمان يستوثق من رسالة محمد ﷺ	١٦٢
سلمان يتحرر من الرق بمساعدة الرسول ﷺ	١٦٣
حديث سلمان مع صاحب عمورية	١٦٣
أثر الكعبة	١٦٥
آدم وبناء الكعبة	١٦٥
إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يضعان الحجر	١٦٦
وصف الحجر الأسود	١٦٧
ما كان يقال عند الطواف فى الجاهلية	١٦٨

الموضـوع	الصفحة
الرسول ﷺ يخالف الحمس قبل الرسالة	١٦٩
ما كان يفعله المشركون فى الجاهلية	١٦٩
أصل السعى بين الصفا والمروة وأول من سعى .	١٦٩
سبب رمى الجمار وأول من رمى	١٧٠
ما كان يفعله أهل الجاهلية عند الذبح	١٧١
جبريل يعلّم الخليل إبراهيم عليهما السلام مناسك الحج	١٧١
قريش تبتدع الحمس	١٧٢
حديث بنيان الكعبة	١٧٤
سبب بنيان قريش الكعبة	١٧٤
أبو وهب وما حدث له عند بناء الكعبة	١٧٥
نصيب قبائل قريش فى تجزئة الكعبة	١٧٦
الوليد بن المغيرة يبدأ بهدم الكعبة	١٧٦
سبب امتناع قريش عن هدم الأساس	١٧٧
الكتاب الذى وجد فى الركن	١٧٧
الكتاب الذى وجد فى المقام	١٧٨
الاختلاف بين قريش فى وضع الحجر	١٧٨
لعقة الدم	١٧٨
أبو أمية بن المغيرة يحل مشكلة وضع الحجر	١٧٩
الرسول ﷺ يضع الحجر وينهى الإشكال	١٧٩
سن الرسول ﷺ عند بناء الكعبة	١٨٠
شعر الزبير بن عبد المطلب فى الحية التى كانت تمنع قريشا من بنيان الكعبة	١٨١

الموضوع	الصفحة
إبطال مبتدعات الحمس فى الحج	١٨٢
الرسول ﷺ يخالف الحمس قبل الرسالة	١٨٢
الكهان يتحدثون عن بعثة الرسول ﷺ	١٨٢
قذف الجن بالشهب دليل مبعثه	١٨٣
ثقيف أول من فزعت برمى الجن	١٨٤
الرسول ﷺ يصحح اعتقادهم من رجم الجن بالشهب ويوضحه لهم	١٨٥
ورقة بن نوفل يتنصر	١٨٧
زيد بن عمرو بن نفيل يدين بالحنيفية	١٨٧
ثناء الرسول ﷺ على زيد بن نفيل	١٩٠
من حديث الحمس	١٩٠
الرسول ﷺ والخلوة	١٩١
غار حراء ونزول الوحى	١٩١
ورقة بن نوفل يخبر خديجة بأن محمداً خاتم الأنبياء	١٩٢
ورقة ينشد شعرا مدحًا فى الرسول ﷺ	١٩٣
الرسول يحدّث عن نفسه	١٩٤
أخذ الله الميثاق على الرسل بالإيمان بمحمد ﷺ	١٩٩
ابتداء نزول الوحى	١٩٩
تاريخ غزوة بدر الكبرى	٢٠٠
تحديد ليلة القدر	٢٠٠
الرؤيا الصادقة أول ما بدئ به رسول الله ﷺ	٢٠١
الرسول ﷺ يخبر خديجة بنزول جبريل عليه	٢٠٢

الموضوع	الصفحة
بين الرسول وورقة بن نوفل	٢٠٢
تثبت خديجة رضى الله عنها من الوحى وإيمانها بالرسول ﷺ	٢٠٣
الرسول من أولى العزم من الرسل	٢٠٤
انقطاع الوحى ونزول سورة الضحى	٢٠٥
الرسول ﷺ يسأل جبريل عن غيبته	٢٠٥
جبريل يعلّم الرسول ﷺ الوضوء والصلاة	٢٠٦
الرسول ﷺ يعلّم خديجة الوضوء والصلاة	٢٠٦
إسلام على بن أبى طالب	٢٠٧
الرسول ﷺ يعرض الإسلام على على رضى الله عنه	٢٠٧
على ينشأ فى كنف الرسول	٢٠٧
سن على عند إسلامه	٢٠٨
إسلام أبى بكر الصدّيق رضي الله عنه	٢٠٩
الرسول ﷺ يُعرض الإسلام على أبى بكر	٢٠٩
استجابته الفورية للإسلام	٢٠٩
إعلانه الإسلام رضى الله عنه	٢٠٩
إيلاف قريش له	٢١٠
إسلام خمسة على يديه	٢١٠
إسلام أبى ذر رضى الله عنه	٢١١
ذهابه إلى مكة وسماعه الرسول وإسلامه ومن معه	٢١١
خيرية أمة محمد	٢١١
صفة الرسول ﷺ فى التوراة	٢١١
أسماء رسول الله ﷺ	٢١٢
صفة رسول الله ﷺ فى الإنجيل	٢١٢

الموضوع	الصفحة
منزلة أمة محمد	٢١٢
إسلام المهاجرين رضى الله عنهم	٢١٣
أمر الله رسوله بتبليغ دعوته	٢١٥
الرسول ﷺ يصف نزول الوحى عليه	٢١٦
الرسول يأمر أهله بالعمل الصالح	٢١٧
خروج الرسول ﷺ بأصحابه للصلاة فى الشعب	٢١٧
عداوة قومه ومساندة أبى طالب له	٢١٨
وفد قريش يعاتب أبا طالب على فعل ابن أخيه	٢١٨
الرسول ﷺ يستمر فى دعوته وقريش تظهر عداوتها للمسلمين	٢١٨
شعر أبى طالب فى مدح قومه لنصرته	٢١٩
أبو طالب يسخر من أبى لهب	٢٢٠
أبو طالب يعلن لقريش تمسكه بنصر ابن أخيه	٢٢٠
الوليد بن المغيرة يكيد للرسول	٢٢١
القرآن يرد على الوليد	٢٢٢
قريش تعرض عمارة بن الوليد على أبى طالب بدل محمد	٢٢٢
شعر أبى طالب فى المطعم ومن خذله	٢٢٣
باب ما نال أصحاب رسول الله من البلاء والجهد	٢٢٤
رجوع الوفد لأبى طالب مرة ثانية	٢٢٤
ما دار بين الرسول ﷺ وأبى طالب	٢٢٤
شعر أبى طالب فى مساندة ابن أخيه	٢٢٥
مقاطعة قريش بنى هاشم وبنى المطلب	٢٢٦
شعر صفية عمة رسول الله ﷺ لقريش	٢٢٦
شعر أبى طالب لقريش	٢٢٧
أبو طالب يدعو رب البيت على قاطع المحارم	٢٢٨
قريش تحاصر بنى هاشم وبنى المطلب فى شعبهم	٢٢٨
الوليد بن المغيرة يؤذى أهل الرسول ﷺ	٢٢٩
ما فعله الله بالصحيفة	٢٣١
حديث نقض الصحيفة	٢٣٥
عمرو وعمارة وذهابهما إلى الحبشة	٢٣٦
إسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه	٢٣٩
سبب إسلامه	٢٣٩
حمزة يهجو أبا جهل ويعتز بإسلامه	٢٤٠
الشيطان يوسوس لحمزة ليترك الإسلام	٢٤٠
حمزة يحمد الله على إسلامه	٢٤١
ما جاء فى هجرة أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة	٢٤٢
الرسول يأمر أصحابه بالهجرة للحبشة	٢٤٢
تسمية من هاجر إلى أرض الحبشة من مكة	٢٤٤
أوائل المهاجرين إلى الحبشة	٢٤٤
رجوع بعض المهاجرين إلى مكة	٢٤٧
عثمان بن مظعون يطلب من الوليد أن يرد عليه جواره	٢٤٧
عثمان يؤذَى فى سبيل الله ويصبر	٢٤٨
إسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه	٢٥٠
متى أسلم عمر رضى الله عنه	٢٥٠
عمر يذهب لدار الأرقم يريد قتل الرسول ﷺ	٢٥٠
دعاء الرسول أن يعز الله الإسلام بعمر	٢٥١
سبب إسلام عمر	٢٥١

الموضوع	الصفحة
ذهاب عمر للرسول ﷺ معلنا إسلامه	٢٥٢
عمر يعلن إسلامه بشعر رقيق أمام الرسول والصحابة	٢٥٣
خروج عمر بالمسلمين إلى الكعبة	٢٥٣
ثبات عمر في إسلامه	٢٥٤
عبد الله بن مسعود أول من جهر فى مكة بالقرآن	٢٥٥
من عُذّب فى الله بمكة من المؤمنين	٢٥٩
قصة استماع قريش إلى قراءة النبى ﷺ	٢٥٩
الأخنس يستفهم عما سمعه	٢٥٩
عدوان المشركين وفتنة المستضعفين	٢٦٠
تعذيب بلال	٢٦٠
عمّار يمدح أبا بكر لإعتاقه بلالاً	٢٦٠
من أعتقهم أبو بكر	٢٦١
أبو قحافة يلوم أبا بكر	٢٦٢
تعذيب آل ياسر	٢٦٢
مدى فتنة المسلمين	٢٦٣
خالد بن الوليد يهجو اللات والعزى	٢٦٣
ثبات بلال رضى الله عنه	٢٦٣
ما لاقاه مصعب بن عمير من بلاء	٢٦٤
شفقة الرسول ﷺ على مصعب	٢٦٤
نماذج مما لاقاه المسلمون من البلاء	٢٦٥
فزع أبى جهل وهيبته من رسول الله ﷺ	٢٦٦
حديث النبى ﷺ حيث خاصمه المشركون	٢٦٨
زعماء قريش تفاوض الرسول ﷺ	٢٦٨
زعماء قريش يطلبون من الرسول أن يحيى الله قُصى بن كلاب ويسيّر الجبال عنهم	٢٦٩
أبو جهل يتوعد الرسول ﷺ	٢٧١
حفظ الله لنبيه ﷺ	٢٧١
النضر بن الحارث ينصح قريشا	٢٧١
أذى النضر الرسول ﷺ	٢٧٢
ما نزل فى النضر من قرآن	٢٧٢
قريش تسأل أحبار اليهود عن الرسول ﷺ	٢٧٣
قريش تسأل والرسول يجيب	٢٧٣
باب أحاديث الأحبار وأهل الكتاب بصفة النبى ﷺ	٢٧٥
الرسول يسئل عن الروح وإجابته	٢٧٥
قلة علم البشر	٢٧٥
الحديث عن ذي القرنين	٢٧٦
استكبار قريش عن الإيمان بالرسول ﷺ	٢٧٦
عتبة بن ربيعة يفاوض الرسول ﷺ	٢٧٨
عتبة يعترف للمشركين بأن محمداً على حق ويأمرهم بتركه	٢٧٩
قريش تفتن ضعفة المسلمين	٢٧٩
الرسول يأمر قريشا باتباعه	٢٨٠
شفقة الرسول ﷺ على المشركين	٢٨٠
الرسول ﷺ يدعو أبا جهل للإسلام	٢٨١
فرعون أمة محمد ﷺ	٢٨٢
ما نزل فى القرآن زجرا لأبى جهل	٢٨٢
دعاء الرسول ﷺ على صناديد الكفر	٢٨٢
هلاك من عاند الرسول ﷺ	٢٨٣
حديث الهجرة الأولى إلى الحبشة	٢٨٥
قريش ترسل لملك الحبشة كى يرد المسلمين	٢٨٥
استدعاء النجاشى المهاجرين وما دار بينهم من حوار	٢٨٦

الموضـــوع	الصفحة
المهاجرون يشرحون للنجاشي رأى الإسلام فى عيسى عليه السلام	٢٨٧
فرح المسلمين بانتصار النجاشي	٢٨٨
قصة تملك النجاشي على الحبشة	٢٨٩
قدوم وفد من نصارى الحبشة على الرسول وإسلامهم	٢٩٠
إسلام النجاشي	٢٩١
الرسول ﷺ يصلّي على النجاشي يوم موته	٢٩٢
رفض أبى نيزر ملك الحبشة	٢٩٣
فضل مهاجرى الحبشة	٢٩٤
تسمية من هاجر إلى أرض الحبشة	٢٩٥
عدد مهاجرى الحبشة	٣٠٠
كتاب النبى ﷺ للنجاشي	٣٠٠
حديث ما لقى رسول الله ﷺ من أذى قومه	٣٠٢
إيذاء أبى جهل الرسول ﷺ	٣٠٣
ابن أم مكتوم وسورة عبس	٣٠٣
الرسول يدعو إلى التوحيد	٣٠٤
قصة النبى لما عرض نفسه على العرب	٣٠٥
وفاة أبى طالب وما جاء فيه	٣٠٩
المشركون يطلبون من أبى طالب عهداً بينهم وبين أخيه	٣٠٩
الرسول يرد على عمه أبى طالب	٣٠٩
أبو طالب يأمر بنى المطلب باتباع محمد	٣١٠
ما حدث عند وفاة أبى طالب	٣١٠
الرسول يطلب من عمه نطق الشهادة عند الموت	٣١١
الرسول يُسأل عن جزاء عمه بعد موته	٣١١
اعتراف الرسول ﷺ بنصرة عمه له	٣١٢
وفاة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها	٣١٧
جزاء الله لخديجة رضي الله عنها	٣١٧
غيرة السيّدة عائشة من حديث الرسول عن السيدة خديجة	٣١٨
مكانة السيدة خديجة	٣١٩
ذكر أبناء الرسول وبناته	٣١٩
تزويج فاطمة رضى الله عنها	٣٢١
تزويج عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت على رضى الله عنهم	٣٢٤
تزويج أم كلثوم عون بن جعفر بن أبى طالب	٣٢٦
تزويج زينب بنت على ابنة فاطمة بنت رسول الله ﷺ	٣٢٨
ما جاء فى تزويج عثمان بن عفان رضى الله عنه	٣٣٠
تزويج النبى ﷺ سودة بنت زمعة	٣٣١
تزويج النبى ﷺ عائشة بنت أبى بكر الصدّيق رضى الله عنهما	٣٣٢
تزويج النبى ﷺ حفصة بنت عمر رضى الله عنهما	٣٣٤
تزويج النبى ﷺ زينب بنت خزيمة رضى الله عنها	٣٣٥
تزويج النبى ﷺ أم حبيبة رضى الله عنها	٣٣٦
تزويج النبى ﷺ أم سلمة رضى الله عنها	٣٣٧
تزويج النبى ﷺ زينب بنت جحش رضى الله عنها	٣٣٩

الموضــوع	الصفحة
تزويج النبى ﷺ جويرية ابنة الحارث رضى الله عنها	٣٤٠
تزويج النبى ﷺ صفية ابنة حُيَىّ رضى الله عنها	٣٤١
تزويج النبى ﷺ ميمونة بنت الحارث الهلالية رضى الله عنها	٣٤٢
تزويج النبى ﷺ أسماء بنت كعب الجونية وعمرة بنت يزيد	٣٤٣
تزويج النبى امرأة من غفار	٣٤٤
عدد النسوة اللاتى وهبن أنفسهن للرسول ﷺ	٣٤٥
ما اتخذه النبى ﷺ من السرارى	٣٤٧
ما عوّض النبى ﷺ من أبنائه	٣٤٩
قصة المستهزئين والآيات	٣٥١
الفرق بين القرآن المكى والمدنى	٣٥٣
حديث ركانة بن عبد يزيد	٣٥٤
أعلام النبوة	٣٥٥
من معجزات النبى ﷺ	٣٥٥
إسلام أم شريك الدوسية	٣٦٢
إسلام أبى هريرة	٣٦٤
إسلام عدى بن حاتم	٣٦٥
إسلام جرير بن عبد الله	٣٦٩
حديث الإســراء برســول الله ﷺ إلى بيت المقدس	٣٧٣
جزء يشمل بعض غزوات النبى ﷺ	٣٨١
قطعة من غزوة بدر	٣٨٣
عدد من شهد بدرا	٣٨٦
غزوة بنى سليم	٣٨٧
غزوة السويق	٣٨٨
غزوة ذى أمر إلى نجد سنة ثلاث	٣٩٠
غزوة الفُرع من بحران	٣٩١
غزوة بنى قينقاع	٣٩١
ما نزل فى يهود بنى قينقاع	٣٩٣
سرية زيد بن حارثة إلى القردة	٣٩٣
مقتل كعب بن الأشرف	٣٩٤
أمر محيصة وحويصة	٣٩٧
غزوة أُحد	٣٩٩
جبير بن مطعم يحرِّض وحشيا على قتل حمزة	٤٠٠
الرسول ﷺ يشاور المسلمين فى الخروج وانخذال المنافقين	٤٠١
أبو دجانة يستعرض قوته أمام الأعداء	٤٠٤
ما فعله أبو عامر الفاسق	٤٠٤
بلاء ابن السكن وبسالته	٤٠٦
الرسول ﷺ يتفقد القتلى	٤١٢
ما نزل من القرآن فى النهى عن المثلة	٤١٣
الفهرس	٤١٥

* * *

انتهى المجلد الأول .. وإلى اللقاء
بإذن الله فى المجلد الثانى

أخبار اليوم
قطاع الثقافة

السيرة النبوية

لابن إسحاق

المجلد الثانى

مطبوعات

أخبار اليوم

قطاع الثقافة

رئيس مجلس الإدارة :

إبراهيم سعده

NOTE:
THESE BOOKS ARE
SCANNED FOR OUR
CHILDREN KNOWLEDGE.
THANK TO BROTHER
NASIR UDDIN ARIF
TALIB DUA

NKZAA + AHMAD ALI

دار أخبار اليوم
قطاع الثقافة

جمهورية مصر العربية
٦ ش الصحافة القاهرة
تليفون وفاكس : ٥٧٩٠٩٣٠

تقـــديـــم

هذه طبعة جديدة للسيرة النبوية الشريفة .. التى كتبها محمد بن إسحاق المطلبى الشهير بابن إسحاق المتوفى سنة ١٥١ هجرية .. وهى أصدق وأصح الطبعات وأكثرها شمولا .. وتجمع لأول مرة سيرة بن إسحاق كاملة من المخطوطات وبطون الكتب الأمهات .

ويقدم قطاع الثقافة فى دار أخبار اليوم هذه الطبعة الجديدة فى مجلدين يصدران تباعا..

والله ولى التوفيق .

الطبعة الأولى
١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

المجلد الثانى

السيرة النبوية

لابن إسحاق

حقق أصولها ووثق نصوصها وكتب مقدمتها
وعلق عليها وضبط ألفاظها ووضع فهارسها

طه عبد الرؤوف سعد
من علماء الأزهر الشريف

بدوى طه بدوى
محقق فى التراث الإسلامى

المجلد الثانى
من سيرة ابن إسحاق
من أول غزوة حمراء الأسد إلى
رثاء حسان رسول الله ﷺ

وبه يتم الكتاب بحمد الله

وتتم سيرة النبى العدنان ﷺ

* ملحوظة مهمة جداً :

من أول هنا إلى نهاية الكتاب مأخوذ من السيرة النبوية لابن هشام مما رواه عن ابن إسحاق ، اختاره بدوى طه بدوى . وبذلك تكون روايات ابن إسحاق من أول السيرة **«ذكر نسب النبى ﷺ» قد جُمعت إلى نهايتها «وفاة الرسول ﷺ ورثاء حسان له»** لأول مرة - بحمد الله - فى كتاب واحد هو هذا الكتاب الذى بين يديك عزيزى القارئ .

والحمد لله أولاً وآخراً .

غَزْوةُ حَمراء الأسد بعد أُحد

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبى السائب مولى عائشة بنت عثمان : أن رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ ، من بنى عبد الأشهل كان شهد أُحدًا مع رسول الله ﷺ ، قال : شهدت أحدًا مع رسول الله ﷺ ، أنا وأخ لى ، فرجعنا جريحين ، فلما أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج فى طلب العدو ، قلت لأخى أو قال لى : أتفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ ؟ والله مالنا من دابة نركبها ، وما منا إلا جريح ثقيل ، فخرجنا مع رسول الله ﷺ ، وكنت أيسر جرحا ، فكان إذا غلب حملته عقبة ، ومشى عقبة ، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون .

قال ابن إسحاق : فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأسد ، وهى من المدينة على ثمانية أميال ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قال ابن إسحاق : فأقام بها الإثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .

قال : وقد مر به كما حدثنى عبد الله بن أبى بكر ، معبد بن أبى معبد الخزاعى ، وكانت خزاعة ، مسلمهم ومشركهم عيبة نصح [1] لرسول الله ﷺ ، بتهامة ، صفقتهم [2] معه ، لا يخفون عنه شيئا كان بها ، ومعبد يومئذ مشرك فقال : يا محمد ، أما والله لقد عز علينا ما أصابك ، ولوددنا أن الله عافاك فيهم ، ثم خرج رسول الله ﷺ بحمراء الأسد ، حتى لقى أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء ، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه ، وقالوا : أصبنا بحد أصحابه وأشرافهم وقادتهم ، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ، لنكون على بقيتهم ، فلنفرغن منهم . فلما رأى أبو سفيان معبداً ، قال : ماوراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله قط ، يتحرقون عليكم تحرقًا [3] ، قد اجتمع

---

(١) عيبة نصح : أى موضع ومكمن سره .

(٢) صفقتهم : اتفاقهم .

(٣) تحرقًا : أى غيظا شديداً .

معه من كان تخلف عنه في يومكم [١] ، وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الحنق [٢] عليكم شيء لم أر مثله قط ، قال ويحك ! ما تقول ؟ قالَ : والله ما أرى أن ترتحل حتى أرى نواصى الخيل قال : فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم ، لنستأصل بقيتهم ، قال فإني أنهاك عن ذلك ، قال والله لقد حملنى ما رأيت على أن قلت فيهم أبياتاً من شعر ، قال : وما قلت ؟ قال : قلت :

كَادَت تَهُدُّ مِنَ الأَصَـــوات رَاحلَتِى ... إذْ سَالتْ الأَرضُ بالجرد الأبابيل [٣]

تَردى بأُســـــد كِرامٍ لا تَنابلة ... عِند اللـــقاءِ ولَا ميل مَعَازِيل [٤]

فَظلـــت عَدواً أظن الأرضَ مَائلة ... لما سَمَوا برئيـــس غَير مَخْذُول

فَقلتُ : وَيل ابنْ حَربٍ من لَقائكـم ... إذَا تغطمـــطت البطحاءُ بالجِيل [٥]

إِني نَذِيرٌ لأَهلِ البَســـل ضَاحية ... لِكُل ذى إربْة منـــهم ومَعقول [٦]

مِنْ جَيْش أَحـــمدَ لاَوخش تنابلة ... وليس يوصف ما أنذرت بالقيل [٧]

فثنى [٨] ذلك أبا سفيان ومن معه :

* رِسَالةُ أبى سُفْيان إلى رسول الله ﷺ :

ومر به ركب من عبد القيس ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينـــة ؟ قال : ولم ؟ قالوا : نريد المِيرة [٩] ، قال : فهل أنتم مبلغون عنى محمداً رسالة

---

(١) يقصد غزوة أُحد .

(٢) الحنق : الغل والغيظ .

(٣) الجرد : العتاق من الخيل ، والأبابيل : الجماعات .

(٤) تردى : تسرع ، التنابلة : القصار ، المِيل : من لا رماح معهم ، المعازيل : العزل من السلاح .

(٥) تغطمطت : اهتزت ، الجيل : الصنف من الناس .

(٦) أهل البسل : قريش ، الضاحية : الظاهرة للشمس ، الإربة : العقل .

(٧) الوخش : رذلة الناس .

(٨) أى صرفه وفتر عزيمته .

(٩) المِيرةُ : هى الطعام الذى يُجمع للسفر ونحوه .

أُرسلكم بها إليه ، وأحمل لكم هذه غداً زبيبا بعكاظ إذا وافيتموها ؟ قالوا نعم : قال : فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم ، فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد ، فأخبروه بالذى قال أبو سفيان : فقال : حسبنا الله ونعم الوكيل [١] .

* مَا فَعَلَهُ عَبْدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ بعد غزوة أُحُد :

قال ابن إسحاق : فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، وكان عبد الله بن أُبى ابن سلول ، كما حدثنى ابن شهاب الزهرى ، له مقام يقومه كل جمعه لا يُنْكر شرفًا له فى نفسه وفى قومه ، وكان فيهم شريفا ، إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس « قام فقال : أيها الناس ، هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم أكرمكم الله وأعزكم به ، فانصروه وعزروه ، واسمعوا له وأطيعوا » ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أُحد ما صنع ورجع بالناس ، قام يفعل ذلك كما كان يفعله فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه ، وقالوا : اجلس ، أى عدو الله ، لست لذلك بأهل ، وقد صنعت ما صنعت ، فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول : والله لكأنما قلت بجرا [٢] أن قمت أشدد أمره · فلقيه رجل من الأنصار بباب المسجد ، فقال : مالك؟ ويلك ، قال قمت أشدد أمره ، فوثب علىَّ رجال من أصحابه يجذبوننى ويعنِّفوننى ، ولكأنما قلتُ بجراً أن قمت أشدد أمره ، قال : ويلك ! ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ ، قال : والله ما أبتغى أن يستغفر لى [٣] .

* * *

(١) هى خير عدة وحصن يتحصن بها المسلم ويدعو بها إذا خاف شيئًا وبها يُفرج الله الكروب ·

(٢) البَجْرُ : الأمرُ العظيم ·

(٣) وهذا دليلٌ على تكبر وعناد عبد الله بن أُبى زعيم المنافقين ·

ذكر ما أنزل الله فى أُحُدٍ من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابن إسحاق : فكان مما أنزل الله تبارك وتعالى فى يوم أُحد من القرآن ستون آية من آل عمران ، فيها صفة ما كان فى يومهم ذلك ومعاتبة من عاتب منهم ، يقول الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ :

﴿ وإذ غدوت من أهلك تُبوِّئُ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم ﴾(١) .

قال ابن إسحاق : يقول الله تعالى : ﴿ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٢) أى من كان به ضعف من المؤمنين فليتوكل علىَّ ، وليستعن بى ، أعنه على أمره ، وأدفع عنه ، حتى أبلغ به وأدفع عنه وأقويه على نيته: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٣) أى فاتقونى ، فإنه شكر نعمتى ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أقل عددًا وأضعف قوة : ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنزَلِينَ * بَلَى إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ (٤) أى أن تصبروا لعدوى ، وتطيعوا أمرى، ويأتوكم من وجههم هذا: أمدكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين .

قال ابن إسحاق : ثم قال لمحمد رسول الله ﷺ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (٥) أى ليس لك من الحكم شيء فى عبادى إلا ما أمرتك به فيهم ، أو أتوب عليهم ، برحمتى ، فإن شئت فعلت ، أو أعذبهم بذنوبهم فبحقى ﴿ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ أى قد استوجبوا ذلك بمعصيتهم إياى ﴿ واللهُ غَفُورٌ رحيمٌ ﴾ (٦) أى يغفر الذنب ويرحم العباد ، على ما فيهم .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٢١ . (٢) سورة آل عمران : الآية ١٢٢ .
(٣) سورة آل عمران : الآية ١٢٣ . (٤) سورة آل عمران : الآيات ١٢٤ - ١٢٥ .
(٥) سورة آل عمران : الآية ١٢٨ . (٦) سورة آل عمران : الآية ١٢٩ .

وفي التعليق على قول الله عز وجل : ﴿ **وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين** ﴾ (١) .

قال ابن إسحاق : أى فقولوا مثل ما قالوا : واعلموا أنما ذلك بذنوب منكم واستغفروه كما استغفروه ، وامضوا على دينكم كما مضوا على دينهم ، ولا ترتدوا على أعقابكم راجعين واسألوه كما سألوه أن يثبت أقدامكم ، واستنصروه كما استنصره على القوم الكافرين ، فكل هذا من قولهم قد كان ، وقد قتل نبيهم فلم يفعلوا كما فعلتم ﴿ **فَآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا** ﴾ (٢) بالظهور على عدوهم ﴿ **وحُسن ثوابِ الآخرة** ﴾ وما وعد الله فيها .

* تَحذير المؤمنين من إطاعة الكفار :

قال ابن إسحاق : ﴿ **حَتى إذَا فَشلْتُم** ﴾ (٣) أى تخاذلتم : ﴿ **وتنازعتم فِى الأمْر** ﴾ أى اختلفتم فى أمرى ، أى تركتم أمر نبيكم وما عهد إليكم ، يعنى الرماة : ﴿ **من بَعْد مَا أرَاكُم مَا تُحبونَ** ﴾ أى الفتح ، لا شك فيه وهزيمة القوم عن نسائهم وأموالهم : ﴿ **منكُم من يُريد الدُّنْيَا** ﴾ أى الذين أرادوا النهب فى الدنيا وترك ما أمروا به من الطاعة التى عليها ثواب الآخرة : ﴿ **وَمنْكُم من يُريد الآخرَةَ** ﴾ (٤) أى الذين جاهدوا فى الله ، ولم يخالفوا إلى ما نهوا عنه ، لعرض من الدنيا ورغبة فيها ، رجاء ما عند الله من حسن ثوابه فى الآخرة ! أى الذين جاهدوا فى الدين ولم يخالفوا إلى ما نهوا عنه لعرض من الدنيا ، ليختبركم ، وذلك ببعض ذنوبكم ، ولقد عفا الله عن عظيم ذلك ، أن لا يهلككم بما أتيتم من معصية نبيكم ، ولكنى عدت بفضلى عليكم ، وكذلك منَّ الله على المؤمنين أن عاقب ببعض الذنوب فى عاجل

(١) سورة آل عمران : الآية ١٤٧ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٤٨ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٥٢ .

(٤) قال ابن عباس : المقصود بهذه الآية عبد الله بن جبير الذى كان أميرًا على الرُّماة ، وكان أمرهم - أى الرسول ﷺ - أن يلزموا مكانهم ، وألا يخالفوا أمر نبيهم ، فثبت معه طائفة فاستشهد ، واستشهدوا ، وهم الذين أرادوا الآخرة ، وأقبلت طائفة على المغنم ، وأخذ السلب فكرَّ عليهم العدو ، وكانت الهزيمة . انظر الروض الأنف تحقيق طه عبد الرءوف سعد ٤ / ١٩٤ .

الدنيا أدبًا وموعظة ، فإنه غير مستأصل لكل ما فيهم من الحق له عليهم ، بما أصابوا من معصيته ، رحمة لهم ، وعائدة عليهم ، لما فيهم من الإيمان ٠

* جَزاءُ شُهَدَاء أُحُد :

قال ابن إسحاق : وحدثنى إسماعيل بن أمية ، عن أبى الزبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ ، لما أصيب إخوانكم بأحد ، جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خُضر ، تَرِدُ [١] أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل [٢] من ذهب ، فى ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم ، وحسن مقيلهم ، قالوا : يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا ، لئلا يزهدوا فى الجهاد ، ولا ينكلوا عند الحرب [٣] ، فقال الله تعالى : فأنا أبلغهم عنكم فأنزل الله على رسوله ﷺ هؤلاء الآيات : ﴿ **وَلاَ تَحْسَبَنَّ** ٠٠٠ ﴾ ٠

قال ابن إسحاق : وحدثنى الحارث بن الفضيل ، عن محمود بن لبيد الأنصارى عن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الشهداء على بارق نهر بباب الجنة ، فى قُبَّة خضراء ، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا » [٤] ٠

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن عبد الله بن مسعود أنه سئل عن هؤلاء الآيات : ﴿ **وَلاَ تَحْسَبَنَّ الذينَ قُتِلُوا فى سَبِيلِ الله أَمْوَاتًا بَل أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴾ فقال : أما أنَّا قد سألنا عنها فقيل لنا إنه لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ، تَرِدُ أنهار الجنة : وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب فى ظل العرش ، فيطلع الله عز وجل عليهم اطلاعة فيقول : يا عبادى ، ما تشتهون فأزيدكم ؟ قال فيقولون ربنا لا فوق ما أعطيتنا ، الجنة نأكل منها حيث شئنا ! قال : ثم يطلع الله عليهم اطلاعة فيقول : يا عبادى ، ما تشتهون ، فأزيدكم ، فيقولون ربنا لا فوق ما أعطيتنا الجنة نأكل منها حيث شئنا قال : ثم يطلع عليهم اطلاعة فيقول : يا عبادى ما تشتهون فأزيدكم ؟ فيقولون ربنا لا فوق ما

---

(١) تأتي وتطوف ٠

(٢) مصابيح ٠

(٣) أى لا يرجعون خائفين من العدو هائبين منه ٠

(٤) أى صباحًا ومساءً ٠

أعطيتنا الجنة نأكل منها حيث شئنا ! إلا أنا نحب أن تردّ أرواحنا فى أجسادنا ، ثم نُرد إلى الدنيا ، فنقاتل فيك ، حتى نقتل مرة أخرى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : قال لى رسول الله ﷺ : ألا أبشرك يا جابر ؟ قال قلت بلى يا نبى الله ، قال : إن أباك حيث أصيب بأُحد أحياه الله عز وجل ، ثم قال له : ما تحب يا عبد الله بن عمرو أن أفعل بك ؟ قال : أى رب أحب أن تردنى إلى الدنيا ، فأقاتل فيك فأقتل مرة أخرى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عمرو بن عبيد ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده ، ما من مؤمن يفارق الدنيا يحب أن يرجع إليها ساعة من نهار ، وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد فإنه يحب أن يرد إلى الدنيا فيقاتل فى سبيل الله ، فيقتل مرة أخرى » .

* ذِكْر من استُشْهِد بأُحد من المهاجرين :

• من بنى هاشم

قال ابن إسحاق : واستشهد من المسلمين يوم أُحد مع رسول الله ﷺ – من المهاجرين من قريش ، ثم من بنى هاشم بن عبد مناف حمزة بن عبد المطلب بن هاشم – رضي الله عنه – قتله وحشى (١) غلام جبير بن مطعم (٢) .

• من بَنى أُمَيَّة

ومن بنى أمية بن عبد شمس بن عبد الله بن جحش ، حليف لهم من بنى أسد ابن خزيمة ، ومن بنى عبد الدار بن قصى : مصعب بن عمير ، قتله ابن قمئة الليثى ومن بنى مخزوم ابن يقظة : شماس بن عثمان . أربعة نفر .

* * *

---

(١) أسلم وحشى بعد ذلك وتاب وندم على ما فعل وقتل مسيلمة الكذاب يوم اليمامة .

(٢) أسلم جبير بن مطعم بعد ذلك وحسن إسلامه وروى كثيراً من الأحاديث عن رسول الله ﷺ .

* ذكر من استُشْهِدَ بأُحُد من الأنصار (١) :

من بنى عبد الأشهل : عمرو بن معاذ بن النعمان ، والحارث بن أنس بن رافع ، وعمارة بن زياد بن السكن .

قال ابن إسحاق : وسلمة بن ثابت بن وقش ، وعمرو بن ثابت بن وقش ، رجلان .

قال ابن إسحاق : وقد زعم لى عاصم بن عمر بن قتادة أن أباهما ثابتا قتل يومئذ . ورفاعة بن وقش وحسيل بن جابر ، وأبو حذيفة وهو اليمان أصابه المسلمون فى المعركة ولا يدرون ، فتصدق حذيفة بديته على من أصابه وصيفى بن قيظى وحباب بن قيظى وعباد بن سهل والحارث بن أوس بن معاذ اثنا عشر رجلاً .

ومن أهل راتج : إياس بن أوس بن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن زعوراء ابن جشم بن عبد الأشهل ، وعبيد بن التيهان .

قال ابن إسحاق : ومن بنى النجار ثم من بنى سواد بن مالك بن غنم : عمرو ابن قيس ، وابنه قيس بن عمرو .

قال ابن إسحاق : وثابت بن عمرو بن زيد ، وعامر بن مخلد ، أربعة نفر .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عبيد بن زيد : أنيس بن قتادة ، رجل .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن جبير بن النعمان ، وهو أمير الرُّماة .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عدى بن النجار : أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار .

قال ابن إسحاق : وسعيد بن سويد بن قيس بن عامر بن عباد بن الأبجر وعتبة ابن ربيع بن رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر ثلاثة نفر .

---

(١) المعروف أن الأنصار هم أهل المدينة وسكانها من المسلمين الذين هاجر إليهم الرسول ﷺ وقد دخلوا فى الإسلام قبل الهجرة وبعدها ، وسمُّوا الأنصار لأنهم نصروا رسول الله ﷺ - عندما هاجر إليهم وآزروه وتآخوا مع المهاجرين من أهل مكة، وقد أمرنا النبى ﷺ بحبهم - رضى الله عنهم - .

ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج ، ثعلبة بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة ، وسقف بن فـــروة بن البدى رجـــلان .

قال ابن إسحاق : فجميع من استشهد من المسلمين مع رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار خمسة وستون رجلاً .

*** ذِكر من قُتل من قُريش يوم أُحُد :**

قال ابن إسحاق : وقتل من المشركين يوم أُحد من قريش ، ثم من بنى عبد الدار بن قصى من أصحاب اللواء : طلحة بن أبى طلحة ، واسم أبى طلحة عبد الله ابن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، قتله علـــى بن أبى طالب ، وأبو سعد بن أبى طلحة ، قتله سعد بن أبى وقاص .

قال ابن إسحاق : وعثمان بن أبى طلحة ، قتله حمزة بن عبد المطلب ، ومسافع بن طلحة ، والجلاس بن طلحة قتلهما عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح ، وكلاب بن طلحة ، والحارث بن طلحة قتلهما قزمان حليف لبنى ظفر .

قال ابن إسحاق : وأرطأة بن عبد شرحبـيل بن هاشـــم بن عبد مناف بن عبد الدار قتله حمزة بن عبد المطلب وأبو يزيد بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار قتله قزمان ، وصؤاب غلام له حبشى قتله قزمان .

قال ابن إسحاق : والقاسط بن شريح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار قتله قزمان . أحد عشر رجلاً .

قال ابن إسحاق : فجميع من قتل الله تبارك وتعالى يوم أُحد من المشركين اثنان وعشرون رجلاً .

* * *

ذِكْرُ ما قيل من شِعر يوم أُحُد

*** شعر هُبَيْرة :**

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الشعر فى يوم أُحد ، قول هبيرة بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم .

ما بال هَم عَميد بَاتَ يَطرُقنى	بالود من هِنْد إذْ تَعْدو عَواديها (١)
بَاتَتْ تُعَاتِبنـــــى هِنْدُ وتَعْذُلنى	والحربُ قَد شُغلَتْ عَنّى مواليها
مَهلاً فلا تَعْذلينـــى إنْ مِنْ خلُقى	مَا قَدْ عَلمتَ ومَا إن لَستُ أُخفيها
مَساعفُ لبنى كَعْب بَما كلفوا	حمال عبْءٍ وأَثْقال أُعَانيهـــــا
وقَدْ حَملتُ سِلاحى فَوق مُشْتَرف	سَاطٍ سَبُوح إذا تجْرى يُبَارِيها (٢)
كأنه إذ جرى عـــــير بفَدْفَدَة	مُكدم لأحق بالعَون يَحْميها (٣)
مِنْ آل أعْوجَ يَرتَاح النَّدى لَهُ	كَجَذْعِ شَعَراء مُسْتَعل مَراقيها (٤)
أَعْدَدْته ورِقَاق الحدِّ مُنْتَخلاً	ومَارِنا لخطـــــوب قَد ألاقيها (٥)
هَذا وَبيضاءُ مِثْل النهى مُحكمة	نِيطَتْ عَلىَّ فَما تَبْدو مساويها (٦)
سقْنا كِنانة من أطراف ذى يمن	عرض البلاد على ما كان يُزْجيها (٧)
قَالتْ كِنانَة أنّى تَذْهَبون بنا ؟	قُلنا : النَّخيل ، فأمُّوها ومن فيها (٨)

(١) العميد : شديد الحزن ، العوادى : الشواغل .

(٢) مستشرف : بفتح الراء اسم مفعول ، أى فرس تنظر الناس إليه لحسنه .

(٣) هنا يشبه حصانه بحمار وحشى هو العير ، الفدفدة : الصحراء ، والمكدم : المعضوض ، والعون : القطيع من حمر الوحوش .

(٤) الأعوج : اسم فرس مشهور فى العرب ومنه الأعوجيات أى الخيل الجيدة ، والندى : المجلس من القوم . والشعراء : نخلة كثيرة الأغصان .

(٥) رقاق الحد : السيوف ، المنتخل : المتخير ، المارن هنا : الريح اللّينة .

(٦) البيضاء : الدرع ، النهى : الغدير ، نيطت : علقت .

(٧) عرض البلاد : سعتها ، يزجيها : يسوقها .

(٨) يريد بالنخيل : المدينة المنورة .

نَحْنُ الفَوارِس يَوْمَ الجَرِّ من أُحُد هَابَتْ مَعد فَقُلْنا نَحْنُ نأتيها (١)
هَابُوا ضرابًا وطَعنا صَادفت خَذَمًا مِمّا يَرونَ وَقَدْ ضَمَّتْ قَواصيهَا (٢)
ثَمَّتَ رُحْنَا كَأنَّا عَارِض بَرِد وَقَام هَام بَنِى النَّجَّار يَبْكيهَا (٣)
كَأنّ هَامَهُم عِنْد الوَغَى فَلَقٌ مِنْ قَيْضِ ربد نَفته عن أداحيها (٤)
أَوْ حَنْظَلٍ زَعزعته الرِّيح فى غُصنٍ بَال تَعاوَرَهُ مِنهَا سَوافيهَا (٥)
قَد نبذل المالَ سَحا لا حِسَاب لَهُ ونَطْعُن الخَيْلَ شِزْرا فى مَآقيها (٦)
ولَيْلَة يَصْطَلى بِالفَرْث جَارِرها يَخْتَص بالنَّقرى المثرين داعيها (٧)
ولَيْلَة من جُمَادى ذَات أَنْدية جَربا جمادية قد بت أسريها (٨)
لاَ ينبَحُ الكَلب فِيها غَيْر وَاحدة من القُريس ولا تسرى أفَاعيها (٩)
أَوْقَدت فيها لذى الضَّراء حامية كَالبرق ذَاكية الأرْكَان أَحْميها (١٠)
أَوْرَثَنى ذَلكم عَمْرو ووَالده من قَبْله كان بالمثنى يغاليها (١١)
كانوا يبارون أَنْواءَ النجوم فما دَنَت عن السُّورة العُليا مَساعيها (١٢)

---

(١) الجر : أصل الجبل .
(٢) الخذم : المذل .
(٣) العارض : السحاب ، الهام : جمع هامة وهى ما تزعم العرب أنها طائر يخرج من رأس القتيل يصيح اسقونى حتى يؤخذ بثأر القتيل .
(٤) الفلق : القطع ، القيض : قشر البيض ، الربد : النعام ، الأداحى : أماكن تبيض فيها النعام .
(٥) تعاوره : تداوله ، السوافى : الرياح التى تحمل التراب والرمل .
(٦) نبذل المال سحًّا : لجود كثيراً ، الشزر : الطعن يمينًا وشمالاً .
(٧) النقرى : دعوة قوم دون قوم وضدها الجفلى .
(٨) أندية : جمع ندى وهو المجلس ، جربا : شديدة البرودة ، جمادية : نسبة إلى جماد ، وقد سمى شهر جماد بهذا الاســم ، إذ صادف عند تسميته وقت تجميد المياه فسمى جماداً .
(٩) القريس : البرد مع الصقيع . (١٠) الحامية : الملتهبة .
(١١) المثنى : المرة بعد الأخرى .
(١٢) دنت : قصرت ، السورة : المنزلة .

* حسان بن ثابت يرد على هبيرة :

قال ابن إسحاق فأجابه حسان بن ثابت فقال :

سقْتُم كِنَانة جَهْلاً مِنْ سَفَاهَتكم ... إلى الرسُول فَجُنْد الله مُخزِيها
أوردتُموها حِياضَ الموت ضَاحيةً ... فَالنارُ موعدها ، والقتل لاقيها
جَمَعْتُموهم أحَابيشًا بلا حَسَبٍ ... أئمة الكُفر غَرتكم طواغيها
ألا اعتبرتم بَخيل الله إذ قتلت ... أهل القليبِ ومن ألقينه فيها
كَمْ مِنْ أسيرٍ فككناهُ بَلا ثَمن ... وجُز ناصيـــة كنا مـــواليها

* كَعْبٌ يَرد على هُبَيرة :

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يجيب هُبيرة بن أبى وهْب أيضًا :

ألاَ هَل أتى غَسَّانَ عَنَّا وَدونهم ... مِنَ الأَرْض خَرْق سَيرةَ مُتَنَعْنِع (١)
صَحار وَأَعَـــــلامٌ كَأن قتَامهَا ... مِنَ العَبْدِ نقع هَامدِ مُتَقَطع (٢)
تَظَلُّ بِهِ البزل العَراميس رَزحًا ... ويَخلو به غَيْث السِّنِين فيمرع (٣)
بِهِ جيف الحَسْرى يَلوحُ صَليبُهَا ... كَما لاحَ كتَّانُ التُّجار المَوضَّعِ (٤)
بِهِ العينُ وَالآرام يَمْشِينَ خلفَةً ... وَبيضُ نَعام قَيْضه يَتقَلع (٥)
مَجالدنا عن دِيْننا كل فَخْمةٍ ... مَدربةٍ فيها القَوانسُ تَلْمَعُ (٦)
وكل صَمُوتٍ فى الصوانِ كأنها ... إذَا لُبِّسَتْ نهى من الماء مُتْرَعُ (٧)

(١) الخرق : الفلاة ، المتنعنع : المضطرب .
(٢) الأعلام : الجبال ، القتام : ما اسود من الأشياء ، النقع : الغبار .
(٣) البزل : الإبل القوية ، العراميس : الشديدة ، يمرع : يخصب .
(٤) الصليب هنا : دسم الشحم واللحم ، الموضع : المحلى بالنقوش .
(٥) العين : بقر الوحش ، الآرام : بيض البطون سمر الظهور ، خلفة : جماعة وراء جماعة ، القيض : قشر البيض ، يتقلع ، يتشقق .
(٦) الفخمة : الكتيبة الضخمة . القوانس : رءوس بيض السلاح .
(٧) الصموت : الدرع التى أحكمت صنعا ، الصوان : ما يصان فيه الشىء ، النهى : الغدير .

وَلكن بـبـدر سَائلوا من لَقِيتم ... مِنَ النـاس وَالأنبَاءِ بالغيب تَنفَعُ
وَأنا بأَرضِ الخوفِ لَو كان أهلها ... سِوانا لَقد أجلوا بليل فأقشَعوا (١)
إذا جَاء منَّا رَاكبٌ كَان قَوله ... أَعدوا لما يزجى ابن حَرب وَيَجمع (٢)
فَمَهمَا يَهمُّ الناسَ ممـا يكيدُنَا ... فَنَحْنُ له من سَائر النـاس أوسَع
فَلو غَيرنا كانت جَميـعاً تكيدهُ ... البَرية قَدْ أعطوا يَدا وتورعوا (٣)
نُجالد لا تبـقى علينا قَبيلة ... مِنَ الناسِ إلا أن يهابوا ويفظعوا
ولَما ابْتَنوا بالعَرْض قال سرَاتُنا ... عَلام إذا لم نَمنع العَرض نزرع؟ (٤)
وفَينا رَسُولُ اللهِ نَتبـع أَمْره ... إذَا قَال فِينَا القَول لاَ نتظلع (٥)
تَدلَّى عليه الروح من عنـد ربِّه ... يَنْزِل من جَوِّ السـماء ويَرفع
نُشَاوره فَيمـا نُريد وقَصْرنُا ... إذا ما اشْتَهى أَنا نُطيع ونَسْمع (٦)
وقَال رَسـولُ اللهِ لَما بدوا لنا ... ذروا عنكم هَول المنياتِ واطْمَعُوا
وكُونوا كمـن يَشْرِى الحياة تَقَرُّبا ... إلى ملك يُحيـا لديه ويُرجع
وَلكـن خُذوا أَسيَافكم وتَوكلوا ... عَلى اللهِ إن الأمـر للهِ أَجْمَعُ
فَسرنا إليهـم جَهْرة فِى رِحَالهم ... ضحيا عليـنا البيض لا نتخشعُ
بِملمومَة فيـها السنور والقَنا ... إذا ضَربوا أَقْدَامها لا تورعُ (٧)
فَجئْنَا إِلى مَوْجٍ من البَحْرِ وَسْطَهُ ... أحَابيش مِنهم حَاسر وَمقنعُ
ثَلاثة آلاف ونحـن نَصية ... ثَلاثُ مِئينٍ إن كَثرنا فَأَربعُ (٨)

---

(١) أقشعوا : فروا .
(٢) يزجى : يسوق .
(٣) توزعوا : تفرقوا .
(٤) ابتنوا : ضربوا أبنيتهم ، العرض : قرى المدينة .
(٥) لا نتظلع : لا نميل .
(٦) قصرنا : غايتنا .
(٧) الململومة : الكتيبة المجتمعة ، السنور : السلاح .
(٨) النصية : خيار القوم .

نُغَاوِرهم تَجرى المنيّةُ بيننـــا ... نُشَارعهم حَوضَ المَنَايا ونَشْرَعُ
تهادى قسى النبع فينا وفيهم ... ومَا هو إلا اليثربى .المقطعُ
وَمنجوفَة حَرمية صَاعِدِيَّة ... يذَرُّ عليها السُّم سَاعة تَصنَعُ (١)
تَصوبُ بِأَبْدانِ الرجالِ وتارة ... تَمرُّ بأعْراضِ البصار تَقَعْقَعُ (٢)
وَخَيْلٍ تَراها بالفَضَاء كَأنَّها ... جَرَاد صَبَا فى قَرَّة يَتَربعُ (٣)
فلما تَلاقيْنَا وَدَارَتْ بِنَا الرَّحَى ... وَليس لأمرٍ حمَّه الله مَدْفَعُ
ضَرَبنَاهُمْ حتَّى تَركنا سَرَاتَهُم ... كَأنهم بالقَاعِ خشبٌ مصرعُ
لَدُن غدْوَة حَتى استفَقنا عَشيَّةً ... كَأنَّ ذكانا حَرُّ نَار تلفعُ (٤)
وَراحُوا سِراعًا مُوجِعِينَ كَأنهمْ ... جهَامٌ هَراقت مَاءَهُ الريحُ مَقْلَعُ (٥)
وَرُحْنَا وَأخرانا بطـــاء كَأننا ... أسُود على لَحْمٍ بيشة ظلعُ (٦)
فَنلنا ونَال القَومُ منا وربمـــا ... فَعلنا ولكن مَا لدى الله أوْسَعُ
وَدَارتْ رَحَانَا واستْدارتْ رحَاهم ... وقد جَعلوا كل من الشر يَشبعُ
وَنحنُ أنَاس لاَ نرى القَتْل سبَّةً ... عَلى كل من يَحمِى الذِّمَار ويَمنَعُ
جَلادٌ عَلى رَيْب الحَوادثِ لا تَرى ... عَلى هَالك عَينًا لنا الدهرَ تَدمَعُ
بنو الحربِ لاَ نَعيًا بشىء نَقُوله ... ولا نَحنُ مما جَرت الحرب نَجزَعُ
بنو الحرب إن نظفَر فلسنا بِفحشٍ ... وَلا نحن من إظفَارِهَا نَتَوجَّعُ

---

(١) المنجوفة : السهام ، الحرمية : نسبة إلى الحرم ، الصاعدية نسبة إلى صاعد وهو رجل مشهور بصنعها .

(٢) البصار : حجارة ، تقعقع : تصوت .

(٣) القرة : البرد ، التربع : المجىء والذهاب .

(٤) ذكانا : التهابنا ، تلفع : يصيب حرها من قرب منها .

(٥) الجهام : سحاب رقيق ليس فيه ماء .

(٦) بيشة : مكان تنسب إليه الأسود . وهى منطقة بأطراف السعودية الآن - ظلع : أى امتلأت بنا الأرض لكثرتنا .

وكنا شِهابًا يَتقى الناس حَرَّه ... ويَفْرج عنه من يَليه ويَسفعُ (١)
فَخرت على ابن الزِّبعرى وقد سرى ... لكم طلب من آخِرِ الليل مُتبعُ
فَسل عنك فى عُليا مَعد وغيرها ... من الناس من أخزى مقامًا وأشنعُ
ومَنْ هُو لم تترك له الحرب مفخرًا ... ومن خده يوم الكريهة أضرعُ (٢)
شَددنا بحول الله والنصر شدة ... عليكم وأطراف الأسنة شرعُ
تكر القنا فيكم كأن فروعها ... عزالى مزاد ملؤها يتهزعُ (٣)
عمدنا إلى أهل اللواء ومن يَطر ... بذكر اللواء فهو فى الحمد أسرعُ
فخانوا وقد أعطوا يدًا وتخاذلوا ... أبى الله إلا أمره وهو أصنعُ

* شعر ابن الزبَعْرى

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزبَعْرى فى يوم أُحد :

يا غُرابَ البَيْنِ أسمعت فَقُلْ ... إنما تَنْطقُ شَيئًا قَد فعلْ
إنَّ للخَيْر وللشَرِّ مَدَى ... وكَلا ذلك وَجْه وقُبلْ (٤)
والعَطِيَّاتُ خِسَاس بَيْنَهم ... وَسَواءٌ قَبْر مثْر ومُقِلْ
كُلُّ عَيْش ونعيم زائلٌ ... وبنَات الدهرِ يَلعبن بِكلْ
أَبْلغا حَسَّان عَنِّى آية ... فَقريضُ الشِّعر يَشْفِى ذَا الغلَلْ
كَمْ تَرى بالجر مِنْ جُمْجُمَة ... وأَكُف قَد أترت ورجلْ (٥)
وسَرابيل حِسَان سريت ... عَنْ كُماة أُهْلِكُوا فى المنتزلْ (٦)

---

(١) يسفع : يحرق .

(٢) الأضرع : الذليل .

(٣) الفروغ : أى الطعنات الواسعة التى يسيل دمها ، العزالى : فم المزادة ، يتهزع : يسرع فى سيلانه .

(٤) القُبل : ما يستقبل الإنسان من الأيام .

(٥) الجر : أصل الجبل ، أترت : قطعت .

(٦) السرابيل : الدروع ، سريت : جردت ، المنتزل : موضع النزال .

كَمْ قتَلنا مــن كَريم سَيِّد ... مَاجــد الجَدَّين مِقدَام بَطَلْ
صادق النجــدة قَرم بَارِع ... غيرِ ملتاث لدى وقــع الأسلْ (١)
فَسل المهراسَ مَا ساكنه ؟ ... بَين أقحــاف وهَام كالحجلْ (٢)
لَيتَ أشيَاخى بِبَدر شَهــدوا ... جزَع الخزرج من وقع الأسلْ (٣)
حينَ حكتْ بقبــاء بَركها ... وَاستحر القَتْل فى عَبْد الأشَلْ (٤)
ثَم خَفُّوا عِنْد ذاكــم رُقَّصًا ... رَقَص الحفانُ يَعلو فى الجَبَلْ (٥)
فَقَتلنا الضعــف من أشرافهم ... وعدلنا ميــل بدر فاعتَدلْ
لا أَلومُ النَّفسَ إلــى أننا ... لَو كَرَرنا لفعلــنا المفتعَلْ
بِسيُوف الهند تَعْلو هَامهــم ... عِللا تَعلُوهــم بعْد نَهلْ (٦)

● ردُ حسان على ابن الزِّبعرى :

فأجابه حسان بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه . قال :

ذَهبت يا بن الزبعرى وقعة ... كَان مِنا الفَضْل فِيها لو عَدَلْ
وَلَقدْ نلتُم ونِلْنَا منكُم ... وكَذلك الحرب أحيانًا دُوَلْ
نَضَعُ الأسيَاف فى أكتَافكم ... حَيث نَهوى عللا بعد نَهَلْ
نُخرِج الأصبع من أستَاهكم ... كسَلاح النيب يأكلن العَصَلْ (٧)
إذَ تولون على أعقابكم ... هربًا فى الشِّعب أشبَاه الرَّسل (٨)

---

(١) القرم : الفحل ، الملتاث : الضعيف ، وقع الأسل : وقع الرماح .
(٢) الأقحاف : جمع قحف وهو ما انفصل من الجمجمة ، الهام : الرءوس ، الحجل : طائر أحمر المنقار والرجلين . (٣) الأسل : الرماح .
(٤) البرك : الصدر ، عبد الأشل : يقصد بنى عبد الأشهل حذف الهاء لإقامة الوزن .
(٥) الرقص : ضرب من المشى السريع ، الحفان : النعام الصغير .
(٦) العلل : الشرب الثانى ، النهل : الشرب الأول ، يريد معاودة الضرب .
(٧) النيب : النوق المسنة (إناث الجمال) ، والعصل : نبات تأكله الإبل فيخرج أحمر مع فضلاتها .
(٨) الرَّسل : الإبل المرسلة .

إذ شَـــــدنا شدَّة صَادقة ... فَأجاناكم إلى سَفْحِ الجَبَل (١)

بخَنَاطيل كَأشْدَاف المـــلا ... مَنْ يُلاقُوه مِنَ الناسِ يُهَلْ (٢)

ضَاق عَنَّا الشِّعب إذ نجزعه ... ومَلأنا الفَرط منه والرِّجَلْ (٣)

برجال لَسْتُم أمثالــــهم ... أيدوا جِبْريل نصْرا فَنزل (٤)

وَعلونا يوم بـــدر بالتقى ... طاعة الله وتصديق الرسل

وقتلنا كل رأس منهـــم ... وقتلنا كل جحـجاح رِفل (٥)

وتركنا فى قريش عـــورة ... يَوم بَدْر وأحـــاديث المُثَل

ورسول الله حقًّا شـــاهد ... يَوم بَدْر والتنابيل الهُبُل (٦)

فى قُرَيش من جموع جمعوا ... مثل ما يجمع فى الخصب الهمَل (٧)

نَحنُ لا أمثالكــم وُلد استها ... نَحضُر الناس إذ البأس نزل

● كعب يرثى حمزة :

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يبكى حمزة بن عبد المطلب وقتلى أُحُد من المسلمين :

نشَجْتَ وَهل لكَ من مَنْشَجِ ... وَكُنْتَ مَتى تَذْكر تَلْجَج (٨)

تذكر قَـــوم أتانى لَهم ... أَحاديث فى الزَّمَن الأعْوج

فَقَلْبك مـــن ذِكرِهم خَافق ... من الشَّوْق والحزنِ المنْضِج

وقَتلاهم من جنان النعيـــم ... كرام المداخل والمخـــرج

(١) فأجأناكم : الجأناكم .

(٢) الخناطيل : الجماعات ، الأمذاق : أخلاط الناس ، الملأ : ما اتسع من الأرض ، يهل : يفزع ويرتاع .

(٣) نجزع : نقطع عرضًا ، الفرط : الأرض العالية ، الرَّجل : ما اطمأن من الأرض .

(٤) أيدوا جبريل : أى أيدوا بجبريل حذف حرف الجار وعدَّى الفعل .

(٥) الجحجاح : السيد العظيم ، الرفل : الذى يجرثوبه خيلاء .

(٦) التنابيل : القصار ، الهبل : ضخام الأجسام .

(٧) الهمل : الإبل المهملة المتروكة بلا راع . (٨) تلجج : تمادى .

بما صَبروا تَحت ظِل اللواء ... لواءِ الرسول بذِى الأضوج [1]
غَداةَ أجابَتْ بأسْيَافها ... جميعًا بنو الأوسِ والخَزْرَج
وأشياع أحمــــد إذ شَايعُوا ... عَلى الحق ذِى النورِ والمَنْهَج [2]
فَما بَرحوا يِضرِبُون الكُمَاة ... وَيضْمُونَ فى القَسْطلِ المرهَج [3]
كَذلك حَتَّى دعَاهم مَليكٌ ... إلى جَنَّة دَوْحَة المَولج [4]
فكلُّهُم مَات حَـــرٌ البَلاء ... عَلى مِلَّة الله لَمْ يَحرج
كَحمزة لما وفـــى صَادقًا ... بِذى هَبة صَارمٍ سَلْجَج [5]
فَلاقاه عَبد بنــــى نَوفَل ... يُبَربر كَالجمل الأَدْعَج [6]
فَأوجرهُ حَربـــة كالشّهاب ... تُلْهب فِى اللّهب الموهَج [7]
ونُعْمان أوفى بميثاقه ... وحَنظلَة الخَيْر لَهم يُحنج [8]
عَنِ الحَقّ حتّى غَدَتْ رُوحه ... إلى مَنْزل فَاخِرِ الزبْرج [9]
أولئك لاَ من ثَوى مِنكُم ... مِنَ النّار فى الدَّرْكِ المرتَج

● ضرار يرد على كعب :

فأجابه ضرار بن الخطاب الفهرى فقال :

أيَجزَع كَعب لأشيَاعه ... وَيبكى من الزّمن الأعوج
عَجِيجُ المذكى رأى إلفَهُ ... تَروّح فى صَادِر مَحنَج [10]

(١) الأضوج : اسم مكان · (٢) المنهج : الواضح ·
(٣) القسطل : الغبار ، المرهج : العالى فى الجو ·
(٤) الدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة ، المولج : المدخل ·
(٥) بذى هبة : أى بسيف ذى هبة ، والهبة : الوقوع فى العظم ، سلجج : مرهف ·
(٦) عبد بنى نوفل : هو وحشى ، يبربر : يصيح ، الأدعج : الأسود ·
(٧) أوجره : طعنه فى صدره ·
(٨) لم يُحنج : لم يمل عن وجهه
(٩) الزبرج : الزينة من الوشى أو الجوهر ·
(١٠) العجيج : الصياح ، يريد بالمذكى هنا : المسن من الإبل ، الصادر : الراجع عن الماء ، محنج : مصروف عن وجهه ·

فَراح الروايـــــا وغَادَرنه | يعجعج قَسرا ولم يَحدَج (١)
فَقُولا لكعب يثنـــى البُكا | وللنئ مـــن لَحمه يَنضج
لمصرع إخوانه فـــى مكرٌ | من الخَيل ذى قَسطـل مرهَج (٢)
فَياليتَ فهرًا واشيـــاعه | وعتْبة فى جمعــنا السورج (٣)
فَيشفُوا النفـــوسَ بَأوتارهَا | بقَتلى أُصيبتْ مـــن الخَزرج
وَقتلَى من الأوسِ فـــى مَعْرك | أُصيبوا جَميعا بـــذى الأضوج
وَمقتل حَمزة تحـت اللواء | بُمطْرد ، مَارن ، مخلـــج (٤)
وَحيثُ انْثنى مصعب ثـــاويا | بَضَربة ذِى هبـــة سَلجَج
بَأحد واســــيافنا فيهم | تَلْهب كاللهـــب الموهج
غَداة لقيناكم فـــى الحديد . | كَأسد البَراح فلم تَعنَج (٥)
بكل مُجَلحَة كَالعقـــاب | وأجرَد ذى ميعة مُسرج (٦)
فَدسناهم ثُم حتـــى انثنوا | سِوى زَاهق النفس أو محرج

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزبعرى فى يوم أُحد ، يبكى القتلى :

أَلا ذَرفتْ مِنْ مَقلتيك دُموع | وَقَد بان من حَبلِ الشَّباب قَطوع
وشَط بمن تَهوى المزَار وفَرقت | نوى الحى دَار بالحبيب فَجوع
وَليس لما وَلى على ذِى حَرارَة | وَإن طَال تَذرَافُ الدموع رجوع
فَذر ذَا ولكن هل أتى أم مالك | أحاديث قَومى والحديث يشيع
ومجنبنا جرْدًا إلى أهل يثرب | عَناجيج منها متلد ونزيع (٧)

(١) لم يحدج : لم يجعل عليه الحدج وهو مركب النساء .
(٢) القسطل : الغبار ، المرهج : المرتفع .
(٣) السورج : المتقد .
(٤) المطرد : الذى يهتز ، والمراد به هنا الرمح ، المارن : اللين .
(٥) تعنج : تكف .
(٦) المجلحة : المتقدمة ، ويريد بها فرسا ، والأجرد: الفرس العتيق ، والميعة: النشاط.
(٧) مجنبنا : سوقنا للخيل . العناجيج : الحسان . المتلد : ما ولد عندك . والنزيع : الغريب .

عَشية سرنا فـــى لُهام يقودُنَا ضَرورُ الأعادى لِلصديق نَفُوع
تَشُدُ عَلينـــا كَل زَعف كأنها غَدير بَضوج الواديين نَقيع (١)
فَلما رَأونا خَالطتهـــم مَهابة وَعاينهم أمر هنـــاك فظيعُ
وودوا لو ان الأرض ينشق ظهرها بهم وَصبور القوم ثـــم جَزُوع
وَقد عُريت بيـــض كأن وميضها حريق ترقى فى الأباء سريع (٢)
بأيماننا نعلو بهـــا كل هامة ومنها سَمام للعـــدوّ ذَريع (٣)
فَغادرن قَتلى الأوس عَاصية بهم ضِباع وطَيـــر يَعتفين وقوع
وَجَمْع بنى النجَّار فى كل تِلْعة بأبدانهم من وَقعهن نَجيع (٤)
وَلولا عُلو الشِّعب غَادرن أحمدًا ولكن عَلا والسَّمهرى شروع (٥)
كما غَادرت فى الكر حمزة ثَاويًا وفى صدره ماضى الشَّباة وقيع (٦)
ونُعْمَان قد غَادَرن تَحت لوائه على لَحمه طير يجفن وقوع (٧)
بأُحد وأرمـــاح الكماة يُردنهم كما غال أشطان الدلاء نزوع (٨)

● رد حَسَّان على ابن الزبعرى :

فأجابه حسان بن ثابت ، فقال :

أَشاقكَ مـــن أُمِّ الوَليدِ ربوع بَلاقع (٩) مَا مِنْ أَهْلهنَّ جَميعُ
عَفَاهُنَّ صَيْفِى الريـــاح وواكف مِنَ الدلو رجاف السحاب هَمُوعُ (١٠)

(١) الزعف : الدروع اللينة . والضوج : جانب الوادى ، والنقيع : المملوء بالماء .
(٢) الأباء : الأجمة المشتبكة الأغصان .
(٣) ذريع : من يقتل سريعًا .
(٤) نجيع : دم .
(٥) الشِّعب : الطريق فى الجبل ، السمهرى : الرِّماح ، شروع : مهيأة للطعن .
(٦) الشباة : الحد ، وقيع : محدد .
(٧) يجفن : يطالبن ما فى جوفه .
(٨) غال : أهلك الأشطان : الحبال ، النزوع : جذب الدلو من البئر .
(٩) بلاقع : جمع بلقع وهو القفر الخالى .
(١٠) الواكف : المطر المنهمر . والدلو : برج فى السماء معروف ، رجاف : مصوت=

فَلم يَبْقَ إلا موقد النار حَوله ... وَواكد أمثال الحمَام كَنُوع (١)
فَدَع ذكر دَار بَددت بَيْنَ أَهْلَهَا ... نَوى لمتينات الحبَال قَطُوع
وقُل إن يكُن يَوم بأُحُد يَعُدُّه ... سَفِيه فَإن الحقَّ سَوفَ يَشِيعُ
فَقدصَابرتْ فيه بَنو الأوس كُلهم ... وَكان لهم ذكر هناك رفيعُ
وحَامى بنو النجَّار فيه وَصابروا ... ومَا كان منْهُم فى اللقاء جَزوعُ
أمام رَسول الله لا يَخْذلونَه ... لَهم نَاصرٌ منْ ربهم وشَفيعُ
وَفوا إذ كفرتم يا سُخَين بَربكم ... ولا يَستوى عبَد وفَى ومضيعُ (٢)
بَأيديهم بيض إذا حَمش الوَغَى ... فَلابد أن يَرْدَى لَهن صَريعُ
كَما غَادرت فى النَّقع عتْبَة ثَاويا ... وَسعدا صريعا والوشيج شروعُ (٣)
وَقدغادرت تَحت العجَاجة مُسْندا ... أبيا وقد بل القميص نَجيعٌ (٤)
بكفٍّ رَسول الله حَيثُ تَنصَّبتْ ... عَلى القَوم مما قد يُثرنَ نقوع
أُولئك قَوْم سَادة من فُروعكم ... وفَى كل قَوم سَادة وفُروعُ
بهنَّ نُعزُّ اللهَ حتى يَعزنَا ... وَإنْ كَان أمرٌ يَاسخين فَظيعُ
فَلا تذكروا قَتلى وحَمزة فيهم ... قَتيل ثَوى لله وَهْوُ مُطيعُ
فَإن جنَان الخلد مَنْزلة له ... وَأمر الذى يقضى الأمُور سريعُ
وقتلاكَم فى النَّار أفضل رزقهم ... حَميم معًا فى جوفها وضَريعُ (٥)

شعر عمرو بن العاص عن أحد (٦) :

وقال ابن إسحاق : وقال عمرو بن العاص فى يوم أحد :

= وهموع : سائل ·
(١) كنوع : لاصقة بالأرض ·
(٢) ياسـخين : أى ياسخينة وهو لقب قريـش لأكلها إياها وهى طعام يصنع من الدقيق ·
(٣) الوشيج : الرماح ·
(٤) العجاجة : الغبرة : النجيع : الدم ·
(٥) الضريع : ما يطرحه البحر من النبات ·
(٦) وكان وقتها مشرك ولم يسلم بعد ·

خَرجْنَا من الفَيْفَا عَليهــــم كأننا مَع الصبح منْ رَضْوىَ الحَبيك المنطق(١)
تَمنت بنـــو النَّجار جَهْلا لقاءَنا لدى جَنب سَلْع والأمانى تَصْدقُ (٢)
فَما رَاعَهـــم بالشرِّ إلا فُجَاءة كراديس خَـــيل فى الأزقة تَمرقُ
أرادوا لكــيما يَستبيحوا قِبَابنا وذونَ القِبَابِ اليــيومَ ضَربٌ محرقُ
وكانت قِبَابا أومنـــت قَبْل مَا تَرى إذ رَامها قَومٌ أبيحـــوا وَاحنقُوا
كَأن رُءوس الخَزرجيين غُدْوة وأيمانـــهم بالمشَرفية بَرْوق (٣)

● شعر ضِرار :

قال ابن إسحاق : وقال ضرار بن الخطاب :

إِنى وَجدك لَولا مقْدَمى فَرســـى إذَا جَالت الخيلُ بيَن الجَزعِ والقَاعِ (٤)
مَا زال منكم يَجنب الجَزع من أحد أصواتُ هَام تُزَاق بِأمرها شَاعىِ (٥)
وفَارس قَد أصَاب بالســـيف مفرقه أفـــلاقَ هَامته كَفرْوة الرَاعى
إنى وَجدك لاَ انفـــك منتطقا بِصَارم مثل لَونِ المِلح قَطَّاعِ (٦)
عَلى رَحــــالة ملواح مُثَابرة نَحو الصريخِ إذا ما ثوب الدَّاعىِ (٧)
ومَا انتَميتُ إلى خَوَرٍ ولا كشَفٍ ولا لئام غَداةَ الباسِ أوراع (٨)
بَل ضَارِبينَ حَبيــك البيضِ إذ لحقوا شُمٌّ العَرَانينَ عَنْدَ الموتِ لذَّاعِ (٩)

---

(١) رضوى : اسم جبل · الحبيك : ما فيه طرائق · المنطق : المحزم ·
(٢) سلع : اسم جبل خارج المدينة ·
(٣) بروق : نوع من النبات له رؤوس تشبه البصل ·
(٤) الجزع : ما انعطف من الوادى · القاع : ما انخفض من الأرض ·
(٥) الهام : جمع هامة وهى ما يزعم العرب أن طائرا يخرج من رأس القتيل يصيح : اسقونى ، اسقونى حتى يؤخذ بثأره · تزاقى : تصيح · شاعى : أراد شائع ·
(٦) المنتطق : المحتزم ·
(٧) الرحالة : السرج · الملواح : الفرس القوية · ثوب : كرر الدعاء ·
(٨) كشف : من لا أدراع لهم فى الحرب · الأوراع : الجبناء ·
(٩) الحبيك : الطرائق ·

شُم بَهاليلُ مُسْتَرخ حَمَـــائلهم   يَسعون للموت سَعْيًا غير دَعدَاعِ (١)

وقال ضرار بن الخطاب أيضًا :

لَما أتَتْ مـــن بَنى كَعْبِ مُزَينة   والخَزرجية فيهـــا البيضُ تَأتَلق
وَجرَّدُوا مَشـــرفيّات مُهَنَّدة   وَراية كَجنـــاح النَّسْرِ تَختَفق
فَقلتُ يَومٌ بَأيامٍ ومَعـــركة   تُنْبى لما خَلْفَهَا ما هَزْهَزَ الورق (٢)
قَد عَودوا كل يوم أن تكون لَهُم   ريحُ القتَال وأسْلاَب الـــذين لَقُوا
خَبَّرتُ نَفْسِى على ما كان من وَجَلٍ   مَنها وأيقنتُ أن المجْــدَ مُستَبق
أكْرهتُ مهرى حتى خَاض غَمْرتَهم   وبَله من نَجيع عَانـــك عَلَق (٣)
فَظَلَّ مَهْرى وسربَالى جَسيدهما   نَفَخُ العروقِ رشاش الطعن والوَرَق (٤)
أيقنتُ أنّى مُقيمٌ فى ديَارهم   حَتى يُفارق ما فـــى جَوفه الحدَق
لاَ تَجزعوا يا بَنى مخزوم إن لكم   مثْل المغيرة فيكم ما به زَهق (٥)
صَبرًا فدًى لكم أمى وَما وَلَدتْ   تَعاوروا الضَّربَ حَتى يُدبر الشَّفَق

● كعب يرد على عمرو وضرار :

قال ابن إسحاق : فأجابهما كعب بن مالك فقال :

أَبْلغ قُرَيشًا وخَير القَولِ أصْدَقهُ   والصِّدْقُ عَنْد ذوى الألْبَاب مَقبُولُ
انْ قَدْ قَتلنا بقَتْلانا سُرَاتكم   أهل اللواء فَفيمـــا يكْثُر القيلُ
وَيوم بَدْر لَقيناكُم لنـــا مَدَدٌ   فيه مـــع النَّصْر ميكالٌ وجبْريلُ
إنْ تَقتلونا فَدِين الحقّ فِطرَتُنا   والقَتلُ فى الحقّ عَنْد الله تَفْضيلُ
وإنْ تَروا أمرنا فى رأيكم سَفهًا   فَرأى من خَالف الإسلام تَضْليل

(١) البهاليل : السادة · الدعداع : الضعيف ·
(٢) هزهز : حرك ·
(٣) غمرتهم : جماعتهم ، النجيع : الدم ، عانك : أحمر ، علق : من أسماء الدم ·
(٤) جسيدهما : صبغهما ، نفخ العروق : ما ترمى به من الدم ، الورق ، ما انقطع من الدم ·
(٥) الزهق : العيب ·

فَلا تَمنوا لِقاح الحرب واقْتَعدوا ... إنَّ أخَا الحربِ أصْدَى اللون مَشْغُولُ
إنَّ لكم عَنْدنَا ضَربًا تُراحُ لَهُ ... عُرج الضبَاع له خَذْم رَعابيل (١)
إنا بَنو الحرب نُمريها ونُنْتجُهَا ... وعنْدنَا لذَوى الأضْغَان تَنْكِيلُ (٢)
إنْ يَنْجُ منها ابن حَرْبٍ بَعْدَمَا بَلَغتْ ... منْهُ التَراقِىَ وأمْرُ الله مَفْعُولُ (٣)
فَقد أفادتْ لَه حلماً ومَوعظةً ... لِمن يكونُ لَه لُبٌ ومَعقولُ
ولَو هَبَطتم ببَطنِ السَّيل كافحكُم ... ضَربٌ بِشَاكِلة البَطْحَاء تَرعيلُ (٤)
تَلقَاكُمُ عُصَبٌ حَوْلَ النبىِّ لَهُم ... مما يعـــدون للهيْجَا سَرابيلُ
مِنْ جِذْمِ غَسَّان مُسترخٍ حَمائلهمُ ... لا جبـــناء ولا ميل مَعَازِيلُ (٥)
يَمشُونَ تَحت عمَايات القتَال كَما ... تَمشى المصَاعبة الأُدْمِ المراسيلُ (٦)
أو مثل مَشْى أُسُود الظَّلِّ الثقها ... يَوم رذاذ مـــن الجوزاء مَشْمُولُ
فِى كُل سَابِغة كالنِّهْيِ مُحْكَمة ... قيامُهَا فَلَج كالسيف بَهْلولُ (٧)
تَرد حد قِران النبــــل خَاسئة ... ويَرجع السيف عنهـــا وهو مَفْلولُ
ولَو قَذفتم بسلعٍ عـــن ظُهوركُم ... وللحياة ودفع الموتِ تَأجيلُ (٨)
مَا زَال فى القومِ وتر منكم أبدًا ... تعفو السلام عليه وهو مَطْلُولُ (٩)
عَبدٌ وَحر كريمٌ مَوثق قَنَصًا ... شَطْرَ المدينةِ مَاسورٌ ومقتولُ (١٠)

---

(١) تراح : تهتز · خزم : قطع اللحم · الرعابيل : المنقطعة ·
(٢) نمريها : نستدرها ·
(٣) التراقى : عظام الصدر ·
(٤) شاكلة : طرف · الترعيل : الضرب السريع ·
(٥) الجذم : الأصل · الميل : الذين لا تروس لهـــم · والمعازيل : الذين لا رماح لهم ·
(٦) العمايات : الظلمات ، المصاعبة : فحول الإبل ·
(٧) سابغة : درع كاملة : النهى : غدير الماء · البهلول : الأبيض ·
(٨) سلع : اسم جبل ·
(٩) السلام : الحجارة ، مطلول : غير مأخوذ بثأره ·
(١٠) القنص : الصيد ·

كُنَا نُؤمل أخـــــراكم فَأعجلكُم ... منَّا فَوارس لاعزل ولا ميلُ
إَذا جَنى فِيهم الجانى فَقَد عَلمُوا ... حَقًّا بأن الذى قد جر محمولُ
مَا نحن لا نحن من إثم مُجاهِرة ... ولا ملوم ولا فى الغُرم مخذولُ

* حسان يرثى حمزة :

قال ابن إسحاق : وقال حسَّان بن ثابت يبكى حمزة بن عبد المطلب ومن أصيب من أصحاب رسول الله ﷺ يوم أُحد :

يَامى قُومـــــى فَاندبن ... بســـــحيرة شَجو النَوائِحْ
كالحامـــــلات الوِقر بالـ ... ثِّقَلِ الملحـــات الدوالحْ (١)
المعـــــوَلات الخَامشـــــا ... ت وجُوه جــــرات صَحائحْ (٢)
وكأن سَـــــيلَ دُموعِها الـ ... أنصابُ تَخْضــــب بالذبائحْ
يَنقضن أشـــــعارًا لَهن ... هُنَاك بَادية المســـــائحْ (٣)
وكأنهـــــا أذْنابُ خيـــــ ... لِ بالضحـــى شُمس روَامحْ (٤)
منْ بَينِ مَشــــزور ومَجـ ... زور يَذعذع بالبـــوارحْ (٥)
يَبكـــــين شَجْوا مُسْلبا ... ت كدحتهـــــن الكَوادحْ
ولَقد أصـــاب قُلـــوبها ... مَجـــل له جلب قَوارِحْ (٦)
إذْ أقصــــد الحدثَان منْ ... كُنا نُرجـــى إذْ نُشَائحْ (٧)
أصحــــاب أُحُد غَالهم ... دَهـــر ألـــم له جَوارحْ
مَنْ كَان فَارســـــنَا وَحا ... مينا إذا بَعثَ المســـالحْ (٨)

(١) الملحات : الثابتات · الدوالح : التى تحمل ثقلا ·
(٢) الخامشات : الخادشات ·
(٣) المسائح : ذوائب الشعر ·
(٤) الشمس : النافرة ·
(٥) يذعذع : يغرق · البوارح : الرياح الشديدة ·
(٦) المجل : الجرح · جلب : قشور الجروح ، القوارح : المؤلمة ·
(٧) أقصد : أصاب · نشائح : نحذر ·
(٨) المسالح : من يحملون السلاح ·

يَا حَمـــــزُ ، لاَ والله لا | أنساكَ مَاصـــر اللقائِحْ (١)
لمنـــــاخ أيتـــــام وأضيا | ف وأَرْمَلة تـــــلامحْ (٢)
ولما ينَوبُ الدَّهـــــر فِى | حَرْب لحـــرب وهَى لافحْ (٣)
يَا فَارِســـــًا يَا مدرها | يا حمزُ قَد كُنتَ المصامِحْ (٤)
عَنا شَدِيـــــدات الخطـــــو | بِ إذا ينـــــوبُ لهنّ فادِحْ
ذَكَّرتنى أســـــد الرســـــو | ل ، وذاكَ مدرهَنا المنافِحْ
عَنَّا وكان يُعـــــد إذ | عد الشـــريفونَ الجَحَاجِحْ (٥)
يَعلُو القَمـــــاقم جَهرة سبط | اليديـــــن أغَر وَاضِحْ (٦)
لا طائـــــش رَعش وَلا | ذُو علَّة بَالحمـــلِ آنِحْ (٧)
بَحر فَلَيسَ يَغـــــب جَا | رًا مِنْه سَيـــب أو مُنَادَحْ (٨)
أودى شَبَاب أولـــــى الحفـــ | ـائظ الثقيـــلونَ المراجِحْ (٩)
المطعـــــمونَ إذا المشـــــتَا | تِى ما يصـــففهن نَاضِحْ (١٠)
لَحـــم الجـــلادِ وَفَوقهُ | مِنْ شَحْمه شُطُبٌ شَرَائحْ (١١)
ليدافعوا عَنْ جَارهـــــم | مَا رام ذُو الضـــغنَ المكاشِحْ
لهفى لشبـــان رزئنـــا | هم كَأنهـــم المصابِحْ

---

(١) صر : ربط . اللقائح : النوق التى لها لبن . وقوله يا حمز : أى يا حمزة ، حذفت التاء لضرورة الوزن والتفعيلة .

(٢) المناخ : مكان النزول : تلامح : تنظر سريعا .

(٣) لاقح : زائد شرها .

(٤) المدرة : المدافع . المصامح : شديد الدفع .

(٥) الجحاجح : السادة . (٦) القماقم : السادة .

(٧) آنح : ثقيل فى مشيه .

(٨) السيب: العطاء . المنادح : جمع مندحة ، وهى السعة .

(٩) المراجح : ذوو الحلم .

(١٠) يصففهن : يحلهن . الناضح : من شرب دون أن يرتوى .

(١١) الشطب : طرائق السيف .

شَمٌّ ، بَطارقــــةٌ ، غَطــــا رفة، خَضارمة ، مَســامح (١)
المشــتَرونَ الحــــمدَ بالــأ موال إنَّ الحــمد رَابِحْ

قال ابن إسحاق : وقال أبو زعنة بن عبد الله بن عمرو بن عتبة ، أخو بنى جشم بن الخزرج يوم أُحد :

أنَا أبو زُعْنَة يعدو بى الهــزم لَمْ تَمــنع المخْزَاة إلا بالألم
يَحْمى الذمار خَزْرجى من جَشم

• شعر على :

قال ابن إسحاق : وقال على بن أبى طالب – قال ابن هشام : قالها رجل من المسلمين يوم أحد غير علىّ ، فيما ذكر لى بعض أهل العلم بالشعر ولم أر أحد منهم يعرفها لعلىّ :

لاَ هم إن الحــارث بن الصِّمَّة كَان وفيًّا وبِنَــا ذَا ذمَّه
أَقبلَ فــى مَهَامَةَ مُهِمَّة كَليلة ظَلمــاءُ مُدْلَهِمَّه (٢)
بَيْنَ سَـيُوفٍ ورِماح جَمَّه يَبْغى رَســول الله فَيما ثَمه

قال ابن هشام : قوله : « كليلة » عن غير ابن إسحاق .

• رجز عكرمة :

قال ابن إسحاق : وقال عكرمة بن أبى جهل فى يوم أُحد :

كلهم يزجره أرحــب هلا ولن يروه اليـــوم إلا مقبلا
يحمل رمحًا ورئيسًا جَحفلا

• صفية تبكى حمزة :

قال ابن إسحاق : وقالت صفــية بنت عبد المـــطلب تبكى أخاها حمزة بن عبد المطلب :

---

(١) الشم : الأعزاء . والبطارقة فى الأصل الرؤساء الدينيون عند المسيحيين ، ويقصد بها هنا الرؤساء مطلقا ، والغطارفة : السادة . والخضارمة : من يكثرون العطاء .
(٢) المهامه : القفار .

أسَائلةٌ أَصحاب أُحُد مَخافة بَنَات أبى من أعجـــم وخبير
فَقال الخَبير إن حَمْزة قَد ثَوى وزيرُ رَســول الله خَير وَزير
دَعاه إله الحق ذُو العَرشِ دَعْوَة إلى جَنَّة يَحيَا بهـا وَسرور
فَذلك ما كُنَّا نُرجِّى ونَرتَجى لحمزَة يــوم الحشْر خَير مَصير
فَوالله لا أَنساكَ ما هَبَّت الصَّبا بُكَاء وحُزْنا محضَرى ومَسيرى
عَلى أَسد الله الذى كان مدْرَهَا يَذُود عن الإِســلامِ كل كَفُور (١)
فَياليت شَلْوى عنْد ذاك وأَعظمى لَدى أَضْبع تَعْتَادنى ونَسُور (٢)
أقول وَقد أَعلى النَّعى عَشِيرتى جَزَى اللهُ خيرًا من أخ ونَصير

* نعم ترثي حمزة :

قال ابن إسحاق : وقالت نِعْم · امرأة شَّماس بن عثمان ، تبكى شمَّاسا وقد أُصيب يوم أحد :

يَا عَينَ جُودى بِفَيضٍ غَير إبسَاسِ عَلى كَرِيم من الفِتْيَان إبَّاسِ (٣)
صَعْب البديهة مَيمُون نَقَيبتُهُ حَمَّال ألويــة رَكَّاب أفَراسِ
أَقولُ لما أتى الناعى لَهُ جَزَعًا أودى الجواد وأودى المطعم الكاسى
وقُلْتُ لَمَا خَلتْ منه مَجَالسهُ لاَ يَبْعد الله عَنَّا قُربَ شَمَاسِ

فأجابها أخوها ، وهو أبو الحكم بن سعيد بن يربوع ، يعزِّيها ، فقال :

أَقْنى حَياءك فِى سِترٍ وَفى كَرَم فَإنما كَان شَمَاسٌ مِنَ الناسِ
لاَ تَقْتُلى النَّفس إذا حانت مَنِيَّته فِى طاعة الله يوم الرَّوعِ والباسِ (٤)
قَد كان حَمزة لَيث الله فَاصطبِرى فَذاق يَومئذ من كَأس شَمَاسِ

---

(١) المدرة : من يدافع عن القوم ·

(٢) الشلو : بقية الفريسة ·

(٣) الإبساس فى الأصل : مسح درع الناقة والقول لها : بس بس لتدر ، فالإبساس فيه تكلف ، وغير الإبساس : أى بغير تكلف ، والإباس : الشديد ·

(٤) الباس : أى البأس وهذا يسمى التسهيل « حذف الهمزة » ·

• شعر هند بعد عودتها من أُحد [١] :

وقالت هند بنت عتبة ، حين انصرف المشركون عن أحد :

رَجعتُ وفى نفسى بَلابِل جَمَّةٌ ... وَقد فاتنى بعض الذى كان مَطلبى [٢]
مِنْ أَصحاب بَدْرٍ منَ قُريش وغَيرهم ... بنى هاشم مِنهم ومن أَهل يثْرِب
ولكننى قد نلتُ شيئًا ولم يكن ... كما كنت أرجو فى مسيرى ومركبى [٣]

* * *

(١) هند بنت عتبة : وكانت وقتها مشركة لأنها أسلمت يوم فتح مكة فى السنة الثامنة للهجرة وتابت على ما فعلته وما فعلته بجثة حمزة يوم أحد .

(٢) البلابل : الأحزان .

(٣) تقصد بقولها : قد نلت شيئًا أى ما فعلته بحمزة بن عبد المطلب أنها بعدما قتله وحشى غلام مطعم بن جبير أخذته ومثلت بجثته وأخرجت كبده - ﷺ - ، ومضغته لكنها لم تستطع بلعه فلفظته ؛ وذلك لحقدها على المسلمين وعلى حمزة الذى قتل أخاها يوم بدر ففعلت ما فعلت ثأرًا ، ولكن عند فتح مكة أسلمت وتابت وحسن إسلامها ، وهى زوجة أبى سفيان .

ذِكرُ يَوْم الرَّجِيع فى سنة ثلاث

• مَقْتَل خُبَيْبٌ وأصحابه [١] :

عن زياد بن عبد الله البكّائى عن محمد بن إسحاق المطلبى قال :

حدثنا عاصم بن عُمر بن قتادة قال :

قدم على رسول الله ﷺ بعد أُحد رهط من عضل والقارة [٢] .

قال ابن إسحاق : فقالوا : يا رسول الله ، إن فينا إسلامًا [٣] ، فابعث معنا نفرًا من أصحابك يفقهوننا فى الدين ، ويقرئوننا القرآن ، ويعلمــوننا شرائع الإسلام ·

فبعث رسول الله ﷺ نفرًا ستة [٤] من أصحابه ، وهم : مرثد بن أبى مرثد الغنوى ، حليف حمزة بن عبد المطلب وخالد بن البكير الليثى ، حليف بنى عدى ابن كعب ، وعاصم بن ثابت بن أبى الأقلح ، أخو بنى عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، وخُبيب بن عَدِى ، أخو بنى جحجبى بن كلفة بن عمرو بن عوف ، وزيد ابن الدثّنة بن معاوية أخو بنى بياضة بن عمر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غصب بن جشم بن الخزرج ، وعبد الله بن طارق حليف بنى ظفر بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس ·

* خديعة عضَل والقارة :

وأمَّر رسول الله ﷺ على القوم مرثد بن أبى مرثد الغنوى فخرج مع القوم · حتى إذا كانوا على الرجيع ، ماء لهذيل بناحية الحجاز ، على صدر الهدأة [٥] غدروا بهم ، فاستصرخوا عليهم هُذيلا ، فلم يرع القوم ، وهم فى رحالهم ، إلا الرجال

---

(١) هو خبيب بن عدى أحد قراء المسلمين ·

(٢) عضل والقارة : بجوار مكة من بنى خزيمة ·

(٣) أى : إننا دخلنا فى الإسلام ·

(٤) ذكر البخارى أنهم كانوا عشرة : ستة من المهاجرين وأربعة من الأنصار ·

(٥) الهدأة : موضع بين عسفان ومكة ·

بأيديهم السيوف ، قد غشوهم ، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوهم فقالوا لهم : إنا والله ما نريد قتلكم ، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئًا من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقة أن لا نقتلكم .

• استشهاد مَرْثد وابن البكير وعاصم :

فأما مرثد بن أبى مرثد . وخالدبن البكير ، وعاصم بن ثابت فقالوا : الله لا نقبل من مشرك عهدًا ولا عقدًا أبدًا ، فقال عاصم بن ثابت :

مَا عِلَّتى وأنا جَــلد نَابِلْ ... والقَــوْسُ فِيها وتَر عَنابِلْ [١]
تَزِل عن صَفْحَتَــها المعَابِلْ ... الموتُ حَقٌ والحيــاةُ بَاطِلْ [٢]
وَكلُّ مَا حَــمَّ الإلَهُ نَازِلْ ... بالمرءِ والمــرءُ إليــه آئِلْ [٣]
إنْ لَم أقَاتِلكم فَأُمِــى هَابِلْ

وقال عاصم بن ثابت أيضًا :

أَبُو سُلَيمان وَمِثلــى رَامى ... وكَانَ قَومِى مَعْشرًا كِرامَـــا

وكان عاصم بن ثابت يكنى : أبا سليمان ، ثم قاتل القوم حتى قتل ، وقتل صاحباه [٤] .

* الزنابير تحمى جثة عاصم [٥] :

فلما قُتل عاصم ارادت هذيل أخذ رأسه ، ليبيعوه من سُلافة بنت سعد بن شهيد ، وكانت قد نذرت حين أصاب [٦] ابنيها يوم أُحد : لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن فى قحفة الخمر [٧] ، فمنعه الدبر [٨] ، فلما حالت بينه وبينهم قالوا : دعوه يمسى [٩] فتذهب عنه ، فنأخذه فبعث الله الوادى ، فاحتمل عاصما ، فذهب به .

---

(١) النابل : صاحب النبل ، العنابل : الشديد .
(٢) المعابل : الأنصال العريضة . (٣) آئل : صائر .
(٤) أى مرثد بن أبى مرثد ، وخالد بن البكير رضى الله عنهما .
(٥) الزنابير : وهى جند من جنود الله حفظه الله بها عنهم ، وحماه منهم .
(٦) أى أصاب عاصم ابنها .
(٧) أى تجعل رأسه أوجمجمته كأسًا تشرب فيها الخمر .
(٨) الدبر : أى الزنابير . (٩) يمسى : أى للمساء .

وقد كان عاصم قد أعطى الله عهداً أن لا يمسه مشرك،ولا يمس مشركا أبداً ، تنجسا ، فكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول : حين بلغه أن الدبر منعته : يحّفظ الله العبد المؤمن ، كان عاصم نذر أن لا يمسه مشركا ، ولا يمس مشركا أبدا فى حياته ، فمنعه الله بعد وفاته ، كما امتنع منه فى حياته (١) .

* استشهاد عبد الله بن طارق :

وأما زيد بن الدَّثِنة وخُبيب بن عدى وعبد الله بن طارق فلانوا ورقوا ورغبوا فى الحياة فأعطوا بأيديهم ، فأسروهم ، ثم خرجوا إلى مكة ليبيعوهم بها ، حتى إذا كانوا بالظهران (٢) انتزع عبد الله بن طارق ﷺ يده من القران (٣) ثم أخذ سيفه ، واستأخر عنه القوم ، فرموه بالحجارة حتى قتلوه ، فقبره رحمه الله بالظهران .

قال ابن إسحاق : قال عاصم ، ثم خرجوا بخبيب ، حتى إذا جاءوا به إلى التنعيم ليصلبوه ، قال لهم : إن رأيتم أن تدعـــونى حتى أركع ركعتين فافعلوا ، قالوا : دونك فاركع ، فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا أن تظنوا أنى إنما طولت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة . قال : فكان خُبيب بن عدى أول من سن هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين (٤) قال : ثم رفعوه على خشبة ، فلما أوثقوه ، قال : اللهم إنَّا قد بلغنا رسالة رسولك ، فبلغه الغداة ما يُصنع بنا ، ثم قال : اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً (٥) ، ولا تغادر منهم أحدا ، ثم قتلوه رحمه الله .

فكان معاوية بن أبى سفيان يقول : حضرته يومئذ فيـــمن حضره مع أبى سفيان ، فلقد رأيته يلقينى إلى الأرض فرقا من دعوة خُبيب ، وكانوا يقولون : إن الرجل إذا دعى عليه ، فاضطجع لجنبه زالت عنه .

---

(١) وصدق الله إذ يقول : ﴿ **إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم تقوم الأشهاد** ﴾ فحماه الله واستجاب الله دعاءَه .

(٢) الظهران : واد قريب من مكة .

(٣) القِران : الحبل الذى يربط به الأسير .

(٤) وقد صار فعل خُبيب سنة أو فعلاً حـــسنًا يقتدى به والصلاة خير ما يختم بها العبد ، حياته ، والرسول ﷺ يقول : من سنَّ سُنَّةً حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها » .

(٥) بدَدا : أى متفرقين .

قال ابن إسحاق : حدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد ، عن عقبة بن الحارث ، قال سمعته يقول : ما أنا والله قتلت خبيبا ، لأنى كنت أصغر من ذلك ، ولكن أبا ميسرة أخا بنى عبد الدار ، اخذ الحربة فجعلها فى يدى ثم أخذ بيدى وبالحربة ، ثم طعنه بها حتى قتله .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا ، قال : كان عمر بن الخطاب ﷺ استعمل سعيد بن عامر بن حذيم الجمحى على بعض الشام ، فكانت تصيبه غشية ، وهو بين ظهرى القوم ، فذكر ذلك لعمر بن الخطاب ، وقيل : إن الرجل مصاب ، فسأله عمر فى قدمة قدمها عليه ، فقال : يا سعيد ، ما هذا الذى يصيبك ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما بى من بأسٍ ، ولكنى كنتُ فيمن حضر خُبيب بن عدى حين قتل [١] ، وسمعت دعوته ، فوالله ما خطرت على قلبى وأنا فى مجلس قط إلاّ غُشى على [٢] ، فزادته عند عمر خيراً .

* ما نزل من القرآن فى سَرِيَّة الرجيع :

قال ابن إسحاق : وكان مما نزل من القرآن فى تلك السرية ، كما حدثنى مولى لآل زيد بن ثابت ، عن عِكرمة مولى ابن عبـــاس ، أو عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس . قال : قال ابن عباس : لما أصيبت السرية التى كان فيها مرثد وعاصم بالرجيع ، قال رجل من المنافقين : يا ويح هؤلاء المفـــتونين الذين هلكوا لاهم قعدوا فى أهليهم ، ولا أدوا رسالة صاحبهم ؟ فأنزل الله تعالى فى ذلك من قول المنافقين وما أصاب أولئك النفر من الخير الذى أصابهم ، فقال سبحانه [٣] : ﴿ **ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا** ﴾ أى يظهر من الإسلام بلسانه ، ﴿ **ويشهد الله على ما فى قلبه** ﴾ وهو مخالف لما يقول بلسانه ، ﴿ **وهو ألد الخصام** ﴾ .

أى : ذو جدال إذا كلمك وراجعك .

قال ابن إسحاق : قال تعالى : ﴿ **وإذَا تَولى** ﴾ أى خرج من عندك : ﴿ **سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد** ﴾ أى لا يحب عمله ولا يرضاه . ﴿ **وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس**

(١) وكان سعيد وقتها كافراً .

(٢) غُشى على: أى اغمى على وهذا خير دليل على أن الله استجاب دعوة خبيب المظلوم.

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٠٤ .

المهاد ومـــــن الناس من يشـــري نفـــسه ابتغـــــاد مرضـات الله ، والله رءوف بالعباد ﴾ (١) .

* **شعر خُبَيب :**

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل فى ذلك من الشعر ، قول خُبيب بن عدى ، حين بلغه أن القوم قد اجتمعوا لصلبه :

لقد جَمع الأحْزَاب حَوْلِى وألَّبُوا ... قَبَائلهُم واستَجْمَعُوا كل مَجمع (٢)
وكلهم مُبْدِى العَدَاوةَ جَاهدٌ ... علىَّ لأنى فى وَثَاقٍ بمضَيع
وَقَدْ جَمعوا أبناءهم ونِساءَهم ... وقَربت من جَذْعٍ طَوِيل ممنع
إلى الله أشكُو غُرْبتى ثم كُرْبتَى ... ومَا أرصدُ الأحزابُ لى عند مَصرَعى
فَذا العرش، صَبرنى عَلى ما يُراد بى ... فقَدبضَّعوا لحمى وقَد ياس مَطْمَعى (٣)
وذَلك فى ذَاتِ الإله وإن يشأ ... يُبَارك على أوْصَالِ شَلْوٍ ممزع (٤)
وقَد خيَّرونى الكفر والموت دُونَهُ ... وَقَدْ هَملت عَيناى من غير مَجزَع
ومَا بى حَذار الموتِ إنى لميتٌ ... وَلكِن حَذارى جَحم نَار ملفع (٥)
فَوالله ما أرجُو إذا متُّ مُسْلما ... على أى جَنْب كَان فى الله مَصْرَعى
فَلستُ بمُـــــبد للعَدو تَخشُّعا ... وَلا جزَعا إنى إلى الله مَرْجَعى

* **حسان يبكى خبيبًا :**

وقال حسان بن ثابت يبكى خبيبا :

مَا بَالُ عَيْنُكَ لاَ تَرقَأُ مَدامعُهَا ... سَحًّا على الصَّدْرِ مَثل اللؤلؤ القَلَق (٦)
عَلى خُبيبٍ فى الفِتيان قَد عَلموا ... لا فَشل حِين تَلقـــاه ولا نَزَق

---

(١) سورة البقرة : الآيات ٢٠٥ - ٢٠٧ .
(٢) ألبوا : أى جمعوا .
(٣) ياس : أى يأس وهذا يسمى تسهيل بحذف الهمزة ، بضعوا : أى قطعوا .
(٤) الشلو : بقية الشىء .
(٥) ملفع : مشتمل .
(٦) القلق : المتحرك .

فَاذهب خُبيبٌ جَزَاكَ اللهُ طيبة　　وجَنة الخُلْدِ عند الحور فى الرفق (١)
مَاذا تَقولون إن قَالَ النبىُّ لكم　　حين الملائكـــة الأبَرار فى الأفقِ
فيمَ قَتلتم شَهيد اللهِ فِى رَجُلٍ　　طَاغٍ قَد اوعث فى البُلْدان والرفق ؟! (٢)

وقال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضًا يبكى خُبيبا (٣) :

يَا عينُ جودى بَدمْعٍ منــك مَنْسكب　　وَابكى خُبيبًا مع الفتيان لَم يَؤُب
صقرًا تَوسَّط فى الأنصـــار مَنْصِبهُ　　سَمْح السَّجية مَحْضًا غير مُؤْتشب (٤)
قَد هَاج عَيْنِى عَلى عَلاَّت عَبْرَتها　　إذْ قيل نُص إلى جَذع من الخَشَبِ (٥)
يَأيها الراكبُ الغَـــادى لِطَيَّته　　أَبلغ لَديك وعيدًا ليس بالكَذبِ (٦)
بَنى كهيبةَ إن الحـــرب قد لَقِحتْ　　مَحْلوبها الصاب إذ تُمرى لمحتلب (٧)
فيها أُسُودُ بني النجَّـــار تَقْدمهم　　شُهْبُ الأسنَّةِ فى مُعْصَوصب لجب (٨)

قل ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضًا :

لَو كان فى الدار قَرم ماجدٌ بَطل　　ألْوى من القوم صقر خَاله أَنسُ (٩)
إذن وَجدتُ خــبيبًا مَجلسا فَسحا　　وَلم يشـــد عَليك السجنُ والحرسُ

---

(١) الرفق : جمع رفيق .

(٢) أوعث : أفسد ، قد هنا بمعنى « هل » والشاعر يسألهم متعجبًا والاستفهام هنا غرضه الإنكار والتعجب .

(١) قال ابن هشام : هذه القصيدة مثل التى قبلها ، وبعض أهل العلم بالشعر ينكرهما لحسان .

(٤) المحض : الخالص ، غير مؤتشب : غير مختلط .

(٥) نُص : رفع .

(٦) الطية : ما تنطوى عليه النية .

(٧) جعل كهيبة كأنه اسم علم لأمهم ، كما يقال : بنى الغبراء ، وبنى درزة ، وهذا كله اسم لمن يُسب ، وعبارة عن السفلة من الناس ، كهيبة من الكهبة وهى العبرة ؛ لأنهم إخوة القارة ، والمشاركون لهم فى الغدر بخبيب وأصحابه وهذيل وخزيمة أبناء مدركة بن إلياس ، وعضل والقارة من بنى خزيمة . انظر الروض الأنف .

(٨) المعصوصب : الجيش الكبير كثير العدد ، لجب : كثير الأصوات .

(٩) لوى : شديد الخصومة .

وَلم تَسقك إلى التنعيم زَعنفة ... مَن القبائل منهم من نَفَتْ عَدسُ (١)
دلَّوك غـــدرا وهم فيها أولى خُلف ... وأنت ضيم لها فى الدار مُحتبسُ (٢) .

● الذين اجتمعوا لقتل خُبيب :

قال ابن إسحاق : وكان الذين أجلبوا على خبيب فى قتله حين قتل من قريش: عكرمة بن أبى جهل ، وسعيد بن عبد الله بن أبى قيس بن عبد ود ، والأخنس بن شريق الثقفى ، حليف بنى زهرة ، وعبيدة بن حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمى ، حليف بنى أمية بن عبد شمس وأمية بن أبى عتبة ، وبنو الحضرمى .

* هجاء حسان هزيلا :

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يهجو هزيلاً :

إن سَركَ الغَدْر صرفا لا مزاجَ لَهُ ... فَأتِ الرَّجيع فَسل عن دَارِ لحيانِ
قَوم تَواصوا بِأكل الجار بَينهم ... فالكلبُ والقِردُ والإنسانُ مِثْلانِ
لو ينطقُ التيسُ يَوما قام يَخطبهم ... وكان ذَا شَرَف فيهم وذا شَانِ

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضًا يهجو هذيلاً :

سَألت هُذَيل رَسول الله فَاحشةً ... ضَلَّت هُذَيلٌ بما سالتْ ولَم تُصبِ (٣)
سَألوا رَسولهمُ مَا ليسَ مُعطيهم ... حَتى الممات ، وكانوا سبَّةَ العَربِ
ولَن ترى لِهُذيلَ دَاعياً أبداً ... يَدعو لِمَكرُمة عَن منزل الحربِ
لَقد أرادوا خِلال الفُحش ويحهمُ ... وأن يُحِلوا حَراما كان فى الكتبِ

* حسان يبكى خُبيًا وأصحابه :

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يبكى خُبيبا وأصحابه :

صَلَّى الإله على الذين تَتَـــابعُوا ... يَوم الرَّجيع فأكرمـــــوا وأُثيبوا
رَأسِ السرية مَرثَد وأميـــــرهم ... وابن البُكير إمامهـــــم وخُبيبُ
وابَنٌ لطَارق وابن دَثْنَةَ منهـــــم ... وافاه ثم حَمـــــامه المكتوبُ
والعَاصِمُ المقتولُ عنـــد رَجِيعهم ... كَسب المعَالـــــى إنه لَكَسُوبُ
مَنعَ المقادة أنَ ينـــالوا ظَهْره ... حَتَّى يُجَالد إنـــــه لنَجيبُ

(١) الزعنفة : الذين ليسوا خُلصًا فى القبائل بل المنتمين إليها ، عدس : اسم قبيلة .
(٢) دلَّوك : غروك . (٣) سالت : أى سألت تسهيل بحذف الهمزة .

حَدِيثُ بئر مَعُونة [١] في صفر سنة أربع

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله ﷺ بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة - وولى تلك الحجة المشركون والمحرم - ثم بعث رسول الله ﷺ أصحاب بئر معونة في صفر ، على رأس أربعة أشهر من أحد .

● سبب الإرسال :

وكان من حديثهم ، كما حدثنى أبى إسحاق بن يسار عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وعبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وغيره من أهل العلم . قالوا : قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة [٢] على رسول الله ﷺ المدينة ، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام ، ودعاه إليه ، فلم يسلم ولم يبعد من الإسلام ، وقال : يا محمد ، لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك ، روجت أن يستجيبوا لك ، فقال رسول الله ﷺ : إنى أخشى عليهم أهل نجد ، قال أبو براء : أنا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك .

● أسماءُ خيار المسلمين الذين أرسلوا إلى بئر معونة :

فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو ، أخا بنى ساعدة المعنق ليموت [٣] فى أربعين رجلاً [٤] من أصحابه ، من خيار المسلمين ، منهم : الحارث بن الصمة ،

---

(١) بئر معونة : تقع بين بنى عامر وحرة بنى سليم وهى إلى الحرة أقرب ، وقيل هى ماء لبنى عامر بن صعصعة .

(٢) سمى بذلك فى يوم سوبان ، وهو يوم كانت فيه وقيعة فى أيام جبلة ، وهى أيام حرب كانت بين قيس وتميم وجبلة اسم لهضبة عالية ، وكان سبب تسميته في يوم سوبان ملاعب الأسنة أن أخاه الذى يقال له : فارس قرزل وهو طفيل بن مالك كان أسلمه فى ذلك اليوم ، وفر فقال عمر :

فررت وأسلمت ابن أمك عامراً   يلاعب أطراف الوشيج المزعزع

(٣) أى المسرع : وهو لقب لُقب به لأنه أسرع إلى الموت .

(٤) الصحيح : أنهم كانوا سبعين كما جاء فى البخارى ومسلم .

وحرام بن ملحان بنى عدى بن النجار ، وعروة بن أسماء بن الصلت السلمى ، ونافع ابن بديل بن ورقاء الخزاعى ، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر الصديق ، فى رجال مسلمين من خيار المسلمين ، فساروا حتى نزلوا ببئر معونة ، وهي بين أرض بنى عامر وحرة بنى سليم ، كلا البلدين منها قريب ، وهى إلى حرة بنى سليم أقرب .

• خيانة بنى عامر إياهم :

فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان [١] بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل ، فلما أتاه لم ينظر فى كتابه حتى عدا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بنى عامر فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه ، وقالوا : لن نخفر [٢] أبا براء ، وقد عقد لهم عقداً وجواراً ، فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم من عُصية ورعل وذكوان ، فأجابوه إلى ذلك ، فخرجوا حتى غشوا القوم ، فأحاطوا بهم فى رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ، ثم قاتلوهم حتى قتلوا من عند آخرهم ، يرحمهم الله ، إلا كعب بن زيد ، أخا بنى دينار بن النجار ، فإنهم تركوه وبه رمق ، فارتث [٣] من بين القتلى ، فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيداً ، رحمه الله .

• موقف ابن أمية والمنذر :

وكان فى سرح القوم عمرو بن أمية الضمرى ، ورجل من الأنصار ، أحد بنى عمرو بن عوف [٤] .

قال ابن إسحاق : فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على العسكر ، فقالا : والله إن لهذه الطير لشأنا ، فأقبلا لينظرا ، فإذا القوم فى دمائهم ، وإذا الخيل التى أصابتهم واقفة فقال الأنصارى لعمرو بن أمية : ما ترى ؟ قال : أرى أن نلحق برسول الله ﷺ ، فنخبره الخبر ، فقال الأنصارى : لكنى ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قُتل فيه المنذر بن عمرو ، وما كنت لتخبرنى عنه الرجال ، ثم قاتل القوم

(١) أمه أم حرام روت بعض أحاديث رسول الله ﷺ .
(٢) أى لن ننقض عهده ، الإخفار : نقض العهد .
(٣) أى رفع من بين القتلى وفيه رمق .
(٤) قال ابن هشام : هو المنذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح .

حتى قتل ، وأخذوا عمرو بن أمية أسيراً ، فلما أخبرهم أنه من مضر ، أطلقه عامر ابن الطفيل ، وجز ناصيته ، وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه ·

فخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة [١] ، أقبل رجلان من بنى عامر ·

قال ابن إسحاق : حتى نزلا معه فى ظل هو فيه ، وكان مع العامريين عقد من رسول الله ﷺ وجوار ، لم يعلم به عمرو بن أمية ، وقد سألهما حين نزلا ، ممن أنتما ؟ فقالا من بنى عامر ، فأمهلهما ، حتى إذا ناما ، عدا عليهما فقتلهما وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثؤرة من بنى عامر ، فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ ، فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ ، فأخبره الخبر قال رسول الله ﷺ لقد قتلت قتيلين « لأدينهما » ·

• حُزْن الرسول من فعل أبى بَراء :

ثم قال رسول الله ﷺ : هذا عمل أبى براء ، قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً · فبلغ ذلك أبا براء ، فشق عليه إخفار عامر إياه ، وما أصاب أصحاب رسول الله ﷺ ، بسببه وجواره ، وكان فيمن أصيب عامر بن فهيرة ·

• ما حدث لابن فهيرة بعد مقتله :

قال ابن إسحاق : فحدثنى هشام بن عروة ، عن أبيه : أن عامر بن الطفيل كان يقول من رجل منهم لما قتل رأيته رفع بين السماء والأرض ، حتى رأيت السماء من دونه ؟ قالوا : هو عامر بن فُهَيرة ·

• إسلام ابن سَلْمَى :

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى بعض بنى جبار بن سلمة بن مالك بن جعفر قال - وكان جبار فيمن حضرها يومئذ مع عامر ثم أسلم - قال فكان يقول : إن مما دعانى إلى الإسلام أنى طعنت رجلاً منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه ، فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره ، فسمعته يقول : فزت والله فقلت فى نفسى : ما فاز · ألست قد قتلت الرجل ؟ قال : حتى سألت بعد ذلك عن قوله ، فقالوا : للشهادة فقلت : فاز لعمرو الله ·

---

(١) مكان بناحية عدن قريب من المدينة المنورة ·

• تحريض حسان بني البراء على عامر :

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يحرض بنى براء على عامر بن الطفيل :

بنى أُم البَنين ألم يَرُعكم ... وأنتم من ذَوائبِ أهل نَجْدِ (١)
تهكم عَامر بأبى بَراء ... ليخفره وما خطأ كعَمْدِ
الا أبلغ ربيعةَ ذَا المسَاعى ... فَما أحدثت فى الحِدْثان بَعْدى
أبُوك أبو الحروبِ أبو بَراءِ ... وَخالُك مَاجد حكم بن سعدِ

* طَعْنُ عَامر :

قال ابن إسحاق : فحمل ربيعة بن عامر بن مالك على عامر بن الطفيل فطعنه بالرمح فوقع فى فخذه ، فأشواه ، ووقع عن فرسه ، فقال هذا عمل أبى براء ، إن أمُتْ فدمى لعمى فلا يتبعن به ، وإن أعش فسأرى رأيى فيما أتى إلىَّ .

* * *

(١) أم البنين : هى ليلى بنت عامر التى يذكرها لبيد فى قوله :
نحن بنى أم البنين الأربعة
ولم يكونوا أربعة بل كانوا إخوة خمسة طفيل فارس قرزل ، عامر مُلاعب الأسنة ، ربيعة المقرين وهو والد لبيد ، وعبيد الوضاح ، ومعاوية معوذ الحكماء . وقال لبيد : الأربعة ؛ لأن أباه ربيعة قد كان مات قبل ذلك .

أمر إجلاء بَنى النَّضِير
فى سنة أربع

• سبب خروج النبى ﷺ إلى بنى النَّضِير :

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بنى النضير يستعينهم فى دية ذينك [١] القتيلين من بنى عامر ، اللذين قتل عمرو بن أمية الضمرى ، للجوار الذى كان رسول الله عقدهُ لهما ، كما حدثنى يزيد بن رومان ، وكان بين بنى النضير وبين بنى عامر عقد وحلف ، فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم فى دية ذينك القتيلين ، قالوا نعم ، يا أبا القاسم [٢] ، نعينك على ما أحببت ، مما استعنت بنا عليه ثم خلا بعضهم ببعض ، فقالوا إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد - فمن رجل يعلو على هذا البيت ، فيلقى عليه صخرة ، فيريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب ، أحدهما ، فقال : أنا لذلك ، فصعد ليلقى عليه صخرة كما قال ، ورسول الله ﷺ فى نفر من أصحابه ، فيهم أبو بكر وعمر وعلى رضوان الله عليهم .

• انكشاف غدرهم ومحاربتهم :

فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم ، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة . فلما استلبث النبى ﷺ أصحابه ، قاموا فى طلبه ، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه عنه . فقال : رأيته داخلاً المدينة ، فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه ﷺ فأخبرهم الخبر ، بما كانت اليهود أرادت من الغدر به ، وأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم ، والسير إليهم [٣] .

(١) مثنى مذكر للبعيد .

(٢) كنية الرسول ﷺ ولا يتكنى بها غيره لحديثه ﷺ : « تسموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى » .

(٣) قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قال ابن إسحاق : ثم سار بالناس حتى نزل بهم .

• **حصار بنى النضير :**

قال ابن إسحاق : فتحصنوا منه فى الحصون ، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها ، فنادوه : أن يا محمد ، قد كنت تنهى عن الفساد ، وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخل وتحريقها (١) .

وقد كان رهط من بنى عوف بن الخزرج ، منهم عدو الله عبد الله بن أبى بن سلول ووديعة ومالك بن أبى قوقل ، وسويد وداعس ، قد بعثوا إلى بنى النضير أن أثبتوا وتمنعوا ، فإنا لن نسلمكم ، إن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتم خرجنا معكم ، فتربصوا ذلك من نصرهم ، فلم يفعلوا ، وقذف الله فى قلوبهم الرعب ، وسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم ويكف عن دمائهم ، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة (٢) ففعل . فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف (٣) بابه ، فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به . فخرجوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام .

فكان أشرافهم من سار منهم إلى خيبر : سلام بن أبى الحقيق وكنانة بن الربيع ابن أبى الحقيق ، وحيى بن أخطب ، فلما نزلوها دان لهم أهلها .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدث : أنهم استقلوا بالنساء والأموال ، معهم الدفوف والمزامير ، والقيان (٤) يعزفن خلفهم ، وإن فيهم لأم عمرو صاحبة عروة بن الورد العبسِى ، التى ابتاعوا منه وكانت إحدى نساء بنى غفار (٥) بزهاء وفخر ما رئى مثله من حى من الناس فى زمانهم .

---

(١) قال أهل التأويل : وقع فى نفوس المسلمين من هذا الكلام شىء حتى أنزل الله تعالى : ﴿ **ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها** ﴾ واللينة الوان التمر ما عدا العجوة والبرنى ففى هذه الآية أن النبى ﷺ لم يحرق من نخلهم إلا ما ليس بقوت للناس وكانوا يقتاتون العجوة . (٢) الحلقة : أى السلاح .

(٣) نجاف الباب : أى عتبة الباب العليا . (٤) القيان : المغنيات .

(٥) لم يذكر اسمها فى رواية البكائى عنه ، وذكره فى غيرها وهى : سلمى قال الأصمعى : هى سلمى بنت شعواء ، قال أبو الفرج : هى سلمى أم وهب امرأة من كنانة وكنانة من غفار .

وخلوا الأموال لرسول الله ﷺ ، فكانت لرسول الله ﷺ خاصة ، يضعها حيث يشاء ، فقسمها رسول الله ﷺ على المهاجرين الأولين دون الأنصار ، إلا أن سهل بن حنيف وأبا دجانة سماك بن خرشة ذكرا فقرا ، فأعطاهما رسول الله ﷺ .

ولم يسلم من بنى النضير إلا رجلان : يامين بن عمير ، أبو كعب بن عمرو بن جحاش ، وأبو سعد بن وهب ، أسلما على أموالهما فأحرزاها .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى بعض آل يامين : أن رسول الله ﷺ قال : ليامين : ألم تر ما لقيت من ابن عمك ، وما هم به من شأنى ؟ فجعل يامين بن عمير لرجل جُعلا على أن يقتل له عمرو بن جحاش ، فقتله فيما يزعمون .

ما نزل فى بنى النضير من القرآن : ونزل فى بنى النضير سورة الحشر بأسرها ، يذكر فيها ما أصابهم الله به من نقمته وما سلط عليهم به رسوله ﷺ ، وما عمل به فيهم ، فقال تعالى : ﴿ **هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين** ﴾ [(١)] ، وذلك لهدمهم بيوتهم عن نجف أبوابهم إذا احتملوها . ﴿ **فاعتبروا يا أولى الأبصار ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء** ﴾ ، وكان لهم من الله نقمة ، ﴿ **لعذبهم فى الدنيا** ﴾ : أى بالسيف ، ﴿ **ولهم فى الآخرة عذاب النار** ﴾ مع ذلك . ﴿ **ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها** ﴾ . واللينة : ما خالف العجوة من النخل ﴿ **فبإذن الله** ﴾ : أى فبأمر الله قطعت ، لم يكن فساداً ، ولكن كان نقمة من الله ﴿ **وليخزى الفاسقين** ﴾ .

روى موسى بن عقبة أنهم قالوا له إلى أين نخرج يا محمد ؟ قال : إلى الحشر ، يعنى أرض المحشر ، وهى الشام ، وقيل : إنهم كانوا من سبط لم يصبهم جلاء قبلها ، فلذلك قال : لأول الحشر ، والحشر : الجلاء . وقيل إن الحشر الثانى ، هو حشر النار التى تخرج من قعر عدن ، فتحشر الناس إلى الموقف ، تبيت معهم ، حيث باتوا ، وتقيل معهم حيث قالوا ، وتأكل من تخلف ، والآية متضمنة

---

(١) سورة الحشر .

لهذه الأقوال كلها ، ولزائد عليها ، فإن قوله : لأول الحشر يؤذن أن ثم حشراً آخر ، فكان هذا الحشر والجلاء إلى خيبر ، ثم أجلاهم عمر من خيبر إلى تيماء وأريحا ، وذلك حين بلغه التثبيت عن النبى ﷺ أنه قال : « لا يبقين دينان بأرض العرب » .

* ما قيل فى بنى النضير من الشعر :

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بنى النضير وقتل كعب بن الأشرف :

لَقَدْ خَزِيتْ بغَدْرَتها الحَبورُ ... كَذاك الدهر ذُو صرفٍ يَدُورُ (١)
وَذلك أَنهم كَفروا بربٍّ ... عَزِيز أمره أمر كبير
وقد أوتوا معًا فهما وعلما ... وجاءهم مِنَ اللهِ النَّذيرُ
نَذير صَادق أدى كتابا ... وآيات مُبينة تغيرُ
فَقالوا ما أتيتَ بأمر صدْق ... وأنتَ بمنكرٍ منا جَدير
فَقال بَلى لَقد أديتُ حَقًّا ... يَصدقنى به الفهم الخبيرُ
فَمن يَتبعه يُهد لكل رشْد ... ومن يكفر به يُجز الكفورُ
فَلما أشْرَبوا غَدْرًا وكُفراً ... وحَاد بهم عن الحقِّ النُّفورُ
أَرى اللهُ النَّبى بَرأيٍ صِدق ... وكَان الله يَحكم لايَجورُ
فَأيدَهُ وسَلَّطه عَليهم ... وكَانَ نَصيرهُ نِعْمَ النَّصيرُ
فَغودِر منهمُ كَعْبٌ صَرِيعًا ... فَذلت بَعْدَ مَصرَعه النَّضيرُ
عَلى الكفَّين ثَم وقد علته ... بأيدينا مُشهرة ذُكورُ (٢)
بأمر مُحمد إذْ دَس لَيلاً ... إلى كَعْب أخا كَعْب يَسيرُ
فَماكره فَأنزله بمكرٍ ... ومحمودٌ أخو ثقة جَسورُ
فَتلك بنو النضير بدار سُوءٍ ... أبارهم بما اجترموا المبيرُ (٣)

(١) الحبور : جمع حَبْر وهم العلماء ، أى علماء اليهود .
(٢) مشهرة : مسلولة ، ذكور : قوية ، أى سيوف قوية مسلولة .
(٣) أبارهم : أهلكهم .

غَداة أتَاهم فى الزحـــفِ رَهْوا ... رسول الله وهو بهم بَصير [1]

وغَسَّانُ الحُمَـــاةُ موازروه ... على الأعْداء وهـــو لهم وزير

فَقال : السَّلْمُ ويَحكم فَصدوا ... وَحالف أمرهـــم كِذبٌ وزُورُ

فَذاقوا غب أمرهـــم وبَالاً ... لِكل ثلاثة منهـــم بَعيرُ

وأجلوا عَامديـــن لقَيْنُقاع ... وغودُر منهـــم نخل ودَورُ

* * *

(١) الرهو : المشى ببطء فى تؤدة .

غَزْوة ذَاتِ الرِّقَاع (١)
فى سنة أربع

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد غزوة بنى النضير شهر ربيع الآخر وبعض جمادى ، ثم غزا نجداً يريد بنى محارب وبنى ثعلبة من غطفان ، واستعمل على المدينة أبا ذر الغفارى: ويقال: عثمان بن عفان ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : حتى نزل نخلا (٢) ، وهى غزوة ذات الرقاع .

قال ابن إسحاق : فلقى بها جمعا عظيما من غطفان ، فتقارب الناس ، ولم يكن بينهم حرب ، وقد خاف الناس بعضهم بعضاً ، حتى صلى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف ثم انصرف بالناس .

وهى أرض فيها بقع سود ، وبقع بيض ، كأنها مرقعة برقاع مختلفة فسميت ذات الرقاع لذلك ، وكانوا قد نزلوا فيها فى تلك الغزاة ، وأصح من هذه الأقوال كلها مارواه البخارى من طريق أبى موسى الأشعرى : قال : خرجنا مع النبى ﷺ فى غزاة ، ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه ، فنقبت أقدامنا ، ونقبت قدماى ، وسقطت أظفارى ، فكنا نلف على أرجلنا الخرق ، فسميت غزوة ذات الرقاع ، لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا ، فحدث أبو موسى بهذا ، ثم كره ذلك فقال : ما كنت أصنع بأن أذكره . كأنه كره أن يكون شيئاً من عمله أفشاه .

* أَحَدُ الأعداء يهم بقتل النبى ﷺ :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عَمرو بن عُبيد، عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله : أن رجلاً من بنى محارب يقال له : غورث قال لقومه من غطفان ومحارب : ألا أقتل لكم محمداً ؟ قالوا بلى ، وكيف تقتله ؟ قال : أفتك به . قال : فأقبل إلى

(١) ذكر ابن هشام أنها قيل لها غزوة ذات الرقاع ؛ لأنهم رقَّعوا فيها راياتهم ، ويقال : ذات الرقاع شجرة بذلك الموضع يقال لها : ذات الرقاع ، انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣ / ١١٩ تحقيق طه عبد الرءوف سعد .

(٢) نخل : اسم موضع بنجد .

رسول الله ﷺ وهو جالس وسيف رسول الله ﷺ فى حجره فقال : يا محمد أنظر إلى سيفك هذا (١) ؟ قال : نعم قال : فأخذه فاستله ثم جعل يهزه ، ويهم فيكبته الله ؟ ثم قال : يا محمد أما تخافنى ؟ قال : لا ، وما أخاف منك . قال أما تخافنى وفى يدى السيف ؟ قال : لا ، يمنعني الله منك ثم عمد إلى سيف رسول الله ﷺ فرده عليه قال : فأنزل الله فيه : **﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم إذ هَم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المُؤْمِنُونَ ﴾** (٢) .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن رُومان : أنها إنما أنزلت فى عمرو بن جحاش أخى بنى النضير وما همّ به ، فالله أعلم أى ذلك كان .

• قصة جابر وجمله :

قال ابن إسحاق : وحدثنى وهْب بن كيسان ، عن جابر بن عبد الله قال : خرجت مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذات الرقاع من نخل ، على جمل لى ضعيف فلما قفل رسول الله ﷺ قال : جعلت الرفاق تمضى وجعلت أتخلف ، حتى أدركنى رسول الله ﷺ ، فقال : مالك يا جابر ؟ قال : قلت : يا رسول الله أبطأ بى جملى هذا قال أنخه ، قال فأنختة : وأناخ رسول الله ﷺ ، ثم قال : أعطنى هذه العصا من يدك ، أو اقطع لى عصا من شجرة ، قال : ففعلت : فأخذها رسول الله فنخسه (٣) بها نخسات ، ثم قال : اركب ، فركبت ، فخرج والذى بعثه بالحق يواهق (٤) ناقته مواهقة .

قال : وتحدثت مع رسول الله ، ، فقال لى : أتبيعنى جملك هذا يا جابر ؟ قال : قلت : يا رسول الله ، بل أهبه لك ، قال : لا ، ولكــن بعنيه ، قال : قلت : فسمنيه يا رسول الله قال : قد أخذته بدرهم ، قال : قلت : لا ، إذن ، تغبنى يا رسول الله ! قال : فبدرهمين ، قال : قلت : لا . قال : فلم يزل يرفع لى رسول الله ﷺ فى ثمنه حتى بلغ الأوقية . قال : فقلــت : أفقد رضيت يا

---

(١) قال ابن هشام وكان السيف محلى بفضة راجع سيرة ابن هشام .

(٢) سورة المائدة : الآية ١١ .

(٣) نخسه : أى ضغط بالعصا على جسمه .

(٤) يواهق : أى يسابق .

رســول الله ؟ قال : نعم ، قلت : فهولك ، قال : قد أخذته : قال : ثم قال : يا جابر ، هل تزوجت بعد ؟ قال : قلت : نعم يا رسول الله ، قال : أثيبا أم بكرا ؟ قال : قلت بل ثيبا قال : أفلا جاريه تلاعبها وتلاعبك ! قال : قلت يا رسول الله ، إن أبى أصيب يوم أحد وترك بنات له سبعا ، فنكحت امرأة جامعة، تجمع رءوسهن ، وتقوم عليهن ، قال أصبت إن شاء الله أما لو جئنا صرارا [1] أمرنا بجزور فنحرت وأقمنا عليها يومنا ذاك ، وسمعت بنا فنفضت نمارقها [2] قال : قلت : والله يا رسول الله ما لنا من نمارق · قال إنها ستكون ، فإذا أنت قدمت فاعمل عملاً كيساً · قال : فلما جئنا صراراً أمر رسول الله ﷺ بجزور فنحرت ، وأقمنا عليها ذلك اليوم · فلما أمسى رسول الله ﷺ دخل ودخلنا ، قال : فحدثت المرأة الحديث وما قال لى رسول الله ﷺ ، قالت : فدونك سمع وطاعة - قال : فلما أصبحت أخذت برأس الجمل فأقبلت به حتى أنخته على باب مسجد رسول الله ﷺ قال : ثم جلســت فى المسجد قريباً منه ، قال : وخرج رسول الله ﷺ ، فرأى الجمل ، فقال : ما هذا قالوا : يا رســول الله هذا جمل جاء به جابر ، قال : فأين جابر ؟ قال : فدعيت له ، قال ، فقال : يا ابن أخى خذ برأس جملك ، فهو لك ، ودعا بلالاً فقال له : اذهب بجابر ، فأعطه أوقية · قال : فذهبت معه فأعطانى أوقية ، وزادنى شيئاً يسيراً · قال : فوالله ما زال ينمى عندى ، ويرى مكانه من بيتنا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا - يعنى يوم الحرة [3] ·

---

(١) صرار : موضع قريب من المدينة ·

(٢) النمارق : كل ما يجلس عليه من الحشايا وغيرها ·

(٣) يعنى : وقعة الحرة التى كانت بالمدينة أيام يزيد بن معاوية على يدى مسلم بن عقبة المرى الذى يسميه أهل المدينة مسرف بن عقبة ، وكان سببها أن أهل المدينة خلعوا يزيد بن معاوية ، وأخرجوا مروان بن الحكم وبنى أمية ، وأمروا عليهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الذى غسلت أباه الملائكة يوم أحد ، ولم يوافق على الخلع أحد من أكابر الصحابة الذين كانوا فيهم روى البخارى أن عبد الله بن عمر لما أرجف أهل المدينة بيزيد دعا بنيه ومــواليه ، وقال لهم : إنا قد بايعنا هذا الرجل على بيعة الله وبيعة رسوله ، وإنه والله لا يبلغنى عن أحد منكم أنه خلع يداً من طاعته إلا كانت الفيصل بينـــى وبينه ، ثم لزم بيته ، ولزم أبو ســعيد الخدرى بيته ، فدخل عــليه فى تلك الأيام التى انتــهب المدينــة فيها ، فقيـــل له : من أنت =

قال ابن إسحاق : وحدثني عمي صدقة [١] بن يسار ، عن عُقيل بن جابر عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع من نخل ، فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين ، فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلا ، أتى زوجها وكان غائباً ، فلما أخبر الخبر حلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب محمد ﷺ فخرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ، فنزل رسول الله ﷺ منزلاً ، فقال : من رجل يكلؤنا ليلتنا هذه ؟ قال : فانتدب رجل من المهاجرين ، ورجل آخر من الأنصار ، فقالا : نحن يا رسول الله ، قال : فكونا بفم الشِّعب ، قال : وكان رسول الله ﷺ وأصحابه قد نزلوا إلى شعب من الوادي [٢] ، قال ابن إسحاق : فلما خرج الرجلان إلى فم الشِّعب قال الأنصاري للمهاجرين : أي الليل تحب أن أكفيكه : أوله أم آخره ؟ قال : بلى اكفني أوله . قال فاضطجع المهاجري فنام ، وقام الأنصاري يصلي ، قال : وأتى الرجل ، فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيئة [٣] القوم . قال : فرمى بسهم ، فوضعه فيه ، قال : فنزعه ووضعه ، فثبت قائماً : ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه . قال فنزعه فوضعه ، وثبت قائماً ، ثم عاد له بالثالث ، فوضعه فيه ، قال : فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد ، ثم أهبَّ صاحبه فقال : اجلس فقد أثبت [٤] ، قال : فوثب فلما رآهما الرجل عرف أن قد نذرا به ، فهرب . قال : ولما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء ، قال : سبحان الله ! أفلا

= أيها الشيخ ؟ فقال : أنا أبو سعيد الخدري صاحب النبي ﷺ فقالوا له : سمعنا خبرك ، ولنعم ما فعلت حين كففت يدك ، ولزمت بيتك ، ولكن هات المال ، فقال قد أخذه الذين دخلوا قبلكم عليَّ وما عندي شيء ، فقالوا كذبت ونتفوا لحيته ، وأخذوا ما وجدوا حتى صوف الفرش ، وحتى أخذوا زوجين من حمام كان صبيانه يلعبون بهما . وأما جابر بن عبد الله الذي كنا بمساق حديثه فخرج في ذلك اليوم يطوف في أزقة المدينة والبيوت تنتهب ، وهو أعمى وهو يعثر في القتلى ، ويقول تعس من أخاف رسول الله ﷺ ، فقال له قائل : ومن أخاف رسول الله ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من أخاف المدينة ، فقد أخاف ما بين جنبي ، فحملوا عليه ليقتلوه ، فأجاره منهم مروان ، وأدخله بيته ، وقتل في ذلك اليوم من وجوه المهاجرين والأنصار ألف وسبعمائة ، وقتل من أخلاط الناس عشرة آلاف جزى الله الظلمة بفعلهم .

(١) صدقة : ليس عمه حقيقيا ، وإنما قال ذلك احتراما له ، ربما يكون شيخه .

(٢) هما عمار بن ياسر ، وعباد بن بشر فيما قال ابن هشام .

(٣) أي يحرسهم . (٤) أي جرحت جراحة بالغة .

أهببتنى أول ما رماك ؟ قال : كنت فى سـورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفدها [١] ، فلما تابع على الرمى ركعت فأذنتك ، وايم الله ، لولا أن أضيع ثغرا أمرنى رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسى قبل أن أقطعها أو أنفدها .

قال ابن إسحاق : ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة من غزوة الرقاع ، أقام بها بقية جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجبا .

* * *

(١) أى أتم قراءتها .

غَزْوة بَدرٍ الآخرة
فى شعبان سنة أربع

قال ابن إسحاق: ثم خرج فى شعبان إلى بدر، لميعاد أبى سفيان، حتى نزله (١) .

قال ابن إسحاق : فأقام عليه ثمانى ليال ينتظر أبا سفيان ، وخرج أبو سفيان فى أهل مكة حتى نزل مجنة ، من ناحية الظهران ، وبعض الناس يقول : قد بلغ عسفان ، ثم بدا له فى الرجوع ، فقال : يا معشر قريش ، إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن ، وإن عامكم هذا عام جدب ، وإنى راجع ، فارجعوا ، فرجع الناس ، فسماهم أهل مكة جيش السويق ، يقولون إنما خرجتم تشربون السويق .

وأقام رسول الله ﷺ على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده ، فأتاه مخشى بن عمرو الضمرى ، وهو الذى كان وادعه على بنى ضمرة فى غزوة ودان ، فقال : يا محمد ، أجئت للقاء قريش على هذا الماء ؟ قال : نعم يا أخا بنى ضمرة وإن شئت مع ذلك رددنا إليك ما كان بيننا وبينك ، ثم جالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك قال : لا والله يا محمد مالنا بذلك منك من حاجة .

● **شعر معْبد فى ناقة رسول الله ﷺ :**

فأقام رسول الله ﷺ ينتظر أبا سفيان فمر به معبد بن أبى معبد الخزاعى فقال : وقد رأى مكان رسول الله ﷺ وناقته تهوى به (٢) :

قَدْ نَفَرتْ مِنْ رُفْقَتى مُحَمَّدِ   وعجْوة مِنْ يَثْرِبَ كالعَنْجَدِ (٣)
تَهْوَى على دِينِ أَبِيها الأَتْلَدِ   قَد جَعَلت مَاءً قَدِيد مَوْعدى (٤)
وَماء ضَجْنَان (٥) لهَا ضحى الغَدِ

* * *

(١) قال ابن هشام : واستعمل ﷺ على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبى بن سلول الأنصارى .

(٢) تهوى : أى تسرع .   (٣) العنجد : الزبيب .

(٤) الدين: أى العاده التى يتعود الإنسان فعلها ، الأتلد : القديم الأصيل ، ماء قديد : ماء قرب مكة .   (٥) ضجنان : جبيل قريب من مكة .

غَزوة دَوْمَة الجندل (١)
فَى شهر ربيع الأول سنة خمس

قال ابن إسحاق : ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة ، فأقام من مقدم رسول الله ﷺ بها أشهرا حتى مضى ذو الحجة وولى تلك الحجة المشركون وهى سنة أربع ثم غزا رسول الله ﷺ دومة الجندل (٢) .

قال ابن إسحاق : ثم رجع رسول الله ﷺ قبل أن يصل إليها ، ولم يلق كيداً (٣) ، فأقام بالمدينة بقية سنته .

* * *

(١) دومة الجندل بينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة ، وسميت بدومة بن إسماعيل عليه السلام ؛ لأن دومان بن إسماعيل نزل بها ونسبت إليه .

(٢) قال ابن هشام : استعمل ﷺ على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى .

(٣) أى لم يحدث قتال .

غَزْوة الخندق (١)

فى شوال سنة خمس

عن زياد بن عبد الله البكّائى ، عن محمد بن إسحاق المطلبى ، قال : ثم كانت غزوة الخندق فى شوال سنة خمس .

اليهود تحزب الأحزاب : فحدثنى يزيد بن رُومان مولى آل الزبير بن عُروة بن الزبير ، ومن لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، ومحمد بن كعب القُرظى ، والزهرى ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبى بكر ، وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد اجتمع حديثه فى الحديث عن الخندق . وبعضهم يحدث مالا يحدث به بعض قالوا : إنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود ، منهم : سلام ابن أبى الحقيق النضرى (٢) وحُيى بن أخطب النضرى (٣) ، وكنانة بن أبى الحقيق النضرى ، وهوذة بن قيس الوائلى ، وأبو عمار الوائلى ، فى نفر من بنى النضير ، ونفر من بنى وائل ، وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ ، خرجوا حتى قدموا على قريش مكة ، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ ، وقالوا : إنا سنكون معكم عليه . حتى نستأصله (٤) فقالت لهم قريش : يا معشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟

---

(١) وحفر الخندق لم يكن من عادة العرب ، ولكنه من مكايد الفرس وحروبها ، ولذلك أشار به سلمان الفارسى ، وأول من خندق الخنادق من ملوك الفرس فيما ذكر الطبرى منو شهر بن أبيرج بن أفريذون وقد قيل فى أفريدون : إنه ابن إسحاق عليه السلام ، وأكثرهم يقول فيه : هو ابن أثفيان ، وهو أول من اتخذ آلة الرمى ، وإلى رأس ستين من ملكه بعث موسى عليه السلام ، والكمائن فى الحروب ، أول من فعلها بختنصر فى قول الطبرى .

(٢) ونسب ابن أبى الحقيق وما بعده لبنى النضير فقال فيهم النضرى ، وقياسه : النضيرى إلا أن يكون من باب قولهم ثقفى وقرشى ، وهو خارج عن القياس ، وإنما يقال : فعلى فى النسب إلى فعيلة .

(٣) تزوج النبى ﷺ ابنته بعد ذلك وكانت من الأسرى فأسلمت وتزوجها ، النبى ﷺ وهى السيدة صفية بنت حُيى من أمهات المؤمنين .

(٤) أى نقضى عليه ونمحو أثره .

قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم : ﴿ **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت** (١) **ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا** ﴾ (٢) .

• تحريض اليهود غطفان :

قال : فلما قالوا ذلك لقريش ، سرهم ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ فاجتمعوا لذلك واتعدوا له . ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان ، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريش قد تابعوهم على ذلك ، فاجتمعوا معهم فيه .

• خُروج الأحزاب :

قال ابن إسحاق : فخرجت قريش ، وقائدها أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان ، وقائدها عيينة بن حصن وحذيفة بن بدر (٣) في بني فزارة والحارث بن عوف ابن أبي حارثة المرى في بني مرة ومسعر بن رخيلة بن نويرة بن طريف بن سمحة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان فيمن تابعه من قومه من أشجع .

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ وما أجمعوا له من الأمر ، ضرب الخندق على المدينة فعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيباً للمسلمين في الأجر ، وعمل معه المسلمون فيه ، فدأب فيه (٤) ودأبوا . وابطأ عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين في عملهم ذلك رجال من المنافقين ، وجعلوا يورون بالضعيف من العمل ويتسللون إلى أهليهم بغير علم من رسول الله ﷺ ولا إذن وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة ، من الحاجة التي لابد له منها ، يذكر ذلك لرسول الله ﷺ « ويستأذنه في اللحوق بحاجته ، فيأذن له ، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله ، رغبة في الخير واحتساباً له » .

---

(١) الجبت : الصنم المعبود ، الطاغوت : الساحر ، الكاهن والشيطان ، أو كل ما عبد من دون الله .

(٢) سورة النساء : الآية ٥١ .

(٣) وكان عيينة مسلمًا ثم ارتد .

(٤) أي جد واجتهد .

ما نزل من القرآن فى حق العاملين فى الخندق :

فأنزل الله تعالى فى أولئك من المؤمنين : ﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم** ﴾ (١) فنزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الحسبة والرغبة فى الخير ، والطاعة لله ولرسوله ﷺ .

ثم قال تعالى ، يعنى المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل ، ويذهبون بغير إذن من النبى ﷺ : ﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً** (٢) **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم** ﴾ (٣) .

﴿ **ألا إن لله ما فى السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه** ﴾ .

قال ابن إسحاق : من صدق أو كذب .

﴿ **ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شىء عليم** ﴾ (٤) .

المسلمون يرتجزون وهم يعملون :

قال ابن إسحاق : وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه ، . وارتجزوا فيه برجل من المسلمين ، يقال له جُعيل ، سماه رسول الله ﷺ : عمراً ، فقالوا :

سَماه مِنْ بَعْدِ جُعَيْلٍ عَمْرَا وكَان للبائس يَومًا ظَهرَا

فإذا مروا بـ « عمرا » قال رسول الله ﷺ : عمرا وإذا مروا بـ « ظهرا » قال رسول الله ﷺ : ظهرا (٥) .

معجزات ظهرت فى حفر الخندق : قال ابن إسحاق : وكان فى حفر الخندق أحاديث بلغتنى ، فيها من الله تعالى عبرة فى تصديق رسول الله ﷺ ، وتحقيق نبوته ، عاين ذلك المسلمون .

---

(١) سورة النور : الآية ٦٢ .

(٢) اللواذ : أى الاستخفاء والاستتار بالشىء عند الهرب .

(٣) سورة النور : الآية ٦٣ . (٤) سورة النور : الآية ٦٤ .

(٥) أى يقول معهم آخر صدر البيت وآخر عجزه فقط مؤازرة لهم ونوعا من المشاركة الوجدانية لرفع روحهم المعنوية ؛ فإنه ﷺ لم ينشىء شعراً أبداً وإنما كان يسمعه ويستجيده ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ **وما علمناه الشعر وما ينبغى له** ﴾ .

(١) معجزة الكدية :

فكان مما بلغنى أن جابر بن عبد الله كان يحدث : أنه اشتدت عليهم فى بعض الخندق كدية ، فشكوها إلى رسول الله ﷺ ، فدعا بإناء من ماء ، فتفل فيه ، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدية ، فيقول من حضرها : فوالذى بعثه بالحق نبيا ، لانهالت حتى عادت كالكثيب لا ترد فأسا ولا مسحاة .

(٢) معجزة البركة فى التمر :

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن مينا أنه حدث أن ابنة لبشير بن سعد أخت النعمان بن بشير ، قالت : دعتنى أمى عمرة بنت رواحة ، فأعطتنى حفنة من تمر فى ثوبى ، ثم قالت : أى بنية اذهبى إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما ، قالت : فأخذتها ، فانطلقت بها ، فمررت برسول الله ﷺ ، وأنا ألتمس أبى وخالى ، فقال : تعالى يا بنية ، ما هذا معك ؟ قالت فقلت يا رسول الله هذا تمر بعثتنى به أمى إلى أبى بشير بن سعد ، وخالى عبد الله بن رواحة يتغديان ، قال هاتيه قالت : فصببته فى كفى رسول الله ﷺ ، فما ملأتهما ثم أمر بثوب بسط له ثم دحا بالتمر عليه ، فتبدد فوق الثوب ، ثم قال لإنسان عنده : اصرخ فى أهل الخندق أن هلمَّ إلى الغذاء ، فاجتمع أهل الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه ، وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه ، وإنه يسقط من أطراف الثوب .

(٣) البَرَكَةُ فى طعام جابر :

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن مينا . عن جابر بن عبد الله ، قال عملنا مع رسول الله ﷺ فى الخندق ، فكانت عندى شويهة [١] ، غير جد سمينة [٢] قال : فقلت : والله لو صنعناها لرسول الله ﷺ ، وقال ، فأمرت امرأتى فطحنت لنا شيئًا من شعير ، فصنعت لنا منه خبزًا ، وذبحت تلك الشاة ، فشويناها لرسول الله ﷺ قال : فلما أمسينا وأراد رسول الله ﷺ الانصراف عن الخندق - قال وكنا نعمل فيه نهارنا ، فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا - قال : قلت : يا رسول الله ،

---

(١) أى شاة صغيرة (تصغير شاة : شويهة) .

(٢) أى غير كاملة الدسم .

إنى قد صنعت لك شويهة كانت عندنا ، وصنعنا معها شيئًا من خبز هذا الشعير ، فأحب أن تنصرف معى إلى منزلى ، وإنما أريد أن ينصرف معى رسول الله ﷺ وحده ، قال : فلما أن قلت له ذلك ، قال : نعم ، ثم أمر صارخًا فصرخ · أن انصرفوا مع رسول الله إلى بيت جابر بن عبد الله قال:قلت إنا لله وإنا إليه راجعون ! قال : فأقبل رسول الله ﷺ ، وأقبل الناس معه ، قال فجلس وأخرجناها إليه · قال : فبرَّك وسمى الله [١] ، ثم أكل ، وتواردها الناس · كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس ، حتى صدر أهل الخندق عنها [٢] .

٤ - اللهُ يُبشِّر نبيهُ بالفتوح :

قال ابن إسحاق : وحدثت عن سلمان الفارسى ، أنه قال : ضربتُ فى ناحية من الخندق ، فغلظت علىَّ صخرة ، ورسول الله ﷺ قريب منى ، فلما رآنى أضرب ورأى شدة المكان علىَّ نزل فأخذ المعول من يدى ، فضرب به ضربة لمعت تحت المعول [٣] برقة [٤] · قال : ثم ضرب به ضربة أخرى ، فلمعت تحته برقة أخرى · قال : ثم ضرب به الثالثة ، فلمعت تحته برقة أخرى · قال : قلت بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، ما هذا الذى رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب ؟ قال : أوَقد رأيت ذلك يا سـلمان ؟ قال قلت : نعم قال : أما الأولى فإن الله فتح بها اليمن ، وأما الثانية فإن الله فتح بها الشـام والمغرب وأما الثالثة فإن الله فتح بها المشرق ·

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن أبى هريرة أنه كان يقول - حين فُتحت هذه الأمصار فى زمان عمر وزمان عثمان وما بعده - افتتحوا ما بدا لكم ، فوالذى نفس أبى هريرة بيده ، ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله سبحانه محمداً ﷺ مفاتيحها قبل ذلك [٥] .

قال ابن إسحاق : ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق ، أقبلت قريش حتى

(١) أى دعا الله أن يبارك فيها وأن يحل عليهم بركته وقال بسم الله ·

(٢) أى شبعوا وقاموا وتركوا منها ·

(٣) أى الفأس ·

(٤) أى ضوء لامع ·

(٥) أى بشر الله رسوله بفتحها منذ زمن ·

نزلت بمجتمع الأسيال من رومة ، بين الجرف وزغابة [١] فى عشـرة آلاف من أحابيشهم ، ومن تبعهم من بنى كنانة وأهل تهامة ، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد ، حتى نزلوا بذَنب نقمى ، إلى جانب أُحد ، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع [٢] ، فى ثلاثة آلاف من المسلمين ، فضرب هنالك عسكره ، والخندق بينه وبين القوم [٣] .

قال ابن إسحاق : وأمر بالذرارى والنساء فجعلوا فى الآطام [٤] .

حُيى بن أخطب يحرض كعب بن أسد : قال وخرج عدو اللهَ حيى بن أخطب النضرى حتى أتى كعب بن أسد القرظى ، صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم ، وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه ، وعاقده على ذلك وعاهده ، فلما سمع كعب بحيى بن أخطب أغلق دونه باب حصنه ، فاستأذن عليه ، فأبى أن يفتح له ، فناداه حُيى : ويحك يا كعب افتح لى قال : ويحك يا حيى ، إنك امرؤ مشئوم ، وإنى قد عاهدت محمداً ، فلست بناقض ما بينى وبينه ، ولم أر منه إلا وفاء وصدقا . قال : ويحك افتح لى أكلمك . قال : ما أنا بفاعل ، قال : والله إن أغلقت الحصن دونى إلا تخوفت [٥] جشيشتك [٦] أن آكل معك منها ، فأحفظ [٧] الرجل ، ففتح له ،

---

(١) زغابة اسم موضع بالغين المنقوطة والزاى المفتوحة ، وذكره البكرى بهذا اللفظ بعد أن قدم القوم بأنه زغابة بضم الزاى والعين المهملة ، وحكى عن الطبرى أنه قال فى هذا الحديث بين الجرف والغابة ، واختار هذه الرواية وقال : لأن زغابة لا تعرف وقال السهيلى فى الروض الأنف : والأعرف عندى فى هذه الرواية رواية من قال : زغابة بالغين المنقوطة ، لأن فى الحديث المسند عنه عليه السلام ، قال فى ناقة أهداها إليه أعرابى ، فكأفأه بست بكرات ، فلم يرض ، فقال عليه السلام : ألا تعجبون لهذا الأعرابى ! أهدى إلى ناقة أعرفها بعينها ، كما أعرف بعض أهلى ذهبت منى يوم زغابة ، وقد كافأته بست فسخط . الحديث .

(٢) سلع : جبل بالمدينة .

(٣) قال ابن هشام : واستعمله ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم ، ويتضح لنا مما سبق أن الرسول ﷺ - استعمله على المدينة أكثر من مرة .

(٤) الآطام : الحصون .

(٥) أى لخوفك .

(٦) الجشيشة : طعام يصنع من القمح المطحون .

(٧) أى غضب وانفعل وأخذته الحمية .

فقال : ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وببحر طام [(١)] جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة ، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى إلى جانب أحد ، قد عاهـــدونى وعاقدونى على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه . قال : فقال له كعب : جئتنى والله بذل الدهر ، وبجهام [(٢)] قد هراق ماءه ، فهو يرعد ويبرق ، ليس فيه شيء ، ويحك يا حيى : فدعنى وما أنا عليه فإنى لم أر من محمد إلا صدقاً ووفاءً . فلم يزل حيى بكعب يفتله فى الذروة والغارب [(٣)] حتى سمح له ، على أن أعطاه عهداً وميثاقاً : لئن رجعت قريش وغطفان ، ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معــك فى حصنك حتى يصيبنى ما أصابك . فنقض كعب بن أســد عهده ، وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ .

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبر وإلى المسلمين ، بعث رسول الله ﷺ سعد بن معاذ بن النعمان ، وهو يومئذ سيد الأوس . وسعد بن عبادة بن دليم ، أحد بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة أخو بنى الحارث بن الخزرج ، وخوات بن جبير ، أخو بنى عمرو بن عوف فقال : انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فإن كان حقًّا فالحنوا لى لحناً أعرفه ، ولا تفتوا فى أعضاد الناس وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس . قال : فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ، فيما نالوا من رسول الله ﷺ ، وقالوا : مَن رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد فشاتمهم سعد ابن معاذ وشاتموه ، وكان رجلاً فيه حدة ، فقال له سعد بن عبادة : دع عنك مشاتمتهم ، فما بيننا وبينهم أربَى [(٤)] من المشاتمة ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول الله فسلموا عليه ثم قالوا : عضل والقارة ، أى كغدر عضل والقارة بأصحاب

(١) أى برجال كثير .

(٢) الجهام : أى السحاب الذى لا ماء فيه .

(٣) هذا مثل من أمثال العرب وهو فى البعير الذى يستصعب على سائقه فيأخذ القراد من ذروته وغارب سنامه ويفتل هناك ، فيجد البعير لذة لذلك فيأنس به فضرب هذا مثلا فى المراوضة والمخاتلة .

(٤) أى أزيد وأكثر .

الرجيع ، خبيب ، وأصحابه ، فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر ، أبشروا يا معشر المسلمين .

* الخوف الذى أصاب المسلمين ذلك اليوم :

قال ابن إسحاق : وعظم عند ذلك البلاء ، واشتد الخوف ، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم ، حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم (١) النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب بن قشير ، أخو بنى عمرو بن عوف : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط (٢) .

قال ابن إسحاق : وحتى قال أوس بن قَيظى ، أحد بنى حارثة بن الحارث يا رسول الله ، إن بيوتنا عورة من العدو ، وذلك على ملإ من رجال قومه ، فأذن لنا أن نخرج فنرجع إلى دارنا ، فإنها خارج من المدينة ، فأقام رسول الله ﷺ وأقام عليه المشركون بضعا وعشرين ليلة قريبًا من شهر ، لم يكن بينهم حرب إلا الرميا بالنبل والحصار .

• محاولة الصلح مع غطفان :

فلما أشتد على الناس البلاء ، بعث رسول الله ﷺ ، كما حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا أتهم ، عن محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى إلى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، وإلى الحارث بن عوف بن أبى حارثة المرى ، وهما قائدا غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه ، فجرى بينه وبينهما الصلح ، حتى كتبوا الكتاب (٣) ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المراوضة فى ذلك . فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل ، بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ، فذكر لهما ، واستشارهما فيه ، فقالا له : يا رسول الله أمرًا تحبه فنصنعه ، أم شيئًا أمرك الله به ، لابد لنا من العمل به ، أم شيئًا

---

(١) أى ظهر .

(٢) قال ابن هشام : أخبرنى من أثق به من أهل العلم أن معتب بن قشير لم يكن من المنافقين ، واحتج بأنه كان من أهل بدر .

(٣) أى صيغة الصلح .

تصنعه لنا ؟ قال : بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأنى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وكالبوكم (١) من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما ، فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعا، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ! والله مالنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، قال رسول الله ﷺ : فأنت وذاك ، فتناول سعد بن معاذ الصحيفة ، فمحا ما فيها من الكتاب ، ثم قال : ليجهدوا علينا .

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله ﷺ والمسلمون وعدوهم محاصروهم ، ولم يكن بينهم قتال ، إلا أن فوارس من قريش ، منهم عمرو بن عبد ود بن أبى قيس أخو بنى عامر بن لؤى .

قال ابن إسحاق : وعكرمة بن أبى جهل ، وهُبيرة بن أبى وهْب المخزوميان ، وضرار بن الخطاب الشاعر ابن مرداس ، أخو بنى محارب بن فهر ، تلبسوا للقتال ، ثم خرجوا على خيلهم ، حتى مروا بمنازل بنى كنانة ، فقالوا : تهيئوا يا بنى كنانة للحرب ، فستعلمون من الفرسان اليوم ، ثم أقبلوا تعنق (٢) بهم خيلهم ، حتى وقفوا على الخندق (٣) ، فلما رأوه قالوا والله إن هــذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها .

عليٌّ يقتل عمرو بن عبد ود : قال ابن إسـحاق : ثم تيممـوا مكانا ضيقا من الخندق ، فضربوا خيلهم فاقتحمت منه ، فجالت بهم فى السبخة بين الخندق وسلع ، وخرج على بن أبى طالب عليه السلام فى نفر معه من المسلمين ، حتى أخذوا عليهم الثغرة التى اقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم ، وكان عمرو بن

(١) أى اشتدوا عليكم وغلبوكم .

(٢) تعنق : أى تسرع .

(٣) قال ابن هشام : يقال إن سلمان الفارسى أشار به على رسول الله ﷺ ، وأن المهاجرين يوم الخندق قالوا : سلمان منا ، وقالت الأنصار : سلمان منا ، فقال رسول الله ﷺ : « سلمان منا أهل البيت » .

عبد وُدٌّ قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته (١) الجراحة ، فلم يشهد يوم أحد ، فلما كان يوم الخندق خرج معلما (٢) ليرى مكانه ، فلما وقف هو وخيله ، قال : من يبارز ؟ فبرز له على بن أبى طالب فقال له : يا عمرو ، إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خُلتين (٣) إلا أخذتها منه ، قال له : أجل ، قال له علىّ : فإنى أدعوك إلى الله وإلى رسوله ، وإلى الإسلام ، قال : لا حاجة لى بذلك ، قال فإنى أدعوك إلى النزال ، فقال له : لم يابن أخى ؟ فوالله ما أحب أن أقتلك ، قال له على : لكنى والله أحب أن أقتلك ، فحمى عمرو عند ذلك ، فاقتحم عن فرسه ، فعقره ، وضرب وجهه ، ثم أقبل على علىٍّ ، فتنازلا وتجاولا ، فقتله على رضي الله عنه وخرجت خيلهم منهزمة ، حتى اقتحمت من الخندق هاربة (٤) .

قال ابن إسحاق : وقال على بن أبى طالب رضوان الله عليه فى ذلك :

نَصَرَ الحجَارة من سَفَاهة رأيه ... ونَصرتُ ربَّ مُحمد بَصوابى (٥)
فَصَدَدْتُ حين تركتُه مُتَجدلا ... كالجذع بين دكَادك ورَوابى (٦)
وَعَففْتُ عَنْ أثوابه ولَو انَّنى ... كُنْتُ المقطَّرَ بَزَّنى أثوابى (٧)
لاَ تَحْسبَنَّ اللهَ خاذلَ دينَهُ ... ونَبيَّهُ يَا معشرَ الأحَزاب

هجاء حسان عكرمة : قال ابن إسحاق : وألقى عكرمة بن أبى جهل رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو ، فقال حسان بن ثابت فى ذلك :

فرَّ وَألقى لَنا رُمْحَه ... لَعلك عِكْرَم لم تَفْعَلِ
وَوَليت تَعْدُو كَعَدْو الظليم ... مَا إن تَجوزُ عن المعدل (٨)
وَلم تَلْقَ ظَهْرَك مُسْتأنسًا ... كَأنَّ قَفَاك قَفا فُرعَلِ

استشهاد سعد بن معاذ : قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو ليلى عبد الله بن سهل

---

(١) أى أتعبته وأقعدته عن القتال . (٢) أى له علامة يعرفه الناس بها .
(٣) أى صفتين أو خيارين .
(٤) قال ابن هشام : وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وبنى قريظة : حم لا يُنصرون .
(٥) الحجارة : الأنصاب التى كانت تعبدها قريش .
(٦) الدكادك : أى الرمال اللينة الرخوة .
(٧) المقطر : الذى وقع على قطره ، وهو جنبه ، بزَّنى : أى سلبنى وجردنى .
(٨) الظليم : ولد النعام .

ابن عبد الرحمن بن سهل الأنصارى ، أخو بنى حارثة : أن عائشة أم المؤمنين كانت فى حصن بنى حارثة يوم الخندق ، وكان من أحرز حصون المدينة ، قال : وكانت أم سعد بن معاذ معها فى الحصن ، فقالت عائشة وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب : فمر سعد وعليه درع له مقلصة (١) ، وقد خرجت منها ذراعه كلها ، وفى يده حربته يرفل (٢) بها ويقول :

لبث قليلاً يشهد الهيجا جمل ... لا بأس بالموت إذا حان الأجل (٣)

قال : فقالت له أمه : الحق ، أى بنى ، فقد والله أخرت ، قالت عائشة فقلت لها : يا أم سعد ، والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هى ، قالت وخفت عليه حيث أصاب السهم منه ، فرمى سعد بن معاذ بسهم ، فقطع منه الأكحل (٤) رماه كما حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة - حبان بن قيس بن العرقة أحد بنى عامر بن لؤى ، فلما أصابه قال : خذها منى وأنا ابن العرقة فقال له سعد : عرق الله وجهك فى النار ، اللّهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئًا فأبقنى لها ، فإنه لا قوم أحب إلىَّ أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه ، اللّهم وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لى شهادة ، ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة (٥) .

• قاتل سعد بن معاذ :

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أنه كان يقول : ما أصاب سعدًا يومئذ إلا أبو أسامة الجشمى ، حليف بنى مخزوم .

وقد قال أبو أسامة فى ذلك شعرًا لعكرمة بن أبى جهل :

أَعِكْرِمُ هَلاَّ لُمتنِى إذْ تَقُول لِى ... فَدَاكَ بِآطَامِ المَدِينَةِ خَالِدُ
أَلستَ الذى أَلزمت سعدا مَرشة ... لَها بين أَثْناءَ المرافق عَانِدُ (٦)
قَضَى نَحبَهُ منها سَعِيد فَأعْولتْ ... عَلَيه مع الشُّمْطِ العذَارى النواهِدُ

(١) مقلصة : أى قصيرة ارتفعت عن حدها . (٢) يرفل : أى يسرع فى سيره .
(٣) جمل : اسم رجل . (٤) الأكحل : عرق وسط الذراع .
(٥) وهذا دليل إخلاصه وصدق إيمانه ﷺ ؛ لأن فى حالة النزع الأخير للمسلم لا يظهر على اللسان إلا الحق ، اللهم ثبتنا على الحق يا رب العالمين .
(٦) مرشة : أى طعنة مرشة تفجر الدم ، العاند : العرق الذى لا ينقطع دمه .

وأنت الذى دافعتَ عَنه وقد دَعا　　　عُبيدة جمعا منهم إذ يُكَابدُ
عَلى حينٍ ما هم جَائر عن طريقه　　　وآخر مرعوب عن القَصْد عاهدُ

● حديثُ حَسَّان وصفية فى وقعة الخندق :

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد قال :كانت صفية بنت عبد المطلب فى فارع ، حصن حسان بن ثابت قالت وكان حسان بن ثابت معنا فيه ، مع النساء والصبيان ، قالت صفية : فمر بنا رجل من يهود ، فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ، ورسول الله ﷺ ، والمسلمون فى نحور عدوهم ، لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آت قالت : فقلت : يا حسان ، إن هذا اليهودى كما ترى يطيف بالحصن ، وإنى والله ما آمنه أن يدل على عورتنا مَن وراءنا من يهود ، وقد شغل عنا رسول الله ﷺ وأصحابه ، فأنزل إليه فاقتله ، قال : يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب ، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا ، قالت : فلما قال لى ذلك ، ولم أر عنده شيئًا احتجزت [١] ثم أخذت عمودًا ، ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته . قالت : فلما فرغت منه ، رجعت إلى الحصن ، فقلت : يا حسان ، انزل إليه فاسلبه ، فإنه لم يمنعنى من سلبه إلا أنه رجل ، قال : ما لى بسلبه من حاجة يا ابنة عبد المطلب [٢] .

خداع نُعيم المشركين : قال ابن إسحاق : وأقام رسول الله ﷺ وأصحابه ، فيما وصف الله من الخوف والشدة ، لتظاهر عدوهم عليهم ، وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم .

قال : ثم إن نُعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفد بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان ، أتى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، إنى قد أسلمت ، وإن قومى لم يعلموا بإسلامى ، فمرنى بما شئت ، فقال رسول الله ﷺ : إنما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا إن استطعت ، فإن الحرب

---

(١) احتجزت : أى شدت ،وسطيها وتأهبت .

(٢) محمل هذا الحديث عند الناس على أن حسانا كان جباناً شديد الجبن ، وقد دافع عنه بعض العلماء ، وأنكره ؛ وذلك أنه حديث منقطع الإسناد ، ولو صح هذا لهُجى به حسان فإنه كان يهاجى الشعراء كضرار وابن الزبعرى ، وغيرهما وكانوا يناقضونه ، ويردون عليه ، فما عيَّره أحد منهم بجبن ولا وسمه به فدل هذا على ضعف حديث ابن إسحاق ، وإن صح فربما كان حسان معتلا فى ذلك اليوم بعلة منعته من شهود القتال ، وهذا أولى ما تأول .

خُذْعة ، فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظة ، وكان لهم نديما [١] فى الجاهلية ، قال : يا بنى قريظة ، قد عرفتم ودّي إليكم ، وخاصة ما بينى وبينكم ، قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتهم [٢] ، فقال لهم إن قريشا وغطفان ليسوا كأنتم والبلد بلدكم ، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ؛ لا تقدرون على أن تحوّلوا منه إلى غيره ، وإن قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظهرتموهم عليه ، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره ، فليسوا كأنتم ، فإن رأوا نهزة [٣] أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبينَ الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم ، يكونوا بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه ، فقالوا : لقد أشرت بالرأى .

ثم خرج حتى أتى قريشا ، فقال لأبى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرفتم ودّى لكم ،وفراقى محمداً ، وإنه قد بلغنى أمر قد رأيت علىَّ حقّا أبلغكموه ، نصحاً لكم فاكتموا عنى ، فقالوا : نفعل . قال : تعلموا أن معشر يهود ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه : إنا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فنعطيكهم ، فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم [٤] ، فأرسل إليهم أن نعم ، فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنًا عن رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحداً ثم خرجَ حتى أتى غطفان ، فقال : يا معشر غطفان إنكم أصلى وعشيرتى وأحب الناس إلىّ ولا أراكم تتهمونى، قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم ، قال فاكتموا عنى [٥] قالوا نفعل ، فما أمرك ؛ ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم .

• ما أنزل الله بالمشركين :

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس ، كان من صنع الله لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤوس غطفان [٦] إلى بنى قريظة عكـرمة بن أبى جهل [٧] فى نفر من قريش وغطفان ، فقالوا لهم : إنا لسنا بدار مقام قد هلك

(١) أى صديقا يحادثهم . (٢) أى موثوق بك .
(٣) أى فرصة . (٤) أى نقتلهم جميعًا ونبيدهم ونقطع جذورهم .
(٥) أى اكتموا سرى .
(٦) رؤوس غطفان : أى زعماء غطفان وقادتهم .
(٧) عكرمة بن أبى جهل أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه .

الخف والحافر (١) فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدًا ، ونفرغ مما بينـنا وبينه ، فأرسلوا إليهم : إن اليوم يوم السبت ، وهو يوم لا نعمل فيه شيئًا ، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثًا فأصابه ما لم يخف عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهنًا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدًا فإنا نخشى إن ضرستكم (٢) الحرب واشتد عليكم القتال أن تنشمروا (٣) إلى بلادكم وتتركونا ، والرجل فى بلدنا ، ولا طاقة لنا بذلك منه . فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة ، قالت قريش وغطفان : والله إن الذى حدثكم به نُعيم بن مسعود لحق ، فأرسلوا إلى بنى قريظة : إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحدًا من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا ، فقالت بنو قريظة ، حين انتهت الرسل إليهم بهذا : إن الذى ذكر لكم نُعيم بن مسعود لحق ، ما يريد القوم إلا أن تقاتلوا فإن رأوا فرصة انتهزوها ، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم ، وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم ، فأرسلوا إلى قريش وغطفان : إنا والله لا نقاتل معكم محمدًا حتى تعطونا رهنًا فأبوا عليهم ، وخذل الله بينهم ، وبعث الله عليهم الريح فى ليال شاتية باردة شديدة البرد ، فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح أبنيتهم (٤) .

استخبار ما حل بالمشركين : قال فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم ، وما فرق الله من جماعتهم ، دعا حذيفة بن اليمان ، فبعثه إليهم ، لينظر ما فعل القوم ليلا .

قال ابن إسحاق : فحدثنـــى يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظى ، قال : قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان ، يا أبا عبد الله أرأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه ؟ قال : نعم ، يا بن أخى ، قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنا بجهد قال : فقال : والله لو أدركناه ما تركناه يمشى على الأرض ولحملناه على أعناقنا . قال : فقال حذيفة : يا بن أخى والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق ، وصلى رسول الله ﷺ هُويًا (٥) من الليل ، ثم التفت إلينا فقال : من

---

(١) أى هلكت الإبل والخيل ، وهذه كناية ، عبر بالخف عن الإبل ، وعبر بالحافر عن الخيل .

(٢) ضرستكم : أى اشتدت عليكم .

(٣) تنشمروا : أى ترجعوا سراعًا إلى بلادكم .

(٤) تكفأ قدورهم : أى تلقى وتنشر أوعيـة طعامهم ، تطرح ابنيتهم : أى تهدم بيوتهم ؛ وهذا دليل شدة تلك الريح العاصفة .

(٥) هويًا من الليل : أى جزءًا منه .

رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع - يشرط له رسول الله ﷺ الرجعة - أسأل الله تعالى أن يكون رفيقى فى الجنة ؟ فما قام رجل من القوم ، من شدة الخوف ، وشدة الجوع ، وشدة البرد ، فلما لم يقم أحد ، دعانى رسول الله ﷺ ، فلم يكن لى بد من القيام حين دعانى ، فقال يا حذيفة اذهب فادخل مع القوم ، فانظر ماذا يصنعون ، ولا تُحْدِثَنْ شيئا حتى تأتينا . قال : فذهبت فدخلت فى القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ، لا تقر لهم قدرًا ولا نارًا ولا بناء فقام أبو سفيان ، فقال : يا معشر قريش : لينظر امرؤ من جليسه ؟ قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذى كان إلى جنبى ، فقلت : من أنت؟ قال : فلان ابن فلان .

أبو سفيان ينادى بالرحيل : ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخف [١] ، وأخلفتنا [٢] بنو قُريظة ، وبلغنا عنهم الذى نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون ، ما تطمئن لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فإنى مرتحل ، ثم قام إلى جمله وهو معقول ، فجلس عليه ، ثم ضربه ، فوثب به على ثلاث ، فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم ، ولولا عهد رسول الله ﷺ إلى « أن لا تحدث شيئا حتى تأتينى » ، ثم شئت لقتلته بسهم .

قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلى فى مِرْطٍ [٣] . لبعض نسائه ، مراجل [٤] .

فلما رآنى أدخلنى إلى رجليه ، ويطرح علىَّ طرف المرط ، ثم رجع وسجد وإنى لفيه [٥] ، فلما سلم أخبرته الخبر ، وسمعت غطفان بما فعلت قريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم .

• انصراف الرسول عن الخندق :

قال ابن إسحاق : ولما أصبح رسول الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعًا إلى المدينة والمسلمون ، ووضعوا السلاح [٦] .

* * *

---

(١) الكراع : الخيل ، الخف : الإبل .
(٢) أى أخلفت ما وعدتنا . (٣) المرط : الكساء (نوع من الثياب) .
(٤) قال ابن هشام : المراجل ضرب (نوع) من وشى اليمن .
(٥) أى مغطى بالكساء . (٦) أى تركوا القتال ، وصرف الله عنهم عدوهم .

غزوة بنى قُريظة فى سنة خَمْسٍ

• أَمْرُ الله رسوله ﷺ بحرب بنى قُريظة :

فلما كانت الظهر ، أتى جبريل رسول الله ﷺ كما حدثنى الزُّهْرى ، معتجرا (١) بعمامة من إستبرق (٢) ، على بغلة عليها رحالة (٣)، عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أو قد وضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم ، فقال جبريل فما وضعت الملائكة السلاح بعدُ ، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم ، إن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالمسير إلى بنى قريظة ، فإنى عامد إليهم فمزلزل بهم .

• إعلام الرسول ﷺ المسلمين بالقتال :

فأمر رسول الله ﷺ مؤذنًا ، فأذن فى الناس ، من كان سامعًا مطيعًا ، فلا يصلين العصر إلا ببنى قريظة (٤) .

على يبلغ الرسول ما سمعه من بنى قريظة : قال ابن إسحاق : وقدَّم رسول الله ﷺ على بن أبى طالب برايته إلى بنى قريظة ، وابتدرها الناس . فسار على بن أبى طالب ، حتى إذا دنا (٥) من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ ، فرجع حتى لقى رسول الله ﷺ بالطريق ، فقال : يا رسول الله ، لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث ، قال : لم ؟ أظنك سمعت منهم لى أذى (٦) ؟ قال : نعم يا رسول الله ، قال : لو رأونى لم يقولوا من ذلك شيئا . فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم . قال : يا إخوان القردة ، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته ؟ قالوا : يا أبا القاسم ، ما كنت جهولا .

---

(١) معتجراً : أى متعمم بعمامة على رأسه فقط .

(٢) الإستبرق : الديباج الغليظ الحسن .

(٣) رَحالة : أى سرج مثل سرج الفرس .

(٤) قال ابن هشام : واستعمل ﷺ ابن أم مكتوم .

(٥) دنا : أى اقترب .

(٦) وهذا من علامة فراسة وفطنة وذكاء النبى ﷺ .

* جبريلُ فى صورة دحْيَةَ الكَلْبى :

ومرَّ رسول الله ﷺ بنفر من أصحابه بالصورين [(١)] قبل أن يصل إلى بنى قريظة ، فقال : هل مرَّ بكم أحد ؟ قالوا : يا رسول الله قد مرَّ بنا دحية بن خليفة الكلبى على بغلة بيضاء عليها رحالة ، عليها قطيفة ديباج . فقال رسول الله ﷺ : ذلك جبريل ، بُعث إلى بنى قريظة يزلزل بهم حصونهم ، ويقذف الرعب فى قلوبهم .

ولما أتى رسول الله ﷺ بنى قريظة نزل على بئر من آبارها من ناحية أموالهم ، يقال لها بئر أنا [(٢)] .

قال ابن إسحاق : وتلاحق به الناس ، فأتى رجال منهم من بعد العشاء الآخرة ، ولم يصلوا العصر لقول رسول الله ﷺ : لا يصلين أحد العصر إلا ببنى قريظة ، فشغلهم ما لم يكن منه بُد فى حربهم ، وأبوا أن يصلوا لقول رسول الله : « حتى تأتوا بنى قريظة » فصلوا العصر بها ، بعد العشاء الآخرة فما عابهم الله بذلك فى كتابه ، ولا عنَّفهم به [(٣)] رسول الله ﷺ .

---

(١) الصورين : موقع قريب من المدينة .

(٢) قال ابن هشام : بئر أنى .

(٣) وفى هذا من الفقه أنه لا يعاب على من أخذ بظاهر الحديث أو آية ، فقد صلت منهم طائفة قبل أن تغرب الشمس ، وقالوا : لم يرد النبى ﷺ إخراج الصلاة عن وقتها ، وإنما أراد الحث والإعجال ، فما عنف أحداً من الفريقين ، وفى هذا دليل على أن كل مختلفين فى الفروع من المجتهدين مصيب ، وفى حكم داود وسليمان فى الحرث أصل لهذا الأصل أيضًا ، فإنه قال سبحانه : « ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلماً » ولا يستحيل أن يكون الشىء صواباً فى حق إنسان وخطأ فى حق غيره ، فيكون من اجتهد فى مسألة فأداه اجتهاده إلى التحليل مصيباً فى استحلاله ، وآخر اجتهد فأداه اجتهاده ونظره إلى تحريمها ، مصيباً فى تحريمها ، وإنما المحال أن يحكم فى النازلة بحكمين متضادين فى حق شخص واحد ، وإنما عسر فهم هذا الأصل على طائفتين : الظاهرية والمعتزلة أما الظاهرية فإنهم علقوا الأحكام بالنصوص ، فاستحال عندهم أن يكون النص يأتى بحظر ، وإباحة معاً إلا على وجه النسخ . وأما المعتزلة فإنهم علقوا الأحكام بتقبيح العقل وتحسينه ، فصار حسن الفعل عندهم أو قبحه صفة عين ، فاستحال عندهم أن يتصف فعل بالحسن فى حق زيد والقبح فى حق عمرو، كما يستحيل ذلك فى الألوان والأكوان وغيرهما من الصفات القائمة بالذوات ، وأما ما عدا =

حدثنى بهذا الحديث أبى إسحاق بن يسار عن مَعبد بن كعب بن مالك الأنصارى ·

*** الرسول ﷺ يبدأ الحصار :**

قال : وحاصرهم رسول الله ﷺ خمسًا وعشرين ليلة ، حتى جهدهم (١) الحصار وقذف الله فى قلوبهم الرعب ·

وقد كان حُيى بن أَخْطب دخل مع بنى قُريظة فى حصنهم ، حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه ·

*** كَعْب بنُ أُسيد ينصح قومه :**

فلما أيقنوا بأن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم (٢) ، قال كعب بن أسد لهم : يا معشر يهود ، قد نزل بكم الأمر ما ترون ، وإنى عارض عليكم خلالاً ثلاث (٣) فخذوا أيها شئتم قالوا : وما هى ؟ قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم أنه نبى مرسل ، وإنه للذى تجدونه فى كتابكم ، فتأمنون على دمائكم وأموالكم ونسائكم ، قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبدًا ولا نستبدل به غيره قال : فإذا أبيتم على هذه ، فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف ، لم نترك وراءنا ثقلاً ، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإن نهلك نهلك ، ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه ، وأن نظهر فلعمرى لنجد النساء والأبناء ، قالـوا : نقتل هؤلاء المساكين ؟ فما خير العيش بعدهم ؟ قال :

= هاتين الطائفتين من أرباب الحقائق ، فليس الحظر ، والإباحة عندهم بصفات أعيان ، وإنما هى صفات أحكام ، والحكم من الله تعالى يحكم بالحظر فى النازلة على من أداه نظره واجتهاده إلى الحظر ، وكذلك الإباحة والندب والإيجاب والكراهة ، كلها صفات أحكام · فكل مجتهد وافق اجتهاده ، وجها من التأويل ، وكان عنده من أدوات الاجتهاد ما يترفع به عن حضيض التقليد إلى هضـبة النظر ، فهو مصيب فى اجتهاده مصيب فى الحكم الذى تعبد به ، وإن تعبد غيره فى تلك النازلة بعينها بخلاف ما تعبد هو به ، فلا بعد فى ذلك إلا على من لا يعرف الحقائق أو عدل به الهوى عن أوضح الطرائق ، عن السهيلى من كتابه الروض الأنف ·

(١) أى أتعبهم ·

(٢) أى يقاتلهم ·

(٣) خلالاً : أى خيارات ، وحلولا ·

فإن أبيتم على هذه فإن الليلة ليلة السبت [١] ، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها ، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة ، قالوا : نفسد سبتنا علينا ، ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت ، فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ قال : ما بات منكم أحد منذ ولدته أمه ليلة واحـــدة من الدهر حازمًا .

قصة أبي لبابة : قال : ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ : أن ابعث إلينا أبا لبابة [٢] بن عبد المنذر ، أخا بني عمرو بن عوف ، وكانوا حلفاء الأوس ، لنستشيره في أمرنا ، فأرسله رسول الله ﷺ إليهم ، فلما رأوه قام إليه الرجال ، وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه ، فرقّ لهم ، وقالوا له : يا أبا لبابة ! أترى أن ننزل على حكم محمد ؟ قال : نعم ، وأشار بيده إلى حلقه ، إنه الذبح . قال أبو لبابة : فوالله مازالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله ﷺ ، ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده ، وقال : لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله علي مما صنعت ، وعاهد الله : أن لا أطأ بني قريظة أبدا ، ولا أُرى في بلد خنت الله ورســـوله فيه أبدا .

قال ابن هشام : وأنزل الله تعالى في أبي لبابة ، فيما قال سفيان بن عيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن أبي قتادة : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون** ﴾ .

قال ابن إسحاق فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره ، وكان استبطأه ، قال : أما

---

(١) هي ليلة مقدسة عندهم لا يقاتلوا فيها .

(٢) هو رفاعة بن عبد المنذر بن زبير وقيل : اسمه مبشر ، وتاب وربط نفسه حتى تاب الله عليه ، وذكر فيه أنه أقسم ألا يحله إلا رسول الله ﷺ ، وفيه : أنزل الله تعـــالى : ﴿ **وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا** ﴾ ، غير أن المفسرين اختلفوا في ذنبه ما كان فقال ابن إسحاق ما ذكره في السيرة من إشارته على بني قريظة ، وقاله آخرون : كان من المخلّفين الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، فنزلت توبة الله عليه في هذه الآية .

إنه لو جاءنى لاستغفرت له ، فأما إذ قد فعل ما فعل ، فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن عبد الله بن قسيط : أن توبة أبى لبابة نزلت على رسول الله ﷺ من السحر ، وهو فى بيت أم سلمة ، فقالت أم سلمة : فسمعت رسول الله ﷺ من السحر وهو يضحك . قالت : فقلت : مم تضحك يا رسول الله ؟ أضحك الله سنك ؟ قال : تيب على أبى لبابة ، قالت : أفلا أبشره يا رسول الله ؟ قال: بلى ، إن شئت . قال : فقامت على باب حجرتها وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب ، فقالت : يا أبا لبابة ، أبشر فقد تاب الله عليك قال : فثار الناس إليه ليطلقوه [1] فقال : لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذى يطلقنى بيده ، فلما مر عليه رسول الله ﷺ خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه .

• إسلام بعض بنى هَدْل :

قال ابن إسحاق : ثم إن ثعلبة بن سَعْية ، وأُسَيد بن سَعْية ، وأَسْد بن عبيد وهم نفر من بنى هَدْل ، ليسوا من بنى قُريظة ، ولا النضير ، نسبهم فوق ذلك ، هم بنو عم القوم ، أسلموا تلك الليلة التى نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله ﷺ .

• قصَّة عَمْرو بن سعدى :

وخرج فى تلك الليلة عمرو بن سعدى القُرظى ، فمر بحرس رسول الله ﷺ وعليه محمد بن مسلمة تلك الليلة ، فلما رآه قال : من هذا ؟ قال : أنا عمرو بن سعدى وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بنى قريظة فى غدرهم برسول الله ﷺ وقال : لا أغدر بمحمد أبدًا - فقال محمد بن مسلمة حين عرفه : اللهم لا تحرمنى إقالة عثرات الكرام ثم خلى سبيله ، فخرج على وجهه حتى بات فى مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة ، ثم ذهب فلم يدر أين توجه من الأرض إلى يومه هذا ، فذكر لرسول الله ﷺ شأنه ، فقال : ذاك رجل نجاه الله بوفائه . وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بنى قريظة ، حين نزلوا على حكم

---

(١) أى يطلقوا أسره ، ويفرجوا عنه .

رسول الله ﷺ فأصبحت رمته ملقاة ، ولا يدرى أين ذهب فقال رسول الله فيه تلك المقالة والله أعلم أى ذلك كان .

تحكيم سعد فى أمر بنى قُريظة : قال فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فتواثبت الأوس ، فقالوا : يا رسول الله ، إنهم موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت فى موالى إخواننا بالأمس ما قد علمت - وقد كان رسول الله ﷺ قبل بنى قريظة قد حاصر بنى قينقاع . وكانوا حلفاء الخزرج ، فنزلوا على حكمه ، فسأله إياهم عبد الله بن أُبى ابن سلول [١] ، فوهبهم له - فلما كلمته الأوس قال رسول الله ﷺ : ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى ، قال رسول الله ﷺ : فذاك إلى سعد بن معاذ ، وكان رسول الله ﷺ قد جعل سعد ابن معاذ فى خيمة لامرأة من أسلم . يقال لها رفيدة [٢] ، فى مسجده ، كانت تداوى الجرحى ، وتحتسب [٣] بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين ، وكان رسول الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق : اجعلوه فى خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب . فلما حكم رسول الله ﷺ فى بنى قريظة ، أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطئوا له بوسادة من أدم [٤] ، وكان رجلا جسيما جميلا ، ثم أقبلوا معه إلى رسـول الله ﷺ ، وهم يقولون : يا أبا عمرو ، أحسن فى مواليك ، فإن رسول الله ﷺ إنما ولاك ذلك لتحسـن فيهم ، فلما أكثروا عليه قال : لقد أبى سعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم ، فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بنى عبد الأشهل ، فنعى لهم رجال بنى قريظة ، قبل أن يصل إليهم سـعد ، عن كلمته التى سمع منه . فلما انتهى سـعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين ، قال رسول الله ﷺ : قوموا إلى سيدكم - فأما المهاجرون من قريش ، فيقولون : إنما أراد رسول الله ﷺ الأنصار ، وأما الأنصار ، فيقولون : قد عم بها رسول الله ﷺ - فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، إن رسول الله ﷺ قد ولاَّك أمر مواليك لتحكم فيهم ، فقال سعد بن معاذ : عليكـم بذلك عهد الله

(١) سلول : أم عبد الله بن أبى .

(٢) وقيل إنها أنصارية من أسلم ، وهى أول طبيبة فى الإسلام .

(٣) أي تحتسب عملها هذا بلا أجر ابتغاء مرضاة الله ، وترجو الثواب من الله .

(٤) أدم : أى جلد .

وميثاقه ، أن الحكم فيهم لما حكمت ؟ قالوا : نعم : وعلى من هاهنا ؟ فى الناحية التى فيها رسول الله ، ، وهو مُعرض عن رسول الله ﷺ إجلالا له ، فقال رسول الله ﷺ نعم ، قال سعد : فإنى أحكم فيهم أن تُقتل الرجال ، وتقسم الأموال ، وتسبى الذرارى والنساء ·

* ثناء الرسول ﷺ على حكم سعد بن معاذ :

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعاذ ، عن عَلقمة بن وقَّاص الليثي ، قال : قال رسول الله ﷺ لسعد : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة (١) ·

* قتل بنى قُريظة :

قال ابن إسحاق : ثم استنزلوا ، فحبسهم رسول الله ﷺ بالمدينة فى دار بنت الحارث (٢) ، امرأة من بنى النجار ، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة التى هى سوقها اليوم ، فخندق بها خنادق ، ثم بعث إليهم ، فضرب أعناقهم فى تلك الخنادق يخرج بهم إليه أرسالاً (٣) ، وفيهم عدو الله حُيَىّ بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم وهم ستمائة أو سبعمائة ، والمكثر لهم يقول : كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالا : يا كعب ، ما تراه يصنع بنا ؟ قال أفى كل موطن لا تعقلون ؟ ألا ترون الداعى لا ينزع ، وإنه من ذهب به منكم لا يرجع ؟ هو والله القتل ! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله ﷺ ·

* مَقْتَل حُيَىٍّ بن أَخْطب :

وأتى بحيى بن أخطب عدو الله ، وعليه حُلَّة له فقاحية (٤) ·

قد شقها عليه من كل ناحية قدر أنملة لئلا يسلبها ، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل · فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال : أما والله ما لمت نفسى فى عداوتك

---

(١) أى سبع سماوات ·

(٢) واسمها : كيسة بنت الحارث بن كريز بن حبيب بن عبد شمس ، وكانت تحت (أى زوجة) مسيلمة الكذاب ثم خلف عليها عبد الله بن عامر بن كريز ·

(٣) أرسالاً : أى طائفة أو جماعة وراء أخرى ·

(٤) تشبه لون الورد حين يبدو تفتحه ·

ولكنه من يخذل الله يُخذل (١) ، ثم أقبل على الناس : أيها الناس ، إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بنى إسرائيل ، ثم جلس فضربت عنقه .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة . قالت : والله إنها لعندى تحدث معى ، وتضحك ظهراً وبطنا ، ورسول الله ﷺ يقتل رجالها فى السوق ، إذ هتف هاتف باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله . قالت : قلت لها : ويلك ، مالك ؟ قالت : أقتل ، قلت : ولم ؟ قالت : لحدث أحدثته ، قالت : فانطلق بها ، فضرب عنقها ، فكانت عائشة تقول فوالله ما أنسى عجابا منها ، طيب نفسها ، وكثرة ضحكها ، وقد عرفت أنها تقتل (٢) .

قصة الزبير بن باطا : قال ابن إسحاق : وقد كان ثابت بن قيس بن الشماس ، كما ذكر لى ابن شهاب الزهرى ، أتى الزبير (٣) بن باطا القرظى ، وكان يكنى أبا عبد الرحمن - وكان الزبير قد منَّ على ثابت بن قيس بن شماس فى الجاهلية ذكر لى بعض ولد الزبير أنه كان منَّ عليه يوم بُعاث (٤) ، أخذه فجز ناصيته ، ثم خلى سبيله - فجاءه ثابت وهو شيخ كبير ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، هلى تعرفنى ؟ قال : وهل يجهل مثلى مثلك ، قال : إنى قد أردت أن أجزيك بيدك عندى ، قال : إن الكريم يجزى الكريم ، ثم جاء ثابت بن قيس رسول الله ﷺ .

فقال يا رسول الله إنه قد كانت للزبير على منَّة . وقد أحببت أن أجزيه بها . فهب لى دمه ، فقال رسول الله ﷺ : هو لك ، فأتاه فقال : إن رسول الله ﷺ قد وهب لى دمك ، فهو لك ، قال : شيخ كبير لا أهل له ولا ولد ، فما

---

(١) وهذا اعتراف من الأعداء بأن الله يؤيد نبيه ومن ينصر الله ينصره ، والفضل ما شهدت به الأعداء .

(٢) قال ابن هشام : وهى التى طرحت الرحا على خلاد بن سويد فقتلته .

(٣) هو الزَّبِير بفتح الزاى وكسر الباء جد الزبير بن عبد الرحمن المذكور فى الموطأفى كتاب النكاح ، واختلف فى الزبير بن عبد الرحمن ، فقيل الزبير بفتح الزاى وكسر الباء كاسم جده وقيل الزُّبير ، وهو قول البخارى فى التاريخ .

(٤) يوم بُعاث : من أيام العرب الشهيرة وفيه دارت حرب بين قبيلتى الأوس والخزرج فى يثرب .

يصنع بالحياة ؟ قال: فأتى ثابت رسول الله ، فقال : بأبي أنت وأمى يا رسول الله ، هب لى امرأته وولده ، قال : هم لك . قال : فأتاه فقال : قد وهب لى رسول الله ﷺ أهلك وولدك ، فهم لك ، قال : أهل بيت بالحجاز لا مال لهم ، فما بقاؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابت رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، ماله ، قال : هو لك فأتاه ثابت فقال : قد أعطانى رســـول الله ﷺ مالك ، فهو لك ، قال يا ثابت ، ما فعل الذى كأن وجهه مرآة صيـــنية يتراءى فيها عذارى الحى ، كعب بن أسد ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل سيد الحاضر والبادى حُيى بن أخطب ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل مقدمتنا إذا شـــددنا ، وحاميتنا إذا فررنا عزال بن سموأل ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل المجلسان ؟ يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة ، قال : ذهبوا قُتلوا قال : فإنى أســألك يا ثابت بيدى عندك إلا ألحقتنى بالقوم ، فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير فيما أنا بصاير لله فتلة دلو ناضح (١) حتى ألقى الأحبة فقدمه ثابت ، فضرب عنقهُ .

فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله : ألقى الأحبة. قال يلقاهم والله فى نار جهنم خالدًا فيها مخلدًا .

* قصة عطية ورفاعة بن سَمْوأل القرظيين :

قال ابن إسحاق : وحدثنى شُعْبة بن الحجاج ، عن عبد الملك بن عُمَير ، عن عطية القُرظى ، قال : كان رسول الله ﷺ قد أمر أن يُقتل من بنى قُريظة كل من أنبت منهم (٢) وكنت غلامًا . فوجدنى لم أنبت . فخلوا سبيلى (٣) .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى صَعْصَعة أخو بنى عدى بن النجار : أن سلمى بنت قيس ، أم المنذر ، أخت سُلَيط بن قيس -

(١) الناضح : الحبل . والمعنى مقدار ما يأخذ الرجل الدلو ليصبها فى الحوض .

(٢) أنبت منهم : أى ظهر الشعر على عانته وهو من علامات البلوغ .

(٣) وهذا دليل واضح الدلالة على رحمة الإسلام الذى حرَّم قتل الشيوخ والنساء التى لم تحارب ، والأطفال الذين لم يبلغوا ، ومن لم يكن فى أرض المعركة ، يالها من أخلاق سامية وسماحة عالية !

وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ ، قد صلت معه القبلتين [١] وبايعته بيعة النساء - سألته رفاعة بن سَمْوَأل القُرَظِى ، وكان رجلاً قد بلغ : فلاذ بها وكان يعرفهم قبل ذلك ، فقالت يا نبى الله ، بأبى أنت وأمى ، هب لى رفاعة فإنه قد زعم أنه سيصلى ويأكل لحم الجمل ، قال : فوهبه لها ، فاستحيته ٠

تقسيم الفىء : قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله ﷺ قسم أموال بنى قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين ٠ وأُعلم فى ذلك اليوم سُهمان الخيل [٢] وسهمان الرجال وأخرج منها الخمس ، فكان للفارس ثلاثة أسهم ، للفرس سهمان ولفارسه سهم ، وللراجل [٣] من ليس له فرس ، سهم ٠ وكانت الخيل يوم بنى قريظة ستة وثلاثين فرسا ، وكان أول فئ وقعت فيه السُّهمان ، وأخرج منها الخمس ، فعلى سنتها وما مضى من رسول الله ﷺ فيها وقعت المقاسم ، ومضت السنة فى المغازى ٠

ثم بعث رسول الله ﷺ مع سعد بن زيد الأنصارى أخا بنى عبد الأشهل سبايا [٤] من سبايا بنى قريظة إلى نجد ، فابتاع لهم بها خيلا وسلاحا ٠

إسلام رَيْحَانة : قال : وكان رسول الله ﷺ قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خُنافة ، إحدى نساء بنى عمرو بن قريظة ، فكانت عند رسول الله ﷺ حتى توفى عنها وهى فى ملكه [٥] ، وقد كان رسول الله ﷺ عرض عليها أن يتزوجها ، ويضرب عليها الحجاب ، فقالت : يا رسول الله ، بل تتركنى فى ملكك ، فهو أخف على وعليك ، فتركها ٠ وقد كانت حين سباها قد تعصت بالإسلام ، وأبت إلا اليهودية ، فعزلها رسول الله ﷺ ، ووجد فى نفسه لذلك من أمرها ، فبينما هو مع أصحابه ، إذ سمع وقع نعلين خلفه ، فقال : إن هذا

---

(١) أى صلت مع رسول الله ، إلى اتجاه بيت المقدس القبلة الأولى ، ثم عاشت حتى أمر الرسول ﷺ بتحويل القبلة إلى الكعبة المشرفة بمكة المكرمة ، وعبارة صلت معه القبلتين تدل على إسلامها المبكر ٠

(٢) أى جعل للفرس سهمين من الفىء والغنيمة ٠

(٣) الراجل : أى الذى يسير مترجلاً أى على رجله (قدمه) ٠

(٤) السبايا : الأسارى ٠

(٥) أى جاريته وليست بزوجته ٠

لثعلبة بن سعية يبشرنى بإسلام ريحانة [١] ، فجاءه فقال يا رسول الله ، قد أسلمت ريحانة ، فسره ذلك من أمرها .

ما نزل من القرآن فى الخندق وبنى قريظة : قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى فى أمر الخندق ، وأمر بنى قريظة من القرآن ، القصة فى الأحزاب ، يذكر فيها ما نزل من البلاء ، ونعمته عليهم ، وكفايته إياهم حين فرَّج ذلك عنهم ، بعد مقالة من قال من أهل النفاق : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً** ﴾ [٢] . والجنود قريش وغطفان وبنو قريظة ، وكانت الجنود التى أرسل الله عليهم مع الريح الملائكة ، يقول الله تعالى : ﴿ **إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا** ﴾ [٣] . فالذين جاءوهم من فوقهم بنو قريظة ، والذين جاءوهم من أسفل منهم قريش وغطفان يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ **هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديداً وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً** ﴾ لقول : معتب بن قشير إذ يقول ما قال : ﴿ **وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبى يقولون إن بيوتنا عورة وما هى بعورة إن يريدون إلا فراراً** ﴾ لقول أوس بن قيظى ومن كان على رأيه من قومه : ﴿ **ولو دخلت عليهم من أقطارها** ﴾ أى المدينة [٤] .

﴿ **ثم سئلُوا الفتنة** ﴾ أى : الرجوع إلى الشرك : ﴿ **لأتوها وما تلبثوا بها إلا يسيراً * ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسئولا** ﴾ فهم بنو حارثة ، وهم الذين هموا أن يفشلوا يوم أُحد مع بنى سلمة حين همتا بالفشل يوم أُحد ، ثم عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها أبدًا ، فذكر لهم الله الذى أعطوا من

---

(١) وهذا من مبشرات الرسول ومن دلائل نبوته ؛ وصدق الله إذ يقول : ﴿ إن هو إلا وحى يوحى ﴾ .

(٢) سورة الأحزاب : ٩ .

(٣) سورة الأحزاب : ١٠ .

(٤) قال ابن هشام : الأقطار الجوانب ، وواحدها قطر ، وهى الأقتار وواحدها قتر . انظر سيرة ابن هشام .

أنفسهم ، ثم قال تعالى : ﴿ قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذاً لا تمتعون إلا قليلاً قل من ذا الذى يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيراً * قد يعلم الله المعوقين منكم ﴾ : أى أهل النفاق : ﴿ والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا ﴾ : أى إلا دفعاً وتعذيراً (١) : ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ﴾ ، أى للضغن (٢) الذى فى أنفسهم . ﴿ فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت ﴾ . أى إعظامًا له وفرقًا منه . ﴿ فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد ﴾ (٣) أى فى القول بما لا تحبون ، أنهم لا يرجون آخرة ، ولا تحملهم حِسبة (٤) ، فهم يهابون الموت هيبة من لا يرجو ما بعده .

﴿ يحسبون الأحزاب لم يذهبوا ﴾ قريش وغطفان : ﴿ وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الأعراب يسئلون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا ﴾ .

ثم أقبل على المؤمنين فقال : ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أُسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾ :أى لئلا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه، ولا عن مكان هو به .

ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء يختبرهم به ، فقال : ﴿ ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما ﴾ : أى صبرا على البلاء وتسليما للقضاء ، وتصديقا للحق ، لما كان الله تعالى وعدهم ورسوله ﷺ ثم قال : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ﴾ : أى فرغ من عمله ، ورجع إلى ربه ، كمن استشهد يوم بدر ويوم أُحد .

قال ابن إسحاق : ﴿ ومنهم من ينتظر ﴾ أى ما وعد الله به من نصره ، والشهادة على ما مضى عليه أصحابه . يقول الله : ﴿ وما بدَّلوا تبديلاً ﴾ أى ما

---

(١) التعذير : هو فعل الشيء بغير نية كى يعذره الناس .

(٢) الضغن : أى الحقد والغل .

(٣) سورة الأحزاب : الآيات ١١ - ١٩ .

(٤) حُسبة : أى عمل الشيء ابتغاء مرضاة الله وادخار الأجر عند الله .

شكوا وما ترددوا فى دينهم ، وما استبدلوا به غيره ﴿ **ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذِّب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفوراً رحيمًا * وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم** ﴾ أى قريشًا وغطفان : ﴿ **لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويًا عزيزاً * وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب** ﴾ أى بنى قريظة ﴿ **من صياصيهم** ﴾ ، والصياصى : الحصون والآطام التى كانوا فيها .

قال ابن إسحاق : ﴿ **وقذف فى قلوبهم الرعب فريقًا تقتلون وتأسرون فريقًا** ﴾ : أى قتل الرجال ، وسبى الذرارى والنساء ، ﴿ **وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضًا لم تطئوها** ﴾ : يعنى خيبر ، ﴿ **وكان الله على كل شىء قديراً** ﴾ [(١)] .

إكرام سعد فى موته : قال ابن إسحاق : فلما انقضى شأن بنى قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه ، فمات منه شهيداً .

قال ابن إسحاق : حدثنى معاذ بن رفاعة الزرقى ، قال : حدثنى من شئت من رجال قومى أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله ﷺ حين قبض سعد بن معاذ من جوف الليل معتجراً بعمامة من إستبرق ، فقال : يا محمد ، من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء ، واهتز له العرش [(٢)] ؟ قال : فقام رسول الله ﷺ سريعاً يجر ثوبه إلى سعد ، فوجده قد مات .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عَمرة بنت عبد الرحمن

---

(١) سورة الأحزاب : الآيات ٢٠ - ٢٧ .

(٢) حديث اهتزاز العرش ثابت من وجوه وفى بعض ألفاظه أن جبريل عليه السلام نزل حين مات سعد معتجراً بعمامة من إستبرق ، فقال : يا محمد من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش ؟ وفى حديث آخر قال عليه السلام : لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون ألف ملك ما وطئوا الأرض قبلها ، ويذكر أن قبره وجد منه رائحة المسك ، وقال عليه الصلاة والسلام : لو نجا أحد من ضغطة القبر لنجا منها سعد .

وقد تكلم الناس فى معناه ، وظنوا أنه مشكل ، وقال بعضهم : الاهتزاز هاهنا بمعنى الاستبشار بقدوم روحه ، وقال بعضهم : يريد حملة العرش ومن عنده من الملائكة ، استبعاداً منهم لأن يهتز العرش على الحقيقة ، ولا بعد فيه ، لأنه مخلوق ، وتجوز عليه الحركة ، والهزة ولا يعدل عن ظاهر اللفظ : ما وجد إليه سبيل ، وحديث اهتزاز العرش لموت سعد صحيح ، قال أبو عمر : هو ثابت من طرق متواترة ، وما روى من قول البراء بن عازب فى معناه : =

قالت : أقبلت عائشة قافلة [١] من مكة ، ومعها أسيد بن حُضير ، فلقيه موت امرأة له ، فحزن عليها بعض الحزن ، فقالت له عائشة : يغفر الله لك يا أبا يحيى ، أتحزن على امرأة وقد أُصبت بابن عمك ، وقد اهتز له العرش ·

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن الحسن البصرى ، قال : كان سعد رجلاً بادنا [٢] ، فلما حمله الناس وجدوا له خفة ، فقال رجال من المنافقين والله إن كان لبادنا وما حملنا من جنازة أخف منه ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فقال : إن له حملة غيركم والذى نفسى بيده ، لقد استبشرت الملائكة بروح سعد واهتز له العرش ·

قال ابن إسحاق : وحدثنى معاذ بن رفاعة ، عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجموح · عن جابر بن عبد الله ، قال : لما دفن سعد ونحن مع رسول الله ﷺ سبَّح رسول الله ﷺ فسبح الناس معه ، ثم كبَّر فكبر الناس معه ، فقالوا : يا رسول الله ، مِمَّ سبَّحت ؟ قال : لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرَّج الله عنه ·

قال ابن إسحاق : ولسعد يقول رجل من الأنصار :

وما اهتز عرش الله من موت هالك ... سمعنا به إلا لسعد أبى عمرو

وقالت أم سعد [٣] ، حين احتمل نعشه وهى تبكيه :

ويلُ أم سـعدٍ سعدًا ... صَرامة وَجِـدًّا

= أن سرير سعد اهتز لم يلتفت إليه العلماء ، وقالوا : كانت بين هذين الحيين من الأنصار ضغائن ، وفى لفظ الحديث : اهتز عرش الرحمن ، رواه أبو الزبير عن جابر يرفعه ، ورواه البخارى من طريق الأعمش عن أبى صالح وأبى سفيان كلاهما عن جابر ، ورواه من الصحابة جماعة غير جابر منهم ، أبو سعيد الخدرى ، وأُسيد بن حضير ، ورميثة بنت عمرو ، ذكر ذلك الترمذى ، والعجب لما روى عن مالك رحمه الله من إنكاره للحديث ، وكراهيته للتحدث به مع صحة نقله وكثرة الرواة له لم تصح عن مالك ، انظر الروض الأنف تحقيق طه عبد الرءوف سعد ٢ / ٢٨٣ ، وما بعدها ·

(١) أى راجعة أو عائدة ·

(٢) أى بديناً أو سمينًا يريد ضخم الجسم ·

(٣) قال ابن هشام : هى كبيشة بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن الأبجر ·

وُسودًا ومجـدًا وفارســًا مُعدًّا
سُد به مَســـدًّا يَقد هامــا قَدًّا

يقول ﷺ : « كل نائحة تكذب إلا نائحة سعد بن معاذ » (١) .

* * *

(١) وذلك لأنها كانت صادقة فى شعورها نحوه وصدقها فيما قالت وما قالته نفاقاً ولا مدحًا لأجل مال أو شهرة وإنما جاءت كلماتها من القلب دون تكلف فى رجل يستحق ذلك الرثاء.

الشُّهَداء يَوم الخَنْدَق

قال ابن إسحاق : ولم يستشهد من المسلمين يوم الخندق إلا ستة نفر ·

من بنى عبد الأشهل : سعد بن معاذ ، وأنس بن أوس بن عتيك بن عمرو ، وعبد الله بن سهل · ثلاثة نفر ·

ومن بنى جشم بن الخزرج ، ثم من بنى سلمة : الطفيل بن النعمان ، وثعلبة ابن غنيمة · رجلان ·

ومن بنى النجار ، ثم من بنى دينار : كعب بن زيد ، أصابه سهم غرب [١] ، فقتله ·

* قتلى المشركين :

وقتل من المشركين ثلاثة نفر :

من بنى عبد الدار بن قُصى : مُنَبة بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار ، أصابه سهم ، فمات منه بمكة ·

قال ابن إسحاق : ومن بنى مخزوم بن يقظة : نوفل بن عبد الله بن المغيرة ، سألوا رسول الله ﷺ أن يبيعهم جسده ، وكان اقتحم الخندق ، فتورط فيه فقتل ، فغلب المسلمون على جسده فقال رسول الله ﷺ : لا حاجة لنا فى جسده ولا بثمنه ، فخلى بينهم وبينه [٢] ·

قال ابن إسحاق : ومن بنى عامر بن لُؤى ، ثم من بنى مالك بن حسل : عمرو بن عبد وُدٍّ قتله على بن أبى طالب رضوان الله عليه ·

* * *

(١) قال ابن هشام : سهم غرب أى الذى لا يعرف من أين جاء ولا من أين رمى به ·

(٢) وهذا يبين إلى أى مدى عظمة وسماحة الإسلام وعدم التمثيل بالميت ·

الشهداء يوم بنى قُريظة

قال ابن إسحاق : واستشهد يوم بنى قريظة من المسلمين ثم من بنى الحارث بن الخزرج ، خلاَّد بن سُويد بن ثَعلبة بن عمرو ، طُرحت عليه رحى [(١)] ، فشدخته شدخًا شديدًا ، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال : إن له لأجر شهيدين .

ومات أبو سِنان بن مُحْصن بن حرثان ، أخو بنى أسد بن خزيمة ، ورسول الله ﷺ محاصر بنى قريظة ، فدفن فى مقبرة بنى قريظة التى يدفنون فيها اليوم [(٢)] وإليه دفنوا أمواتهم فى الإسلام .

ولما انصرف أهل الخندق عن الخندق ، قال رسول الله ﷺ فيما بلغنى : لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ، ولكنكم تغزونهم فلم تغزهم قريش بعد ذلك وكان هو الذى يغزوها « حتى فتح الله عليه مكة » [(٣)] .

* * *

(١) الرَّحا : الأداة التى يُطحن بها ، وهى حجران مستديران يوضع أحدهما على الآخر ويدار الأعلى على قطب ، والجمع أرحاء وأرحية . انظر المعجم الوجيز ص ٢٥٩ .

(٢) أى أيام ابن إسحاق .

(٣) وهذه من أعلام ودلائل النبوة أى المبشرات التى حدَّث بها الرسول ﷺ أنها ستحدث فى المستقبل وحدثت بالفعل كما أخبر .

ما قيل من الشعر فى أمر الخندق وبنى قُريظة

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق :

* **شعر كعب بن مالك :**

مَنْ سرَّه ضَربٌ يمعمـــع بَعْضُه ... بَعْضًا كَمعمعـــة الأباء المَحرَّق [١]
فَلتأت مَأسـدة تُسن سُيُوفُها ... بَيْنَ المذاد وبَين جزع الخندق [٢]
دَربُوا بَضرب المعلمــين وأسلموا ... مُهجات أنفسهــم لَرب المشرق
فى عُصبــة نَصرَ الإله نبيهُ ... بهمْ وكـــان بعَبْده ذَا مَرفَق
فى كُلِّ سَابغة تَخط فُضولهــا ... كَالنهى هَبَّتْ رِيحهُ المترقرق [٣]
بَيْضَاءَ مُحكَمـــة كَأن قَتيرَها ... حَدق الجَنادُب ذَات شَك موثق [٤]
جَدْلاَء يَحفزُهَا نَجـــادٌ مُهَنَّدٌ ... صَافى الحديدة صَارِمٌ ذِى رَونَق [٥]
تلكم مع التقوَى تكـــون لباسُنَا ... يَوْمَ الهِيَاج وكل سَاعة مَصْـــدق
نَصل السيـــوف إذا قَصرن بخَطونا ... قُدمـــا ونَلحقها إذَا لم نُلْحق
فَترى الجمـــاجم ضَاحيا هَاماتها ... بَلْه الأكُفَّ كَأنهـــا لم تَخلَق [٦]
نَلقى العَدُوَّ بِفَخمةٍ مَلمـــومَةٍ ... تَنفى الجموع كَقَصْدِ رَأس المشْرِق [٧]

---

(١) المعمعة : صوت اتقاد النار . الأباء : الأغصان الملتفة .

(٢) المأسدة : المكان الكثير الأسود ويريد هنا مكان الحرب . المذاد : مكان حفر الخندق .

(٣) السابغة : الدروع الكاملة . تخط نضولها : ينجر على الأرض ما زاد منها . النهى : غدير الماء .

(٤) القتير : مسامير الدروع . الجنادب : جمع جندب ، نوع صغير من الجراد ، والشك : إحكام فى الصنع . موثق : قوية .

(٥) الجدلاء : الدرع القوية النسج . يحفزها : يرفعها . النجاد : حمائل السيف . رونق السيف : طلاوته وصفاؤه وبريقه .

(٦) بله : اسم فعل بمعنى اترك

(٧) الململومة : المجتمعة . أى كتيبة مجتمعة .

وَنُعِدُّ للأَعْدَاء كــــلَّ مقلصٍ ... وَرد ومَحْجُول القَوائِم أبلق (١)
تَردى بِفُرسَانٍ كَأن كَماتهــــمْ ... عِنْدَ الهياج أسود طَل ملْثَق (٢)
صُدق يُعاطُون الكُماة حتُوفهمْ ... تحت العمَاية بالوشيج المزهق (٣)

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق أيضًا :

لَقَد عَلِمَ الأَحْزَاب حــــينَ تَألَّبوا ... عَلينا وَرَاموا دينَنَا مَا نُوادعُ
أَضَاميم من قيس بن عيلان أصفقت ... وخندق لم يدروا بما هو واقعُ (٤)
يزودُونَنَا عــــن دِيننا ونَزودُهُمْ ... عَن الكُفْرِ والرَّحمن راءٍ وسَامِعُ
إذَا غَايظُونا فِى مُقَــــام أَعَانَنَا ... علَى غَيْظِهِم نَصر من الله وَاسعُ
وَذلك حِفْظُ الله فيـــنا وفضلُه ... علينا ومن لم يحفظ الله ضَائِعُ
هدانا لدين الحــــق واختاره لنا ... والله فوق الصانعين صَنائِعُ

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق أيضًا :

أَلاَ أَبْلِغْ قُرَيْشًا أن سَلمــــا ... وَما بين العُرِيضِ إلى الصِّماد (٥)
نَواضِح فى الحــروب مُدَرَّبات ... وخوض ثُقِّبتْ مِنْ عَهْد عَاد (٦)
رَوَاكِد يزخــــر المرَّار فيها ... فَليست بِالجَمام ولا الثَّماد (٧)
كَأن الغَاب والبــــرديَّ فيها ... أجَش إذا تَبقَــع للحَصَاد (٨)
وَلَم نَجْعَل تِجارَتَنا اشتراءَ الــ ... حمير لأرض دوس أو مَرادِ
بَلادٍ لَم تُثَر إلا لَكيــــما ... نجالد إن نشطتم للجلادِ

(١) مقلص : الفرس الخفيف · والورد : الأحمر الضارب إلى الصفرة · ومحجول القوائم : فى قوائمه بياض ·
(٢) الطل : المطر الضعيف ·
(٣) العماية : ظلمة الغبار · الوشيج : الرماح ·
(٤) أضاميم : جماعات ، أصفقت : اجتمعت على أمر ·
(٥) سلع : جبل بالمدينة · والعريض : واد بالمدينة ·
(٦) نواضح : حدائق تسقى بالنضح · خوص : آبار ضيقة ·
(٧) المرار : نهر · الجمام · الآبار كثيرة الماء · الثماد : الماء القليل ·
(٨) الأجش : العالى الصوت · تبقع : صار فيه بقع علامة النضج ·

أثرنا سكـــــة الأنْبَاطِ فيهَا ... فَلم تَرِ مِثْلهَا جَلْهاتِ وَادِ (١)
قَصرنا كل ذِى حُضْرٍ وَطول ... عَلى الغَايات مُقْتَدِرٍ جَوَادِ (٢)
أجيبونا إلـــــى ما نجتديكم ... من القول المُبَيَّن والسداد (٣)
وإلا فَاصبــــروا لجَلاد يوم ... لَكم منا إلى شَطــر المذاد (٤)
نُصبِّحكم بكل أخـــى حُروب ... وكل مُطهَّـــم سَلس القياد
وكُل طمرَّة خفـــق حَشاهَا ... تَدف دَفيف صفـــراء الجراد (٥)
وكُل مُقلَّـــص الآراب نَهْد ... تَميم الخلق من أُخرْ وهادى (٦)
خيولٌ لاتُضـــاع إذَا أُضيعَتْ ... خُيولُ الناس فى السنـــة الجماد
يُنَازِعْنَ الأَعِنَّـــة مُصْغيات ... إذا نادى إلـــى الفَزِع المنادى
إذَا قَالتْ لنا النذر استَعدُّوا ... تَوكَّلنا علــــى رَبِّ العبَاد
وَقُلنا لَنْ يَفرج مَا لقِينـــــا ... سِوى ضَرْب القَوانس والجهادِ (٧)
فلم تَرَ عُصْبَة فِيمـــن لقَينا ... من الأَقْوامِ مـــن قار وبادى
أشد بسَالة منـــا إذا مَا ... أَرَدْناه وألين فـــى الوداد
إذا ما نَحنُ أَشْرجنـــا عليها ... جياد الجدْل فى الأرب الشدادِ (٨)
قَذفنا فى السَوابغ كـــل صقْرٍ ... كَريـــم غَيْر مَعتَلث الزِّناد

(١) السكة : النخيل المصطف . جلهات وادى . ما كشفت عنه السيول فأبرزته .
(٢) الحضر : الجرى . وذو الحضر : يريد الخيل .
(٣) نجتديكم : نسألكم .
(٤) الشطر : الناحية . والمذاد : حيث حفر الخندق بالمدينة .
(٥) الطمرة : الفرس الوثوب القوية . تدف : تقول دف الطائر : إذا حرك جناحيه .
صفراء الجراد : هى التى ألقت بيضها فهى خفيفة فى طيرانها .
(٦) المقلص : الشديد . الأراب : قطع اللحم . النهد : الغليظ ، والهادى : العنق .
أى : كريم من أوله إلى آخره .
(٧) القوانس : أعالى بيض الحديد .
(٨) أشرجنا : ربطنا ، الجدل : الدروع المحكمة النسج ، الأرب : العقد الشديدة .

أشم كأنهُ أســــدٌ عبُوسٌ غَداة بدَا ببطـــن الجَزع غَادى
يَغشَّى هَامة البطــل المذكى صَبى السيـف مسترخى النجاد (١)
لنُظهر دينــك اللَّهُمّ إنا بكفك فَاهــدنا سُبل الرشاد

* رثاء مُسَافعٌ عمرو بن عبد وُدٌّ :

قال ابن إسحاق : وقال مسافع بن عبد مناف بن وهب بن جُذَافة بن جمح ، يبكى عمرو بن عبد وُد ، ويذكر قتل على بن أبى طالب إياه :

عَمرو بــن عَبدٍ كَان أول فَارس جَزَعَ المذاد وكــان فَارس يَليَلِ (٢)
سمح الخــلائق مَاجدٌ ذُو مرَّة يبغى القتَال بشكــة لم ينكلِ
ولَقد عَلمتــم حيَن ولُّوا عَنكم أن ابن عبدٍ فيهــم لم يَعجَلِ
حتى تكنــفه الكُماة ،وكلهم يَبغى مقَاتله وليــس بمؤتلى (٣)
ولَقَدْ تكنَّفــت الأسنَّة فارسًا بجنوبِ سَلعٍ غَــيرِ نكسٍ أميَلِ
تَسلِ النُزَّال علــى فَارس غَالبٍ بَجنوب سَلع ، ليتــه لم ينْزلِ
فَاذهب علىُّ فَمـــا ظَفرتَ بمثله فَخرًا ولا لاقيــت مثْل المعضلِ
نَفسى الفِداءُ لِفَارسٍ مـــنْ غَالبٍ لاقى حِمَامَ الموتِ لَمْ يَتحلْحَلِ (٤)
أعنى الذى جَزع المذاد بِمهره طلبًا لثأر معـــاشر لم يخذلِ

● **هُبيرة يُرثى عمرو بن عبد وُدٌّ :**

قال ابن إسحاق : وقال هبيرة بن أبى وهب يعتذر عن فراره ، ويبكى عَمراً ويذكر قتل على إياه :

لَعَمرِى مَا ولَيت ظَهرى مُحَمداً وأصْحَابَهُ جُبْنا ولاخِيفـــة القَتْلِ
ولَكنني قَلبتُ أمـــرى فَلم أجدْ لسَيْفى غَناء إن ضَـــربت ولا نَبْلِى

---

(١) المذكى : شديد القوة ، صبى السيف : وسطه ، النجاد : حمائل السيف .
(٢) جزع : أى قطع ، المذاد : مكان بالمدينة حيث بُنى الخندق ، يليل : واد فى بدر .
(٣) ليس بمؤتلى : أى ليس بمقصر . (٤) لم يتحلحل : أى لم يتزحزح ولم يهرب .

وَقَفْتُ فَلما أَجِدْ لِى مَقـــدمًا صَدرْتُ كَضُرغَامٍ هزبر أَبى شَبْل (١)
ثنَى عطْفه عَنْ قِرنه حَين لم يَجدْ مكرًا وقدمًا كان ذلك من فعلى
فَلا تَبْعدن يَا عَمـــرو حيًّا وهالكًا وحق لحُسن المدحِ مثلُكَ من مثلِى
ولا تَبْعُدَنَّ يَا عَمـــرو حيًّا وهالكًا فقد بِنْتَ محمود الثنا ماجد الأصلى(٢)
فَمن لِطرا الخَيْلِ تَقْدَعَ بالقَنـــــ وللفخر يومًا عند قَرْقَرة البزلِ (٣)
هُنَالك لَو كان ابـــن عبدٍ لزارها وَفَرجها حقًّا فَتَى غَيْر مَا وَغـــلِ (٤)
فَعنكَ عليٌّ لا أرى مثـــل موقف وقفتَ على نجد المقـــدم كالفحلِ (٥)
فما ظفرت كفـــاك فخرًا بمثله أمنت به ما عشـــت من زلة النعلِ (٦)

* **فَخْر حسان بن ثابت بقتل عمرو:**

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضًا فى شأن عمرو بن عبد وُد :

أَمسى الفَتى عَمْرو بنُ عبدٍ يَبْتَغِى بَجنوب يَثْربَ ثَاره لم ينظرِ
فَلقد وَجَـــدتَ سيُوفَنا مَشْهُورَةً ولَقَد وَجَدْت جيَادنا لـــم تُقْصَرَ
وَلقد لَقيتَ غَـــداة بدرٍ عُصْبَةً ضَربُوك ضربًا غيـــر ضَرب الحسرِ (٧)
أَصبحـــت لا تُدعى لِيَومٍ عَظِيمَةٍ يا عَمرو أو لجَسيـــم أمرٍ مُنْكرِ

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضًا :

---

(١) الهزبر : الشديد القوى ، الشبل : ولد الأسد .
(٢) الثنا : السيرة الحسنة والذكرى الطيبة .
(٣) قرقرة البزل : أصوات الإبل الكريمة .
(٤) الوغل : الفاسد .
(٥) عنك : اسم فعل أمر بمعنى ابتعد .
(٦) الحق يقال أن كل ما قيل من شعر تمجيدًا ومدحًا فى عمرو بن عبد ودّ كان بحق شهادة تقدير للإمام على كرم الله وجهه ، ورضى عنه - ودليلا على بطولته وشجاعته ، وأنه كان نصرًا للإسلام ومثله كل صحابة رسول الله ﷺ .
(٧) الحسر : أى الذى لا درع له .

أَلا أَبْلِغْ أبَا هِدْمٍ رَسُــــولاً مُغَلْغلة تَخِبُ بِهـــا المطِىُّ (١)
أَكنتُ وليكـــم فى كل كُره وَغيرى فى الرخــاء هو الولىُّ
ومنكـــم شَاهِد ولقد رآنى رُفعت له كـــما احتمل الصبىُّ

*** حسان يبكى سعد بن معاذ :**

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت فى يوم بنى قُريظة يبكى سعد بن معاذ ويذكر حكمه فيهم :

لَقد سَجــمَتْ من دَمْعِ عَينى عَبْرةٌ وَحق لَعينـــى أَن تَفيضَ عَلى سَعْدِ
قَتيل ثَوى فـــى مَعرك فُجعت به عُيون ذُوارِى الدمـع دَائِمة الوجدِ (٢)
عَلى ملَّة الرحـــمن وَارث جَنَّةٍ مَع الشهـــداء ، وفدها أكرم الوفدِ
فَإن تَكُ قـــد وَدعتنا وَتركتنا وأمْسَيت فـــى غَبْراءَ مَظلمة اللحدِ
فَأنت الـــذى يا سَعْدُ أُبتَ بمشهدٍ كَريم وأثـــواب المكارم والحمدِ
بحكمك فـــى حَيَّى قُريظة بالذى قَضى الله فيهـم ما قَضيتُ على عَمْدِ
فَوافق حُكْمَ اللهِ حكْمُك فِيهـــم وَلم تعف إذ ذُكرت ما كان من عَهْدِ
فَإن كان رَيبُ الدهر أمضـاك فى الأُلى شروْا هـــذه الدنيا بجناتها الخلدِ
فَنِعمَ مَصِير الصَّادِقـــين إذا دَعوا إلى الله يوما للوجـــاهة والقصدِ

* * *

(١) المغلغلة : الرسالة الخطية المحمولة من بلد إلى بلد .

(٢) ذوارى : أى ساكبة .

مَقْتَلُ سلاَّم بن أبى الحُقيق [١]

قال ابن إسحاق : ولما انقضى شأن الخندق ، وامر بنى قُريظة ، وكان سلاَّم بن أبى الحقيق ، وهو أبو رافع فيمن حزَّب الأحزاب [٢] على رسول الله ﷺ ، وكانت الأوس قبل أحد قتلت كعب بن الأشرف ، فى عداوته لرسول الله ﷺ وتحريضه عليه ، استأذنت الخزرج رسول الله ﷺ فى قتل سلام بن أبى الحقيق ، وهو بخيبر فأذن لهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزُّهرى ، عن عبد الله ابن كعب بن مالك قال : وكان مما صنع الله به لرسول الله ﷺ أن هذين الحيين من الأنصار : الأوس والخزرج ، كانا يتصاولان مع رسول الله ﷺ تصاول الفحلين ، لا تصنع الأوس شيئا عن رسول الله ﷺ غناء إلا قالت الخزرج : والله لا تذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله ﷺ وفى الإسلام . قال : فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها ، وإذا فعلت الخزرج شيئا قالت الأوس مثل ذلك .

ولما أصابت الأوس كعب بن الأشرف فى عداوته لرسول الله ﷺ ، قالت الخزرج : والله لا تذهبون بها فضلا علينا أبدًا ، قال : فتذكروا : من رجل لرسول الله ﷺ فى العداوة كابن الأشرف ؟ فذكروا ابن أبى الحقيق ، وهو بخيبر فاستأذنوا رسول الله ﷺ فى قتله ، فأذن لهم .

الذين قتلوا ابن أبى الحقيق :

فخرج إليه من الخزرج من بنى سلمة خمسة نفر : عبد الله بن عُتيك ، ومسعود بن سنان وعبد الله بن أُنيس ، وأبو قتادة ، الحارث بن ربعى ، وخُزاعى بن أسود ، حليف لهم من أسلم . فخرجوا وأمر عليهم رسول اللهَ ﷺ عبد الله بن عتيك ، ونهاهم عن أن يقتلوا وليدًا أو امرأة ، فخرجوا حتى إذا قدموا خيبر ، أتوا

---

(١) كان من اليهود المعاندين أشد العناد والمعادين أشد العداوة لرسول الله ﷺ وللمسلمين فأراحهم الله منه .

(٢) حزَّب الأحزاب : أى هو الذى تسبب فى جمعهم ضد الرسول وتأليبهم عليه .

دار ابن أبى الحقيق ليلاً ، فلم يدعوا بيتا فى الدار إلا أغلقوه على أهله ، قال : وكان فى عليَّة له إليها عجلة [١] قال : فأسندوا فيها ، حتى قاموا على بابه فأستأذنوا عليه ، فخرجت إليهم امرأته ، فقالت : من أنتم ؟ قالوا : ناسٌ من العرب نلتمس الميرة . قالت : ذاكم صاحبكم ، فادخلوا عليه ، قال : فلما دخلنا عليه ، أغلقنا علينا وعليها الحجرة ، تخوفا أن تكون دونه مجاولة تحول بيننا وبينه ، قالت : فصاحت امرأته فنوَّهت [٢] بنا وابتدرناه ، وهو على فراشه بأسيافنا ، فوالله ما يدلنا عليه فى سواد الليل إلا بياضه كأنه قبطية [٣] ملقاة . قال : ولما صاحت بنا امرأته ، جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ، ثم يذكر نهى رسول الله ﷺ فيكف يده [٤] ، ولولا لذلك لفرغنا منها بليل . قال : فلما ضربناه بأسيافنا تحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه فى بطنه حتى أنفذه ، وهو يقول : قَطْنِى قَطْنِى : أى حسبى حسبى ، قال : وخرجنا ، وكان عبد الله بن عتيك رجلاً سيء البصر قال : فوقع من الدرجة فوثئت [٥] يده وثئًا شديدًا [٦] ، وحملناه حتى نأتى به منهـرًا من عيونهم ، فندخل فيه . قال : فأوقدوا النيران ، واشتدوا فى كل وجه يطلبوننا قال : حتى إذا يئسوا رجعوا إلى صاحبهم فاكتنفوه وهو يقضى بينهم . قال فقلنا : كيف لنا بأن نعلم بأن عدو الله قد مات ؟ قال : فقال رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكـم فانطلق حتى دخل فى الناس ، قال : فوجدت امرأته ورجال يهود حوله وفى يدها المصباح تنظر فى وجهه ، وتحدثهم وتقول أما والله فلقد سمعت صوت ابن عُتيك ، ثم أكذبت نفسى

---

(١) العجلة : جذع النخلة ينقر فى أماكن منه للصعود عليه .

(٢) نوهت : شهرت .

(٣) القبطية : ثياب بيض كانت تصنع فى مصر .

(٤) وهنا يتضح لنا جليًا كيف كان الصحابة يطبقون تعاليم الإسلام ورسول الإسلام دون تَزَيُّد منهم أو اجتهاد ، ويتضح أيضًا مدى ورعهم وتقواهم فى تنفـيذ ما أمرهم به الرســول ﷺ .

(٥) وثئت : أى أصابت اللحم فقط ولم تصب العظم .

(٦) قال ابن هشام : وثئت رجله .

وقلت : أنَّى ابن عُتيك بهذه البلاد ثم أقبلت عليه تنظر فى وجهه ثم قالت ، فاظ (١) وإله يهود ، فما سمعت من كلمة كانت ألذ إلى نفسى منها ، ثم جاءنا فأخبرنا الخبر فاحتملنا صاحبنا فقدمنا على رسول الله ﷺ فأخبرناه بقتل عدو الله ، واختلفنا عنده فى قتله ، كلنا يدعيه . قال : فقال رسول الله ﷺ هاتوا أسايفكم ، قال : فجئناه بها ، فنظر إليها فقال لسيف عبد الله بن أنيس ، هذا قتله ، أرى فيه أثر الطعان (٢) .

* شعر حَسان فى قَتْل ابن الأشرف وابن أبى الحُقَيق :

قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت وهو يذكر قتل كعب بن الأشرف وقتل سلام بن أبى الحقيق :

لله دَرُّ عصَابة لاقَيتُهُمْ ... يَا ابن الحُقيق وأنْتَ يا ابن الأشرف
يَسْرونَ بالبِيْضِ الخِفَافِ إليكُمُ ... مَرِحًا كأسد فى عَرين مُغْرِف (٣)
حَتى أتَوكُمْ فى محلِّ بلادكم ... فَسَقُوكم حَتفًا ببيض ذفّف
مُسْتَبْشِرين لنصْرِ دِينَ نَبيِّهِمْ ... مُسْتَصْغِرين لكل أمر مُجْحِف

* * *

(١) أى مات .

(٢) وهذا يبين مدى ذكاء وفطنة وفراسة النبى ﷺ .

(٣) أى ملتف بالأغصان ومحصن .

إسلامُ عمرو بنِ العاص وخالد بن الوليدِ

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن راشد مولى حبيب بن أبى أوس الثقفى ، عن حبيب بن أبى أوس الثقفى ، قال حدثنى عمرو بن العاص من فيه ، قال : لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالا من قريش ، كانوا يرون رأيى ، ويسمعون منى ، فقلت لهم : تعلمون والله أنى أرى أمر محمد يعلو الأمور علوا منكرًا ، وإنى قد رأيت أمرًا ، فما ترون فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قال : رأيت أن نلحق بالنجاشى فنكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشى ، فإنا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدى محمد ، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا ، فلن يأتينا منهم إلا خير ، قالوا : إن هذا الرأى . قلت : فاجمعوا لنا ما نهديه له ، وكان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأدم [١] ، فجمعنا له أدما كثيرًا ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه .

فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أُمية الضمرى ، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه فى شأن جعفر وأصحابه . قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال فقلت لأصحابى هذا عمرو بن أمية الضمرى ، لو قد دخلت على النجاشى وسألته إياه فأعطانيه ، فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أنى قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد . قال : فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال : مرحباً بصديقى [٢] ، أهديت إلىَّ من بلادك شيئًا ؟ قال : قلت نعم ، أيها الملك ، قد أهديت إليك أدما كثيراً ، قال : ثم قربته إليه ، فأعجبه واشتهاه ثم قلت له : أيها الملك ، إنى قد رأيت رجلا خرج من عندك ، وهو رسول رجل عدو لنا ، فأعطنيه لأقتله ، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا ، قال : فغضب ، ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره ، فلو انشقت لى الأرض لدخلت فيها فرقا منه ، ثم

---

(١) الأدم : الجلد المدبوغ .

(٢) كان عمرو يسافر كثيرا إلى الحبشة ويأخذ معه هدايا للنجاشى فصار معروفًا وكان يكرمه ويحسن ضيافته .

قلت له : أيها الملك ، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه ، قال : أتسألنى أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى لتقتله ! قال : قلت : أيها الملك ، إنه كذلك هو ؟ قال : ويحك يا عمرو أطعنى واتبعه ، فإنه والله لعلى الحق ، وليظهرن على من خالفه ، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده ، قال : قلت : أفتبايعنى له على الإسلام ؟ قال : نعم ، فبسط يده ، فبايعته على الإسلام [١] ثم خرجت إلى أصحابى وقد حال رأيى عما كان عليه ، وكتمت أصحابى إسلامى [٢] .

* اتفاق عمرو وخالد على الإسلام :

ثم خرجت عامداً إلى رسول الله ﷺ لأسلم ، فلقيت خالد بن الوليد ، وذلك قُبيل الفتح [٣] ، وهو مُقبل من مكة ، فقلت : أين يا أبا سليمان [٤] . قال : والله لقد استقام المنسم [٥] وإن الرجل لنبى ، أذهبُ والله فأسلم فحتى متى ، قال : قلت والله ما جئت إلا لأسلم قال : فقدمنا المدينة على رسول الله ﷺ فتقدم خالد ابن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوت ، فقلت : يا رسول الله ، إنى أبايعك على أن يغفر لى ما تقدم من ذنبى ، ولا أذكر ما تأخر ، قال : فقال رسول الله ﷺ يا عمرو بايع ، فإن الإسلام يَجُب [٦] ما كان قبله ، وأن الهجرة تجُب ما كان قبلها ، فبايعته ، ثم انصرفت .

* إسلام عثمان بن طلحة :

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم : أن عثمان بن طلحة بن أبى طلحة ، كان معهما ، أسلم حين أسلما .

---

(١) وهذا دليل على أن النجاشى كان مسلمًا وقتها ، ولذلك لما مات صلى الرسول ﷺ عليه صلاة الغائب ، وأمر من معه من المسلمين بالصلاة عليه .

(٢) ليس خوفًا منهم ولكن حتى لا يضغطوا عليه ويجعلوه يرجع عن الإسلام بعدما تبين له أنه الحق مما عرفه من النجاشى .

(٣) أى فتح مكة .

(٤) كنية خالد بن الوليد .

(٥) أى تبين الأمر .

(٦) أى يمحو ، والمراد ليس عليك ذنب مما مضى .

قال ابن إسحاق : فقال ابن الزِّبعرى السهمى :

أنشدُ عثْمَان بْنَ طَلْحَــة حلْفَنا ومُلْقَى نعَال القَـــومِ عنْدَ المُقْبل [(١)]
وَما عقَدَ الآبــاء منْ كُلٌ حلْفه وَما خَالدٌ منْ مثلها بمحـــــلل
أمفتَاحُ بَيْت غَيْرَ بَيْتــك تَبْتَغى ومَا يَبْتَغى من مَجـــد بَيت مُؤثل
فَلا تَأمَنَن خَالداً بَعْدَ هَـــذه وعثْمان جَاء بالدهـــيم المعضل [(٢)]

وكان فتح بنى قريظة فى ذى القــعدة وصدر ذى الحجة ، وولّى تلك الحجة المشركون .

* * *

(١) المقبل : موضع الحجر الأسود .
(٢) الدهيم : أى الداهية .

غَزْوة بنى لِحْيَان

* خروج النبى ﷺ إلى بنى لحيان :

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفرًا وشهرى ربيع ، وخرج فى جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح قريظة إلى بنى لحيان يطلب بأصحاب الرجيع [١] : خُبيب بن عدى وأصحابه وأظهر أنه يريد الشام ، ليصيب من القوم غرة [٢] .

قال ابن إسحاق : فسلك على غراب ، جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام ، ثم على محيص ، ثم على البتراء ، ثم صفق [٣] ذات اليسار ، فخرج على بين ، ثم على صخيرات اليمام ، ثم استقام به الطريق على المحجة من طريق مكة فأغذ [٤] السير سريعًا ، حتى نزل على غران ، وهى منازل بنى لحيان ، وغران واد بين أمج وعسفان ، إلى بلد يقال له : ساية ، فوجدهم قد حذروا وتمنعوا فى رءوس الجبال ، فلما نزلها رسول الله ﷺ وأخطأه من غرتهم ما أراد . قال : لو أنا هبطنا عسفان لرأى أهل مكة أنا قد جئنا مكة ، فخرج فى مئتى راكب من أصحابه حتى نزل عسفان ، ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم ، ثم كر وراح رسول الله ﷺ قافلا .

فكان جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول حين وجه راجعًا : آيبون تائبون إن شاء الله لربنا حامدون ، أعوذ بالله من وعثاء السفر [٥] وكآبة [٦] المنقلب ، وسوء المنظر فى الأهل والمال .

---

(١) وهم من خيرة القراء قتلوهم يوم الرجيع .
(٢) قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .
(٣) صفق : عدل . (٤) أغذ : أسرع .
(٥) وعثاء السفر : شدته .
(٦) الكآبة : الحزن .

والحديث فى غزوة بنى لحيان ، عن عاصم بن عمرو بن قتادة ، وعبد الله بن أبى بكر ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، فقال كعب بن مـالك فى غزوة بنى لحيان :

لو أن بنى لحيان كانوا تنــاظروا ... لقوا عصبا فى دارهم ذات مصدق (١)
لقوا سَرعَانا يملأ الســرب روعه ... أمام طحون كالمجــــرة فيلق (٢)
ولكنهم كانوا وبارًا تتبعــــت ... شعاب حجاز غير ذى متنفـــق (٣)

* * *

(١) تناظروا : انتظرونا ، العصب : الجماعات .

(٢) سرعان : من يتقدمون الجيش ، السرب : الطريق ، الطحون : الكتيبة الضخمة ، المجرة : مجموعة من النجوم ، الفيلق : الكَتيبة .

(٣) الوبار : جمع وبر وهى دويبة صغيرة تشـــبه الهرة ، المتنـــفق : الذى له منفذ ينفذ منه .

غَزْوَةُ ذِى قَرَد

*** سبب الغزوة :**

ثم قدم رسول الله ﷺ المدينة ، فلم يقم بها إلا ليالى قلائل ، حتى أغار عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى ، فى خيل من غطفان على لقاح (١) لرسول الله ﷺ بالغابة ، وفيها رجل من بنى غِفار وامرأة له ، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة فى اللقاح .

*** ما حدث لابن الأكوع :**

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ومن لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك ، كل قد حدث عن غزوة ذى قرد بعض الحديث : أنه كان أول من نذر (٢) بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمى ، غدا (٣) يريد الغابة متوشحًا قوسه (٤) ونبله ، ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس له يقوده ، حتى إذا علا ثنية الوداع نظر إلى بعض خيولهم ، فأشرف فى ناحية سلع (٥) ، ثم خرج يشتد فى آثار القوم ، وكان مثل السبع حتى لحق بالقوم ، فجعل يردهم بالنبل ، ويقول إذا رمى : خذها وأنا ابن الأكوع اليوم يوم الرضع ، فإذا وجهت الخيل نحوه انطلق هاربًا ، ثم عارضهم ، فإذا أمكنه الرمى رمى ثم قال : خذها وأنا ابن الأكوع ، اليوم يوم الرضع ، قال : فيقول قائلهم : أوَ يكعنا هو أول النهار .

*** تسابق الفرسان :**

قال وبلغ رسول الله ﷺ صياح ابن الأكوع ، فصرخ بالمدينة الفزع فترامت الخيول إلى رسول الله ﷺ .

---

(١) اللقاح : الإبل الحوامل . (٢) نذر : علم .

(٣) غدا : أى ذهب مبكراً ، الغداة أول النهار .

(٤) متوشحًا قوسه : أى حامله مستعدًا للقتال .

(٥) سلع : اسم جبل قريب من المدينة .

وكان أول من انتهى إلى رسول الله ﷺ من الفرسان المقداد بن عمرو ، وهو الذى يقال له : المقداد بن الأسود ، حليف بنى زُهرة ثم كان أول فارس وقف على رسول الله ﷺ بعد المقداد من الأنصار ، عَبَّاد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعوراء أحد بنى عبد الأشهل وسعد بن زيد أحد بنى كعب بن عبد الأشهل وأُسيد بن ظهير ، أخو بنى حارثة بن الحارث ، يشك فيه ، وعكاشة بن محصن أخو بنى أسد ابن خزيمة ، ومحرز بن نضلة أخو بنى أسد بن خزيمة ، وأبو قتادة الحارث بن ربعى ، أخو بنى سلمة ، وأبو عياش ، وهو عبيد بن زيد بن الصامت أخو بنى زريق ، فلما اجتمعوا إلى رسول الله ﷺ أمَّر عليهم سعد بن زيد فيما بلغنى ، ثم قال : اخرج فى طلب القوم حتى ألحقك فى الناس .

* نصيحة الرسول لأبى عياش :

وقد قال رسول الله ﷺ فيما بلغنى عن رجال من بنى زريق ، لأبى عياش : يا أبا عياش لو أعطيت هذا الفرس رجلا هو أفرسُ منك فلحق بالقوم ؟ قال أبو عياش : فقلت يا رسول الله ، أنا أفرس الناس ثم ضربت الفرس ، فوالله ما جرى بى خمسين ذراعًا حتى طرحنى ، فعجبت أن رسول الله ﷺ يقول : لو أعطيته أفرس منك ، وأنا أقول أنا أفرس الناس ، فزعم رجال من بنى زريق أن رسول الله ﷺ أعطى فرس أبى عياش معاذ بن ماعص . أو عائذ بن ماعص بن قيس بن خلدة ، وكان ثامنا ، وبعض الناس يعد سلمة بن عمرو بن الأكوع أحد الثمانية ، ويطرح أسيد بن ظهير ، أخا بنى حارثة والله أعلم أى ذلك كان . ولم يكن سلمة يومئذ فارسا ، وقد كان أول من لحق بالقوم على رجليه . فخرج الفرسان فى طلب القوم حتى تلاحقوا .

محرز بن نضلة ومقتله : قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمرو بن قتاده : أن أول فارس لحق بالقوم محرز بن نضلة ، أخو بنى أسد بن خزيمة – وكان يقال لمحرز : الأخرم ، ويقال له قمير ، وأن الفزع لمّا كان . جال فرس لمحمود بن مسلمة فى الحائط ، حين سمع صاهلة الخيل ، وكان فرسا صنيعا جاما ، فقال نساء من نساء بنى عبد الأشهل ، حين رأين الفرس يجول فى الحائط بجذع نخل هو مربوط فيه : ياقمير ، هل لك فى أن تركب هذا الفرس ؟ فإنه كما ترى ، ثم تلحق برسول الله ﷺ وبالمسلمين ؟ قال : نعم ، فأعطينه إياه .. فخرج عليه ، فلم يلبث أن بذ الخيل بجمامه ، حتى أدرك القوم ، فوقف لهم بين أيديهم ، ثم قال :

قفوا يا معشر بنى اللكيعة (١) حتى يلحق بكم من وراءكم من أدباركم من المهاجرين والأنصار. قالَ : وحمل عليه رجل منهم فقتله، وجال الفرس ، فلم يقدر عليه حتى وقف على آرية (٢) من بنى عبد الأشهل فلم يقتل من المسلمين غيره .

* أَفْرَاسُ المسلمين :

قال ابن إسحاق : وكان اسم فرس محمود : ذا اللمة (٣) .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أن محرزًا إنما كان على فرس لعكاشة بن محصن ، يقال له الجناح ، فقتل محرز واستلب الجناح .

* قتلى المشركين :

قال ابن إسحاق : فإذا حُبَيب مُسجًّى ببرد أبى قتادة ، فاسترجع الناس (٤) وقالوا قتل أبو قتادة ، فقال رسول الله ﷺ ليس بأبى قتادة ، ولكنه قتيل أبى قتادة وضع عليه برده ، لتعرفوا أنه صاحبه (٥) .

* ما قيل من شعر يوم ذى قرد :

قال ابن إسحاق : وقال شداد بن عارض الجشمى ، فى يوم ذى قرد : لعيينة ابن حصن ، وكان عيينة بن حصن يكنى بأبى مالك :

فَهَلاَّ كَـــــرَرْتَ أَبَا مَالِكٍ وَخَيْلُكَ مُـــــدْبِرة تُقْتَلُ
ذَكرتَ الإِيـــــابَ إلى عَسْجَرٍ وهَيهـــــات قَد بَعُدَ المقفَلُ (٦)

---

(١) اللكيعة : اللئيمة .
(٢) يقصد بالآرية هنا الموضع الذى يربط به الفرس .
(٣) اللمة : أى الشديدة .
(٤) المقصود بالناس هنا أى المسلمون ، استرجعوا : قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون .
(٥) أى أنه الذى قتله .
(٦) عسجر : موضع قريب من مكة .

وَطمنْتَ نفســـك ذَا ميعَةٍ   مَسح الفضاء إذا يُرْسَل (١)
إذا قَبَضتَهُ إليـــك الشمَا   ل جَاش كَما اضطرم المِرْجَل
فَلَمَّا عَرفتُم عِبَادَ الإلـــ   ـــه لمَ يَنْظُر الآخر الأَول
عرَفتم فَوارس قَدْ عَـــودوا   طُراد الكُمَاة إذا أسْهَلوا (٢)
إذَا طَردوا الخَيْل تَشْقَى بِهم   فَضَـــاحًا وإن يَطْردوا ينزلوا
فيْعتصِموا فـــى سَواء المَقَا   م بالبِيض أخْلَصـــها الصيقل

* * *

(١) ذاميعة : ذو نشاط ، المسح : كثير الجرى .
(٢) أسهلوا : أى نزلوا السهل .

غَزْوة بنى المصطَلق
فِى شعبان سنة ست

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجبا ثم غزا بنى المصطلق من خزاعة [١] ، فى شعبان سنة ست .

سببها : قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ، ومحمد بن يحيى بن حبان ، كلٌّ قد حدثنى بعض حديث بنى المصطلق ، وقالوا : بلغ رسول الله ﷺ أن بنى المصطلق يجمعون له ، وقائدهم الحارث بن أبى ضرار أبو جويرية بنت الحارث ، زوج رسول الله ﷺ . فلما سمع رسول الله ﷺ بهم خرج إليهم ، حتى لقيهم على ماء لهم يقال له : المريسيع [٢] ، من ناحية قديد إلى الساحل ، فتزاحف الناس واقتتلوا ، فهزم الله بنى المصطلق ، وقتل من قتل منهم ، ونفل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، فأفاءهم عليه .

إصابة ابن صبابة خطأ : وقد أصيب رجل من المسلمين من كلب بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر . يقال له : هشام بن صبابة ، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت وهو يرى أنه من العدو ، فقتله خطأ .

الفتنة بين المهاجرين والأنصار : فبينا رسول الله ﷺ على ذلك الماء ، وردت واردة الناس ، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفار ، يقال له : جهجاه بن مسعود يقود فرسه ، فازدحم جهجاه وسنان بن وبر [٣] الجهنى ، حليف بنى عوف بن

---

(١) وهم بنو جذيمة بن كعب من خزاعة ، فجذيمة هو المصطلق وهو مفتعل من الصلق وهو رفع الصوت .

(٢) المريسيع ، وهو ماء لخزاعة ، وهو من قولهم : رسعت عين الرجل : إذا دمعت من فساد .

(٣) وقيل إنه : سنان بن تميم ، من جهينة بن سود بن أسلم حليف الأنصار . انظر الروض الأنف تحقيق طه عبد الرءوف سعد ٣ / ١٥ .

الخزرج على الماء ، فاقتتلا ، فصرخ الجهنى : يا معشر الأنصار ، وصرخ جهجاه : يا معشر المهاجرين [١] : فغضب عبد الله بن أُبى ابن سلول ، وعنده رهط من قومه فيهم : زيد بن أرقم ، غلام حدث ، فقال : أو قد فعلوها ، قد نافرونا وكثرونا فى بلادنا ، والله ما أعدنا وجلابيب قريش [٢] إلا كما قال الأوّل : سمّن كلبك يأكلك ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزُّ منها الأذلَّ · ثم أقبل على من حضره من قومه ، فقال لهم : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فمشى به إلى رسول الله ﷺ ، وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عدوه ، فأخبره الخبر ، وعنده عمر بن الخطاب ، فقال : مُر به عباد ابن بشر فليقتله ، فقال له رسول الله ﷺ : فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه ! لا ولكن أذن بالرحيل ، وذلك فى ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها ، فارتحل الناس ·

نفاق ابن أُبَى : وقد مشى عبد الله بن أُبى ابن سَلول إلى رسول الله ﷺ ، حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه ، فحلف بالله : ما قال ، ولا تكلمت به · وكان فى قومه شريفا عظيما ، فقال من حضر رسول الله ﷺ من الأنصار من أصحابه يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد أوهم فى حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل ، حدبا على ابن أبى ابن سلول ودفعًا عنه ·

---

(١) وفى الصحيح أنه عليه السلام حين سمعها منهما قال : دعوها فإنها منتنة ، يعنى : إنها كلمة خبيثة ، لأنها من دعوى الجاهلية ، وجعل الله المؤمنين إخوة وحزبًا واحداً ، فإنما ينبغى أن تكون الدعوة يا للمسلمين ، فمن دعا فى الإسلام بدعوى الجاهلية فيتوجه للفقهاء فيها ثلاثة أقوال :

أحدها : أن يجلد من استجاب لها بالسلاح خمسين سوطاً اقتداء بأبى موسى الأشعرى فى جلده النابغة الجعدى خمسين سوطاً حين سمع يا لعامر ، فأقبل يشتد بعصبة له ·

والقول الثانى : إن فيها الجلد دون العشرة لنهيه عليه السلام أن يجلد أحد فوق العشرة إلا فى حد ·

والقول الثالث : اجتهاد الإمام فى ذلك على حسب ما يراه من سد الذريعة وإغلاق باب الشر ، إما بالوعيد ، وإما بالسجن ، وإما بالجلد ·

فإن قيل : إن النبى ﷺ لم يعاقب الرجلين حين دعوا بها ؟ قلنا : قد قال دعوها فإنها منتنة ، فقد أكد النهى ، فمن عاد إليها بعد هذا النهى ، وبعد وصف النبى ﷺ لها بالإتيان وجب أن يؤدب ·

(٢) لفظ أطلقته قريش على المهاجرين ·

* **لقاء أُسيد بن حُضير برسول الله ﷺ :**

قال ابن إسحاق : فلما استقل رسول الله ﷺ وسار ، لقيه أُسيد بن حُضير فحياه بتحية النبوة وسلَّم عليه ، ثم قال : يا نبى الله ، والله لقد رحت فى ساعة مبكرة ، ما كنت تروح فى مثلها ، فقال له رسول الله ﷺ : أو ما بلغك ما قال صاحبكم ؟ قال : وأى صاحب يا رسول الله ؟ قال : عبد الله بن أُبى ، قال : وما قال ؟ قال زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . قال : فأنت يا رسول الله والله تخرجه منها إن شئت ، وهو والله الذليل وأنت العزيز ثم قال : يا رسول الله أرفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك ، وأن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه ، فإنه يرى أنك قد أسلبته ملكاً ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس ، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياما وإنما فعل رسول الله ﷺ ليشغل الناس عن الحديث الذى كان بالأمس ، من حديث عبد الله بن أُبى .

* **ما فعله عبد الله بن عبد الله بن أُبَى :**

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمرو بن قتادة ، أن عبد الله أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إنه بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أَبى (١) فيما بلغك عنه ، فإن كنت لابد فاعلاً فمُرنى به (٢) فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمتْ الخزرج ما كان لها من رجل أبر ، بوالده منى ، وإنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله ، فلا تدعنى نفسى أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبى يمشى فى الناس ، فأقتله ، فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار (٣) ، فقال رسول الله ﷺ : بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا (٤) .

مُخَادعة مَقيس : قال ابن إسحاق : وقدم مَقِيس بن صَبابة من مكة مسلما ،

---

(١) أى أبيه .   (٢) أى مُرنى بقتله .

(٣) وهنا يتضح قوة إيمانه وتمسكه بدينه .

(٤) من أجل الولد الصالح المؤمن عفى الرسول ﷺ عن أبيه الكافر ، ومن هنا نعلم أن الولد الصالح ينفع والديه فى الدنيا وفى الآخرة ، وصدق رسول الله إذ يقول « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاَّ من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به أو ولد صالحٌ يدعو له » والمقصود بالولد : الذكر والأنثى .

فيما يظهر فقال : يا رسول الله، جئتك مسلما ، وجئتك أطلب دية أخى، قتل خطأ . فأمر له رسول الله ﷺ بدية أخيه هشام بن صبابة ، فأقام عند رسول الله ﷺ غير كثير ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ، ثم خرج إلى مكة مرتدًا ، فقال فى شعر يقوله :

شَفَى النَّفْسَ أَنْ مَاتَ بِالقَاعِ مُسْنَدًا ... تَضرِّج ثَـوبَيْه دِمَاءُ الأَخَادِعِ (١)

وكَانت هُمُوم النفس مِنْ قَبل قَتْله ... تَلم فَتحمينى وطاء المضاجِعِ

حَللت به وترى وأدركت ثُؤرتى ... وكُنت إلى الأوثان أولَ رَاجعِ

ثَأرت به فِهرًا وحَملتْ عقله ... سُراة بَنى النجَّار أَربابَ فَارِعِ (٢)

وقال مقيس بن صبابة أيضا :

جَلَّلتُه ضَرْبة بَات لَها وَشَل ... مِنْ نَاقِعِ الجَوف يَعْلُوه وَيَنْصَرِم

فَقلتُ وَالموتُ تَغْشَاهُ أَسرته ... لاَ تَأمنن بنى بكر إذا ظُلموا

قتلى بنى المصطلق : قال ابن إسحاق : وأصيب من بنى المصطلق يومئذ ناس ، وقتل على بن أبى طالب منهم رجلين ، مالكا وابنه ، وقتل عبد الرحمن بن عوف رجلا من فرسانهم ، يقال له : أحمر ، أو أحيمر .

جُويرية بنت الحارث رضى الله عنها : وكان رسول الله ﷺ قد أصاب منهم سبيا كثيرًا ، فشا قسمه فى المسلمين ، وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار ، زوج رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ، قالت : لما قسَّم رسول الله ﷺ سبايا بنى المصطلق ، وقعت جويرية بنت الحارث فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس ، أو لابن عم له ، فكاتبته على

---

(١) الأخادع : يريد الأخدعان : وهما عرقان بالقفا .

(٢) فارع : حصن لبنى النجار بالمدينة .

نفسها [١] وكانت امرأة حلوة ملاحة ، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأتت رسول الله ﷺ تستعينه فى كتابها [٢] ، قالت عائشة : فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتى فكرهتها [٣] وعرفت أنه سيرى منها ﷺ ما رأيت · فدخلت عليه ، فقالت : يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار ، سيد قومه ، وقد أصابنى من البلاء ، ما لم يخف عليك ، فوقعت فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس ، أو لابن عم له ، فكاتبته على نفسى فجئتك أستعينك على كتابتى ، قال فهل لك فى خير من ذلك ؟ قالت وما هو يا رسول الله قال : أقضى عنك كتابتك [٤] وأتزوجك ، قالت : نعم يا رسول الله ، قال : قد فعلت [٥] ·

قالت[٦] : وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية ابنة الحارث بن أبى ضرار ، فقال الناس : أصهار رسول الله ﷺ وأرسلوا ما بأيديهم [٧] قالت : فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق ، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها ·

---

(١) كاتبته على نفسها : أى عقدت عقدًا بينها وبينه على أن تدفع له مبلغًا معينًا ثم يعتقها ويطلق سراحها ·

(٢) أى تطلب منه المساعدة بالمال ·

(٣) أى غارت منها : لخوفها أن يعطف عليها الرسول ﷺ ويتزوجها ويعتقها ·

(٤) أى أدفع عنك ما اتفقت على دفعه ·

(٥) وكان نظره ﷺ لجويرية حتى عرف من حسنها ما عرف ؛ فإنما ذلك لأنها امرأة مملوكة ، ولو كانت حرة ما ملأ عينه منها ؛ لأنه لا يُكره النظر إلى الإماء ، وجائز أن يكون نظر إليها لأنه نوى نكاحها ، كما نظر إلى المرأة التى قالت له : إنى قد وهبت لك نفسى يا رسول الله ، فصعَّد فيها النظر ثم صوب ثم أنكحها غيره ، وقد ثبت عنه ﷺ الرخصة فى النظر للمرأة عند إرادة نكاحها ، وقال للمغيرة حين شاوره فى نكاح امرأة : « اذهب فانظر إليها فإنه أحرى أن يُؤدم بينكما » ·

(٦) أى عائشة : وهى التى تروى هذا الحديث ·

(٧) أرسلوا ما بأيديهم : أى أطلقوا سراح من أسروهم من بنى المصطلق لأجل السيدة جويرية ﵂ ·

* وجوب التأكد من الأخبار :

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن رُومان : أن رســـول الله ﷺ بعث إليهم [١] بعد إسلامهم : الوليد بن عقبة بن أبى مُعيط فلما سمعوا به ركبوا إليه ، فلما سمع بهم هابهم [٢] فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره أن القوم قد هموا بقتله[٣] ، ومنعوه ما قبلهم من صدقتهم فأكثر المسلمون فى ذكر غزوهم حتى همَّ رسول الله ﷺ بأن يغزوهم فبيناهم على ذلك قدم وفدهم على رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله : سمعنا برسولك حين بعثته إلينا : فخرجنا إليه لنكرمه ، ونؤدى إليه ما قبلنا من الصدقة ، فانشمر [٤] راجعاً ، فبلغنا أنه زعم لرسول الله ﷺ أنا خرجنا إليه لنقتله ، والله ما جئنا لذلك [٥] ، فأنزل الله تعالى فيه وفيهم : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين * واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم** ··· ﴾ [٦] إلى آخر الآية ·

وقد أقبل رسول الله ﷺ من سفره ذلك ، كما حدثنى من لا أتهم عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها ، حتى إذا كان قريبًا من المدينة ، وكانت معه عائشة فى سفره ذلك ، قال فيها أهل الإفك ما قالوا ·

* * *

---

(١) أى إلى بنى المصطلق ·

(٢) أى خافهم ·

(٣) وهذا ظن منه واعتقاد لم يتثبت منه ·

(٤) أى أسرع راجعا ·

(٥) ومن هنا وجب التأكد من الأخبار حتى لا يحدث ما لا يحمد عقباه بسبب الفهم الخطأ ·

(٦) سورة الحجرات : الآيات ٦ - ٧ ·

خَبَرُ الإفك (١) فى غزوة بنى المصْطلق

* إقراع النبى ﷺ بيَن نسائه عند السفر :

قال ابن إسحاق : حدثنا الزهرى عن علقمة بن وقاص ، وعن سعيد بن جُبير عن عروة بن الزبير ، وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، قال : كلٌّ قد حدثنى بعض هذا الحديث ، وبعض القوم كان أوعى (٢) له من بعض ، وقد جمعت لك الذى حدثنى القوم .

قال محمد بن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة وعبد الله بن أبى بكر ، عن عمـــرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة ، عن نفسها ، حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا ، فكل قد دخل فى حديثها عن هؤلاء جميعا يحدث بعضهم مالم يحدث صاحبه ، وكل كان عنها ثقة ، فكُلهم حدث عنها ما سمع ، قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه ، فلما كانـــت غزوة بنى المصلطق أقرع بين نسائه ، كما كان يصنع ، فخرج سهمى عليهن معه ، فخرج بى رسول الله ﷺ .

قالت : وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العلق (٣) لم يهجهن اللحم فيثقلن ، وكنت إذا رحل لى بعيرى جلست فى هودجى (٤) ، ثم يأتى القوم الذين يرحلون لى ويحملوننى ، فيأخذون بأسفل الهودج ، فيرفعونه ، فيضعونه عى ظهر البعير ، فيشدونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير ، فينطلقون به . قالت : فلما فرغ رسول الله ﷺ من سفـــره ذلك ، وجه قافلا (٥) ، حتى إذا كان قريبا من المدينة فنزل

---

(١) الإفك : أى الكذب والخداع ، واختلاق الأحاديث الكاذبة .

(٢) أوعى : أى أحفظ من غيره وأوثق منه .

(٣) العلق : جمع علقة ، وهو ما يتعلل به قبل وجبة الطعام الأساسية .

(٤) الهودج : عبارة عن صندوق ، كان مخصصا للنساء يجلسن فيه وهو مغلق من جميع النواحى ما عدا ناحية الدخـــول وإذا أغلقت لم ير منها شىء ويوضع فوق الناقة أو الجمل .

(٥) قافلا : راجعاً .

منزلا ، فبات به بعض الليل ، ثم أذن فى الناس بالرحيل ، فارتحل الناس ، وخرجت لبعض حاجتى (١) ، وفى عنقى عقد لى ، فيه جزع ظفار (٢) ، فلما فرغت انسل من عنقى ولا أدرى ، فلما رجعت إلى الرحل ذهبت ألتمسه فى عنقى ، فلم أجده ، وقد أخذ الناس فى الرحيل ، فرجعت إلى مكانى الذى ذهبت إليه ، فالتمسته حتى وجدته ، وجاء القوم خلافى الذين كانوا يرحِّلون لى البعير ، وقد فرغوا من رحلته ، فأخذوا الهودج ، وهم يظنون أنى فيه (٣) ، ثم أخذوا برأس البعير ، فانطلقوا به ، فرجعت إلى العسكر وما فيه من داع ولا مجيب · قد انطلق الناس ·

* صَفْوان يَحْمِل عائشة على بعيره :

قالت : فتلففت بجلبابى ، ثم اضطجعت فى مـــكانى ، وعـــرفت أن لو قد افتُقدت لرُجع إلىَّ قالت : فـــوالله إنى لمضطجعة إذ مر بى صـــفوان بن المعطـــل السـلمى ، وقد كان تخلف عن العســـكر لبعض حاجته (٤) ، فلم يبت مع الناس ، فرأى سوادى (٥) ، فأقبل حتى وقف على ، وقد كان يرانى ·قيل أن يضرب علينا الحجاب ، فلما رآنى قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ظعينة رسول الله ﷺ !

---

(١) أى لقضاء حاجتها ·

(٢) الجزع : الخرز ، ظفار : مدينة ينسب إليها هذا الخرز ·

(٣) وذلك لأنها - رضي الله عنها - وكانت خفيفة المحمل ، لدرجة أنهم حملوا الهودج ولم تكن فيه فلم يعرفوا ولم يدركوا أنها ليست بداخله ·

(٤) وهو صفوان بن ربيضة بن خزاعى بن محارب بن مرة بن ذكوان بن ثعلبة بن بهسة ابن سليم السلمى · الذكوانى ، يكنى أبا عمرو ، وكان يكون على ساقة العسكر يلتقط ما يسقط من متاع المسلمين ، حتى يأتيهم به ، ولذلك تخلف فى هذا الحديث الذى قال فيه أهل الإفك ما قالوا ، وقد روى فى تخلفه سبب آخر ، وهو أنه كان ثقيل النوم لا يستيقظ حتى يرتحل الناس ويشهد لصحة هذا حديث أبى داود أن امرأة صفوان اشتكت به إلى النبى ﷺ وذكرت أشياء منها أنه لا يصلى الصبح ، فقال صفوان : يا رسول الله إنى امرؤ ثقيل الرأس لا أستيقظ حتى تطلع الشمس ، فقال له النبى ﷺ : فإذا استيقظت فصلِّ ، وقد ضعَّف البزار حديث أبى داود هذا فى مسنده ، وقتل صفوان بن المعطل شهيداً فى خلافة معاوية ، واندقت رجله يوم قتل فطاعن بها وهى منكسرة حتى مات ، وذلك بالجزيرة بموضع يقال له شمطاط ·

(٥) أى شخصى ·

وأنا متلففة فى ثيابى : قال : ما خلفك يرحمك الله ؟ قالت : فما كلمته ، ثم قرَّب البعير ، فقال : اركبى ، واستأخر عنى . قالت : فركبت ، وأخذ برأس البعير . فأنطلق ســـريعا ، يطلب الناس ، فوالله ما أدركنا الناس ، وما افتُقدت [١] حتى أصبحت ، ونزل الناس ، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقود بى ، فقال أهل الإفك [٢] ما قالوا ، فارتعج [٣] العسكر ، ووالله ما أعلم بشىء من ذلك [٤] .

* الرسول يهجر عائشة :

ثم قدمنا المدينة ، فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة [٥] ، ولا يبلغنى من ذلك شىء ، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ ، وإلى أبوى لا يذكرون لى منه قليلا ولا كثيرا ، إلا أنى قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه بى ، كنت إذا اشتكيت رحمنى ، ولطف بى ، فلم يفعل ذلك بى فى شـــكواى تلك : فأنكرت ذلك منــه ، كان إذا دخل علىَّ وعنـــدى أمى تمرضنى [٦] قال : كيف تيكم [٧] ، لا يزيد على ذلك .

* عائشة تغادر بيت الرسول ﷺ إلى بيت أبيها :

قال ابن إسحاق : قالت : حتى وجدت فى نفسى ، فقلت : يا رسول الله ، حين رأيت ما رأيت من جفائه لى : لو أذنت لى ، فانتقلت إلى أمى ، فمرضتنى ؟ قال : لا عليك . قالت : فانتقلت إلى أمى ، ولا علم لى بشىء مما كان [٨] ، حتى نقهت من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة ، وكنا قوما عربا لا نتخذ فى بيوتنا هذه

---

(١) أى لم يشعر أحد بعدم وجودى فى الهودج وتخلفى عنهم .
(٢) وهم الكذابون الذين رموها بالفحش وهى أطهر نساء العالمين ﵄ .
(٣) ارتعج : اضطرب .
(٤) أى لم تعلم بما اتهموها به وأنهم رموها بالفحش ، ولم تعلم شيئًا
(٥) أى مرضت مرضا شديداً .
(٦) أى تقوم على الرعاية والاهتمام بها ومداواتها ، وهى أم رومان .
(٧) أى كيف حال من عندكم ، أو كيف حال تلك - يقصد عائشة .
(٨) أى حتى تلك اللحظة لم تعرف ولم تسمع شيئا عما حدث .

الكنف (١) التى تتخذها الأعاجم ، نعافها ونكرهها ، إنما كنا نذهب فى فسح المدينة ، إنما كانت النساء يخرجن كل ليلة فى حوائجهن ، فخرجت ليلة لبعض حاجتى ومعى أم مسطح بنت أبى رهم بن المطلب بن عبد مناف ، وكانت أمها بنت صخر بن عامر ابن كعب بن تيم ، خالة أبى بكر الصديق رضي الله عنه : قالت : فوالله إنها لتمشى معى إذا عثرت فى مرطها (٢) ، فقالت : تعس مسطح ! ومسطح لقب واسمه عوف ، قالت : قلت : بئس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدرًا ، قالت : أو ما بلغك الخبر يا بنت أبى بكر ؟ قالت : قلت وما الخبر ؟ .

فأخبرتنى بالذى كان من قول أهل الإفك ، قالت : قلت : أو قد كان هذا ؟ قالت نعم والله فقد كان . قالت : فوالله ما قدرت على أن أقضى حاجتى (٣) ، ورجعت فوالله مازلت أبكى حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدى : قالت : وقلت لأمى : يغفر الله لك ، تحدث الناس بما تحدثوا به ، ولا تذكرين لى من ذلك شيئًا ! قالت : أى بنية ، خفضى عليك الشأن ، فوالله لقلما كانت امرأة حسناء ، عند رجل يحبها ، لها ضرائر ، إلا كثرن وكثر الناس عليها .

* خُطْبَةُ الرسول فى الناس :

قالت : وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس يخطبهم ولا أعلم بذلك ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، ما بال رجال يؤذوننى فى أهلى ، ولا يقولون عليهم غير الحق ، والله . ما علمت منهم إلا خيرًا ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيرًا ، وما يدخل بيتًا من بيوتى إلا وهو معى (٤) .

---

(١) الكنف : جمع كنيف وهو دورة المياه ، وعادة العرب حقًا حتى الآن ممن يسكنون الصحراء لا يبنون كنيفًا فى بيوتهم ، ويقضون حاجتهم خارج المنزل .

(٢) فى مرطها : كسائها .

(٣) لشدة حزنها وصدمتها - رضي الله عنها - وذهولها من هول ما سمعت والصدمة الشديدة التى هزتها لتهمتها التى هى منها براء براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، ولذلك قيل : إن تهمة البرىء أثقل من السماوات والأرض .

(٤)وهو مسطح بن أثاثة وكان ابن خالة سيدنا أبى بكر ويعتبر عم السيدة عائشة رضي الله عنها .

* مَنْ تزعَّم نشر حديث الإفك :

قالت [١] : وكان كبر ذلك [٢] عند عبد الله بن أُبَى ابن سلول فى رجال من الخزرج مع الذى قال مسْطَح وحمنة بنت جحش ، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله ﷺ ، ولم تكن من نسائه امرأة تناصبنى [٣] فى المنزلة عنده غيرها ، فأما زينب فعصمها الله تعالى بدينها فلم تقل إلا خيراً وأما حمنة بنت جحش فأشاعت من ذلك ما أشاعت ، تضادنى لأختها ، فشقيت بذلك .

* أثر الخطبة :

فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة ، قال أُسيد بن حضير : يا رسول الله إن يكونوا من الأوس نكفكهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج ، فمرنا بأمرك فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم ، قالت : فقال سعد بن عبادة ، وكان قبل ذلك يرى رجلاً صالحاً فقال : كذبت لعمر الله لا تضرب أعناقهم ، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ولو كانوا من قومك ما قلت هذا ، فقال أسيد : كذبت لعمر الله ، ولكنك منافق تجادل عن المنافقين، قالت: وتثاور الناس ، حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شر . ونزل رسول الله ﷺ ، فدخل علىَّ .

* الرسول عليه الصلاة والسلام يستشير الصحابة :

قالت فدعا على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، وأسامة بن زيد ، فاستشارهما ، فأما أسامة فأثنى علىَّ خيراً ، ثم قال يا رسول الله ، أهلك ولا نعلم منهم إلا خيراً ، وهذا الكذب والباطل ، وأما على فإنه قال : يا رسول الله إن النساء لكثير ، وإنك لقادر على أن تستخلف وسل الجارية ، فإنها ستصدقك ، فدعا رسول الله ﷺ بريرة ليسألها ، قالت : فقام إليها على بن أبى طالب ، فضربها ضربًا شديدًا ، ويقول : اصدقى رسول الله ﷺ فتقول والله ما أعلم إلا خيراً ، وما

---

(١) أى السيدة عائشة رضي الله عنها .

(٢) أى إثمه ، فهو الذى تولى وتزعم هذا .

(٣) فى الأصول : تناصينى ولكن السهيلى قال : إن الحديث فى تناصينى من المناصاة أى المساواة ، انظر الروض الأنف تحقيق طه عبد الرءوف سعد ٤ / ٢١ .

كنت أعيب على عائشة شيئًا ، إلا أنى كنت أعجن عجينى ، فآمرها أن تحفظه ، فتنام عنه ، فتأتى الشاة فتأكله (١) .

*** بَراءَةُ عائشة من فوق سبع سماوات :**

قالت : ثم دخل رسول الله ﷺ ، وعندى أبواى ، وعندى امرأة من الأنصار ، وأنا أبكى ، وهى تبكى معى ، فجلس ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : يا عائشة إنه قد كان ما قد بلغك من قول الناس ، فاتقى الله ، وإن كنت قد قارفت سوءًا مما يقول الناس فتوبى إلى الله ، فإن الله يقبل التوبة عن عباده ، فوالله ما هو إلا أن قال لى ذلك ، فقلص دمعى حتى ما أحس منه شيئًا ، وانتظرت أبواى أن يجيبا عنى رسول الله ﷺ ، فلم يتكلما ، قالت : وايم الله؟ (٢) لأنا كنت أحقر فى نفسى ، وأصغر شأنا من أن ينزل الله فىَّ قرآنا يقرأ به فى المساجد · ويصلَّى به ، ولكنى قد كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ فى نومه شيئا يكذب به الله عنى ، لما يعلم من براءتى ، أو يخبر خبراً ، فأما قرآن ينزل فىَّ ، فوالله لنفسى كانت أحقر عندى من ذلك · قالت : فلما لم أر أبواى يتكلمان ، قالت : قلت لهما : ألا تجيبان رسول الله ﷺ ؟ قالت : فقالا : والله ما ندرى بماذا نجيبه ، قالت : والله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبى بكر فى تلك الأيام ، قالت : فلما أن استعجما علىَّ استعبرتُ فبكيت (٣) ، ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبدا · والله إنى لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس ، والله يعلم أنى منه بريئة ، لأقولن ما لم يكن ، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدقوننى · قالت : ثم التمست اسم يعقوب فما أذكره ، فقلت : ولكن سأقول كما قال أبو يوسف :

---

(١) الحق يقال أن شهادة الإمام على - كرم الله وجهه - لا تمثل اتهامًا للسيدة عائشة ، ولكنه يحكم فيها دون مجاملة لأى أحد من الطرفين وطلب سماع شهادة الجارية عن السيدة عائشة ، وهذا لاغبار عليه ، فقد جاءت الشهادة من الجارية فى حق السيدة عائشة أنها لا تعلم عنها إلا خيرًا ، ولذلك لم يقل الإمام على أية كلمة اتهامًا للسيدة عائشة ·

(٢) نوع من أنواع القسم ·

(٣) بكت بكاءً شديداً لعدم دفاع أبويها عنها ·

﴿ فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ﴾ . قالت : فوالله ما برح [١] رسول الله ﷺ مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه [٢] ، فسجِّى بثوبه ووضعت له وسادة من أدم تحت رأسه ، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت ، فوالله ما فزعت ولا باليت فقد عرفت أنى بريئة ، وأن الله عز وجل غير ظالمى ، وأما أبواى ، فوالذى نفس عائشة بيده ،ما سرى عن رسول الله ﷺ حتى ظننت لتخرجن أنفسهما ، فرقا من أن يأتى من الله تحقيق ما قال الناس ، قالت : ثم سرى [٣] عن رسول الله ﷺ ، فجلس ، وإنه ليتحدر منه مثل الجمان [٤] فى يوم شات ، فجعل يمسح العرق عن جبينه ، ويقول : أبشرى يا عائشة ، فقد أنزل الله براءتك ، قالت قلت : بحمد الله [٥] ، ثم خرج إلى الناس ، فخطبهم ، وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن فى ذلك ، ثم أمر بمسطح بن أثاثة ، وحسان بن ثابت ، وحمنة بنت جحش وكانوا ممن أفصح بالفاحشة ، فضربوا حدهم .

* قصة أبى أيوب مع زوجته :

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاق بن يسار عن بعض رجال بنى النجار : أن أبا أيوب خالد بن زيد ، قالت له امرأته أم أيوب يا أبا أيوب ألا تسمع ما يقول الناس فى عائشة ؟ قال : بلى وذلك الكذب ، أكنت يا أم أيوب فاعلة ؟ قالت : لا والله ما كنت لأفعله ، قال : فعائشة والله خير منك [٦] .

* ما نزل من القرآن فى حديث الإفك :

قالت [٧] : فلما نزل القرآن بذكر من قال من أهل الفاحشة ما قال من أهل

---

(١) أى ما ترك .

(٢) أى نزل عليه الوحى .

(٣) أى ذهب عنه .

(٤) الجمان : اللؤلؤ .

(٥) وهذا دليل إيمانها الشديد أول كلمة نطقتها حمدت من برأها وأنزل فى حقها القرآن يتلى إلى يوم القيامة .

(٦) وهذا يبين إلى أى مدى عدم تصديقهم لما قيل لأنه محال عليها فهى زوج نبى .

(٧) أى عائشة فهى الراوية .

الإفك فقال تعالى : ﴿ **إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم** ﴾ (١) ، وذلك حسان بن ثابت . وأصحابه الذين قالوا ما قالوا (٢) .

ثم قال تعالى : ﴿ **لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً** ﴾ (٣) أى فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحبته (٤) ، ثم قال : ﴿ **إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم** ﴾ (٥) .

* موقف أبى بكر من مسْطَح :

فلما نزل هذا فى عائشة ، وفيمن قال لها ما قال ، قال : أبو بكر ، وكان ينفق على مسطح لقرابته وحاجته (٦) . والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا ، ولا أنفعه بنفع أبدًا بعد الذى قال لعائشة ، وأدخل علينا ، فأنزل الله فى ذلك : ﴿ **ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله ، وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم** ﴾ (٧) .

قال ابن إسحاق : قالت : فقال أبو بكر : بلى والله إنى لأحب أن يغفر الله لى ، فرجع إلى مسطح نفقته التى كان ينفق عليه وقال : والله لا أنزعها منه أبدا .

قال ابن إسحاق : ثم إن صفوان بن المعطل اعترض حسان بن ثابت بالسيف ، حين بلغه ما كان يقول فيه ، وقد كان حسان قال شعراً مع ذلك يعرض بابن المعطل فيه ، وبمن أسلم من العرب من مضر ، فقال :

---

(١) سورة النور : الآية ١١ .

(٢) قال ابن هشام : والذى تولى كبره عبد الله بن أبى وقد ذكر ذلك ابن إسحاق فى هذا الحديث قبل هذا .

(٣) سورة النور : الآية ١٢ .

(٤) أى قالوا خيراً فى حق عائشة .

(٥) سورة النور : الآية ١٥ .

(٦) وكان ذا رحم له ، ابن خالته .

(٧) سورة النور : الآية ٢٢ .

أمسى الجَلاَبِيبُ قَدْ عَزوا وقَد كَثروا … وابن الفَريعَة أمَسى بَيـضـة البلد [١]

قَد ثَكلَتْ أُمه مَنْ كُنت صَاحِبــه … أو كان منتشبا فى بَرثَن الأسـد [٢]

مَا لقتيلى الذى أغدو فآخـــذه … من دية فيه يعطاهـــا ولا قَود

مَا البحر حين تَهب الريح شَاميـة … فَيغطئل ويَرمى العبـــر بالزبد [٣]

يَومًا بأغلب منى حين تبـــصرنى … ملغيظ أفرى كفرى العـارض البرد [٤]

أمَّا قُريش فَإنَى لَنْ أسـالمهم … حَتَّى يَنيبـوا منْ الغيَات للـرشَد

وَيتركوا اللاَّت والعُزَّى بِمعـزلة … ويسجدوا كُلهُم للَواحـد الصَّمَد

وَيَشْهَدوا أنْ مَا قَال الرسـول لَهمُ … حَقٌّ ويوفـوا بَعَهْد الله وَالوكَد

فاعترضه صفوان بن المعطل ، فضربه بالسيف ، ثم قال : كما حدثنى يعقوب ابن عتبة :

تَلق ذُبَاب السَّيْفِ عَنِّــى فَإنَّنى … غُلاَمٌ إذا هُوجيـت لَست بِشَاعِرِ

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى : أن ثابت بن قيس بن الشماس وثب على صفوان بن المعطل ، حين ضرب حسان ، فجمع يديه إلى عنقه بحبل ، ثم انطلق به إلى دار بنى الحارث بن الخزرج ، فلقيه عبد الله بن رواحة ، فقال ، ما هذا ؟ قال : أما أعجبك ضرب حسان بالسيف ! والله ما أراه إلا قد قتله ، قال له عبد الله بن رواحة : هل علم رسول الله ﷺ بشىء مما صنعت ؟ قال : لا والله ، قال : لقد اجترأت [٥] ، أطلق الرجل ، فأطلقه [٦] ، ثم أتوا

---

(١) الجلابيب : لفظ تطلقه قريش على من أسلم منهم . بيضة البلد : أى منفرد .

(٢) البرثن : يد الأسد مع أصابعه .

(٣) يغطئل : يتحرك . العبر : جانب البحر .

(٤) أفرى : أقطع ، العارض البرد : السحاب الحامل للبرد .

(٥) اجترأت : أى تعديت حدودك ؛ لأن الرسول ﷺ لم يأمرك بذلك .

(٦) وهنا يتبين إلى أى حد كان الصحابة رضى الله عنهم - يحترمون آراء بعضهم ، والمخطىء منهم يرجع عن خطئه إذ ذكَّره صاحبه ولا يتشبث برأيه ، وكانت أخلاقهم عالية لأنهم تربوا فى مدرسة رسول الله ﷺ .

رسول الله ﷺ ، فذكروا ذلك له ، فدعا حسان (١) ، وصفوان بن المعطل ، فقال ابن المعطل : يا رسول الله : آذاني وهجاني ، فاحتملني الغضب ، فضربته ، فقال رسول الله ﷺ لحسان : أحسن يا حسان ، أتشوهت (٢) على قومى أن هداهم الله للإسلام ، ثم قال : أحسن يا حسان فى الذى أصابك ، قال : هى لك يا رسول الله .

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن إبراهيم ، أن رسول الله ﷺ أعطاه عوضًا منها بيرحاء ، وهى قصر بنى حديلة اليوم بالمدينة (٣) ، وكانت مالاً لأبى طلحة ابن سهل تصدق بها على آل رسول الله ﷺ ، فأعطاها رسول الله ﷺ حسان فى ضربته وأعطاه سيرين ، أمة قبطية ، فولدت له عبد الرحمن بن حسان ، وكانت عائشة تقول : لقد سئل عن ابن المعطل ، فوجدوه رجلاً حصورًا ، ما يأتى النساء ، ثم قتل بعد ذلك شهيدًا .

* اعتذار حسان عن اشتراكه فى حديث الإفك :

قال حسان بن ثابت يعتذر من الذى كان قاله فى شأن عائشة رضي الله عنها :

حصان رزان ما تزن بريبة ... وتصبح غرسى من لحوم الغوافل(٤)

عَقيلَة حَىٍّ مِنْ لُؤَىٍّ بن غَالب ... كِرَامِ المساعِى مَجْدهم غَيْر زَائل

مُهَذَّبة قَدْ طَيَّبَ اللهُ خَيْمَهَا ... وَطهرها من كل سوءٍ وباطلِ (٥)

فَإن كُنْتُ قَدْ قلتُ الذى قَدْ زَعمتمُ ... فَلا رفعتْ سوطى إلىَّ أناملى

---

(١) ولم يحدث شيء من ضربة السيف .

(٢) أتشوهت على قومى : أى أقبحت ذلك من فعلهم حين سميتهم بالجلابيب من أجل هجرتهم إلى الله ورسوله ، هكذا قال السهيلى فى الروض الأنف ٤ / ٢٢ .

(٣) وذلك رغم أنه كان ممن أشاعوا الإفك وممن تولوا كبره - إثمه - فيالها من أخلاق سامية عالية هى أخلاق النبوة التى علمها له الله حيث قال ﷺ : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » ومدحه ربه فقال : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ يعفو عمن ظلمه ووقع فى عرض زوجه ، فياليتنا نتأسى بهذه الأخلاق الحميدة وبسيرة صاحب السيرة العطرة ﷺ .

(٤) حَصان : فعال بفتح الحاء ، يكثر فى أوصاف المؤنث ، وفى الأعلام منها ، كأنهم قصدوا بتوالى الفتحات مشاكلة خفة اللفظ لخفة المعنى ، أى المسمى بهذه الصفات خفيف على النفس ، وحصان من الحصن والتحصن ، وهو الامتناع على الرجال من نظرهم إليها .

(٥) الخيم : الطبع ، وهنا يعترف حسان أن عائشة أطهر نساء العالمين وأن الله طهرها .

وكيف ودِّى ما حييتُ ونصرتى لآل رَسول اللهِ زَيْن المحافلِ
لَه رُتب عَال عَلى النــاس كلهم تَقَاصرُ عَنْهُ سَــورة المتطاول
فَإنَ الذى قَدْ قِـيل لَيس بِلائطِ ولَكنه قَوْل امـرئ بى مَاحِل (١)

وقالت جارية من العرب لأمها :

يَا أُمَّتَا أَبْصَرنى رَاكـــبٌ يَسيرُ فى مُسْحـنفر لاَحب
جَعَلتُ أَحثِى التُّرابَ فى وَجهِهِ حِصنًا وأحمى حَوْزَة الغَائبِ

فقالت لها أمها :

الحصن أدْنَى لَو تآبيتـــه مِنْ حثيك التُّربَ على الرَاكِب

ذكر هذه الأبيات أحمد بن أبى سعيد فى شرح أبيات الإيضاح · والرزان والثقال بمعنى واحد ، وهى القليلة الحركة ·

وقوله : وتصبح غرثى من لحوم الغـوافل ، أى خميصة البطن من لحوم الناس ، أى اغتيابهم وضرب الغرث مثلا ، وهو عدم الطعم وخلو الجوف وفى التنزيل : ﴿ **أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا** ﴾ ضرب المثل لأخذه فى العرض بأكل اللحم · لأن اللحم ستر على العظم ، والشاتم لأخيه كأنه يقشر ويكشف ما عليه من ستره ·

وقال : ميتا ، لأن الميت لا يحس ، وكذا الغائب لا يسـمع ما يقول فيه المغتاب ، ثم هو فى التحريم كأكل لحم الميت ·

وقوله : من لحوم الغوافل ، يريد : العفائف الغافلة قلوبهن عن الشر ، كما قال سبحانه : ﴿ **إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات** ﴾ جعلهن غافلات ، لأن الذى رمين به من الشر لم يهممن به قط ولا خطر على قلوبهن ، فهن فى غفلة عنه ، وهذا أبلغ ما يكون من الوصف بالعفاف ·

---

(١) لائط : لاصق · ماحل : ماشى بالنميمة ، وكانت هذه الأبيات من حسان خير اعتذار عما بدر منه وتأسفًا منه عما حدث ،وتجديد العهد منه بأنه المدافع عن الرسول وآل بيته ·

أَمْرُ الحُدَيبية (١) فى آخر سنة ستٍّ وذكر بيعة الرضوان

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة شهر رمضان وشوالاً ، وخرج فى ذى القعدة معتمراً ، لا يريد حربًا (٢) .

* الرسول يستنفر الناس للخروج :

قال ابن إسحاق : واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادى من الأعراب ليخرجوا معه وهو يخشى من قريش الذى صنعوا ، أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت (٣) ، فأبطأ عليه كثير من الأعراب . وخرج رسول الله ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب ، وساق معه الهدى ، وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربة ، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظما له .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، عن عروة بن الزبير عن مسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهما حدثاه قالا : خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية يريد زيارة البيت ، لا يريد قتالا ، وساق معه الهدى سبعين بدنة ، وكان الناس سبعمائة رجل ، فكانت كل بدنة عن عشرة نفر (٤) .

---

(١) يقال فيها : الحديبية بالتخفيف ، وهو الأعرف عند أهل العربية ، قال الخطابى : أهل الحديث يقولون : الحديبية بالتشديد ، والجعرانة كذلك ، وأهل العربية يقولونهما بالتخفيف ، وقال البكرى : أهل العراق يشددون الياء والراء فى الحديبية والجعرانة ، وأهل الحجاز يخففون ، وقال أبو جعفر النحاس : سألت كل من لقيته ممن أثق بعلمه عن الحديبية فلم يختلفوا على أنها بالتخفيف . وقال الخطابى : سميت الحديبية لشجرة حدباء كانت فى ذلك الموضع ، وبين الحديبية ومكة مرحلة وبينها وبين المدينه تسع مراحل . انظر سيرة ابن هشام تحقيق طه عبد الرءوف سعد ٣ / ١٩٧ .

(٢) قال ابن هشام : واستعمل ﷺ على المدينة نميلة بن عبد الله الليثى .

(٣) وذلك لأنه ﷺ كان ذاهبًا لأداء العمرة .

(٤) فيجوز الاشتراك فى الهدى .

وكان جابر بن عبد الله ، فيما بلغنى ، يقول : كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مئة .

* ما فعلته قريش :

وخرج رسول الله حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبى فقال : يا رسول الله هذه قريش ، قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل (١) ، قد لبسوا جلود النمور ، وقد نزلوا بذى طوى (٢) يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً ، وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم (٣) قال . فقال رسول الله ﷺ : يا ويح قريش ! لقد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب ، فإن هم أصابونى كان الذى أرادوا ، وإن أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الإسلام وافرين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما تظن قريش فوالله لا أزال أجاهد على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة (٤) ، ثم قال : مَن رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التى هم بها ؟ .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أن رجلاً من أسلم قال : أنا يا رسول الله ، قال : فسلك بهم طريقًا وعراً أجرل (٥) ، بين شعاب ، فلما خرجوا منه ، وقد شق ذلك على المسلمين وأفضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادى ، قال رسول الله ﷺ للناس : قولوا نستغفر الله ونتوب إليه ، فقالوا ذلك ، فقال : والله إنها اللحطة التى عرضت على بنى إسرائيل . فلم يقولوها (٦) .

فأمر رسول الله ﷺ الناس فقال : اسلكوا ذات اليمين بين ظهرى الحمض ، فى طريق تخرجهم على ثنية المرار مهبط الحديبية من أسفل مكة ، قال فسلك الجيش

---

(١) استعار العوذ المطافيل للنساء مع أولادهن . والعوذ هى الإبل حديثة النتاج والمطافيل التى معها أولادها .

(٢) ذو طوى : موضع قرب مكة .

(٣) كراع الغميم : موضع بين مكة والمدينة .

(٤) السالفة : صفحة العنق .

(٥) الأجرل : كثير الحجارة .

(٦) وهو قوله تعالى : ﴿ وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم ﴾ ومعناها الاستغفار من الذنوب بقولهم اللهم حط عنا ذنوبنا .

ذلك الطريق ، فلما رأت خيل قريش قترة [١] الجيش قد خالفوا عن طريقهم ، رجعوا راكضين إلى قريش ، وخرج رسول الله ﷺ ، حتى إذا سلك فى ثنية المرار بركت ناقته ، فقالت الناس : خلأت [٢] الناقة ، قال : ما خلأت وما هو لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة [٣] . لا تدعونى قريش اليوم إلى خطة يسألوننى فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها ، ثم قال للناس : انزلوا ، قيـــل له : يا رسول الله ، ما بالوادى ماء ننزل عليه ، فأخرج سهماً من كنانته فأعطاه رجلاً من أصحابه ، فنزل به فى قليب من تلك القلب : فغرزه فى جوفه ، فجاش بالرواء [٤] حتى ضرب الناس عنه بعطن [٥] .

قال ابن إسحاق : فحدثنى بعض أهل العلم عن رجال من أسلم : أن الذى نزل فى القليب بسهم رسول الله ﷺ ناجية بن جندب بن عمير بن يعمر بن دارم ابن عمر بن وائلة بن سهم بن مازن بن أسلم بن أفصى بن أبى حارثة ، وهو سائق بُدن رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : وقد زعم لى بعض أهل العلم : أن البراء بن عازب كان يقول : أنا الذى نزلت بسهم رسول الله ﷺ ، فالله أعلم أى ذلك كان .

وقد أنشدت أسلم أبياتا من شعر قالها ناجية ، قد ظننا أنه هو الذى نزل بالســـهم ، فزعمت أسلم أن جارية من الأنصار أقبلت بدلوها ، وناجية فى القليب يميح على الناس [٦] ، فقالت :

يَا أيها المائح دَلْوِى دُونَكا   إنِى رَأيتُ النَّاس يَحْمدُونكا

يُثْنُونَ خَيرًا ويَمجدونكا

---

(١) القترة : الغبار

(٢) خلأت : أى بركت ومنعت من المشى .

(٣) وذلك لحكمة إلهية اقتضت ذلك .

(٤) وهذا من معجزات النبى ﷺ .

(٥) العطن : مبرك الإبل حول الماء .

(٦) يميح على الناس : أى يملأ لهم دلاءهم .

قال ابن إسحاق : فقال ناجية ، وهو فى القليب يميح على الناس :

قد علمـــــت جارية يمانية أنى أنا المائح واسمى ناجية
وطعنة ذات رشاش واهية[(١)] طعنتها عند صـــدور العادية

فقال الزهرى فى حديثه : فلما اطمأن رسول الله ﷺ أتاه بُديل بن ورقاء الخزاعى ، فى رجال من خزاعة ، فكلموه وسألوه : ما الذى جاء به ؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حربا ، وإنما جاء زائراً للبيت ، ومعظما لحرمته ، وقد كان قد قال ذلك لبشر بن سفيان ، فرجعوا إلى قريش فقالوا : يا معشر قريش ، إنكم تعجلون على محمد ، إن محمداً لم يأت لقتال ، وإنما جاء زائرًا هذا البيـــت ، فاتهموهم وجبهوهم [(٢)] وقالوا : وإن كان جـــاء ولا يريد قتالا ، فوالله لا يدخلـــها علينـــا عنوة [(٣)] ، ولا تحدث بذلك عنا العرب .

قال الزهرى : وكان خزاعة عيبة نصح [(٤)] رسول الله ﷺ ، مسلمها ومشركها ، لا يخفون عنه شيئًا كان بمكة .

* رسل قريش إلى رسول الله ﷺ :

قال : ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص بن الأخيف ، أخا بنى عامر بن لؤى ، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلا قال : هذا رجل غادر ، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ وكلمه ، قال له رسول الله ﷺ نحواً مما قال لبديل وأصحابه ، فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله ﷺ .

ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة أو ابن زبان ، وكان يومئذ سيد الأحابيش ، وهو أحد بنى الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : إن هذا من قوم يتألهون ، فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادى [(٦)] فى قلائده [(٦)] ، وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله ، ثم رجع إلى قريش ، ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظامًا لما رأى ، فقال لهم ذلك ، قال فقالوا له : اجلس ، فإنما أنت أعرابى لا علم لك .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر : بأن الحليس غضب عند ذلك

---

(١) الواهية : المسترخية من اتساعها .
(٢) جبهوهم : واجهوهم بما يكرهون .
(٣) عنوة : أى بالقوة .
(٤) عيبة نصح : أى موضع سره .
(٥) عرض الوادى : جانبه .
(٦) القلائد : هى ما يعلق فى أعناق الإبل علامة على أنها هدى .

وقال : يا معشر قريش ، والله ما على هذا حالفناكم ، ولا على هذا عاقدناكم · أيُصدُّ عن بيت الله من جاء معظِّمًا له ! والذى نفس الحليس بيده ، لتخلن بين محمد وبين ما جاء له ، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد (١) · قال فقالوا له : مه (٢) كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به ·

قال الزهرى فى حديثه : ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ عروة بن مسعود الثقفى ، فقال : يا معشر قريش ، إنى قد رأيت ما يلقى منكم من بعثتموه إلى محمد إذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ ، وقد عرفتم أنكم والد وإنى ولد – وكان عروة لسبيعة بنت عبد شمس – وقد سمعت بالذى نابكم ، فجمعت من أطاعنى من قومى ، ثم جئتكم حتى آسيتكم بنفسى ، قالوا صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ ، فجلس بين يديه ثم قال : يا محمد ، أجمعت أوشاب (٣) الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها (٤) بهم إنهم قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل · قد لبسوا جلود النمور يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبدًا · وايم الله لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدًا · قال : وأبو بكر الصديق خلف رسول الله ﷺ قاعد ، فقال : امصص بظر اللات ، أنحن ننكشف عنه ؟ قال : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أبى قحافة ، قال : أما والله لولا يد كانت لك عندى لكافأتك بها ، ولكن هذه بها ، قال : ثم جعل يتناول لحية رسول الله ﷺ وهو يكلمه · قال : والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله ﷺ فى الحديد (٥) قال : فجعل يقرع يده إذا تناول لحية رسول الله ﷺ ، ويقول : اكفف يدك عن وجه رسول الله ﷺ قبل أن لا تصل إليك قال فيقول عروة : ويحك ! ما أفظعك وأغلظك ! قال : فتبسم رسول الله ﷺ (٦) ، فقال له عروة من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة ، قال : أى غدر وهل غسلت سوءتك إلا بالأمس ·

---

(١) أى لأقلبن عليكم الأحابيش يقاتلونكم ، وكان هذا نصر من الله وسببًا فى صلح الحديبية ·

(٢) مهْ : أى اكفف عن الكلام مطلقًا ·   (٣) الأوشاب : الأخلاط ·

(٤) بيضتك : أى عشيرتك ، تفضها : تهلكها ·

(٥) فى الحديد : أى لابسًا درعه ·

(٦) وهنا يتبين مدى حلم الرسول ﷺ حتى مع عدوه ·

قال ابن إسحاق : قال الزهرى ، فكلمه رسول الله ﷺ بنحو مما كلم به أصحابه وأخبره أنه لم يأت يريد حربا .

فقام من عند رسول الله ﷺ وقد رأى ما يصنع به أصحابه ، لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ، ولا يبصق بصاقا إلا ابتدروه ، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه ، فرجع إلى قريش ، فقال : يا معشر قريش ، إنى قد جئت كسرى فى ملكه ، وقيصر فى ملكه . والنجاشى فى ملكه ، وإنى والله ما رأيت ملكا فى قوم قط مثل محمد فى أصحابه ، ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشى أبدا ، فروا رأيكم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أهل العلم : أن رسول الله ﷺ دعا خراش بن أمية الخزاعى، فبعثه إلى قريش بمكة،وحمله على بعير له يقال له الثعلب ، ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له ، فعقروا به جمل رسول الله ﷺ ، وأرادوا قتله ، فمنعته الأحابيش ، فخلوا سبيله ، حتى أتى رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى بعض من لا أتهم عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس : أن قريشاً كانوا بعثوا أربعين رجلا منهم أو خمسين رجلا ، وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله ﷺ ، ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً ، فأخذوا أخذاً فأتى بهم رسول الله ﷺ ، فعفا عنهم ، وخلى سبيلهم ، وقد كانوا رموا فى عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة والنبل .

ثم دعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة ، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال : يا رسول الله ، إنى أخاف قريشا على نفسى ، وليس بمكة من عدى بن كعب أحد يمنعنى ، وقد عرفت قريش عداوتى إياها ، وغلظتى عليها ، ولكنى أدلك على رجل أعز بها منى ، عثمان بن عفان فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان ، فبعثه إلى أبى سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وإنه إنما جاء زائرا لهذا البيت ، ومعظما لحرمته .

قال ابن إسحاق : فخرج عثمان إلى مكة ، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة ، أو قبل أن يدخلها ، فحمله بين يديه ، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش ، فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به ، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم إن شئت أن تطوف بالبيت فطف ، فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ واحتبسته قريش عندها ، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان بن عفان قد قُتل .

* * *

بَيْعَةُ الرِّضوان

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عثمان قد قتل : لا نبرح حتى نناجز القوم ، فدعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة · فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، فكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله ﷺ على الموت ، وكان جابر بن عبد الله يقول : إن رسول الله ﷺ لم يبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا على أن لا نفر (١) ·

* تَخَلُف الجد بن قَيْس عَن المبايعة :

فبايع رسول الله ﷺ النّاس ، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها ، إلا الجد بن قيس ، أخو بنى سلمة ، فكان جابر بن عبد الله يقول : والله لكأنى أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته · قد ضبأ (٢) إليها يستتر بها من الناس ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذى ذكر من أمر عثمان باطل ·

* الهُدْنَة :

قال ابن إسحاق : قال الزهرى : ثم بعثت قريش سُهَيل بن عمرو ، أخا بنى عامر بن لُؤى ، إلى رسول الله ﷺ ، وقالوا له : ائت محمدًا فصالحه ، ولا يكن فى صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا تحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبدًا (٣) ، فأتاه سهيل بن عمرو ، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً ، قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل ، فلما انتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام ، وتراجعا ، ثم جرى بينهما الصلح ·

---

(١) قال ابن هشام : وكان أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان أبو سنان الأسدى ·

(٢) ضبأ إليها : أى لصق واحتمى بها ، والله أعلم علة ذلك ·

(٣) وهذا دليل تكبرهم ·

* موقف عمر من الهُدْنة :

فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب ، وثب عمر بن الخطاب ، فأتى أبا بكر فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال بلى ، قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى قال : فعلام نعطى الدنية [(١)] فى ديننا ؟ قال أبو بكر : يا عمر ؛ الزم غرزه [(٢)] ، فإنى أشهد أنه رسول الله ، قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله ، ثم أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ألست برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ، قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ، قال فعلام نُعطى الدنية فى ديننا ؟ قال : أنا عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره [(٣)] ، ولن يضيعنى ! قال : فكان عمر يقول : ما زلت أتصدق وأصوم وأصلى وأعتق ، من الذى صنعت يومئذ ، مخافة كلامى الذى تكلمت به ، حتى رجوت أن يكون خيراً .

شُروط الصلح : قال : ثم دعا رسول الله ﷺ على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، فقال ، اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، قال : فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب باسمك اللهم ، فقال رسول الله ﷺ : اكتب باسمك اللهم ، فكتبها ، ثم قال : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو ، قال ، فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، قال : فقال : رسول الله ﷺ : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد ابن عبد الله سهيل بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه ، وإن بيننا عيبة مكفوفة [(٤)] ، وإنه لا إسلال ولا إغلال [(٥)] ، وإنه من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه .

---

(١) الدنية : الذل .

(٢) الزم غرزه : الزم أمره .

(٣) أى أن هذا كان أمراً من الله ، ولذلك كان هذا الصلح خيراً وفتحًا للمسلمين علموا ذلك بعد فتح مكة ، وندم من عارض الصلح على معارضته .

(٤) عيبة مكفوفة : أى صدور منطوية على ما فيها .

(٥) الإسلال : السرقة خفية الإغلال : الخيانة .

فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن فى عقد محمد وعهده ، وتواثبت بنو بكر ، فقالوا : نحن فى عقد قريش وعهدهم ، وأنك ترجع عنا عامك هذا ، فلا تدخل علينا مكة ، وإنه إذا كان عام قابل ، خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك ، فأقمت بها ثلاثا ، معك سلاح الراكب السيوف فى القرب ، لا تدخلها بغيرها ·

* قصة أبى جَنْدَل بن سُهيل :

فبينا رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو ، إذ جاء أبو جندل ابن سهيل بن عمرو يرسف فى الحديد [١] قد انفلت إلى رسول الله ﷺ وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكون فى الفتح ، لرؤيا رآها رسول الله ﷺ ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع ، وما تحمل عليه رسول الله ﷺ فى نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم ، حتى كادوا يهلكون ، فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه ، وأخذ بتلبيبه ، ثم قال : يا محمد قد لجت [٢] القضية بينى وبينك قبل أن يأتيك هذا ، قال صدقت ، فجعل ينتره [٣] بتلبيبه ، ويجره ليرده إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أأرد إلى المشركين يفتنونى فى دينى ؟ فزاد ذلك الناس إلى ما بهم [٤] ، فقال رسول الله ﷺ : يا أبا جندل ، اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحًا ، وأعطيناهم على ذلك ، وأعطونا عهد الله ، وإنا لا نغدر بهم [٥] ، قال : فوثب عمر بن الخطاب مع أبى جندل يمشى إلى جنبه · ويقول : اصبر يا أبا جندل ! فإنما هم المشركون ، وإنما دم أحدهم دم كلب ، قال : ويدنى قائم السسيف منه قال : يقول عمر : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه [٦] ، قال : فضن [٧] الرجل بأبيه ونفذت القضية ·

---

(١) أى مقيدًا بالحديد ، وذلك أن أباه عذبه ليرتد عن الإسلام ·

(٢) أى قد تمت ·　　　　(٣) يجذبه بشدة وهو ابنه لكنه مسلم وهو مشرك ·

(٤) أى على ما بهم من حزن عظيم ·

(٥) وهذا الموقف العملى يبين كيف أن النبى إذا عاهد بر ، وأمر بذلك المسلمين أن يوفوا العهد ،ولا ينقضوه فرده الرسول ﷺ للمشركين وهو مسلم وذلك طبقًا للعقد الذى بينهم ، ولعل الله بذلك يجعل له مخرجًا وفرجًا ·

(٦) أى سهيل بن عمرو ·　　　　(٧) أى رفض أبو جندل أن يفعل ذلك ·

مَنْ شَهِدوا على الصلح

فلما فرغ رسول الله ﷺ من الكتاب أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجلاً من المشركين . أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسعد بن أبى وقاص ، ومحمود بن مسلمة ومكرز بن حفص ، وهو يومئذ مشرك ، وعلى بن أبى طالب وكتب ، وكان هو كاتب الصحيفة .

* الإِحْلاَل :

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ مضطربًا فى الحل وكان يصلى فى الحرم فلما فرغ من الصلح قام إلى هديه فنحره ، ثم جلس فحلق رأسه ، وكان الذى حلقه فيما بلغنى فى ذلك اليوم خراش بن أمية بن الفضل الخزاعى ، فلما رأى الناس أن رسول الله ﷺ قد نحر وحلق تواثبوا ينحرون ويحلقون .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : حلق رجال يوم الحديبية ، وقصَّر آخرون . فقال رسول الله ﷺ : يرحم الله المحلِّقين ، قالوا والمقصِّرين يا رسول الله ؟ قال : يرحم الله المحلقين . قالوا والمقصرين يا رسول الله قال يرحم الله المحلقين . قالوا والمقصرين يا رسول الله قال : والمقصرين ، فقالوا : يا رسول الله : فلم ظاهرت [١] الترحيم للمحلقين دون المقصرين ؟ قال : لم يشكُّوا .

وقال عبد بن أبى نجيح : حدثنى مجاهد ، عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ أهدى عام الحديبية فى هداياه جملا لأبى جهل ، فى رأسه برة [٢] من فضة ، يغيظ بذلك المشركين .

نزول سورة الفتح : قال الزهرى فى حديثه : ثم انصرف رسول الله ﷺ من وجهه ذلك قافلا ، حتى إذا كان بين مكة والمدينة ، نزلت سورة الفتح : **﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبينًا * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ﴾** [٣] .

---

(١) ظاهرتْ : قويّت وأكدت .

(٢) البرة : حلقة تجعل فى أنف البعير ليُذل بها وكانت فى العادة من خشب أو شعر .

(٣) سورة الفتح : الآية ١ ، ٢ .

ثم كانت فيه وفى أصحابه ، حتى انتهى من ذكر البيعة ، فقال جل ثناؤه :
﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيمًا ﴾ (١) .

ثم ذكر من تخلف عنه من الأعراب ، ثم قال : حين استفزهم للخروج معه فتباطأوا عليه : **﴿ سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا ﴾** (٢) ثم القصة عن خبرهم ، حتى انتهى إلى قوله : **﴿ سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل ﴾** (٣) . . ثم القصة عن خبرهم وما عرض عليهم من جهاد القوم أولى البأس الشديد .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، عن عطاء بن أبى رباح ، عن ابن عباس ، قال : فارس . قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن الزهرى أنه قال : أولو البأس الشديد : حنيفة مع الكذاب .

ثم قال تعالى : **﴿ لقد رضى الله عن المؤمنين إذا يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبًا * ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما * وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجّل لكم هذه وكف أيدى الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما * وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا ﴾** (٤) .

ثم ذكر محبسه وكفه إياه عن القتال ، بعد الظفر منه بهم ، يعنى النفر الذين أصاب منهم وكفهم عنه ، ثم قال تعالى : **﴿ وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا ﴾** ، ثم قال تعالى : **﴿ هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفًا أن يبلغ محله ﴾** (٥) .

---

(١) سورة الفتح : الآية ١٠ .

(٢) سورة الفتح : الآية ١١ .

(٣) سورة الفتح : الآية ١٥ .

(٤) سورة الفتح : الآيات ١٨ - ٢١ .

(٥) سورة الفتح : الآيات ٢٤ - ٢٥ .

قال ابن إسحاق : ثم قال تعالى : ﴿ ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ﴾ [١] والمعرة : الغرم أى : أن تصيبوا منهم معرة بغير علم فتخرجوا ديته ، فأما إثم فلم يخشه عليهم .

قال ابن إسحاق : ثم قال تبارك وتعالى : ﴿ إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ﴾ يعنى سهيل بن عمرو حين حمى أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، وأن محمداً رسول الله ، ثم قال تعالى : ﴿ فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها ﴾ [٢] . أى التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله .

ثم قال تعالى : ﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتَدَخُلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلِّقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا ﴾ . أى لرؤيا رسول الله ﷺ التى رأى ، أنه سيدخل مكة آمناً لا يخاف ، ويقول : ﴿ مُحلِّقين رءوسكم ومقصرين ﴾ معه : ﴿ لا تخافون فعلم ﴾ من ذلك ﴿ ما لم تعلموا ، فجعل من دون ذلك فتحًا قريبًا ﴾ [٣] صلح الحديبية .

يقول الزهرى : فما فتح فى الإسلام فتح قبله كان أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس ، فلما كانت الهدنة ، ووضعت الحرب ، وأمن الناس بعضهم بعضاً والتقوا فتفاوضوا فى الحديث والمنازعة ، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئًا إلا دخل فيه ولقد دخل تلك السنتين مثل من كان والإسلام قبل ذلك . أو أكثر [٤] .

* * *

(١) سورة الفتح : الآية ٢٥ .

(٢) سورة الفتح : الآية ٢٦ .

(٣) سورة الفتح : الاية ٢٧ .

(٤) قال ابن هشام : والدليل على قول الزهرى أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية فى ألف وأربعمائة ، فى قول جابر بن عبد الله ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين فى عشرة آلاف .

أمر المستضعفين بمكة بعد الصلح

قصة أبى بصير : قال ابن إسحاق : فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أتاه أبو بصير عُتبة [١] بن أسيد بن جارية ، وكان ممن حُبس بمكة ، فلما قدم رسول الله ﷺ كتب فيه أزهر بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة ، والأخنس بن شريق ابن عمرو بن وهب الثقفى إلى رسول الله ﷺ ، وبعثا رجلا من بنى عامر بن لؤى ومعه مولى لهم ، فقدما على رسول الله ﷺ بكتاب الأزهر والأخنس ، فقال رسول الله ﷺ : يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ، ولا يصلح لنا فى ديننا الغدر ، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ، فانطلق إلى قومك ، قال : يا رسول الله ، أتردنى إلى المشركين يفتنوننى فى دينى ؟ قال : يا أبا بصير ، انطلق فإن الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا .

فانطلق معهما ، حتى إذا كان بذى الحُليفة [٢] ، جلس إلى جدار ، وجلس معه صاحباه ، فقال أبو بصير : أصارم سيفك هذا يا أخا بنى عامر ؟ فقال : نعم ، قال : أنظر إليه ؟ قال انظر ، إن شئت . قال : فاستله أبو بصير ، ثم علاه به حتى قتله ، وخرج المولى سريعا حتى أتى رسول الله ﷺ وهو جالس فى المسجد ، فلما رآه رسول الله ﷺ طالعا ، قال : إن هذا الرجل قد رأى فزعاً [٣] ، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ، قال ويحك ! مالك ؟ قال : قتل صاحبكم صاحبى . فوالله : ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحاً بالسيف حتى وقف على رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، وفت ذمتك ، وأدى الله عنك ، أسلمتنى بيد القوم وقدامتنعت بدينى أن أفتن فيه ، أو يعبث بى . قال : فقال رسول الله ﷺ : ويل امِّه محش حرب [٤] لو كان معه رجال ! .

---

(١) وقيل : عبيد .
(٢) ميقات أهل المدينة ، بينها وبين المدينة ستة أميال .
(٣) لما رأى عليه من الوجوم .
(٤) وفى الصحيح : ويل أمه مسعر حرب ، ويقال : حششت النار ، وأورثتها ، وأذكيتها ، وأثقلتها وسعرتها بمعنى واحد .

ثم خرج أبو بصير حتى نزل العيص ، من ناحيــة ذى المروة ، على ساحل البحر ، بطريق قريش التى كانوا يأخذون عليها إلى الشام ، وبلغ المسلمين الذين كانوا حبسوا بمكة قول رسول الله ﷺ لأبى بصير : ويل امه محش حرب لو كان معه رجال ، فخرجوا إلى أبى بصير بالعيص ، فاجتمع إليه منهم قريب من سبعين رجلاً وكانوا قد ضيقوا على قريش . لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه ، ولا تمر بهم عير إلا اقتطعوها حتى كتبت قريش إلى رسول الله ﷺ تسأل بأرحامهم إلا آواهم فلا حاجة لهم بهم ، فآواهم رسول الله ﷺ ، فقدموا عليه بالمدينة .

قال ابن إسحاق : فلما بلغ سُهيل بن عمرو قتل أبى بصير صاحبهم العامرى ، أسند ظهره إلى الكعبة ، ثم قال : والله لا أؤخر ظهرى عن الكعبة حتى يودى [1] هذا الرجل فقال أبو سفيان بن حرب : والله إن هذا لهو السفه والله لا يودى .

* * *

(١) أى تُدفع ديته .

أَمْرُ المهاجرات بعد الهُدْنة

* هجرة أم كُلثوم بنت عُقبة :

قال ابن إسحاق : وهاجرت إلى رسول الله ﷺ أم كلثوم بنت عُقْبة بن أبى مُعيط فى تلك المدة ، فخرج أخواها عمارة والوليد ابنا عقبة ، حتى قدما على رسول الله ﷺ يسألانه أن يردها عليهما بالعهد الذى بينه وبين قريش فى الحديبية فلم يفعل ، أبى الله ذلك .

قال ابن إسحاق : فحدثنى الزهرى ، عن عُروة بن الزبير ، قال : دخلت عليه وهو يكتب كتابا إلى ابن أبى هنيدة ، صاحب الوليد بن عبد الملك ، وكتب إليه يسأله عن قول الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر** ﴾ [(١)] . ﴿ **واسئلوا ما أنفقتم وليسئلوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم** ﴾ [(٢)] .

قال : فكتب إليه عُروة بن الزبير : أن رسول الله ﷺ كان صالح قريشًا يوم الحديبية على أن يرد عليهم من جاء بغير إذن وليه ، فلما هاجر النساء إلى رسول الله ﷺ وإلى الإسلام ، أبى الله أن يرددن إلى المشركين إذا هن امتحن بمحنة الإسلام فعرفوا أنهن إنما جئن رغبة فى الإسلام ، وأمر برد صدقاتهن [(٣)] إليهم إن احتبس عنهم إن هم ردوا على المسلمين صداق من حبسوا عنهم من نسائهم ، ﴿ **ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم** ﴾ . فأمسك رسول الله ﷺ النساء ورد الرجال ، وسأل الذى أمره به أن يسأل من صدقات نساء من حبسوا منهن ، وأن يردوا عليهم ، مثل الذى يردون عليهم ، إن هم فعلوا ولولا الذى حكم الله به من هذا الحكم لرد رسول الله ﷺ النساء كما رد الرجال ، ولولا الهدنة والعهد الذى بينه وبين قريش

---

(١) الممتحنة : الآية ١٠ .

(٢) سورة الممتحنة : الآية ١٠ .

(٣) أى مهورهن .

يوم الحديبية لأمسك النساء ، ولم يردد لهن صداقا ، وكذلك كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد ٠

قال ابن إسحاق : وسألت الزهرى عن هذه الآية ، وقول الله عز وجل فيها : ﴿ **وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون** ﴾ (١) فقال يقول إن فات أحدًا منكم أهله إلى الكفار ، ولم تأتكم امرأة تأخذون بها مثل الذى يأخذون منكم ، فعوضوهم من فيء إن أصبتموه ، فلما نزلت هذه الآية : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات** ﴾ إلى قول الله عز وجل : ﴿ **ولا تمسكوا بعصم الكوافر** ﴾ (٢) ، كان ممن طلّق عمر بن الخطاب ، طلق امرأته قريبة بنت أبى أميةَ بن المغيرة ، فتزوجها بعده معاوية بن أبى سفيان ، وهما على شركهما بمكة ، وأم كلثوم بنت جرول أم عبيد الله ابن عمر الخزاعية ، فتزوجها أبو جهم بن حذيفة بن غانم ٠ رجل من قومه وهما على شركهما ٠

* * *

(١) سورة الممتحنة : الآية ١١ ٠

(٢) سورة الممتحنة : الآية ١٠ ٠

ذكر المَسير إلى خَيْبَر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم ، وولى تلك الحجة المشركون ، ثم خرج فى بقية المحرم إلى خيبر (١) .

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى عن أبى الهيثم ابن نصر بن دُهر الأسلمى أن أباه حدثه : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول فى مسيره إلى خيبر لعامر بن الأكوع ، وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع ، وكان اسم الأكوع سنان : انزل يا بن الأكوع ، فخذ لنا من هناتك (٢) ، قال : فنزل يرتجز برسول الله ﷺ ، فقال :

وَاللهِ لَوْلاَ اللهُ مَا اهتَدينا وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلا صَلَّيْنَـا
إنَّا إذَا قَوْمٌ بغَوا عَلَينـا وَإن أرادُوا فتْنَةً أَبينَـا
فَأنزِلَنْ سكينةً عَلَيْنَـا وَثبِّت الأَقْدامَ إنْ لاَقينـا

فقال رسول الله ﷺ : يرحمك الله ، فقال عمر بن الخطاب : وجبت والله يا رسول الله ، لو أمتعتنا به ! فقتل يوم خيبر شهيداً ، وكان قتله فيما بلغنى ، أن سيفه رجع عليه وهو يقاتل ، فكلمه كلما شديداً ، فمات منه ، فكان المسلمون قد

---

(١) قال ابن هشام : واستعمل على المدينة نميلة بن عبد الله الليثى ، ودفع الراية إلى على بن أبى طالب رضي الله عنه ، وكانت بيضاء .

(٢) هناتك : جمع الهنة : كناية عن كل شىء لا تعرف اسـمه ، أو تعرفه ، فتكنى عنه ، وأصل الهنة : هنة وهنوة . قال الشاعر :

* على هنوات شأنها متتابع *

وفى البخارى : أن رجلا قال لابن الأكوع : ألا تنزل فتسمعنا من هنيهاتك ، صغره بالهاء ، ولو صغره على لغة من قال هنوات لقال هنياتك . وإنما أراد ﷺ أن يحدو بهم ، والإبل تستحث بالحداء ، ولا يكون الحداء إلا بشعر أو رجز .

شكوا فيه ، وقالوا : إنما قتله سلاحه ، حتى سأل ابن أخيه سلمة بن عمرو الأكوع رسول الله ﷺ عن ذلك وأخبره بقول الناس ، فقال رسول الله ﷺ : إنه شهيد وصلى عليه فصلى عليه المسلمون .

* دعاء الرسول عند دخول خيبر :

قال ابن إسحاق : حدثني من لا أتهم عن عطاء بن أبي مروان الأسلمي عن أبيه ، عن أبي معتب بن عمرو . أن رسول الله ﷺ لما أشرف على خيبر قال لأصحابه ، وأنا فيهم : قفوا ، ثم قال : اللهم رب السموات وما أظللن ، ورب الأرضين وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما ذرين فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ، ونعـــوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها أقدموا بسم الله ، قال : وكان يقـــولها عليه الصلاة والسلام لكل قرية دخلها [١] .

* فرار أهل خيبر :

قال ابن إسحاق : وحدَّثني من لا أتهم عن أنس بن مالك ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا غزا قومًا لم يغر عليهم حتى يصبح [٢] ، فإن سمع أذانًا أمسك ، وإن لم يسمع أذانًا أغار ، فنزلنا خيبر ليلاً ، فبات رسول الله ﷺ ، حتى إذا أصبح لم يسمع أذانًا ، فركب وركبنا معه ، فركبت خلف أبي طلحة ، وإن قدمي لتمس قدم رسول الله ﷺ ، واستقبلنا عمال خيبر غادين [٣] ، قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم [٤] . فلما رأوا رسول الله ﷺ والجيش ، قالوا : محمد والخميس [٥] معه فأدبروا هرابًا فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر ، خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين .

قال ابن إسحاق : حدثنا هارون عن حميد ، عن أنس بمثله .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ حين خرج من المدينة إلى خيبر سلك

---

(١) وصار هذا الدعاء من هدى الرسول ﷺ عند دخول أى بلد يستحب للمسلم أن يقوله فى أول البلد .

(٢) أى أنه لم يأخذهم على غرة ليلاً .

(٣) غادين : خارجين لأعمالهم صباحاً مبكرين .

(٤) المساحى : جمع مسحاة ، وهى الفأس من الحديد ، المكاتل جمع مكتل وهو زنبيل يعمل من الخوص .

(٥) الخميس : الجيش .

على عصَر [١] ، فبنى فيها مسجدا ، ثم على الصهباء [٢] ، ثم أقبل رسول الله ﷺ بجيشه ، حتى نزل بواد يقال له الرجيع ، فنزل بينهم وبين غطفان ، ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر ، وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله ﷺ .

*** غطفان تحاول مساعدة خيبر :**

فبلغنى أن غطفان لما سمعت بمنزل رسول الله ﷺ من خيبر جمعوا له ، ثم خرجوا ليظاهروا اليهود عليه ، حتى إذا ساروا منقلة [٣] سمعوا خلفهم فى أموالهم وأهليهم حِسا ، ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم ، فرجعوا على أعقابهم ، فأقاموا فى أهليهم وأموالهم وخلوا بين رسول الله ﷺ وبين خيبر [٤] .

وتدنى [٥] رسول الله ﷺ الأموال يأخذها مالا مالا ، ويفتحها حصنا حصنا ، فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم ، وعنده قتل محمود بن مسلمة ألقيت عليه منه رحا فقتلته ، ثم القموص ، حصن بنى أبى الحقيق ، وأصاب رسول الله ﷺ منهم سبايا ، منهن صفية بنت حُيى بن أخطب ، وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق وبنتى عم لها ، فاصطفى رسول الله ﷺ صفية لنفسه [٦] .

وكان دحية بن خليفة الكلبى [٧] قد سأل رسول الله ﷺ صفية فلما أصفاها لنفسه أعطاه ابنتى عمها ، وفشت السبايا من خيبر فى المسلمين .

أشياء نهى عنها الرسول يوم خيبر : وأكل المسلمون لحوم الحمر الأهلية من حمرها فقام رسول الله ﷺ ، فنهى الناس عن أمور سماها لهم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن عمرو بن ضمرة الفزارى عن عبد الله ابن أبى سليط عن أبيه ، قال : أتانا نهى رسول الله ﷺ عن أكل لحوم الحمر الإنسية ، والقدور تفور بها ، فكفأناها على وجوهها .

---

(١) عصر : اسم جبل بين المدينة ووادى الفرع .

(٢) موضع قريب من خيبر .

(٣) منقلة : أى مرحلة .

(٤) وهذه حكمة إلهية حتى يتمكن الرسول ﷺ من دخول خيبر وفتحها .

(٥) تدنى : أى أخذ الأدنى فالأدنى .

(٦) وتزوجها ﷺ وكانت من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن .

(٧) وهو الذى كان سيدنا جبريل عليه السلام يأتى فى صورته .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، عن مكحول : أن رسول الله ﷺ نهاهم يومئذ عن إتيان (١) الحبالى من السبايا ، وعن أكل الحمار الأهلى ، وعن أكل كل ذى ناب من السباع (٢) ، وعن بيع المغانم حتى تقسم ·

قال ابن إسحاق : وحدثنى سلام بن كركرة ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر ابن عبد الله الأنصارى ، ولم يشهد جابر خيبر : أن رسول الله ﷺ حين نهى الناس عن أكل لحوم الحمر ، أذن لهم فى أكل لحوم الخيل ·

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى مرزوق مولى تجيب عن حنش الصنعانى ، قال : غزونا مع رويفع بن ثابت الأنصارى المغرب فافتتح قرية من قرى المغرب يقال لها جربة ، فقام فينا خطيبًا ، فقال : يا أيها الناس ، إنى لا أقول فيكم إلا ما سمعت من رسول الله ﷺ يقوله فينا يوم خيبر قام فينا رسول الله فقال : لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقى ماؤه زرع غيره ، يعنى إتيان الحبالى من السبايا ، حتى يستبرئها (٣) ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السبى حتى يستبرئها ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مغنماً حتى يقسم ، ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من فىء المسلمين حتى إذا أعجفها (٤) ردها فيه ، ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس ثوبًا من فىء المسلمين حتى إذا أخلقه (٥) رده فيه ·

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن عبد الله بن قسيط ، أنه حدث عن عبادة ابن الصامت قال : نهانا رسول الله ﷺ يوم خيبر عن أن نبيع أو نبتاع تبر(٦) الذهب بالذهب العين ، وتبر الفضة بالورق العين ، وقال : ابتاعوا تبر الذهب بالورق العين ، وتبر الفضة بالذهب العين ·

---

(١) إتيان : أى جماع ·

(٢) مثل الأسود ، والنمور ، والوحوش المفترسة ·

(٣) استبراء الحامل : أن تضع حملها فذلك استبراء رحمها ·

(٤) أى أتعبها وأضعفها ·

(٥) أى أبلاه ·

(٦) التبر : فتات الذهب والفضة قبل أن يصاغا ·

قال ابن إسحاق : ثم جعل رسول الله ﷺ يتدنى الحصون والأموال .

* حال بنى سهم :

فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدثه بعض أسلم : أن بنى سهم من أسلم أتوا رسول الله ﷺ ، فقالوا : والله يا رسول الله ﷺ لقد جهدنا وما بأيدينا من شيء فلم يجدوا عند رسول الله ﷺ شيئًا يعطيهم إياه ، فقال : اللهم إنك قد عرفت حالهم وأن ليست بهم قوة ، وأن ليس بيدى شيء أعطيهم أياه ، فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غناء ، وأكثرها طعاماً وودكاً ، فغدا الناس ، ففتح الله عز وجل عليهم حصن الصعب بن معاذ ، وما بخيبر حصن كان أكثر طعاماً وودكاً منه .

* مقتل مرحب اليهودى :

قال ابن إسحاق : ولما افتتح رسول الله ﷺ من حصونهم ما افتتح وحاز من الأموال ما حاز ، انتهوا إلى حصنيهم : الوطيح ، والسلالم ، وكان آخر حصون أهل خيبر افتتاحًا ، فحاصرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل ، أخو بنى حارثة عن جابر بن عبد الله قال : خرج مرحب اليهودى من حصنهم قد جمع سلاحه يرتجز وهو يقول :

قد علمت خيبر أنى مرحب   شاكى السلاح بطل مجرَّب
أطعن أحيانًا وحينا أضـرب   إذا الليوث أقبلـت تحرِّب
إن حماى للحمى لا يقرب

وهو يقول : من يبارز ؟ فأجابه كعب بن مالك فقال :

قد علمت خيبر أنى كعـب   مفرج الغمَّى جـرئ صلب
إذ شبت الحرب تلتها الحرب   معى حسام كالعقيـق عضب
تطؤكم حتى يذل الصـعب   نعطى الجزاء أو يفىء النهب
بكف ماض ليس فيه عتـب

قال ابن إسحاق : فحدثـى عبد الله بن سهل ، عن جابر بن عبد الله الأنصارى .

قال : فقال رسول الله ﷺ : من لهذا ؟ قال محمد بن مسلمة : أنا له يا رسول الله ، أنا والله ، الموتور الثائر ، قُتل أخى بالأمس [١] ، فقال : فقم إليه ، اللهم أعنه عليه قال فلما دنا أحدهما من صاحبه ، دخلت بينهما شجرة عمرية [٢] من شجر العشر ، فجعل أحدهما يلوذ بها [٣] من صاحبه ، كلما لاذ بها منه اقتطع صاحبه بسيفه ما دونه منها [٤] ، حتى برز كل واحد منهما لصاحبه ، وصارت بينهما كالرجل القائم ، ما فيها فنن [٥] ، ثم حمل [٦] مرحب على محمد بن مسلمة ، فضربه ، فاتقاه بالدرقة ، فوقع سيفه ، فعضت به فأمسكته ، وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله ·

* مَقْتَل ياسر أخى مرحب :

قال ابن إسحاق : ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر ، وهو يقول ، من يبارز ؟ فزعم هشام بن عروة أن الزبير بن العوام خرج إلى ياسر فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب : يقتل ابنى يا رسول ؟ ! قال : بل ابنك يقتله إن شاء الله · فخرج الزبير فالتقيا ، فقتله الزبير [٧] ·

قال ابن إسحاق : فحدثنى هشام بن عروة : أن الزبير كان إذا قيل له : والله إن كان سيفك يومئذ لصارمًا عضبًا ، قال : والله ما كان صارمًا ، ولكنى أكرهته ·

* علىٌّ يفتح خيبر :

قال ابن إسحاق : وحدثنى بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمى ، عن أبيه سفيان عن سلمة بن عمرو بن الأكوع ، قال : بعث رسول الله ﷺ أبا بكر

---

(١) المعنى : قُتل أخى ولذلك يريد الانتقام له والأخذ بثأره من هذا اليهودى ·

(٢) عمرية : أى معمرة منذ كذا أعوام ·

(٣) أى يحتمى بها ·

(٤) يقطع كلا منهما ما يحول بينه وبين صاحبه من فروع الشجرة ·

(٥) الفنن : الغصن ·

(٦) أى هجم ·

(٧) وتحققت بشرى رسول الله ﷺ ·

الصديّق رضى الله عنه برايته (١) ، إلى بعض حصون خيبر · فقاتل ، فرجع ولم يك فتح ، وقد جهد ، ثم بعث الغد عمر بن الخطاب خيبر · فقاتل ، فرجع ولم يك فتح ، وقد جهد ، فقال رسول الله ﷺ : لأعطين الراية غدا رجلاً يحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ليس بفرّار · قال : يقول سلمة ، فدعا رسول الله ﷺ عليا رضوان الله عليه ، وهو أرمد ، فتفل فى عينه ، ثم قال خذ هذه الراية ، فامض بها حتى يفتح الله عليك ·

قال : يقول سلمة : فخرج والله بها يأنح (٢) يهرول هرولة ، وإنا لخلفه نتبع أثره حتى ركز رايته فى رضم (٣) من حجارة تحت الحصن ، فاطلع إليه يهودى من رأس الحصن ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا على بن أبى طالب · قال : يقول اليهودى علوتم ، وما أنزل على موسى أو كما قال · قال : فما رجع حتى فتح الله على يديه وقد ضربه رجل من يهود فطاح ترسه من يده ، فتناول على رضي الله عنه بابًا كان عند الحصن فترس به عن نفسه ، فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده حين فرغ ، فلقد رأيتنى فى نفر سبعة معى أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه ·

* حديث أبى اليسر :

قال ابن إسحاق : وحدثنى بريدة بن سفيان الأسلمى عن بعض رجال بنى سلمة عن أبى اليسر كعب بن عمرو قال : والله إنا لمع رسول الله ﷺ بخيبر ذات عشية إذ أقبلت غنم لرجل من يهود تريد حصنهم ونحن محاصروهم ، فقال رسول الله ﷺ :

من رجل يطعمنا من هذا الغنم ؟ قال أبو اليسر : فقلت أنا يا رسول الله ، قال: فافعل، قال : فخرجت أشتد مثل الظليم (٤) ، فلما نظر إلى رسول الله ﷺ

---

(١) قال ابن هشام : وكانت بيضاء ·

(٢) يأنح : يعلو صوته ·

(٣) رضم من حجارة : أى حجارة مجتمعة أو كوم من حجارة ·

(٤) الظليم : ولد النعام ·

موليا وقال : اللهم أمتعنا به ، وقال : فأدركت الغنم وقد دخلت أولاها الحصن ، فأخذت شاتين من أخراها ، فاحتضنتهما تحت يدى ، ثم أقبلت بهما أشتد ، كأنه ليس معى شىء ، حتى ألقيتهما عند رسول الله ﷺ ، فذبحوهما فأكلوهما ، فكان أبو اليسر من آخر أصحاب رسول الله ﷺ هلاكا (١) ، فكان إذا حدث هذا الحديث بكى ، ثم قال : أمتعوا بى ، لعمرى ، حتى كنت من آخرهم هلكا .

قصة صفية رضي الله عنها : قال ابن إسحاق : ولما افتتح رسول الله ﷺ القموص ، حصن بنى أبى الحقيق ، أتى رسول الله ﷺ بصفية بنت حُيى بن أخطب ، وبأخرى معها ، فمر بهما على قتلى من قتلى يهود ، فلما رأتهم التى مع صفية صاحت ، وصكت وجهها (٢) وحثت التراب على رأسها ، فلما رآها رسول الله ﷺ قال : أعزبوا (٣) عنى هذه الشيطانة ، وأمر بصفية فحيزت خلفه ، وألقى عليها رداءه ، فعرف المسلمون أن رسول الله ﷺ قد اصطفاها لنفسه : فقال رسول الله ، لبلال ، فيما بلغنى ، حين رأى بتلك اليهودية ما رأى : أنزعت منك الرحمة يا بلال ، حين تمر بامرأتين على قتلى رجالهما ؟ وكانت صفية قد رأت فى المنام وهى عروس بكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ، أن قمراً وقع فى حجرها ، فعرضت رؤياها على زوجها ، فقال : ما هذا إلا أنك تمنين ملك الحجاز محمداً ، فلطم وجهها لطمة خضر عينها منها . فأتى بها رسول الله ﷺ وبها أثر منه ، فسألها ما هو ؟ فأخبرته هذا الخبر .

* جَزاءُ كِنَانَة بن الربيع :

وأتى رسول الله ﷺ بكنانة بن الربيع ، وكان عنده كنز بنى النضير ، فسأله عنه ، فجحد أن يكون يعرف مكانه ، فأتى رسول الله ﷺ رجل من يهود . فقال لرسول الله ﷺ : إنى رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة ، فقال رسول الله ﷺ لكنانة : أرأيت إن وجدناه عندك ،أأقتلك ؟ قال:نعم،فأمر رسول الله ﷺ

---

(١) أى موتًا .

(٢) صكت وجهها : أى ضربت ولطمت وجهها .

(٣) أعزبوا : أبعدوا .

بالخربة فحفرت ، فأخرج منها بعض كنزهم ، ثم سأله عما بقى ، فأبى أن يؤديه ، فأمر به رسول الله ﷺ الزبير بن العوام ، فقال : عذبه حتى تستأصل ما عنده ، فكان الزبير يقدح بزند فى صدره ، حى أشرف على نفسه ثم دفعه رسول الله ﷺ إلى محمد بن مسلمة ، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة (١) .

صُلحُ خَيبر : وحاصر رسول الله ﷺ ، أهل خيبر فى حصنيهم الوطيح والسلالم ، حتى إذا أيقنوا بالهلكة ، سألوه أن يسيرهم وأن يحقن لهم دماءهم ، ففعل . وكان رسول الله ﷺ قد حاز الأموال كلها : الشق ونطاة والكتيبة وجميع حصونهم إلا ما كان من ذينك الحصن ، فلما سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا ، بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يسيرهم ، وأن يحقن دماءهم ، ويخلوا له الأموال ففعل . وكان ممن مشى بين رسول الله ﷺ وبينهم فى ذلك محيصة بن مسعود أخو بنى حارثة فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم فى الأموال على النصف ، وقالوا : نحن أعلم بها منكم . وأعمر لها ، فصالحهم رسول الله ﷺ على النصف ، على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم فصالحه أهل فدك على مثل ذلك فكانت خيبر فيئاً بين المسلمين ، وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ ، لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب (٢) .

*** قصة الشاة المسمومة :**

فلما اطمأن رسول الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث ، امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية (٣) ، وقد سألت أى عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ ؟ فقيل لها : الذراع ، فأكثرت فيها من السم ، ثم سمت سائر الشاة ، ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يدى رسول الله ﷺ ، تناول الذراع ، فلاك منها مضغة فلم يسغها ، ومعه بشر بن البراء بن معرور ، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ ، فأما بشر فأساغها ، وأما رسول الله ﷺ فلفظها ، ثم قال : إن هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم (٤) ، ثم دعا بها فاعترفت فقال : ما حملك على ذلك ؟ قالت : أبلغت

---

(١) أى اقتصاصًا لقتل أخيه .

(٢) أى بدون قتال ولا إراقه دماء .

(٣) أى شاة مشوية .

(٤) وهذا من معجزات الله لنبيه ﷺ .

من قومى ما لم يخف عليك ، فقلت : إن كان ملكاً استرحت منه ، وإن كان نبيا فسيُخبر [١] ، قال : فتجاوز عنها رسول الله ﷺ ، ومات بشر من أكلته التى أكل ·

وقال ابن إسحاق : وحدثنى مروان بن عثمان بن أبى سعيد بن المعلى ، قال : كان رسول الله ﷺ قد قال فى مرضه الذى توفى فيه · ودخلت أم بشر بنت البراء ابن معرور تعوده : يا أم بشر ، إن هذا الأوان وجدت فيه انقطاع أبهرى [٢] من الأكلة التى أكلت مع أخيك بخيبر · قال : فإن كان المسلمون ليرون أن رسول الله ﷺ مات شهيداً ، مع ما أكرمه الله به من النبوة ·

جزاء الغال [٣] من الغنيمة : قال ابن إسحاق : فحدثنى ثور بن زيد ، عن سالم ، مولى عبد الله بن مطيع ، عن أبى هريرة ، قال : فلما انصرفنا مع رسول الله ﷺ عن خيبر إلى وادى القرى نزلن بها أصيلا [٤] مع مغرب الشمس · ومع رسول الله ﷺ غلام له ، أهداه له رفاعة بن زيد الجذامى ، ثم الضبينىّ ·

قال : فوالله إنه ليضع رحل رسول الله ﷺ إذ أتاه سهم غرب [٥] فأصابه فقتله ، فقلنا : هنيئا له الجنة ، فقال رسول الله ﷺ : كلا ، والذى نفس محمد بيده ، إن شملته الآن لتحترق عليه فى النار ، كان غلها من فىء المسلمين يوم خيبر · قال : فسمعها رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ، فأتاه فقال : يا رسول الله ، أصبت شراكين لنعلين لى ، قال : فقال : يقد لك مثلهما فى النار [٦] ·

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن عبد الله بن مغفل المزنى ، قال : اصبت من فىء خيبر جراب شحم ، فاحتملته على عاتقى إلى رحلى وأصحابى · قال : فلقينى صاحب المغانم الذى جعل عليها ، فأخذ بناحيته وقال : هلم هذا نقسمه

(١) أى سيخبره الله بذلك ·
(٢) الأبهر : عرق من عرقين يخرجان من القلب ومنهما تتشعب الشرايين كلها ·
(٣) الغال : أى الآخذ من الغنيمة قبل القسمة ·
(٤) أصيلاً : أى وقت الأصيل وهو قبيل الغروب ·
(٥) سهم غرب : أى مجهول الرامى ، لا يعرف من أين أتى ·
(٦) وهو أيضا دليل على عظم ذنب السارق من المال العام ، لأن الغنيمة مال عام كل له بهمه ·

بين المسلمين ، قال : قلت : لا والله لا أعطيكه ، قال : فجعل يجابذنى الجراب : قال : فرآنا رسول الله ﷺ ونحن نصنع ذلك · قال : فتبسم رسول الله ﷺ ضاحكا ، ثم قال لصاحب المغانم : لا أبا لك ، خل بينه قال : فأرسله ، فانطلقت به إلى رحلى وأصحابى ، فأكلناه ·

* زواج الرسول بالسيدة صفية وحراسة أبى أيوب له :

قال ابن إسحاق : ولما أعرس [١] رسول الله ﷺ بصفية ، بخيبر أو ببعض الطريق ، وكانت التى جملتها [٢] لرسول الله ﷺ ومشطتها وأصلحت من أمرها أم سليم بنت ملحان ، وأم أنس بن مالك · فبات بها رسول الله ﷺ فى قبة له [٣] ، وبات أبو أيوب خالد بن زيد ، أخو بنى النجار متوشحا سيفه ، يحرس رسول الله ﷺ ، ويُطيف بالقبة ، حتى أصبح رسول الله ﷺ ، فلما رأى مكانه قال : مالك يا أبا أيوب ؟ قال : يا رسول الله ، خفت عليك من هذه المرأة · وكانت امرأة قد قتلت أباها وزوجها وقومها ، وكانت حديثة عهد بكفر ، فخفتها عليك · فزعموا أن رسول الله ﷺ ، قال : اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظنى ·

* بلال يَغْلِبه النوم وهو يرقب الفجر :

قال ابن إسحاق : وحدثنى الزهرى ، عن سعيد بن المسيب ، قال : لما انصرف رسول الله من خيبر ، فكان ببعض الطريق قال من آخر الليل : من رجل يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام [٤] ؟ قال بلال :أنا يا رسول الله أحفظه عليك · فنزل رسول الله ﷺ ، ونزل الناس فناموا ، وقام بلال يصلى ، فصلى ما شاء الله عز وجل أن يصلى · ثم استند إلى بعيره ، واستقبل الفجر يرمقه ، فغلبته عينه ، فنام فلم يوقظه إلا مس الشمس ، وكان رسول الله ﷺ أول أصحابه هب [٥] ، فقال : ماذا صنعت بنا يا بلال ؟ قال : يا رســـول الله أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك ، قال : صدقت ثم اقتاد رسول الله ﷺ بعيره غير كثير ، ثم أناخ فتوضأ ، وتوضأ الناس ثم

---

(١) أعرس : أى دخل على عروسه ·

(٢) أى التى زينتها ·

(٣) أى خيمة له ·

(٤) يحفظ علينا الفجر : أى يظل مستيقظًا حتى يوقظنا لصلاة الفجر ·

(٥) أى قام ·

أمر بلالاً فأقام الصلاة فصلى رسول الله بالناس ، فلما سلم أقبل على الناس فقال : إذ نسيتم الصلاة فصلوها إذا ذكرتموها ، فإن الله تبارك وتعـالى يقول ﴿ **وأقم الصلاة لذكرى** ﴾ (١) .

* شعْر ابن لقيم فى فتح خيبر :

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ ، فيما بلغنى قد أعطى ابن لقيم العبسى ، حين افتتح خيبر ، ما بها من دجاجة أو داجن (٢) وكان فتح خيبر فى صفر فقال ابن لقيم العبسى فى خَيبر :

رَميـــت نَطَاة منَ الرسول بفَيْلَق ... شَهبْاء ذَات منَاكب وَفقَارِ (٣)
وَاستَيْقَنت بِالذُّل لَمـــا شيِّعت ... وَرجالَ أَسْلَم وَسْطَها وغفَارِ
صَبَّحْتَ بَنى عَمْرو بن زُرْعَة غُدْوة ... والشَق أَظلـــم أهْله بنَهارِ (٤)
جَرت بِأَبْطَحها الذُيُول فَلم تَدعْ ... إلا الدَّجَاج تَصِيحُ فِى الأَسْحَارِ
وَلكل حِصْنٍ شَاغِل مِنْ خَيْلهـــم ... مِنْ عَبْد أشهـــل أو بَنى النجارِ
وَمُهَاجرين وَقَد أعلمـــوا سِيماهم ... فَوق المغَافر لـــم ينوا لفرارِ
وَلَقَدْ عَلمـــت لَيَغْلبن مُحمدٌ ... وَلَيثوين بَها إلـــى أصفارِ (٥)
فَرَّتْ يَهودٌ يوم ذَلك فى الوَغَى ... تَحْتَ العجَاجِ غَمَائِم الأَبصَارِ (٦)

* حديث المرأة الغفارية :

قال ابن إسحاق : وشهد خيبر مع رسول الله ﷺ نساء من المسلمين فرضخ لهن (٧) رسول الله ﷺ من الفىء ، ولم يضرب لهن بسهم .

---

(١) سورة طه : الآية ١٤ .
(٢) الداجن : هو كل ما يربيه الناس مما يألفونه فى بيوتهم كالشاة وغير ذلك .
(٣) نطاة : حصن بخيبر ، الشهباء : كثيرة الاستـداد .
(٤) الشق : حصن بخيبر أيضًا .
(٥) يثوين : يقمن ، الثواء : الإقامة .
(٦) العجاج : غبار الحرب .
(٧) أرضخ لهن : أى أعطاهن أقل من سهم المقاتل .

قال ابن إسحاق : حدثنى سليمان بن سحيم ، عن أُمية بنت أبى الصلت ، عن امرأة من بنى غفار ، قد سماها لى ، قالت : أتيت رسول الله ﷺ فى نسوة من بنى غفار ، فقلنا يا رسول الله ، قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا ، وهو يسير إلى خيبر فنداوى الجرحى ، ونعين المسلمين بما استطعنا فقال على بركة الله . قالت : فخرجنا معه ، وكنت جارية حــدثة (١) ، فأردفنى رسول الله على حقيبة رحله ، قالت : فوالله لنزل رسول الله ﷺ إلى الصبح وأناخ ، ونزلت عن حقيبة رحله وإذا بها دم منى ، وكانت أول حيضة حضتها ، قالت : فتقبضت إلى الناقة واستحييت ، فلما رأى رسول الله ﷺ ما بى ورأى الدم ، قال : مالك ؟ لعلك نفست ، قالت : قلت : نعم ، قال : فأصلحى من نفسك ، ثم خذى إناء من ماء ، فاطرحى فيه ملحاً ، ثم اغسلى به ما أصاب الحقيبة من الدم ثم عودى لمركبك .

قالت (٢) : فلما فتح رسول الله ﷺ خيبر ، رضخ لنا من الفىء ، وأخذ هذه القلادة التى ترين فى عنقى فأعطانيها ، وعلقها بيده فى عنقى ، فوالله لا تفارقنى أبدًا .

قالت : فكانت فى عنقها حتى ماتت ، ثم أوصت أن تدفن معها قالت : وكانت لا تطهر من حيضة إلا جعلت فى طهورها ملحًا ، وأوصت به أن يجعل فى غسلها حين ماتت .

شُهَداء خيبر : قال ابن إســحاق : وهذه تسمية من استشهد بخيبر من المسلمين ، من قريش . ثم من بنى أمية بن عبد شمس ، ثم من حلفائهم : ربيعة بن أكثم بن سخبرة بن عمرو بن بكير بن عامر بن غُنم بن دودان بن أسد . وثقيف بن عمرو ، ورفاعة بن مسروح .

*** من بنى أسد :**

ومن بني أسد بن عبد العزى : عبد الله الهبيب ، بن أهــيب بن سحيم بن غيرة ، من بنى سعد بن ليث ، حليف لبنى أسد ، وابن أختهم .

(١) أى صغيرة السن .

(٢) أى الجارية .

* من بنى سلمة :

ومن الأنصار ثم من بنى سلمة : بشر بن البراء بن معرور ، مات من الشاة التى سُم فيها رسول الله ﷺ . وفضيل بن النعمان . رجلان .

* من بنى زريق والأوس :

ومن بنى زريق : مسعود بن سعد بن قيس بن خلدة بن عامر بن زريق .

ومن الأوس ثم من بنى عبد الأشهل : محمود بن مسلمة بن خالد بن عدى ابن مجدعة بن حارثة بن الحارث ، حليف لهم من بنى حارثة .

* من بنى عمرو بن عوف :

ومن بنى عمرو بن عوف : أبو ضـــياح بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرىء القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف ، والحارث بن حاطب ، وعروة بن مرة بن سراقة ، وأوس بن القائد ، وأنيف بن حبيب ، وثابت بن أثلة ، وطلحة بن يحيى ابن مليل بن ضمرة .

* من بنى غفار وأسلم :

ومن بنى غفار : عمارة بن عقبة ، رمى بسهم .

ومن أسلم : عامر بن الأكوع ، والأسود الراعى ، وكان اسمه أسلم .

وممن استشهد بخيبر فيما ذكر ابن شهاب الزهرى ، من بنى زهرة : مسعود بن ربيعة ، حليف لهم من القارة .

ومن الأنصار بنى عمرو بن عوف : أوس بن قتادة .

* قصة الأسود الراعى وإسلامه ثم استشهاده :

قال ابن إسحاق : وكان من حديث الأسود الراعى فيما بلغنى : أنه أتى رسول الله ﷺ وهو محاصر لبعض حصون خيبر ، ومعه غنم له ، كان فيها أجيراً لرجل من يهود فقال : يا رسول الله ، أعرض على الإســـلام ، فعرضه عليه ، فأسلم ، وكان رسول الله ﷺ لا يحقر أحداً أن يدعوه إلى الإسلام ، ويعرضه عليه ، فلما أسلم قال : يا رسول الله ، إنى كنت أجيراً لصاحب هذه الغنم ، وهى أمانة عندى ،

فكيف أصنع بها ؟ قال : اضرب فى وجوهها ، فإنها سترجع إلى ربها [(١)] - أو كما قال - فقال الأسود : فأخذ حفنة من الحصى فرمى بها فى وجوهها ، وقال : ارجعى إلى صاحبك فوالله لا أصحبك أبدًا ، فخرجت مجتمعة كأن سائقًا يسوقها حتى دخلت الحصن ، ثم تقدم إلى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين فأصابه حجر فقتله وما صلى لله صلاة قط فأتى به رسول الله ﷺ فوضعه خلفه وسجى بشملة كانت عليه فالتفت إليه رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه ثم أعرض عنه فقالوا : يا رسول الله لم أعرضت عنه ؟ قال : إن معه الآن زوجتيه من الحور العين [(٢)] .

قال ابن إسحاق : وأخبرنى عبد الله بن أبى نجيح أنه ذكر له : أن الشهيد إذا ما أصيب تدلت له زوجتاه من الحور العين : عليه تنفضان التراب عن وجهه وتقولان : ترب الله وجه من تربك وقتل من قتلك .

حديث الحجاج بن علاط السُّلمى : قال ابن إسحاق : ولما فُتحت خيبر ، كلَّم رسول الله ﷺ ، الحجاج بن علاط السلمى ثم البهزى ، فقال يا رسول الله ، إن لى بمكة مالا عند صاحبتى أم شيبة بنت أبى طلحة - وكانت عنده ، له منها معرض ابن الحجاج ، ومال متفرق فى مجاز أهل مكة ، فأذن لى يا رسول الله ، فأذن له ، قال : إنه لابد لى يا رسول الله من أن أقول قال : قل . قال الحجاج : فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثنية البيضاء رجالا من قريش يتسمعون الأخبار ، ويسألون عن أمر رسول الله ﷺ ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر ، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ، ريفا ومنعة ورجالا ، فهم يتحسسون الأخبار ، ويسألون الركبان ، فلما رأونى قالوا : الحجاج بن علاط قال : ولم يكونوا علموا بإسلامى - عنده والله الخبر ، أخبرنا يا أبا محمد ، فإنه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر ، وهى بلد يهود وريف الحجاز ، قال قلت : قد بلغنى ذلك وعندى من الخبر ما يسركم . قال :

---

(١) أى صاحبها .

(٢) يا لها من منزلة عظيمة ، ألا وهى الشهادة فى سبيل الله ، فقد كشف الله الحجاب لنبيه ﷺ وهذه من المعجزات ليرى الحور العين مع هذا الرجل الذى استشهد فى المعركة وكان قد أسلم وأخلص النية لله ودخل المعركة .

فالتبطوا بجنبى ناقتى [١] يقولون : إيه يا حجاج ، قال ، قلت : هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط ، وقتل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قط ، وأسر محمد أسرًا ، وقالوا : لانقتله حتى نبعث به إلى أهل مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم · قال : فقاموا وصاحوا بمكة ، وقالوا : قد جاءكم الخبر ، وهذا محمد إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم ، فيقتل بين أظهركم · قال : قلت : أعينونى على جمع مالى بمكة وعلى غرمائى ، فإنى أريد أن أقدم خيبر ، فأصيب من فل [٢] محمد وأصحابه قبل أن يسبقنى التجار إلى ما هنالك ·

قال ابن إسحاق : قال : فقاموا فجمعوا لى مالى كأحث [٣] جمع سمعت به قال : وجئت صاحبتى فقلت : مالى ، وقد كان لى عندها مال موضوع ، لعلى ألحق بخيبر ، فأصيب من فرص البيع قبل أن يسبقنى التجار ، قال فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر ، وجاءه عنى ، أقبل حتى وقف إلى جنبى وأنا فى خيمة من خيام التجار ، فقال : يا حجاج ، ما هذا الخبر الذى جئت به ؟ قال : فقلت : وهل عندك حفظ لما وضعت عندك ؟ قال : نعم · قال : قلت فاستأخر عنى حتى ألقاك على خلاء ، فإنى فى جمع كما ترى ، فانصرف عنى حتى أفرغ · قال : حتى إذا فرغت من جمع كل شىء كان لى بمكة ، وأجمعت الخروج ، لقيت العباس ، فقلت : احفظ علىّ حديثى يا أبا الفضل · فإنى أخشى الطلب ثلاثاً ، ثم قل ما شئت ، قال : أفعل قلت فإنى والله لقد تركت ابن أخيك عروسًا على بنت ملكهم · يعنى صفية بنت حُيى ولقد افتتح خيبر وانتثل [٤] ما فيها وصارت له ولأصحابه فقال : ما تقول يا حجاج ؟ قال : قلت : أى والله فاكتم عنى ولقد أسلمت وما جئت إلا لآخذ مالى فرقًا من أن أغلب عليه فإذا مضت ثلاث فأظهر أمرك فهو والله على ما تحب قال : حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له وتخلق [٥] وأخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها فلما رأوه قالوا يا أبا الفضل هذا والله

(١) التبطوا : ساروا ملازمين لها ·
(٢) الفل : المنهزمون ·
(٣) كأحث : كأسرع ·
(٤) انتثل : استخرج ·
(٥) تخلق : تطيب بطيب ·

التجلد لحر المصيبة ، قال : كلا ، والله الذى حلفتم به ، لقد افتتح محمد خيبر وترك عروسًا على بنت ملكهم ، وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحت له ولأصحابه ، قالوا : من جاءك بهذا الخبر ؟ قال : الذى جاءكم بما جاءكم به ، ولقد دخل عليكم مسلمًا ، فأخذ ماله ، فانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه ، فيكون معه ، قالوا : يا لعباد الله ، انفلت عدو الله ، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ، قال : ولم ينشبوا أن جاءهم الخبر بذلك .

* شعر حسان فى فتح خيبر :

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الشعر فى يوم خيبر قول حسان بن ثابت :

بئسما قاتلت خيابر [1] عمـــا جمعوا من مزارع ونخيـل

كرهوا الموت فاستبيح حماهم وأقروا فعل اللئيم الذليـل

أمن الموت تهربوا فإن المــو ت موت الهزال غير جميل

قال ابن إسحاق : وقال ناجية بن جنوب الأسلمى :

يا لعباد الله فيم يُرغب ما هو إلا مأكل ومشرب

وجنة فيها نعيم معجب

* تَقْسِيمُ أموال خيبر :

قال ابن إسحاق : وكانت المقاسم على أموال خيبر ، على الشق ونطاة والكتيبة فكانت الشق ونطاة فى سهمان المسلمين ، وكانت الكتيبه خمس الله ، وسهم النبى ﷺ ، وسهم ذوى القربى واليتامى والمساكين ، وطعم أزواج النبى ﷺ وطعم رجال مشوا بين رسول الله ﷺ وبين أهل فدك بالصلح ، ومنهم محيصة بن مسعود ، أعطاه رسول الله ﷺ ثلاثين وسقا [2] ، من شعير ، وثلاثين وسقا من تمر ، وقسمت خيبر على أهل الحديبية ، من شهد خيبر ، ومن غاب عنها ، ولم يغب عنها إلا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ، فقسم له رسول الله ﷺ كسهم من حضرها ، وكان وادياها وادى السريرة ، ووادى خاص [1] ، وهما اللذان قسمت

---

(١) أهل خيبر .

(٢) الوسق : يريد به هنا إما حمل البعير أو ستين صاعا ، ومن معانيه أيضا حمل النخلة وليس مرادًا هنا .

(١) قال السهيلى فى الروض الأنف : إنه وادى خلص .

عليهما خيبر ، وكانت نطاة والشق ثمانية عشر سهمًا ، نطاة من ذلك خمسة أسهم ، والشق ثلاثة عشر سهمًا ، وقسمت الشق ونطاة على ألف سهم ، وثمانمائة سهم .

وكانت عدة الذين قسمت عليهم خيبر من أصحاب رسول الله ﷺ ألف سهم وثمانمائة سهم ، برجالهم وخيلهم . الرجال أربع عشرة مئة ، والخيل مئتا فرس فكان لكل فرس سهمان ، ولفارسه سهم (١) ، وكان لكل راجل (٢) سهم ، فكان لكل سهم رأس جمع إليه مئة رجل ، فكانت ثمانية عشر سهماً جمع .

قال ابن إسحاق : فكان على بن أبى طالب رأسًا ، والزبير بن العوام ، وطلحة ابن عبيد الله وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعاصم بن عدى أخو بنى العجلان ، وأسيد بن حضير ، وسهم الحارث بن الخزرج ، وسهم ناعم ، وسهم بنى بياضة ، وسهم بنى عبيدة ، وسهم بنى حرام من بنى سلمة ، وعبيد السهام .

قال ابن إسحاق وسهم ساعدة ، وسهم غفار وأسلم ، وسهم النجار وسهم حارثة ، وسهم أوس . فكان أول سهم خرج من خيبر بنطاة سهم الزبير بن العوام ، وهو الخزع (٣) ، وتابعه السُّرَيْر ، ثم كان الثانى سهم بياضة ، ثم كان الثالث سهم أسيد ثم كان الرابع سهم بنى الحارث بن الخزرج ثم كان الخامس سهم ناعم لبنى عوف بن الخزرج ومزينة وشركائهم ، وفيه قتل محمود بن مسلمة فهذه نطاة .

ثم هبطوا إلى الشق (٤) ، فكان أول سهم خرج منه سهم عاصم بن عدى ، أخى بنى العجلان ، ومعه كان سهم رسول الله ﷺ ، ثم سهم عبد الرحمن بن عوف ، ثم سهم ساعدة ثم سهم النجار ، ثم سهم على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، ثم سهم طلحة بن عبيد الله ، ثم سهم غفار وأسلم ، ثم سهم عمر بن الخطاب ، ثم سهم سلمة بن عبيد وبنى حرام ، ثم سهم حارثة ، ثم سهم عبيد السهام ، ثم سهم أوس ، وهو سهم اللفيف ، جمعت إليه جهينة ومن حضر خيبر من سائر العرب ، وكان حذوه سهم رسول الله ﷺ ، الذى كان أصابه فى سهم عاصم بن عدى (٥) .

---

(١) قال ابن هشام : وفى يوم خيبر عرَّب رسول الله ﷺ العربى من الخيل ، وهجَّن الهجين .

(٢) أى الذى يحارب سيراً على قدميه بدون فرس .

(٣) مكان قريب من خيبر . (٤) حصن بخيبر .

(٥) ويتضح فى كل ما سبق مدى عدالته ﷺ فى التوزيع والقسمة وعندما قسم بعد ذلك الكتيبة قسم - كما قال ابن هشام - على قدر حاجتهم وكانت الحاجة فى بنى المطلب أكثر ، ولهذا أعطاهم أكثر .

ثم قسَّم رسول الله ﷺ الكتيبة ، وهى وادى خاص [١] ، بين قرابته وبين نسائه وبين رجال من المسلمين ونساء أعطاهم منها ، فقسم رسول الله ﷺ لفاطمة ابنته مئتى وسق ، ولعلى بن أبى طالب مئة وسق ، ولأسامة بن زيد مئتى وسق وخمسين وسقًا من نوى ، ولعائشة أم المؤمنين مئتى وسق ، ولأبى بكر بن أبى قحافة مئة وسق ، ولعقيل بن أبى طالب مئة وسق وأربعين وسقا ، ولبنى جعفر خمسين وسقا ، ولربيعة بن الحارث مئة وسق وللصلت بن مخرمة وابنيه مئة وسق للصلت منها أربعون وسقا ، ولأبى نبقة [٢] خمسين وسقا ولركانة بن عبد يزيد خمسين وسقا ، ولقيس بن مخرمة ثلاثين وسقا ، ولأبى القاسم بن مخرمة أربعين وسقا ، ولبنات عبيدة بن الحارث وابنة الحصين بن الحارث مئة وسق ولبنى عبيد بن عبد يزيد ستين وسقا ولابن أوس بن مخرمة ثلاثين وسقاء ولمسطح بن أثاثة وابن إلياس خمسين وسقا ، ولأم رميثة أربعين وسقا ، ولنعيم بن هند ثلاثين وسقا ، ولبحينة بنت الحارث ثلاثين وسقا ، ولعجير بن عبد يزيد ثلاثين وسقا ، ولأم الحكم بنت الزبير بن عبد المطلب [٣] ثلاثين وسقا ، ولجماعة بنت أبى طالب ثلاثين وسقا ، ولابن الأرقم خمسين وسقا ، ولعبد الرحمن بن أبى بكر أربعين وسقا ، ولحمنة بنت جحش ثلاثين وسقا ، ولأم الزبير أربعين وسقا ولضباعة بنت الزبير أربعين وسقا ولابن أبى خنيس ثلاثين وسقا ولأم طالب أربعين وسقا ، ولأبى بصرة عشرين وسقا ، ولنميلة الكلبى خمسين وسقا ، ولعبد الله بن وهب وابنيه تسعين وسقا لابنيه منها أربعين وسقا ، ولأم حبيب بنت جحش ثلاثين وسقا ، ولملكوم بن عبدة ثلاثين وسقا ، ولنسائه ﷺ سبع مئة وسق .

* * *

(١) قال السهيلى فى الروض : وادى خلص .

(٢) هو علقمة بن المطلب ، ويقال : عبد الله بن علقمة ، وقال أبو عمر : هو مجهول وقال ابن الفرضى : أبو نبقة بن المطلب بن عبد مناف ، واسم أبى نبقة : عبد الله ، ومن ولده محمد بن العلاء بن الحسين بن عبد الله بن أبى نبقة ، ومن ولده : أبو الحسين المطلبى إمام مسجد رسول الله ﷺ وهو يحيى بن الحسين بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن الحسين بن العلاء بن المغيرة بن أبى نبقة بن المطلب بن عبد مناف .

(٣) الصحيح أنها أم حكيم وهى بنت الزبير بن عبد المطلب أخت ضباعة ، وكانت تحت ربيعة بن الحارث ، أما أم الحكم فهى بنت أبى سفيان وهى من مسلمة الفتح ، وهى لم تشهد خيبر ولم تكن مسلمة وقتها .

ذِكْرُ مَا أَعْطَى مُحَمَّدٌ رسول الله ﷺ نِسَاءهُ من قَمْحِ خَيْبَرَ

* **نَصِيبُ أُمَّهَاتِ المؤمنين وفاطمة :**

قسم لهن مئة وسق وثمانين وسقا ، ولفاطمة بنت رسول الله ﷺ خمسة وثمانين وسقا ، ولأسامة بن زيد أربعين وسقا ، وللمقداد بن الأسود خمسة عشر وسقا ولأم رميثة خمسة أوسق . شهد عثمان بن عفان ، وعباس وكتب .

وصية الرسول عند موته : قال ابن إسحاق : وحدثنى صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال : لم يوص رسول الله ﷺ عند موته إلا بثلاث ، أوصى للرهاويين بجاد مئة وسق من خيبر ، والداريين بجاد مئة وسق ، من خيبر ، وللسبائيين ، وللأشعريين بجاد مئة وسق من خيبر ، وأوصى بتنفيذ بعث أسـامة بن زيد بن حارثة ، وألا يترك بجزيرة العرب دينان .

خبر فدك : قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر قذف الله الرعب فى قلوب أهل فدك ، حين بلغهم ما أوقع الله تعالى بأهل خيبر ، فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يصالحونه على النصف من فدك ، فقدمت عليه رسلهم بخيبر ، أو بالطائف أو بعد ما قدم المدينة ، فقبل ذلك منهم ، فكانت فدك لرسول الله ﷺ خالصة لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب (١) .

* * *

(١) ولكن بصلح لاقتال فيه .

تَسْمِيَةَ النَّفَر الداريين
الذين أوصى لهم رسول الله ﷺ من خيبر

وهم بنو الدار بن حبيب بن نمارة بن لخم ، الذين ساروا إلى رسول الله ﷺ من الشام : تميم بن أوس ونعيم بن أوس أخوه ، ويزيد بن قيس ، وعرفة بن مالك ، سماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن .

قال ابن إسحاق : وفاكه بن نعمان ، وجبلة بن مالك ، وأبو هند بن بر ، وأخوه الطيب بن بر ، فسماه رسول الله ﷺ عبد الله .

فكان رسول الله ﷺ ، كما حدثنى عبد الله بن أبى بكر ، يبعث إلى أهل خيبر عبد الله بن رواحة خارصا [(١)] بين المسلمين ويهود ، فيخرص عليهم ، فإذا قالوا : تعديت علينا ، قال : إن شئتم فلنا ، فتقول يهود : بهذا قامت السموات والأرض .

وإنما خرص عليهم عبد الله بن رواحة عاما واحدًا ، ثم أصيب بمؤتة يرحمه الله ، فكان جبار بن صخر بن أمية بن خنساء ، أخو بنى سلمة ، هو الذى يخرص عليهم بعد عبد الله بن رواحة .

فأقامت يهود على ذلك ، لا يرى بهم المسلمون بأساً فى معاملتهم ، حتى عدوا فى عهد رسول الله ﷺ على عبد الله بن سهل ، أخى بنى حارثة ، فقتلوه ، فاتهمهم رسول الله ﷺ والمسلمون عليه .

قال ابن إسحاق : حدثنى الزهرى عن سهل بن أبى حَثْمة ، وحدثنى أيضا بشير بن يسار مولى بنى حارثة ، عن سهل بن أبى حثمة ، قال : أصيب عبد الله بن سهل بخيبر ، وكان خرج إليها فى أصحاب له يمتار منها تمراً ، فوجد فى عين قد كسرت عنقه ، ثم طرح فيها ، قال فأخذوه فغيبوه ، ثم قدموا على رسول الله ﷺ ، فذكروا له شأنه ، فتقدم إليه أخوه عبد الرحمن بن سهل ، ومعه ابنا عمه حُوَيِّصَةُ ومُحَيِّصَةَ ابنا مسعود ، وكان عبد الرحمن من أحدثهم سنًّا [(٢)] . وكان

(١) الخارص : الذى يقدر الشىء نظراً بلا وزن ولا كيل ، من الخرص : وهو الظن .
(٢) أى أصغرهم سناً .

صاحب الدم . وكان ذا قدم في القوم . فلما تكلم قبل ابني عمه قال رسول الله ﷺ : الكبر الكبر (١) .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، عن عبد الرحمن بن بجيد بن قَيظي : أخي بني حـــارثة ، قال محمد بن إبراهيـم . وايم الله (٢) ، ما كان سهل بأكثر علماً منه . ولكنه كان أسن منه . إنه قال له : والله ما هكذا كان الشأن ! ولكن سهلا أوهم ، ما قال رسول الله ﷺ : احلفوا على ما لا علم لكم به . ولكنه كتب إلى يهود خيبر حين كلمته الأنصار أنه قد وجد قتيل بين أبياتكم فدوه (٣) ، فكتبوا إليه يحلفون بالله ما قتلوه . ولا يعلمون له قاتلاً فوداه (٤) رسول الله ﷺ من عنده .

* إجلاء اليهود عن خيبر :

قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو بن شُعَيب مثل حديث عبد الرحمن بن بجيد إلا أنه قال في حديثه : ودوه أو ائذنوا بحرب ، فكتبوا يحلفون بالله ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلاً ، فوداه رسول الله ﷺ من عنده .

قال ابن إسحاق : وسألت ابن شهاب الزهري : كيف كان إعطاء رسول الله ﷺ يهود خيبر نخلهم ، حين أعطاهم النخل على خرجها ، أبتَّ ذلك لهم حين قبض أم أعطاهم إياها للضرورة من غير ذلك ؟ .

فأخبرني ابن شهاب : أن رسول الله ﷺ افتتح خيبر عنوة بعد القتال ، وكانت خيبر مما أفاء الله عز وجل على رســول الله ﷺ ، خَمَّسها رسول الله ﷺ ، وقسَّمها بين المسلمين ، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال ، فدعاهم رسول الله ﷺ ، فقال : إن شئتم دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها ، وتكون ثمارها بيننا وبينكم ، وأقركم ما أقركم الله ، فقبلوا ، فكانوا يعملونها ، وكان رسول الله ﷺ يبعث عبد الله بن رواحة ، فيقسم ثمرها ، ويعدل عليهم في الخرص ، فلما توفـى الله نبيه ﷺ ، أقرها أبو بكر رضي الله عنه ، بعد

---

(١) أي قدموا الأكبر .

(٢) أي أقسم بالله .

(٣) فعل أمر معناه ادفعوا ديته .

(٤) أي دفع ديته .

رســول الله ﷺ بأيديهم ، على المعاملة التى عاملهــم عليها رسول الله ﷺ ، حتى توفى ، ثم أقرها عمر ﷺ صدرا من إمارته ٠ ثم بلغ عمر أن رسول الله ﷺ قال فى وجعه الذى قبضه الله فيه : لا يجتــمعن بجزيرة العرب دينان ، ففحص عمر ذلك ، حتى بلغه الثبت ، فأرسل إلى يهود ، فقال إن الله عز وجل قد أذن فى جلائكم ، قد بلغنى أن رسول الله ، قال : لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان فمن كان عنده عهد من رسول الله ﷺ من اليهود به ، أنفذه له ، ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ من اليهود ، فليتجهز للجلاء ، فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ منهم ٠

* عمر يجلى اليهود من خيبر :

قال ابن إسحاق : وحدثنى نافع ، مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر قال : خرجت أنا والزبير والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها ، فلما قدمنا تفرقنا فى أموالنا ، قال : فعدى علىَّ تحت الليل ، وأنا نائم على فراشى ، ففدعت [1] يداى من مرفقى ، فلما أصبحت استصرخ علىَّ صاحباى ، فأتيانى فسألانى : من صنع هذا بك ؟ فقلت : لا أدرى ، قال : فأصلحا من يدى ، ثم قدما بى على عمر ﷺ ، فقال : هذا عمل يهود ، ثم قام فى الناس خطيبا فقال : أيها الناس ، إن رسول الله ﷺ كان عامل يهود خيبر على أنا نخرجهم إذا شئنا ، وقد عدوا على عبد الله بن عمر ففدعوا يديه ، كما قد بلغكم ، مع عَدْوِهم على الأنصارى قبله ، لا نشك أنهم أصحابه ، ليس لنا هناك عدو غيرهم ، فمن كان له مال بخيبر فليلحق به ، فإنى مخرج يهود فأخرجهم ٠

عمر يقسِّم وادى القرى : قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عبد الله بن مكنف ، أخى بنى حارثة ، قال : لما أخرج عمر يهود من خيبر ركب فى المهاجرين والأنصار ، وخرج معه جبار بن صخر بن أمية بن خنساء ، أخو بنى مسلمة ، وكان خارص أهل المدينة وحاسبهم - ويزيد بن ثابت ، وهما قسما خيبر بين أهلها ، على أصل جماعة السهمان ، التى كانت عليها ٠

(١) الفدع : اعوجاج فى المفاصل ، كأنها أزيلت عن أماكنها ٠

وكان ما قسم عمر بن الخطاب من وادى القرى [١] ، لعثمان بن عفان خطر [٢] . ولعبد الرحمن بن عوف خطر ، ولعمر بن أبى سلمة خطر ، ولعامر بن أبى ربيعة خطر ، ولعمر بن سراقة خطر .

قال ابن إسحاق : ولجبر بن عتيك نصف خطر ، ولابن الحارث بن قيس نصف خطر ، ولابن حزمة والضحاك خطر ، فهذا ما بلغنا من أمر خيبر ووادى القرى ومقاسمهما .

* * *

---

(١) وادى القرى : واد بين الشام والمدينة وبالتحديد بين تيماء وخيبر ، وفيه قرى كثيرة وسمى بذلك لكثرة القرى المنظومة به ، وقيل إن هذا الوادى كان فيه منازل عاد وثمود التى أهلكها الله عليهم ، ثم سكنها اليهود فهم ملعونون مثلهم .

(٢) قال ابن هشام : الخطر : النصيب .

قُدوم جعفر بن أبى طالب من الحبشة وحديث المهاجرين معه

قال ابن إسحاق : وكان من أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ حتى بعث فيهم رسول الله ﷺ إلى النجاشى عمرو بن أمية الضمرى فحملهم فى سفينتين ، فقدم بهم عليه وهو بخيبر بعد الحديبية ·

من بنى هاشم بن عبد مناف : جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب [(١)] ، معه امرأته أسماء بنت عُميس الخثعمية ، وابنه عبد الله بن جعفر ، وكانت ولدته بأرض الحبشة · قتل جعفر بمؤته من أرض الشام أميرًا لرسول الله ﷺ ، رجل ·

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : خالد بن سعيد بن العاص بن أُمية بن عبد شمس ، معه امرأته أمينة بنت خلف بن أسعد ، وابناه سعيد بن خالد ، وأمة بنت خالد ، ولدتهما بأرض الحبشة قتل خالد بمرج الصفر [(٢)] فى خلافة أبى بكر الصديق بأرض الشام ، وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص ، معه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرث الكنانى ، هلكت بأرض الحبشة · قتل عمرو بأجنادين من أرض الشام فى خلافة أبى بكر رضي الله عنه ·

ولعمرو بن سعيد يقول أبوه سعيد بن العاص بن أمية أبو أُحيحة :

أَلا لَيْتَ شِعْرِى عَنْكَ يَا عَمْرو سَائِلاً ... إِذَا شَبَّ وَاشْتَدتْ يَدَاهُ وَسُلحَا
أَنترك أمرَ القَوْمِ فِيه بَلابِل ... تَكشف غَيْظًا كَان فى الصَّدْرِ مُوجِحَا [(٣)]

ولعمر وخالد يقول أخوهما أبان بن سعيد بن العاص ، حين أسلما ، وكان أبوهم سعيد بن العاص هلك بالظريبة ، من ناحية الطائف ، هلك فى مال له بها :

(١) ذكر الشعبى أن جعفر بن أبى طالب رضي الله عنه قدم على رسول الله ﷺ يوم فتح خيبر ، فقبَّل رسول الله ﷺ بين عينيه والتزمه - أى عانقه - وقال : ما أدرى بأيهما أنا أسرُّ : بفتح خيبر أم بقدوم جعفر ؟! ولا يظن ان هذا الموضوع ذكر قبل ذلك فإن هؤلاء العائدون لا المسافرون وأثبتناه كما وجدناه ·

(٢) موضع بدمشق ·

(٣) البلابل : الاضطراب ، موجحا : مستورًا ·

أَلاَ لَيْتَ ميتًا بالظَّرِيبة شَـــاهِدٌ ... لَمِا يفترى فى الدين عَمْرو وَخَالد

أَطَاعَا بِنَا أَمرَ النِّسَاءِ فَأَصبَـــحا ... يُعِينَانِ مِنْ أَعْـــدَائنَا من نُكَابِد

فأجابه خالد بن سعيد ، فقال :

أَخِى مَا أَخى لاَ شَاتِم أَنا عِرْضَهُ ... وَلَا هُو من سُـــوءِ المَقَالَة مقصر

يَقول إذَا اشْتَدتْ عَليهِ أُمـــورهُ ... أَلا لَيْتَ مَيْتًا بالظَّرِيبـــــة يُنْشَرُ

فَدع عَنْك مَيْتًا قَدْ مَشى لِسَبِـيلِه ... وَأَقبل عَلَى الأَدْنَى الـــذى هُو أَفْقَرُ

ومعيقيب بن أبى فاطمة ، خازن عمر بن الخطاب على بيت مال المسلمين وكان إلى آل سعيد بن العاص ، وأبو موسى الأشعرى عبد الله بن قيس ، حليف آل عُتْبة ابن ربيعة بن عبد شمس ، أربعة نفر .

ومن بنى أسد بن عبد العُزَّى بن قُصى : الأســـود بن نوفل بن خُوَيلد . رجل .

ومن بنى عبد الدار بن قُصى : جهم بن قيس بن عبد شُرحبيل ، معه ابناه عمرو بن جهم وخزيمة بن جهم وكانت معه امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود هلكت بأرض الحبشة ، وابناه لها ، رجل .

ومن بنى زهرة بن كلاب : عامر بن أبى وقاص ، وعتبة بن مسعود ، حليف لهم من هذيل . رجلان .

ومن بني تيم بن مرة بن كعب : الحارث بن خالد بن صخر ، وقد كانت معه امرأته ريطة بنت الحارث بن جبيلة ، هلكت بأرض الحبشة رجل .

ومن بنى جمح بن عمرو بن هُصيص بن كعب : عثمان بن ربيعة بن أهبان . رجل .

ومن بنى سهم بن عمرو بن هُصيص بن كعب . محمية بن الجزء ، حليف لهم من زبيد ، كان رسول الله ﷺ ، جعله على خُمس المسلمين (١) . رجل .

---

(١) أى حارسًا على الخمس من الغنيمة .

ومن بنى عدى بن كعب بن لؤى : معمر بن عبد الله بن نضلة رجل ·

ومن بنى عامر بن لؤى بن غالب : أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ، ومالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس ، معه امرأته عمرة بنت السعدى بن وقدان ابن عبد شمس · رجلان ·

ومن بنى الحارث بن فهر بن مالك : الحارث بن عبد قيس بن لقيط · رجل ·

وقد كان حمل النجاشى معهم فى السفينتين نساء من نساء من هلك هنالك من المسلمين ·

فهؤلاء الذين حمل النجاشى مع عمرو بن أمية الضمرى فى السفينتين ، فجميع من قدم فى السفينتين إلى رسول الله ﷺ ستة عشر رجلا ·

وكان ممن هاجر إلى أرض الحبشة ، ولم يقدم إلا بعد بدر ، ولم يحمل النجاشى فى السفينتين إلى رسول الله ﷺ ، ومن قدم بعد ذلك ، ومن هلك بأرض الحبشة ، من مُهاجرة الحبشة [١] :

من بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف : عبيد الله بن جحش بن رئاب الأسدى أسد خزيمة ، حليف بنى أمية بن عبد شمس ، معه امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان ، وابنته حبيبة بنت عبيد الله ، وبها كانت تكنى أم حبيبة بنت أبى سفيان ، وكان اسمها رملة خرج مع المسلمين مهاجرا ، فلما قدم أرض الحبشة تنصَّر [٢] بها وفارق الإسلام ، ومات هنالك نصرانيا ، فخلف [٣] رسول الله ﷺ على امرأته من بعده أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب ·

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، قال : خرج عبيد الله بن جحش مع المسلمين مسلما ، فلما قدم أرض الحبشة تنصر ، قال : فكان إذا مرَّ بالمسلمين من أصحاب رسول الله ﷺ قال : فتحنا وصأصأتم ، أى قد

(١) أى الذين هاجروا إلى الحبشة ·

(٢) تنصَّر : أى دخل فى النصرانية واعتنق مبادئها وارتد عن الإسلام ·

(٣) أى تزوجها النبى ﷺ بعده ، وأصبحت من أمهات المؤمنين ﵅ ، وروت كثيراً من أحاديث الرسول ﷺ ·

أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ، ولم تبصروا بعد . وذلك أن ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عينيه للنظر صاصأ قبل ذلك فضرب ذلك له ولهم مثلا : أى أنَّا قد فتحنا أعيننا فأبصرنا ، ولم تفتحوا أعينكم فتبصروا وأنتم تلتمسون ذلك .

قال ابن إسحاق: وقيس بن عبد الله ، رجل من بنى أسد بن خزيمة ، وهو أبو أمية بنت قيس التى كانت مع أم حبيبة ، وامرأته بركة بنت يسار ، مولاة أبى سفيان ابن حرب ، كانتا ظئرى [١] عبيد الله بن جحش ، وأم حبيبة بنت أبى سفيان ، فخرجا بهما معهما حين هاجروا إلى أرض الحبشة . رجلان .

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قُصى : يزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب ابن أسد ، قتل يوم حُنين مع رسول الله ﷺ شهيداً ، وعمر بن أمية بن الحارث بن أسد هلك بأرض الحبشة . رجلان .

ومن بنى عبد الدار بن قُصى : أبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وفراس بن النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار . رجلان .

ومن بنى زُهرة بن كلاب بن مرة : المطلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ، معه امرأته رملة بنت أبى عوف بن ضُبيرة بن سعيد بن سعد [٢] ابن سهم هلك بأرض الحبشة ، ولدت له هـــنالك عبد الله بن عبد المطلب ، فكان يقال : إن كان لأول رجل ورث أباه فى الإسلام . رجل .

ومن بنى تيم بن مرة بن كعب بن لؤى : عمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تيم ، قتل بالقادسية [٣] مع سعد بن أبى وقاص رجل .

من بنى مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب : هبار بن سفيان بن عبد الأسد ،

---

(١) الظئر : هى التى ترضع غير ولدها .

(٢) ذكر فى بعض النسخ « سعد » ، وفيما يأتى « سعيد » وهو تحريف ، قال السهيلى فى الروض الأنف : وحيثما تكرر نسب بنى عدى بن سعد بن سهم يقول فيه ابن إســحاق : « سعيد » ، والناس على خلافه ، إنما هو سعد ، وإنما سعيد بن سهم أخو سعد ، وهو جد آل عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم .

(٣) معركة القادسية كانت فى خلافة سيدنا عمر بن الخطاب وكانت بين المسلمين والفرس ، وقائدها سعد بن أبى وقاص وانتصر المسلمون فيها .

قتل بأجنادين من أرض الشام فى خلافة أبى بكر رضي الله عنه ، وأخوه عبد الله بن سفيان قتل عام اليرموك بالشام فى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشك فيه أقتل أم لا : وهشام (١) بن أبى حُذيفة بن المغيرة ، ثلاثة نفر ·

ومن بنى جمح بن عمرو بن هُصيص بن كعب : حاطب بن الحارث بن مَعْمر ابن حبيب بن وهب بن حُذافة بن جمح ، وابناه محمد والحارث ، معه امرأته فاطمة بنت المحلل · هلك (٢) حاطب هناك مسلما · فقدمت امرأته وابناه وهى أمهما فى إحدى السفينتين وأخوه حطَّاب بن الحارث معه امرأته فكيهة بنت يسار هلك هناك مسلما فقدمت امرأته فكيهة فى إحدى السفينتين وسفيان بن معمر بن حبيب وابناه جنادة وجابر وأمهما حَسَنة وأخوهما لأمهما شرحبيل ابن حَسَنة (٣) وهلك سفيان وهلك ابناه جنادة وجابر فى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه · ستة نفر ·

ومن بنى سهم بن هُصَيْص بن كعب : عبد الله بن الحارث بن قيس بن عدى ابن سعد بن سهم الشاعر هلك بأرض الحبشة وقيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم قتل يوم اليمامة (٤) فى خلافة أبى بكر الصديق رضي الله عنه وعبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم وهو (رسول) (٥) رسول الله ﷺ إلى كسرى ، والحارث بن الحارث بن قيس بن عدى ومعمر بن الحارث بن قيس بن عدى وبشر بن الحارث بن قيس بن عدى وأخ له من أمه من بنى تميم يقال له سعيد بن عمرو وقتل بأجنادين فى

---

(١) هشام بن أبى حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم ، واسم أبى حذيفة مهشم ، وذكر الواقدى هشامًا هذا فيمن قدم من الحبشة غير أنه قيل فيه : هاشم ولم يذكره موسى بن عقبة ، ولا أبو معشر فى القادمين من الحبشة ·

(٢) هلك : مات ·

(٣) حسنة أمه ولذلك وجب أن نضع الألف فى ابن فنقول : شرحبيل ابن حسنة ؛ لأن القاعدة تقول تحذف ألف ابن إذا كانت بين علمين الثانى منهما أبو الأول ، وهنا أمه فوجب إثباتها ·

(٤) أى معركة اليمامة وهى التى قُتل فيها مسيلمة الكذاب قتله وحشى - الذى قتل حمزة ابن عبد المطلب - وكان مسلمًا يوم اليمامة ويقاتل فى صفوف المسلمين ·

(٥) أى سفير أو مبعوث الرسول ﷺ ·

خلافة أبى بكر رضي الله عنه وسعيد بن الحارث بن قيس قتل عام اليرموك فى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، والسائب بن الحارث بن قيس ، جرح بالطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقتل يوم فحل [١] فى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ويقال : قُتل يوم خيبر ، يشك فيه ، وعمير بن رئاب بن حذيفة بن مهشم بن سعيد بن سهم ، قُتل بعين التمر مع خالد بن الوليد منصرفه من اليمامة ، فى خلافة أبى بكر رضي الله عنه . أحد عشر رجلاً .

ومن بنى عدى بن كعب بن لؤى : عروة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب . هلك بأرض الحبشة ، وعدى بن نضلة بن عبد العزى بن حرثان ، هلك بأرض الحبشة رجلان .

وكان مع عدى ابنه النُّعمان بن عدى ، فقدم النعمان مع من قدم من المسلمين من أرض الحبشة ، فبقى حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب ، فاستعمله على ميسان ، من أرض البصرة فقال أبياتا من شعر ، وهى :

أَلا هَلْ أَتى الحَسْنَاء أَنْ حَليلَها ... بَميسان يُسْقَى فى زُجَاج وَحنْتَم [٢]
إذا شئتُ غَنتنى دَهَاقين قَريةٍ ... وَرَقَاصَة تجثو عَلى كل مَنْسَم [٣]
فَإن كُنْتَ نَدْمَانى فَبالأكبر اسقنى ... وَلا تسقنى بالأصغَر المتثلم
لَعَل أمير المُؤْمنينَ يَسوؤُه ... تَنادمنا فى الجَوسق المُتَهدم [٤]

فلما بلغت أبياته عمر ، قال : نعم والله ، إن ذلك ليسوءُنى ، فمن لقيه فليخبره أنى قد عزلته ، وعزله فلما قدم عليه اعتذر إليه وقال : والله يا أمير المؤمنين ، ما صنعت شيئا مما بلغك أنى قلته قط ، ولكنى كنت امرءًا شاعرًا ، وجدت فضلا من قول ، فقلت فيما تقول الشعراء ، فقال له عمر : وايم الله ، لا تعمل لى على عمل ما بقيتُ ، وقد قلت ما قلت .

---

(١) فحل : موضع بالشام كانت فيه معركة بين المسلمين والروم .
(٢) الحنتم : جرار مصبوغة بخضرة .
(٣) الدهاقين : رؤساء الأقاليم ، تجثو : تبرك على ركبتيهما . والمنسم : فى الأصل طرف خف البعير ، فاستعاره هنا لطرف قدمها .
(٤) الجوسق : الحصن .

ومن بنى عامر بن لؤى بن غالب بن فهر : سليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر · وكان رسولَ رسولِ الله ﷺ إلى هوذة بن على الحنفى باليمامة · رجل ·

ومن بنى الحارث بن فهر بن مالك : عثمان بن غنم بن زهير بن أبى شداد ، وسعد بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن الحارث بن فهر ، وعياض بن زهير ابن أبى شداد ثلاثة نفر ·

فجميع من تخلف عن بدر ، ولم يقدم على رسول الله ﷺ مكة ، ومن قدم بعد ذلك ، ومن لم يحمل النجاشى فى السفينتين ، أربعة وثلاثون رجلا ·

• الهالكون منهم :

وهذه تسمية من هلك منهم ومن أبنائهم بأرض الحبشة :

من بنى عبد شمس بن عبد مَناف : عبيد الله بن جحش بن رئاب حليف بنى أمية ، مات بها نصرانيا ·

ومن بني أسد بن عبد العُزَّى بن قُصى : عمرو بن أمية بن الحارث بن أسد ·

ومن بنى جمح : حَاطب بن الحارث ، وأخوه حطَّاب بن الحارث ·

ومن بنى سهم بن عـمرو بن هُصيص بن كعب : عبد الله بن الحارث بن قيس ·

ومن بنى عَدى بن كعب بن لُؤى : عُروة بن عبد العُزَّى بن حرثان بن عوف ، وعَدى بن نضلة سبعة نفر ·

ومن أبنائهم من بنى تَيْم بن مُرة : موسى بن الحارث بن خالد بن صخر بن عامر رجل ·

* * *

مُهَاجِرات الحَبَشة

وجَميع من هَاجر إلى أرض الحبشة من النساء ، من قدم منهم ومن هلك هُنَالك ست عشرة امرأة ، سوى بناتهن اللاتى ولدن هنالك ، من قدم منهن ومن هلك هنالك ومن خرج به معهن حين خرجن :

من قريش ، من بنى هَاشم رُقية بنت رسول الله ﷺ [١] .

ومن بنى أُمية : أم حبيبة بنت أبى سفيان ، مع ابنتها حبيبة ، خرجت بها من مكة ورجعت بها معها .

ومن بنى مَخزوم : أُم سَلمة بنت أُمية ، قدمت معها بزينب ابنتها من أبى سلمة ولدتها هنالك .

ومن بنى تَيم بن مُرة : ريطة بنت الحارث بن جَبِيلة هلكت بالطريق وبنتان لها كانت ولدتهما هنالك عائشة بنت الحارث وزينب بنت الحارث هلكن جميعًا وأخوهن موسى بن الحارث من ماء شربوه فى الطريق وقدمت بنت لها ولدتها هنالك فلم يبق من ولدها غيرها يقال لها فاطمة .

ومن بنى سهم بن عمرو ، رَملة بنت أبى عوف بن ضبيرة .

ومن بَنى عَدى بن كعب : ليلى بنت أبى حَثْمة بن غانم .

ومن بنى عامر بن لُؤى : سودة بنت زمعة بن قيس ، وسَهلة بنت سُهَيل بن عمرو ، وابنة المجلل ، وعمرة بنت السعدى بن وقدان ، وأم كلثوم بنت سهيل بن عمرو .

ومن غرائب العرب : أسماء بنت عميس بن النعمان الخثعمية ، وفاطمة بنت

---

(١) وكانت زوجة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنهما . وكانا من أوائل المهاجرين إلى الحبشة .

صَفْوان بن أُمية بن محرث الكنانية ، وفكيهة بنت يسار ، وبركة بنت يسار ، وحَسَنَة ، أم شرحبيل ابن حَسَنة ·

من وُلد من أبنائهم بالحبشة : وهذه تسمية من وُلد من أبنائهم بأرض الحبشة :

من بني عبد شمس : محمد بن أبى حُذيفة ، وسعيد بن خالد بن سعيد ، وأخته أمة بنت خالد ·

ومن بني مخزوم : زينب بنت أبى سلمة بن الأسد ·

ومن بني زهرة : عبد الله بن المطلب بن أزهر ·

ومن بَني تيم : موسى بن الحارث بن خالد ، وأخواته عائشة بنت الحارث ، وفاطمة بنت الحارث ، وزينب بنت الحارث ·

الرجال منهم خمسة : عبد الله بن جعفر ، ومحمد بن أبى حُذيفة ، وسعيد ابن خالد ، وعبد الله بن عبد المطلب ، وموسى بن الحارث ·

ومن النساء خمس : أمة بنت خالد ، وزينب بنت أبى سلمة ، وعائشة وزينب وفاطمة ، بنات الحارث بن خالد بن صخر ·

* * *

شه
من
المش

فى
ذى

الح
ور
البي
حل
وهم
الو
شو
قرد
عم
ثنت
الو
سنا
ول

بسم الله الرحمن الرحيم

عُمْرَةُ القَضاء

فى ذى القِعْدة سَنة سبع

قال ابن إسحاق : فلما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من خيبر أقام بها شهرى ربيع وجُماديين (١) ورجبا وشعبان وشهر رمضان وشوال ، يبعث فيما بين ذلك من غزوه وسراياه ﷺ . ثم خرج فى ذى القعدة فى الشهر الذى صده فيه المشركون معتمراً عمرة القضاء ، مكان عمرته التى صدوه عنها .

● سَبَبُ التسمية :

ويقال لها عُمرة القصاص (٢) ؛ لأنهم صدوا رسول الله ﷺ فى ذى القعدة فى الشهر الحرام من سنة ست . فاقتص رسول الله ﷺ ، منهم ، فدخل مكة فى ذى القعدة فى الشهر الحرام الذى صدوه فيه ، من سنة سبع .

---

(١) أى جُمادى الأولى وجمادى الآخرة ولا تقول الثانية .

(٢) عمرة القصاص : ،وهذا الاسم ، أولى بها لقوله تعالى : ﴿ الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص ﴾ (البقرة : ١٩٤)،وهذه الآية فيها نزلت ؛ فهذا الاسم أولى بها ، وسميت عمرة القضاء لأن النبى ﷺ قاضى قريشا عليها ، لا لأنه قضى العمرة التى صد عن البيت فيها فإنها لم تك فسدت بصدهم عن البيت بل كانت عمرة تامة متقبلة حتى إنهم حين حلقوا رءوسهم بالحل احتملها الريح فألقتها فى الحرم ، فهى معدودة فى عمر النبى ﷺ - وهى أربع : عمرة الحديبية ، عمرة القضاء ، عمرة الجعرانة ، والعمرة التى قرنها مع حجة الوداع ، وفى أصح القولين أنه كان قارنا فى تلك الحجة وكانت إحدى عمره عليه السلام - فى شوال كذلك . روى عروة عن عائشة وأكثر الروايات أنهن كن كلهن فى ذى القعدة إلا التى قرن مع حجة كذلك روى الزهرى ، وانفرد معمر عن الزهرى بأنه عليه السلام كان قارنا ، وأن عمره كن أربعًا بعمرة القران وأما حجاته عليه السلام فقد روى الترمذى أنه حج ثلاث حجات ثنتين بمكة ، وواحدة بالمدينة وهى حجة الوداع . ولا ينبغى أن يضاف إليه فى الحقيقة إلا حجة الوداع ، وإن كان حج مع الناس إذ كان بمكة كما روى الترمذى ، فلم يكن ذلك الحج على سنة الحج ، وكماله ، لأنه كان مغلوبًا على أمره وكان الحج منقولا عن وقته ، كما تقدم فى أول الكتاب ، فقد ذكر أنهم كانوا ينقلونه على حسب الشهور الشمسية ، ويؤخرونه =

وبلغنا عن ابن عباس أنه قال : فأنزل الله فى ذلك : ﴿والحرماتُ قصاص﴾ ·

قال ابن إسحاق : وخرج معه المسلمون ممن كان صد معه فى عمرته تلك ، هى سنة سبع ، فلما سمع به أهل مكةخرجوا عنه ، وتحدثت قريش بينها أن محمداً وأصحابه فى عسرة وجهد وشدة ·

قال ابن إسحاق : فحدثنى من لا أتهم ، عن ابن عباس ، قال : صفوا له عند دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه ؛ فلما دخل رســـول الله ﷺ المسجد اضطبع [١] بردائه وأخرج عضده اليمنى ، ثم قال : رحم الله امرءًا أراهم اليوم من نفسه قوة ، ثم استلم الركن ، وخرج يهرول [٢] ويهرول أصحابه معه ، حتى إذا واراه البيت منهم ، واستلم الركن اليمانى ، مشى حتى يستلم الركن الأسود ، ثم هرول كذلك ثلاثة أطواف ، ومشى سائرها · فكان ابن عباس يقول : كان الناس يظنون أنها ليست عليهم · وذلك أن رسول الله ﷺ إنما صنعها لهذا الحى من قريش للذى بلغه عنهم ، حتى إذا حج حجة الوداع فلزمها ، فمضت السنة بها ·

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر أن رسول الله ﷺ حين دخل مكة فى تلك العمرة دخلها وعبد الله بن رواحة آخذ بخطام [٣] ناقته يقول :

= فى كل سنة أحد عشر يوماً هذا هو الذى منع النبى - ﷺ - أن يحج من المدينة ، حتى كانت مكة دار إسلام ، وقد كان أراد أن يحج مقفله من تبوك ، وذلك بإثر فتح مكة بيسير ، ثم ذكر أن بقايا المشركين يحجون ، ويطوفون عراة فأخر الحج ، حتى نبذ إلى كل ذى عهد عهده ، وذلك فى السنة التاسعة ، ثم حج فى السنة العاشرة بعد إنحاء رسوم الشرك ، وانحسام سير الجاهلية ، ولذلك قال فى حجة الوادع : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ·

والعمرة واجبة فى قول أكثر العلماء ، وهو قول ابن عمر وابن عباس ، وقال الشعبى : ليست بواجبة ، وذكر عنه أنه كان يقرؤها : « وأتموا الحج والعمرة لله » بالرفع - أى رفع لفظ العمرة على جعل « والعمرة لله » كلاما مستأنفا لا يعطفها على الحج ، وقال عطاء : هى واجبة إلا على أهل مكة ، ويكره مالك أن يعتمر الرجل فى العام مراراً ، وهو قول الحسن وابن سيرين ، وجمهور العلماء على الإباحة فى ذلك ، وهو قول على وابن عباس وعائشة والقاسم ابن محمد · قالوا : يعتمر الرجل فى العام ما شاء ·

(١) اضطبع : أدخل الرداء تحت إبطه الأيمن وغطى به الأيسر ·

(٢) يهرول : من الهرولة وهى فوق المشى ودون الجرى ·

(٣) خطام ناقته : الحبل الذى تقاد به ·

خَلوا بَنى الكفَّار عــن سَبيلِه   خَلُّوا فكُـلُّ الخَيرِ فى رَسُولِه
يَا رَبِّ إنــى مُؤمِنٌ بِــقِيله   أعرفُ حَقَ اللهِ فى قَبوله (١)
نَحن قَتَلْنَاكم علــى تَأويلــه   كَما قَتلناكم عَلَى تَنْزِيـله (٢)
ضَرَبًا يَزيل الهَام عن مَقيــله   وَيذهل الخَليل عــن خليلِهِ

• زواج الرسول ﷺ بميمونة :

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبان بن صالح وعبد الله بن أبى نجيح عن عطاء بن أبى رباح ومجاهد أبى الحجاج ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة بنت الحارث (٣) فى سفره وهو حرام (٤) ، وكان الذى زوجــه إياها (٥) العباس بن عبد المطلب ·

فجعلت أم الفضل أمرها إلى العباس ، فزوجها رسول الله ﷺ بمكة ، وأصدقها عن رسول الله ﷺ أربعمائة درهم ·

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله ﷺ بمــكة ثلاثا ، فأتاه حُوَيْطب بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نــصر بن مالك بن حسل ، فى نفر من قريش، فى اليوم الثالث، وكانت قريش قد وكلته بإخراج رسول الله ﷺ من مكة ؛ فقالوا له: إنه قد انقضى أجلك ، فاخرج عنا ؛ فقال النبى ﷺ : وما عليكم لو تركتمونى فأعرست بين أظهركم ، وصنعنا لكم طعاما فحضرتموه قالوا : لا حاجة لنا فى طعامك ، فاخرج عنا · فخرج رسول الله ﷺ ، وخلف (٦) أبا رافع ، مولاه

(١) قيله : قوله ·

(٢) ويروى : اليوم نضربكم علي تأويله بسكون الباء ، وهو جائز فى الضرورة ، نحو قول امرئ القيس : فاليوم أشربْ غير مستحقب ·

(٣) أمها : هند بنت عوف الكنانية ·

(٤) أى وهو مُحرم ·

(٥) زوجه إياها : أى كان وليّها فى عقد الزواج ·

(٦) أى تركه وراءه ·

على ميمونة ، حتى أتاه بها بسرف [١] ، فبنى بها رسول الله ﷺ هنالك ، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة فى ذى الحجة .

* * *

(١) مكان قرب التنعيم وبسرف كانت وفاتها رضي الله عنها حين ماتت ، وذلك سنة ثلاث وستين ، وقيل سنة ست وستين ، وصلى عليها ابن عباس ، ويزيد بن الأصم : وكلاهما ابن أخت لها ، ويقال : فيها نزلت ﴿ وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى ﴾ فى أحد الأقوال ، وذلك أن الخاطب جاءها ، وهى على بعيرها ، فقالت : البعير وما عليه لرسول الله ﷺ . واختلف الناس فى تزويجه إياها أكان محرمًا أم حلالا فروى ابن عباس أنه تزوجها محرمًا ، واحتج به أهل العراق فى تجويز نكاح المحرم ، وخالفهم أهل الحجاز ، واحتجوا بنهيه عليه السلام عن أن ينكح المحرم أو ينكح ، وزاد بعضهم فيه : أو يخطب من رواية مالك ، وعارضوا حديث ابن عباس بحديث يزيد بن الأصم أن النبى ﷺ تزوج ميمونة وهو حلال ، وخرج الدارقطنى والترمذى أيضا من طريق أبى رافع أن النبى ﷺ تزوج ميمونة ، وهو حلال . وروى الدارقطنى من طريق ضعيف عن أبى هريرة أنه تزوجها وهو محرم كرواية ابن عباس وفى مسند البزار من حديث مسروق وعائشة رضي الله عنها ، قالت : تزوج رسول الله (ﷺ) وهو محرم ، واحتجم وهو محرم ، وإن لم تذكر فى هذا الحديث ميمونة ، فنكاحها أرادت ، وهو حديث غريب، وخرج البخارى حديث ابن عباس ، ولم يعلله هو ، ولا غيره ، وروى عن سعيد بن المسيب أنه قال : غلط ابن عباس أو قال وهم ، ما تزوجها النبى ﷺ إلا وهو حلال ، ولما أجمعوا عن ابن عباس أن النبى ﷺ - تزوجها محرمًا ، ولم ينقل عنه أحد من المحدثين غير ذلك استغربت استغرابًا شديدًا ما رواه الدارقطنى فى السنن من طريق أبى الأسود يتيم عروة ، ومن طريق مطر الوراق عن عكرمة عن ابن عباس أن النبى ﷺ تزوج ميمونة ، وهو حلال ، فهذه الرواية عنه موافقة لرواية غيره ، فقف عليها ، فإنها غريبة عن ابن عباس ، وهناك من يتأول قول ابن عباس : تزوجها محرمًا ، أى : فى الشهر الحرام ، وفى البلد الحرام ، وذلك أن ابن عباس رجل عربى فصيح ، فتكلم بكلام العرب ، ولم يرد الإحرام بالحج ، وقد قال الشاعر :

قتلوا ابن عفان الخليفة محرمًا ودعا فلم أر مثله مخذولا

وذلك أن قتله كان فى أيام التشريق ، والله أعلم أراد ذلك ابن عباس ، أو لا . . عن الروض الأنف .

قال ابن هشام : فأنزل الله عز وجل فى عمرة القضاء ، فيما حدثنى أبو عبيدة ﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحًا قريبًا ﴾ يعنى خيبر .

ذِكْرُ غَزْوةِ مُؤْتة (١)

فى جُمادى الأولى سنة ثمان ، ومقتل جعفر وزيد وعبد الله بن رَوَاحة

قال ابن إسحاق : فأقام بها بقية ذى الحجة ، وولى تلك الحجة المشركون ، والمحرم وصفرا وشهرى ربيع ، وبعث فى جمادى الأولى بعثه إلى الشام الذين أصيبوا بمؤتة .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عُروة بن الزبير ، قال : بعث رسول الله ﷺ بعثه إلى مؤتة فى جمادى الأولى سنة ثمان ، واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال : إن أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على الناس ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس .

• بكاءُ عبد الله بن رَوَاحَة وشعره للرسول :

فتجهز الناس ثم تهيئوا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف ، فلما حضر خروجهم ودع الناس أمراء رسول الله ﷺ وسلموا عليهم فلما ودع عبد الله بن رَوَاحة مع من ودع من أمراء رسول الله ﷺ بكى ، فقالوا : ما يبكيك يا ابن رواحة ؟ فقال : ما والله ما بى حب الدنيا ولا صَبابة (٢) بكم ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله عز وجل ، يذكر فيها النار ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيًّا ﴾ (٣) ، فلست أدرى كيف لى بالصدر بعد الورود ، فقال المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم ، وردكم إلينا صالحين . فقال عبد الله بن رَوَاحة :

---

(١) وهى مهموزة الواو ، وهى قرية من أرض البلقاء . من الشام ، وأما الموتة بلا همزة ، فضرب من الجنون « وفى الحديث إن النبى ﷺ كان يقول فى صلاته : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه » وفسره راوى الحديث ، فقال : نفثه : الشعر ، ونفخه : الكبر ، وهمزه الموتة .

(٢) الصبابة : الوله والعشق .

(٣) سورة مريم : الآية ٧١ .

لكنَّنى أسألُ الرَّحمـــنَ مغفرةً ... وضربةً ذاتَ فَرْغٍ تقذفُ الزَّبَدا (١)

أو طَعْنةً بيدَى حَرَّانَ مُجْهِـــزَةً ... بحَرْبةٍ تَنْفذُ الأحْشــاءَ والكَبِدا (٢)

حتى يُقالَ إذا مَرُّوا على جدثى ... أرشده اللهَ من غازٍ وقد رشَدا (٣)

قال ابن إسحاق : ثم إن القوم تهيئوا للخروج ، فأتى عبد الله بن رَوَاحة رسول الله ﷺ فودَّعه ، ثم قال :

فَثبَّتَ اللهُ ما آتاكَ من حَسَـــنٍ ... تَثبيت مُوسى ونَصرًا كالذى نصرُوا

إنِّى تَفَرَّسْتُ فيكِ الخَيْرَ نَافِــلةً ... اللهُ يَعْلَمُ أنِّى ثَابِـــتُ البَـــصَرِ

أنْتَ الرَّسُول فَمن يحْرِم نَوافله ... والوَجه منه فقـــد أزرى به القَدَرُ

قال ابن إسحاق : ثم خرج القوم ، وخرج رسول الله ﷺ ، حتى إذا ودعهم وانصرف عنهم ، قال عبد الله بن رواحة :

خَلَفَ السَّلام على امرئٍ وَدعتُه ... فى النَّخْلِ خَيْر مشيعٍ وخَليل

ثم مضوا حتى نزلوا معان ، من أرض الشام ، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب ، من أرض البلقاء ، فى مائة ألف من الروم ، وانضم إليهم من لخم وجذام والقين وبهراء وبلى مئة ألف منهم ، عليهم رجل من بلى ثم أحد إراشة يقال له : مالك بن زافلة . فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون فى أمرهم وقالوا : نكتب إلى رسول الله ﷺ ، فنخبره بعدد عدونا ، فإما أن يمدنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره ، فنمضى له .

قال : فشجع الناسَ عبدُ الله بن رواحة ، وقال : يا قوم ، والله إن التى تكرهون ، للتى خرجتم تطلبون الشـهادة ، وما نـقاتل الناس بعـــدد ولا قوة ، ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هى إحدى الحسنيين إما ظهور (٤) وإما شـــهادة . قال : فـــقال الناس : قد والله صـــدق ابن رواحة . فمضى الناس ؛ فقال عبد الله بن رواحة فى محبسهم ذلك :

---

(١) الفرغ : السعة ، والزبد فى الأصل الرغوة ، ويراد هنا شدة تدفق الدم .

(٢) المجهزة : التى تجهز عليه ، أى تسرع فى قتله .

(٣) الجدث : القبر . (٤) ظهور : أى نصر .

جَلَبْنَا الخَيْلَ من أَجـــإ وفَرع تُغر من الحَشيــش لها العكوم (١)
حَذَونَاها من الصَّوّان سبتـــا أزل كأن صفحـــــته أديم (٢)
أَقَامَتْ لَيلتين عَلى مَعـــان فاعقب بعْدَ فَترَتهـــا جموم (٣)
فَرحنَا والجيَادُ مَسَومـــات تَنَفَّس فَى منـــاخرها السَّمومُ (٤)
فَلا وأَبى مآب لَنأتينـــــها وإن كانتْ بهــــا عَرب وروم
فَعبأنَا أعنتها فَجــــاءت عَوابسُ والغُبَار لَها بريـــمُ (٥)
بذِى لَجب كأن البيضَ فيـــه إذا بَرزت قَوانسها النجــومُ (٦)
فَراضية المعِيشَة طلقتـــها أَسِنَّتها فَتنكح أو تَئِيـــمُ (٧)

---

(١) أجأ : أحد جبلى طيىء والجبل الآخر سلمى . وفرع : مكان بأجأ . تغر : تطعم مرة بعد أخرى . والعكوم : جمع عكم وهو الجنب .

(٢) أى حذوناها نعالا من حديد جعله سبتًا لها ، مجازاً . وصوان من الصون ، أى يصون حوافرها ، أو أخفافها ، إن أراد الإبل ، فهو فعال من الصون ، فقد كانوا يحذونها السريح وهو جلد يصون أخفافها ، وأظهر من هذا أن يكون أراد بالصـوان يبــس الأرض أى لا سبت له إلا ذلك ، ووزنه فعلان من قولهم : نخلة خاوية أى يابسة ، وعين الفعل فى صوان ولامه واو ، وأدخل صاحب العين - أى الخليل بن أحمد الفراهيدى - فى الصاد والواو والياء هذا اللفظ فقال : صوى يصوى : إذا يبس ، ونخلة صاوية ، ولو كان لامه ياء لقيل فى صوان : صيان ، كما قيل طيان وريان ، ولكن لما انقلبت الواو ياءً من أجل الكسرة ظن الحرف من ذوات الياء .

(٣) معان بفتح الميم ، وهو اسم موضع ، وذكره البكرى بضم الميم ، وقال : هو اسم جبل ، والمعان أيضًا حيث تحبس الخيل والركاب ، ويجتمع الناس ، ويجوز أن يكون من أمعنت النظر ، أو من الماء المعين ، فيكون وزنه فعالا ، ويجوز أن يكون من العون ، فيكون وزنه مفعلاً ، الفترة : السكون ، الجموم : اجتماع القوة .

(٤) السموم : الريح الحار .

(٥) البريم : أصل معناه : الخيط المفتول الذى فيه لونان مختلطان ، وهنا يريد أن لون الخيل اختلط بلون التراب .

(٦) بذى لجب : أى بجيش ذى لجب أى مختلط الأصوات ، البيض : ما يوضع على الرأس من الحديد ليحميه ، القوانس : أعالى البيض .

(٧) تئيم : تبقى دون زوج .

قال ابن إسحاق : ثم مضى الناس . فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدث عن زيد بن أرقم ، قال : كنت يتيمًا لعبد الله بن رواحة فى حجره ، فخرج بى فى سفره ذلك مردفى على حقيبة رحله فوالله إنه ليسير ليلة إذ سمعته وهو ينشد أبياته هذه :

إذا أدَّيتنى وَحــملْت رَحْلى ... مَســيرة أرْبع بَعْدَ الحسَاء (١)
فَشأنك نَعْم وخَــلاك ذَمّ ... ولاَ أرجع إلى أهْلــى وَرَائى
وَجاء المسْــلمونَ وغَادَرُونى ... بأرضِ الشام مُشْتهــى الثَّواء
ورَدَّكَ كُل ذِى نَســبٍ قَريبٍ ... إلى الرحمن مُنْقَطِع الإخَــاء
هُنَالِكَ لا أبَالى طَلْــعَ بَعْلٍ ... ولَا نَخْلٍ أسَافلهــا رَوَاءُ (٢)

فلما سمعتهن منه بكيت قال : فخفقنى بالدرة . وقال : ما عليك يا لكع (٣) أن يرزقنى الله شهادة وترجع بين شعبتى الرحل !

قال : ثم قال عبد الله بن رواحة فى بعض سفره ذلك وهو يرتجز :

يَا زَيْدُ زَيْد اليَعْملات الذبل ... تَطاول الليل هُدِيتَ فَانزِلِ (٤)

• لقاء الروم وحلفائهم :

قال ابن إسحاق : فمضى الناس ، حتى إذا كانوا بتخوم (٥) البلقاء لقيتهم جموع هرقل (٦) ، من الروم والعرب ، بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف ، ثم دنا (٧) العدو ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة ، فالتقى الناس عندها ، فتعبأ

---

(١) الحساء : جمع حسىٍ وهو ماء يختفى فى الرمل حتى يجد مكانا صلبًا فيستقر .

(٢) البعل : من يشرب بعروقه من الزرع دون رى ، وبعل أيضًا معناه : زوج ، ومنه قوله : ﴿ وهذا بعلى شيخًا ﴾ أى زوجى شيخًا كبيرًا .

(٣) اللكع : اللئيم أو الأحمق .

(٤) اليعملات : النوق السريعة ، والذبل : التى أهزلها السير .

(٥) التخوم : الحدود الفاصلة بين البلاد .

(٦) هرقل : ملك الروم - وكان نصرانيًا .

(٧) دنا : اقترب .

لهم المسلمون (١) فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بنى عذرة ، يقال له : قطبة بن قتادة ، وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له عباية بن مالك .

• استشهاد زيد بن حارثة :

قال ابن إسحاق ثم التقى الناس واقتتلوا ، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاط (٢) فى رماح القوم .

• استشهاد جَعْفر :

ثم أخذها جعفر (٣) فقاتل بها ، حتى إذا ألحمه (٤) القتال اقتحم (٥) عن فرس له شقراء فعقرها (٦) ، ثم قاتل القوم حتى قتل . فكان جعفر أول رجل من المسلمين عقر فى الإسلام (٧) .

وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : حدثنى أبى الذى أرضعنى وكان أحد بنى مرة بن عوف ، وكان فى تلك الغزوة غزوة مؤتة

---

(١) أى تجهزوا واستعدوا لهم . (٢) شاط : أى توزع .

(٣) أى أخذ الراية . (٤) ألحمه : وقع فيه فلم يجد له مخرجا .

(٥) اقتحم عن فرسه : رمى نفسه من عليها .

(٦) عقرها : ضرب قوائمها بسيفه . ولم يعب ذلك عليه . فدل على جوازه مخافة أن يأخذها العدو ، فيقاتل عليها المسلمين ، فلم يدخل هذا فى باب النهى عن تعذيب البهائم ، وقتلها عبثًا غير أن أبا داود خرج هذا الحديث فقال : حدثنا النفيلى قال : حدثنا محمد بن مسلمة عن محمد بن إسحاق عن ابن عباد عن أبيه عباد بن عبد الله بن الزبير ، قال حدثنى : أبى الذى أرضعنى ، وهو أحد بنى مرة بن عوف ، وكان فى تلك الغزاة غزاة مؤتة ، قال : والله لكأنى أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها ، ثم قاتل القوم حتى قُتل .

قال : أبو داود : وليس هذا الحديث بالقوى ، وقد جاء فيه نهى كثير عن أصحاب النبى ﷺ .

(٧) قال ابن هشام : حدثنى من أثق به من أهل العلم أن جعفر بن أبى طالب أخذ اللواء بيمينه فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه بعضديه حتى قتل ؓ – وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فأثابه الله بذلك جناحين فى الجنة يطير بهما حيث شاء .

قال : والله لكأنى أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ، ثم عقرها ثم قاتل حتى قتل وهو يقول :

يَا حَبَّذَا الجَنة وَاقْترابهـــا   طَيِّبَةٌ وبَاردًا شَرابُهـــا
وَالرومُ رُومٌ قَـد دَنَا عَذَابها   كَافرةٌ بَعيدة أَنْســابُها
عَلَىَّ إذَ لاقَيتُها ضَرابهــــا

• استشهاد عبد الله بن رواحة :

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد قال : حدثنى أبى الذى أرضعنى [1] ، وكان أحد بنى مرة بن عوف ، قال : فلما قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية ، ثم تقدم بها ، وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ، ويتردد بعض التردد ، ثم قال :

أقسمـــــت يَا نَفْسِ لَتَنْزِلَنَّهْ   لَتَنْزِلنَّ أَو لَتكْـــــرِهنَّه
إنْ أَجلَب الناس وَشدوا الرنه   مَالى أَراكِ تكْرَهــينَ الجَنْه [2]
قَد طَال مَا قَد كُنْتِ مُطمــئنه   هَل أَنْت إلا نُطفة فى شَنَّه [3]

وقال أيضًا :

يَا نَفْس إلا تُقْتَلى تَمــوتى   هَذا حمامُ الموت قَد صَليت
وَما تَمنيت فَقَد أعطـــيت   إنْ تفعلى فَعلهمـا هُديت

يريد صاحبيه : زيدًا وجعفرًا : ثم نزل . فلما نزل أتاه ابن عم له بعرق [4] من لحم فقال : شد بهذا صلبك ، فإنك قد لقيت فى أيامك هذه ما لقيت ، فأخذه من يده ثم انتهس [5] منه نهسة ، ثم سمع الحطمة [6] فى ناحية الناس ، فقال وأنت فى الدنيا ؟! ثم ألقاه من يده ، ثم أخذ سيفه فتقدم ، فقاتل حتى قتل .

إمارة خالد : ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بنى العجلان ، فقال : يا معشر

---

(١) أبى الذى أرضعنى : يقصد أن يقول : أبى من الرضاعة .

(٢) الرنة : صوت يشبه البكاء .

(٣) النطفة : الماء القليل الصافى . الشنة : السـقاء البالى ، ضرب بذلك مثلا بقصر العمر .

(٤) العرق : عظم عليه بعض اللحم .

(٥) انتهس : أخذ اللحم بمقدم أسنانه ونتشه .

(٦) الحطمة : كسر الناس لبعضهم .

المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا : أنت ، قال : ما أنا بفاعل · فاصطلح الناس على خالد بن الوليد فلما أخذ الراية دافع القوم ، وخاشى [١] بهم ، ثم انحاز وانحيز عنه ، حتى انصرف بالناس ·

الرسول يتنبأ بما حدث [٢] قال ابن إسحاق : ولما أصيب القوم قال رسول الله ﷺ ، فيما بلغنى : أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيداً ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيداً ؛ قال : ثم صمت رسول الله ﷺ حتى تغيرت وجوه الأنصار ، وظنوا أنه قد كان فى عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون ، ثم قال : ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيداً ؛ ثم قال : لقد رفعوا إلىَّ [٣] فى الجنة ، فيما يرى النائم ، على سرر من ذهب ، فرأيت فى سرير عبد الله بن رواحة ازورارًا [٤] عن سريرى صاحبيه ، فقلت : عم هذا ؟ فقيل لى : مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ، ثم مضى :

حُزن الرسول على جعفر : قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن أم عيسى الخُزَاعية ، عن أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبى طالب ، عن جدتها أسماء بنت عميس ، قالت : لما أصيب جعفر وأصحابه دخل على رسول الله ﷺ وقد طحنت أربعين منا وعجنت عجينى ، وغسلت بَنِىَّ ودهنتهم ونظفتهم [٥] . قالت : فقال لى رسول الله ﷺ : ائتينى ببنى جعفر ؛ قالت : فأتيته بهم ، فتشممهم وذرفت عيناه ، فقلت يا رسول الله ، بأبى أنت وأمى ، ما يبكيك ؟ أبلغك

---

(١) والمخاشاة : المحاجزة ، وهى مفاعلة من الخشية ، لأنه خشى على المسلمين لقلة عددهم فقد قيل : كان العدو مائتى ألف من الروم ، وخمسين ألفًا من العرب ، ومعهم من الخيول والسلاح ما ليس مع المسلمين ، وفى قول ابن إسحاق : وكان العدو مائة ألف وخمسين ألفًا : وقد قيل : إن المسلمين لم يبلغ عددهم فى ذلك اليوم ثلاثة آلاف ، ومن رواه حاشى بالحاء المهملة ، فهو من الحشى ، وهى الناحية ، وفى رواية قاسم بن أصبغ عن ابن قتيبة فى المعارف أنه سئل عن قوله : حاشى بهم ، فقال : معناه : انحاز بهم ·

(٢) وهذه من المعجزات الخاصة بالنبى ﷺ - أخبره الله بها وكشف عنه الحجاب ، وقد قال ذلك · قبل أن يأتيه الخبر ولم يكن النبى معهم فجاء الخبر كما قال لهم ﷺ وصدق الله إذ يقول : ﴿ **إن هو إلا وحى يوحى** ﴾ ·

(٣) رفعوا إلىَّ : أى كشف الله الحجاب عنه حتى رآهم يتنعمون فى الجنة ·

(٤) الازورار : الميل ·

(٥) بَنِىَّ : أى أبنائى ، دهنتهم أى مشطتهم وأحسن هيئتهم وهندامهم ·

عن جعفر وأصحابه شيء ؟ قال : نعم ، أصيبوا هذا اليوم . قالت : فقمت أصيح ، واجتمعت إليّ النساء ، وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله ، فقال: لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعامًا ، فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم (١) .

وحدثني عبد الرحمن بن القاسم بن محمد عن أبيه ، عن عائشة زوج النبي ﷺ ، قالت : لما أتى نعي جعفر عرفنا في وجه رسول الله ﷺ الحزن . قالت : فدخل عليه رجل فقال : يا رسول الله ، إن النساء عيننا وفتننا ، قال فارجع إليهن فأسكتهن قالت : فذهب ثم رجع ، فقال له مثل ذلك = قال : تقول وربما ضر التكلف أهله قالت : قال فاذهب فسكتهن ، فإن أبين فاحث في أفواههن التراب ، قالت : وقلت في نفسي : أبعدك الله ! فوالله ما تركت نفسك وما أنت بمطيع رسول الله ﷺ قالت وعرفت أنه لا يقدر على أن يحثى في أفواههن التراب .

قال ابن إسحاق : وقد كان قطبة بن قتادة العذري ، الذي كان على ميمنة المسلمين قد حمل على مالك بن زافلة فقتله ، فقال قطبة بن قتادة :

طَعَنْتُ ابْنَ زَافِلَةَ بنَ الأرا ... شِ برُمْحٍ مَضَى فيه ثم انْحَطَمْ (٢)
ضَرَبْتُ عَلَى جِيدِهِ ضَرْبَةً ... فَمالَ كَما مَالَ غُصنُ السَّلَمْ (٣)
وسُقْنا نساءَ بَني عَمِّهِ ... غَداةَ رَقُوقِين سَوقَ النَّعَمْ (٤)

• كَاهنة حَدَس ومقَالتها :

قال ابن إسحاق : وقد كانت كاهنة من حَدَس (٥) حين سمعت بجيش رسول الله ﷺ مقبلاً ، قد قالت لقومها من حدس ، وقومها بطن يقال لهم بنو غنم = أنذركم قوماً خزرا (٦) ، ينظرون شزرا (٧) ويقودون الخيل تترى ، ويهرقون

(١) وهذا أصل في طعام التعزية وتسميه العرب الوضيمة ، كما تسمى طعام العرس الوليمة ، وطعام القادم من السفر ، النقيعة ، وطعام الدخول في الزواج الوكيرة ، وكان الطعام الذي صنع لآل جعفر فيما ذكر الزبير ، في حديث طويل عن عبد الله بن جعفر قال : فعمدت سلمى مولاة النبي ﷺ إلى شعير ، فطحنته ، ثم آدمته بزيت وجعلت عليه فلفلا ، قال عبد الله ، فأكلت منه ، وحبسني النبي ﷺ مع إخوتي في بيته ثلاثة أيام .

(٢) انحطم : انكسر . (٣) السلم : شجر العضاه ، نوع من الأشجار تؤخذ منه الصبغة .

(٤) رقوتين : اسم موضع . (٥) حدس : قبيلة من لخم باليمن .

(٦) الخزر : من يضيقون عيونهم وينظرون ، وهو الذي ينظر بمؤخرة عينه .

(٧) الشزر : نظر العداوة .

دمًا عكرًا . فأخذوا بقولها ، واعتزلوا من بين لخم ، فلم تزل بعد أثرى حدس . وكان الذين صلوا الحرب يومئذ بنو ثعلبة ، بطن من حدس ، فلم يزالوا قليلاً بعد . فلما انصرف خالد بالناس أقبل بهم قافلاً .

● **عودة الجيش والتقاء النبى بهم :**

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عُروة بن الزبير ، قال : فلما دنوا من حول المدينة تلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون . قال : ولقيهم الصبيان يشتدون ، ورسول الله ﷺ مقبل مع القوم على دابة . فقال : خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطونى ابن جعفر ، فأتى بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه . قال : وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ، ويقولون يا فرار ، فررتم فى سبيل الله ! قال : فيقول رسول الله ﷺ ليسوا بالفرار ، ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى (١) .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن بعض آل الحارث بن هشام : وهم أخواله عن أم سلمة زوج النبى ﷺ ، قال : قالت أم سلمة لامرأة سلمة بن هشام بن العاص بن المغيرة : ما لى لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله ﷺ ومع المسلمين ؟ قالت : والله ما يستطيع أن يخرج ، كلما خرج صاح به الناس يا فرّار ، فررتم فى سبيل الله ، حتى قعد فى بيته فما يخرج .

* * *

(١) ورواية غير ابن إسحاق أنهم قالوا للنبى ﷺ : نحن الفرارون يا رسول الله ؟ فقال : بل أنتم الكرارون ، وقال لهم : أنا فئتكم ، يريد . أن من فر متحيزًا إلى فئة المسلمين فلا حرج عليه ، وإنما جاء الوعيد فيمن فر عن الإمام ، ولم يتحيز إليه ، أى لم يلجأ إلى حوزته ، فيكون معه فالمتحيز متفيعل من الحوز ، ولو كان وزنه متفعلاً كما يظن بعض الناس لقيل فيه : متحوز ، وروى أن عمر رضي الله عنه حين بلغه قتل أبى عبيد بن مسعود وأصحابه فى بعض أيام القادسية ، قال : هلا تحيزوا إلينا ، فإنا فئة لكل مسلم .

ما قيل من الشعر فى غزوة مؤتة

قال ابن إسحاق : وقد قال فيما كان من أمر الناس وأمر خالد ومخاشاته بالناس وانصرافه بهم ، قيس بن المسحَّر اليعمرى ، يعتذر مما صنع يومئذ وصنع الناس :

فَوالله لاَ تَنْفَكَ نَفْسِـــــى تَلومُنى عَلى مَوْقِفِى والخَيل قَابعة قُبْلُ (١)
وَقَفْتُ بِهـــــا لاَ مُسْتَجيراً فَنافذاً وَلا مَانعاً مَنْ كَان حَـم لَه القَتْلُ
عَلى أَننى آسَيْتُ نَفْسِى بَخالـــــد أَلا خَالد فى القَومِ لَيـس له مِثْل
وَجَاشَتْ إِلَيَّ النفْس من نَحوِ جَعْفرٍ بَمؤتَة إذ لا يَنفْع النابـــِـل النبْلُ
وَضَمَّ إلينا حجْزَتيهم كليهمـــــا مُهَاجِـر لاَ مُشْرِكُونَ وَلا عزلُ (٢)

فبين قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك فى شعره ، أن القوم حاجزوا وكرهوا الموت ، وحقق انحياز خالد بمن معه .

قال ابن إسحاق وكان مما بكى به أصحاب مؤتة من أصحاب رسول الله ﷺ قول حسان بن ثابت :

شعر حسان فى غزوة موتة :

تَأَوبَنى ليـــــــل بيثْرب أعْسَر وَهمٌّ إذا مَا نوم النَّاس مسهرُ
لِذكْرَى حَبيبٍ هَيَّجتْ لِى عَبْرةً سَفوحًا وأَسبَابُ البُكَاء التَّذكرُ
بَلَى إِنَّ فَقْدَانَ الحَبيــــب بَلية وَكم من كَريـــم يبتلى ثم يصبرُ
رَأيتُ خِيارَ المؤمنـــينَ تَواردُوا شعوب وخلـــفا بَعدهم يَتأخرُ
فَلا يَبْعُدنَّ اللهَ قَتلــــى تَتابعوا بمُؤْتَة منهم ذُو الجَناحيــن جعفرُ
وَزَيْد وعَبْد اللهِ حِينَ تَتَابَعُـــوا جَميعًا وأَسْبَابِ المنِيَّة تَخْـــطُرُ
غَداة مَضَوا بالمؤمنين يَقُودهم إلى الموتِ مَيْمون النَّقيبَة أَزْهَرُ

(١) القُبل : إقبال نظر كل من العينين على الآخر .

(٢) حجزتيهم : ناحيتهم .

أغرُّ كَضوءِ البدرِ مِنْ آلِ هَاشمٍ ... أبـــى إذا سِيمَ الظُّلامَةَ مَجسرُ
فَطَاعَنَ حتـــى مَالَ غَيرَ مَوسد ... بمعتَرك فيـــه قنًا مُتكَسِّرُ
فَصـــار مع المستَشْهدين ثَوابهُ ... جنَان ومُلتَف الحَدَائق أخْضَـــرُ
وكُنَّا نَرى فى جَعْفَرٍ مِنْ مُحَمَّد ... وفَاءً وأمرًا حَازمًا حَـــين يأمُرُ
وَما زَال فى الإِسْلام من آل هَاشمٍ ... دَعائـــم عزًلا لم يَزلْنَ ومَفْخَرُ
هُم جَبَلُ الإســلامِ والنَّاس حَوْلَهم ... رِضَام إلى طَوْدٍ يَروق ويَبْهَرُ (١)
بهاليل منهـــم جَعفر وابن أمه ... عَلى وَمنهم أحمد المتخَيرُ (٢)
وحـــمزة والعَبَّاس مِنهُم ومِنهُم ... عقيل ومَاء العَودِ مِنْ حَيْث يعْصرُ
بِهم تفـــرج اللأواء فى كُل مَأزق ... عَماس إذا ما ضَاق بالناس مَصْدَرُ (٣)
هُم أوليـــاءُ الله أنزَلَ حُكْمَهُ ... عَليهم ، وفيهم ذَا الكتاب المطَهَّرُ

● شعر حَسَّان فى رثاء جَعْفَر :

وقال حسان بن ثابت يبكى جعفر بن أبى طالب رضي الله عنه :

ولَقَد بكيتُ وعزَّ مَهْلك جَعْفر ... حُبّ النَّبى عَلـــى البَرية كُلُّهَا
وَلقد جَزَعْتُ وقُلتُ حين نُعيتَ لِى ... منْ للجلادِ لَدى العقَاب وظلها (٤)
أو البِيضِ حَين تُســـل من أغمادها ... ضَربًا وانهال الرِّمَاح وعَلّها (٥)
بَعْدَ ابن فَاطمَة المبَارك جَعفَرٌ (٦) ... خَيرُ البَرية كُلِّهـــا وأجَلّهَا
رزءًا وأكرمها جَميعـــا محتدًا ... وأعزها مُتَظَلِّمًا وأذلهـــا
للحق حَين يَنوبُ غَيـــر تَنحل ... كَذبا ، وأنـــداها يدًا ، وأقلها

---

(١) الرضام : الحجارة المرضومة ، وهى المجموعة فوق بعضها . الطود : الجبل .

(٢) البهاليل : السادة .

(٣) العماس : المظلم .

(٤) العقاب : اسم راية من رايات الرسول ﷺ .

(٥) الإنهال : الشرب الأول وعلها : شربها الثانى .

(٦) فاطمة هى بنت أسد بن هاشم أم سيدنا على بن أبى طالب وأم جعفر .

فحشا ، وأكثرها إذا ما يَجتــدى فَضْلا ، وأبذلها نَـدى ، وأبلها [١]
بِالعرف غَير محَـــمد لاَ مثله حَىٌّ من احْيـــاء البَرية كلها

• أَسْمَاء شُهَداء مُؤْتَة :

من قريش ثم من بنى هاشم :

جَعفر بن أبى طالب ﷺ – وزيد بن حارثة -- ﷺ – .

• من بنى عَدى :

ومن بنَى عدَى بن كَعب : مسعود بن الأسود بن حَارثة بن نَضْلة .

• من بنى مالك :

ومن بنى مالك بن حسل وهب بن سعد بن أبى سرح .

• من الأنصار :

ومن الأنصار ثم من بنى الحارث بن الخزرج : عـــبد الله بن رَوَاحة وعبادة ابن قيس .

• من بنَى غَنْم بن مالك بن النجار :

الحارث بن النعمان بن إساف بن نضلة بن عبد بن عوف بن غنم .

• ومن بنى مَازن بن النجار :

سراقة بن عمرو بن عطية بن خنساء .

قال ابن هشام وممن استشهد يوم مؤتة فيما ذكر ابن شهاب .

• من بَنى مازن بن النجار :

أبو كليب وجابر ، ابنا عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول وهما لأب وأم .

• من بنى مالك بن أفْصَى :

عمرو وعامر ، ابنا سعد بن الحارث بن عباد بن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفصى .

* * *

(١) الاجتداء : طلب المعروف .

ذِكْرُ الأَسباب الموجبة للسير إلى مكة ، وذكر فَتْح مكة فِى شهر رمضان سنة ثمان

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بعد بعثه إلى مؤتة جمادى الآخرة ورجبا .

ما وقع بين بنى بكر وخُزاعة : ثم إن بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة عدت على خزاعة ، وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له : الوتير ، وكان الذى هاج ما بين بنى بكر وخزاعة أن رجلا من بنى الحضرمى ، واسمه مالك بن عباد - وحلف الحضرمى يومئذ إلى الأسود بن رزن [١] - خرج تاجرًا ، فلما توسط أرض خزاعة ، عدوا عليه فقتلوه ، وأخذوا ماله ، فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه ، فعدت خزاعة قبيل الإسلام على بنى الأسود بن رزَن الديلى - وهم مفخر بنى كنانة وأشرافهم - سلمى وكلثوم وذؤيب - فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم [٢] .

قال ابن إسحاق . وحدثنى رجل من بنى الديل ، قال : كان بنو الأسود بن رزن يودون فى الجاهلية ديتين ديتين ، ونودى دية دية ، لفضلهم فينا .

قال ابن إسحاق : فبينا بنو بكر وخزاعة على ذلك حجز بينهم الإسلام ، وتشاغل الناس به . فلما كان صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ وبين قريش ، كان فيما شرطوا لرسول الله ﷺ وشرط لهم ، كما حدثنى الزهرى ، عن عروة بن الزبير : عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ، وغيرهم من علمائنا : أنه من أحب أن يدخل فى عقد رسول الله ﷺ وعهده فليدخل فيه ، ومن أحب أن يدخل

---

(١) ذكر الشيخ الحافظ أبو بحر أن أبا الوليد أصلحه : رزنا بكسر الراء ، قال : والرزن: نقرة فى حجر يمسك الماء ، وفى كتاب العين : الرزن أكمة تمسك الماء ، والمعنى متقارب ، وذكر أن بنى رزن من بنى بكر ، وقد قيل فيه : الدئل .

(٢) أنصاب الحرم هنا : حجارة توضع بين الحل والحرم للفصل بينهما .

فى عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه ، فدخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم ، ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله ﷺ وعهده .

قال ابن إسحاق : فلما كانت الهدنة اغتنمها بنو الديل من بنى بكر من خزاعة ، وأرادوا أن يصيبوا منهم ثأرًا بأولئك النفر الذين أصابوا منهم ببنى الأسود ابن رزن ، فخرج نوفل بن معاوية الديلى فى بنى الديل ، وهو يومئذ قائدهم ، وليس كل بنى بكر تَابعه حتى بيَّت خزاعة وهم على الوتير ، ماء لهم ، فأصابوا منهم رجلا ، وتحاوزوا واقتتلوا ، ورفدت بنى بكر قريش بالسلاح ، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا ، حتى حازوا (١) خزاعة إلى الحرم ، فلما انتهوا إليه ، قالت بنو بكر : يا نوفل ، إنا قد دخلنا الحرم إلهك إلهك ، فقال : كلمة عظيمة ، لا إله له اليوم ، يا بنى بكر أصيبوا ثأركم ، فلعمرى إنكم لتسرقون فى الحرم أفلا تصيبون ثأركم فيه ؟! وقد أصابوا منهم ليلة بيتوهم بالوتير رجلاً يقال له منبه وكان منبه رجلا مفئودا (٢) خرج هو ورجل من قومه يقال له تميم بن أسد ، وقال له منبه : يا تميم ، انج بنفسك فأما أنا فوالله إنى لميت ، قتلونى أو تركونى ، لقد انبت (٣) فؤادى ، وانطلق تميم فأفلت ، وأدركوا منبها فقتلوه ، فلما دخلت خزاعة مكة ، لجئوا إلى دار بديل بن ورقاء . ودار مولى لهم يقال له رافع ، فقال تميم بن أسد يعتذر من فراره عن منبه :

لَما رَأيتُ بنى نُفَاثَة اقبلُوا ... يغشون كل وتَيرة وَحجَاب (٤)
صَخرًا وَرزنًا لا عَريبَ سِوَاهُم ... يزجون كل مُقَلَّصٍ خَنَّاب (٥)
وَذكرتُ ذَحلا عِندَنا مُتقَادمًا ... فيما مَضى من سالف الأحقَاب (٦)
وَنَشِيتُ رِيحَ الموتِ من تِلْقَائهم ... وَرهبتُ وَقْع مُهَنَّدٍ قَضَّاب (٧)

---

(١) حازوا : ساقوا . (٢) مفئودًا : ضعيف الفؤاد .
(٣) انبت : انقطع .
(٤) الوتيرة : الأرض الممتدة . الحجاب : ما اطمأن من الأرض .
(٥) لا عريب : لا أحد . المقلص : الفرس طويل القوائم ، منضم البطن . الخناب : واسع المنخرين .
(٦) الذحل : طلب الثأر . (٧) نشيت : شممت .

وَعَرفت أَنْ مَنْ يثْقَفوه يَتركوا لَحما لمجـــرية وشَلو غُرَاب (١)
قومت رجلا لاَ أَخـــافُ عثَارهَا وَطَرَحْتُ بالمتن الـــعراء ثِيَابِى (٢)
ونَجوتُ لا ينـــجو نَجائِى أحقب علج أقب مشمر الأقراب (٣)
تَلحَى ولَو شَهِدَت لَكان نكيرهَا بَوْلاَ يَبُـــــلُّ مُشَافِرَ القبْقَابِ
القَـــوم أَعلَم مَا تَركْتُ مُنَبهـــا عَنْ طِيبِ نَفْسٍ فَاسألى أصْحَابِى

قال ابن إسحاق : وقال الأخْزر بن لَعْط الديلى ، فيما كان بين كنانة وذكرت ذحلاً عندنا متقادمًا عن أبى عبيدة ، وقوله « خنَّاب » و « عِلج أقب مشمر الأقراب » عنه أيضًا .

• شعْر الأَخزر :

قال ابن إسحاق : وقال الأخزر بن لعط الديلى ، فيما كان بين كنانة وخزاعة فى تلك الحرب :

أَلاَ هَلْ أَتى قصوى الأَحَابيش أَنَّنَا رَددنَا بنى كَعْبٍ بأفوق نَاصِلِ (٤)
حَبَسْنَاهـــم فى دارة العَبْد رَافِع وَعنْد بُدَيل مَحْبسـا غير طَائل
بِدارِ الدليل الآخذ الضيْم بَعدما شَفَينا النفوسَ منهـــم بالمناصِلِ
حَبسنَاهم حَتَّى إذا طَال يومهـــم نَفَحْنَا لهم من كل شِعب بِوَابلِ (٥)
نَذبحُهُمْ ذَبحَ التُّيوسِ كَأَنَّنـــا أُسُودٌ تُبَارى فيهـــم بالقوَاصِلِ

---

(١) المجرية : اللبؤة التى لها أجْراء أى أبناء . الشلو : بقية الجسد .
(٢) المتن : ظهر الأرض .
(٣) نجوت : أسرعت . والأحقب : حمار الوحش أبيض العجز . علج : غليظ . أقب : ضامر البطن . مشمر الأقراب : منقبض الخواصر .
(٤) الأحابيش : من تعاهدوا مع قريش وليسوا منهم . الأفوق : السهم الذى انكسر طرفه الذى يلى الوتر ، والناصل : الذى زال نصله .
(٥) نفحنا : وسعنا ، والشعب : ما استوى بين الجبلين . الوابل : فى الأصل المطر الشديد وأراد به هنا الدفعة من الخيل .

هُم ظَلمونَا وَاعتدوا فَى مسيرهم ... وَكانوا لَدى الأَنْصابِ أَوَّلَ قَاتِلِ
كَأَنَّهـــم بالجَزْعِ إذْ يَطْرِدُونهم ... بِفَائور حَفان النعَام الجَوافِلِ (١)

خُزَاعة تستنجد بالرسول : قال ابن إسحاق : فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة وأصابوا منهم ما أصابوا ، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة ، وكانوا فى عقده وعهده ، خرج عمرو بن سالم الخزاعى ثم أحد بنى كعب ، حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة ، وكان ذلك مما هاج فتح مكة ، فوقف عليه وهو جالس فى المسجد بين ظهرانى الناس ، فقال :

يَا رَبِّ إِنى نَاشِدٌ محمـــدا ... حلف أَبينا وأَبيه الأَتْلَدا
قَد كُنتم وُلداً وَكُنَّا وَالدا ... ثَمَّت أَسلمنَا فلم نَنْزِع يَدا (٢)
فَانصر هَدَاك الله نَصرا اعتدا ... وَادْع عِبَاد الله يَأتوا مَدَدَا
فِيهم رَسُول الله قَد تجردا ... إن سيم خَسفًا وَجْهه تَربدَا
فِى فَيْلَقٍ كالبحر يَجْرِى مُزبدا ... إنَّ قُرَيشا أخلفوكَ الموعَدا
وَنَقضُوا ميثاقك المـــؤكدا ... وَجعلوا لى فى كُداء رَصَدا
وزَعموا أَن لَسْتُ أَدعو أحدا ... وَهُم أذل وأقـــل عَدَدا
هُم بيتَونا بالوتير هَجـــدا ... وقَتلونا رُكَّـــعا وسُجَّدَا
يقول : قُتلنا وقد أســلمنا (٣)

---

(١) الجزع : ما انعطف من الوادى . بفائور : اسم جبل بمكة .

(٢) يريد أن بنى عبد مناف أمهم من خزاعة ، وكذلك : قُصى أمه : فاطمة بنت سعد الخزاعية . والوَلَد بمعنى الوُلْد : وقوله : ثمت أسلمنا . هو من السلم لأنهم لم يكونوا آمنوا بعد ، غير أنه قال : ركعًا وسجدًا ، فدل على أنه كان فيهم من صـلى لله ، فقتل ، والله أعلم .

(٣) قال ابن هشام : ويروى أيضًا :

فانصر هداك الله نصراً أيدا

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله ﷺ : نُصرت يا عمرو بن سالم . ثم عرض لرسول الله ﷺ عنان [١] من السماء ، فقال : إن هذه السحابة لتستهل بنصر بنى كعب .

ثم خرج بُديل بن ورقاء فى نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله ﷺ المدينة ، فأخبروه بما أصيب منهم ، وبمظاهرة قريش بنى بكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة ، وقد قال رسول الله ﷺ للناس : كأنكم بأبى سفيان قد جاءكم ليشد العقد ، ويزيد فى المدة . ومضى بديل بن ورقاء وأصحابه حتى لقوا أبا سفيان ابن حرب بعسفان ، قد بعثته قريش إلى رسول الله ﷺ ، ليشد العقد ، ويزيد فى المدة ، وقد رهبوا الذى صنعوا ، فلما لقى أبو سفيان بديل بن ورقاء ، قال : من أين أقبلت يا بديل ؟ وظن أنه قد أتى رسول الله ﷺ ، قال : تسيرت فى خزاعة فى هذا الساحل ، وفى بطن هذا الوادى ، قال : أو ما جئت محمداً ؟ قال : لا ، فلما راح بديل إلى مكة ، قال أبو سفيان : لئن جاء بديل المدينة لقد علف بها النوى ، فأتى مبرك راحلته ، فأخذ من بعرها ففته ، فرأى فيه النوى ، فقال : أحلف بالله لقد جاء بديل محمداً .

أبو سفيان يطلب الصلح : ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة ، فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبى سفيان ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه ، فقال : يا بنية ، ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنى ؟ قالت : بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس ، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ ، قال : والله لقد أصابك يا بنية بعدى شر . ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ فكلمه ، فلم يرد عليه شيئا . ثم ذهب إلى أبى بكر ، فكلمه أن يكلم له رسول الله ﷺ ، فقال : ما أنا بفاعل ، ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه ، فقال : أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ ؟! فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به . ثم خرج فدخل على علىٍّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ، وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضى عنها . وعندها حسن بن على ، غلام يدب بين يديها ، فقال : يا على ، إنك أمسُّ القوم بى رَحِما ، وإنى قد جئت فى حاجة ، فلا أرجعن كما جئت خائبا ، فاشفع لى إلى

(١) عنان : سحاب .

رسول الله ، فقال : ويحك يا أبا سفيان ! والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه ، فالتفت إلى فاطمة فقال : يا ابنة محمد ، هل لك أن تأمرى بُنيك هذا فيجير بين الناس ، فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ؟ قالت : والله ما بلغ بُنى ذلك أن يجير بين الناس وما يجير أحد على رسول الله ﷺ قال : يا أبا الحسن ، إنى أرى الأمور قد اشتدت على ، فانصحنى قال : والله ما أعلم لك شيئًا ، ولكنك سيد بنى كنانة ، فقم فأجر بين الناس ، ثم الحق بأرضك قال : أو ترى ذلك مغنيًا عنى شيئًا ؟ قال : لا والله ما أظنه ، ولكنى لا أجد لك غير ذلك فقام أبو سفيان إلى المسجد ، فقال : أيها الناس ، إنى أجرت بين الناس . ثم ركب بعيره فانطلق ، فلما قدم على قريش ، قالوا : ما وراءك ؟ قال : جئت محمداً فكلمته ، فوالله ما رد على شيئًا ، ثم جئت ابن أبى قحافة ، فلم أجد فيه خيراً ، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أدنى العدو (١) .

قال ابن إسحاق : ثم جئت عليًا فوجدته ألين القوم ، وقد أشار علىَّ بشىء صنعته ، فوالله ما أدرى هل يغنى ذلك شيئًا أم لا ؟ قالوا : وبِمَ أمرك ؟ قال : أمرنى أن أجير بين الناس ، ففعلت ، قالوا : فهل أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا . قالوا : ويلك ! والله إن زاد الرجل على أن لعب بك فما يغنى عنك ما قلت . قال : لا والله ما وجدت غير ذلك .

• الاستعداد لفتح مكة :

وأمر رسول الله ﷺ بالجهاد ، وأمر أهله أن يجهزوه ، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة ﵂ ، وهى تحرك بعض جهازى ﷺ ، فقال : أى بُنية : أأمركم رسول الله ﷺ أن تجهزوه ؟ قالت : نعم ، فتجهز . قال : فأين ترينه يريد ؟ قالت : لا والله ما أدرى . ثم إن رسول الله ﷺ أعلم الناس أنه سائر إلى مكة ، وأمرهم بالجد والتهيؤ ، وقال : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها . فتجهز الناس .

فقال حسان بن ثابت يحرض الناس ، ويذكر مصاب رجال خزاعة :

---

(١) قال ابن هشام : أعدى العدو .

عَنانى وَلم أَشْهَد ببَطْحَاء مكةَ رجَال بنى كَعْب تَحز رقابهَا
بأيدى رِجال لم يَسلُّوا سيُوفَهم وقَتْلى كَثير لَم تجن ثيابُهَا (١)
ألا لَيْتَ شعْرى هل تنالن نصْرتى سُهَيل بن عَمرو وخزها وعقابُها
وصَفْوان عَوْد حز من شفر استه فَهذا أوان الحَرب شَد عِصَابها
فَلا تَأمننا يا ابن أم مُجَالد إذا احتلبت صرفا وأعصل نابها (٢)
وَلا تَجْزَعوا منا فإن سيُوفنا لَها وقعة بالموت يَفتح بَابهَا

حَاطب يُحذِّر أهل مكة : قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير، عن عُروة بن الزبير وغيره من علمائنا ، قالوا : لما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى مكة ، كتب حاطب بن أبى بلتعة كتابا إلى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر فى السير إليهم ، ثم أعطاه امرأة ، زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة ، وزعم لى غيره أنها سارة ، مولاة لبعض بنى عبد المطلب ، وجعل لها جُعلا على أن تبلغه قريشا ، فجعلته فى رأسها ، ثم فتلت عليه قرونها ، ثم خرجت به . وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب ، فبعث على ابن أبى طالب والزبير بن العوام رضى الله عنهما ، فقال : أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن أبى بلتعة بكتاب إلى قريش ، يحذرهم ما قد أجمعنا له فى أمرهم ، فخرجا حتى أدركاها بالخليقة ، خليقة بنى أبى أحمد ، فاستنزلاها ، فالتمساه فى رحلها ، فلم يجدا شيئا ، فقال لها على بن أبى طالب : إنى أحلف بالله ما كذب رسول الله ﷺ ولا كُذبنا ، ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك (٣) فلما رأت الجد منه ، قالت : أعرض ، فأعرض ، فحلت قرون رأسها ، فاستخرجت الكتاب منها فدفعته إليه ، فأتى به رسول الله ﷺ ، فدعا رسول الله ﷺ حاطبًا ، فقال : يا حاطب ، ما حملك على هذا ؟ فقال : يا رسول الله ، أما والله إنى لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيَّرت ولا بدَّلت ، ولكنى كنت امرءًا ليس لى فى القوم من أصل

(١) تجن : تستر ، يريد أنهم قتلوا ولم يستروا بالدفن .
(٢) أعصل : أعوج .
(٣) أى نكشف ما عليك من ملابس ونفتشك .

ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل ، فصانعتهم عليهم ، فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، دعنى فلأضرب عنقه ، فإن الرجل قد نافق ، فقال رسول الله ﷺ : وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد اطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر، فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم فأنزل الله تعالى فى حاطب : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة** ﴾ ، إلى قوله : ﴿ **قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده** ﴾ إلى آخر القصة [١] .

• خُروج الرسول إلى مكة :

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله بن عباس ، قال : ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره ، واستخلف على المدينة أبا رهم ، كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفارى ، وخرج لعشر مضين من رمضان ، فصام رسول الله ﷺ ، وصام الناس معه، حتى إذا كان بالكديد ، بين عسفان وأمج أفطر .

قال ابن إسحاق : ثم مضى حتى نزل مرَّ الظهران فى عشرة آلاف من المسلمين فسبعت [٢] سليم وبعضهم يقول ألفت [٣] سليم ، وألفت مزينة ، وفى كل القبائل عدد وإسلام ، وأوعب مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار ، فلم يتخلف عنه منهم أحد ، فلما نزل رسول الله ﷺ مرَّ الظهران وقد عَميت الأخبار عن قريش فلم يأتهم خبر عن رسول الله ﷺ ، ولا يدرون ما هو فاعل ، وخرج فى تلك الليالى أبو سفيان بن حرب ، وحكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء ، يتحسسون الأخبار ، وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به ، وقد كان العباس بن عبد المطلب لقى رسول الله ﷺ ببعض الطريق .

إسلام أبى سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبى أمية : قال ابن إسحاق : وقد كان

(١) سورة الممتحنة : الآية ١ : ٤ .

(٢) صارت سبعمائة .

(٣) ألفت : صارت ألفًا .

أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة قد لقيا رسول الله ﷺ أيضاً بنيق العقاب ، فيما بين مكة والمدينة ، فالتمسا الدخول عليه ، فكلمته أم سلمة فيهما ، فقالت : يا رسول الله ، ابن عمك وابن عمتك وصهرك ، قال : لا حاجة لى بهما ، أما ابن عمى ، فهتك عرضى ، وأما ابن عمتى وصهرى فهو الذى قال لى بمكة ما قال . قال : فلما خرج الخبر إليهما بذلك ، ومع أبى سفيان بُنى له . فقال : والله ليأذن لى أو لآخذن بيدى بنى هذا ، ثم لنذهبن فى الأرض حتى نموت عطشا وجوعا ، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رق لهما ، ثم أذن لهما ، فدخلا عليه ، فأسلما .

وأنشد أبو سفيان بن الحارث قوله فى إسلامه ، واعتذر إليه مما كان مضى منه ، فقال :

لَعَمْرك إنى يَوم أَحْمِل رَايَة ... لَتَغلب خَيْلُ اللّات خَيلَ مُحمد

لكالمدلج الحَيران أظلم لَيْلهُ ... فَهذا أوانى حين أُهْدى وأهتدى

هَدانى هَادٍ غَير نفسى ونالنى ... مَع الله من طردت كُل مُطْرد

أَصُدُّ وأَنأى جاهدًا عن محمد ... وأدعى وإنْ لم أنْتَسب من مُحمد

همُ ما هُم من لمَ يَقلْ بِهواهم ... وإن كانَ ذَا رأى يَلم ويُفنَد (١)

أريد لأرضيهم ولَسْت بلائط ... مَع القوم مَا لم أهْدِ فى كل مَقْعَد(٢)

فَقُل لِثقيف لاَ أريد قتالهَا ... وَقل لثقيف تلك : غَيرى أَوْعدى

فَما كنتُ فى الجيش الذى نَال عَامرًا ... وَما كان جَرا لِسانى ولا يدى (٣)

قَبائل جَاءتْ من بلادِ بَعيدة ... نَزائع جَاءت من سهام وسَردد

● **قصَّة إسلام أبى سفيان :**

قال ابن إسحاق : فزعموا أنه حين أنشد (٤) رسول الله ﷺ قوله :

---

(١) يفند : يكذب .

(٢) لاط : لصق .

(٣) جرا : جراء .

(٤) أى أنشد أبو سفيان لرسول الله ﷺ .

« ونالنى مع الله من طردت كل مطرد » ضرب رسول الله ﷺ فى صدره ، وقال : أنت طردتنى كل مطرد ·

فلما نزل رسول الله ﷺ من الظهران ، قال العباس بن عبد المطلب · فقلت: واصباح قريش والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قبل أن يأتوا فيستأمنوه إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر · قال : فجلست على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء · فخرجت عليها · قال : حتى جئت الأراك ، فقلت : لعلى أجد بعض الحطَّابة [١] أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتى مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ ، ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة ، قال : فوالله إنى لأسير عليها ، والتمس ما خرجت له ، إذ سمعت كلام أبى سفيان وبديل بن ورقاء : وهما يتراجعان ، وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالليلة نيرانًا قط ولا عسكرًا ، قال· يقول بديل : هذه والله خزاعة حمشتها [٢] الحرب · قال : يقول أبو سفيان : خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها ، قال : فعرفت صوته فقلت : يا أبا حنظلة ، فعرف صوتى فقال : أبو الفضل ؟ قال : قلت : نعم ، قال : ما لك ؟ فداك أبى وأمى ، قال : قلت : ويحك يا أبا سفيان ، هذا رسول الله ﷺ فى الناس ، واصباح قريش والله · قال : فما الحيلة ؟ فداك أبى وأمى ، قال قلت : والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك ، فاركب فى عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله ﷺ فأستأمنه لك ، قال : فركب خلفى ورجع صاحباه ، قال : فجئت به كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها ، قالوا : عم رسول الله ﷺ على بغلته ، حتى مررت بنار عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، فقال : من هذا ؟ وقام إلىَّ ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة ، قال: أبو سفيان عدو الله ، الحمد لله الذى أمكن منك بغير عقد ولا عهد ثم خرج يشتد نحو رسول الله ﷺ · وركضت البغلة فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطىء ، قال : فاقتحمت عن البغلة ، فدخلت على رسول الله ﷺ ودخل عليه عمر ، فقال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد ، فدعنى فلأضرب عنقه ، قال : قلت : يا رسول الله ، إنى قد أجرته ،

---

(١) الذين يجمعون الحطب ·

(٢) أحرقتها ·

ثم جلست إلى رسول الله ﷺ ، فأخذت برأسه ، فقلت : والله لا يناجيه الليلة دونى رجل ، فلما أكثر عمر فى شأنه ، قال : قلت : مهلاً يا عمر ، فوالله أن لو كان من بنى عدى بن كعب ما قلت هذا ، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بنى عبد مناف ، فقال : مهلا يا عباس ، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلىَّ من إسلام الخطاب لو أسلم ، وما بى إلا أنى قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم ، فقال رسول الله ﷺ : اذهب به يا عباس إلى رحلك ، فإذا أصبحت فأتنى به . قال : فذهبت به إلى رحلى فبات عندى فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله ﷺ ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ قال : بأبى أنت وأمى ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، والله قد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عنى شيئا بعدُ ، قال : ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله ؟ قال : بأبى أنت وأمى ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! أما هذه والله فإن فى النفس منها حتى الآن شيئا . فقال له العباس : ويحك ! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل إن تُضرب عنقك . قال : فشهد شهادة الحق ، فأسلم ، قال العباس : قلت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب الفخر (١) ، فاجعل له شيئا . قال : نعم (٢) ، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ : يا عباس ، احبسه بمضيق الوادى عند خطم الجبل (٣) ، حتى تمر به جنود الله (٤) فيراها . قال : فخرجت حتى حبسته بمضيق الوادى، حيث أمرنى رسول الله ﷺ أن أحبسه .

عَرْض الجيش على أبى سفيان : قال : ومرت القبائل على راياتها ، كلما مرت قبيلة قال : يا عباس ، من هذه ؟ فأقول : سليم ، فيقول : ما لى ولسليم ، ثم تمر القبيلة فيقول يا عباس ، من هؤلاء ؟ فأقول : مزينة ، فيقول : ما لى ولمزينة ، حتى

---

(١) أى الاعتزاز وارتفاع مكانته .

(٢) وهذا دليل على أن الرسول ﷺ كان ينزل الناس منازلهم ويعرف لهم حقهم وقدرهم وكل ذلك لأجل تأليف القلوب ، وهى أخلاق وجب على المسلم التحلى بها .

(٣) الخطم : الأنف وهى شىء يخرج من الجبل يضيق به الطريق .

(٤) أى جيش المسلمين وأبطال الموحدين والذين نصروا الدين وآزروا رسول رب العالمين .

نفدت القبائل ، ما تمر به قبيلة إلا يسألنى عنها ، فإذا أخبرته بهم ، قال : ما لى ولبنى فلان ، حتى مر رسول الله ﷺ وسلم فى كتيبته الخضراء .

قال ابن إسحاق : فيها المهاجرون والأنصار رضى الله عنهم لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد ، فقال : سبحان الله يا عباس ، من هؤلاء ؟ قال : قلت هذا رسول الله ﷺ فى المهاجرين والأنصار ، قال : ما لأحد بهؤلاء قِبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل ، لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيمًا ، قال : قلت يا أبا سفيان ، إنها النبوة قال : فنعم إذن (١) .

• تَحْذير أبى سفيان أهل مكة :

قال : قلت : النجاء إلى قومك ، حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم (٢) به فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، فقامت إليه هند بنت عتبة ، فأخذت بشاربه ، فقالت : اقتلوا الحميت الدسم الأحمس (٣) قبِّح من طليعة قوم قال : ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، قالوا : قاتلك الله ، وما تغنى عنا دارك ، قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد (٤) .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أن رسول الله ﷺ لما انتهى إلى ذى طُوى وقف على راحلته معتجراً بشقة بُرد حبرة حمراء وأن رسول الله

---

(١) وهذه شهادة منه لقوة الإسلام وقوة الرسول ﷺ والمسلمين وتأييد الله لهم .

(٢) أى لا طاقة لكم به .

(٣) الحميت : الزق ، نسبة إلى الضخم والسمن ، والأحمس الذى لا خير عنده ، من قولهم عام أحمس إذا لم يكن فيه مطر ، وزاد عبد بن حميد فى حديثه أنها قالت : يا آل غالب اقتلوا الأحمق ، فقال لها أبو سفيان . والله لتسلمن أو لأضربن عنقك ، وفى إسلام أبى سفيان قبل هند وإسلامها قبل انقضاء عدتها ، ثم استقرا على نكاحهما ، وكذلك حكيم ابن حزام مع امرأته حجة للشافعى ، فإنه لم يفرق بين أن تسلم قبله أو يسلم قبلها ، ما دامت فى العدة وفرق مالك بين المسألتين على ما فى الموطأ وغيره .

(٤) ويدل هذا على أنهم خضعوا وسلموا واستسلموا .

ﷺ ليضع رأسه تواضعًا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح ، حتى أن عثنونه ليكاد يمس واسطة الرَّحل ·

• إسْلامُ أبى قُحافة :

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عن جدته أسماء بنت أبى بكر ، قالت : لما وقف رسول الله ﷺ بذى طوى قال أبو قُحافة لابنة [(١)] له من أصغر ولده : أى بنية اظهرى بى على أبى قبيس [(٢)] قالت : وقد كف بصره ·

قالت : فأشرفت به عليه ، فقال : أى بُنية ، ماذا ترين ؟ قالت : أرى سوادًا مجتمعاً ، قال : تلك الخيل ، قالت : وأرى رجلا يسعى بين يدى ذلك مُقبلا ومدبراً ، قال : أى بُنية ، ذلك الوازع يعنى الذى يأمر الخيل ، ويتقدم إليها ، ثم قالت : قد والله انتشر السواد ، قالت : فقال : قد والله إذن دفعت الخيل ، فأسرعى بى إلى بيتى ، فانحطت به ، وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته ، قالت : وفى عنق الجارية طوق من ورق [(٣)] ، فتلقاها رجل فيقتطعه من عنقها ، قالت : فلما دخل رسول الله ﷺ مكة ، ودخل المسجد ، أتى أبو بكر بأبيه ، يقوده فلما رآه رسول الله ﷺ قال : هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتيه فيه ؟ قال أبو بكر : يا رسول الله ، هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشى إليه أنت · قال : قالت : فأجلسه بين يديه ، ثم مسح صدره ، ثم قال له : أسلم ، فأسلم ، قالت : فدخل به أبو بكر ، وكأن رأسه ثغامة [(٤)] ، فقال رسول الله ﷺ : غيروا هذا من شعره [(٥)] ،

---

(١) واسمها : أم فروة زوجة تميم الدارى ومن بعده الأشعث بن قيس · أو هى قريبة تزوجها قيس بن سعد بن عبادة ·

(٢) أبو قبيس : جبل بمكة ·

(٣) الطوق : القلادة تطوق العنق · الورِق : الفضة ·

(٤) الثغامة : واحدة الثغام ، نبات أبيض الشجر والزهر ، يشتد بياضه إذا يبس ·

(٥) هو على الندب ، لا على الوجوب ، لما دل على ذلك من الأحاديث عنه عليه السلام أنه لم يغير شيبه ، وقد روى من طريق أبى هريرة أنه خضب · وقال من جمع بين الحديثين : إنما كانت شيبات يسيرة يغيرها بالطيب · وقال أنس : لم يبلغ النبى ﷺ حد الخضاب وفى البخارى عن عثمان بن موهب : قال : أرتنى أم سلمة شعرًا من شعر رسول الله ﷺ – وفيه أيضًا عن ابن موهب قال : بعثنى أهلى بقدح إلى أم سلمة ، وذكر الحديث ، وفيه اطلعت فى=

ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته ، وقال : أنشد الله والإسلام طوق أختى ، فلم يجبه أحد ، قالت : فقال : أى أُخية (١) احتسبى طوقك ، فوالله إن الأمانة فى الناس اليوم لقليل .

• دخول مكة :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح أن رسول الله ﷺ حين فرق جيشه من ذى طوى ، أمر الزبير بن العـــوام أن يدخل فى بعض الناس من كُدًى ، وكان الزبير على المجنبة اليسرى ، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل فى بعض الناس من كَدَاء (٢) .

• تخوف المهاجرين على قُريش من سَعْد :

قال ابن إسحاق : فزعم بعض أهل العلم أنَّ سعداً حين وجه داخلاً ، قال : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة ، فسمعها رجل من المهاجرين (٣) .

= الجلجل فرأيت شعرات حمرًا ، وهذا كلام مشكل وشرحه فى مسند وكيع بن الجراح قال : كان جلجلا من فضة صنع صيوناً لشعرات كانت عندهم من شعر رسول الله ﷺ .

فإن قيل فهذا يدل على أنه كان مخضوب الشيب ، وقد صح من حديث أنس وغيره أنه عليه السلام لم يكن بلغ أن يخضب إنما كانت شعيرات تُعد .

فالجواب : أنه لما توفى خضب من عنده شيء من شعره : تلك الشعرات ليكون أبقى لها كذلك . قال الدارقطنى فى أسماء رجال الموطأ له ، وكان أو بكر يخضب بالحناء والكتم ، وكان عمر يخضب بالصفرة ، وكذلك عثمان وعبد الله بن عمر .

(١) تصغير أخت .

(٢) هى ثنية كداء ، بفتح الكاف والمد ، وهى بأعلى مكة ، وكدًى من ناحية عرفة ، وبمكة موضع ثالث يقال له : كُدا ، بضم الكاف والقصر وأنشدوا فى كَداء ، وكدى :

أقفرت بعد عبد شمس كداء فكدى فالركن والبطحاء

وبكداء وقف إبراهيم - عليه السلام - حين دعا لذريته بالحرم ، كذلك روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ، فقال : ﴿ فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم ﴾ فاستجيبت دعوته ، وقيل له : ﴿ وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالاً ﴾ الا تراه يقول : يأتوك ، ولم يقل : يأتونى، لأنها استجابة لدعوته فمن ثم - والله أعلم - استحب النبى ﷺ إذا أتى لمكة أن يدخلها من كداء لأنه الموضع الذى دعا فيه إبراهيم بأن يجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم .

(٣) قال ابن هشام : هو عمر بن الخطاب .

فقال : يا رسول الله : اسمع ما قال سعد بن عبادة ، ما نأمن أن يكون له فى قريش صولة ، فقال رسول الله ﷺ لعلى بن أبى طالب : أدركه ، فخذ الراية منه فكن أنت الذى تدخل بها (١) .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى عبد الله بن أبى نَجيح فى حديثه . أن رسول الله ﷺ أمر خالد بن الوليد ، فدخل من الليط ، أسفل مكة ، فى بعض الناس . وكان خالد على المجنبة اليمنى ، وفيها أسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة وقبائل من قبائل العرب . وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدى رسول الله ﷺ ، ودخل رسول الله ﷺ من أذاخر ، حتى نزل بأعلى مكة ، وضربت له هنالك قبته .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح وعبد الله بن أبى بكر : أن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناسا بالخندمة ليقاتلوا ، وقد كان حماس بن قيس بن خالد أخو بنى بكر ، يعد سلاحا قبل دخول رسول الله ﷺ ، ويصلح منه، فقالت له امرأته : لماذا تعد ما أرى ؟ قال : لمحمد وأصحابه ، قالت : والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شىء ، قال : والله أنى لأرجو أن أخدمك بعضهم ، ثم قال :

إن يُقْبِلوا اليَوم فَما لى عِلَّهْ هَذا سِلاحٌ كَامِل وإِلَّهْ (٢)
وذُو غِرارين سَرِيع السَّلّه (٣)

ثم شهد الخندمة مع صفوان وسهيل وعكرمة فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ناوشوهم شيئًا من قتال ، فقتــل كرز بن جابر ، أحد بنى محارب ابن فهر ، وخنيس بن خالد بن ربيعة بن أصرم ، حليف بنى منقذ ، وكانا فى خيل خالد بن الوليد فشذا عنه فسلكا طريقا غير طريقه فقتلا جميعاً ، قتل خنيس بن خالد قبل كرز بن جابر ، فجعله كرز بن جابر بين رجليه ، ثم قاتل عنه حتى قتل ، وهو يرتجز ويقول :

(١) وهذا خير دليل على سماحة ورحمة الرسول وأنه لا يريد إراقة دماء .
(٢) الإلة : الحربة ذت السنان الطويلة .
(٣) غرارين : حدين .

قَدْ عَلِمَتْ صَفْراءُ مِنْ بَنِى فهِرْ نَقِية الوَجْه نقيةَ الصّدِر[١]
لأبن اليَوْمِ عَنْ أبى صَخِر

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى نجيح وعبد الله بن أبى بكر ، قالا : وأصيب من جهينة سلمة بن الميلاء ، من خيل خالد بن الوليد ، وأصيب من المشركين ناس قريب من اثنى عشر رجلاً ، أو ثلاثة عشر رجلاً ، ثم انهزموا ، فخرج حماس منهزمًا حتى دخل بيته ، ثم قال لامرأته : اغلقى علىَّ بابى قالت : فأين كنت تقول ؟ فقال :

إنِّكِ لو شَهِدت يومَ الخَنْدَمَهْ إذ فَرَّ صفوان وفرَّ عِكرمه
وأبو يَزيدَ قَائمٌ كَالمؤتَمه واستَقبلتْهُم بالسُّيوف المسلمه
يَقْطَعْنَ كَل ساعد وجُمجُمه ضَرْبًا فلا يسمع إلا غَمْغَمَه [٢]
لَهُم نهيت خَلفنا وهَمهمه لم تَنْطِقى فى اللوم أدنى كَلِمهْ [٣]

- **شعار المسلمين يوم فتح مكة :**

وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وحنين والطائف ، شعار المهاجرين : يا بنى عبد الرحمن ، وشعار الخزرج : يا بنى عبد الله ، وشعار الأوس : يا بنى عبيد الله .

- **الذين أمر النبى ﷺ بقتلهم :**

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى أمرائه من المسلمين ، حين أمرهم أن يدخلوا مكة ، أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم ، إلا أنه قد عهد فى نفر سماهم أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة ، منهم عبد الله بن سعد أخو بنى عامر بن لؤى .

---

(١) قوله : من بنى فهر بكسر الهاء وأبو صخر : هذا على مذهب العرب فى الوقف على ما أوسطه ساكن ، فإن منهم من ينقل حركة لام الفعل إلى عين الفعل فى الوقف ، وذلك إذا كان الاسم مرفوعا أو مخفوضًا ولا يفعلون ذلك فى النصب وعلله مستقصاة فى كتب النحو فانظرها .

(٢) الغمغمة : أصوات غير مفهومة .

(٣) النهيت : صوت الصدر ، والهمهمة : صوت فى الصدر أيضًا .

• السبب الذى دعا الرسول إلى الأمر بقتل عبد الله بن سعد :

وإنما أمر رسول الله ﷺ بقتله لأنه قد كان أسلم ، وكان يكتب لرسول الله ﷺ الوحى ، فارتد مشركًا راجعًا إلى قريش ، ففر إلى عثمان بن عفان ، وكان أخاه للرضاعة ، فغيبه حتى أتى به رسول الله ﷺ بعد أن اطمأن الناس وأهل مكة ، فاستأمن له ، فزعموا أن رسول الله ﷺ صمت طويلاً ، ثم قال : نعم ، فلما انصرف عنه عثمان ، قال رسول الله ﷺ لمن حوله من أصحابه : لقد صمت ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه . فقال رجل من الأنصار : فهلا أومأت إلىَّ يا رسول الله ؟ قال : إن النبى لا يقتل بالإشارة (١) .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن خطل رجل من بنى تميم بن غالب ، إنما أمر بقتله إنه كان مسلمًا ، فبعثه رسول الله ﷺ مصدقًا ، وبعث معه رجلاً من الأنصار ، وكان معه مولى له يخدمه ، وكان مسلمًا ، فنزل منزلاً ، وأمر المولى أن يذبح له تيسًا (٢) ، فيصنع له طعامًا ، فنام ، فاستيقظ ولم يصنع شيئًا ، فعدا عليه فقتله ، ثم ارتد مشركًا .

• أسماءُ من أمر النبى ﷺ بقَتلهم :

وكانت له قينتان : فرتنى وصاحبتها ، وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ ، فأمر رسول الله ﷺ بقتلهما معه .

والحويرث بن نقيذ بن وهب بن عبد بن قصى ، وكان ممن يؤذيه بمكة (٣) .

قال ابن إسحاق ومقيس بن صبابة : وإنما أمر رسول الله ﷺ بقتله ، لقتل الأنصارى الذى كان قتل أخاه خطأ ، ورجوعه إلى قريش مشركًا ، وسارة ، مولاة لبعض بنى عبد المطلب ، وعكرمة بن أبى جهل ، وكانت سارة ممن يؤذيه بمكة ، فأما عكرمة فهرب إلى اليمن وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام ، فاستأمنت

(١) قال ابن هشام : ثم أسلم بعد ذلك فولاه عمر بن الخطاب بعض أعماله ، ثم ولاه عثمان بن عفان بعد عمر .

(٢) التيس: الذكر من المعز والظباء إذا أتى عليه عام. انظر المعجم الوجيز ص ٨٠ .

(٣) قال ابن هشام: وكان العباس بن عبد المطلب حمل فاطمة وأم كلثوم ابنتى رسول الله ﷺ من مكة يريد بهما المدينة فنخس بهما الحويرث بن نقيذ فرمى بهما إلى الأرض .

له من رسول الله ﷺ فأمنه ، فخرجت فى طلبه إلى اليمن ، حتى أتت به رسول الله ﷺ ، فأسلم ، وأما عبد الله بن خطل ، فقتله سعيد بن حريث المخزومى وأبو برزة الأسلمى ، اشتركا فى دمه ، وأما مقيس بن صبابة فقتله نميلة ابن عبد الله ، رجل من قومه ، فقالت أخت مقيس فى قتله :

لَعَمْرى لَقَدْ أَخْزَى نُمَيلة رَهْطه وَفَجع أَضْيَاف الشتَاء بمقيس
فلله عينًا من رأى مثل مقيس إذا النفساء أصبحت لم تخرَّس (١)

● **ما قاله عليه السلام على باب الكعبة** : لا إله إلا الله وحده لا شريك له . صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ألا كل مأثرة ودم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحج ، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة ، مائة من الإبل أربعون منها فى بطونها أولادها . يا معشر قريش : إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية ، وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم من تراب ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ (٢) الآية كلها . ثم قال : يا معشر قريش ، ما ترون أنى فاعل فيكم ، قالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء » (٣) .

ثم جلس رسول الله ﷺ فى المسجد ، فقام إليه على بن أبى طالب ومفتاح الكعبة فى يده ، فقال : يا رسول الله : اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك ، فقال رسول الله ﷺ : أين عثمان بن طلحة ؟ فدعى له ، فقال : هاك مفتاحك يا عثمان : اليوم يوم بر ووفاء (٤) .

---

(١) التخريس : نوع من الطعام يصنع للمرأة بعد ولادتها .
(٢) الحجرات : الآية ١٣ .
(٣) وهذا قمة العفو عند المقدرة والصفح الجميل مع القدرة على قطع رقابهم وكان بإمكان النبى ﷺ إشارة لأصحابه أن يقتلوهم جميعًا .
(٤) قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم : أن رسول الله ﷺ دخل البيت يوم الفتح : فرأى فيه صورة الملائكة وغيرهم ، فرأى إبراهيم عليه السلام مصورًا فى يده الأزلام يستقسم بها ، فقال : قاتلهم الله ، جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ، ما شأن إبراهيم والأزلام ﴿ **ما كان إبراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا ولكن كان حنيفا مسلمًا وما كان من المشركين** ﴾ . ثم=

• قصة خِراش مع قَاتل أحمر :

قال ابن إسحاق : حدثنى سعيد بن أبى سَنْدر الأسْلَمى ، عن رجل من قومه قال : كان معنا رجل يقال له أحمر بأسا . وكان رجلاً شجاعًا ، وكان إذا نام غط غطيطاً (١) منكراً لا يخفى مكانه ، فكان إذا بات فى حيه بات معتزا (٢) ، فإذا بيت الحى (٣) صرخوا يا أحمر ، فيثور مثل الأسد لا يقوم لسبيله شىء ، فأقبل غزى من هذيل يريدون حاضره (٤) حتى إذا دنوا من الحاضر قال ابن الأثوع الهذلى : لا تعجلوا حتى أنظر ، فإن كان فى الحاضر أحمر فلا سبيل إليهم ، فإن له غطيطاً لا يخفى ، قال فاستمع ، فلما سمع غطيطه مشى إليه حتى وضع السيف فى صدره ، ثم تحامل عليه حتى قتله ، ثم أغاروا على الحاضر، فصرخوا يا أحمر ولا أحمر لهم ، فلما كان عام الفتح ، وكان الغد من يوم الفتح ، أتى ابن الأثوع الهذلى حتى دخل مكة ينظر ويسأل عن أمر الناس ، وهو على شركه ، فرأته خزاعة ، فعرفوه ، فأحاطوا به وهو إلى جنب جدار من جدر مكة ، يقولون : آأنت قاتل أحمر ، قال : نعم ، أنا قاتل أحمر فمه ؟ قال : إذا أقبل خراش بن أمية مشتملاً على السيف ، فقال : هكذا عن الرجل (٥) والله ما نظن إلا أنه يريد أن يفرج الناس عنه ، فلما انفرجنا عنه حمل عليه فطعنه بالسيف فى بطنه ، فوالله لكأنى أنظر إليه وحشوته (٦) تسيل من بطنه ، وإن عينيه لترنقان (٧) فى رأسه ، وهو يقول : أقد فعلتموها يا معشر خزاعة ؟ حتى انجعف (٨) فوقع . فقال رسول الله ﷺ : يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتال ، فقد كثر القتل إن نفع ، لقد قتلتم قتيلاً لأدينه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الرحمن بن حرملة الأسلمى ، عن سعيد بن المسيب .

= أمر بتلك الصور كلها فطمست ، وذكر ابن هشام أيضًا أن رسول الله ﷺ صلى بالكعبة ومعه بلال .

(١) الغطيط : ما يسمع من صوت الإنسان إذا نام .

(٢) معتزا : منفرداً .

(٣) بيت : غزى ليلاً .

(٤) الحاضر : النازلون على الماء .

(٥) أى تنحوا عنه .

(٦) حشوته : ما اشتمل عليه جوفه من الأحشاء .

(٧) ترنقان : قربتا على الانغلاق .

(٨) انجعف : سقط بكل ثقله .

قال : لما بلغ رسول الله ﷺ ما صنع خراش بن أمية قال : إن خراشًا لقتّال ، يعيبه لذلك .

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن أبى سعيد المقبُرى ، عن أبى شُريح الخُزَاعى ، قال : لما قدم عمرو بن الزبير [١] مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير ، جئته ، فقلت له : يا هذا ، إنا كنا مع رسول الله ﷺ ، حين افتتح مكة ، فلما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك فقام رسول الله ﷺ فينا خطيبا ، فقال : يا أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ، فهى حرام من حرام إلى يوم القيامة ، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر ، أن يسفك فيها دما ، ولا يعضد [٢] فيها شجراً لم تحلل لأحد كان قبلى ، ولا تحل لأحد يكون بعدى ، ولم تحلل لى إلا هذه الساعة ، غضبا على أهلها ألا ، ثم قد رجعت كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، فمن قال لكم : إن رسول الله ﷺ قاتل فيها ، فقولوا : إن الله قد أحلها لرسوله ، ولم يحللها لكم ، يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل ، فلقد كثر القتل إن نفع . لقد قتلتم قتيلا لأدينه ، فمن قتل بعد مقامى هذا فأهله بخير النظرين . إن شاءوا فدم قاتله ، وإن شاءوا فعقله [٣] ، ثم ودى رسول الله ﷺ ذلك الرجل الذى قتلته خزاعة ، فقال عمرو لأبى شريح : انصرف أيها الشيخ ، فنحن أعلم بحرمتها منك ، إنها لا تمنع سافك دم ، ولا خالع طاعة ، ولا مانع جزية ، فقال أبو شريح : إنى كنتُ شاهدا وكنتَ غائبا ، ولقد أمرنا رسول الله ﷺ أن يبلغ شاهدنا غائبنا ، وقد أبلغتك ، فأنت وشأنك [٤] .

---

(١) هذا وهم من ابن هشام . وصوابه : عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ، وهو الأشدق ... وإنما دخل الوهم على ابن هشام أو على البكائى فى روايته ، من أجل أن عمرو ابن الزبير كان معاديا لأخيه عبد الله ومعينا لبنى أمية ، هذا ما ذهب إليه السهيلى فى الروض الأنف . (٢) يعضد : يقطع . (٣) عقله : أى أخذ ديته ، العقل : أخذ الدية .

(٤) قال ابن هشام : وبلغنى عن يحيى بن سعيد : أن النبى ﷺ حين فتح مكة ودخلها ، قام على الصفا يدعو الله ، وقد أحدقت به الأنصار ، فقالوا فيما بينهم : أترون رسول الله ﷺ ، إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها ؟ فلما فرغ من دعائه قال : ماذا قلتم ؟ قالوا : لا شىء يا رسول الله ، فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال النبى ﷺ : معاذ الله ! المحيا محياكم ، والممات مماتكم .

وأما قينتا ابن خطل فقُتلت إحداهما ، وهربت الأخرى ، حتى استؤمن لها رسول الله ﷺ بعد ، فأمنها ، وأما سارة فاستؤمن لها فأمنها ، ثم بقيت حتى أوطأها رجل من الناس فرسًا فى زمن عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها . وأما الحويرث بن نقيذ فقتله على بن أبى طالب .

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن أبى هند ، عن أبى مرة ، مولى عقيل بن أبى طالب ، أن أم هانىء بنت أبى طالب قالت : لما نزل رسول الله ﷺ بأعلى مكة ، فرَّ إلىَّ رجلان من أحمائى ، من بنى مخزوم ، وكانت عند هبيرة بن أبى وهب المخزومى ، قالت : فدخل علىَّ علىٌّ بن أبى طالب أخى ، فقال : والله لأقتلهما ، فأغلقت عليهما باب بيتى ، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة ، فوجدته يغتسل من جفنة إن فيها لأثر العجين ، وفاطمة ابنته تستره بثوبه ، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثمانى ركعات من الضحى ثم انصرف إلىَّ ، فقال : مرحبا وأهلا يا أم هانئ ، ما جاء بك ؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر على ، فقال : قد أجرنا من أجرت ، وأمنا من أمنت ، فلا يقتلهما .

الرسول يدخل الحرم : قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبد الله بن عبد الله بن أبى ثور ، عن صفية بنت شيبة ، أن رسول الله ﷺ لما نزل مكة ، واطمأن الناس ، خرج حتى جاء البيت ، فطاف به سبعا على راحلته ، يستلم الركن بمحجن (١) فى يده ، فلما قضى طوافه ، دعا عثمان بن طلحة ، فأخذ منه مفتاح الكعبة ، ففتحت له ، فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان ، فكسرها بيده ثم طرحها ، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف له الناس (٢) فى المسجد .

قال ابن إسحاق : فحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قام على باب الكعبة ، فقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثرة (٣) أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمى هاتين إلا سدانة (٤) البيت .

(١) المحجن : عصا معقفة الرأس .

(٢) استكف : اجتمع .

(٣) المأثرة : ما يتحدث به من المكارم .

(٤) السدانة : الخدمة .

• الرسول ﷺ يُعطى الأمان لصَفْوان :

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن جعفر ، عن عروة بن الزبير قال : خرج صفوان بن أمية يريد جدة ليركب منها إلى اليمن فقال عمير بن وهب يا نبى الله إن صفوان بن أمية سيد قومه ، وقد خرج هاربًا منك ، ليقذف نفسه فى البحر فأمنه صلى الله عليك ، قال : هو آمن ، قال : يا رســول الله فأعطنى آية يعرف بها أمانك ، فأعطاه رسول الله ﷺ عمامته التى دخل بها مكة ، فخرج بها عمير حتى أدركه ، وهو يريد أن يركب فى البحر ، فقال : يا صفوان فداك أبى وأمى الله الله فى نفسك أن تهلكها ، فهذا أمان من رسول الله ﷺ قد جئــتك به ، قال : ويحك ! أغرب عنى فلا تكلمنى ، قال : أى صفوان ، فداك أبى وأمـى أفضل الناس ،وأبرُّ الناس ، وأحلم الناس ، وخير الناس ، ابن عمك ، عزه عزك ، وشرفه شرفك ، وملكه ملكك ، قال : إنى أخافه على نفسى ، قال : هو أحلم من ذاك وأكرم . فرجع معه ، حتى وقف به على رسول الله ﷺ فقال صفوان : إن هذا يزعم أنك قد أمنتنى قال : صدق ، قال : فاجعلنى فيه بالخيار شهرين ، قال : أنت بالخيار فيه أربعة أشهر (١) .

إسْلام رُءوس أَهل مكة : قال ابن إسحاق : وحدثنى الزهرى : أن أم حكيم بنت الحارث بن هشام ، وفاختة بنت الوليد - وكانت فاختة عند صفوان بن أمية ، وأم حكيم عند عكرمة بن أبى جهل - أسلمتا ، فأما أم حكيم فأستأمنت رسول الله ﷺ لعكرمة ، فأمنه فلحقت به باليمن ، فجاءت به ، فلما أسلم عِكرمة وصفوان أقرهما رسول الله ﷺ عندهما على النكاح الأول .

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت : قال : رمى حسان : ابن الزبعرى وهو بنجران ببيت واحد ما زاده عليه :

لاَ تَعْدمَنَّ رَجُلاً أحلك بُغْضُه نَجْران فى عَيش أَحذ لَئيم (٢)

فلما بلغ ذلك ابن الزبعرى خرج إلى رسول الله ﷺ فأسلم ، فقال حين أسلم :

---

(١) وهذا خير دليل على كرم الرسول ﷺ وعفوه وسماحته .

(٢) الأحذ : القليل .

يَا رَسُـــولَ المليكِ إنَّ لسَانى رَاتِق مَا فتقت إذ أنَا بُورُ (١)
إذْ أُبَارِى الشَّيْطان فِى سنَن الغَىِّ وَمَنْ مَال مَيْله مَـــثْبورُ (٢)
آمَنَ اللحم وَالعظـــام لربى ثُمَّ قَلْبِى الشَّهيد أَنْتَ النَّذِيرُ
إنَّنى عَنْك زَاجِـــرٌ ثَمَّ حَيًّا مَنْ لُؤَى وكلُّهم مَغْـــرُورُ

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزبعرى أيضًا حين أسلم :

مَنَعَ الرُّقَاد بَلابِل وَهُمُـــوم وَالليل مُعْتَلِج الرواق بَهِيم (٣)
مِمَا أتانى أنْ أحْمَدَ لاَمنـــى فِيه فَبِتُّ كَأننى مَحْمُـــوم
يا خَيْرَ مَن حملتْ على أوصَالها عيرانة سَرِح اليدين غَشُومُ (٤)
إنى لمعتذرٌ إليك من الـــذى أسديتُ إذا أنا فى الضلال أَهِيمُ
أيامَ تأمُرنى بأغوى خطـــة سهم وتأمرنى بهـــا مَخزومُ
وأمد أسبـــاب الرَّدى ويقودنى أمر الغُواة وأمـــرهم مَشئومُ
فَاليَوم آمنُ بالنبـــى مُحَمد قلبى ومخطئُ هـــذه مَحرومُ
مَضت العداوةُ وانقضتْ أسبابُهَا ودعتْ أواصر بيننـــا وحلومُ
فاغفر- فدى لك والداى كلاهما زللى ، فإنك رَاحـــم مَرحومُ
وعليك مِنْ عِلْم المليك علامة نورٌ أغر وخَاتم مَختـــومُ
أَعطاكَ بعدَ محبـــة بُرهانَهُ شرفًا وبرهان الإله عظيـــمُ
ولقد شهدتُ بأَن دينكَ صادقٌ حَقٌّ وإنكَ فـــى العبادِ جَسِيمُ
واللهُ يشهدُ أنَ أحمدَ مُصطَفَى مستقبلٌ فى الصـــالحين كَرِيمُ
قَرم عَلا بنيانهُ من هاشـــم فَرع تمكَّن فى الذرا وَأروم (٥)

(١) الراتق : الساد . بور : هالك .
(٢) أبارى : أجارى . مثبور : هالك .
(٣) البلابل : وساوس الأحزان . معتلج : مضطرب ، والبهيم : شديد الإظلام .
(٤) العيرانة : الناقة الشديد تشبه العير . سرح اليدين : شديدتهما . غشوم : لا ترد عن وجهها .
(٥) القرم : السيد . الأروم : مفردها أرم وهو الأصل .

● **بقاء هُبيرة على كُفره :**

قال ابن إسحاق: وأما هُبيرة بن أبى وهب المخزومى فأقام بها حتى مات كافراً ، وكانت عنده أم هانىء بنت أبى طالب ، واسمها هند ، وقد قال حين بلغه إسلام أم هانىء :

أَشَاقتك هند أم أتاكَ سُؤَالها كَذاك النَّوَى أَسبَابها وانفتَالُها (١)
وَقدْ أرقتْ فى رَأسِ حصْنٍ مُمنَّعٍ بنَجران يَسرى بَعْدَ لَيْلٍ خيَالها
وَعاذِلَةٌ هبّتْ بلَيْلٍ تَلُومُنى وَتعذِلُنى بالليل ضَل ضَلالها
وَتزعم أنّى إن أطَعْتُ عَشيرَتى سأردَى وهَل يرْدَين إلا زيَالها (٢)
فإنى لَمنٍ قَوم إذا جَدَّ جَدُّهم عَلَى أىِّ حَالٍ أصبح اليوم حَالُها
وإنى لَحامٍ من وراء عشيرتى إذا كان من تحت العوالى مَجالها(٣)
وصارتْ بأيديها السيوف كأنها مخاريق ولدان ومنها ظلالُها (٤)
وإنى لأقلى الحاسدين وفعلهم على الله رزقى نفسها وعيالُها
وإن كلام المرء فى غير كُنْهِه لكالنبل تهوى ليس فيها نصالُها
فإن كنت قد تابعت دِينَ محمدٍ وعطفتِ الأرحام منك حبالُها
فكونى عَلَى أعْلَى سَحِيق بهضبة مَلملمة غَبراء يَبس بلالُها (٥)

قال ابن إسحاق : ويروى : « وقطعت الأرحام منك حبالها » .

عُدة من فتح مكة : قال ابن إسحاق : وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف . من بنى سليم سبعمائة . ويقول بعضهم : ألف ، ومن بنى غفار أربعمائة ، ومن أسلم أربعمائة ، ومن مزينة ألف وثلاثة نفر ، وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم ، وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد .

---

(١) انفتالها : تقلبها من حال إلى حال .
(٢) يردين : أى يهلكن ، زيالها : ذهابها .
(٣) العوالى : الرماح .
(٤) المخاريق : ما يلعب به الأطفال من الخرق المفتولة .
(٥) ململمة : مستديرة .

ما قيل من الشعر فى فتح مكة : وكان مما قيل من الشعر فى يوم الفتح قول حسان بن ثابت الأنصارى :

عفتْ ذاتُ الأصابع فالجِواءِ ... إلى عَذراء منزلها خَلاء (١)
دِيارٌ من بنى الحسحاسِ قفر ... تعفيها الروامس والسماء (٢)
وكانت لا يَزالُ بها أنيسٌ ... خِلال مُروجها نعم وشاءُ
فَدَعْ هذا ، ولكن من لطيف ... يؤرقنى إذا ذهب العشاءُ
لشَعثاءَ التى قد تَيمته ... فليس لقلبه منها شِفَاءُ (٣)
كأن خبيئهُ من بيت رأس ... يكون مزاجها عسل وماء (٤)
إذا ما الأشربات ذكرن يومًا ... فهن لطيب الراح الفداء
نُوَلّيها المَلامة إن المُنَا ... إذا ما كان مغث أو لحاء
ونشربها فتتركنا ملوكًا ... وأسدًا ما ينهنهنا اللقاء (٥)
عَدِمْنَا خَيلنَا إنْ لم تَروهَا ... تُثير النَّقْعَ موعدها كَداءُ (٦)
يُنَازعنَ الأَعنَّةَ مُصْغياتٌ ... عَلى أكتافهَا الأسل الظمَاءُ (٧)
تَظلُّ جيادُنَا مُتَمطـرات ... يَلطمهن بالخمر النساء (٨)

---

(١) عفت : تغيرت . ذات الأصابع ، والجواء : موضعان بالشام . وبالجواء . كان منزل الحارث بن أبى شمر الغسانى . وكان حسان كثيرا ما يرد على ملوك غسان يمدحهم . وعذراء : قرية على بريد من دمشق قتل بها حجر بن عدى وأصحابه .

(٢) بنو الحسحاس : حى من بنى أسد . وقوله : الروامس والسماء ، يعنى : الرياح والمطر والسماء لفظ مشترك يقع على المطر وعلى السماء المعروفة .

(٣) شعثاء : اسم امرأة وهى زوجته ، وبنت كاهن الأسلمية . وقيل : امرأة من خزاعة .

(٤) الخبيئة : الخمر المضنون بها ، وبيت رأس : موضع بالأردن مشهور بالخمر الجيد .

(٥) ينهنهنا : يزجرنا .

(٦) كَداء : موضع بمكة ، ثنية فى أعلى مكة دخل منها الرسول ﷺ يوم الفتح .

(٧) المصغيات : المنحرفة للطعن . الأسل : الرماح .

(٨) متمطرات : متسيبات . يلطمهن : يضربهن ، يقول السهيلى فى الروض : قال ابن دريد فى الجمهرة : كان الخليل يروى « يطلمهن » وينكر « يلطمهن » ويجعله بمعنى ينفض النساء بخمرهن ما على الخيل من الغبار (انظر الروض ٤ / ١١٨) .

فَإمَّا تُعرضوا عنَّا اعتمرنَا وكان الفتحُ وانكشفَ الغطَاءُ
وإلا فاصبروا لجلادِ يوم يَعِزُّ اللهُ فيـــه من يَشاءُ
وجبريل رَسولُ اللهِ فينا ورُوحُ القُدس ليس له كفاءُ(١)
وقَال اللهُ قد أرسلتُ عبدًا يَقولُ الحقَّ إنْ نَفَع البلاءُ(٢)
شَهدتُ به فقُوموا صَدِّقُوهُ فَقلتم لاَ نقومُ ولا نَشاءُ
وقَال اللهُ قَد سَيَّرتُ جُندًا هَمُ الأنصارُ عَرضتها اللقاءُ(٣)
لَنا فى كُلِّ يومٍ مَن مَعد سبابٌ أو قتالٌ أو هجاءُ
فَنحكُم بالقوافى مَن هَجانا ونضربُ حين تختلطُ الدماءُ(٤)
ألاَ أَبلغ أبا سُفْيانَ عَنِّى مغلغلة فقد بَرِح الخَفاءُ(٥)
بأَن سُيوفَنا تركتك عَبْداً وعبدُ الدار سَادتها الإماءُ
هَجوتَ محمداً وأجبتُ عَنه وعندَ اللهِ فى ذاكَ الجزاءُ
أتهجُوهُ ولستَ له بكفء فشرُكما لخيرِكُما الفداءُ(٦)
هَجوتَ مُباركًا بَرًّا حَنيفًا أَمينُ اللهِ شيمَتُهُ الوَفاءُ
أَمَنْ يَهجو رسولَ اللهِ منكُم وَيمدَحه وَيَنصرُهُ سَواءُ ؟!
فَإن أَبى ووالده وعِرضى لِعرْضِ مُحمد منكم وِقاءُ
لِسَانى صَارِمٌ لا عَيبَ فِيهِ وَبحرى لا تُكدِّره الدلاءُ

(١) كفاء : مثل .
(٢) البلاءُ : الاختبار .
(٣) عرضتها : عادتها .
(٤) نحكم : نمنع .
(٥) المغلغلة : الرسالة المكتوبة .
(٦) فشركما لخيركما الفداء : فى ظاهر اللفظ بشاعة ، لأن المعروف أن لا يقال هو شرهما إلا وفى كليهما شر ، وكذلك : شر منك ، ولكن سيبويه قال فى كتابه : تقول مررت برجل شر منك : إذا نقص عن أن يكون مثله ، وهذا يدفع الشناعة عن الكلام الأول ، ونحو منه قوله عليه السلام : « شر صفوف الرجال آخرها » يريد : نقصان حظهم عن حظ الأول ، كما قال سيبويه ، ولا يجوز أن يريد التفضيل فى الشر . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : وقال أنس بن زُنيم الديلى يعتذر إلى رسول الله ﷺ مما كان فيهم عمرو بن سالم الخزاعى :

أَنتَ الذى تَهْدِى مَعَد بأمره — بَل الله يَهْديهم وقَال لَكَ اشْهَد
ومَا حَمَلت من نَاقَة فَوق رَحْلِها — أَبرَّ وأوفَى ذمَّة مِنْ مُحَمَّد
أَحَثَّ علَى خَيْرٍ وأسْبغ نَائِلا — إِذَا رَاح كالسيف الصَّقِيل المهَنَّد
وأكسى لُبردِ الخَال قبل ابتذَاله — وأعطى لِرأس السَّابق المتجرد (١)
تَعَلَّم رَسُول الله أَنَّك مُدْركى — وأَن وَعيدًا مِنك كَالأخذ باليد
تعلم رَسُول الله أَنَّك قَادرٌ — عَلى كُلِّ صرم مُتهمين ومَنْجد (٢)
تعلم بأن الرَّكْبَ رَكْبَ عُوَيْمر — هُم الكَاذبونَ المخلفو كُلَّ مَوْعِد
ونَبوا رَسُول الله أنى هَجَوتُه — فَلا حَمَلت سَوطى إلىَّ إذن يَدى
سِوى أَنَّنى قَدْ قُلت وَيلُ امِّ فِتيَة — أُصيبوا بنَحسٍ لا بَطلقٍ وأَسْعد (٣)
أَصابهم مَنْ لَم يكن لِدمائهم — كِفاء فَعزتْ عِبْرتى وتَبَلّدى (٤)
فَإِنك قد أخفرت إن كَنت سَاعيا — بِعَبد بن عبد الله وابنة مَهود
ذُوَيب وكُلثوم وسَلْمى تَتَابعوا — جَميعا فإلا تَدمع العينَ أَكْمد
وسَلْمى، وسَلْمى لَيس حَىٌّ كَمثله — وإخوته وهَل مُلوك كأعُبد ؟!
فَإِنى لاَ دِينا فَتقت ولَا دَما — هَرَقت تَبين عَالم الحق وَاقصِد

---

(١) الخال : نوع من البُرود اليمنية وهو من رفيع الثياب وسمى بالخال الذى بمعنى الخيلاء . والسابق : الفرس السابق ، والمتجرد : الذى يتجرد من الخيل فسبقها .
(٢) الصرم : البيوت المجتمعة . متهمين : ساكنين فى التهام ، وهى المنخفض من الأرض . منجد : من سكن فى نجد .
(٣) الطلق : الأيام السعيدة .
(٤) تبلدى : تحيرى .

فأجابه بُديل بن عبد مَناف بن أم أصْرَم ، فقال :

بكى أنس رَزْنًا فأعوله البكـــا فالاَّ عَديا إذْ تطُل وتَبْعُد (١)
بكيتُ أبَا عَبـــــس لقُرب دِمَائها فتُعذرُ إذْ لاَ يُوقدُ الحَربَ مُوقد
أصَابهم يَومَ الخَنـــــادم فتيَةٌ كِرامٌ فَسَلْ ، مِنهم نُفَيل ومَعْبد (٢)
هُنَالكُ إنْ تَسْفحْ دُموعَك لا تُلم عَليهم وإنْ لم تَدْمع العَينُ فاكمَدُوا

قال ابن إسحاق : وقال بُجير بن زهير بن أبى سلمى فى يوم الفتح .

نَفَى أهل الحَبَلق كـــل فَجٌ مُزينة غُدوة وبنو خُفَاف (٣)
ضَربنَاهُمْ بمَكة يومَ فتـــح النبـــى الخَير بالبيض الخفاف
صَبحناهَم بسبـــع من سُليم وألف مـــن بَنى عُثمان واف
نطَا أكتافهم ضربًا وطعنًا ورشقًا - بالمريشـــة اللطاف
تَرى بين الصفوف لَها حفيفًا كما انصاع الفواق من الرصاف
فَرحنا والجيادُ تجول فيهم بأرمــــــاح مُقَوَّمة الثُقَاف
فَأبنا غانمين بما اشتهـــينا وآبوا نادمين علـــى الخلاف
وأعطينا رســـولَ الله منَّا مَواثقنا على حُسن التصـــافى
وقد سمـــعوا مَقالتَنا فهموا غَداة الرَّوع مـــنا بانصراف

* * *

(١) تطل : يبطل دمها ويصير هدراً .
(٢) الخنادم : أراد يوم الخندمة ، والخندمة : جبل بمكة .
(٣) الحبلق : أرض يسكنها قبائل من مُزينة ، وقيس ، والحبلق : الغنم الصغار ، ولعله أراد بقوله : أهل الحبلق أصحاب الغنم ، وبنو عثمان هم مزينة وهم بنو عثمان بن لاطم بن أد ابن طابخة ، ومزينة أمهم بنت كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن الحاف بن قضاعة ، وأختها : الحوأب التى عرف بها ماء الحوأب المذكور فى حديث عائشة حين قال رسول الله ﷺ لنسائه ما معناه : من منكن تنبحها كلاب الحوأب . فنبحت الكلاب عائشة رضي الله عنها فى قصة وقعة الجمل ،وأصل الحوأب فى اللغة القدح الضخم الواسع وبنو خفاف بطن من سليم .

مَسِيرُ خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بنى جُذيمة من كِنانة[١] ومَسير علىٍّ لتلافِى خَطأ خالد

قال ابن إسحاق : وقد بعث رسول الله ﷺ فيما حول مكة السرايا تدعو إلى الله عز وجل ، ولم يأمرهم بقتال ، وكان ممن بعث خالد بن الوليد ، وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعيا [٢] ، ولم يبعثه مقاتلا ، فوطىء بنى جذيمة ، فأصاب منهم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف ، عن أبى جعفر محمد بن على ، قال : بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعيا ، ولم يبعثه مقاتلا ، ومعه قبائل من العرب : سليم بن منصور ، ومُدلج ابن مرة ، فوطئوا بنى جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة ، فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح ، فإن الناس قد أسلموا .

قال ابن إسحاق : فحدثنى بعض أصحابنا من أهل العلم من بنى جذيمة ، قال : لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جحدم : ويلكم يا بنى جذيمة ! إنه خالد والله ! ما بعد وضع السلاح إلا الإسار [٣] ، وما بعد الإسار إلا ضرب الأعناق ، والله لا أضع سلاحى أبدًا . قال : فأخذه رجال من قومه ، فقالوا : يا جحدم ، أتريد أن تسفك دماءنا ؟ إن الناس أسلموا ووضعوا السلاح ، ووضعت الحرب ، وأمن الناس . فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم السلاح لقول خالد .

قال ابن إسحاق : فحدثنى حكيم بن حكيم ، عن أبى جعفر محمد بن على ، قال : فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك ، فكتفوا ، ثم عرضهم على السيف ، فقتل من قتل منهم فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ ، رفع يديه إلى السماء ، ثم قال : اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد [٤] .

---

(١) تسمى أيضًا غزوة الغميط ، وهو ماء لبنى جذيمة ، كما ذكر السهيلى فى الروض الأنف ٤ / ١٢٠ .

(٢) أى داعيا إلى الإسلام . (٣) أى الأسر .

(٤) وذلك لأن رسول الله ﷺ لم يأمره بالقتال وإنما أمره بالدعوة ونشر الإسلام .

قال ابن إسحاق : فحدثني حكيم بن حكيم ، عن أبي جعفر محمد بن علي قال: ثم دعا رسول الله ﷺ ، علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، فقال : يا علي ، اخرج إلى هؤلاء القوم ، فانظر في أمرهـم ، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك ، فخرج عليّ حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله ﷺ ، فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال ، حتى إنه ليدي لهم ميلغة الكلب [1] ، حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه ، بقيت معه بقية من المال ، فقال لهم علي رضوان الله عليه حين فرغ منهم : هل بقي لكم بقية من دم أو مال لم يـود لكم ؟ قالوا : لا . قال : فإني أعطيكم هذه البقية من هذا المال ، احتياطا لرسول الله ﷺ ، مما يعلم ولا تعلمون ، فـفعل . ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر . فقال : أصبت وأحسنت! قال ثم قام رسول الله ﷺ فاستقبل القبلة قائما شاهراً يديه ، حتى ليرى مما تحت منكبيه، يقول: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد، ثلاث مرات .

قال ابن إسحاق : وقد قال بعض من يعذر خالداً إنه قال : ما قاتلت حتى أمرني بذلك عبد الله بن حذافة السهمي ، وقال : إن رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الإسلام .

قال ابن إسحاق : وقد كان جحدم قال لهم حين وضعوا السلاح ورأى ما يصنع خالد ببني جذيمة : يا بني جذيمة ، ضاع الضرب ، قد كنت حذرتكم ما وقعتم فيه . قد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف ، فيما بلغني ، كلام في ذلك ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : عملت بأمر الجاهلية في الإسلام . فقال : إنما ثأرت بأبيك . فقال عبد الرحمن : كذبت ، قد قتلت قاتل أبي ، ولكنك ثأرت بعمك الفاكه بن المغيرة ، حتى كان بينهما شر [2] . فبلغ ذلك رسـول الله ﷺ ، فقال : مهـلا يا خالد ، دع عنك أصحابي ، فوالله لو كان لك أحد ذهبا ثم أنفقته في سـبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابي ولا روحته [3] .

● ما كان بين قُريش وبني جُذيمة في الجاهلية :

وكان الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وعوف بن عبد عوف ابن عبد الحارث بن زُهرة ، وعفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس قد خرجوا

(١) ميلغة وميلغ: مسقاة تصنع من خشب ليلغ فيها الكلب ، والجمع : ميالغ ، وموالغ .
(٢) أي كاد الخلاف أن يؤدي إلى الشجار بينهما .
(٣) دليلا على منزلة السابقين إلى الإسلام - رضي الله عنهم - .

تجارًا إلى اليمن . ومع عفان ابنه عثمان ، ومع عوف ابنه عبد الرحمن فلما أقبلوا حملوا مال رجل من بنى جذيمة بن عامر ، كان هلك باليمن ، إلى ورثته [(١)] ، فادّعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام ، ولقيهم بأرض بنى جذيمة قبل أن يصلوا إلى أهل الميت ، فأبوا عليه ، فقاتلهم بمن معه من قومه على المال ليأخذوه ، وقاتلوه ، فقُتل عوف والفاكه بن المغيرة ونجا عفان بن أبى العاص وابنه عثمان ، وأصابوا مال الفاكه ابن المغيرة ، ومال عوف بن عبد عوف ، فانطلقوا به ، وقتل عبد الرحمن بن عوف خالد بن هشام قاتل أبيه، فهمت قريش بغزو بنى جذيمة ، فقالت بنو جذيمة : ما كان مصاب أصحابكم عن ملإ منا، إنما عدا عليهم قوم بجهالة، فأصابوهم ولم نعلم، فنحن نعقل لكم ما كان لكم قبلنا من دم أو مال فقبلت قريش ذلك ، ووضعوا الحرب .

وقد قال قائل من بنى جذيمة ، وبعضهم يقول : امرأة يقال لها سَلْمى :

ولَولا مَقال القَوم للقوم أسلموا ... لَلاقَتْ سُلَيم يَومَ ذَلك نَاطحَا
لَماصَعَهم بُسر وأصحاب جَحدم ... ومرة حتى يتركوا البَرك ضَابحَا [(٢)]
فَكائن تَرى يَوم الغُمَيصاء مَن فتًى ... أُصيبَ ولَم يَجرح وقَد كان جارحَا [(٣)]
أَلظتْ بخطاب الأيَامَى وطُلِّقَتْ ... غَدَاتئذ منهن من كان نَاكحَا [(٤)]

قال ابن إسحاق : فأجابه عباس بن مرداس ، و يقال بل الجحاف بن حكيم السلمى :

دَعى عنك تقوال الضَلال كَفى بنا ... لكَبش الوغَى فى اليوم والأمس نَاطحَا
فَخالد أولَى بالتَّعذر منْكُمُ ... غَداة عَلا نهجا من الأمرَ واضحَا
معانا بأمر الله يُزجى إليكُمُ ... سَوانح لا تكبو له وبَوارحَا
نَعوا مَالكا بالسَّهل لما هَبطنه ... عَوابس فى كابى الغُبَار كوالحَا [(٥)]
فإن نَكُ أثكلناكِ سلمى فما لكِ ... تركتم عليه نائحات ونائحا

(١) وهذا من أخلاق الجاهلية الحميدة التى أقرها الإسلام وهى خلق الأمانة فإذا كان أولئك المشركون حملوا مال من مات معهم غريبًا عن بلده إلى أهله وورثته وقاتلوا من أراد أخذ هذا المال حتى يحول بينهم وبين ورثة الرجل ، فأولى بالمسلمين اليوم أن يتحلوا بهذه الأخلاق التى أقرها الإسلام ومدحها فقال ﷺ : « لا دين لمن لا أمانة له » .

(٢) المماصعة : المضاربة بالسيوف : البرك : الإبل الباركة .

(٣) الغميصاء : هو ما يخرج من العين ، والمراد هنا موضع فى بادية العرب قرب مكة كان يسكنه بنو جذيمة بن عامر .

(٤) ألظت : لزمت . والأيامى : من لا زوج لها .

(٥) كابى : مرتفع ، الكوالح : العوابس .

خبر ابن أبي حدرد مع بني جذيمة : قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة ابن المغيرة بن الأخنس ، عن الزهرى ، عن ابن أبى حدرد الأسلمى ، قال : كنت يومئذ فى خيل خالد بن الوليد ، فقال لى فتى من بنى جذيمة ، وهو فى سنى ، وقد جمعت يداه إلى عنقه برمة (١) ، ونسوة مجتمعات غير بعيد منه : يا فتى ، فقلت : ما تشاء ؟ قال : هل أنت آخذ بهذه الرمة ، فقائدى إلى هؤلاء النسوة حتى أقضى إليهن حاجة ، ثم تردنى بعد ، فتصنعوا بى ما بدا لكم ؟ قال : قلت : والله ليسير ما طلبت . فأخذت برمته فقدته بها ، حتى وقف عليهن ، فقال : اسلمى حبيش ، على نفد من العيش (٢) :

أَريتُك إذ طَالبتكم فَوجَدْتُكُم ... بحيلة أو أَلفَيْتُكم بالخَوانِق (٣)
أَلَم يَكُ أَهلا أن ينوَّل عَاشِقٌ ... تكلَّف إدلاج السُّرى والودائق (٤)
فَلا ذَنبَ لى قَد قُلتُ إذْ أَهلنا معًا ... أثيبى بود قَبل إحدى الصَفائق (٥)
أَثيبى بود قَبل أن تُشحط النَّوَى ... وَينأى الأميرُ بَالحبيب المُفَارق
فَإنى لا ضَيَّعـــتُ سِرَّ أَمانة ... وَلا رَاق عَينى عَنْك بَعْدك رَائق
سوى أَنْ مَا نَال العَشيرة شَاغلٌ ... عَن الوُدِّ إلا أنْ يكون النَوامِق (٦)

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، عن الزهرى عن ابن أبى حدرد الأسلمى قال : قالت : وأنت فحييت سبعا وعشرا ، وترا وثمانيا تترى قال : ثم انصرفت به . فضربت عنقه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى أبو فراس بن أبى سنبلة الأسلمى ، عن أشياخ منهــم ، عمن كان حضرها منهم ، قالوا : فقامت إليه حين ضربت عنقه ، فأكبت عليه ، فما زالت تقبله حتى ماتت عنده .

● شعر أحد بنى جذيمة :

قال ابن إسحاق : وقال رجل من بنى جُذيمة :

جَزى اللهُ عنا مُدلجا حيث أصبحت ... جَزاءة بُؤسٍ حَيث سَارتْ وحلت
أقاموا على أقْضَاضنا يقســـمونَها ... وقد نَهَلَتْ فِينا الرِّمَاحُ وعَلت

(١) الرمة : الحبل البالى .(٢) نفد العيش : فناؤه. (٣) الحلية والخوانق : موضعان .
(٤) الإدلاج : السير ليلا ، الدوائق : جمع وديقة وهى شدة الحر .
(٥) الصفائق : النوائب . (٦) التوامق : شدة الحب .

فَواللهِ لَولا دِينُ آلِ محمَّدٍ ... لقد هَرَبتْ منهم خُيول فشلَّت
وَمَا ضَرهم أن لا يَعينُوا كِتيبةً ... كَرِجل جراد أرْسلَت فاشمعلَت (١)
فَإما يُنِيبُوا أو يثوبوا لأمرهمْ ... فَلا نَحن نجزيهم بما قد أَضلَّت

● **رد ابن وهب عليه :**

فأجابه ابن وهب رجل من بنى ليث فقال :

دَعونا إلى الإسلام والحق عامرا ... فَما ذنبنا فى عامر إذ تَولت
وَما ذنبنا فى عامر لا أبا لهم ... لأن سفهتْ أحلامهم ثم ضَلت

وقال رجل من بنى جذيمة :

لَيهنئْ بنى كعب مقدم خَالد ... وأصحابه إذ صبحتنَا الكَتائبُ
فَلاَ ترة تَسْعى بها ابن خُوَيلد ... وَقَدْ كُنْتُ مكفيا لو انك غائبُ (٢)
فَلا قَومنا يَنْهون عَنَّا غُواتهم ... وَلا الداء من يوم الغمَيصاء ذاهبُ

خالد يهدم العزى : ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى العزى وكانت بنخلة ، وكانت بيتا يعظمه هذا الحى من قريش وكنانة ومضر كلها ، وكانت سدنتها وحجابها بنى شيبان من بنى سليم حلفاء بنى هاشم ، فلما سمع صاحبها السلمى بمسير خالد إليها ، علق عليها سيفه ، وأسند فى الجبل (٣) الذى هى فيه وهو يقول :

أيا عزُّ شدِّى شدة لا شَوى لها ... على خَالد ألقى القِنَاع وشمِّرى (٤)
يَا عزُّ إنْ لم تقتُلى المرءَ خَالدًا ... فَبوئى بإثم عَاجـــــلٍ أو تَنصرى

فلما انتهى إليها خالد هدمها ، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق: وحدثنى ابن شهاب الزهرى، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود قال: أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة :

قال ابن إسحاق : وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان :

* * *

(١) اشمعلت : تفرقت . (٢) الترة : طلب الثأر . (٣) أسند فى الجبل : ارتفع فيه .
(٤) لا شوى لها : أى لا تذر شيئا

غَزْوَةُ حُنين فى سنة ثمان - بعد الفتح

قال ابن إسحاق : ولما سمعت هوازن برسول الله ﷺ وما فتح الله عليه من مكة ، جمعها مالك بن عوف النصرى ، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها ، واجتمعت نصر وجشم كلها ، وسعد بن بكر ، وناس من بنى هلال ، وهم قليل ، ولم يشهدها من قيس عيلان إلا هؤلاء ، وغاب عنها فلم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب ، ولم يشهدها منهم أحد له اسم ، وفى بنى جشم دريد بن الصمة شيخ كبير ، ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب وكان شيخا مجربا ، وفى ثقيف سيدان لهم ، فى الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود بن معتب ، وفى بنى مالك ذو الخمار سُبيع بن الحارث بن مالك ، وأخوه أحمر بن الحارث ، وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النصرى . فلما أجمع السير إلى رسول الله ﷺ حط مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، فلما نزل بأوطاس (١) اجتمع إليه الناس ، وفيهم دُريد ابن الصمَّة فى شجار (٢) له يقاد به ، فلما نزل قال : بأى واد أنتم ؟ قالوا : بأوطاس قال : نعم مجال الخيل ! لا حزن ضرس (٣) ، ولا سهل دهس (٤) ، مالى أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويعار الشاء ؟ قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم . قال : أين مالك ؟ قيل : هذا مالك ، ودعى له ، فقال : يا مالك ، إنك قد أصبحت رئيس قومك ، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام ، ما لى أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويعار الشاء ؟ قال : سقت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم ، قال : ولم ذاك ؟ قال :

---

(١) ويقال لها أيضا غزوة أوطاس سميت بالموضع الذى كانت فيه الوقعة وهو من وطست الشيء وطسًا إذا كدرته ، وأثرت فيه . والوطيس : نقرة فى حجر توقد حوله النار ، فيطبخ به اللحم ، والوطيس التنور ، وفى غـــزوة أوطاس قال النبى ﷺ : الآن حمِى الوطيس ، وذلك حين استعرت الحرب ، وهى من الكلم التى لم يسبق إليها ﷺ . راجع الروض الأنف ، وراجع أيضًا المجازات النبوية للشريف الرضى . تحقيق طه عبد الرءوف سعد ط مصطفى الحلبى .

(٢) الشجار : مركب أصغر من الهودج مكشوف أعلاه .

(٣) الحزن : المرتفع : ضرس : ما فيه حجارة مدببة .

(٤) دهس : لين التراب .

أردت أن أجعل خلف كل رجل منهم أهـــله وماله ، ليقاتل عنهم ، قال : فانقض به (١) . ثم قال : راعى ضأن ، والله ! وهل يرد المنهزم شيء ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فُضحت فى أهلك ومالك ، ثم قال : ما فعلت كعب وكلاب ؟ قالوا : لم يشهدها منهم أحد ، قال : غاب الحد والجد ، ولو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب ولا كلاب ، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب ، فمن شهدها منكـم ؟ قالوا : عمرو بن عامر ، وعوف بن عامر . قال : ذانك الجذعان (٢) من عامر ، لا ينفعان ، ولا يضـــران ، يا مالك ، إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة (٣) هوازن إلى نحور الخيل شيئا ، ارفعهم إلى متمنع بلادهم وعليا قومهم ، ثم ألق الصباء (٤) على متون الخيل ، فإن كانت لك لحق بك من وراءك ، وإن كانت عليك ألفاك ذلك قد أحرزت أهلك ومالك . قال : والله لا أفعل ذلك ، إنك قد كبرت وكبر عقلك . والله لتطيـعننى يا معشر هوازن أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهرى . وكره أن يكون لدريد بن الصمة فيها ذكر أو رأى فقالوا : أطعناك ، فقال دريد بن الصمة : هذا يوم لم أشهده ، ولم يفتنى :

يا ليتنى فِيها جَذَعْ ... أَخُبُّ فيهـا وأَضَعْ (٥)
أَقودُ وَطفاءَ الزَّمعْ ... كأنها شاةٌ صَــدعْ (٦)

• قصة الملائكة وعُيون مَالك بن عَوف :

قال ابن إسحاق : ثم قال مالك للناس : إذا رأيتموهم فاكسروا جفون (٧) سيوفكم ثم شدوا شدة رجل واحد . قال : وحدثنى أمية بن عبد الله بن عثمان أنه حدث : أن مالك بن عوف بعث عيونًا (٨) من رجاله ، فأتوه وقد تفرقت أوصالهم ،

(١) انقض به : زجره .

(٢) الجذعان : مثنى جذع : الشاب الحدث ، ويريد بهما هنا أنهما ضعيفان خاليان عن التجربة .

(٣) البيضة : الجماعة . (٤) الصباء : يقصد بهم المسلمين .

(٥) الجذع : الشاب الحدث ، ويريد به هنا قوة الشباب .

(٦) الوطفاء : طويلة الشعر . والشاة : الوعل . صـــدع : متوسط بين العظيم والحقير .

(٧) أى غطاء سيوفكم وهو الغمد . (٨) أى جواسيس يلتمسون الأخبار .

فقال : ويلكم ! ما شأنكم ؟ فقالوا : رأينا رجالاً بيضًا على خيل بلق [١] ، فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى ، فوالله ما رده ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد .

قال ابن إسحاق : ولما سمع بهم نبى الله ﷺ بعث إليهم عبد الله بن أبى حدرد الأسلمى ، وأمره أن يدخل فى الناس ، فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ، ثم يأتيه بخبرهم ، فانطلق ابن أبى حدرد ، فدخل فيهم ، فأقام فيهم ، حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله ﷺ ، وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه ، ثم أقبل حتى آتى رسول الله ﷺ ، فأخبره الخبر ، فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب ، فأخبره الخبر فقال عمر : كذب ابن أبى حدرد . فقال ابن أبى حدرد : إن كذبتنى فربما كذبت بالحق يا عمر ، فقد كذبت من هو خير منى . فقال عمر : يا رسول الله ، ألا تسمع ما يقول ابن أبى حدرد ؟ فقال رسول الله ﷺ : قد كنت ضالا فهداك الله يا عمر [٢] .

• الرسول ﷺ يستعير أدرع صفوان :

فلما أجمع رسول الله ﷺ السير إلى هوازن ليلقاهم ذُكر له أن عند صفوان بن أمية أدرعًا [٣] وسلاحاً . فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك فقال : يا أبا أمية ، أعرنا [٤] سلاحك هذا نلق فيه عدونا غدًا ، فقال صفوان : أغصبا يا

---

(١) وهم الملائكة أيد الله بهم المسلمين وأنزلهم لنصرة المسلمين ، ومن المعجزات أن المشركين رأوهم وهم فى صور فرسان على خيل جياد فألقى الله فى قلوبهم الرعب وفروا هاربين وسبق أن أنزل الله الملائكة تقاتل فى صفوف المسلمين يوم بدر مع رسول الله ﷺ وكان هذا هو العون الحق والنصر المبين ، ورأى المشركون أيضًا يومها الملائكة وهم يقاتلونهم فيضربون الواحد منهم ضربة يموت بها ، وهذا وعد الله رسوله الذى وعده حيث قال : ﴿ **وكان حقًا علينا نصر المؤمنين** ﴾ .

(٢) أى كان ضالا فى الجاهلية فهداه الله بالإسلام ، وفى هذا يقول عمر معتزًا بذلك : كنا أذلة فأعزنا الله بالإسلام . وقال عنه النبى ﷺ : « اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين أى عمر بن الخطاب ، أو عمرو بن هشام (أبو جهل) » رجا الرسول ﷺ إسلام أحدهما فهدى الله عمر بن الخطاب فأسلم وأضل عمرو بن هشام فغوى .

(٣) جمع درع : وكذلك دروع .

(٤) أى أقرضنا .

محمد ؟ قال : بل عارية (١) ومضمونة حتى نؤديها إليك ، قال : ليس بهذا بأس ، فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح ، فزعموا أن رسول الله ﷺ سأله أن يكفيهم (٢) حملها ، ففعل .

• خُروج الرسول ﷺ إلى هَوازن :

قال : ثم خرج رسول الله ﷺ ومعه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ، ففتح الله بهم مكة ، فكانوا اثنى عشر ألفاً واستعمل رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس على مكة ، أميرًا على من تخلف عنه من الناس ، ثم مضى رسول الله ﷺ على وجهه يريد لقاء (٣) هوازن .

قصيدة ابن مِرْدَاس : فقال عباس بن مرداس السلمى :

أَصَابتْ العام رِعْلاً غَولُ قَومهم ... وَسْطَ البيُوت ولَونُ الغول ألْوانُ (٤)
يَا لَهْفَ أُمٍّ كلاب إذْ تَبيتهم ... خَيْلُ ابنُ هَوْذَة لا تُنهى وإنسانُ (٥)
لاَ تَلْفظُوها وشدُّوا عَقْد ذمَّتكُم ... إنْ ابنَ عَمكُم سَعْد ودُهمانُ (٦)
لَنْ تَرجعُوهَا وإنْ كَانت مُجللة ... مَا دَام فى النَّعم المأخوذ ألبانُ
شنْعَاءُ جُلل من سَوآتها حضـــن ... وَسال ذُو شَوغر منها وسلْوانُ (٧)
لَيْستْ بأطيب مما يَشْتَوى حَذَفٌ ... إذْ قَال : كل شَواءِ العيرِ جُوْفانُ (٨)

---

(١) أى نستعيرها .

(٢) أى ينقلها لهم .

(٣) أى حربهم .

(٤) رعل : قبيلة من سُليم . وفى الحديث : قنت رسول الله ﷺ شهرًا يدعو على رعل وذكوان وعُصية ، وهم الذين غدروا بأصحاب بئر معونة ، وقد مضى حديثهم فيما تقدم من السيرة . الغول : الداهية .

(٥) إنسان : قبيلة من قيس ثم من بنى نصر . وقيل هم من بنى جشم بن بكر .

(٦) سعد ودهمان : ابنا نصر بن معاوية بن بكر .

(٧) حضن : جبل فى نجد . ذو شوغر وسلوان : واديان .

(٨) حذف : اسم رجل . العير : حمار الوحش ، الجوفان : غرموله (ذكره) .

وفِى هَوازِنَ قَومٌ غَيْرَ أَنْ بهم ... دَاءُ اليمانى فإن لم يَغْدِروا خانُوا
فِيهم أخٌ لَو وفـــوا أو بر عَهْدهم ... ولَو نهكـــناكم بالطعن قد لأَنُوا
أَبْلِغْ هَوازِنَ أَعلاَها وأسفَلها ... منى رِسَالة نصْـــحٍ فَيه تِبيانُ
أنى أظن رَسولَ الله صَابحِكُم ... جَيشاً له فى فَضاء الأَرض أركانُ
فِيهم أخوكم سُليم غَير تَارككُم ... والمســـلمون عِبَادُ الله غسَانُ
وَفى عضَادته اليمنَى بَنو أَسد ... والأَجْرُبان بَنو عَبْس وذُبْيانُ [١]
تَكاد تَرجفُ منه الأرضُ رَهْبَتَهُ ... وفَى مَقْدمِه أَوسٌ وعَثمانُ

قال ابن إسحاق : أوس وعثمان : قبيلا مزينة :

• قصة الشجرة ذات أنواط :

قال ابن إسحاق : فحدثنى ابن شهاب الزهرى ، عن سنان بن أبى سنان الدُّولى عن أبى واقد الليثى ، أن الحارث بن مالك قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية [٢] ، قال : فسرنا معه إلى حُنين قال : وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء ، يقال لها ذات أنواط ، يأتونها كل سنة ، فيعلقون أسلحتهم عليها ، ويذبحون عندها ، ويعكفون عليها يومًا . قال : فرأينا ونحن نسير مع رسول الله ﷺ سدرة خضراء عظيمة ، قال فتنادينا من جنبات الطريق : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنـواط كما لهم ذات أنواط . قال رسول الله ﷺ : الله أكبر ، قلتم ، والذى نفس محمد بيده ، كما قال قوم موسى لموسى : ﴿ **اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون** ﴾ [٣] إنها السنن ، لتركبن سَنَن مَن كان قبلكم .

• لقاء هوازن وثبات الرسول ﷺ :

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصـم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : لما استقبلنا وادى حُنين انحدرنا فى واد من

---

(١) سماهما بالأجربين تشبيها بالأجرب الذى لا يقرب .

(٢) أى أسلموا حديثًا .

(٣) سورة الأعراف الآية : ١٣٨ .

أودية تهامة أجوف خطوط ، إنما تنحدر فيه انحدارًا ، قال : وكان في عماية الصبح ، وكان القوم قد سبقونا إلى الوادي ، فكمنوا لنا في شعابه وأحنائه ومضايقه ، وقد أجمعوا وتهيئوا وأعدوا ، فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتائب قد شدوا علينا شدة رجل واحد وانشمر (١) الناس راجعين لا يلوى أحد على أحد · وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين ثم قال : أين أيها الناس ؟ هلموا إليَّ ، أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله ، قال : فلا شيء ، حملت الإبل بعضها على بعض ، فانطلق الناس ، إلا أنه قد بقي مع رسول الله ﷺ نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته ·

● من ثبت مع الرسول ﷺ :

وفيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر ، ومن أهل بيته علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وأبو سفيان بن الحارث، وابنه، والفضل بن العباس ، وربيعة بن الحارث وأسامة بن زيد ، وأيمن ابن أم أيمن بن عبيد قُتل يومئذ ·

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قَتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : ورجل من هوازن على جمل له أحمر ، بيده راية سوداء في رأس رمح له طويل ، أمام هوازن ، وهوازن خلفه ، إذا أدرك طعن برمحه ، وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه ·

قال ابن إسحاق : فلما انهزم الناس ، ورأى من كان مع رسول الله ﷺ من جفاة أهل مكة الهزيمة ، تكلم رجال منهم بما في أنفسهم من الضغن ، فقال أبو سفيان بن حرب : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر ، وإن الأزلام لمعه في كنانته · وصرخ جبلة بن الحَنبَل (٢) ، وهو مع أخيه صفوان بن أمية مشرك في المدة التي جعل له رسول الله ﷺ : ألا بطل السحر اليوم ! فقال له صفوان : اسكت فض الله فاك فوالله لأن يربّني رجل من قريش أحب إليَّ من أن يربني رجل من هوازن ·

شيبة بن طلحة يحاول قتل الرسول ﷺ : قال ابن إسحاق : وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة ، أخو بني عبد الدار : قلت : اليوم أدرك ثأري ، وكان

---

(١) انشمروا : أي رجعوا سراعًا ·

(٢) قال ابن هشام : كلدة بن الحنبل ، وذكر ابن هشام أبياتًا لحسان بن ثابت يهجو بها كلدة منها :

رأيت سوادًا من بعيد فراعني   أبو حنبل ينزو على أم حنبل

أبوه قتل يوم أُحد ، اليوم أقتل محمداً · قال : فأدرت برسول الله لأقتله ، فأقبل شيء حتى تغشى فؤادى ، فلم أطق ذاك ، وعلمت أنه ممنوع منى ·

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أهل مكة أن رسول الله ﷺ قال حين فصل من مكه إلى حنين ورأى كثرة من معه من جنود الله : لن نغلب اليوم من قلة ·

قال ابن إسحاق : وزعم بعض الناس أن رجلاً من بنى بكر قالها ·

• النصر بعد الهزيمة :

قال ابن إسحاق : وحدثنى الزهرى ، عن كُثير بن العباس ، عن أبيه العباس ابن عبد المطلب ، قال : إنى لمع رسول الله ﷺ آخذ بحكمة بغلته البيضاء قد شجرتها بها قال : وكنت امرءاً جسيمًا شديد الصوت ، قال : ورسول الله يقول حين رأى ما رأى من الناس : أين أيها الناس ؟ فلم أرَ الناس يلوون على شيء · فقال : يا عباس اصرخ ، يا معشر الأنصار : يا معشر أصحاب السمرة ، قال : فأجابوا : لبيك ! لبيك ! قال : فيذهب الرجل ليثنى بعيره ، فلا يقدر على ذلك فيأخذ درعه ، فيقذفها فى عنقه ، ويأخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بعيره ! ويخلى سبيله فيؤم الصوت ، حتى ينتهى إلى رسول الله ﷺ · حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة ، استقبلوا الناس ، فاقتتلوا وكانت الدعوى أول ما كانت يا للأنصار · ثم خلصت أخيرًا : يا للخزرج · وكانوا صبراً عند الحرب ، فأشرف رسول الله ﷺ فى ركائبه · فنظر إلى مجتلد القوم وهم يجتلدون · فقال : الآن حمى الوطيس ·

• شَجاعة الإمام على :

قال ابن إسحاق : حدثنى عَاصم بن عمر بن قَتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : بينا ذلك الرجل من هَوازن صاحب الراية على جمله يصنع ما يصنع إذ هوى له على بن أبى طالب رضوان الله عليه ورجل من الأنصار يريدانه ، قال : فيأتيه على بن أبى طالب من خــلفه ، فضرب عرقوبى الجمل ، فوقع على عجزه ، ووثب الأنصارى على الرجل ، فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساق ، فانجعف عن رحله ، قال : واجتلد الناس ، فوالله ما رجعت راجعة النّاس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله ﷺ ·

قال : والتفت رسول الله ﷺ إلى أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وكان ممن صبر يومئذ مع رسول الله ﷺ ، وكان حسن الإسلام حين أسلم ، وهو آخذ بثفر بغلته ، فقال : من هذا ؟ قال : أنا ابن أمك يا رسول الله ·

• أُمُّ سُلَيم فى المعركة :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر أن رسول الله ﷺ التفت فرأى أم سُليم بنت مَلْحان [١] وكانت مع زوجها أبى طلحة [٢] وهى حازمة وسطها ببُرد لها ، وإنها لحامل بعبد الله بن أبى طلحة ، ومعها جمل أبى طلحة وقد خشيت أن يعزها الجمل ، فأدنت رأسه منها ، فأدخلت يدها فى خزامته مع الخطام ، فقال لها رسول الله ﷺ : أم سليم ؟ قلت : نعم ، بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، اقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك ، فإنهم لذلك أهل ، فقال رسول الله ﷺ : أو يكفى الله يا أم سُليم ؟ قال : ومعهـا خنـجر ، فقال لها أبو طلحة : ما هذا الخنجر معك يا أم سليم ؟ قالت : خنجر أخذته ، إن دنا منى أحد من المشركين بعجته به قال : يقول أبو طلحة : ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم الرُّميصاء .

قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله ﷺ ، حين وجه إلى حُنين ، قد ضم بنى سليم الضحاك بن سفيان الكلابى ، فكانوا إليه ومعه ، ولما انهزم الناس قال مالك بن عوف يرتجز بفرسه :

أَقدم محاج إنه يـــومٌ نكُرْ ... مثلى على مِثْلك يحمى ويَكُر
إذَا أُضيعَ الصف يَوما والدُّبرْ ... ثُم احزألَّتْ زُمرٌ بَعْدَ زُمَرْ [٣]
كَتائبُ يكلُّ فيهـــن البَصَرْ ... قَدْ أطعن الطَّعْنة تَقْذى بالسبرْ [٤]
حَين يذم المستـــكين المنجحر ... وأطعن النَّجلاء تَعْوى وتَهرْ [٥]
لَها من الجـــوف رَشَاش منهمر ... تفهق تارات وحينا تنفجرْ [٦]

(١) واسمها : مليكة ، ويقال : رميلة ، وقيل : سهيلة .
(٢) واسمه زيد بن سهل بن الأسود بن حرام .
(٣) احزألت : ارتفعت .
(٤) السبر : جمع سبير وهو الفتيل يسبر به الجرح .
(٥) النجلاء : الطعنة الواسعة . تعوى وتهر : أى يسمع لخروج الدم منها أصوات كالعواء والهرير .
(٦) تفهق : تنفتح .

وثَعْلَبُ العَامِلِ فيـــها مُنْكَسِرُ ... يا زيد يابنَ هَمْهَم أين تفرْ (١)
قَدْ نفَدَ الضَّرب وقـــد طَال العمر ... قد علم البيض الطويلات الخمرْ
إِنى فى أمثـــــالها غير غَمِر ... إذ تَخرج الحاصن مِن تحت السترْ

• قصة أبى قَتادة وسَلَبُه (٢) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، أنه حدث عن أبى قَتادة الأنصارى قال : وحدثنى من لا أتهم من أصـــحابنا ، عن نافع مـــولى بنى غفار أبى محمد بن أبى قتادة ، قال : قال أبو قتادة : رأيتُ يومَ حُنين رجلين يقتتلان ، مسلمًا ومشركًا ، قال : وإذا رجل من المشركين يريد أن يعين صاحبه المشرك على المسلم . قال : فأتيته ، فضربت يده فقطعتها ، وأعتنقنى بيده الأخرى ، فوالله ما أرسلنى حتى وجدت ريح الدم (٣) وكاد يقتلنى فلولا أن الدم نزفه لقتلنـى ، فسقط ، فضربته فقتلته ، وأجهضنى عنه القتال ، ومر به رجل من أهل مكة فسلبه (٤) ، فلما وضعت الحرب أوزارها وفرغنا من القوم ، قال رســول الله ﷺ : من قتــل قتيلاً فله سلبه (٥) . فقلت : يا رسول الله ، والله لقد قتلت قتيلاً ذا سلب ، فأجهضنى عنه القتال ، فما أدرى من استلبه فقال رجل من أهل مكة : صدق يا رسول الله ، وسلبُ ذلك القتيل عندى ، فأرضه عنى من سَلَبه (٦) ، فقال أبو بكـــر الصديق ﷺ : لا والله ، لا يرضيه منه ، تعمد إلى أســـد من أسد الله . يقاتل عن دين الله ، تقسامه سلبه ؟! اردد عليه سلب قتيله ، فقال رسول الله ﷺ : صدق فاردد عليه سلبه فقال أبو قتادة : فأخذته منه ، فبعته ، فاشتريت بثمنه مخرَفًا (٧) فإنه لأول مال اعتقدته .

(١) الثعلب : عصا الرمح الداخلة فى السنان . العامل : أعلى الرمح .
(٢) السلب : هو ما يكون مع المحارب من متاع وأموال وسلاح .
(٣) قال ابن هشام : يروى : ريح الموت . (٤) أى أخذ متاعه وما معه .
(٥) وصار هذا فى عهد الرسول ﷺ وبعده أن من قتل قتيلاً فى المعركة فله أن يأخذ متاعه وأمواله وسلاحه .
(٦) يريد أن يقاسمه سلبه أو يأخذ منه شيئًا .
(٧) مخرَف بفتح الراء : نخلة واحدة أو نخلات أقل من العشرة ، والمخوف بكسر الميم الآلة التى تخترف بها الثمرة .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن أبى سـلمة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أنس بن مالك ، قال : لقد استلب أبو طلحة يوم حنين وحده عشرين رجلا ·

الملائكة تحضر القتال : قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاق بن يسار ، أنه حُدث عن جبير بن مطعم ، قال : رأيت - قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون - مثل البجاد [(١)] الأسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم ، فنظرت ، فإذا نمل أسود مبثوث ، قد ملأ الوادى لم أشك أنها الملائكة ، ثم لم يكن إلا هزيمة القوم ·

قال ابن إسحاق : ولما هزم الله المشركين من أهل حُنين ، وأمكن رسوله ﷺ منهم ، قالت امرأة من المسلمين :

قد غلبتْ خيل الله خيل اللات   والله أحـــق بالثبـات

قال ابن إسحاق : فلما انهزمت هَوازن استحر القتل مَن ثقيف فى بنى مالك ، فقُتل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم ، فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث ابن حبيب ، وكانت رايتهم مع ذى الخمار [(٢)] ، فلما قتل أخذها عثمان بن عبد الله ، فقاتل بها حتى قتل ·

قال ابن إسحاق : وأخبرنى عامر بن وهب بن الأسـود ، قال : لما بلغ رسول الله ﷺ قتله ، قال : أبعده الله ، فإنه كان يبغض قريشا ·

• قصة الغلام الأغرل [(٣)] :

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس : أنه قتل مع عثمان بن عبد الله غلام له نصرانى أغرل ، قال : فبينا رجل من الأنصار يسلب قتلى ثقيف ، إذا كشف العبد يسلبه ، فوجده أغرل · قال : فصاح بأعلى صوته : يا معشر العرب : يعلم الله أن ثقيفا غرل · قال المغيرة بن شعبة : فأخذت بيده ، وخشيت أن تذهب عنا فى العرب ، فقلت : لا تقل ذاك ، فداك أبى وأمى ، إنما هو غلام لنا نصرانى · قال ثم جعلت أكشف له عن القتلى ، وأقول له : ألا تراهم مختتنين كما ترى ·

---

(١) البجاد : يعنى الكساء من النمل مبثوثا ·   (٢) هو عوف بن الربيع ·

(٣) الأغرل : غير المختتن ·

• فرار قَارِب وقومه :

قال ابن إسحاق : وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود ، فلما انهزم الناس أسند رايته إلى شجرة ، وهرب هو وبنو عمه وقومه من الأحلاف ، فلم يُقتل من الأحلاف غير رجلين : رجل من غيرة ، يقال له : وهب ، وآخر من بنى كُبة ، يقال له : الجلاَّح ، فقال رسول الله ﷺ حين بلغه قتل الجلاح : قتل اليوم سيد شباب ثقيف ، إلا ما كان من ابن هنيدة ، يعنى بابن هنيدة الحارث بن أويس .

• شعر ابن مرداس :

فقال عباس بن مرداس السلمى يذكر قارب بن الأسود وفراره من بنى أبيه ، وذا الخمار وحبسه قومه للموت :

أَلا مـــن مُبلغ غَيلانَ عنِّى ... وَسوف إخال يأتيهُ الخَبير [١]
وَعروةَ إنما أهـــدى جوابًا ... وقَولاً غير قولكـــما يَسيرُ
بأن محـــمدًا عبدٌ رسولٌ ... لِربٌ لا يضِلُّ ولا يَجورُ
وجَدناه نبيًّا مِثْلَ مُوســـى ... فكُل فتًى يَخـــايرهُ مَخيرُ
وَبِئس الأمر أمر بَنِـــى قَسِىٍّ ... بوج إذ تقسمت الأمورُ [٢]
أَضاعوا أمرهـــم ولكلٌ قومٍ ... أميرٌ والـــدوائر قد تدورُ
فجئنا أُســـد غابات إليهم ... جنود الله ضاحـــية تسيرُ
تؤم الجمع جمـــع بَنِى قسى ... على حنـــق نكاد له نَطيرُ
وأقسم لو هم مكـــثوا لسرنا ... إليهم بالجنود ولم يغورروا
فكنا أســـد لية ثَم حتى ... أبحناها وأســـلمت النُّصُورُ
ويوم كان قـــبل لَدَى حُنين ... فَأَقلع والـــدماءُ بهَ تَمورُ
مَن الأيامِ لَم تسمـــع كيومٍ ... ولم يسمـــع به قوم ذكور

---

(١) الفعل المستقبل هو : يأتيه ، ولكن حرف « سوف » دخل على إخال وبرغم هذا فإن ما يدل عليه الاستقبال هو الفعل الثانى « يأتيه » .

(٢) قسى : اسم ثقيف ، بوج : واد بالطائف قبل حنين .

قَتَلْنَا فـــى الغُبَار بَنِى حَطِيط ... عَلَى رَايَاتهـــا والخَيل زورُ (١)
وَلم يَكُ ذُوْ الخمار رئيس قَوم ... لَهم عَقْل يُعاقِب أو مكيرُ
أَقام بهم على سُنَن المَنَايا ... وَقد بانت لمبصــــرها الأمورُ
فَأفلت منَ نَجا منهم جَرِيضًا ... وقتل منهـــم بشر كثيرُ (٢)
وَلا يغنى الأمور أخو التوانى ... ولا الغلق الصُّرِيرة الحصورُ (٣)
أَحانهـــم وحَان ومَلَّكُوه ... أَمُورهم وأفْلتت الصُّقُورُ
بَنو عَوْف تميح بهـــم جياد ... أهين لَها القَصافص والشعيرُ (٤)
فَلولا قَارب وَبنـــو أبيه ... تَقَسَّمت المزَارع والقُصُــــورُ
وَلكن الرِيَاسة عَمــــموها ... على يمن أشـــار به المشيرُ
أَطاعوا قَاربا ولهــــم جُدود ... وأحلام إلـــى عز تصيرُ
فَإن يَهدوا إلى الإسلام يلفوا ... أنوف الناس مَا ســمر السميرُ
وَإن لم يَسلـــموا فهم أذان ... بَحربِ الله ليـــس لهم نَصير
كَما حكَّت بنى سعـد وحرب ... برَهط بنى غزية عنقفيرُ (٥)
كأن بنى معاوية بن بكـــر ... إلى الإسلام ضـــائنة تخورُ
فَقلنا أسلـــموا إنا أخوكم ... وقد برأت من الإحن الصدورُ
كأن القوم إذ جَاءوا إلينـــا ... من البَغضاء بعد السلـــم عورُ

مقتل دُريد : قال ابن إسحاق : ولما انهزم المشركون ، أتوا الطائف ومعهم

(١) زور : مائلة .
(٢) الجريض : من يغص بريقه . والجمع : جرضى .
(٣) الغلق : ضيق الخلق . الصريرة : مصغر الصرورة وهو الذى لم يتزوج ، والحصـــور : الذى لا يأتى النساء .
(٤) تميح : تمشى مشيا مستويا . الفصافص : جمع فصفصة : النبات الذى تأكله المواشى رطبا .
(٥) العنقفير : الداهية .

مالك بن عوف ، وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجه بعضهم نحو نخلة ، ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة إلا بنو غيرة من ثقيف ، وتبعت خيل رسول الله ﷺ من سلك فى نخلة من الناس ، ولم تتبع من سلك الثنايا .

فأدرك ربيعة بن رفيع بن ثعلبة بن ربيعة بن يربوع بن سمال بن عوف بن امرئ القيس ، وكان يقال له ابن الدُّغنة وهى أمه ، فغلبت على اسمه أدرك دُرَيْد بن الصمة ، فأخذ بخطام جمله وهو يظن أنه امرأة ، وذلك أنه فى شجار له ، فإذا برَجُل فأناخ به فإذا شيخ كبير ، وإذا هو دُريد بن الصمة ولا يعرفه الغـلام ، فقال له دُريد : ماذا تريد بى ؟ قال : أقتلك ، قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ربيعة بن رفيع السلمى ، ثم ضربه بسيفه ، فلم يغن فيه شيئًا ، فقال : بئس ما سلحتك أُمك ! خذ سيفى هذا من مؤخر الرحل ، وكان الرحل فى الشجار ، ثم اضرب به ، وارفع عن العظام . واخفض عن الدماغ ، فإنى كنت كذلك أضرب الرجال ، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دُريد بن الصمة ، فرُبَّ والله يوم قد منعت فيه نساءك ، فزعم بنو سليم أن ربيعة قال لما ضربه فوقع تكشف ، فإذا عجانه (١) وبطون فخذيه مثل القرطاس ، من ركوب الخيل أعراء ، فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه ، فقالت : أما والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثاً .

● **شعر عَمرة :**

فقالت عَمْرة بنت دريد فى قتل ربيعة دريداً :

لَعمرُك ما خشيت على دُريد ... بِبَطن سُمِيرة جيش العنَاق (٢)
جَزى عَنا الإله بَنى سُلَيم ... وعقـــتهم بما فَعلوا عقَاق
وأسقانا إذا قَدْنا إليهـــم ... دمَاء خيَارهم عنـــد التلاقى
فَرُب عظيمة دافعتْ عَنهـــم ... وقد بلغتْ نُفوسهم التراقى
ورُب كَريمة أعتقـــت منهم ... وأخرى قد فككت من الوثَاق
ورُب منوه بـــك من سُلَيم ... أجبت وقد دعاك بلا رماق (٣)

(١) عجانه : أى استه .
(٢) العناق : الأمر الشديد .
(٣) الرماق : بقية الحياة .

فكان جَزاؤنا منهـــم عقوقًا　　وهَمًا ماع مـــنه مخ ساقى
عفَّتْ آثار خيَلك بعـــد أين　　بذى بقر إلى فيف النهاق (١)

• استشهاد أبى عامر الأشعرى :

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله ﷺ فى آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الأشعرى ، فأدرك من الناس بعض من انهزم ، فناوشـوه القتال فرمى أبو عامر بسهم فقتل ، فأخذ الراية أبو موسى الأشعرى ، وهو ابن عمه فقاتلهم ، ففتح الله على يديه وهزمهم ، فيزعمون أن سلمة بن دُريد هو الذى رمى أبا عامر الأشعرى بسهم ، فأصاب ركبته ، فقتله ، فقال :

إنْ تَسألُوا عنِّى فإنِّى سَلَمهْ　　ابنُ سَمادير لِمن تَوسمهْ
أَضْرِب بِالسَّيفِ رءوس المُسْلِمه

وسمادير أمه .

واستحر القتل من بنى نصر فى بنى رئاب ، فزعموا أن عبد الله بن قيس - وهو الذى يقال له ابن العوراء ، وهو أحد بنى وهب بن رئاب - قال : يا رسول الله هلكت بنو رئاب ، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال : اللهم اجبر مصيبتهم .

وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة ، فوقف فى فوارس من قومه ، على ثنية من الطريق ، وقال لأصحابه : قفوا حتى تمضى ضعفاؤكم ، وتلحق أخراكم . فوقف هناك حتى مضى من كان لحق بهم من منهزمة الناس ، فقال مالك بن عوف فى ذلك :

ولَولا كَرتان علـــى مُحاج　　لضَاق على العَضَاريط الطَريق (٢)
ولَولاَ كَرُّ دَهمان بـــن نَصْر　　لَدى النَخلاتِ مُندفع الشديق (٣)
لآبَتْ جَعفر وبـــنو هلاَل　　خَزايا مُحقبين على شقوق (٤)

---

(١) ذو بقر : اسم مكان ، فيف : قفر ، النهاق : موضع .
(٢) مُحاج : فرس مالك - العضاريط : الأجراء .
(٣) الشديق : واد من وديان الطائف .
(٤) محقبين : مردفين ، شقوق : أى على مشقة .

شعر سَلَمَة :

قال ابن إسحاق : وقال سلمة بن دُرَيد وهو يسوق بامرأته حتى أعجزهم :

نَسيتَني ما كنتُ غير مُصـــابة وقد عرفتُ غداة نعــف الأطرب [١]
أنى منعتك والركـــوبُ مُحببٌ ومَشيتُ خَلفك مِثل مَشى الأنكب [٢]
إذ فَرَّ كُل مهــــذَّب ذِى لِمَّة عَن أُمِّه وخليله لــــم يعقــــب

المنهى عن قتلهم : قال ابن إسحاق : وحدثنى أصحابنا : أن رسول الله ﷺ مر يومئذ بامرأة وقد قتلها خالد بن الولـــيد ، والناس متقصــفون [٣] عليها فقال : ما هذا فقالوا : امرأة قتلها خالد بن الـــوليد : فقال رسول الله ﷺ لبعض من معه : أدرك خالداً ، فقل له : إن رسول الله ينهاك أن تقتل وليداً أو امرأة أو عسيـــفا [٤] .

الشيماء أُخت الرسول : قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض بنى سعد بن بكر : أن رسول الله ﷺ قال يومئذ : إن قدرتـم على بـــجاد ، رجل من بنى سعد ابن بكر ، فلا يفلتنكم ، وكان قد أحــدث حدثاً ،فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله ، وساقوا معه الشيماء ، بنت الحارث بن عبد العزى أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة ، فعنفُوا عليها فى السياق : فقالت للمسلمين : تعلموا والله أنى لأخت صاحبكم من الرضاعة ، فلم يصدقوها حتى أتوا بها إلى رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن عبيد السعدى ، قال : فلما انتهى بها إلى رسول الله ﷺ ، قالت : يا رسول الله ، إنى أختــك من الرضـــاعة ، قال : وما علامة ذلك؟ قالت عضة عضضتنيها فى ظهرى وأنا متوركتك قال : فعرف رسول الله ﷺ العلامة فبسط لها رداءه . فأجلسها عليه ، وخيَّرها ، وقال : إن أحببت فعندى محبَّة مكرمة ، وإن أحببت أن أمتعك [٥] وترجعى إلى قومك فعلـــت ، فقالت بل تمتعنى وتردنى إلى قومى . فمتعها رسول الله ﷺ ، وردها إلى قومها .

---

(١) النعف : أسفل الجبل ، الأطرب : الجبل الصغير .
(٢) الأنكب : المائل إلى جهة .
(٣) متقصفون : مجتمعون فى ازدحام .
(٤) العسيف : الأجير ، وهذا من سماحة الإسلام أن لا يُقتل من لا ذنب له ولا الآمنون ومن ليسوا فى أرض المعركة .
(٥) أى أعطيك ما يمتعك وما يكون فيه انتفاعك .

فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاما له يقال له مكحول وجارية ، فزوجت أحدهما الأخرى ، فلم يزل فيهم من نسلهما بقية [(١)] .

• شُهداء يوم حُنَين :

قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استشهد يوم حُنَين من المسلمين .

من قريش ثم من بنى هاشم ، أيمن بن عُبيد .

ومن بنى أسد بن عبد العزى : يَزيد بن زَمْعة بن الأسود بن المطلب بن أسد جمح به فرس له يقال له الجناح ، فقُتل .

ومن الأنصار : شراقة بن الحارث بن عدى ، من بنى العجلان .

ومن الأشعريين : أبو عامر الأشعرى .

• سَبايا حُنَيْن وأموالها :

ثم جمعت إلى رسول الله سبايا حنين وأموالها ، وكان على المغانم مسعود بن عمرو الغفارى ، وأمر رسول الله ﷺ بالسبايا والأموال إلى الجعرانة فحبست بها .

• شعر عباس بن مرداس :

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس فى يوم حُنين :

إِنى والسوابحُ يوم جَمْعٍ … وما يتلو الرسول من الكتابِ
لَقد أحببتُ ما لقيتْ ثقيف … بجنب الشِّعب أمس من العذابِ
هُمُ رأس العدو من اهل نجدٍ … فقتلهم ألذُّ من الشرابِ
هَزمنا الجمع جمع بَنى قَسى … وحكت بركها ببنى رئابِ [(٢)]
وَصِرْما من هِلال غَادَرتهم … بأوطاس تعفر بالترابِ [(٣)]
ولو لاقين جمع بَنى كلاب … لقام نساؤهم والنقع كابى

---

(١) قال ابن هشام : وأنزل الله عز وجل فى يوم حنين : ﴿ **لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم** ﴾ ، إلى قوله : ﴿ **وذلك جزاء الكافرين** ﴾ (التوبة : الآية ٢٥ ، ٢٦) .

(٢) البرك : الصدر ، ويريد حكت بركها : شدة وطأة الحرب .

(٣) الصرم : الجماعة من الناس أو البيوت المنقطعة عن الحى .

رَكضنا الخيل فيــــهم بين بس إلى الأورال تنحط بالنهاب (١)
بذى لجب رَســـول الله فِيهم كَتيبته تعرض لِلضــــراب

• رَدُّ ابن العفيف :

فأجابه عطية بن عفيف النصرى فقال :

أفَاخرةٌ رِفاعة فــى حُنَين وعبَّاس بْن رَاضعة اللجاب (٢)
فَإنك والفخارُ كذاتِ مرط لربتها وترفل فى الإهــــاب

قال ابن إسحاق : قال عطية بن عفيف هذين البيتين لما أكثر عباس على هوازن فى يوم حُنين . ورفاعة من جهينة .

• شعر عَباس بن مرْداس :

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس أيضًا :

يَا خاتَم النُّبَّاءِ إنكَ مُرسَلٌ بالحقّ كُل هُدَى السبيل هداكَا
إنَّ الإله بَنَى عَليك مَحبةً فى خَلْقه ومُحمدًا سمَّاكَا
ثُم الذين وفُّوا بما عاهدتهم جُنْدٌ بَعَثْتَ عليهم الضَحَّاكَا
رَجُلاً به ذرب السلاح كأنه لما تكنفه العدو يَراكَا (٣)
يَغشى به هام الكُماة ولو ترى منه الذى عاينتَ كان شَفَاكا
وبنو سُليم معنقون أمامه ضربا وطعنا فى العدو دِرَاكَا (٤)
يمشونَ تحت لِوائه وكأنهم أسدُ العَرين أردن ثم عَراكا (٥)
ما يرتجون من القَريب قَرابةً إلا لطاعة ربهم وهَواكَا
هَذى مَشاهدُنَا التى كانت لنا مَعروفَةً وولينــــا مولاكَا

(١) البس والأورال : مكانان . تنحط تخرج أنفاسها عالية .
(٢) اللجاب : العنزة (الماعز) التى لبنها قليل .
(٣) الذرب : الحدة .
(٤) معنقون : مسرعون ، درك : متتابع .
(٥) العراك : المدافعة .

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرْداس أيضًا :

نَصرْنَا رسول الله من غضب له … بألف كَمِىٍّ لا تُعَد حَواسِرهْ (١)
حَمَلنا له فى عامل الرمح رايةً … يذودُ بها فى حومة الموت نَاصِرهْ
ونحن خَضَبْناها دمًا فهو لونها … غَداة حُنين يوم صَفْوان شَاجرة(٢)
وكُنا على الإسلام مَيْمَنة لهُ … وكان لنا عَقْدُ اللواءِ وشَاهِرهْ
وكُنا له دون الجنود بطَانَةً … يُشَاوِرُنَا فِى أمْرِه ونُشَاوِره
دَعَانا فَسمَّانا الشِّعَار مقدمًا … وكُنا له عونًا على من يُنَاكِرهْ (٣)
جَزَى اللهُ خيرًا من نَبِىٍّ محمدًا … وأيَّدهُ بالنصرِ واللهُ نَاصِرهْ

• شعر ضَمْضَم :

قال ابن إسحاق : وقال ضمضم بن الحارث بن جشم بن عبد بن حبيب بن مالك بن عوف بن يقظة بن عُصية السلمى فى يوم حنين : وكانت ثقيف أصابت كنانة ابن الحكم بن خالد بن الشريد ، فقتل به محجنا وابن عم له ، وهما من ثقيف :

نحنُ جلبنا الخيل من غير مجلب … إلى جرش من أهل زيان والفم (٤)
نقتلُ أشبالَ الأسودِ ونبتغى … طواغى كانت قبلنا لم تُهدمِ
فَإن تفخروا بابن الشريدِ فإننى … تركتُ بوج مأتمًا بعد مأتَمِ
أبأتهما بابن الشريد وغرَّهُ … جواركم وكان غير مُذَمَّمِ
تُصيبُ رجالاً من ثقيف رِمَاحنَا … وأسيافنا يُكَلِمنهم كل مُكَلَمِ

* شعر مالك بن عوف :

قال ابن إسحاق : وقال مالك بن عوف وهو يعتذر يومئذ من فراره :

---

(١) الحواسر : من لا دروع عليهم .
(٢) شاجره : خالطه بالرمح .
(٣) الشعار : الثياب التى تلى الجسد ، كناية عن قرب الحاشية .
(٤) الحرش : من مخاليف اليمن من جهة مكة .

مَنع الرُّقادَ فما أغمــــض ساعةً ... نعَم بأجزاع الطـــريق مُخَضرم (١)
سَائِل هوازن هل أَضرٌ عدوها ... وأعين غارمـــــــها إذا ما يَغرم
وكتيبةُ لبســـــتـــــها بكتيبةٍ ... فئتين منها حاســـــــر ومَلأم
ومُقدم تعيا النفـــــوس لضيقه ... قدمته وشهـــــود قومى أعلم (٢)
فَوردته وتركت إخـــــــوانًا له ... يردون غمــــــــرته وغمرته الدم
فإذا انجلت غَمـــــــراته أورثنى ... مجد الحيـــــاة ومجد غنم يقسم
كلفتمـــــــونى ذنب آل محمد ... والله أعلـــــــم من أعق وأظلم
وخذلتمـــــــونى إذ أقاتل واحدًا ... وخذلتمونـــــــى إذ تقاتل خثْعم
وإذا بَنيتُ المجـــــدَ يهدمُ بعضكم ... لا يستــــــوى بانٍ وآخر يهدمُ
وأقب مخـــــماص الشتاء مسارع ... فى المجد ينمى للعلا متكرمُ (٣)
أكرهتُ فيـــــــــه ألة يزنية ... سحماء يقدمها سنان سلجمُ (٤)
وتركتُ حنَّتَهُ تـــــــــرد وليه ... وتقول ليس على فلانة مقدمُ (٥)
ونصبتُ نفـــــسى للرماح مدججًا ... مثل الدرية تستحل وتشرم (٦)

* **شعر رجل من هوازن :**

قال ابن إسحاق : وقال قائل فى هوازن أيضًا ، يذكر مسيرهم إلى رسول الله ﷺ مع مالك بن عوف بعد إسلامه :

أذكر مَسيرهُم للناس إذْ جَمعوا ... ومَالك فَوقه الرايات تختَفقُ
ومَالك مَالك ما فَوقَهُ أحدا ... يوم حُنين عليه التاج يأتلقُ

---

(١) النَّعَم : الإبل ، المخضرمة : مقطوعة أطراف الآذان .
(٢) المقدم : الموضع الذى لا يتقدم فيه إلا الأبطال .
(٣) الواقب : ضامر الخصر ، المخماص : ضامر البطن .
(٤) ألة : الحربة يزنية، منسوبة إلى ذى يزن الحميرى أحد ملوك حمير، سحماء: سوداء .
(٥) حنته : زوجته ؛ سميت بذلك لأنها تميل إليه وهو يميل إليها .
(٦) الدرية : الدريئة ، وهى حلقة تنصب فيتعلم عليها الطعن .

حتى لقوا اليأس حين البأس يَقدمهم عليهم البيـض والأبدانُ والدرقُ
فَضاربوا الناس حتى لم يَروا أحدًا حول النبى وحتـى جَنه الغَسَقُ
ثَمَّت نزل جبـريل ينصرهم من السَّمـاء فَمهزُومٌ ومعتنقُ (١)
منَّا ولو غَيْر جبْريل يُقـاتلنَا لمنعتنا إذا أسيـافنا العتقُ
وفاتنا عمر الفاروقُ إذ هزمـوا بطعنة بل منها سَرجـه العَلَقُ (٢)

• شعر ابن وهْب فى الرد على ابن ثواب :

قال ابن إسحاق : فأجابه عبد الله بن وهب رجل من بنى تميم ، ثم من بنى أسيد ، فقال :

بشَرط الله نَضربُ مـن لَقينا كأفضَلِ ما رأيتَ مـن الشُروطِ
وكنَا يا هَوازن حـينَ نَلقَى نيل الهَام من علـق عَبيط
يَجمعكم وجَمع بنـى قَسى نَحك البَرك كالـورق الخبيط (٣)
أصبنا من سُراتـكمُ وملنا نقتل فى المبـاين والخليط
به الملتاث مفتـرش يديه يمج الموت كالبـكر النحيط (٤)
فإن تك قيس عيـلان غضابا فلا ينفك يرغمهـم سعوطى

* شعر خديج بن العوجاء النصرى :

وقال خُديج بن العوْجاء النِصرى :

لَما دنَونا مـن حُنَيْنٍ ومَائه رأينا سوادًا منكر اللون أَخْصَفا (٥)
بملمومة شَهباءَ لو قَذفوا بِهـا شَماريخ من عَزوى إذن عَاد صَفْصَفَا(٦)

(١) المعتنق : الأخير . (٢) العلق : الدم .
(٣) الورق الخبيط : الذى ضرب بالعصا ليسقط .
(٤) الملتاث : اسم رجل ، البكر : الفَتىُّ من الإبل ، النحيط : من يردد النفس فى صدره فتسمع له صوتًا .
(٥) سوادًا : أشخاصًا . الأخصف : الملون .
(٦) الملمومة : الكتيبة المجتمعة . شهباء : كثيرة السلاح . الشماريخ : أعالى الجبال . صفصفا : مستويا بالأرض .

وَلو أَنْ قَومى طاوعتنى سرَاتهم ... إذن مَا لقينا للعارِض المتكشِّفَا (١)
إذَا ما لقينا جُنْد آل مُحمدٍ ... ثَمانين ألفا واستمدوا بخندفَا (٢)

ذكر غَزْوة الطائف (٣) بعد حُنَين فى سنة ثمان

ولما قدم فَل (٤) ثَقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها ، وصنعوا الصنائع للقتال .

ولم يشهد حُنينا ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ، ولا غيدن بن سلمة ، كانا بجرش ، يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق والضبور (٥) .

ما قيل من الشعر فى غزوة الطائف : ثم سار رسول الله ﷺ إلى الطائف حين فرغ من حُنين ، فقال كعب بن مالك ، حين أجمع رسول الله ﷺ السير إلى الطائف :

*** شعر كعب بن مالك :**

قضينا من تِهامَةَ كل رَيبٍ ... وخَيبر ثم أجمعنا السيُوفَا (٦)
نُخَيِّرُها ولو نَطقَتْ لقَالت ... قواطِعهن : دَوْسا أو ثَقيفَا

---

(١) العارض : السحاب . المتكشف : الواضح . يشبه به جنود المسلمين .

(٢) خندف : اسم قبيلة .

(٣) وأصل تسميتها كما ذكر بعض أهل النسب أن الدمون بن الصدف ، واسم الصدف ملك بن مالك بن مرتع بن كندة من حضرموت أصاب دماً من قومه ، فلحق بثقيف ، فأقام فيهم ، وقال لهم : ألا أبنى لكم حائطاً يطيف ببلدكم ، فبناه فسمى به الطائف ، وذكره البكرى هكذا قال : وإنما هو الدمون بن عبد بن مالك بن دهقل ، وهو من الصدف ، وله ابنان أدركا النبى - ﷺ وبايعاه ، اسم أحدهما : الهميل ، والآخر : قبيصة ، ولم يذكرهما أبو عمر بن عبد البر فى الصحابة ، وذكرهما غيره .

(٤) الفل : بقية الجيش المنهزم .

(٥) الدبابة : آلة من آلات الحرب يدخل فيها الرجال فيدبون بها إلى الأسوار لينقبوها . والمنجنيق : آلة حربية من آلات الحصار ترمى الحجارة وغيرها من القذائف وجمعها مجانق ومجانيق ومنجنيقات . والضبور : مثل رءوس الأسقاط يتقى بها فى الحرب عند الانصراف ، وفى العين : الضبر جلود يغشى بها خشب يتقى بها فى الحرب .

(٦) أجمعنا : أرحنا .

فلست لحاضن إنْ لـم تَروها | بَساحة دَاركـم منا ٱلوفا
وننتزع العروش ببطـن وَجٍّ | وتَصبح دُوركم منكـم خلوفَا
وَيأتيكم لنَا سُـرعان خَيل | يغَادر خلفَه جَمـعا كثيفا
إذا نَزلوا بسَاحتـكم سَمعتم | لها مما أَناخ بهـا رَجيفاً
بأيديهم قَواضـب مُرْهفات | يزرن المصطلين بهَا الحتوفَا
كأمثال العقَائق أخلـصتها | قُيون الهنـد لم تضرب كتيفا [(١)]
تَخال جَدية الأبطـالِ فيهمْ | غَداة الزَّحـف جَاديا مدوفَا [(٢)]
أَجدهُم أَليـس لهم نَصيح | من الأقـوامِ كان بنا عَريفَا [(٣)]
يَخبرهـم بأنا قَد جَمعنا | عتَاق الخَيـل والنجبِ الطروفَا [(٤)]
وَأنا قَدْ أتينـاهُم بزَحْف | يُحيطُ بَسـور حَصنهم صفُوفَا
رَئيسـهم النَّبيُّ وكَان صَلبًا | نَقِيَّ القَلـب مُصطبرًا عَزوفَا
رَشيدُ الأمـرِ ذُو حُكم وَعلم | وَحِلم لم يكـن نَزقا خَفيفَا
نُطيع نَبينا ونطـيع رَبًّا | هو الرحمـنُ كان بنا رَءوفَا
فَإن تلقـوا إلينا السلم نقبل | ونجعلكم لنا عـضدًا وريفَا [(٥)]
وإن تَأبـوا نُجاهدكُم ونَصبرْ | ولا يك أمـرنا رعشًا ضعيفَا [(٦)]
نُجالد ما بقِيـنا أو تَنيبوا | إلى الإسـلام إذعانًا مُضيفَا [(٧)]
نُجاهد لا نُبالـى من لَقِينا | أأهلكنـا التِّلادَ أم الطَّريفَا [(٨)]

(١) الكتيف : الصفائح الحديد ·
(٢) الجدية : الدماء السائلة · الجادى : الزعفران · مدوف : مخلوط ·
(٣) أجدهم : أجد منهم · عريفا : عارفا ·
(٤) الطروف : نجيبة الأصل ·
(٥) الريف فى الأصل : الأرض المخصبة المنزرعة خارج المدن والمراد أن يجعلهم مساعدين لهم مستمدين عيشهم من ريفهم ·
(٦) الرعش : المتقلب غير الثابت ·
(٧) مضيف : ملجئ ·
(٨) التلاد : المال القديم ، الطريف : المال المستحدث ·

وكم من مَعشـــــر ألبوا علينا صَميمَ الجذم منهـــــم والحليفَا
أتونا لا يـــــرون لهم كَفاء فَجدَّعنا المســــامع والأُنوفَا
بكل مُهَنَّدٍ ليـــــن صقيل نَسوقهـــــم بها سوقًا عنيفًا
لأمر الله والإســـــلام حتَّى يَقومَ الدِّين معتـــدلاً حنيفًا
وتُنســــى اللات والعزى وود ونسلبها القـــلائد والشنوفَا (١)
فأمســــوا قد أقروا واطمأنوا ومن لا يمتنع يقبل خسوفَا (٢)

● **كنانة يرد على كعب :**

فأجابه كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير ، فقال :

مَن كان يَبغينـــــا يُريد قتالنَا فإنا بَدارٍ معــــلَّم لا نريمها
وَجدنا بها الآباء من قبـــل ما ترى وكانت لنا أطـــواؤها وكرومها (٣)
وقد جربتنا قبل عمرو بن عامر (٤) فأخبرها ذو رأيهــــــا وحليمها
وقَد عَلمت انْ قالتْ الحق أنَّنا إذَا ما أبتْ صُعر الخدودِ نُقيمها (٥)
نُقَوِّمها حَتـــــى يَلينَ شَريسُها ويَعرفَ للحــــقِّ المبين ظَلومها
عَلينا دِلاص مـــن تُراثِ مُحرقٍ كَلون الســماء زَينتها نُجومها (٦)
نَرفهها عَنا ببيــــض صَوارِمٍ إذا جَرتْ فــى غَمرة لا نشيمها (٧)

---

(١) شنوف : جمع شنف وهى حلية تعلق فى أعلى الأذن .

(٢) الخسوف : الذود .

(٣) الأطواء : جمع طوى وهى البئر جمعت على غير قياس توهموا سقوط ياء فعيل منها إذ كانت زائدة .

(٤) قال هذا جوابًا للأنصار لأنهم بنو حارثة بن ثعلبة بن عامر ولم يرد أن الأنصار قد جربتهم قبل ذلك وإنما أراد إخوتهم وهم خزاعة وقد كانوا حاربوهم عند نزولهم مكة ، وقيـــل : إنما أراد عمرو بن عامر بن صعصعة .

(٥) صعَّر خده : أماله إلى جهة تكبرا .

(٦) دِلاص : الدروع اللينة . مـــحرق : عمـــرو بن عامر ، لأنه أول من حرق العرب بالنار .

(٧) لا نشيمها : لا نغمدها .

• شعر شداد بن عارض :

قال ابن إسحاق : وقال شداد بن عارض الجشمى فى مسير رسول الله ﷺ إلى الطائف :

لا تَنْصروا اللاَّتَ إنَ اللهَ مُهلكهَا ... وكيف يُنصر من هو ليس يَنتصرُ
إنَّ التى حُرِّقت بالسَّد فاشتعلت ... ولم يقاتل لدى أحجـارها هَدَرُ
إن الرسولَ متـى ينزل بلادكُمُ ... يظعن وليس بها من أهلـا بَشرُ

الطريق إلى الطائف : قال ابن إسحاق : فسلك رسول الله ﷺ على نخلة السمانية ، ثم على قرن ، ثم على المليح ، ثم على بحرة الرغياء من لية [1] ، فابتنى بها مسجداً فصلى فيه ·

قال ابن إسحاق : فحدثنى عمرو بن شعيب : أنه أقاد يومئذ ببحرة الرغاء ، حين نزلها ، بدم وهو أول دم أقيد به فى الإسلام ، رجل ، من بنى ليث قتل رجلا من هذيل ، فقتله به ، وأمر رسول الله ﷺ ، وهو بلية ، بحصن مالك بن عوف فهدم ، ثم سلك فى طريق يقال له الضيقة ، فلما توجه فيها رسول الله ﷺ سأل عن اسمها ، فقال : ما اسم هذه الطريق ؟ فقيل له الضيقة ، فقال : بل هى اليسرى ، ثم خرج منها على نخب ، حتى نـزل تحت سـدرة ، يقال لها الصادرة ، قريبا : من مال رجل من ثقيف ، فأرسـل إليه رسول الله ﷺ : إما أن تخرج ، وإما أن نخرب عليك حائطك [2] ، فأبى أن يخرج ، فأمر رسول الله ﷺ بإخرابه ·

ثم مضى رسول الله ﷺ حتى نزل قريبا من الطائف ، فضرب به عسكره ، فقتل به ناس من أصحابه بالنبل ، وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف ، فكانت النبل تنالهم ، ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم ، أغلقوه دونهم ، فلما أصيب أولئك النفر من أصحابه بالنبل وضع عسكره عند مسجده الذى بالطائف اليوم ، فحاصرهم بضعًا وعشرين ليلة ·

---

(١) أسماء أماكن بالطائف ·

(٢) الحائط : أى البستان أو الحديقة التى لها سور ·

قال ابن إسحاق : ومعه امرأتان [١] من نسائه ، إحداهما أم سلمة بنت أبى أمية ، فضرب لهما قبتين [٢] ، ثم صلى بين القبتين · ثم أقام ، فلما أسلمت ثقيف بنى على مصلى رسول الله ﷺ عمرو بن أمية بن وهب بن معتب بن مالك مسجداً ، وكانت فى ذلك المسجد سارية [٣] ، فيما يزعمون ، لا تطلع الشمس عليها يومًا من الدهر إلا سمع لها نقيض [٤] فحاصرهم رسول الله ﷺ وقاتلهم قتالاً شديداً وتراموا بالنبل [٥] ·

• يوم الشَّدْخة :

قال ابن إسحاق : حتى إذا كان يوم الشَّدخة عند جدار الطائف دخل نفر من أصحاب رسول الله ﷺ تحت دبابة ، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليخرقوه ، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار ، فخرجوا من تحتها ، فرمتهم ثقيف بالنبل ، فقتلوا منهم رجالاً ، فأمر رسول الله ﷺ بقطع أعناب ثقيف ، فوقع الناس فيها يقطعون ·

• أبو سفيان بن حرب والمغيرة يتفاوضان مع ثقيف :

وتقدم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة إلى الطائف ، فناديا ثقيفا [٦] : أن أمنونا حتى نكلمكم فأمنوهما ، فدعوا نساء من نساء قريش وبنى كنانة ليخرجن إليهما ، وهما يخافان عليهن السباء [٧] ، فأبين ، منهن آمنة بنت أبى سفيان كانت عند [٨] عروة بن مسعود ، له منها داود بن عروة [٩] ·

---

(١) أى مع رسول الله ﷺ ·   (٢) أى خيمتين ·

(٣) مثل العمود ·

(٤) نقيض : صوت ·

(٥) قال ابن هشام : ورماهم رسول الله ﷺ بالمنجنيق ، وقال أيضًا : حدثنى من أثق به أن رسول الله ﷺ أول من رمى فى الإسلام بالمنجنيق ، رمى أهل الطائف ·

(٦) أى نادوا : يا بنى ثقيف ·

(٧) أى الأسر ·

(٨) أى كانت زوجة عروة بن مسعود ·

(٩) قال ابن هشام : ويقال إن أم داود ميمونة بنت أبى سفيان ، وكانت عند أبى مرة ابن عروة بن مسعود ، فولدت له داود بن أبى مرة ·

قال ابن إسحاق : الفراسية بنت سويد بن عمرو بن ثعلبة ، لها عبد الرحمن ابن قارب ، والفقيمية أميمة بنت الناسىء أمية بن قلع ، فلما أبين عليهما ، قال لهما ابن الأسود بن مسعود : يا أبا سفيان ويا مغيرة ، ألا أدلكما على خير مما جئتما له ؟ إن مال بنى الأسود بن مسعود حيث قد علمتما ، وكان رسول الله ﷺ بينه وبين الطائف ، نازلا بواد يقال له العقيق ، إنه ليس بالطائف مال أبعد رشاء ، ولا أشد مؤونة ، ولا أبعد عمارة من مال بنى الأسود ، وأن محمداً إن قطعه لم يعمر أبداً فكلماه فليأخذه لنفسه أو ليدعه لله والرَّحم ، فإن بيننا وبينه من القرابة ما لا يُجهل ، فزعموا أن رسول الله ﷺ تركه لهم (١) .

أبو بكر يُفسِّر رؤيا الرسول ﷺ : وقد بلغنى أن رسول الله ﷺ قال لأبى بكر الصديق وهو محاصر ثقيفا : يا أبا بكر ، إنى رأيت أنى أهديتُ لى قبعة مملوءة زبداً ، فنقرها ديك فهراق ما فيها . فقال أبو بكر : ما أظن أن تدرك منهم يومك هذا ما تريد . فقال رسول الله ﷺ : وأنا لا أرى ذلك .

ارتحال المسلمين عن الطائف : ثم إن خويلة بنت حكيم بن أمية بن حارثة ابن الأوقص السلمية ، وهى امرأة عثمان ، قالت يا رسول الله ، أعطنى إن فتح الله عليك الطائف حُلى بادية بنت غيلان بن مظعون بن سلمة ، أوحُلى الفارعة بنت عُقيل ، وكانتا من أحلى نساء ثقيف .

فذكر لى أن رسول الله ﷺ قال لها : وإن كان لم يؤذن لى فى ثقيف يا خويلة ؟ فخرجت خويلة ، فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب ، فدخل على رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله : ما حديث حدثتنيه خويلة ، زعمت أنك قلته ؟ قال : قد قلته ، قال أوَما أُذن لك فيهم يا رسول الله ؟ قال : لا ، قال : أفلا أوذن بالرحيل ؟ قال : بلى . قال : فأذن عمر بالرحيل .

فلما استقل الناس نادى سعيد بن عبيد بن أسيد بن أبى عمرو بن علاج : ألا إن الحى مقيم . قال : يقول عيينة بن حصن : أجل ، والله مجدة كراما ، فقال له رجل من المسلمين : قاتلك الله يا عيينة . أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله ﷺ ، وقد جئت تنصر رسول الله ﷺ ! فقال : إنى والله ما جئت لأقاتل

(١) تاليفًا لقلوبهم .

ثقيفا معكم ، ولكنى أردت أن يفتح محمد الطائف، فأصيب من ثقيف جارية أطؤها ، لعلها تلد لى رجلا ، فإن ثقيفا قوم مناكير (١) .

عبيد الطائف ينزلون إلى المسلمين : قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن عبد الله بن مكدم ، عن رجال من ثقيف قالوا : لما أسلم أهل الطائف تكلم نفر منهم فى أولئك العبيد ، فقال رسول الله ﷺ : لا ، أولئك عتقاء الله ، وكان ممن تكلم فيهم الحارث بن كلدة .

● شعر الضحاك فى إطلاق أُبَى بن مالك من يد مروان :

قال ابن إسحاق : وقد كانت ثقيف أصابت أهلاً لمروان بن قيس الدوسى وكان قد أسلم ، وظاهر رسول الله ﷺ على ثقيف ، فزعمت ثقيف ، وهو الذى تزعم به ثقيف أنها من قيس ، أن رسول الله ﷺ قال لمروان بن قيس : خذ يا مروان بأهلك أول رجل من قيس تلقاه ، فلقى أُبى بن مالك القشيرى فأخذه حتى يؤدوا إليه أهله فقام فى ذلك الضحاك بن سفيان الكلابى ، فكلم ثقيفًا حتى أرسلوا أهل مروان ، وأطلق لهم أبى بن مالك ، فقال الضحاك بن سفيان فى شىء كان بينه وبين أبى مالك :

أتنسى بَلائى يا أُبىَّ بن مَالك ... غَداة الرسول معرض عنك أشوسُ (٢)
يَقُودك مروان بن قَيْس بحبله ... ذليلاً كما قيد الذلول المخيسُ (٣)
فَعادتْ عَلَيْك من ثَقِيف عِصَابَةٌ ... متَى يأتهم مستقبس الشر يقبسُوا
فَكانوا هُم المولى فعادت حُلومهم ... عَليك وقَدْ كَادتْ بِك النفسُ تَيأسُ

* * *

(١) المناكير : جمع منكر : هو الفطن الذكى .
(٢) الأشوس : من يعرض بنظره إلى جهة أخرى .
(٣) المخيس : المذلل .

الشهداء يوم الطائف

قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استشهد من المسلمين مع رسول الله ﷺ يوم الطائف :

من قريش ، ثم من بنى أمية بن عبد شمس : سعيد بن سعيد بن العاص ابن أمية ، وعرفطة بن جناب ، حليف لهم ، من الأسد بن الغوث .

قال ابن إسحاق : ومن بنى تيم بن مرة . عبد الله بن أبى بكر الصديق ، رمى بسهم ، فمات منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ .

ومن بنى مخزوم : عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة ، من رمية رميها يومئذ .

ومن بنى عدى بن كعب : عبد الله بن عامر بن ربيعة ، حليف لهم .

ومن بنى سهم بن عمرو : السائب بن الحارث بن قيس بن عدى ، وأخوه عبد الله بن الحارث .

ومن بنى سعد بن ليث : جليحة بن عبد الله .

واستشهد من الأنصار : من بنى سلمة : ثابت بن الجذع .

ومن بنى مازن بن النجار : الحارث بن سهل بن أبى صعصعة .

ومن بنى ساعدة : المنذر بن عبد الله .

ومن الأوس : رُقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لوذان بن معاوية .

فجميع من استشهد بالطائف من أصحاب رسول الله ﷺ اثنا عشر رجلا سبعة من قريش ، وأربعة من الأنصار ، ورجل من بنى ليث .

قصيدة بجير بن زهير فى حنين والطائف : فلما انصرف رسول الله ﷺ عن الطائف بعد القتال والحصار ، قال بجير بن زهير بن أبى سلمى يذكر حُنينا والطائف :

كانت عِلالة يَومَ بَطْنِ حُنَيْن وغداة أوطاس ويوم الأبرقِ (١)

---

(١) العلالة : جرى بعد جرى ، أو قتال بعد قتال ، يريد : أن هوازن جمعت جمعها علالة فى ذلك اليوم ، وحذف التنوين من علالة ضرورة ، وأضمر فى كانت اسمها ، وهو القصة وإن كانت الرواية بخفض يوم ، فهو أولى من التزام الضرورة القبيحة بالنصب ، ولكن=

جَمعتْ بإغواء هَوازن جَمعـــــها ... فتبددوا كالطائــــــر المتمزق
لَم يمنعوا منَّا مقَــــــامًا واحدًا ... إلا جَدارهم وبطـــــنُ الخندق
ولَقد تَعرضنـــــا لكيما يخرجوا ... فَتحصنـــــوا منا بباب مغلق
تَرتد حســـــرانا إلى رَجْراجة ... شَهْباء تَلمع بالمنايـــــا فيلق (١)
مَلمَومة خَضْراءَ لو قَذفوا بها ... حضنًا لظَل كأنه لـــــم يخلق (٢)
مَشى الضراء علَى الهِراسِ كأننا ... قُدر تَفرَّق فى القيـــاد وتلتقى (٣)
فى كُلِّ ســـابغة إذَا مَا استَحصنتْ ... كَالنّهْى هَبَّت رِيْحــهُ المترقرِق (٤)
جُدل تَمس فضــــولهن نِعالنا ... من نســـج داود وآل محرق (٥)

* * *

= ألفيته فى النسخة المقيدة ، وإذا كان اليوم مخفوضًا بالإضافة جاز فى علالة أن يكون منصوبا على خبر كان . فيكون اسمها عائدًا على شيء تقدم ذكره ، ويجوز الرفع فى علالة مع إضافتها إلى يوم ، على أن تكون كان تامة مكتفية باسم واحد ، ويجوز أن تجعلها اسما علمًا للمصدر مثل برة وفجار ، وينصب يوم على الظرف كما تقيد فى النسخة . انظر الروض الأنف جـ ٤ ص ١٦٥ .

(١) حسرانًا ، جمع : حســـير وهو الكليل ، والرجراجة : الكتيبة الضخمة من الرجرجـــة ، وهى شدة الحركة والاضطراب . وفيلق : من الفلق ، وهى الداهية .

(٢) ملمومة : مجتمعة . خضراء : تظهر كذلك لكثرة ما عليها من الحديد - حضن : اسم جبل .

(٣) الضراء : الكلاب . والهراس : نوع من الشوك ، والكلاب إذ مشت فى الهراس ابـتغت لأيديها موضعا ثم تضع أرجلها موضع أيديها . شبه الخيل بها ، والقدر : الوعول المسنة .

(٤) النهى : الغدير سمى بذلك لأنه ماء نهاه ما ارتفع من الأرض من السيلان فوقف .

(٥) الجدل : المنسوجة نسجًا محكمًا . آل محرق : آل عمرو بن هند ملك الحيرة .

أمر أموال هوازن وسباياها وعطايا المؤلفة قلوبهم منها وإنعام رسول الله ﷺ فيها

ثم خرج رسول الله ﷺ حين انصرف عن الطائف على دحنا [١] حتى نزل الجعرانة فيمن معه من الناس ، ومعه من هوازن سبى كثير ، وقد قال له رجل من أصحابه يوم ظعن عن ثقيف : يا رسول الله ادع عليهم ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم اهد ثقيفًا وائت بهم .

ثم أتاه وفد هوازن بالجعرانة ، وكان مع رسول الله ﷺ من سبى هوازن ستة آلاف من الذرارى والنساء ، ومن الإبل والشاة ما لا يدرى ما عدته .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده عبد الله بن عمرو ، أن وفد هوازن أتوا رسول الله ﷺ وقد أسلموا فقالوا : يا رسول الله ، إنا أصل وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك ، فامنن علينا ، منّ الله عليك . قال : وقام رجل من هوازن ثم أحد بنى سعد بن بكر ، يقال له زهير ، يكنى أبا صرد . فقال : يا رسول الله ، إنما فى الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتى كن يكفلنك ، ولو أنا ملحنا للحارث بن أبى شمر ، أو للنعمان ابن المنذر ، ثم نزل منا بمثل الذى نزلت به . رجونا عطفه وعائدته علينا ، وأنت خير المكفولين .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده عبد الله ابن عمرو ، قال : فقال رسول الله ﷺ : أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم ؟ فقالوا : يا رسول الله ، خيّرتنا بين أموالنا وأحسابنا ، بل ترد إلينا نساءنا وأبناءنا ، فهو أحب إلينا ، فقال لهم : أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، وإذا ما أنا صليت الظهر بالناس ، فقوموا فقولوا : إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله فى أبنائنا ونسائنا فسأعطيكم عند ذلك ، وأسأل لكم ، فلما صلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر قاموا فتكلموا بالذى أمرهم به ، فقال رسول الله ﷺ : أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم .

---

(١) دحنا : موضع بالطائف .

فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ . وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ ، فقال الأقرع بن حابس : أما أنا وبنو تميم فلا وقال عيينة بن حصن : أما أنا وبنو فزارة فلا ، وقال عباس بن مرداس أما أنا وبنو سُليم فلا . فقالت بنو سليم : بلى ، ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ .

قال : يقول عباس بن مرداس لبنى سليم : وهَّنتمونى .

فقال رسول الله ﷺ : أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبى فله بكل إنسان ست فرائض ، من أول سبى أُصيبه . فردوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو وجزة يزيد بن عبيد السعدى : أن رسول الله ﷺ أعطى على بن أبى طالب رضي الله عنه جارية ، يقال لها ريطة بنت هلال بن حيان بن عميرة بن هلال بن ناصرة بن قصية بن نصر بن سعد بن بكر ، وأعطى عثمان بن عفان جارية . يقال لها زينب بنت حيان بن عمر بن حيان ، وأعطى عمر بن الخطاب جارية ، فوهبها لعبد الله بن عمر ابنه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله ابن عمر ، قال : بعثت بها إلى أخوالى من بنى جمح ، ليصلحوا لى منها ، ويهيئوها ، حتى أطوف بالبيت ، ثم آتيهم وأنا أريد أن أصيبها إذا رجعت إليها . قال فخرجت من المسجد حين فرغت ، فإذا الناس يشتدون ، فقلت : ما شأنكم ؟ قالوا : رد علينا رسول الله ﷺ نساءنا وأبناءنا ، فقلت : تلكم صاحبتكم في بنى جمح ، فاذهبوا إليها فخذوها . فذهبوا إليها ، فأخذوها .

قال ابن إسحاق : وأما عيينة بن حصن ، فأخذ عجوزاً من عجائز هوازن ، وقال حين أخذها : أرى عجوزا إنى لأحسب لها فى الحى نسبا ، وعسى أن يعظم فداؤها . فلما رد رسول الله ﷺ السبايا بست فرائض ، أبى أن يردها ، فقال له زهير أبو صرد : خذها عنك ، فوالله ما فوها ببارد ، ولا ثديها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا زوجها بواجد (١) ، ولا درها بماكد (٢) . فردها بست فرائض حين قال له زهير ما قال ، فزعموا أن عيينة لقى الأقرع بن حابس فشكا إليه ذلك ، فقال : إنك والله ما أخذتها بيضاء غريرة ، ولا نصفًا وثيرة (٣) .

---

(١) الواجد : الحزين . (٢) الماكد : الغزير .

(٣) غريرة : متوسطة السن ، نصفًا : متوسطة السن أيضًا ، وثيرة ، سمينة .

• إسلام مالك بن عوف :

وقال رسول الله ﷺ لوفد هوازن ، وسألهم عن مالك بن عوف ما فعل ؟ فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف ، فقال رسول الله ﷺ : أخبروا مالكًا أنه إن أتانى مسلمًا رددتُ عليه أهله وماله ، وأعطيته مائة من الإبل ، فأتى مالك بذلك ، فخرج إليه من الطائف . وقد كان مالك خاف ثقيفا على نفسه أن يعلموا أن رسول الله ﷺ قال له ما قال : فيحبسوه ، فأمر براحلته فهيئت له ، وأمر بفرس له ، فأتى به إلى الطائف ، فخرج ليلاً ، فجلس على فرسه ، فركضه حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تحبس ، فركبها ، فلحق برسول الله ﷺ ، فأدركه بالجعرانة أو بمكة ، فرد عليه أهله وماله ، وأعطاه مائة من الإبل (١) ، وأسلم فحسن إسلامه ، فقال مالك بن عوف حين أسلم :

ما إنْ رأيتُ ولا سمعتُ بمثلهِ ... فى الناسِ كُلهم بمثلِ مُحَمَّدِ
أوفَى وأعطى للجزيل إذا اجتدى ... ومتى تَشأ يُخبركَ عَمـا فى غَدِ
وإذا الكَتيبة عرَّدتْ أنيابهَا ... بالسمهرى وضَرب كـل مُهَنَّدِ
فكأنه لَيثٌ على أشباله ... وَسط الهباءة خَادر فى مَرصَدِ

فاستعمله رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه ، وتلك القبائل : ثمالة وسلمة (٢) وفهم فكان يقاتل بهم ثقيفًا ،لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه ، حتى ضيق عليهم فقال أبو محجن (٣) بن حبيب بن عمرو بن عمير الثقفى :

هَابتْ الأَعْداَء جَانبَنا ... ثُمَّ تَغزُونا بَنُو سَلْمَهْ
وأتانا مَالكٌ بهم ... نَاقضًا للعهْد والحُرمَهْ
أتونا فى مَنازلنا ... ولَقد كُنَّا أولى نَقمَهْ

---

(١) وهكذا دائمًا كانت أخلاق رسول الله ﷺ الوفاء بالوعد .

(٢) قال السهيلى فى الروض الأنف : هكذا تقيد فى النسخة - بكسر اللام - والمعروف فى قبائل قيس سلمة بالفتح .

(٣) هو مالك بن حبيب ، وقيل : عبد الله بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف ابن عقدة بن غيرة بن عوف بن قيس الثقفى .

• **تقسيم الفيء :**

قال ابن إسحاق : ولما فرغ رسول الله ﷺ من رد سبايا حُنين إلى أهلها ركب ، واتبعه الناس يقولون : يا رسول الله ، اقسم علينا فيأنا من الإبل والغنم ، حتى ألجئوه إلى شجرة ، فاختطفت عنه رداءه ، فقال : أدوا علىَّ ردائى أيها الناس ، فوالله أن لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعمًا لقسمته عليكم ثم ما ألفيتمونى بخيلا ولا جبانا ولا كذَّابا ، ثم قام إلى جنب بعير ، فأخذ وبرة من سنامه ، فجعلها بين أصبعيه ، ثم رفعها ، ثم قال : أيها الناس ، والله مالى من فيئكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس ، والخمس مردود عليكم ، فأدوا الخياط والمخيط (١) ، فإن الغلول (٢) يكون على أهله عارًا ونارًا وشنارًا (٣) يوم القيامة قال : فجاء رجل من الأنصار بكبة من خيوط شعر ، فقال : يا رسول الله ، أخذت هذه الكبة أعمل بها برذعة بعير لى دبر . فقال : أما نصيبى منها فلك قال : أما إذا بلغت هذا فلا حاجة لى بها ، ثم طرحها من يده (٤) .

قال ابن إسحاق : وأعطى رسول الله ﷺ المؤلفة قلوبهم ، وكانوا أشرافاً من أشراف الناس ، يتألفهم ويتألف بهم قومهم ، فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير ، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير ، وأعطى حكيم بن حزام مائة بعير ، وأعطى الحارث بن الحارث بن كلدة ، أخا بنى عبد الدار مائة بعير .

قال ابن إسحاق : وأعطى الحارث بن هشام مائة بعير ، وأعطى سهيل بن عمرو مائة بعير ، وأعطى حويطب بن عبد العزى بن أبى قيس مائة بعير ، وأعطى العلاء بن جارية الثقفى ، حليف بنى زهرة مائة بعير ، وأعطى عيينة بن حصن بن

(١) الخياط : الخيط : والمخيط : آلة الخياطة (الإبرة) .

(٢) الغلول : الخيانة . (٣) الشنار : الأمر القبيح الشنيع .

(٤) قال ابن هشام : وذكر زيد بن أسلم ، عن أبيه : أن عقيل بن أبى طالب دخل يوم حُنين على امرأته فاطمة بنت شيبة بن ربيعة ، وسيفه متلطخ دما . فقالت : إنى قد عرفت أنك قد قاتلت ، فماذا أصبت من غنائم المشركين ؟ فقال : دونك هذه الإبرة تخيطين بها ثيابك ، فدفعها إليها ، فسمع منادى رسول الله ﷺ يقول : من أخذ شيئًا فليرده ، حتى الخياط والمخيط . فرجع عقيل ، فقال : ما أرى إبرتك إلا قد ذهبت ، فأخذها ، فألقاها فى الغنائم .

حذيفة بن بدر مائة بعير ، وأعطى الأقرع بن حابس التميمى مائة بعير . وأعطى مالك ابن عوف النصرى مائة بعير ، وأعطى صفوان بن أمية مائة بعير ، فهؤلاء أصحاب المئين .

وأعطى دون المائة رجالاً من قريش ، منهم مَخْرمة بن نَوفل الزُّهرى ، وعُمير ابن وهْب الجُمحى ، وهشام بن عمرو أخو بنى عَامر بن لُؤى ، لا أحفظ ما أعطاهم وقد عرفت أنها دون المائة ، وأعطى سعيد بن يربوع بن عنكشة بن عامر بن مخزوم خمسين من الإبل ، وأعطى السهمى خمسين من الإبل .

• شعر ابن مِرْداس :

قال ابن إسحاق : وأعطى عباس بن مرداس أباعر فسخطها ، فعاتب فيها رسول الله ﷺ ، فقال عباس بن مرداس يعاتب رسول الله ﷺ :

كَانتْ نِهـــابًا تلافَيتهَا بكَرِّى على المُــهر فى الأجرعِ
وإيقاظِى القَــومَ أن يَرقدوا إذا هَجَـــع الناس لم أهجَعِ
فأصبح نَهبـــى ونَهَب العُبيــد بـــين عيينَة والأقرعِ (١)
وقد كنتُ فى الحربِ ذَا تدرإ فلم أُعـــط شيئًا ولم أمنعِ
إلا أفائـــلَ أُعطيتها عَديد قوائمهـــا الأربَعِ (٢)
وما كان حِصـــنٌ ولا حابِسٌ يفوقان شيخـــى فى المَجمعِ (٣)
وما كنتُ دون امـــرئ منهما ومن تَضـــع اليومَ لا يُرفعِ

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله ﷺ : اذهبوا به ، فاقطعوا عنى لسانه ، فأعطوه حتى رضى ، فكان ذلك قطع لسانه الذى أمر به رسول الله ﷺ (٤) .

---

(١) العبيد : اسم فرس عباس بن مرداس .
(٢) الأفائل : أصاغر الإبل مفردها أفيل . (٣) شيخى : أى أبى وجدى .
(٤) قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العـــلم أن عباس بن مرداس أتى رســـول الله ﷺ ، فقال له الرسول ﷺ : أنت القائل .

« فأصبح نهبى ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة » فقال أبو بكر للرسول ﷺ : أشهد أنك كما قال الله : ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغى له ﴾ وإنما قال أبو بكر ذلك ؛ لأن الرســـول ﷺ لم ينطق البيت موزونًا لأنه لا يقول الشعر وإن كان يستمعه ويستجيده .

• لماذا لم يُعط النبى ﷺ جُعَيْلاً :

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى : أن قائلا قال لرسول الله ﷺ من أصحابه : يا رسول الله ، أعطيت عيينة بن حصن والأقرع بن حابس مائة ، وتركت جُعيل بن سراقة الضمرى ؟! فقال رسول الله ﷺ : أما والذى نفس محمد بيده لجعيل بن سراقة خير من طلاع الأرض ، كلهم مثل عيينة بن حصن والأقرع بن حابس ، ولكنى تألفتهما ، ووكلت جُعيل بن سراقة إلى إسلامه ·

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر ، عن مقسم أبى القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قال : خرجت أنا وتليد بن كلاب الليثى ، حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص ، وهو يطوف بالبيت ، معلقا نعله بيده ، فقلنا له : هل حضرت رسول الله ﷺ حين كلمه التميمى يوم حنين ؟ قال : نعم ، جاء رجل من بنى تميم ، يقال له ذو الخويصرة ، فوقف عليه وهو يعطى الناس ، فقال : يا محمد ، قد رأيتُ ما صنعت فى هذا اليوم : فقال رسول الله ﷺ : أجل · فكيف رأيت ؟ فقال : لم أرك عدلت ، قال فغضب النبى ﷺ ، ثم قال : ويحك ! إذا لم يكن العدل عندى فعند من يكون ؟! فقال عمر ابن الخطاب : يا رسول الله ، ألا أقتله ؟ فقال : لا ، دعه فإنه سيكون له شيعة يتعمقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية ينظر فى النصل(١) ، فلا يوجد شىء ، ثم فى القدح (٢) ، فلا يوجد شىء ، ثم فى الفوق (٣) ، فلا يوجد شىء ، سبق الفرث ، والدم (٤) ·

---

(١) النصل : حديد السهم ·

(٢) القدح : السهم ·

(٣) الفوق : طرف السهم ·

(٤) وهذا الحديث النبوى الشريف من أعلام النبوة وهى التى أخبر بها النبى ﷺ قبل حدوثها وأنها ستحدث بعده ، وقد حدثت بالفعل كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ ، وهذا الحديث يتحدث عن ظهور أناس - هم الخوارج ومن وافقهم - يتعمقون فى الدين - لكن ليس تعمقا برفق - ولذلك سهل أن يخرجوا من الدين بسرعة كما يخرج السهم من الرمية فلا يأخذ معه شيئًا ، وصدق الرسول ﷺ حين حذر من مثل هذا قائلا : « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق » نسأل الله - الهداية والرشاد والتوفيق والسداد لجميع المسلمين ·

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن على بن الحسين أبو جعفر بمثل حديث أبى عبيدة ، وسماه ذا الخويصرة .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نَجيح ، عن أبيه بمثل ذلك .

• مقالة رسول الله ﷺ فى الأنصار :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن أبى سعيد الخدرى ، قال : لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا فى قريش وفى قبائل العرب(١) ، ولم يكن فى الأنصار منها شىء ، وجد هذا الحى من الأنصار فى أنفسهم ، حتى كثرت منهم القالة حتى قال قائلهم لقد لقى والله رسول الله ﷺ قومه ، فدخل عليه سعد بن عبادة ، فقال : يا رسول الله ، إن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك فى أنفسهم . لما صنعت فى هذا الفىء . الذى أصبت ، قسمت فى قومك . وأعطيت عطايا عظاماً فى قبائل العرب . ولم يك فى هذا الحى من الأنصار منها شىء . قال : فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ قال : يا رسول الله ، ما أنا إلا من قومى قال : فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة قال : فخرج سعد ، فجمع الأنصار فى تلك الحظيرة . فجاء رجال من المهاجرين فتركهم ، فدخلوا ، وجاء آخرون فردهم ، فلما اجتمعوا له أتاه سعد ، فقال : قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار ، فأتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : يا معشر الأنصار : مقالة بلغتنى عنكم ، وجدة (٢) وجدتموها على فى أنفسكم ؟ ألم آتكم ضلالا فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ قالوا : بلى ، الله ورسوله أمن وأفضل . ثم قال : ألا تجيبوننى يا معشر الأنصار ؟ قالوا : بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ لله ولرسوله المنُّ والفضل . قال ﷺ : أما والله لو شئتم لقلتم ، فلصدقتم ولصُدِّقتم : أتيتنا مكذبا فصدَّقناك ، ومخذولا فنصرناك ، وطريدا فآويناك ، وعائلا فآسيناك ، أوجدتم يا معشر الأنصار

---

(١) يقصد من أعطاهم الرسول ﷺ وهم : بنى عدى بن كعب ، بنى جمح بن عمرو، ومن بنى سهم ومن بنى عامر بن لؤى ومن بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة،من بنى قيس ، ومن بنى عامر بن صعصعة ، ومن بنى عامر بن ربيعة ومن بنى نصر بن معاوية ، ومن بنى سليم بن منصور ، ومن بنى غطفان ، ومن بنى تميم .

(٢) الجدة : مصدر وجد ، أى وجدتم فى أنفسكم شيئا .

فى أنفسكم ، فى لعاعة (١) من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم ، ألا ترضون يا معشر الأنصار ، أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار ، ولو سلك الناس شعبًا وسلكت الأنصار شعبًا ، لسلكت شعب الأنصار . اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار (٢) .

قال : فبكى القوم حتى أخضلوا (٣) لحاهم ، وقالوا : رضينا برسول الله قَسمًا وحظًّا ، ثم انصرف رسول الله ﷺ ، وتفرقوا .

* * *

عُمْرَةُ الرسول من الجعْرَانة

واستخلافه عتاب بن أسيد على مكة ، وحج عتاب بالمسلمين سنة ثمان (٤) .

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله ﷺ من الجعرانة معتمرًا ، وأمر ببقايا الفىء فحبس بمجنة ، بناحية من الظهران ، فلما فرغ رسول الله ﷺ من عمرته انصرف راجعًا إلى المدينة ، واستخلف عتاب بن أُسيد على مكة ، وخلَّف معه معاذ ابن جبل يفقِّه الناس فى الدين ، ويعلمهم القرآن ، واتبع رسول الله ﷺ ببقايا الفىء .

قال ابن إسحاق : وكانت عمرة رسول الله ﷺ فى ذى القعدة ، فقدم رسول الله ﷺ المدينة فى بقية ذى القعدة أو ذى الحجة (٥) .

---

(١) اللعاعة : الخصب ، أو الشجرة الخضراء ، شبه بها نعيم الدنيا .

(٢) تكفهم هذه الدعوة فهى خير من ملء الأرض ذهبًا ، أن دعا لهم بالرحمة ، والمغفرة ، ولأبنائهم ولذريتهم ، وهذه هى السعادة الحقيقية .

(٣) أخضلوا : أى بلوا .

(٤) قال ابن هشام : وبلغنى عن زيد بن أسلم أنه قال : لما استعمل النبى ﷺ عتاب ابن أسيد على مكة رزقه كل يوم درهما ، فقام فخطب الناس ، فقال : أيها الناس ، أجاع الله كبد من جاع على درهم ، فقد رزقنى رسول الله ﷺ درهما كل يوم فليست بى حاجة إلى أحد .

(٥) قال ابن هشام : وقدم رسول الله ﷺ المدينة لست ليالٍ بقين من ذى القعدة فيما زعم أبو عمر المدنى .

قال ابن إسحاق : وحج الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج عليه ، وحج بالمسلمين تلك السنة عتاب بن أُسيد ، وهى سنة ثمان ، وأقام أهل الطائف على شركهم وامتناعهم فى طائفهم ما بين ذى القعدة إذا انصرف رسول الله ﷺ إلى شهر رمضان من سنة تسع .

* * *

أَمْرُ كَعْبِ بْنِ زُهَيْر بعد الانْصراف عن الطائف

ولما قدم رسول الله ﷺ من منصرفه عن الطائف كتب بُجير بن زُهير بن أبى سُلمى إلى أخيه كعب بن زُهير يخبره أن رسول الله ﷺ قتل رجالا بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه ، وأن من بقى من شعراء قريش ، ابن الزبعرى ، وهبيرة بن أبى وهب قد هربوا فى كل وجه ، فإن كانت لك فى نفسك حاجة ، فطر [١] إلى رسول الله ﷺ ، فإنه لا يقتل أحدًا جاءه تائبًا ، وإن أنت لم تفعل فانج إلى نجاتك من الأرض ، وكان كعب بن زهير قد قال :

أَلاَ أبلغَا عنِّى بُجَيرا رِسَالةً ... فهَلْ لكَ فيما قُلتَ ويحكَ هل لكَا ؟

فبين لنا إن كُنتَ لست بفاعلٍ ... على أى شىءٍ غير ذلك دَلكَا

عَلى خُلُقٍ لم أَلْفِ يومًا أبًا لَهُ ... عَليه وما تُلْفى عليه أبًا لكَا

فَإنْ أنتَ لم تفعل فلستُ بآسفٍ ... ولا قائلٍ أما عثرتَ لعالكا [٢]

سَقاك بها المأمونُ كاسًا رَوِيَّةً ... فأنهلك المأمون منها وعلكَا [٣]

قال : وبعث بها إلى بُجير ، فلما أتت بُجيرًا كَرِه أن يكتمها رسول الله ﷺ فأنشده إياها ، فقال رسول الله ﷺ لما سمع : « سقاك بها المأمون » صدق وإنه لكذوب ، أنا المأمون . ولما سمع : « على خلق لم تلف أمًّا ولا أبا عليه » قال : أجل لم يلف عليه أباه ولا أمه .

---

(١) فعل أمر بمعنى : طر من الطيران ، أى ائت الرسول بسرعة .

(٢) لعالك كلمة تقال للعاثر دعاء له بالإقالة . أنشد أبو عبيد :

فلا لعا لبنى فلان إذا عثروا .

(٣) قال الزرقانى ويروى : المحمود فى غير رواية ابن إسحاق ، أراد بالمحمود محمدًا ﷺ وكذلك المأمون والأمين كانت قريش تسمى بها النبى ﷺ قبل النبوة . النهل : الشرب الأول . والعلل الشرب الثانى .

• **شعر بُجير لكعب :**

مَنْ مُبْلِغٌ كعبًا فهــل لكَ فى التى تَلــومُ عليها باطلاً وهــى أَحزَمُ
إلى الله لا العُزَّى ولا اللات وحدهُ فتنجو إذا كان النجاء وتَســلمُ
لَدى يوم لا ينجو وليـس بمفلت منَ الناسِ إلا طاهر القلب مُسلمُ
فَدينُ زهَيرٍ وهو لا شــىء دِينهُ وَدينُ أبى سُلْمــى علىَّ مُحَرَّمُ

قال ابن إسحاق : وإنما يقول كعب « المأمون » ، لقول قريش الذى كانت تقوله لرسول الله ﷺ .

كعب بن زُهير وقصيدته بانت سعاد : قال ابن إسحاق : « فلما بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الأرض ، وأشفق على نفسه ، وأرجف به من كان في حاضره من عدوه، فقالوا : هو مقتول . فلما لم يجد من شىء بُدًّا ، قال قصيدته التى يمدح فيها رسول الله ﷺ ، وذكر فيها خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه ، ثم خرج حتى قدم المدينة » فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة ، من جهينة ، كما ذكر لى ، فغدا به إلى رسول الله ﷺ حين صلى الصبح ، فصلى مع رسول الله ﷺ ، ثم أشار له إلى رسول الله ﷺ ، فقال : هذا رسول الله فقم إليه فاستأمنه فذكر لى أنه قام إلى رسول الله ﷺ ، حتى جلس إليه ، فوضع يده فى يده ، وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه ، فقال : يا رسول الله ، إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلمًا ، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به ؟ قال رسول الله ﷺ : نعم ، قال أنا يا رسول الله كعب بن زهير .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أنه وثب عليه رجل من الأنصار ، فقال يا رسول الله ، دعنى وعدو الله أضرب عنقه ، فقال رسول الله ﷺ : دعه عنك فإنه قد جاء تائبا ، نازعاً عما كان عليه . قال فغضب كعب على هذا الحى من الأنصار ، لما صنع به صاحبهم ، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير ، فقال فى قصيدته التى قال حين قدم على رسول الله ﷺ :

بَانتْ سُعادٌ فَقلبى اليـومَ مَتْبولُ مُتَيَّمٌ إثرها لم يُفْدَ مكــبولُ (١)

(١) بانت : فارقت فراقًا بعيداً . متيم : ذليل مستعبد . متبول : أسقمه الحب وأضـناه . لم يفد : لم يخلص من الأسر . مكبول : لا يجد فكاكا من القيد .

وَمَا سُعادُ غَداة البَيْنِ إذ رَحلوا ... إلا أغنُّ غضيضُ الطرفِ مكحولُ (١)
هـيْفَاء مُقبلةٌ عَجْزاء مُدبــرةٌ ... لاَ يُشتكى قِصَرٌ منــها ولا طُولُ (٢)
تَجلو عَوارض ذِى ظلم إذا ابتَسَمتْ ... كأنه مَنْهل بالرَّاح مَعْلولُ (٣)
شَجت بِذى شيــم من مَاء محنية ... صَافٍ بأبطح أضْحَى وهَو مَشمولُ (٤)
تَنْفى الرياحَ القَذى عــنْه وأفرطَهُ ... مِنْ صَوبِ غَادية بيض يَعاليلُ (٥)
فَيالهَا خُلَّة لو أنهــــا صَدَقَتْ ... بوَعْدها أو لو ان النصــح مقْبولُ (٦)
لَكنها خُلَّةٌ قد سيطَ مــــن دمِها ... فَجع ووَلع وإخـــلاف وتَبديلُ (٧)
فَما تَدومُ على حـــال تكونُ بِها ... كَما تَلون فى أثوابهـــا الغولُ (٨)
ومَا تَمسك بالعَهْد الـــذى زَعمتْ ... إلا كَما يمسك المـــاء الغرابيلُ (٩)

(١) غداة البين : صبيحة الفراق : أغن : أى ظبى اغن في صوته حسن ، غضيض الطرف : فاتره . مكحول : أسود الجفون .

(٢) هيفاء : ضامرة البطن والخصر . العجزاء : ضخـمة العجز ، لا يشتكى : لا يعاب .

(٣) تجلو : تصقل وتظهر وتكشف ، العوارض : الأسنان التى تظهر عند الضحك . الظلم : ماء الأسنان وبريقها ورقتها وهو أيضًا الثلج شبهت به الأسنان ، النهل : المسقى وهو الشرب الأول ، الراح : الخمر ، معلول : اســم مفعول من علـــه ، والعلل : الشرب الثانى .

(٤) شجت : مزجت ، ذى شيم : ماء شديد البرد ، محنية : منعطف الوادى ، أبطـح . مسيل واسع فيه حصى دقيق . أضحى : أخذ فى وقت الضحى ، مشمول : ضربته ريح الشمال حتى برد .

(٥) تنفى : تبعد ، القذى : كل غريب يقع فى الماء من تبن ونحوه ، أفرطه : سبق إليه ، صوب : مطر سحابة ، غادية : مبكرة .

(٦) الخلة : الصديقة الخليلة .

(٧) سيط : خلط ، فجع : إصابة ، ولع : كــذب ، إخلاف : خلف الوعد ، والمعنى : هذه الصفات خلطت بدمها .

(٨) الغول : ساحرة الجن تظهر فى الفلاة بألوان شتى ، تضلل من يتبعها .

(٩) ما تمسك : أى لا تتمسك .

فَلا يَغُرَّنَّكَ ما مَنَّتْ ومَا وَعَدَتْ إنَّ الأمانِى والأحــلامِ تَضْلِيلُ (١)
كَانَتْ مَواعِيدُ عرقُوب لهَا مثلاً وما مَواعيـــدها إلا الأباطيل (٢)
أَرجـــو وآملُ أن تَدنُو مودتها وَما إخَالُ لَدينا منك تنَويلُ (٣)
أَمســـتْ سُعاد بأرضٍ لا يبلِّغُها إلا العِتـــاق الجيبِاتُ المراسيلُ (٤)
ولَن يُبلِّغهـــــا إلا عذافرةٌ لَها على الأين إرقـــال وتَبغيلُ (٥)
مِنْ كُل نضاخة الذفرى إذا عَرقتْ عُرْضتها طامِسُ الأعــلامِ مَجهولُ (٦)
تَرمى الغيوبَ بعـــينى مفرد لهق إذَا توقدت الحـــزان والميلُ (٧)
ضَخمٌ مُقـــلدها فعم مقيدها فى خلقها عن بنات الفحل تفْضيلُ (٨)

---

(١) فلا يغرنك : لا يخدعنك ، ما منــت : ما منتك به من الوصل ، الأمانى : الآمال ، تضليل : سبب فى ضلال الإنسان .

(٢) عرقوب : رجل اشتهر بخلف الوعد فضرب به المثل ، الأباطيل : جمع باطل ، وهو جمع على غير القياس .

(٣) تدنو : تظهر ، إخال : بكسر الهمزة لغة تميم بمعنى أظن . تنويل : الوصل والعطاء .

(٤) العتاق : جمع عتيق : الكريم . النجيبات: جمع نجيبة: الخفيفة السريعة المراسيل : جمع مرسال ، السريعة أيضًا .

(٥) العذافرة : الناقة القوية العظيمة . الأين : التعب . إرقال وتبغيل : ضربان من العدو السريع .

(٦) نضاخة : كثيرة رشح العرق . الذفرى : نقرة توجد خلف أذن الناقة . عرضتها : همَّتها . طامس : دارس . الأعلام : العلامات التى تكون فى الطريق ليهتدى بها .

يصف ناقته بالسرعة والنشاط حتى تعرق وهى متعودة على الأسفار تعرف الطرق بلا علامات .

(٧) الغيوب : آثار الطريق التى غابت معالمها عن العيون . مفرد : ثور وحشى تفرد فى الصحراء . لهق : أبيض . الحزان : الأمكنة الغليظة الصلبة فيها حصباء كثيرة . الميل : الكثبان الضخمة من الرمال .

(٨) مقلد : موضع القلادة من العنق . فعم : ممتلىء مقيد : موضع القــيد ، أى قوائمها . وبنات الفحل : الإناث من الإبل المنسوبة إلى أبيها .

غَلباءَ وَجنـــاء عَلكوم مُذَكرة   في دَفها ســعة قدامها ميلُ (١)
وجلدها من أطـــوم ما يؤيسه   طِلْح بضاحية المتنين مَهزولُ (٢)
حَرفٌ ، أخوها أبوها من مهجنة   وعَمها خالهـــا قوداء شَمليلُ (٣)
يَمشى القِرادُ عــليهَا ثم يُزلقهُ   مَنها لبان وأقـــرابُ زَهاليلُ (٤)
عيرانة قذفتْ بالنحض عن عِرض   مرفقها عن بَنات الزور مفتولُ (٥)
كأنما فَاتَ عينــيهَا ومذبحها   من خِطْمها ومن اللحيين بَرطيلُ (٦)
تَمر مثل عَسيبِ النخل ذَا خصل   فَى غارز لم تخونّه الأحاليلُ (٧)
قرناء فـــى حُرتيها للبصير بها   عتق مُبين وفى الخدين تَسهيلُ (٨)
تخدى على يسرات وهى لاحقةٌ   ذوابل مسهن الأرض تَحليلُ (٩)

---

(١) غلباء : غليظة العنق · وجناء : عظيمة الوجنتين : علكوم : شديدة · مذكرة : تشبه الذكر فى عظم الخلقة ، الدف : الجنب · قدامها ميل : كناية إما عن سعة الخطو أو طول العنق ·

(٢) الأطوم : السلحفاة البحرية أو الزرافة غليظة الجلد · يؤيسه : يؤثر فيه · طلح : حشرة صغيرة تلزق بالجلد وهو ما يعرف بالقراد · الضاحية : الناحية الظاهرة للشمس · المتنين : ما اكتنف صلبها عن يمين وشمال · ومهزول : صفة لطلح · أى قراد مهزول ·

والمعنى : أن جلد هذه الناقة غاية فى الملاسة فلا يؤثر فيه القراد ولذلك هو مهزول ·

(٣) حرف : أى هى حرف ، أبوها أخوها ، وعمها خالها : مداخلة النسب كريمته لم يدخل نسبها غريب ·

(٤) يزلقه : يسقطه ، لبان : صدر ، أقراب : خواصر · زهاليل : جمع زهلول ، والمعنى : أن هذه الناقة لنعومتها لا يثبت القراد على جسدها ·

(٥) عيرانة : أى ناقة تشبه الوحش فى قوته وسرعته ونشاطه ·

(٦) فات : تقدم ، مذبحها : مكان الذبح من الرقبة ، الخطم : الأنف وما حوله ·

(٧) عسيب النخل : جريده ، ذا خصل : ذيل له لفائف من الشعر ·

(٨) القرناء : محدودبة الأنف ، الحرتان : الأذنان ، عتق : كرم ·

(٩) تخدى : تسرع ، يسرات : أى قوائم يسرات: واليسرات الخفاف، لاحقة : سابقة ، الذوابل : الرماح الصلبة ، تحليل : قليل والمعنى : أن هذه الناقة سريعة لا تمس الأرض إلا مسا سريعًا لشدة عدوها ·

سُمر العجايات يَتركن الحصى زيما ... لم يقهن رءوس الأكم تنعيلُ (١)
كأن أوب ذِراعيهـــا وقد عَرقتْ ... وقد تَلفعَ بالقـــور العساقيلُ (٢)
يَومًا يظَل به الحـــرباءُ مصطخدًا ... كأن ضاحيةً بالشـــمسِ مَملولُ (٣)
وقَالَ للقوم حاديهم - وقد جعلتْ ... ورق الجنادب يركُضن الحصَا قيلوُا (٤)
شد النهار ذراعًا عيطـــل نصف ... قَامتْ فجـــاوبها نكَد مَثاكيلُ (٥)
نَوَّاحةٌ رخـــوة الضبعينِ ليس لهَا ... لما نَعى بكْرها الـــناعون مَعقولُ (٦)
تَفرِى اللبـــان بِكفَّيها ومَدْرَعها ... مشقق عَنْ تَراقيهـــا رَعابيلُ (٧)
تسعى الغُوَاة جَنابيهَا وقولهـــم ... إنك يابن أَبـــى سُلْمَى لمقتولُ (٨)

---

(١) العجايات : الأعصاب المتصلة بالحافر . زيما : متفرقة . الأكم : الأرض المرتفعة . التنعيل : هو شد النعل على ظفر الدابة ليقيها الحجارة .

(٢) الأوب : سرعة تقلب ورجوع ذراعيها . تلفع : التحف . القور : جمع قارة : الجبل الصغير . العساقيل : السراب .

(٣) الحرباء : نوع من الدواب الصغيرة . مصطخدا . محترقا بحرارة الشمس . ضاحية : ما برز للشمس منه ، مملول : محروق .

(٤) الحادى : سائق الإبل . ورق : جمع أورق أو ورقاء . وهو الأخضر الذى يضرب إلى السواد . الجنادب : جمع جندب : نوع من الجراد . يركضن : يدفعن : قيلوا : خذوا راحتكم وقت القيلولة .

(٥) شد النهار : وسطه . عيطل : طويلة : نصف : متوسطة السن وهو غاية قوتها . نكد : من لا يعيش لهن ولد . مثاكيل : جمع مثكال : كثيرة فقد الأولاد .

والمعنى : يشبه سرعة حركة يدى هذه الناقة بيدى امرأة قوية تلطم خديها فيجاوبها نسوة ثكالى فيشتد لطمها .

(٦) نواحة : كثيرة النوح . صيغة مبالغة من نائحة . رخوة : مسترخية . الضبعين . العضدين . بكر : الولد الأول . الناعون . المخبرون بالموت : معقول : عقل .

والمعنى : شبه هذه الناقة بتلك المرأة فى تلك الأحوال فالناقة فى هذه الحالة ليس لها عقل تدرك به التعب والإعياء .

(٧) تفرى : تقطع . اللبان : الصدر . المدرع : القميص . التراقى : جمع ترقوة : عظام الصدر . رعابيل : قطع ، أى أن هذه المرأة لذهاب عقلها تقطع قميصها بأناملها .

(٨) الغواة : المفسدون ، جنابيها : حواليها ، مقتول : متوعد بالقتل .

وَقال كــل صَديق كنت آمُلُهُ ... لا ألهينــك إنى عَنك مَشغُولُ (١)
فقلت خلوا سبيلى لا أبَا لكم ... فكُلُّ ما قدَّر الرحــمن مَفْعُولُ (٢)
كل ابن أنثى وإنْ طــالتْ سَلامته ... يومًا على آلة حَدباءَ مَحمولُ (٣)
نُبِّئتُ أنَّ رسولَ الله أوعدَني ... والعفو عند رســولِ الله مَأمولُ (٤)
مهلاً هداك الذى أعطاك نافلةَ الــ ... ــقرآن فيها مَواعيظٌ وتفصيلُ (٥)
لاَ تأخذنى بأقوالِ الوُشَاة ولم ... أُذنب ولو كَثُرَتْ فِىَّ الأقاويلُ (٦)
لَقد أَقومُ مَقامًا لو يَقُومُ به ... يَرى وَيَسمعُ مَا قد أسمع الفِيلُ (٧)
لَظَلَّ يَرعَدُ إلا أن يكــونَ لَهُ ... مَن الرسولِ بإذن الله تَنويلُ (٨)
حتَّى وَضعتُ يمينــى مَا أُنازعهُ ... فَى كفٍّ ذِى نِقمات قِيلهُ القِيلُ (٩)
فَلَهو أخوف عندى إذ أُكلمه ... وَقيل إنك منسوب ومَسئولُ (١٠)
مِنْ ضيغم بضَراءِ الأرضِ مخدره ... فى بطن عثر غيل دونه غِيلُ (١١)

---

(١) آمله : أترجاه وأتمنى إعانته

(٢) خلوا سبيلى : اتركونى أقف بين يدى الرسول ﷺ فإنه سيعفو عنى .

(٣) آلة حدباء : نعش .

(٤) نبئت : أخبرت ، مأمول : مرجو .

(٥) هداك : زادك هدى ؛ فإنه لا يدعو له بالهدى لأنه الهادى المهدى ، نافلة : زيادة ؛ لأن القرآن هدية زائدة عن النبوة ومنحة الرسالة .

(٦) لم أذنب : لم أخطىء فى حقك .

(٧) مقام : أى مجلس الرسول ﷺ ، يقوم : يحضر .

(٨) يرعد : يرتعش بسبب الخوف ، تنويل : عطاء .

(٩) لا أنازعه : أى أطيعه . نقمات : جمع نقمة : السـطوة . قيله القيل : قوله النافذ .

(١٠) أخوف : أى هو صلى الله عليه وسلم أشد إخافة وإرهابا . منسوب ومسئول : أى منسوب إلى أشياء قلتها ومسئول عنها .

(١١) الضيغم : الأسد . ضراء الأرض : الأرض التى بها شجر . مخدره : غابة الأسـد . عثر : مكان تكثر فيه السباع . والغيل : الأجمة ، وهى الشجر الكثير الملتف .

يَغدو فيلحم ضِرغَامَين عَيشهمَا ... لحم من الناس مَعفور خَراديلُ (١)
إذا يساور قرنا لا يحـــل له ... أن يترك القرنَ إلا وهو مَفلولُ (٢)
منه تَظل سِباع الجـــو نافرة ... ولا تمشَّى بـــواديه الأراجيلُ (٣)
ولا يزالُ بَواديه أخـــو ثِقة ... مضرج البز والدُّرسان مأكولُ (٤)
إنَّ الرسولَ لَنُورٌ يُستَضاءُ به ... مُهنَّدٌ مِنْ سُيوفِ الله مَســـلُولُ (٥)
فِي عُصْبَةٍ مِنْ قُرَيشٍ قَال قائلُهم ... بِبطْنِ مكة لَمَّا أسلـــموا زُولوا (٦)
زَالوا فما زال أنكاسٌ ولا كَشف ... عند اللقاءِ ولا مـــيل مَعازيلُ (٧)
شُم العرانينَ أبطال لَبُوسُهمُ ... من نَسْج داود فى الهَيجا سَرابيلُ (٨)
بِيض سوابغُ قد شكت لها حلق ... كأنها حلق القفعاء مجدولُ (٩)
لَيسوا مفَاريحَ إنْ نالتْ رمَاحهم ... قومًا وليسوا مجازيعًا إذا نِيلوُا (١٠)

---

(١) يغدو : يخرج أول النهار للصيد . يلحم : يطعم لحما . ضرغامين : مثنى ضرغام : شبل الأسد . معفور : ملقى فى التراب . خراديل : مقطع قطعا صغيرة .

(٢) يساور : يواثب ويصارع . القرن : المماثل فى الشجاعة . مفلول : المكسور المهزوم .

(٣) الجو : ما بين السماء والأرض . نافرة : بعيدة . الأراجيل : جماعات من الرجال . جمع أرجال ، التى هى جماعة الرجال .

(٤) أخو ثقة : الواثق بنفسه . مضرج : مخضب بالدماء . البز : السلاح . الدرسان : مفرده دريس : الخلق من الثياب .

(٥) يستضاء به : يهتدى به إلى نور الحق . مهند : سيف طبع فى الهند . مسلول : مخرج من غمده .

(٦) العصبة : الجماعة ما بين العشرة إلى الأربعين زولوا : فعل أمر من زال التامة أى التى لها فاعل . أى تحولوا وانتقلوا .

(٧) الأنكاس : المهانون ، ولا كشف : أى لا ينكشفون فى الحرب بمعنى : لا ينهزمون .

(٨) شم : جمع أشم ، وهى علامة العزة والسيادة وهو علو قصبة الأنف مع استواء أعلاه . اللبوس : ما يلبس من عده الحرب ، الهيجا : الحرب ، سرابيل : دروع .

(٩) بيض : مجلوة ، مجدول : محكم صنعه .

(١٠) مفاريح : كثيرو الفرح ، نيلوا : أصيبوا .

يَمشونَ مشى الجمالِ الزُّهرِ يعصمهُم ضَرب إذا عرَّدَ السودُ التنَابيلُ (١)
لاَ يقعُ الطعنُ إلا فــى نُحورهِمُ ومَالهم عن حِياضِ الموتِ تهليلُ (٢)

• كعب يسترضى الأنصار بمدحهم :

قالَ ابن إسحاق : وقال عاصم بن عمر بن قتادة : فلما قال كعب : إذا عرد السود التنابيل ، وإنما يريدنا معشر الأنصار ، لما كان صاحبنا صنع به ما صنع وخص المهاجرين من قريش من أصحاب رسول الله ﷺ بمدحته غضبت عليه الأنصار ، فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار ، ويذكر بلاءهم مع رسول الله ﷺ ، وموضعهم من اليمن :

من سرَّه كَرمُ الحيــــاةِ فلا يَزل فى مقنبٍ من صَالحى الأنْصَارِ (٣)
ورَثوا المكارم كابرًا عــــن كَابرٍ إن الخيَار هــــم بَنو الأخيارِ
المُكرهين الســــــمهرى بأذرع كسوالف الهنــــدى غير قصارِ (٤)
والناظرينَ بأعينٍ محمــــــرة كالجمر غير كليــــلة الأبصارِ (٥)
والبائعينَ نفوســـــهُم لنبيِّهم للمـــوتِ يَوم تَعانُق وكِرَارِ (٦)
والذائدينَ النــــاس عن أديانهم بالمشرفىِّ وبَالقنَا الخطــــارِ (٧)
يتَطهرون يَرونـــــه نُسكا لهم بدماء من عَلقوا مـــن الكفارِ (٨)
دَربوا كمــــا دربتْ ببطنِ خَفية غُلب الرقاب من الأسودِ ضَوارى (٩)

---

(١) الزهر : البيض ، يعصمهم : يمنعهم ، التنابيل : القصار .

(٢) حياض الموت : موارد الهلاك ، ويريد بها أرض المعركة ، تهليل : تأخر . .

قال ابن هشام : يقال إن رسول الله ﷺ قال له حين أنشده : « بانت سعاد » : لو ذكرت الأنصار بخير فإنهم لذلك أهل ، فقال كعب هذه الأبيات .

(٣) المقنب : جماعة الخيل . والمراد به هنا الأنصار على ظهور خيلهم .

(٤) السمهرى : الرمح . سوالف : حواشى . الهندى : السيف المنسوب إلى الهند .

(٥) بأعين محمرة : يريد أن الشجاع إذا غضب احمرت عيناه .

(٦) تعانق : يريد به التحام الشجعان فى ميدان القتال .

(٧) المشرفى : السيف . القنا : الرماح . الخطار : المهتز .

(٨) يرونه : يعتقدونه . نسكا : عبادة .

(٩) دربوا : تعودوا . خفية : مكان تكثر فيه الأسود . غلب : غلاظ .

وإذا حَللت ليمنـــــعوك إليهم أصبحتَ عِندَ معَاقِلِ الأعفارِ (١)
ضَربُوا عَليًّا يَوم بَدرٍ ضـــــربةً دَانت لوقعتـــــها جَميع نَزارِ (٢)
لَو يعلمُ الأقوام عِلمـــــى كله فيهم لصـــدقنى الذين أمارى (٣)
قَومٌ إذا خَوتِ النجـــوم فإنهم للطارقينَ الـــبازلين مَقارى (٤)
فِى الغُرِّ مِن غسَّانَ مـــن جرثومةٍ أعيتْ مَحافرها على المِنقارِ (٥)

* * *

غَزْوَةُ تَبُوك (٦) فى سنَة تِسْعٍ

● أمر الرسول ﷺ بالاستعداد لتبوك :

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ما بين ذى الحجة إلى رجب ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم . وقد ذكر لنا الزهـــرى ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبى بكر وعاصم بن عمر بن قتادة ، وغيرهم من علمائنا ، كل حدث فى غزوة تبوك ما بلغه عنها ، وبعض القوم يحدث ما لا يحدث بعض . أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم ، وذلك فى زمن من عُسرة الناس ، وشدة من الحر ، وجدب من البلاء وحين طابت الثمار . والناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذى هم عليه ، وكان رســـول الله ﷺ قلما يخرج فى غزوة إلا كَنَى عنها ، وأخبر أنه يريد غير الوجه

---

(١) الأعفار : الوعول الصغيرة يضرب بها المثل لامتناعها فى قمم الجبال .
(٢) ضربوا عليًّا : يريد به عليا بن مسعود بن مازن الغسانى .
(٣) أمارى : أجادل .
(٤) خوت : سقط ولم تمطر . مقارى : المقارى : الجفان التى يصنع فيها الطعام .
(٥) وتروى : النقار .
(٦) تبوك : بفتح التاء موضع بين وادى القرى والشام ، وقيل بركة لأبناء سعد من بنى عذرة وقيل تبوك بين الحجر وأول الشام ، وهو حصن به عين ونخل وحائط ينسب إلى النبى ﷺ . ويقال إن أصحاب الأيكة الذين بعث إليهم شعيب عليه السلام كانوا فيها ولم يكن شعيب منهم وإنما كان من مدين ، قال يحيى بن جابر توجه النبى ﷺ فى سنة تسع للهجرة إلى غزوة تبوك من أرض الشام وهى آخر غزواته ﷺ .

الذى يصمد له [١] ، إلا ما كان من غزوة تبوك ، فإنه بيَّنها للناس ، لبعد الشقة ، وشدة الزمان ، وكثرة العدو الذى يصمد له ، ليتأهب الناس لذلك أهبته ، فأمر الناس بالجهاز ، وأخبرهم أنه يريد الروم [٢] .

• تخلف الجد بن قيس :

قال رسول الله ﷺ ذات يوم وهو فى جهازه ذلك للجد بن قيس أحد بنى سلمة يا جد : هل لك العام فى جلاد بنى الأصفر [٣] ؟ فقال : يا رسول الله ، أو تأذن لى ولا تفتنى ؟ فوالله لقد عرفتْ قومى أنه ما من رجل بأشد عَجَبًا بالنساء منى ، وإنى أخشى إن رأيت نساء بنى بالأصفر أن لا أصبر ، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال : قد أذنت لك . ففى الجد بن قيس نزلت هذه الآية : ﴿ **ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين** ﴾ [٤] .

أى إن كان إنما خشى الفتنة من نساء بنى الأصفر ، وليس ذلك به ، فما سقط فيه من الفتنة أكبر بتخلفه عن رسول الله ﷺ ، والرغبة بنفسه عن نفسه يقول تعــالى : « وإن جهنم لمن ورائه » .

شأن المنافقين : وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض : لا تنفروا فى الحرِّ ، زهادة فى الجهاد وشكا فى الحق ، وإرجافا برسول الله ﷺ ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم : ﴿ **وقالوا لا تنفروا فى الحرِّ قل نارُ جهنـم أشد حرًّا لو كانوا يفقهون * فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون** ﴾ [٥] .

حض الأغنياء على النفقة : قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله ﷺ جد فى سفره ، وأمر الناس بالجهاز والانكماش ، وحض أهل الغنى على النفقة والحملان

---

(١) يصمد له : يقصده .

(٢)وهذه استراتيجية عسكرية سبق بها الرسول ﷺ العالم منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام ، ليعلم القادة الدبلوماسية فى قيادة الجيوش .

(٣) بنو الأصفر : يريد الروم .

(٤) سورة التوبة : الآية ٤٩ .

(٥) سورة التوبة : ٨١ - ٨٢ .

فى سبيل الله ، فحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا [١] ، وأنفق عثمان بن عفان فى ذلك نفقة عظيمة ، لم ينفق أحد مثلها [٢] .

البكّاءون والمعذَّرون والمتخلفون : قال ابن إسحاق : ثم إن رجالا من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ ، وهم البكاءون ، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم من بنى عمرو بن عوف : سالم بن عمير ، وعُلبة بن زيد ، أخو بنى حـارثة ، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب ، أخو بنى مازن بن النجار ، وعمرو بن حمام بن الجموح ، أخو بنى سلمة ، وعبد الله بن المغفل المزَنى - وبعض الناس يقول : بل هو عبد الله ابن عَمرو المزنى - وهرمى بن عبد الله ، أخو بنى واقف ، وعـِرباضُ بن سارية الفزارى . فاستحملوا رسول الله ﷺ ، وكانوا أهل حاجة ، فقال : لا أجد ما أحملكم عليه ، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنًا ألاَّ يجدوا ما ينفقون .

قال ابن إسحاق : فبلغنى أن ابن يامين بن عمير بن كعب النضرى لَقى أبا ليلى عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن مغفل وهما يبكيان ، فقال لهما : ما يبكيكما ؟ قالا : جئنا رسول الله ﷺ ليحملنا . فلم نجد عنده ما يحملنا عليه وليس لنا ما نتقوى به على الخروج معه فأعطاهما ناضحًا [٣] له ، فارتحلاه ، وزودهما شيئًا من تمر فخرجا مع رسول الله ﷺ .

• شأن المعذَّرين :

قال ابن إسحاق : وجاءه المعذَّرون من الأعراب ، فاعتذروا إليه ، فلم يعذرهم الله تعالى . وقد ذكر لى أنهم نفرٌ من بنى غِفار .

ثم استتب [٤] برسول الله ﷺ سفره ، وأجمع السير ، وقد كان نفر من المسلمين أبطأت بهم النية عن رسول الله ﷺ ، حتى تخلفوا عنه ، عن غير شك

---

(١) احتسبوا : أى احتسبوا الأجر عند الله ابتغاءِ مَرضاته .

(٢) قال ابن هشام : حدثنى من أثق به أن عثمان بن عفان أنفق فى جيش العُسرة فى غزوة تبوك ألف دينار - وكان فى ذلك الوقت مبلغًا كبيراً - فقال رَسول الله ﷺ « اللهم ارض عن عثمان فإنى عنه راض » يا لها من منزلة عظيمة نالها سيدنا عثمان بفضل إنفاقه فى سبيل الله !! .

(٣) الناضح : الجمل الذى يُسقى عليه الماء .

(٤) استتب : انتظم وتتابع .

ولا ارتياب منهم : كعب بن مالك بن أبى كعـب ، أخو بنى سلمة ، ومرارة بن الربيع ، أخو بنى عمرو بن عوف ، وهـلال بن أمـية ، أخو بنى واقف ، وأبو خيثمة ، أخو بنى سالم بن عوف وكانوا نفر صدق ، لا يتهمون فى إسلامهم ·

فلما خرج رسول الله ﷺ ضرب عسكره على ثنية الوداع (١) ·

قال ابن إسحاق : وضرب عبد الله بن أُبىٍّ معه على حدة عسكرة أسفل منه ، نحو ذباب (٢) وكان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين · فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه عبد الله بن أُبىٍّ ، فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب (٣) ·

المنافقون يرجفون بعلىٍّ : وخلف رسول الله ﷺ على بن طالب ، رضوان الله عليه ، إلى أهله ، وأمره بالإقامة فيهم ، فأرجف به المنافقون ، وقالوا : ما خلفه إلا استثقالا له ، وتخففا منه · فلـما قال ذلك المنافـقون ، أخذ على بن أبى طالب ، رضوان الله عليه سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ وهو نازل بالجرف (٤) ، فقال : يا نبى الله ، زعم المنافقون أنك إنما خلفتنى أنك استثقلتنى وتخففت منى ، فقال:كذبوا ، ولكنى خلفتك لما تركت ورائى ، فارجع فاخلفنى فى أهلى وأهلك ، أفلا ترضى يا على أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا أنه لا نبى بعدى ، فرجع على إلى المدينة ومضى رسول الله ﷺ على سفره ·

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة ، عن إبراهيم ابن سعد بن أبى وقاص ، عن أبيه سعد : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول لعلى هذه المقالة ·

قال ابن إسحاق : ثم رجع على إلى المدينة ، ومضى رسول الله ﷺ على سفره ·

أبو خيثمة وعمير بن وهب يلحقان بالرسول : ثم إن أبا خَيْثَمة رجع بعد أن

---

(١) قال ابن هشام : واستعمل على المدينة محمد بن مسلمة الأنصارى ·

وذكر عبد العزيز بن محمد الدراوردى عن أبيه : أن رسول الله ﷺ استعمل على المدينة ، مخرجه إلى تبوك ، سباع بن عرفطة ·

(٢) ذباب : جبل بالمدينة ·

(٣) أى أهل الشك ·

(٤) الجرف : مكان بينه وبين المدينة ثلاثة أميال ·

سار رسول الله ﷺ أياما إلى أهله فى يوم حار ، فوجد امرأتين له فى عريشين [١] لهما فى حائطه [٢] قد رشت كل واحدة منهما عريشها ، وبردت له فيه ماء وهيأت له فيه طعاما ، فلما دخل ، قام على باب العريش ، فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له ، فقال : رسول الله ﷺ فى الضح [٣] والريح والحر ، وأبو خيثمة فى ظل بارد ، وطعام مهيأ ، وامرأة حسناء ، فى ماله مقيم ، ما هذا بالنصف ! ثم قال : والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ ، فهيئا لى زادا ، ففعلتا ، ثم قدم ناضحه فارتحله ، ثم خرج فى طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل بتبوك . وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجمحى فى الطريق ، يطلب رسول الله ﷺ ، فترافقا ، حتى إذا دنوا من تبوك . قال أبو خيثمة لعمير ابن وهب : إن لى ذنبا ، فلا عليك أن تخلف عنى حتى آتى رسول الله ﷺ ففعل حتى إذ دنا من رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك ، قال الناس : هذا راكب على الطريق مُقبل ، فقال رسول الله ﷺ : كن أبا خيثمة : فقالوا يا رسول الله هو والله أبو خيثمة [٤] . فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير [٥] .

• ما قاله النبى وهو بالحجر [٦] :

قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله ﷺ حين مر بالحجر نزلها واستقى الناس من بئرها . فلما راحوا قال رسول الله ﷺ : لا تشربوا من مائها شيئًا ، ولا تتوضؤا منه للصلاة وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل ، ولا تأكلوا منه شيئًا ، ولا يخرجن أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له [٧] . ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله ﷺ ، إلا أن رجلين من بنى ساعدة خرج أحدهما لحاجته ، وخرج

---

(١) العريش : ما يستظل به . (٢) الحائط : البستان (٣) الضح : الشمس .

(٤) هذا من الوحى على لسانه فسبحان من أجراه على لسانه .

(٥) اسمه مالك بن قيس ، وقال فى ذلك شعراً منه :

لما رأيتُ الناس فى الدين نافقوا ... أتيت التى كانت أعفَّ وأكرمَا

وبايعت باليمنى يدى لمحمد ... فلم أكتسب إثما ولم أغش محرمَا

(٦) الحجر : اسم ديار ثمود بوادى القرى بين المدينة والشام .

(٧) وهذا لحكمة يعلمها الله ورسوله حتى لا يحدث لأحد ضرر .

الآخر فى طلب بعير له ، فأما الذى ذهب لحاجته فإنه خُنق على مذهبه ، وأما الذى ذهب فى طلب بعيره فاحتملته الريح ، حتى طرحته بجبلى طيىء . فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال : ألم أنهكم أن يخرج منكم أحد إلا ومعه صاحبه ، ثم دعا رسول الله ﷺ للذى أصيب على مذهبه فشُفى ، وأما الآخر الذى وقع بجبلى طيء ، فإن طيئًا أهدته لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة .

والحديث عن الرجلين عن عبد الله بن أبى بكر ، عن عباس بن سهل بن سعد الساعدى ، وقد حدثنى عبد الله بن أبى بكر أن قد سمى له العباس الرجلين ، ولكنه استودعه إياهما (١) ، فأبى عبد الله أن يسميهما لى (٢) .

قال ابن إسحاق : فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فدعا رسول الله ﷺ ، فأرسل الله سبحانه سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس ، واحتملوا حاجتهم من الماء .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن مُحمود بن لبيد ، عن رجال من بنى عبد الأشهل ، قال : قلت لمحمود : هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم ؟ قال : نعم والله ، إن كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمه وفى عشيرته ، ثم يلبس بعضهم بعضا على ذلك . ثم قال محمود : لقد أخبرنى رجال من قومى عن رجل من المنافقين معروف نفاقه ، كان يسير مع رسول الله ﷺ حيث سار ، فلما كان من أمر الناس بالحجر ما كان ، ودعا رسول الله ﷺ حين دعا ، فأرسل الله السحابة ، فأمطرت حتى ارتوى الناس قالوا : أقبلنا عليه نقول : ويحك ، هل بعد هذا شئ ؟! قال : سحابة مارة (٣) .

تَقوُّل ابن اللصيت : قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله ﷺ سار حتى إذا

---

(١) أى استكتمه السر .

(٢) قال ابن هشام : بلغنى عن الزهرى أنه لما مر رسول الله ﷺ بالحجر سجَّى ثوبه على وجهه ، واستحث راحلته ، ثم قال : لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلاَّ وأنتم باكون ، خوفًا أن يصيبكم مثل ما أصابهم .

(٣) فمن قال مطرنا بفضل الله فهو مؤمن بالله كافر بالكوكب أما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فهو كافر بالله مؤمن بالكوكب .

كان ببعض الطريق ضلت ناقته ، فخرج أصحابه فى طلبها ، وعند رسول الله ﷺ ، رجل من أصحابه ، يقال له عمارة بن حزم ، وكان عقبيًا بدريًّا ، وهو عم بنى عمرو ابن حزم ، وكان فى رحله زيد بن اللصيت القينقاعى ، وكان منافقا ٠

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لَبيد ، عن رجال من بنى عبد الأشهل ، قالوا : فقال زيد بن اللصيت ، وهو فى رحل عمارة وعمارة عند رسول الله ﷺ : أليس محمد يزعم أنه نبى ، ويخبركم عن خبر السماء ، وهو لا يدرى أين ناقته ؟ فقال رسول الله ﷺ وعمارة عنده : إن رجلا قال : هذا محمد يخبركم أنه نبى ، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدرى أين ناقته ، وإنى والله ما أعلم إلا ما علمنى الله وقد دلنى الله عليها ، وهى فى هذا الوادى ، فى شعب كذا وكذا ، قد حبستها شجرة بزمامها ، فانطلقوا حتى تأتونى بها (١) ، فذهبوا ، فجاءوا بها ٠ فرجع عمارة بن حزم إلى رحله ، فقال : والله لعجب من شىء حدثناه رسول الله ﷺ آنفا ، عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا ، كالذى قال زيد بن اللصيت ، فقال رجل ممن كان فى رحل عمارة ولم يحضر رسول الله ﷺ : زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتى ٠- فأقبل عمارة على زيد يجأ (٢) فى عنقه ويقول إلىَّ عباد الله ، إن فى رحلى لداهية وما أشعر ! اخرج أى عدو الله من رحلى ، فلا تصحبنى ٠

● قصة أبى ذرٍّ :

قال ابن إسحاق : فزعم بعض الناس أن زيدًا تاب بعد ذلك ، وقال بعض الناس لم يزل متهمًا بشر حتى هلك ٠ ثم مضى رسول الله ﷺ سائرًا ، فجعل يتخلف عنه الرجل ، فيقولون : يا رسول الله ، تخلف فلان ، فيقول دعوه فإن يكُ فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه ، حتى قيل : يا رسول الله ، قد تخلف أبو ذر (٣) وأبطأ به بعيره ، فقال : دعوه فإن يك فيه

(١) أخبر الله نبيه بمكان الناقة ليرد كيد المنافق فى نحره ، وليؤكد الحقيقة أن الرسول ﷺ مؤيد من الله وأن الخبر يأتيه حقًّا من السماء ، ولذلك وجدوا الناقة كما وصفها لهم الرسول ﷺ ، وهذه من معجزاته ٠

(٢) يجأ : يطعن ٠

(٣) أبو ذر : اسمه جندب بن جنادة ٠ وقيل : زيد بن عشرقة ٠ وقيل : جندب بن عبد الله ٠ وقيل : جندب بن السكن ، والأول أصح والله أعلم ٠

خير فسيلحقه الله بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه ، وتلوم [(١)] أبو ذر على بعيره ، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فحمله على ظهره ثم خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشيًا ، ونزلَ رسول الله في بعض منازله فنظر ناظر من المسلمين فقال : يا رسول الله ، إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده ، فقال رسول الله ﷺ : كن أبا ذر [(٢)] فلما تأمله القوم قالوا : : يا رسول الله ، هو والله أبو ذر ، فقال رسول الله ﷺ : رحم الله أبا ذر ، يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويُبعث وحده .

قال ابن إسحاق : فحدثني بُريدة بن سفيان الأَسْلَمي ، عن محمد بن كَعب القُرظي ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : لما نفى عثمان أبا ذر إلى الربَذة وأصابه بها قدره [(٣)] ، لم يكن معه أحد إلا امرأته وغلامه ، فأوصاهما أن أغسلاني وكفِّناني ، ثم ضعاني على قارعة الطريق ، فأول ركب يمر بكم فقولوا : هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ ، فأعينونا على دفنه ، فلما مات فعلا ذلك به . ثم وضعاه على قارعة الطريق ، وأقبل عبد الله بن مسعود في رهط من أهل العراق عمار ، فلم يرعهم إلا بالجنازة على ظهر الطريق ، قد كادت الإبل تطؤها . وقام إليهم الغلام . فقال : هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ فأعينونا على دفنه . قال : فاستهل عبد الله بن مسعود يبكي ويقول : صدق رسول الله ﷺ ، تمشي وحدك ، وتموت وحدك وتُبعث وحدك . ثم نزل هو وأصحابه فواروه [(٤)] ، ثم حدثهم عبد الله بن مسعود حديثه ، وما قال له رسول الله ﷺ في مسيره إلى تبوك .

• تخويف المنافقين المسلمين وما نزل فيهم :

قال ابن إسحاق : وقد كان رهط من المنافقين ، منهم وديعة بن ثابت ، أخو بني عمرو بن عوف ، ومنهم رجل من أشجع ، حليف لبني سلمة ، يقال له : مخشَّن بن حمير يشيرون إلى رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك ، فقال بعضهم لبعض : أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضا ؟! والله لكأنا بكم غدا مقرنين في الحبال ، إرجافا وترهيبا للمؤمنين ، فقال مخشن بن حمير : والله

---

(١) تلوم : تمهل .

(٢) كن أبا ذر : لفظ الأمر ، ومعناه الدعاء : كما تقول أسلم سلمك الله .

(٣) أي وافته المنية وأتاه الموت . (٤) أي دفنوه .

لوددت أنى أقاضى على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة ، وإنا ننفلت أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه ·

وقال رسول الله ﷺ - فيما بلغنى - لعمار بن ياسر : أدرك القوم ، فإنهم قد احترقوا ، فسلهم عما قالوا : فإن أنكروا فقل : بلى قلتم كذا وكذا ، فانطلق إليهم عمار ، فقال ذلك لهم : فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه ، فقال وديعة بن ثابت ، ورسول الله ﷺ واقف على ناقته ، فجعل يقول وهو آخذ بحقبها (١) : يا رسول الله ، إنما كنا نخوض ونلعب ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب** ﴾ · وقال مخشن بن حمير : يا رسول الله ، قعد بى اسمى واسم أبى ، وكأن الذى عفى عنه فى هذه الآية مخشن بن حمير ، فتسمى عبد الرحمن ، وسأل الله تعالى أن يقتله شهيدًا لا يعلم بمكانه ، فقتل يوم اليمامة ، فلم يوجد له أثر (٢) ·

الصلح مع صاحب أَيْلَة : ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك ، أتاه يحنة ابن رؤبة ، صاحب أيلة ، فصالح رسول الله ﷺ ، وأعطاه الجزية، وأتاه أهل جرباء وأذرح ، فأعطوه الجزية ، فكتب رسول الله ﷺ لهم كتابا ، فهو عندهم ·

فكتب ليحنة بن رؤبة :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذه أمنة من الله ومحمد النبى رسول الله ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة ، سفنهم وسيارتهم فى البر والبحر : لهم ذمة الله ، وذمة محمد النبى ، ومن كان معهم من أهل الشام ، وأهل اليمن ، وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حدثا ، فإنه لا يحول ماله دون نفسه ، وإنه طيب لمن أخذه من الناس ، وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ، ولا طريقا يريدونه ، من بر أو بحر ·

• خالد وأُكَيْدَر دَومة :

ثم إن رسول الله ﷺ دعا خالد بن الوليد فبعثه إلى أكيدر دومة ، وهو أُكيدر ابن عبد الملك ، رجل من كندة كان ملكًا عليها ، وكان نصرانيًّا ، فقال رسول الله ﷺ لخالد : إنك ستجده يصيد البقر · فخرج خالد ، حتى إذا كان من حصنه

---

(١) الحقب : حزام يشد به على حقو الجمل ·

(٢) أخلص فى الدعاء فاستجاب الله منه ·

بمنظر العين ، وفى ليلة مقمرة صائفة ، وهو على سطح له ، ومعه امرأته ، فباتت البقر تحك بقرونها باب القصر ، فقالت له امرأته : هل رأيت مثل هذا قط ؟ قال : لا والله ! قالت : فمن يترك هذه ؟ قال : لا أحد · فنزل فأمر بفرسه ، فأسرج له ، وركب معه نفر من أهل بيته ، فيهم أخ له يقال له حسان · فركب ، وخرجوا معه بمطاردهم · فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله ﷺ ، فأخذته ، وقتلوا أخاه ، وقد كان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب ، فاستلبه خالد ، فبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه به عليه ·

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة · عن أنس بن مالك : رأيت قباء أكيدر حين قدم به على رسول الله ﷺ · فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ، ويتعجبون منه ، فقال رسول الله ﷺ : أتعجبون من هذا ؟ فوالذى نفسى بيده لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن من هذا (١) ·

قال ابن إسحاق : ثم إن خالدًا قدم بأكيدر على رسول الله ﷺ ، فحقن له دمه ، وصالحهُ على الجزية ، ثم خلى سبيله ، فرجع إلى قريته ، فقال رجل من طيء : يقال له بُجير بن بجرة ، يذكر قول رسول الله ﷺ لخالد : إنك ستجده يصيد البقر ، وما صنعت البقر تلك الليلة حتى استخرجته ، لتصديق قول رسول الله ﷺ :

تباركَ سائقُ البقــــراتِ إنِّى ... رأيتُ اللهَ يهدى كُل هَادِ
فَمنْ يكُ حائدًا عن ذى تَبوك ... فإنا قد أُمرنا بالجهــــادِ

فأقام رسول الله ﷺ بتبوك بضع عشرة ليلة ، لم يجاوزها ، ثم انصرف قافلاً إلى المدينة ·

• وادى المشقق وماؤه والمعجزة :

وكان فى الطريق ماء يخرج من وشل ، وما يروى الراكب والراكبين والثلاثة ، بواد يقال له وادى المشقق ، فقال رسول الله ﷺ : من سبقنا إلى ذلك الوادى فلا يستقين منه شيئًا حتى نأتيه ، قال : فسبقه إليه نفر من المنافقين ، فاستقوا ما فيه ،

---

(١) والمناديل مما يمتهن فما بالك بالملابس ·

فلما أتاه رسول الله ﷺ وقف عليه فلم ير فيه شيئًا فقال: من سبقنا إلى هذا الماء ؟! فقيل له يا رسول الله . فلان وفلان ، فقال : أولم أنههم أن يستقوا منه شيئًا حتى آتيه ثم لعنهم رسول الله ﷺ ، ودعا عليهم ثم نزل فوضع يده تحت الوشل ، فجعل يصب فى يده ما شاء الله أن يصب ، ثم نضحه به ، ومسحه بيده ، ودعا رسول الله ﷺ بما شاء الله أن يدعو به ، فانخرق من الماء - كما يقول من سمعه - ما إن له حسا كحس الصواعق ، فشرب الناس ، واستقوا حاجتهم منه . فقال رسول الله ﷺ : لئن بقيتم أو من بقى منكم لتسمعن بهذا الوادى ، وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه .

ذُو البجادين ودفنه وتسميته : قال : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى ، أن عبد الله بن مسعود كان يحدث ، قال : قمت من جوف الليل ، وأنا مع رسول الله ﷺ ، فى غزوة تبوك ، قال : فرأيت شعلة من نار فى ناحية العسكر ، قال : فاتبعتها أنظر إليها ، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر ، وإذا عبد الله ذو البجادين المزنى قد مات ، وإذا هم قد حفروا له ، ورسول الله ﷺ فى حفرته ، وأبو بكر وعمر يدنيانه إليه ، وهو يقول : أدنيا إلىَّ أخاكما ، فدلياه إليه ، فلما هيأه لشقه قال : اللهم إنى أمسيت راضيا عنه ، فارض عنه . قال : يقول عبد الله بن مسعود : ياليتنى كنت صاحب الحفرة .

حديث أبى رهم فى تَبوك : قال ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهرى ، عن ابن أكيمة الليثي ، عن ابن أخى أبى رهم الغفارى ، أنه سمع أبا رهم كلثوم بن الحصين ، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ الذين بايعوا تحت الشجرة ، يقول : غزوت مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك ، فسرت ذات ليلة معه ونحن بالأخضر قريبا من رسول الله ﷺ وألقى الله علينا النعاس فطفقت أستيقظ وقد دنت راحلتى من راحلة رسول الله ﷺ ، فيفزعنى دنوها منه ، مخافة أن أصيب رجله فى الغرز ، فطفقت أحوز (١) راحلتى عنه ، حتى غلبتنى عينى فى بعض الطريق ، ونحن فى بعض الليل ، فزاحمت راحلتى راحلة رسول الله ﷺ ورجله فى الغرز ، فما استيقظت إلا بقوله حِسْ (٢) ، فقلت : يا رسول الله ، استغفر لى . فقال : سر

---

(١) أحوز : أبعد . (٢) حس : كلمة تقال عند وجود الألم .

فجعل رسول الله ﷺ يسألنى عمن تخلف من بنى غِفار ، فأخبره به فقال وهو يسألنى : ما فعل النفر الحمر الطوال الثطاط (١) فحدثته بتخلفهم . قال : فما فعل النفر السود الجعاد القصار ؟ قال : قلت : والله ما أعرف هؤلاء منا . قال بلى ، الذين لهم نَعَمٌ بشبكة شدخ (٢) فتذكرتهم فى بنى غفار ، ولم أذكرهم حتى ذكرت أنهم رهط من أسلم كانوا حلفاء فينا ، فقلت : يا رسول الله ، أولئك رهط من أسلم ، حلفاء فينا ، فقال رسول الله ﷺ : ما منع أحد أولئك حين تخلف أن يحمل على بعير من إبله امرءًا نشيطًا فى سبيل الله ؟ إن أعز أهلى علىَّ أن يتخلف عنى المهاجرون من قريش والأنصار وغفار وأسلم .

* * *

أَمْرُ مسْجد الضِّرار عند القُفُولِ من غزوة تبوك

● دعوة أهله الرسول للصلاة فيه :

قال ابن إسحاق : ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى نزل بذى أوان بلد ، بينه وبين المدينة ساعة من نهار ، وكان أصحاب مسجد الضِّرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك . فقالوا : يا رسول الله ، إنا قد بنينا مسجداً لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية ، وإنا نحب أن تأتينا . فتصلى لنا فيه ، فقال : إنى على جناح سفر ، وحال شغل أو كما قال ﷺ : ولو قد قدمنا إن شاء الله تعالى لأتيناكم ، فصلينا لكم فيه .

● أمر الرسول ﷺ بهدمه :

فلما نزل بذى أوان ، أتاه خبر المسجد ، فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدُّخْشُم ، أخا بنى سالم بن عوف ، ومَعْن بن عَدِى ، أو أخاه عاصم بن عدى ، أخا بنى العجلان . فقال : انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله ، فاهدماه وحرِّقاه فخرجا سريعين حتى أتيا بنى سالم بن عوف ، وهم رهط مالك بن الدخشم ، فقال مالك لمعن : أنظرنى حتى أخرج إليك بنار من أهلى . فدخل إلى أهله ، فأخذ سعفاً

---

(١) الثطاط : مفرد ثط ، صغير نبات شعر اللحية .

(٢) شبكة شدخ : موضع ببلاد غفار .

من النخل ، فاشعل فيه ناراً ، ثم خرجا يشتدان حتى دخلاه وفيه أهله ، فحرقاه وهدماه ، وتفرقوا عنه ، ونزل فيهم من القرآن ما نزل : ﴿ **والذين اتخذوا مسجداً ضِراراً وكفراً وتفريقًا بين المؤمنين** ﴾ (١) . إلى آخر القصة .

وكان الذين بنوه اثنى عشر رجلا : خذام بن خالد ، من بنى عبيد بن زيد . أحد بنى عمرو بن عوف ،ومن داره أخرج مسجد الشقاق ، وثعلبة بن حاطب من بنى أمية بن زيد ، ومعتّب بن قشير ، من بنى ضبيعة بن زيد ، وأبو حبيبة بن الأزهر ، من بنى ضبيعة بن زيد ، وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف ، من بنى عمرو بن عوف ، وجارية بن عامر ، وابناه مجمع بن جارية . وزيد بن جارية ، ونبتل بن الحارث ، من بنى ضبيعة ، وبحزج ، من بنى ضبيعة ، وبجاد بن عثمان من بنى ضبيعة ، ووديعة بن ثابت ،وهو من بنى أمية بن زيد رهط أبى لبابة بن عبد المنذر .

مساجد الرسول : وكانت مساجد رسول الله ﷺ فيما بين المدينة إلى تبوك . معلومة مسماة : مسجد بتبوك ، ومسجد بثنية مدران ، ومسجد بذات الزِّراب ، ومسجد بالأخضر ، ومسجد بذات الخطمى ، ومسجد بألاء ، ومسجد بطرف البتراء ، من ذنب كواكب ، ومسجد بالشق ، شق تارا ، ومسجد بذى الجيفة ، ومسجد بصدر حوضى ، ومسجد بالحجر ، ومسجد بالصعيد ، ومسجد بالوادى ، اليوم ، وادى القرى ، ومسجد بالرِّقعة من الشُّقة ، شقة بنى عذرة ، ومسجد بذى المروة ، ومسجد بالفيفاء ، ومسجد بذى خشب .

* * *

أمْرُ الثلاثة الذين خُلِّفوا وأَمْر المعذَّرين فى غزوة تبوك

وقدم رسول الله ﷺ المدينة ، وقد كان تخلف عنه رهط من المنافقين ، وتخلف أولئك الرهط الثلاثة من المسلمين من غير شك ولا نفاق : كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : لا تكلمن أحدًا من هؤلاء الثلاثة ، وأتاه من تخلف عنه من المنافقين فجعلوا يحلفون له ويعتذرون ، فصفح عنهم رسول الله ﷺ ، ولم يعذرهم الله ورسوله ، واعتزل المسلمون كلام أولئك النفر الثلاثة .

---

(١) سورة التوبة : الآية ١٠٧ .

• **حديث كعب عن تخلفه :**

قال ابن إسحاق : فذكر الزهرى محمد بن مسلم بن شهاب ، عن عبد الرحمن ابن عبد الله بن كعب بن مالك أن أباه عبد الله ، وكان قائد أبيه حين أصيب بصره قال : سمعت أبى كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك ، وحديث صاحبيه ، قال : ما تخلفت عن رسول الله ﷺ فى غزوة غزاها قط ، غير أنى كنت قد تخلفت عنه فى غزوة بدر ، وكانت غزوة لم يعاتب الله ولا رسوله أحدًا تخلف عنها ، وذلك أن رسول الله ﷺ إنما خرج يريد عِير قريش ، حتى جمع الله بينه وبين عدوه على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ العقبة ، حين تواثقنا على الإسلام ، وما أحب أن لى بها مشهد بدر وإن كانت غزوة بدر هى أذكر عند الناس منها . قال : كان من خبرى حين تخلَّفت عن رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك أنى لم أكن قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنه فى تلك الغزوة ، ووالله ما اجتمعت لى راحلتان قط حتى اجتمعتا فى تلك الغزوة ، وكان رسول الله ﷺ قلما يريد غزوة يغزوها إلا ورى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة ، فغزاها رسول الله فى حر شديد ، واستقبل سفرًا بعيدًا ، واستقبل غزو عدو كثير ، فجلى للناس أمرهم ليتأهبوا لذلك أهبته وأخبرهم خبره بوجهه الذى يريد ، والمسلمون من تبع رسول الله ﷺ كثير . لا يجمعهم كتاب حافظ ، يعنى بذلك الديوان ، يقول لا يجمعهم ديوان مكتوب .

قال كعب : فقلَّ رجل يريد أن يتغيب الا ظن أنه سيخفى له ذلك ، ما لم ينزل فيه وحى من الله وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار وأحبت الظلال ، فالناس إليها صعَر [1] فتجهز رسول الله ﷺ ، وتجهز المسلمون معه . وجعلت أغدو لأتجهز معهم فأرجع ولم أقض حاجة ، فأقول فى نفسى أنا قادر على ذلك إذا أردت ، فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى شمر الناس بالجد ، فأصبح رسول الله ﷺ غاديًا ، والمسلمون معه ، ولم أقض من جهازى شيئا ، فقلت : أتجهز بعده بيوم أو يومين ، ثم ألحق بهم ، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز فرجعت ولم أقض شيئا ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئا ، فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى

---

(١) صعر : مفرده أصعر : وهو المائل ، ومنها قول الله تعالى : ﴿ **ولا تصعر خدك للناس** ﴾ .

أسرعوا ، وتفرط [1] الغزو ، فهممت أن أرتحل فأدركهم وليتنى فعلت ، فلم أفعل ، وجعلت إذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم يحزننى أنى لا أرى إلا رجلاً مغموصًا [2] عليه فى النفاق ، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرنى رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالس فى القوم بتبوك : ما فعل كعب بن مالك ؟ فقال رجل من بنى سلمة : يا رسول الله ، حبسه برداه ، والنظر فى عطفيه ، فقال له معاذ بن جبل : بئس ما قلت ، والله يا رسول الله ما علمنا منه إلا خيرًا ، فسكت رسول الله ﷺ .

فلما بلغنى أن رسول الله ﷺ قد توجه قافلا من تبوك ، حضرنى بثّى [3] فجعلت أتذكر الكذب وأقول : بماذا أخرج من سخطة رسول الله ﷺ غدًا وأستعين على ذلك كل ذى رأى من أهلى ، فلما قيل إن رسول الله ﷺ قد أظل [4] قادما زاح [5] عنى الباطل ، وعرفت أنى لا أنجو منه إلا بالصدق ، فأجمعت أن أصدقه ، وصبح رسول الله ﷺ المدينة ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد ، فركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس ،فلما فعل ذلك ، جاءه المخلَّفون ، فجعلوا يحلفون له ويعتذرون ، وكانوا بضعة وثمانين رجلا ، فيقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وأيمانهم ، ويستغفر لهم ويكل سرائرهم إلى الله تعالى ، حتى جئت فسلمت عليه ، فتبسم تبسم المغضب ، ثم قال لى : تعاله فجئت أمشى ، حتى جلست بين يديه ، فقال لى : ما خلفك ؟ ألم تكن ابتعت ظهرك ؟ قال : قلت : إنى يا رسول الله ، والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا ، لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أعطيت جدلا ، لكن والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديثًا كذبا لترضين عنى وليوشكن الله أن يسخطك علىّ ، لئن حدثتك حديثا صدقا تجد علىّ فيه ، إنى لأرجو لله عقباى من الله فيه ، ولا والله ما كان لى عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك . فقال رسول الله ﷺ : أما هذا فقد صدقت فيه فقم حتى يقضى الله فيك فقمت ، وثار معى رجال من بنى سلمة ، فاتبعونى فقالوا لى : والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا ، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى

(١) تفرط : فات . (٢) مغموصًا : مطعونًا .

(٣) بثى : حزنى . (٤) أظل : أشرف .

(٥) يقال : زاح وانزاح : إذا ذهب ، والمصدر زيوحا وزيحانا .

رسول الله ﷺ بما اعتذر به إليه المخلفون ، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك ، فوالله ما زالوا بى حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله ﷺ ، فأكذب نفسى ، ثم قلت لهم : هل لقى هذا أحد غيرى ؟ قالوا : نعم ، رجلان قالا مثل مقالتك ، وقيل لهما مثل ما قيل لك ، قلت : من هما ؟ قالوا : مرارة بن الربيع العمرى ، من بنى عمرو بن عوف ، وهلال بن أبى أمية الواقفى ، فذكروا لى رجلين صالحين ، فيهما أسوة فصمتُّ حين ذكروهما لى ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أيها الثلاثة ، من بين من تخلف عنه ، فاجتنبنا الناس ، وتغيروا لنا حتى تنكرتْ لى نفسى والأرض ، فما هى بالأرض التى كنت أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباى فاستكانا ، وقعدا فى بيوتهما ، وأما أنا فكنت أشبَّ القوم وأجلَدَهم فكنت أخرج ، وأشهد الصلوات مع المسلمين ، وأطوف بالأسواق ، ولا يكلمنى أحد ، وآتى رسول الله ﷺ ، فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة ، فأقول فى نفسى ، هل حرك شفتيه برد السلامِ علىَّ أم لا ؟ ثم أصلى قريبًا منه ، فأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتى نظر إلىَّ ، وإذا التفت نحوه أعرض عنى حتى إذ طال ذلك علىَّ من جفوة المسلمين ، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبى قتادة وهو ابن عمى ، وأحب الناس إلىَّ ، فسلمت عليه فوالله ما رد علىَّ السلام ، فقلت يا أبا قتادة ، أنشدك الله ، هل تعلم أنى أحب الله ورسوله ؟ فسكت فعدت فناشدته ، فسكت عنى ، فعدت فناشدته ، فسكت عنى ، فعدت فناشدته فقال : الله ورسوله أعلم ، ففاضت عيناى ، ووثبت فتسورت الحائط . ثم غدوت إلى السوق فبينا أنا أمشى بالسوق وإذا نبْطى [1] يسأل عنى من نبِط الشام ، ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدل علَّى كعب بن مالك ؟ قال : فجعل الناس يشيرون له إلىَّ ، حتى جاءنى ، فدفع إلىَّ كتابًا من ملك غسان ، وكتب كتابا فى سرقة [2] من حرير ، فإذا فيه : أما بعد ، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة . فالحق بنا نواسك . قال : قلت حين قرأتها : وهذا من البلاء أيضًا ، قد بلغ بى ما وقعت فيه أن أطمع فى رجل من أهل الشرك . قال : فعمدت بها إلى

---

(١) النبطى : مفرد من النبط ، وهم قوم من العجم كانوا يسكنون بين العراق والأردن .

(٢) السرقة : الشقة (القطعة) من الحرير .

تنور (١) ، فسجرته (٢) بها · فأقمنا على ذلك حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسولُ رسول الله يأتينى ، فقال : إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك ، قال : قلت أطلقها أم ماذا ؟ قال : لا ، بل اعتزلها ولا تقربها ، وأرسل إلى صاحبىَّ بمثل ذلك ، فقلت لامرأتى : ألحقى بأهلك فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر ما هو قاض · قال : وجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ ، فقالت له : يا رسول الله ، إن هلال بن أمية شيخ كبير ضائع لا خادم له ، أفتكره أن أخدمه ؟ قال : لا ، ولكن لا يقربنك ، قالت : والله يا رسول الله ، ما به من حركة إلىَّ ، والله ما زال يبكى منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا، ولقد تخوَّفت على بصره · قال : فقال لى بعض أهلى : لو استأذنت رسول الله لامرأتك ، فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه ، قال : فقلت : والله لا أستأذنه فيها ما أدرى ما يقول رسول الله ﷺ لى فى ذلك إذا استأذنته فيها ، وأنا رجل شاب · قال فلبثنا بعد ذلك عشر ليال ، فكمل لنا خمسون ليلة ، من حين نهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا ، ثم صليت الصبح ، صبح خمسين ليلة ، على ظهر بيت من بيوتنا ، على الحال التى ذكر الله منا ، قد ضاقت علينا الأرض بما رحبت ، وضاقت علىَّ نفسى ، وقد كنت ابتنيت خيمة فى ظهر سلع (٣) ، فكنت أكون فيها إذ سمعت صوت صارخ أوفى على ظهر سلع يقول بأعلى صوته : يا كعب ابن مالك ، أبشر ، قال فخررت ساجدًا ، وعرفت أن قد جاء الفرج ·

قال : وآذن رسول الله ﷺ الناس بتوبة الله علينا حين صلى الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، وذهب نحو صاحبىَّ مبشِّرون ، وركض رجل إلىَّ فرسًا ، وسعى ساع من أسلم ، حتى أوفى على الجبل ، فكان الصوت أسرع من الفرس ، فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى ، نزعت ثوبىَّ ، فكسوتهما إياه بشارة ، والله ما أملك يومئذ غيرهما ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، ثم انطلقت أتيمم رسول الله ﷺ وتلقانى الناس يبشرونى بالتوبة ، يقولون : ليهنك توبة الله عليك ، حتى

---

(١) التنور : الفرن ·

(٢) سجرته : أحرقته بلهب النار ·

(٣) سلع : جبل بالمدينة ·

دخلت المسجد ، ورسول الله ﷺ جالس حوله الناس ، فقام إلىَّ طلحة بن عبيد الله ، فحياني وهنأني ، ووالله ما قام إلىَّ رجل من المهاجرين غيره . قال : فكان كعب بن مالك لا ينساها لطلحة .

قال كَعْب : فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال لي ، ووجهه يبرق من السرور أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك ، قال : قلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : بل من عند الله . قال : وكان رسول الله ﷺ إذا استبشر كأن وجهه قطعة قمر . قال : وكنا نعرف ذلك منه . قال : فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله ، إن من توبتي إلى الله عز وجل أن أنخلع من مالي ، صدقة إلى الله ورسوله ، قال رسول الله ﷺ : أمسك عليك بعض مالك ، فهو خير لك . قال قلت : إني ممسك سهمي الذي بخيبر ، وقلت : يا رسول الله ، إن الله قد نجاني بالصدق ، وإن من توبتي إلى الله أن لا أحدِّث إلا صدقا ما حييت ، والله ما أعلم أحدًا من الناس أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ ذلك أفضل مما أبلاني الله ، والله ما تعمدت من كذبة منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا ، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي (١) .

وأنزل الله تعالى : ﴿ **لَقَد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم * وعلى الثلاثة الذين خلِّفوا** ﴾ ... إلى قوله : ﴿ **وكونوا مع الصادقين** ﴾ (٢) .

قال كعب : فوالله ما أنعم الله عليَّ نعمة قط بعد أن هداني للإسلام كانت أعظم في نفسي من صدق رسول الله ﷺ يومئذ ، أن لا أكون كذبته ، فأهلك كما هلك الذين كذبوه ، فإن الله تبارك وتعالى قال في الذين كذبوه حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد ، قال : ﴿ **سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا**

---

(١) أي فيما بقي من عمره .

(٢) سورة التوبة : الآيات ١١٧ - ١١٩ .

عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاءً بما كانوا يكسبون * يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ﴾ (١) .

قال : وكنا خلفنا أيها الثلاثة عن أمر هؤلاء الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فعذرهم ، واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا ، حتى قضى الله فيه ما قضى ، فبذلك قال الله : **﴿ وعلى الثلاثة الذين خلفوا ﴾** (٢) .

وليس الذى ذكر الله من تخليفنا لتخلفنا عن الغزوة ولكن لتخليفه إيانا وأرجائه أمرنا عمن حلف له ، واعتذر إليه ، فقبل منه (٣) .

* * *

(١) سورة التوبة : الآيات ٩٥ - ٩٦ .

(٢) سورة التوبة : الآية ١١٨ .

(٣) وإنما اشتد غضبه على من تخلف عنه ، ونزل فيهم من الوعيد ما نزل حتى تاب الله على الثلاثة منهم ، وإن كان الجهاد من فروض الكفاية لكنه فى حق الأنصار خاصة كان فرض عين - أى واجب حتما لا يسقط إذا قام به البعض - وعليه بايع الأنصار النبى ﷺ ، ألا تراهم يقولون يوم الخندق ، وهم يرتجزون :

نحن الذين بايعوا محمداً　　على الجهاد ما بقينا أبدا .

ومن تخلف منهم يوم بدر إنما تخلف ، لأنهم خرجوا لأخذ عير ولم يظنون أن سيكون قتال ، فلذلك؛ كان التخلف عن رسول الله ﷺ فى هذه الغزوة كبيرة لأنها كالنكث لبيعتهم .

أَمْرُ وفْد ثَقيف وإسلامها في شهر رمضان سنة تسع

قال ابن إسحاق : وقدم رسول الله ﷺ المدينة من تبوك فى رمضان ، وقدم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيف .

وكان من حديثهم أن رسول الله ﷺ لما انصرف عنهم ، اتبع أثره عروة بن مسعود الثقفى ، حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة ، فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسول الله ﷺ - كما يتحدث قومه - إنهم قاتلوك ، وعرف رسول الله ﷺ أن فيهم نخوة الامتناع الذى كان منهم ، فقال عروة : يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبكارهم [١] .

قال ابن إسحاق : وكان فيهم كذلك محببًا مطاعا : فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء أن لا يخالفوه ، لمنزلته فيهم ، فلما أشرف لهم على علية له ، وقد دعاهم إلى الإسلام ، وأظهر لهم دينه ، رموه بالنبل من كل وجه ، فأصابه سهم فقتله . فتزعم بنو مالك أنه قتله رجل منهم يقال له أوس بن عوف ، أخو بنى سالم ابن مالك . وتزعم الأحلاف أنه قتله رجل منهم ، من بنى عتاب بن مالك ، يقال له وهب بن جابر ، فقيل لعروة : ما ترى فى دمك ؟ قال : كرامة أكرمنى الله بها ، وشهادة ساقها الله إلىَّ ، فليس فى إلا ما فى الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرحل عنكم ، فادفنونى معهم ، فزعموا أن رسـول الله ﷺ قال فيه : إن مثله فى قومه لكمثل صاحب ياسين فى قومه [٢] .

ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهرًا ، ثم إنهم ائتمروا بينهم ، ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا .

---

(١) قال ابن هشام : ويقال : من أبصارهم .

(٢) يحتمل قوله ﷺ ، كمثل صاحب ياسين أن يريد به المذكور فى سورة ياسين ، الذى قال لقومه : ﴿ اتبعوا المرسلين ﴾ فقتله قومه ، واسمه حبيب بن مرمى ، ويحتمل أن يريد صاحب إلياس ، وهو اليسع ، فإن إلياس يقال فى اسمه : ياسين أيضا ، وقال الطبرى : وهو إلياس بن ياسين ، وفيه قال تبارك وتعالى : ﴿ سلام على إل ياسين ﴾ .

حدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس : أن عمرو بن أمية ، أخا بنى علاج كان مهاجرًا لعبد ياليل بن عمرو ، الذى بينهما شىء ، وكان عمرو بن أمية من أدهى العرب ، فمشى إلى عبد ياليل بن عمرو حتى دخل داره .

ثم أرسل إليه إن عمرو بن أمية يقول لك : أخرج إلىَّ قال : فقال عبد ياليل للرسول ويلك ! أعمرو أرسلك إلىَّ ؟ قال : نعم ، وها هو ذا واقفا فى دارك ، فقال : إن هذا لشىء ما كنت أظنه لعمرو كان أمنع فى نفسه من ذلك ، فخرج إليه ، فلما رآه رحب به فقال له عمرو : إنه قد نزل بنا أمر ليست معه هجرة إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت ، فقد أسلمت العرب كلها وليست لكم بحربهم طاقة ، فانظروا فى أمركم فعند ذلك ائتمرت ثقيف بينها ، وقال بعضهم لبعض : أفلا ترون أنه لا يأمن لكم سرب [١] ، ولا يخرج منكم أحد إلا اقتطع فأتمروا بينهم وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله ﷺ رجلاً كما أرسلوا عروة ، فكلموا عبد ياليل بن عمرو ابن عمير ، وكان سن [٢] عروة بن مسعود ، وعرضوا ذلك عليه ، فأبى أن يفعل ، وخشى أن يصنع به إذا رجع كما صنع بعروة . فقال : لست فاعلاً حتى ترسلوا معى رجالاً ، فأجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف ، وثلاثة من بنى مالك فيكونوا ستة ، فبعثوا مع عبد يا ليل . الحكم بن عمرو بن وهب بن معتب ، وشرحبيل بن غيلان بن سلمة بن معتب ، ومن بنى مالك عثمان بن أبى العاص بن بشر بن عبد دهمان ، أخا بنى يسار ، وأوس بنى عوف ، أخا بنى سالم ونمير بن خرشة بن ربيعة ، أخا بنى الحارث فخرج بهم عبد ياليل ، وهو ناب القوم [٣] وصاحب أمرهم ، ولم يخرج بهم إلا خشية من مثل ما صنع بعروة بن مسعود ، لكى يشغل كل رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف رهطه .

فلما دنوا من المدينة ، نزلوا قناة . فألفوا بها المغيرة بن شعبة ، يرعى فى نوبته

---

(١) السرب : القطيع من الحيوان أو الفريق من الإنسان أو جماعة النخل وهو أيضًا الطريق . والقلب والصدر .

(٢) أى فى سنه أو مثله فى السن .

(٣) ناب القوم : سيدهم والمدافع عنهم .

ركاب أصحاب رسول الله ﷺ وكانت رعيتها عند الثقفيين ، وضبر [١] يشتد ليبشر رسول الله ﷺ ، بقدومهم عليه فلقيه أبو بكر الصديق قبل أن يدخل على رسول الله ﷺ فأخبره عن ركب ثقيف أن قد قدموا يريدون البيعة والإسلام بأن يشرط لهم رسول الله ﷺ شروطا ، ويكتتبوا من رسول الله ﷺ كتابًا فى قومهم وبلادهم وأموالهم فقال أبو بكر للمغيرة : أقسمت عليك بالله لا تسبقنى إلى رسول الله ﷺ ، حتى أكون أنا أحدثه ، ففعل المغيرة ، فدخل أبو بكر على رسول الله ﷺ . فأخبره بقدومهم عليه ، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه ، فروح الظهر معهم ، وعلمهم كيف يحيون رسول الله ﷺ ، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية ، ولما قدموا على رسول الله ﷺ ضرب عليهم قبة فى ناحية مسجده ، كما يزعمون ، فكان خالد بن سعيد بن العاص ، هو الذى يمشى بينهم وبين رسول الله ﷺ ، حتى اكتتبوا كتابهم ، وكان خالد هو الذى كتب كتابهم بيده ، وكانوا لا يطعمون طعاما يأتيهم من عند رسول الله ﷺ حتى يأكل منه خالد ، حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم ، وقد كان فيما سألوا رسول الله ﷺ أن يدع لهم الطاغية ، وهى اللات ، لا يهدمها ثلاث سنين ، فأبى رسول الله ﷺ ذلك عليهم فما برحوا يسألونه سنة سنة ، ويأبى عليهم حتى سألوا شهرًا واحدًا بعد مقدمهم ، فأبى عليهم أن يدعها شيئا مسمى ، وإنما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يتسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم ويكرهون أن يروعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام ، فأبى رسول الله ﷺ إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فيهدماها ، وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة ، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم ، فقال رسول الله ﷺ : أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه ، وأما الصلاة ، فإنه لا خير فى دين لا صلاة فيه ، فقالوا : يا محمد ، فسنؤتيكها ، وإن كانت دناءة .

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابهم ، أمَّر عليهم عثمان بن أبى العاص ، وكان من أحدثهم سنا ، وذلك أنه كان أحرصهم على التفقه فى الإسلام ، وتعلم القرآن . فقال أبو بكر لرسول الله ﷺ يا رسول الله ، إنى قد رأيت هذا الغلام منهم من أحرصهم على التفقه فى الإسلام ، وتعلم القرآن .

---

(١) ضبر : وثب .

• قصة بلال مع ثقيف :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عيسى بن عبد الله بن عطية بن سفيان بن ربيعة الثقفى ، عن بعض وفدهم . قال : كان بلال يأتينا - حين أسلمنا وصمنا مع رســـول الله ﷺ ما بقى من رمضان - بفطرنا وسحورنا من عند رسول الله ﷺ ، فيأتينا بالسحور ،وإنا لنقول إنا لنرى الفــجر قد طلع ، فيقول : قد تركت رسول الله ﷺ ، يتسحر لتأخير السحور ، ويأتينا بفطرنا [1] ، وإنا لنقول : ما نرى الشمس كلها ذهبت بعد ، فيقول : ما جئتكم حتى أكل رسول الله ﷺ ، ثم يضع يده فى الجفنة ، فيلتقم منها .

قال ابن إسحاق: وحدثنى سعيد بن أبى هند، عن مُطرف بن عبد الله الشِّخِّير ، عن عثمان بن أبى العاص ، قال : كان من آخر ما عهد إلىّ رسول الله ﷺ حين بعثنى على ثقيف أن قال : يا عثمان ، تجاوز فى الصلاة ، واقدر الناس بأضعفهم ، فإن فيهم الكبير ، والصغير ، والضعيف وذا الحاجة [2] .

• هَدْمُ اللاَّت :

قال ابن إسحاق : فلما فرغوا من أمرهم ، وتوجهوا إلى بلادهم راجعين بعث رسول الله ﷺ معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة ، فى هدم الطاغية [3] ، فخرجنا مع القوم ، حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة بن شعبة أن يقدم أبا سفيان ، فأبى ذلك أبو سفيان عليه ، وقال : ادخل أنت على قومك ، وأقام أبو سفيان بما له

---

(١) قال ابن هشام : بفطورنا وسحورَنا .

(٢) وهذا من رحمة الرسول ﷺ أن يوصى فى آخر حياته بأمر مهم حتى لا تحدث فتنة بعده ، وهو عدم ، الإطالة فى الصلاة حتى لا يثقل على المسلمين فإن فيهم الضعيف والكبير والمريض وذلك للإمام فى صلاة الجماعة ، ولكن بشرط عدم الإخلال بشروط الصلاة ، مع حسن الترتيل وإعطاء كل ركن فى الصلاة حقه .

(٣) وكان صنمًا لثقيف ، وهى صخرة مربعة ، وكانت سدنتها من ثقيف ، وكانوا قد بنوا عليها بناء ، فكانت قريش ، وجميع العرب تعظمها ، وكانت فى موضع « منارة » مسجد الطائف اليسرى ، انظر تفسير القرطبى ٩ / ٦٥٠٠ ط . دار الغد العربى .

بذى الهدم ، فلما دخل المغيرة بن شعبة عَلاها [١] يضربها بالمعول [٢] ، وقام قومه دونه بنو معتب ، خشية أن يُرمَى أو يصاب كما أصيب عروة ، وخرج نساء ثقيف حسراً [٣] يبكين عليها ويقلن :

لتبكين دفاع أسلمها الرضاع [٤] لم يُحسنوا المصَاع [٥]

قال ابن إسحاق : يقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفأس ، واهًا لك : أهًا لك ، فلما هدمها المغيرة ، وأخذ مالها وحُلِيَّها [٦] أرسل إلى أبى سفيان وحُليها مجموع ، ومالها من الذهب والجزع .

• إسلام أبى مُليح وقارب :

وقد كان أبو مليح بن عروة وقارب بن الأسود قدما على رسول الله ﷺ قبل وفد ثقيف ، حين قُتل عروة يريدان فراق ثقيف [٧] ، وأن لا يجامعاهم على شيء أبدًا فأسلما فقال لهما رسول الله ﷺ : توليا من شئتما ، فقالا : نتولى الله ورسوله فقال رسول الله ﷺ : وخالكما أبا سفيان بن حرب ، فقالا : وخالنا أبا سفيان بن حرب .

فلما أسلم أهل الطائف ووجه رسول الله ﷺ أبا سفيان والمغيرة إلى هدم الطاغية [٨] سأل رسول الله ﷺ أبو مليح بن عروة أن يقضى عن أبيه عروة دينًا كان

---

(١) علاها : صعد فوقها .
(٢) المعول : الفأس العظيمة .
(٣) حسرًا : أى عرايا الرءوس .
(٤) الرضاع : اللئام .
(٥) المصاع : القتال بالسيوف .
(٦) أى ما فيها من ذهب وفضة .
(٧) أى يريدان أن يدخلا فى الإسلام ويفارقا قومهما المشركين .
(٨) أى الصنم الذى كانت تعبده الطائف وهى اللات وكان صنم ثقيف بالطائف ، وقال عنه الكلبى : كان رجلاً من ثقيف يقال له صرمة بن غنم . وقال ابن عباس ، وابن الزبير ومجاهد وحميد وأبو صالح : كان رجلاً يلت السويق للحاج - ذكره البخارى عن ابن عباس - فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه . وقال ابن عباس : كان يبيع السويق - والسمن عند صخرة ويصبه عليها ، فلما مات ذلك الرجل عبدت ثقيف تلك الصخرة إعظامًا لصاحب السويق ، وقال مجاهد : كان رجلاً فى رأس جبل له غنيمة يسلى منها السمن ويأخذ منها =

عليه من مال الطاغية ، فقال له رســول الله ﷺ : نعم ، فقال له قارب بن الأسود ، وعن الأسود يا رسول الله فاقضه ، وعروة والأسود أخوان لأب وأم [١] ، فقال رسول الله ﷺ : إن الأسود مات مشركًا فقال قارب لرســـــول الله ﷺ يا رسول الله ،لكن تصل مسلمًا ذا قرابة ، يعنى نفسه إنما الدين على ، وإنما أنا الذى أطلب به ، فأمر رسول الله ﷺ أبا سفيان أن يقضى دين عروة والأسود من مال الطاغية ، فلما جمع المغيرة مالها قال لأبى سفيان : إن رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقضى عن عروة والأسود دينهما ، فقضى عنهما ·

كتَابهُ عليه السلام لثقيف : وكان كتاب رسول الله ﷺ الذى كتب لهم :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبى ، رسول الله ، إلى المؤمنين : إن عضاه [٢] وج وصيده لا يعضد [٣] ، من وجد يفعل شيئا من ذلك ، فإنه يُجلد وتنزع ثيابه ، فإن تعدى ذلك فإنه يؤخذ فيبلغ به إلى النبى محمد ، وإن هذا أمر النبى محمد رسول الله ·

وكتب خالد بن سعيد : بأمر الرسول محمد بن عبد الله ، فلا يتعده أحد ، فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله ﷺ ·

* * *

= الأقط - لبن محمَّض يجمد ويطبخ به - ويجمع رسلها ثم يتخذ منها حيسًا فيطعم الحاج ، وكان ببطن نخلة فلما مات عبدوه وهو اللات ·

انظر تفسير القرطبى ٩ / ٦٥٠١ ط · دار الغد العربى ، المعـــجم الوجيز مادة الأقط ص ٢١ ·

(١) أى إنهما أخوان شقيقان ·

(٢) العضاه : شجر له شوك ·

(٣) لا يعضد : لا يقطع أى أنه حرام على غير أهله كتحريم مكة والمدينة ، وقيل وج · هى الطائف ، وقيل إنها واد بها ·

حَجُّ أبى بكْر بالناس سَنَةَ تسعٍ واختصاصُ النبى ﷺ على بن أبى طالب رضوان الله عليه بتأدية أول براءة عنه

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بقية شهر رمضان وشوالًا وذا القعدة ثم بعث أبا بكر أميرًا على الحج من سنة تسع ، ليقيم للمسلمين حجهم ، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم . فخرج أبو بكر رضي الله عنه ومن معه من المسلمين .

ونزلت براءة فى نقض ما بين رسول الله ﷺ وبين المشركين من العهد ، الذى كانوا عليه فيما بينه وبينهم : أن لا يُصَدَّ عن البيت أحد جاءه ، ولا يخاف أحد فى الشهر الحرام ، وكان ذلك عهدا عاما بينه وبين الناس من أهل الشرك ، وكانت بين ذلك عهود بين رسول الله ﷺ وبين قبائل العرب خصائص ، إلى آجال مسماة ، فنزلت فيه وفيمن تخلف من المنافقين عنه فى تبوك ، وفى قول من قال منهم ، فكشف الله تعالى فيها سرائر أقوام كانوا يستخفون بغير ما يظهرون منهم من سمى لنا ومنهم من لم يُسَمَّ لنا ، فقال عز وجل : ﴿ **براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين** ﴾ (١) أى لأهل العهد العام من أهل الشرك : ﴿ **فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزى الله وأن الله مخزى الكافرين * وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برئ من المشركين ورسوله** ﴾ أى بعد هذه الحجة : ﴿ **فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم إلا الذين عاهدتم من المشركين** ﴾ أى العهد الخاص إلى الأجل المسمى : ﴿ **ثم لم ينقصوكم شيئًا ولم يظاهروا عليكم أحدًا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين * فإذا انسلخ الأشهر الحرم** ﴾ : يعنى الأربعة التى ضرب لهم أجلا ، : ﴿ **فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم**

---

(١) الآيات من سورة التوبة : ١ -٥ .

واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم * وإن أحد من المشركين ﴾ : أى من هؤلاء الذين أمرتك بقتلهم : ﴿ **استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون** ﴾ (١) .

ثم قال تعالى : ﴿ **كيف يكون للمشركين** ﴾ الذين كانوا هم وأنتم على العهد العام أن لا يخيفوكم ولا تخيفوهم في الحرمة ، ولا فى الشهر الحرام ﴿ **عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام** ﴾ وهى قبائل من بنى بكر الذين كانوا دخلوا فى عقد قريش وعهدهم يوم الحديبية إلى المدة التى كانت بين رسول الله ﷺ وبين قريش ، فلم يكن نقضها إلا هذا الحى من قريش ، وهم بنو الديل من بني بكر بن وائل الذين كانوا دخلوا فى عقد قريش وعهدهم ، فأمر بإتمام العهد لمن لم يكن نقض من بنى بكر إلى مدته ﴿ **فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين** ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿ **كيف وإن يظهروا عليكم** ﴾ أى المشركين الذين لا عهد لهم إلى مدة من أهل الشرك العام : ﴿ **لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة** ﴾ .

والذمة : العهد . قال الأجدع بن مالك الهمدانى ، وهو أبو مسروق الأجدع الفقيه :

وَكَان عَلينا ذمة أنْ تَجاوزُوا مِنَ الأرضِ مَعْروفا إلينا ومُنْكرا

وهذا البيت فى ثلاثة أبيات له ، وجمعها : ذمم .

﴿ **يرضونكم بأفواههم وتأبى قُلوبهم وأكثرهم فاسقون * اشتروا بآيات الله ثمنًا قليلا فصدوا عن سبيله إنهم ساءَ ما كانوا يعملون لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون** ﴾ أى قد اعتدوا عليكم ﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين ونفصِّلُ الآيات لقوم يعلمون** ﴾ (٢) .

اختصاص على بتأدية بَراءة : قال ابن إسحاق : وحدثنى حكيم بن حكيم بن عباد بن حُنيف عن أبى جعفر محمد بن على رضوان الله عليه ، أنه قال : لما نزلت براءة على رسول الله ﷺ ، وقد كان بعث أبا بكر الصدِّيق ليقيم للناس الحج ،

---

(١) سورة التوبة : ٥ ، ٦ وهذه عدالة ورحمة الإسلام حتى مع المشرك .

(٢) سورة التوبة : ٧ - ١٠ .

قيل له : يا رسول الله لو بعثت بها إلى أبى بكر ، فقال : لا يؤدى عنى إلا رجل من أهل بيتى ، ثم دعا على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، فقال له : اخرج بهذه القصة من صدر براءة [١] . وأذِّن فى الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى ، أنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عُريان ، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مدته ، فخرج على بن أبى طالب رضوان الله عليه على ناقة رسول الله ﷺ العضباء ، حتى أدرك أبا بكر بالطريق فلما رآه أبو بكر بالطريق قال : أأمير أم مأمور ؟ فقال : بل مأمور ، ثم مضيا . فأقام أبو بكر للناس الحج والعرب إذ ذاك فى تلك السنة على منازلهم من الحج ، التى كانوا عليها فى الجاهلية ، حتى إذا كان يوم النحر ، قام على بن أبى طالب رضي الله عنه ، فأذن فى الناس بالذى أمره به رسول الله ﷺ ، فقال : أيها الناس ، إنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مدته : وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم ، ليرجع كل قوم إلى مأمنهم أو بلادهم ، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة إلا أحد كان له عند رسول الله ﷺ عهد إلى مدة ، فهو له إلى مدته . فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطف بالبيت عريان .

ثم قدما على رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : فكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام وأهل المدة إلى الأجل المسمى .

● الأمرُ بجِهَادِ المشركينَ :

قال ابن إسحاق : ثم أمر الله رسوله ﷺ بجهاد أهل الشرك ، ممن نقض من أهل العهد الخاص ، ومن كان من أهل العهد العام ، بعد الأربعة الأشهر التى ضرب لهم أجلا إلا أن يعدو فيها عاد منهم فيقتل بعدائه ، فقال تعالى : **﴿ ألا تقاتلون قومًا نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين * قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين * ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله﴾** [٢] : أى من بعد ذلك

(١) أى من أول سورة براءة وهى سورة التوبة .

(٢) سورة التوبة : ١٣ - ١٥ .

: ﴿ على من يشاء والله عليم حكيم * أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجةً والله خبير بما تعملون ﴾ (١) .

● **القرآن يرد على قريش ادعاءهم عمارة البيت :**

قال ابن إسحاق : ثم ذكر قول قريش : إنَّا أهل الحرم ، وسقاة الحاج ، وعُمَّار هذا البيت فلا أحد أفضل منا ، فقال : ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ﴾(٢) : أى أن عمارتكم ليست على ذلك ، وإنما يعمر مساجد الله أى من يعمرها بحقها : ﴿ من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله ﴾ : أى فأولئك عمَّارها : ﴿ فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ وعسى من الله : حق .

ثم قال تعالى : ﴿ أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله ﴾ (٣) ثم القصة حتى انتهى إلى ذكر حنين وما كان فيه وتوليهم عن عدوهم وما أنزل الله تعالى من نصره بعد تخاذلهم ، ثم قال تعالى : ﴿ إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عِيلة ﴾(٤) وذلك أن الناس قالوا : لتنقطعن عنا الأسواق ، فتهلكن التجارة ، وليذهبن ما كنا نصيب فيها من المرافق ، فقال الله عز وجل : ﴿ وإن خفتم عِيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ﴾ أى من وجه غير ذلك ﴿ إن شاء إن الله عليم حكيم * قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرِّمون ما حرَّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾ (٥) .

أى ففى هذا عوض مما تخوفتم من قطع الأسواق ، فعوضهم الله بما قطع عنهم بأمر الشرك ، ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب ، من الجزية .

(١) الآيات السابقة من سورة التوبة : الآيات ١٥ - ١٦ .

(٢) سورة التوبة : ١٨ . (٣) سورة التوبة : ١٩ .

(٤) سورة التوبة : ٢٨ . (٥) سورة التوبة : الآيات ٢٨ - ٢٩ .

ما نزل فى أهل الكتابين : ثم ذكر أهل الكتابين بما فيهم من الشر والفرية عليه ، حتى انتهى إلى قوله تعالى : ﴿ **إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم** ﴾ (١) .

ما نزل فى النسىء : ثم ذكر النسىء ، وما كانت العرب أحدثت فيه . والنسىء ما كان يُحل مما حرم الله تعالى من الشهور ، ويحرم مما أحل الله منها : فقال : ﴿ **إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم** ﴾ (٢) : أى لا تجعلوا حرامها حلالا ، ولا حلالها حراما : أى كما فعل أهل الشرك ﴿ **إنما النسىء** ﴾ الذى كانوا يصنعون ﴿ **زيادة فى الكفر يُضَل به الذين كفروا يحلّونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين** ﴾ .

ما نزل فى تَبُوك : ثم ذكر تبوك وما كان فيها من تثاقل المسلمين عنها ، وما أعظموا من غزوه الروم ، حين دعاهم رسول الله ﷺ إلى جهادهم ، نفاق من نافق من المنافقين ، حين دُعوا إلى ما دعوا إليه من الجهاد ، ثم ما نعى عليهم من إحداثهم فى الإسلام ، فقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض** ﴾ . ثم القصة إلى قوله تعالى : ﴿ **يعذّبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار** ﴾ .

ما نزل فى أهل النفاق : ثم قال تعالى لنبيه ﷺ ، يذكر أهل النفاق : ﴿ **لو كان عَرَضًا قريبا وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لواستطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون** ﴾ : أى إنهم يستطيعون : ﴿ **عفا الله عنك لمَ أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين** ﴾ .. إلى قوله : ﴿ **لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سمّاعون لهم** ﴾ .

---

(١) سورة التوبة : الآية ٣٤ .

(٢) الآيات إلى نهاية الصفحة من سورة التوبة : ٣٦ : ٤٧ .

قال ابن إسحاق : وكان الذين استأذنوه من ذوى الشرف ، فيما بلغنى ، منهم عبد الله بن أُبى بن سلول ، والجد بن قيس ، وكانوا أشرافًا فى قومهم ، فثبَّطهم الله لعلمه أنهم إن يخرجوا معه ، فيفسدوا عليه جنده وكان فى جنده قوم أهل محبة لهم ، وطاعة فيما يدعونهم إليه ، لشرفهم فيهم . فقال تعالى : ﴿ **وفيكم سمَّاعون لهم والله عليم بالظالمين * لقد ابتغوا الفتنة من قبل** ﴾ : أى من قبل أن يستأذنوك : ﴿ **وقلَّبوا لك الأمور** ﴾ : أى ليخذلوا عنك أصحابك ويردوا عليك أمرك ﴿ **حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون * ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا** ﴾ (١) ، وكان الذى قال ذلك فيما سمى لنا الجد بن القيس أخو بنى سلمة حين دعاه رسول الله ﷺ إلى جهاد الروم ثم كانت القصة إلى قوله تعالى : ﴿ **لو يجدون ملجأً أو مغارات أو مدخلاً لولوا إليه وهم يجمحون * ومنهم من يلمزك فى الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون**﴾(٢) : أى إنما نيتهم ورضاهم وسخطهم لدنياهم .

• ما نزل فى أصحاب الصدقات :

ثم بين الصدقات لمن هى ، وسمى أهلها ، فقال : ﴿ **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم** ﴾ (٣) .

• ما نزل فيمن آذوا الرسول ﷺ :

ثم ذكر غشهم وأذاهم للنبى ﷺ ، فقال : ﴿ **ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أُذُنٌ قل أُذُن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم** ﴾ (٤) وكان الذى يقول تلك المقالة فيما بلغنى، نبتل بن الحارث أخو بنى عمرو بن عوف ، وفيه نزلت هذه الآية ، وذلك أنه كان يقول : إنما محمد أذن ، من حدثه شيئًا صدقه . يقول الله تعالى : ﴿ **قل أُذن خير لكم** ﴾ (٥) : أى يسمع الخير ويصدق به .

---

(١) وما بعدها من سورة التوبة : الآيات ٤٧ - ٤٩ . (٢) سورة التوبة : ٥٧ - ٥٨ .
(٣) سورة التوبة : ٦٠ . (٤) سورة التوبة : ٦١ . (٥) سورة التوبة : ٦٢ .

ثم قال تـعالى : ﴿ **يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين** ﴾ ثم قال : ﴿ **ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون** ﴾ [١] … إلى قوله تعالى : ﴿ **إنْ نَعفُ عن طائفة منكم نعذِّب طائفة** ﴾ [٢] ، وكان الذى قال هذه المقالة وديعة بن ثابت ، أخو بنى أمية بنَ زيد ، من بنى عمرو بن عوف ، وكان الذى عفى عنه ، فيما بلغنى : مخشن ابن حُمير الأشجعى ، حليف بنى سلمة ، وذلك أنه أنكر منهم بعض ما سمع .

ثم القصة من صفتهم حتى انتهى إلى قوله تعالى : ﴿ **يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير * يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله** ﴾ … إلى قوله : ﴿ **من ولىٍّ ولا نصير** ﴾ [٣] وكان الذى قال تلك المقالة الجلاس بن سويد بن صامت ، فرفعها عليه رجل كان فى حجره ، يقال له عمير بن سعد ، فأنكرها وحلف بالله ما قالها ، فلما نزل فيهم القرآن تاب ونزع ، وحسنت حاله وتوبته : فيما بلغنى .

ثم قال تعالى : ﴿ **ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدَّقن ولنكونن من الصالحين** ﴾ [٤] وكان الذى عاهد الله منهم ثعلبة بن حاطب ، ومعتب بن قشير ، وهما من بنى عمرو بن عوف .

ثم قال : ﴿ **الذين يلمزون المطَّوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم** ﴾ [٥] وكان المطوعون من المؤمنين فى الصدقات : عبد الرحمن بن عوف ، وعاصم بن عدى أخا بنى العجلان ، وذلك أن رسول الله ﷺ رغَّب فى الصدقة ، وحض عليها ، فقام عبد الرحمن بن عوف ، فتصدق بأربعة آلاف درهم ، وقام عاصم بن عدى ، فتصدق بمائة وسق من تمر ، فلمزوهما وقالوا ما هذا إلا رياء ، وكان الذى تصدق بجهده أبو عقيل أخو بنى أنيف ، أتى بصاع من تمر ، فأفرغها فى الصدقة ، فتضاحكوا به ، وقالوا : إن الله لغنى عن صاع أبى عقيل .

(١) سورة التوبة : الآية ٦٥ .
(٢) سورة التوبة : الآية ٦٦ .
(٣) سورة التوبة : الآية ٧٣ - ٧٤ .
(٤) سورة التوبة : الآية ٧٥ .
(٥) سورة التوبة : الآية ٧٩ .

ثم ذكر قول بعضهم لبعض ، حين أمر رسول الله ﷺ بالجهاد ، وأمر بالسير إلى تبوك ، على شدة الحر وجدب البلاد . فقال تعالى : ﴿ **وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حراً لوكانوا يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيراً** ﴾ إلى قوله : ﴿ **ولا تعجبك أموالهم وأولادهم** ﴾ (١) .

ما نزل بسببِ الصلاة على ابن أُبيّ : قال ابن إسحاق : حدثنى الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : لما توفى عبد اللهبن أُبى ، دعى رسول الله ﷺ للصلاة عليه ، فقام إليه ، فلما وقف عليه يريد الصلاة ، تحولت حتى قمت فى صدره فقلت : يا رسول الله أتصلى على عدو الله عبد الله بن أُبى ابن سلول ؟ القائل كذا يوم كذا . والقائل كذا يوم كذا أعدد أيامه له ، ورسول الله ﷺ يتبسم حتي إذا أكثرتُ قال : يا عمر ، أخِّر عنى ، إنى قد خُيِّرت فاخترت ، قد قيل لى : ﴿ **استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم** ﴾(٢) فلو أعلم أنى إن زدت على السبعين غُفر له ، لزدت . قال : ثم صلى عليه رسول الله ﷺ ، ومشى معه حتى قام على قبره ، حتى فرغ منه . قال : فعجبت لى ولجراءتى على رسول الله ﷺ والله ورسوله أعلم . فوالله ما كان إلا يسيراً حتى نزلت هاتان الآيتان : ﴿ **ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون** ﴾ (٣). فما صلى رسول الله ﷺ بعده على منافق حتى قبضه الله تعالى .

● ما نزل فى المستأذنين والمعذِّرين والبكَّائين ومنافقى الأعراب :

قال ابن إسحاق : ثم قال : ﴿ **وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم** ﴾ (٤) وكان ابن أُبى من أولئك ، فنعى الله ذلك عليه ، وذكره منه ، ثم قال تعالى : ﴿ **لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون * أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم * وجاء المعذرون من الأعراب**

---

(١) سورة التوبة : ٨١ – ٨٥ . (٢) سورة التوبة : ٨٠

(٣) سورة التوبة : ٨٤ . (٤) سورة التوبة : ٨٦ .

ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله ﴾ [١] . آخر القصة . وكان المعذرون ، فيما بلغني نفرًا من بني غِفار ، منهم خفاف بن إيماء بن رحضة ، ثم كانت القصة لأهل العذر ، حتى انتهى إلى قوله : **﴿ ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنًا ألا يجدوا ما ينفقون ﴾** وهم البكاءون .

ثم قال تعالى : **﴿ إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ﴾** [٢] والخوالف : النساء . ثم ذكر خلفهم للمسلمين واعتذارهم ، فقال : **﴿ فأعرضوا عنهم ﴾** .. إلى قوله تعالى : **﴿ فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ﴾** [٣] .

ثم ذكر الأعراب ومن نافق منهم وتربصهم برسول الله ﷺ وبالمؤمنين ، فقال تعالى : **﴿ ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق ﴾** أى من صدقة أو نفقة فى سبيل الله **﴿ مغرمًا ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السَّوء والله سميع عليم ﴾** [٤].

● ما نزل فى المخلصين من الأعراب :

ثم ذكر الأعراب أهل الإخلاص والإيمان منهم ، فقال : **﴿ ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم ﴾** [٥] .

ما نزل فى السابقين من المهاجرين والأنصار : ثم ذكر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، وفضلهم ، وما وعدهم الله من حسن ثوابه إياهم ، ثم ألحق بهم التابعين لهم بإحسان فقال : **﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه ﴾** [٦] ثم قال تعالى : **﴿ وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق ﴾** [٧] : أى لجوا فيه ، وأبوا غيره **﴿ سنعذبهم مرتين ﴾** ، والعذاب الذى أوعده الله تعالى مرتين ، فيما بلغنى غمهم بما هم فيه من أمر الإسلام ، وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حسبة ، ثم عذابهم فى القبور إذا صاروا إليها ، ثم العذاب العظيم الذى يردون إليه ، عذاب النار ، والخلد فيه . ثم قال تعالى : **﴿ وآخرون اعترفوا**

---

(١) سورة التوبة : ٨٨ - ٩٠ . (٢) سورة التوبة : ٩٢ - ٩٣ .
(٣) سورة التوبة : ٩٦ . (٤) سورة التوبة : ٩٩ .
(٥) سورة التوبة : ٩٩ . (٦) سورة التوبة : ١٠٠ . (٧) سورة التوبة : ١٠١ .

بذنوبهم خلطوا عملاً صالحا وآخر سيئًا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم ﴾ [١] .

ثم قال : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** ﴾ [٢] إلى آخر القصة ، ثم قال تعالى : ﴿ **وآخرون مرجون لأمر الله إمّا يعذبهم وإما يتوب عليهم** ﴾ [٣] ، وهم الثلاثة الذين خلفوا ، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرهم حتى أتت من الله توبتهم ، ثم قال تعالى : ﴿ **والذين اتخذوا مسجداً ضرارا**﴾ [٤] إلى آخر القصة ثم قال تعالى : ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة** ﴾[٥] ثم كان قصة الخبر عن تبوك ، وما كان فيها إلى آخر السورة .

وكانت براءة تُسمى فى زمان النبى ﷺ وبعده المبعثرة ، لما كشفت من سرائر الناس ، وكانت تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ .

* * *

---

(١) سورة التوبة : ١٠٢ .
(٢) سورة التوبة : ١٠٣ .
(٣) سورة التوبة : ١٠٦ .
(٤) سورة التوبة : ١٠٧ .
(٥) سورة التوبة : ١١١ .

حسَّان يُعَدِّد مَغَازيه ﷺ شعراً

وقال حسان بن ثابت يذكر أيام الأنصار مع النبى ﷺ ، ويذكر مواطنهم معه أيام غزوه :

أَلستَ خير مَعْد كُلهـــا نَفرًا ... ومعشرًا إن هُم عَموا وإن حَصلوا (١)
قَومٌ شَهِـــدوا بدرًا بأجمعهم ... معَ الرسول فما آلوا وما خذَلُوا (٢)
وبَايعوه فلم يَنكث بـــه أحدٌ ... منهم ولم يَك فى إيمانهم دَخلُ (٣)
وَيوم صبحهم فى الشِّعب من أُحــد ... ضَرب رصين كحر النار مُشتعلُ (٤)
وَيوم ذى قِرد يَوم استثـــار بهم ... على الجيادِ فما خَاموا وما نَكلُوا (٥)
وذَا العشيرة جَاســـوها بخيلهم ... مع الرسول عليها البِيضُ والأسلُ (٦)
ويوم ودانِ أجلــــوا أهله رقصًا ... بِالخَيلِ حتى نهَانا الحزن والجبلُ (٧)
وَليلةً طَلبوا فيهـــا عَدوهم ... للهِ واللهُ يجزيهــــم بِما عَملُوا
وَغزوةً يوم نجد ثم كان لهـــم ... مع الرسول بهـــا الأسلابُ والنَّفَلُ
وليلةً بحُنين جَالدوا معـــــه ... فيها يعلهم بالحــــرب إذ نَهلوا (٨)
وَغزوةَ القاعِ فرقنا العــــدو به ... كما تفرق دون المشرب الرسلُ (٩)
ويَوم بُويع كانوا أهــــل بيعته ... على الجِلاد فآســـوه وما عدلُوا

---

(١) حصلوا : أصلها بتشـديد الصاد وخففها لضرورة الشعر . ومعنى حصلوا : جمعوا .

(٢) فما آلوا : ما قصروا . (٣) دخل : فساد .

(٤) رصين : ثابت الحكم . (٥) خام : جبن وتراجع .

(٦) جاسوها : وطئوها . البيض : السيوف . الأسل : الرماح .

(٧) الرقص : نوع من المشى . الحزن : الأرض الغليظة المرتفعة .

(٨) يعلهم : يكرر عليهم ، من العلل وهو الشرب الثانى ، نهلوا : شربوا الشـرب الأول . (٩) الرسل : الإبل .

وَغزوة الفتح كانـــوا فى سريته | مرابطين فـــما طاشوا وما عجلُوا
وَيوم خيبـــر كانوا فى كتيبته | يمشون كلهم مستبـــسل بطلُ
بالبيضِ ترعشُ فى الأيمان عاريةً | تعوج فى الضـــرب أحيانا وتَعتدلُ
ويومَ سار رســـولُ الله محتسبًا | إلى تبـــوك وَهم راياته الأُولُ
وَساسة الحرب إن حرب بدتْ لهم | حَتى بدا لهم الإقبال والقفلُ (١)
أولئك القوم أنصارُ النبىِّ وهم | قومى أَصيرُ إليهـــم حين أتصلُ
مَاتوا كِرامًا ،ولم تَنكثْ عهودهُمُ | وقتلهم فى سبيـــل الله إذْ قُتلوا

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضًا :

كُنا ملوكَ النـــاس قَبل مُحمد | فلما أتى الإسلام كان لنا الفَضلُ
وَأكرمنَا اللهُ الـــذى ليس غَيرهُ | إله بأيامٍ مضتْ ما لهـــا شكلُ
بنصر الإلهِ والرســـولِ وَدينه | وألبسناه اسمًا مضَى مَا لـــه مثَلُ
أَولئكَ قومـــى خَير قومٍ بأسرهم | فما عد من خير فقـــومى له أهلُ
يربُون بالمعروف معروف من مضى | وليس عليهم دون معروفهم قفلُ (٢)
إذا اختَبطوا لم يفحشوا فى نديهم | وليس علـى سؤالهم عندهم بخل (٣)
وإن حَاربوا أو سَالموا لم يشبهوا | فحربهم حتف وسلـــمهم سَهلُ
وجَارهم موف بعليـــاء بيته | له - ما ثوى فِينا - الكرامة والبذلُ
وَحاملهم مُوف بكـــل حُماته | تحمل لا غـــرم عليها ولا خَذلُ
وقائلهم بالحـــق إن قال قائلٌ | وحِلمهم عـــود وحُكمهم عدلُ (٤)
ومنَّا أمير المسلــــمين حياته | ومن غسلـــته من جنابته الرُّسلُ (٥)

(١) القفل : الرجوع . (٢) يربون : يصلحون .

(٣) اختبطوا : قصدوا . (٤) عود : متكرر .

(٥) أمير المسلمين : هو سعد بن معاذ فإن الأنصار تزعم أن الرسول قال للمسلمين جميعا مهاجرين وأنصار قوموا إلى سيدكم . أما من غسلته الملائكة ، هو حنظلة المدعو غسيل الملائكة وهو أنصارى .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضًا :

قَومى أولئـــك إنْ تسألِى ... كِرام إذا الضيفُ يوماً ألَمْ
عِظامُ القُدورِ لأيســـارهم ... يكبون فيها المسن السنمْ (١)
يواسون جَارهـــم فى الغِنى ... ويحمون مَولاهـــم إن ظُلمْ
فكانوا ملوكًا بأرضيـــهم ... ينادون عضبًا بأمـــر غَشِمْ
مُلوكًا على الناس ، لم يملكوا ... من الدهر يومًا كحل القَسم (٢)
فأنبوا بِعاد وأشيَاعهـــا ... ثَمود وبعض بقَايا إرمْ (٣)
بيثْرب قد شيَّدوا فى النخيل ... حصونًا ودجن فيها النَّعمْ (٤)
نَواضح قد علمتهـــا اليهو ... دُعلل إليك وقولاً هَلمْ (٥)
وفيما اشتهوا من عَصير القطا ... فِ والعيش رخوا على غيرهم
فَسرنَا إليهم بأثقـــالنا ... على كل فحل هِجان قَطِمْ (٦)
جَنبنا بهن جِياد الخيـــو ... لِ قد جللوها جلال الأدمْ (٧)
فَلما أناخُوا بجنبى صِرار ... وشدوا السروجَ بلى الحزمْ
فَما راعهم غير معج الخيول ... والزحف من خلفهم قد دهِمْ (٨)
فَطاروا سراعا وقد أفزعوا ... وجئنا إليهم كأسد الأجمْ
عَلى كل سلهبة فى الصيا ... نِ لا يشتكين نحول السأمْ (٩)
وكَل كَميتٍ مطار الفؤادِ ... أمين الفصوص كمثل الزلمْ (١٠)

---

(١) الأيسار : من يدخلون فى الميسر · المسن : الكبير · السنم : عظيم السنام ·
(٢) حل القسم : يراد بها المدة القصيرة · (٣) أنبوا : أنبئوا ·
(٤) دجن : اختفت فى البيوت ·
(٥) النواضح : الإبل التى يسقى عليها الماء · عل : كلمة نزجر بها الإبل ·
(٦) الهجان : الأبيض · قطم : المشتهى الضراب ·
(٧) جنبنا : قدنا إلى جنبنا · جللوها : غطوها · الأدم : الجلد ·
(٨) معج : مسرعة · (٩) السلهبة : الفرس السريعة ·
(١٠) مطار : ذكى · أمين الفصوص : ما قوي من العظام · الزلم : القدح ·

عَلَيها فوارسُ قــــد عودوا ... قراع الكمان وضرب البهمْ (١)
مُلُوكٌ إذَا غَشموا فى البلاد ... لا يَنكلون ولكـــن قَدَمْ (٢)
فأبنا بساداتِهم والنســـاء ... وأولادهم فيهم تقتســـمْ
وَرِثنا مساكِنهم بعـــدهم ... وكُنَّا ملوكا بـــها لم نرم
فَلمَا أتانا الرسول الرشيـــ ... ــد بالحق والنور بعد الظُّلمْ
قلنا صدقتَ رسولَ المليـــك ... هلم إلينا وفيــــنا أقمْ
فَنشهد أنكَ عبـــد الإلـــ ... ــه أرسلت نورًا بدين قِيمْ
فإنا وأولادنـــا جُنَّةٌ ... نَقيك وفى مالنا فاحتـــكمْ
فَنحنُ أولئـــك إنَ كُذبوكَ ... فناد نداءً ولا تحتشـــمْ
وناد بمـــا كُنت أخفيتهُ ... نداءً جهارًا ولا تكتـــتمْ
فصارَ الغـــواة بأسيافهم ... إليه يظنون أن يختـــرم (٣)
فقمنا إليـــهم بأسيافنا ... نُجالد عـــنه بغاة الأممْ
بكل صقيـــل له ميعة ... رقيق الذباب عضوض خذمْ (٤)
إذا ما يصادف صـــم العظا ... مِ لم ينب عنها ولم ينثلمْ
فذلك ما ورثتنـــا القرو ... م مجدًا تليدًا وعزا أشمْ (٥)
إذا مر نســـل كَفى نَسله ... وغادر نسلا إذا ما انفصم (٦)
فما إنْ من النـــاس إلا لنا ... عليه وإن خَاس فضل النعمْ (٧)

---

(١) البهم : الأبطال الشجعان .

(٢) غَشموا : اشتد ظلمهم ، لا ينكلون : لا يرجعون هائبين .

(٣) يخترم : يهلك .

(٤) له ميعة أى مصقول يشبه المائعات فى بريقه وصفائه . الذباب : حد السيف ، خذم : قاطع .

(٥) القروم : السادة . التليد : القديم . الأشم : العالى .

(٦) انفصم : انقرض .   (٧) خاس : غدر .

ذِكْرُ سَنة تسع وتَسميتها سنة الوفود ونزول سورة الفتح (١)

قال ابن إسحاق : لما افتتح رسول الله ﷺ مكة ، وفرغ من تبوك ، وأسلمت ثقيف وبايعت ، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه (٢) .

• انقياد العرب وإسلامهم :

قال ابن إسحاق : إنما كانت العرب تربص بالإسلام أمر هذا الحى من قريش وأمر رسول الله ﷺ ، وذلك أن قريشًا كانوا إمام (٣) الناس وهاديهم ، وأهل البيت الحرام ، وصَريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وقادة العرب لا ينكرون ذلك ، وكانت قريش هى التى نصبت لحرب رسول الله ﷺ وخلافه ، فلما افتتحت مكة ، ودانت (٤) له قريش ، ودخلها الإسلام وعرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته ، فدخلوا فى دين الله ، كما قال عز وجل : أفواجًا يضربون (٥) إليه من كل وجه ، ويقول الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجًا * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا** ﴾ (٦) .

* * *

---

(١) يقصد هنا سورة النصر .

(٢) قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيد أن ذلك كان فى سنة تسع ، وأنها كانت تسمى سنة الوفود .

(٣) أى القدوة .

(٤) أى خضعت له واعترفت به .

(٥) أى يأتون إليه ، يضربون إليه أكباد الإبل : أى يأتون إليه من كل مكان محمولون على الإبل .

(٦) سورة النصر بأكملها وهى مدنية ، وتسمى سورة « التوديع » وهى ثلاث آيات ، وهى آخر سورة نزلت جميعًا - أى كاملة - انظر تفسير القرطبى ١٠ / ٧٥٧٤ ط . دار الغد العربى .

قُدُوم وفَدِ بَنى تَميم ونزول سورة الحجرات

● **رجال الوفد**

فقدمت على رسول الله ﷺ وفود العرب ، فقدم عليه عطارد بن حاجب (١) ابن زرارة بن عدس التميمى ، فى أشراف بنى تميم ، منهم الأقرع بن حابس التميمى والزبرقان بن بدر التميمى ، أحد بنى سعد ، وعمرو بن الأهتم والحبحاب بن يزيد .

قال ابن إسحاق : وفى وفد بنى تميم نُعيم بن يزيد ، وقيس بن الحارث ، وقيس بن عاصم : أخو بنى سعد ، فى وفد عظيم من بنى تميم .

قال ابن إسحاق : ومعهم عُيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى ، وقد كان الأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن شهدا مع رسول الله ﷺ فتح مكة وحُنينا والطائف .

أصحاب الحجرات : فلما قدم وفد بنى تميم كانا معهم ، فلما دخل وفد بنى تميم المسجد نادوا رسول الله ﷺ من وراء حجراته : أن اخرج إلينا يا محمد ، فآذى ذلك رسول الله ﷺ من صياحهم ، فخرج إليهم ، فقالوا : يا محمد ، جئناك نفاخرك ، فأذن لشاعرنا وخطيبنا . قال : قد أذنت لخطيبكم فليقل .

كلمة عُطَارِد : فقام عطارد بن حاجب ، فقال :

الحمد لله الذى له علينا الفضل والمنّ ، وهو أهله ، الذى جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما ، نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عددا ، وأيسره عدة ، فمن مثلنا فى الناس وأولى فضلهم؟! فمن فاخر فليعدد مثل ما عددنا ، ولو نشاء لأكثرنا الكلام ، ولكنا نحيا من الإكثار فيما أعطانا ، وإنا نُعرف بذلك .

أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا ، وأمر أفضل من أمرنا ، ثم جلس .

ثابت بن قيس يرد على عطارد :

فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن الشماس ، أخى بنى الحارث ابن الخزرج : قم ، فأجب الرجل فى خطبته : فقام ثابت ، فقال :

---

(١) هو أحد بنى دارم بن مالك وكذلك الأقرع بن حابس .

الحمد لله الذى السموات والأرض خلقه ، قضى فيهن أمره ، ووسع كرسيه علمه ، ولم يك شيء قط إلا من فضله ، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا ، واصطفى من خير خلقه رسولا ، أكرمه نسبا ، وأصدقه حديثا ، وأفضله حسبا ، وأنزل عليه كتابه وأئتمنه على خلقه ، فكان خيرة الله من العاملين ، ثم دعا الناس إلى الإيمان به ، فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوى رحمه ، أكرم الناس حسباً ، وأحسن الناس وجوهاً وخير الناس فعالاً ، ثم كان أول الخلق إجابة ، واستجاب لله حين دعاه رسول الله ﷺ نحن ، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله . فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه . ومن كفر جاهدناه فى الله أبداً ، وكان قتله علينا يسيرا . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى وللمؤمنين والمؤمنات ، والسلام عليكم .

● شعر الزبرقان فى الفخر بقومه :

فقام الزبرقان بن بدر فقال :

نحنُ الكرامُ فَلا حَـــى يُعادِلنا ... منَّا الملوكُ وفينا تُنْصَبُ البِيَعُ (١)

وكم قَسرنا من الأحيـــاء كُلهم ... عند النِّهاب وفضــــل العز يتبعُ

ونحن نُطعِم عند القحط مَطعمنا ... من الشواء إذا لم يؤنَس القزعُ (٢)

بِما ترى النَّاس تَأتينا سُراتهم ... مِن كل أرض هويًا ثم نصطنعُ (٣)

فَننحر الكُومَ عِبطًا فـــى أَرُومَتنا ... لِلنازلينَ إذا ما أُنزلوا شَبعُوا (٤)

فَلا تَرانا إلى حـــىٌ نُفاخرهُمْ ... إلا استفادوا فكانوا الرأس يقتطعُ

فَمن يُفاخرنَا فى ذاك نعـــرفهُ ... فَيرجعُ القوم والأخبار تُستَمعُ

إِنا أَبينا ولاَ يأبَى لَنا أَحـــدٌ ... إِنَّا كذلك عِنْد الفخرِ نَرتفعُ

---

(١) البيع : أماكن العبادة والصلاة .

(٢) القزع : السحاب الرقيق ليس فيه مطر

(٣) هويا : سراعًا .

(٤) الكوم : النوق عظام الأسنمة ، عبطا : بلا سبب ، الأرومة : الكرم ، وتأتى أيضًا بمعنى الأصل .

● **حسان يرد على الزبرقان :**

قال ابن إسحاق : وكان حسان غائبًا ، فبعث إليه رسول الله ﷺ ، قال حسان : جاءني رسوله ، فأخبرني أنه إنما دعاني لأجيب شاعر بني تميم ، فخرجت إلى رسول الله ﷺ وأنا أقول :

مَنعنا رسولَ الله إذ حَلَّ وسـطنا ... على أنْف راض من معـد وراغم
مَنعناه لَمّا حـل بين بيـوتنا ... بأسيافنـا من كل بَاغٍ وَظَالم
ببيت حـريد عزه وثـراؤه ... بجابية الجولان وسَط الأعاجم (١)
هل المجد إلا السودَدُ العود والنـدى ... وجاه الملوك واحتمـال العظائم (٢)

قال : فلما انتهيت إلى رسول الله ﷺ ، وقام شاعر القوم ، فقال ما قال ، عَرضت في قوله ، وقلت على نحو ما قال . قال : فلما فرغ الزبرقان ، قال رسـول الله ، لحسان بن ثابت : قم يا حسان ، فأجب الرجل فيما قال : فقام حسان ، فقال :

إنَّ الذوائبَ مِنْ فهـر وإخوتهم ... قَد بيَّنوا سُنَّة للناس تُتَّبَعُ (٣)
يَرضَى بهم كُلُّ من كَانت سَريرتُه ... تَقوى الإله وكل الخير يصطَنعُ
قَومٌ إذَا حاربوا ضَرُّوا عَدوهم ... أوَ حاولوا النفعَ في أشياعهم نَفعُوا
سَجيةٌ تلك منهـم غَير مُحدثة ... إنَّ الخلائق فاعلم شَرها البدَعُ (٤)
إنْ كانَ في الناسِ سبَّاقون بعدهم ... فكُل سَبق لأدنـى سَبْقهم تَبعُ
لاَ يرقع الناسُ ما أوهـت أكفهم ... عِنْدَ الدفاع ولا يوهون ما رقعُوا (٥)
إن سابقوا الناس يوما فاز سبقهم ... أو وازنوا أهل مجد بالندى متعوا (٦)
أعفة ذُكرت في الوحـي عفتهم ... لا يَطبعون ولا يـرد بهم طَمعٌ (٧)
لا يبخلونَ علـى جارٍ بفَضلِهم ... ولا يمسهم مـن مَطمع طَبعُ (٨)

(١) الحريد : الفريد في العز . الجولان : بلد بسوريا ، والمراد أن عزهم قديم متصل بحضارة الغساسنة في الشام .

(٢) السودد : المجد ، والعود : المتكرر .

(٣) الذوائب : السادة الأشراف .

(٤) السجية : الطبيعة .

(٥) أوهت : هدمت .

(٦) متعوا : زادوا وارتفعوا .

(٧) لا يطبعون : لا يتدنسون .

(٨) طبع : دنس .

إذا نَصبنا لحيٍّ لم نَدب لهم — كما يدب إلى الوحشية الذَّرعُ (١)
نَسمو، إذا الحرب نالتنا مَخالبها — إذا الزعانف من أظفارها خَشعُوا (٢)
لاَ يفخرونَ إذا نَالوا عَدوَّهم — وإن أُصيبوا فَلاَ خَور ولا هَلعُ (٣)
كأنهم في الوَغى والموت مُكتَنِعٌ — أسد بحلية في أرساغها فَدعُ (٤)
خُذ منهم ما أتى عفواً إذَا غَضبوا — ولاَ يكن همك الأمر الذى منَعُوا
فَإنَّ في حربهم - فاترك عَداوتهم — شرا يخاض عليه السُّمُّ والسلعُ (٥)
أَكْرم بقومٍ رَسولُ اللهِ شيعتهم — إذا تفاوتت الأهواءُ والشِّيعُ
أُهدى لهم مدحتى قلب يؤازره — فيما أحب لسان حائك صَنَعُ
فإنهم أفضلُ الأحياء كلهم — إن جد بالناس جَد القول أو شَمعُوا (٦)

شعر آخر لحسان فى الرد على الزبرقان : وقال حسان بن ثابت أيضا :

هَلِ المجدُ إلا السوددُ العود والندى — وجاه الملوك واحتمال العظائمِ
نَصرَنا وآوينا النبى محمدًا — على أنف راضٍ من معد وراغمِ
بحى حَريد أصله وثراؤه — بجابية الجولان وسط الأعاجمِ
نَصرناه لما حل وسط ديارنا — بأسيافنا من كل باغٍ وظالمِ
جَعلنا بَنينا دونهُ وبناتنا — وطبنا له نفسًا بفَيء المغانمِ
ونحنُ ضَربنا الناس حتى تَتَابعوا — على دِينه بالمرهَفَاتِ الصوارمِ

(١) نصبنا : أظهرنا العداوة ، الذرع : ولد بقرة الوحش .
(٢) نسمو : ننهض ، الزعانف : يريد بها أطراف الناس ، خشعوا : تذللوا .
(٣) الخور : الضعف .
(٤) مكتنع : قريب ، حلية : مكان باليمن تكثر فيه الأسود ، الأرساغ : جمع رسغ وهو ما بين الساق والقدم ، فدع : اعوجاج .
(٥) السلع : نبات سام .
(٦) شمعوا : هزلوا .

ونحنُ وَلَدنا مــن قريش عَظيمها ولدنا نبى الخير من آل هاشمِ [١]

بنى دارم لا تفخروا إنَّ فخركم يعودُ وبالا عـــند ذكر المكارِمِ

هبلتم علينا تفخـــرون وأنتم لنا خَوَل ما بـــين ظئر وخادمِ [٢]

فإن كنتم جئـــتم لحقنِ دمائكم وأموالكم أن تقسموا فى المقاسمِ

فَلا تجعلـــوا لله ندًّا وأسلموا ولا تلبســوا زيًّا كَزِىِّ الأعاجمِ

إسلام الوفد : قال ابن إسحاق : فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله ، قال الأقرع بن حابس : وأبى ، إن هذا الرجــل لَمُؤتى له [٣] ، ولخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أحلى من أصواتنا ، فلما فرغ القوم أسلموا . وجوزهم [٤] رسول الله ﷺ ، فأحسن جوائزهم .

شعر ابن الأهتم فى هجاء قيس : وكان عمرو بن الأهتم قد خلفه القوم فى ظهرهم [٥] ، وكان أصغرهم سنا . فقال قيس بن عاصم ، وكان يبغض عمرو بن الأهتم : يا رسول الله ، إنه قد كان رجل منا فى رحالنا ، وهو غلام حدث ، وأزرى به فأعطاه رسول الله ﷺ مثلما أعطى القوم ، فقال عمرو بن الأهتم حين بلغه أن قيسًا قال ذلك يهجوه :

ظَلَلْتُ مفترشَ الهَلْباء تشتـــمُنِى عندَ الرسولِ فلم تصدق ولم تصبِ [٦]

سدناكم سؤددا رَهوًا وســؤددكم باد نواجذه مقـــع على الذَّنَبِ [٧]

قال ابن إسحاق : وفيهم نزل من القرآن : ﴿ **إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون** ﴾ [٨] .

* * *

---

(١) ذلك أن أم عبد المطلب من أهل يثرب .

(٢) هبلتم : ثكلتم . الخول : العبيد والخدم ، الظئر : المرضعة غير ولدها .

(٣) مؤتى له : أى موفق . (٤) أى أعطاهم جائزة ومكافئة .

(٥) ظهرهم : إبلهم .

(٦) الهلباء : ما غلظ من الشعر وصلب .

(٧) رهوًا : متسعًا ،النواجذ : الأسنان ، مقع : جالس .

(٨) الحجرات : الآية ٤ .

قصّةُ عَامرِ بن الطُّفيل وأَرْبَد بن قَيْسٍ في الوفادة عن بني عَامر

• رؤساء الوفد :

وقدم على رسول الله ﷺ وفد بنى عامر ، فيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر ، وجبار بن سلمى بن مالك بن جعفر ، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم .

• عامر يدبِّر الغدر بالرسول ﷺ :

فقدم عامر بن الطفيل عدو الله ، على رسول الله ﷺ ، وهو يريد الغدر به ، وقد قال له قومه : يا عامر ، إن الناس قد أسلموا فأسلم ، قال : والله لقد كنت آليت أن لا أنتهى حتى تتبع العرب عقبى ، أفأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش ، ثم قال لأربد : إذا قدمنا على الرجل ، فأنى سأشغل عنك وجهه ، فإذا فعلت ذلك فاعله [١] بالسيف ، فلما قدموا على رسول الله ﷺ ، قال عامر بن الطفيل : يا محمد خالنى [٢] ، قال : لا والله حتى تؤمن بالله وحده . قال : يا محمد خالنى - وجعل يكلمه وينتظر من أربد ما كان أمره به - فجعل أربد لا يحير شيئًا ، قال : فلما رأى عامر ما يصنع أربد ، قال : يا محمد خالنى ، قال : لا ، حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له ، فلما أبى عليه رسول الله ﷺ قال : أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا ، فلما ولى قال رسول الله ﷺ ، اللهم اكفنى عامر ابن الطفيل . فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ ، قال عامر لأربد : ويلك يا أربد أين ما كنت أمرتك به ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندى على نفسى منك . وايم الله لا أخافك بعد اليوم أبدًا . قال : لا أبالك ، لا تعجل علىَّ ، والله ما هممت بالذى أمرتنى به من أمره إلا دخلت بينى وبين الرجل حتى ما أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف [٣] ؟

(١) أى اقتله به .   (٢) أى اتخذنى خليلاً وصاحبًا .

(٣) وهذه من معجزات الله إذ أخفى نبيه عن وجه هذا الكافر ليرد كيده فى نحره .

موت عامر بدعاء الرسول عليه : وخرجوا راجعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث على عامر بن الطفيل الطاعون فى عنقه ، فقتله الله فى بيت امرأة من بنى سلول ، فجعل يقول: يا بنى عامر ، أغدة كغدة البكر (١) فى بيت امرأة من بنى سلول ؟!

موت أربد بصاعقة : قال ابن إسحاق : ثم خرج أصحابه حين واروه ، حين قدموا أرض بنى عامر شاتين ، فلما قدموا أتاهم قومهم فقالوا : ما وراءك يا أربد ؟ قال : لا شىء . والله ، لقد دعانا إلى عبادة شىء لوددت أنه عندى الآن ، فأرميه بالنبل حتى أقتله ، فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يتبعه ، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جمله صاعقة ، فأحرقتهما ، وكان أربد بن قيس أخا لبيد بن ربيعة لأمه (٢) .

شعر لبيد فى بكاء أربد : قال ابن إسحاق : فقال لبيد يبكى أربد :

مَا إنْ تعدَّى المنـــونَ من أَحد ... لاَ وَالد مشفــق وَلا وَلَد
أَخشى على أَرْبَد الحتـوفَ وَلا ... أَرْهَب نوْء الســـماك والأسد
فَعين هلاَّ بكيـــــت أربدَ إذْ ... قمنا وقامَ النســـاءُ فى كبدِ (٣)
إن يَشْغَبوا لا يُبال شغبهـــم ... أو يقصدوا فى الحكوم يقتصد
حُلو أريب (٤) وفـــى حَلاوته ... مر لطيف الأحشـــاء والكبد
وعَينِ هلاَّ بكيـــتِ أربد إذ ... ألوت رياح الشتـــاء بالعضد
وأصبحتْ لاقـــحا مصرمة ... حين تجـــلت غوابر المدد (٥)

---

(١) الغدة مرض يصيب الإبل تموت منه ، البكر : الفتى من الإبل .

(٢) قال ابن هشام : وذكر زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس ! قال : وأنزل الله عز جل فى عامر وأربد : ﴿ **الله يعلم ما تحمـــل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد** ﴾ . إلى قوله : ﴿ **وما لهم من دونه من وال** ﴾ .

قال : المعقبات : هى من أمر الله يحفظون محـــمداً ، ثم ذكر أربد وما قتله الله به ، فقال : ﴿ **ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء** ﴾ إلى قوله : ﴿ **شديد المحال** ﴾ .

(٣) الكبد : المشقة والحزن . (٤) الأريب : الداهى الفطن .

(٥) مصرمة : لا لبن فيها . الغوابر : البقايا .

أشجع من ليث غـــابة لحم ... ذو نهمة فى العلا ومنتقد (١)

لاَ تبلُغُ العينُ كـــل نهمتهَا ... ليلة تمسى الجـــياد كالقدد (٢)

البَاعثُ النـــوح فى مآتمه ... مثل الظباء الأبكار بالجرد (٣)

فَجَعَنى البَرق والصَّواعِق بالـ ... فَارسِ يَــوم الكَريهة النجد

والحَارِبُ الجَابِرُ الحَـريب إذا ... جاء نكيبا وإن يعــد يعد (٤)

يَعفُو على الجَهْدِ والسؤال كما ... ينبت غيث الربيع ذو الرصد (٥)

كُل بنى حرة مصيـــرهم ... قل وإن أكثـــرت من العدد

إن يُغبطوا يَهبطوا وإن أمروا ... يومًا فهم للهــلاك والنفد

قال ابن إسحاق : وقال لبيد أيضًا يبكى أربد :

ألا ذهبَ المُحَافِظُ والمُحَامِى ... ومَانِع ضَيْمها يوم الخصــامِ

وأيقنتُ التفرقَ يَوم قَالوا ... تقسم مَال أربَد بالســهامِ

تطيرُ عَدائد الأشـــراك شفعًا ... ووترًا والزعامة للغلام (٦)

فَودع بالسَّـــلام أبَا حُريز ... وقُل وَدَاعُ أَرْبَـــد بالسَّلام

وكُنتَ إمامنـــا ولَنا نظَامًا ... وكَان الجزع يحفظ بالنظام (٧)

وأَرْبدُ فَارِس الهَيْجَا إذَا مَا ... تَقَعَّرت المشـــاجر بالفئام (٨)

إذَا بكَر النِّســاء مُرْدِفات ... حَواسِرِ لايُجئــن على الخدامِ (٩)

---

(١) لحم : كثيراً من أكل اللحم · منتقد : بصير بالأمور ·

(٢) القدد : السيور تصنع من الجلد ·

(٣) النوح : جماعة النساء النائحة · الجرد : الأراضى القاحلة ·

(٤) الحريب : السالب · والنكيب : المصاب ·

(٥) يعفو : يعطى · الرصد : الكلأ القليل ·

(٦) العدائد : الأنصباء · الأشراك : الشركاء ·

(٧) الجزع : الخرز اليمانى ·

(٨) المشاجر : نوع من الهوادج · الفئام : ما يفرش فى الهودج ·

(٩) يجئن : يعطين · الخدام مفردها خدمة : الساق ·

فَواءَلَ يَوم ذَلك مـــن أَتاهُ ... كَما وأل المحل إلى الحرامِ [(١)]
وَيحمد قَدر أَرْبَد مـن عراَها ... إذا ما ذُم أرباب اللحـامِ
وَجارته إذا حَلَّتْ لَديـه ... لَها نَفل وحظ من سنـامِ
فإن تَقْعُدَ فمكرمة حصـان ... وإن تظعن فمحسنة الكلامِ
وَهلْ حُدِّثْتَ عن أخوين دامًا ... على الأيام إلا ابنى شمام [(٢)]
وإلا الفَرقـدين وآل نعش ... خوالد ما تحدث بانهدامِ [(٣)]

قال ابن إسحاق : وقال لبيد أيضًا يبكى أربد :

انْع الكَريم للكـريم أَرْبدَا ... انْع الرئيـس واللَّطيفَ كَبدَا
يَحذى ويُعْطِى مَاله ليحمَدا ... أدْما يشبـهن صُوارا أبَّدا [(٤)]
السَّابل الفَضـل إذَا ما عُددا ... وَيملأ الجِفْنَة ملـئا مَددَا [(٥)]
رِفها إذا يأتى ضَريك ورَدا ... مثَل الذى فى الغيل يقرو جمدا [(٦)]
يَزداد قربا منـهم أن يُوعدا ... أورثتنا تراث غـير أنكدا
غبا ومالا طـارفا وولدا ... شرخًا صقورًا يافعًا وأمردا [(٧)]

وقال لبيد أيضًا :

لَنْ تُفْنِيَنَا خَيـرات أَرْبَد ... فَأَبْكِيَا حَتـى يَعودَا

---

(١) وأل : ألجأ . (٢) ابنا شمام : جبلان .

(٣) الفرقدان : نجمان نيران . وآل نعش يقصد بنات نعش الكبرى والصغرى : مجموعات من النجوم .

(٤) يحذى : يعطى . الأدم : الإبل البيض . الصور : القطيع من بقر الوحش . أبدا : نافرة .

(٥) الجفنة : وعاء يصنع من خشب الأبنوس .

(٦) رفها : متكررا الضريك : الفقير . الغيل : أكمة الأسد . يقرو : يتتبع . جمد : اسم جبل .

(٧) الشرخ : أول الشباب ونضارته ، اليافع الغلام البالغ .

قُولاَ هَو البَطَلُ المُحَــــــا مِى حينَ يكْســـونَ الحديدَا
وَيصُد عنَا الظالمِيــــــــــــــنَ إذَا لَقِينَا القـــومَ صَيدا [١]
فَاعتَاقه رَبُّ البَرِيَّـــــــــــــــةِ إذَا رَأى أن لا خُلودَا [٢]
فَثَـــــوى ولَمْ يُوجَع وَلَم يُوصَب وكان هـــو الفقِيدَا

وقال لبيد أيضا :

يَذكرنى بأربـــــدَ كلَ خِصْمٍ أَلد تختالُ خطتــــه ضرارًا [٣]
إذا اقتصدوا فمقتـــصد كريم وإن جاروا ســـواء الحق جَارا
ويهدى القوم مطلـــعا إذا ما دليل القـــوم بالموماة حَارا [٤]

قال ابن إسحاق : وقال لبيد أيضًا :

أَصْبَحتُ أَمشى بَعد سَلْمى بن مَالك وَبعد أَبى قَيْسٍ وعُرْوة كالأجبِّ [٥]
إذَا مَا رأى ظِل الغُرَاب أضَجــــه حذارًا على باقى السناسن والعصب [٦]

* * *

(١) الصيد : المتكبرون .
(٢) اعتاقه : أعاقه عن أن يبلغ غايته .
(٣) ألد : قوى الخصومة .
(٤) الموماة : الصحراء .
(٥) الأجب : مقطوع السنام من البعير .
(٦) أضجه : صاح عليه . السناسن فقار الظهر .

قدوم ضمام بن ثعلبة وافدًا عن بنى سعد بن بكر

قال ابن إسحاق : وبعث بنو سعد بن بكر إلى رسول الله ﷺ رجلاً منهم ، يقال له ضمام بن ثعلبة .

إسلامه : قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن الوليد بن نويفع عن كريب ، مولى عبد الله بن عباس ، عن ابن عباس ، قال : بعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافدًا إلى رسول الله ﷺ ، فقدم عليه ، وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله ، ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس فى أصحابه ، وكان ضمام رجلا جلداً أشعر ذا غديرتين [1] ، فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ فى أصحابه ، فقال : أيكم ابن عبد المطلب؟ قال : فقال رسول الله ﷺ : أنا ابن عبد المطلب . قال : أمحمد ؟ قال : نعم ، قال : يا بن عبد المطلب ، إنى سائلك ومغلظ عليك فى المسئلة ، فلا تجدن فى نفسك، قال : لا أجد فى نفسى ، فسل عما بدا لك ، قال : أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آلله بعثك إلينا رسولا ؟ قال : اللهم نعم ، قال فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده لا نشرك به شيئا . وأن نخلع هذه الأنداد التى كان آباؤنا يعبدون معه ؟ قال : اللهم نعم ، قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آلله أمرك أن نصلى هذه الصلوات الخمس ؟ قال : اللهم نعم ، قال : ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة : الزكاة والصيام والحج وشرائع الإسلام كلها ، ينشده عند كل فريضة منها ، كما ينشده فى التى قبلها ، حتى إذا فرغ قال : فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، وسأؤدى هذه الفرائض ، وأجتنب ما نهيتنى عنه ، ثم لا أزيد ولا أنقص . ثم انصرف إلى بعيره راجعا . قال : فقال رسول الله ﷺ : إن صدق ذو العقيصتين دخل الجنة .

دعوة قومه للإسلام : قال : فأتى بعيره فأطلق عقاله ، ثم خرج حتى قدم على قومه ، فاجتمعوا إليه . فكان أول ما تكلم به أن قال : بئست اللات والعـــزى !

---

(١) غديرتين : ذؤابتين من شعر .

قالوا : مه يا ضمام اتق البرص ، اتق الجنون ! قال : ويلكم ! إنهما والله لا يضران ، ولا ينفعان ، إن الله قد بعث رسولا ، وأنزل عليه كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه ، وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده · لا شريك له ، وأن محمدًا عبده ورسولِه ، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ، وما نهاكم عنه · قال : فوالله ما أمسى من ذلك اليوم فى حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلما ·

قال : يقول عبد الله بن عباس : فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة ·

• ما حدث بين الرسول وبين مسيلمة الكذاب :

قال ابن إسحاق : فكان منزلهم فى دار بنت الحارث امرأة من الأنصار ، ثم من بنى النجار فحدثنى بعض علمائنا من المدينة : أن بنى حنيفة أتت به رسول الله ﷺ تستره بالثياب ، ورسول الله ﷺ جالس فى أصحابه ، معه عسيب من سعف النخل ، فى رأسه خوصات ، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ، وهم يسترونه بالثياب ، كلمه وسأله ، فقال له رسول الله ﷺ : لو سألتنى هذا العسيب ما أعطيتكه ·

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى شيخ من بنى حنيفة من أهل اليمامة أن حديثه كان على غير هذا ، زعم أن وفد بنى حنيفة أتوا رسول الله ﷺ ، وخلفوا مسيلمة فى رحالهم ، فلما أسلموا ذكروا مكانه ، فقالوا : يا رسول الله إنا قد خلفنا صاحبًا لنا فى رحالنا وفى ركابنا يحفظها لنا ، قال : فأمر له رسول الله ﷺ بمثل ما أمر به للقوم ، وقال : أما إنه ليس بشركم مكانا ، أى لحفظه ضيعة أصحابه ، وذلك الذى يريد رسول الله ﷺ ·

تنبؤ مُسيلمة : قال : ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ ، وجاءوه بما أعطاه ، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ وتكذب لهم ، وقال : إنى قد أُشركت فى الأمر معه · وقال لوفده الذين كانوا معه : ألم يقل لكم حين ذكرتمونى : أما إنه ليس بشركم مكانا ، ماذاك إلا لما كان يعلم أنى قد أشركت فى الأمر معه ، ثم جعل يسجع لهم الأساجيع ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة [1] للقرآن : « لقد أنعم الله على

---

(١) مضاهاة : مشابهة ·

الحبلى ، أخرج منها نسمة تسعى ، من بين صفاق (١) وحشى » . وأحل لهم الخمر والزنا ، ووضع عنهم الصلاة ، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله ﷺ بأنه نبى ، فأصفقت (٢) معه حنيفة على ذلك ، فالله أعلم أى ذلك كان .

* * *

قُدوم (٣) زيد الخيل فى وفد طَيىء

قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله ﷺ وفد طيىء ، فيهم زيد الخيل ، وهو سيدهم ، فلما انتهوا إليه كلموه ، وعرض عليهم رسول الله ﷺ الإسلام فأسلموا ، فحسن إسلامهم ،وقال رسول الله ﷺ ، كما حدثنى من لا أتهم من رجال طيىء ما ذكر لى رجل من العرب بفضل ، ثم جاءنى ، إلا رأيته دون ما يقال فيه ، إلا زيد الخيل ، فإنه لم يبلغ كل ما كان فيه ، ثم سمَّاه رسول الله ﷺ زيد الخير وقطع له فيدًا وأرضين معه ، وكتب له بذلك ، فخرج من عند رسول الله ﷺ راجعًا إلى قومه فقال رسول الله ﷺ : إن ينج زيد من حـــمى المدينة فإنه قال : قد سماها رسول الله ﷺ باسم غير الحمى ، وغير أم ملدم (٤) فلم يثبته . فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه ، يقال له فردة ، أصابته الحمى بها فمات ، ولما أحس زيد بالموت قال :

أمُرْ تَحل قَوْمِــى المشَارقَ غدوةً وَأترك فى بَيْـــت بفَردة منجَد
ألا رُبَّ يَوم لو مَرِضــتُ لعَادنى عَوائد من لم يَبر مِنْهن بِجهد (٥)

فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان معه من كتبه ، التى قطع له رسول الله ﷺ فحرقتها بالنار .

* * *

(١) الصفاق ما رقّ من البطن .
(٢) أصفقت : اجتمعت .
(٣) قدوم : أى قدومه يعلن إسلامه .
(٤) والاسم الذى ذهب عنه الراوى من أسماء الحمى ، هو أم كلبة .
(٥) يبرى : يجهد .

قُدُومُ عَدِى بن حَاتم

• هروبه إلى الشام فرارًا من الرسول ﷺ :

وأما عدى بن حاتم فكان يقول ، فيما بلغنى : ما من رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به منى ، أما أنا فكنت امرءًا شريفًا وكنت نصرانيًّا ، وكنت أسير فى قومى بالمرباع (١) فكنت فى نفسى على دين وكنت ملكًا فى قومى ، لما كان يصنع بى فلما سمعت رسول الله ﷺ كرهته ، فقلت لغلام كان لى عربى ، راعيًا لإبلى : لا أبالك ، أعدد لى من إبلى أجمالاً ذللاً (٢) سمانًا ، فاحتبسها قريبًا منى ، فإذا سمعت بجيش لمحمد قد وطىء هذه البلاد فآذنى ، ففعل ، ثم إنه أتانى ذات غداة ، فقال : يا عدى ما كنت صانعا إذا غشيتك خيل محمد ، فاصنعه الآن، فإنى قد رأيت رايات، فسألت عنها ، فقالوا هذه جيوش محمد . قال : فقلت : فقرب إلىَّ أجمالى ، فقربها ، فاحتملت بأهلى وولدى ، ثم قلت : ألحق بأهل دينى من النصارى بالشام ، فسلكت الجوشية ، وخلفت بنتا (٣) لحاتم فى الحاضر . فلما قدمت الشام أقمت بها .

أسر الرسول ابنة حاتم : وتخالفنى خيل لرسول الله ﷺ ، فتصيب ابنة حاتم ، فيمن أصابت ، فقدم بها على رسول الله ﷺ فى سبايا من طيىء وقد بلغ رسول الله ﷺ هربى إلى الشام . قال : فجعلت بنت حاتم فى حظيرة بباب المسجد ، كانت السبايا يحبسن فيها ، فمر بها رسول الله ﷺ ، فقامت إليه ، وكانت امرأة جزلة ، فقالت : يا رسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد فامنن علىَّ منَّ الله عليك . قال : ومن وافدك ؟ قالت : عدى بن حاتم . قال الفارُّ من الله

---

(١) أى آخذ ربع الغنيمة ، وكانت هذه عادة الرؤساء فى الجاهلية لمكانتهم فى قومهم .

(٢) الذلل : السهلة .

(٣) يقول السهيلى : اسمها سفانة ، لأنى وجدت فى خبر عن امرأة حاتم تذكر فيه من سخائه قالت : فأخذ حاتم عديا يعلله من الجوع ، وأخذت أنا سفانة ، ولا يعرف لعدي ولد ، انقرض عقبه ، ولحاتم عقب من قبل عبد الله بن حاتم ، ذكره القتبى ، ولا يعرف له بنت إلا سفانة ، فهى إذا هذه المذكورة فى السيرة . والله أعلم .

ورسوله ؟ قالت : ثم مضى رسول الله ﷺ وتركنى، حتى إذا كان من الغد مر بى · فقلت له مثل ذلك ، وقال لى مثل ما قال بالأمس · قالت : حتى إذا كان بعد الغد مر بى وقد يئست منه ، فأشار إلىَّ رجل من خلفه أن قومى· فكلميه ، قالت : فقمت إليه فقلت : يا رسول الله هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامنن علىَّ منَّ الله عليك ، فقال ﷺ : قد فعلت ، فلا تعجلى بخروج حتى تجدى من قومك من يكون لك ثقة ، حتى يبلغك إلى بلادك ثم آذنينى [١] · فسألت عن الرجل الذى أشار إلىَّ أن أكلمه ، فقيل : على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، وأقمت حتى قدم ركب من بلَى أو قُضاعة ، قالت : وإنما أريد أن آتى أخى بالشام · قالت : فجئت رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ، قد قدم رهط من قومى ، لى فيهم ثقة وبلاغ · قالت : فكسانى رسول الله ﷺ ، وحملنى ، وأعطانى نفقة [٢] ، فخرجت معهم حتى قدمت الشام ·

قال عدى : فوالله إن لقاعد فى أهلى ، إذ نظرت إلى ظعينة [٣] تصوب إلىَّ تؤمنا ، قال : فقلت ابنة حاتم ، قال : فإذا هى هى ، فلما وقفت علىَّ انسحلتْ [٤] تقول : القاطع الظالم ، احتملت بأهلك وولدك ، وتركت بقية والدك عورتك ، قال : قلت أى أُخية لا تقولى إلا خيراً ، فوالله ما لى من عذر ، لقد صنعت ما ذكرت ، قال : ثم نزلت فأقامت عندى ، فقلت لها · وكانت امرأة حازمة - ماذا ترين فى أمر هذا الرجل ؟ قالت : أرى والله أن تلحق به سريعًا ، فإن يكن الرجل نبيا فللسابق إليه فضله ، وإن يكن ملكًا فلن تُذل فى عز اليمن ، وأنت أنت [٥] قال : قلت : والله إن هذا الرأى ·

(١) يا لها من أخلاق فاضلة وشهامة ومروءة من النبى ﷺ حتى مع غير المسلمين ، امرأة غير مسلمة بعد ما أطلق سراحها يخاف عليها أن تسافر لأخيها ، إلا بعد أن يطمئن عليها أنها فى مأمن وذلك أنه طلب منها أن تنتظر رفقة من قومها ثقة لتسافر معهم ويطمئن الرسول بنفسه على ذلك !! ·

(٢) وهذا من عظيم كرم النبى ﷺ أن أحسن إليها وأعطاها كساء ، ونفقة تكفيها حتى تصل لأخيها ، فيا ليتنا نتأسى بأخلاق الرسول ﷺ ·

(٣) الظعينة : المرأة فى الهودج · (٤) انسحلت : أخذت تلوم ·

(٥) انظر إلى تفكير المرأة ومدى إعمال العقل وحسن نظرها ، على عكس نساء كثيرات اليوم يستخدمن عقولهن فى أمور تافهة لا تنفع ·

• إسلام عدى :

قال : فخرجت حتى أقدمُ على رسول الله ﷺ المدينة ، فدخلت عليه ، وهو فى مسجده ، فسلمتُ عليه ، فقال : من الرجل فقلت : عدى بن حاتم ، فقام رسول لله ﷺ ، فانطلق بى إلى بيته ، فوالله إنه لعامد بى إليه [١] ، إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة ، فاستوقفته ، فوقف لها طويلاً تكلمه فى حاجتها ، قال : قلت فى نفسى والله ما هذا بملك [٢] ، قال : ثم مضى رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بى بيته تناول وسادة من أدم محشوة ليفًا ، فقذفها إلىَّ ، فقال : اجلس على هذه ، قال قلت : بل أنت فاجلس عليها . فقال : بل أنت ، فجلست عليها ، وجلس رسول الله ﷺ بالأرض ، قال : قلت فى نفسى : والله ما هذا بأمر ملك ، ثم قال : إيه يا عدى بن حاتم ! ألم تك ركوسيا ؟ قال : قلت : بلى ، قال : أو لم تكن تسير فى قومك بالمرباع قال: قلت: بلى ، قال : فإن ذلك لم يكن يحل لك فى دينك ، قال : قلت : أجل والله ، وقال [٣] : وعرفت أنه نبى مرسل ، يعلم ما يُجهل ، ثم قال : لعلك يا عدى إنما يمنعك من دخول فى هذا الدين ما ترى من حاجتهم [٤] ، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت [٥] ، لا تخاف ، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان فى غيرهم وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فُتحت عليهم [٦] ، قال : فأسلمت .

---

(١) أى إلى بيته .

(٢) لما رآه من تواضع الرسول ﷺ الشديد للمرأة وسماعه لها وحل مشكلتها .

(٣) أى عدى بن حاتم .

(٤) أى فقر المسلمين وقلة عددهم .

(٥) أى الكعبة المشرفة .

(٦) وكل ما قاله الرسول ﷺ وتنبأ به هو من أعلام النبوة وقد حدث بالفعل أثناء الفتوحات الإسلامية .

وكان عدى يقول : قد مضت اثنتان [(١)] وبقيت الثالثة ، ووالله لتكونن[(٢)] ، قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت ، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت وايم الله لتكون الثالثة ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه [(٣)] .

* * *

قُدُوم فَروةَ بن مُسَيْك المُرادى

قال ابن إسحاق : وقدم فروة بن مسيك المرادى على رسول الله ﷺ مفارقًا لملوك كِندة ، ومباعدًا لهم إلى رسول الله ﷺ .

● يوم الردم :

وقد كان قُبيل الإسلام بين مراد وهمدان وقعة ، أصابت فيها همدان من مراد ما أرادوا ، حتى أثخنوهم فى يوم كان يقال له : يوم الردم ، فكان الذى قاد همدان إلى مراد : الأجدع بن مالك فى ذلك اليوم .

قال ابن إسحاق : وفى ذلك اليوم يقول فروة بن مُسيك :

مَرَرْنا على لُفَاة وهنَّ خُوص ... يُنَازِعنْ الأعِنَّة ينتحينَا [(٤)]
فَإن نَغلب فغلاَّبون قدما ... وإن نُغلب فغير مغلبينا [(٥)]
وَما إن طبنا جَبن ولَكن ... مَنايانا وطُعمة آخرينَا [(٦)]
كَذاك الدهرُ دولته سِجال ... تكر صُروفه حينا فَحينا
فَبينا ما نسر به ونرضى ... ولو لبست غضارته سنينا

---

(١) أى مما أخبر وتنبأ به الرسول ﷺ .

(٢) وهذا دليل يقينه وتأكده من وعد الرسول بما سيحدث لأنه وحى ووعد من الله .

(٣) حدث هذا فى عهد الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز .

(٤) لفاة : موضع . خوص : غائرات العيون .

(٥) معنى البيت : إن نغلب الناس فهذا من طبيعتنا وما تعودنا عليه منذ القدم . أما وقد انهزمنا مرة فلن تتكرر .

(٦) طبنا : شأننا وعادتنا .

إذْ انقلبتْ بِهِ كَرَّاتُ دَهْرٍ ... فَألفيت الأُلى غبطوا طَحينا
فَمن يَغْبِط بِريب الدهْرِ منهم ... يَجد رَيْب الزمــان له خَئونَا
فَلو خَلَد الملوكُ إذنَ خَلَدنا ... وَلو بَقِيَ الكِرَام إذن بقينا
فَأفنى ذَلكم سَروات قَومى ... كما أفنَى القرون الأَولينَا

قال ابن إسحاق : ولما توجه فروة بن مُسيك إلى رسول الله ﷺ مفارقا لملوك كندة ، قال :

لما رأيتُ ملوك كِندة أعرضتْ ... كالرجل خَان الرجل عِرق نَسائها (١)
قَربتُ راحلتى أَؤم محــمدًا ... أَرجو فواضلها وحُســـن ثَرائها

قال ابن إسحاق : فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ، قال له رسول الله ﷺ ، فيما بلغنى : يا فروة ، هل ساءك ما أصــاب قومــك يوم الردم ؟ قال : يا رسول الله ، من ذا يصيب قومه ما أصاب قومى يوم الردم لا يسوءه ذلك ! فقال رسول الله ﷺ له : أما إن ذلك لم يزد قومك فى الإسلام إلا خيرًا ·

واستعمله النبى ﷺ على مُراد وزبيد ومذحج كلها ، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة ، فكان معه فى بلاده حتى توفى رسول الله ﷺ ·

* * *

قُدوم عَمْرو بْنِ مَعْد يكرِب فى أُناس من بَنِى زُبيْد

وقدم على رسول الله ﷺ عمرو بن معد يكرب فى أناس من بنى زبيد فأسلم وكان عمرو قد قال لقيس بن مكشوح المرادى ، حين انتهى إليهم أمر رسول الله ﷺ يا قيس ، إنك سيد قومك ، وقد ذكر لنا أن رجلاً من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز ، يقول إنه نبى ، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه ، فإن كان نبيا كما يقول : فإنه لن يخفى عليك · وإذا لقيناه اتبعناه ، وإن كان غير ذلك علمنا علمه ، فأبى عليه قيس ذلك وسفه رأيه ، فركب عمرو بن معد يكرب حــتى قدم على

(١) النسا : عرق يمتد من الورك إلى الكعب ، مده لضرورة الشعر والأصح أنه لا يقال عرق النسا لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه على مذهب البصريين وإن جوزه الكوفيون ·

رسول الله ﷺ ، فأسلم ، وصدقه وآمن به فلما بلغ ذلك قيس بن مكشوح أوعد عمراً ، وتحطم عليه (١) ، وقال : خالفنى وترك رأيى فقال عمرو بن معد يكرب فى ذلك :

أمَرتُكَ يوم ذى صنعا ... ءَ أمراً بادِيًا رَشَدُهْ
أَمرتُكَ باتقاءِ الله ... والمعروف تَتَّعِده
خَرجتَ من المنى مثل ... الحميرِ غَرَّه وَتَدُه
تَمنَّانى على فَرسٍ ... عليه جالسًا أَسَدُهْ
عَلى مُفاضَةٍ كالنهـ ... ـى أَخلص مَاءه جُدَدُهْ (٢)
تَرد الرمح مُنْثَنى السـ ... ـنان عَوائرا قَصَدُه (٣)
فَلو لاَقيتنِى للَقيـ ... ـتَ ليثًا فوقه لِبُدهْ (٤)
تَلاقى شَنَبثا شثن الـ ... ـبراثن ناشزًا كتدهْ (٥)
يُسَامى القِرن إن قرن ... تَيممَّه فَيعتضدهْ (٦)
فَيأخذه فيرفعه ... فَيخفضه فَيقتَصدهْ (٧)
فَيدمغه فَيَحْطمهُ ... فَيخضمه فَيزدرده (٨)
ظَلوم الشرك فيما أحـ ... ـرزت أنيابه وَيَده

(١) تحطم عليه : اشتد عليه .

(٢) مفاضة : أى درع مفاضة وهى الواسعة ، النهى : غدير الماء ، الجدد : الأرض الصلبة .

(٣) عوائر : متطايرة ، القصد : القطع المتطاير من الرمح .

(٤) اللبد : الشعر الذى على أكتاف ورءوس الأسود ، المفرد لبدة .

(٥) الشنبث : الذى لا يزايل خصمه . الشثن : غليظ الأصابع . البرائن : مخالب الأسد . ناشز : مرتفع . الكتد : ما بين الكتفين .

(٦) يعتضده . يضعه تحت عضده فيصرعه .

(٧) يقتصده : يصرعه .

(٨) يدمغه : يشج رأسه حتى يصل الجرح إلى أم دماغه ، يحطمه : يكسره . يخضمه : يأكله . يزدرده : يبتلعه .

ارتداد عمرو بعد موت الرسول : قال ابن إسحاق : فأقام عمرو بن معد يكرب فى قومه من بنى زبيد وعليهم فروة بن مسيك ، فلما توفى رسول الله ﷺ ارتد عمرو بن معديكرب وقال حين ارتد :

وجَدنا مُلك فروةَ شرَّ ملك ... حمارًا ساف منخره بثفرِ (١)

وكنتَ إذا رأيتَ با عمير ... ترى الحُوَلاء من خبث وغدرِ (٢)

* * *

قُدُومُ الأَشْعَث بن قَيْس فى وَفْد كِندة

• إسْلاَم وَفْد كندة :

قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله ﷺ الأشعثُ بن قيس ، فى وفد كندة فحدثنى الزهرى بن شهاب أنه قدم على رسول الله ﷺ فى ثمانين راكبًا من كندة فدخلوا على رسول الله ﷺ مسجده ، وقد رجلوا (٣) جممهم (٤) وتكحَّلوا وعليهم جيب الحبرة ، وقد كففوها (٥) بالحرير ، فلما دخلوا علي رسول الله ﷺ قال : ألم تسلموا ؟ قالوا : بلى ، قال : فما بال هذا الحرير فى أعناقكم ، قال : فشقوه منها ، فألقوه (٦) .

ثم قال له الأشعث بن قيس : يا رسول الله ، نحن بنو آكل المرار ، وأنت ابن آكل المرار ، قال فتبسم رسول الله ﷺ وقال : ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب ، وربيعة بن الحارث ، وكان العباس وربيعة رجلين تاجرين وكانا إذا شاعا فى بعض العرب ، فسئلا ممن هما ، قالا : نحن بنو آكل المرار ، يتعززان بذلك ،

---

(١) ساف : شم . الثفر للبهائم كالرحم للنساء .

(٢) الحولاء : ما يخرج من الأخلاط مع الولد ساعة الولادة ،يشبه من يهجوه أنه فى الخبث والقذارة مثل الحولاء .

(٣) رجلوا : مشطوا .

(٤) جممهم : الجمم جمع جمة وهى مجتمع شعر مقدم الرأس .

(٥) كففوا : طرزوا حروفها .

(٦) وهذا منتهى الطاعة للرسول ﷺ لأنه نهى عن لبس الحرير والذهب للرجال فقال ﷺ عنهما « حرام على رجال أمتى حل لنسائهم » .

وذلك أن كندة كانوا ملوكا . ثم قال لهم : لا ، بل نحن بنو النضر بن كنانة ، لا نقفوا [١] أُمنا ، ولا ننتفي من أبينا ، فقال الأشعث بن قيس : هل فرغتم يا معشر كندة ؟ والله لا أسمع رجلا يقولها [٢] إلا ضربته ثمانين .

* * *

قُدوم صُرَدُ بن عبد الله الأَزْدى مُسْلمًا

وقدم على رسول الله ﷺ صرد بن عبد الله الأزدى ، فأسلم ، وحسن إسلامه فى وفد من الأزد ، فأمَّره [٣] رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه . وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك ، من قِبل [٤] اليمن .

قتاله أهل جَرش : فخرج صرد بن عبد الله يسير بأمر رسول الله ﷺ ، حتى نزل بجرش ، وهى يومئذ مدينة معلقة [٥] ، وبها قبائل من قبائـل اليمن ، وقد ضوت [٦] إليهم خثعم ، فدخلوها معهم حين سمعوا بسير المسلمين إليهم ، فحاصروهم فيها قريبا من شهر ، وامتنعوا فيها منه ثم رجع عنهم قافلا ، حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له شكر ، ظن أهل جرش أنه إنما ولى عنهم منهزما ، فخرجوا فى طلبه ، حتى إذا أدركوه عطف [٧] عليهم ، فقتلهم قتلا شديدا .

إخبار الرسول بما حدث : وقد كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يرتادان وينظران ، فبينا هما عند رسول الله ﷺ عشية بعد صلاة العصر ، إذ قال رسول الله ﷺ : بأى بلاد الله شكر ؟ فقام إليه الجرشيان فقالا : يا رسول الله ، ببلادنا جبل يقال له كشر ؛ وكذلك يسميه أهل جرش ، فقال : إنه ليس بكشر ، ولكنه شكر ؛ قالا : فما شأنه يا رسول الله ؟ قال [٨] : إن بدن الله

---

(١) لا نقفوا أمنا : الاقتفاء والقفو : هو اتباع الشىء ، ومنه يقتفى أثره : أى يتبع طريقه ، ونهجه ، وهنا يريد : لا نتبع نسب أمنا .

(٢) أى يفتخر بقول : نحن بنو آكل المرار .

(٣) أى جعله قائدًا لهم . (٤) أى ناحية اليمن .

(٥) أى أنهم معزولون فى مكان بعيد عن الناس ، ولا أحد بجوارهم .

(٦) ضوت : لجأت . (٧) أى ضغط وهجم عليهم .

(٨) وهذا من إخبار الله نبيه بما حدث هناك على حدود اليمن والنبى بالمدينة فسبحان من أعلمه بذلك .

لنحر عنده الآن ، قال : فجلس الرجلان إلى أبى بكر أو إلى عثمان ، فقال لهما : ويحكما ! إن رسول الله ﷺ لينعى لكما قومكما فقوما إلى رسول الله ﷺ فاسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما ، فقاما إليه فسألاه ذلك ، فقال : اللهم ارفع عنهم ، فخرجا من عند رسول الله ﷺ راجعين إلى قومهما ، فوجدا قومهما قد أصيبوا يوم أصابهم صرد بن عبد الله ، فى اليوم الذى قال فيه رسول الله ﷺ ما قال ، وفى الساعة التى ذكر فيها ما ذكر .

• إسلام أهْل جرش :

وخرج وفد جرش حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأسلموا ، وحمى لهم حمى حول قريتهم ، على أعلام معلومة ، للفرس والراحلة وللمثيرة ، وبقرة الحرث فمن رعاه من الناس فمالهم سحت ، فقال فى تلك الغزوة رجل من الأزد ، وكانت خثعم تصيب من الأزد فى الجاهلية ، وكانوا يعدون فى الشهر الحرام :

يَا غزوةً ما غزَونا غير خائبــةٍ ... فيها البغَالُ وفيها الخيــــلُ والحُمرُ
حَتى أتينا حُميراً فى مصَانعــها ... وجَمع خثعم قد شاعتْ لهَا النُّذرُ (١)
إذا وضعتْ غَليـلاً كُنتُ أحْمله ... فَما أُبالى أدانوا بعــــدُ أم كفَروا (٢)

* * *

قُدوم رَسول مُلوك حِميَر بكتابهم

وقدم على رسول الله ﷺ كتاب ملوك حِمير ، مقدمه من تبوك ، ورسولهم إليه بإسلامهم ، الحارث بن عبد كلال ، ونعيم بن عبد كلال والنعمان قِيل (٣) ذى رعين ومعافر وهمدان ، وبعث إليه زرعة ذو يزن مالك بن مرة الرهاوى بإسلامهم ، ومفارقتهم الشرك وأهله .

• كتَابُ الرسول إليهم :

فكتبَ إليهم رسول الله ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحـــيم : من محـــــمد رسول الله ، إلى الحارث بن

---

(١) المصانع : القرى .

(٢) الغليل : حرارة الجوف من عطش ونحوه .

(٣) قيل : هم الملوك الصغار بعد الملك الأكبر - أى نواب الملك الأكبر ومساعدوه .

عـــبد كلال ، وإلى نعيم بن عبد كلال ، وإلى النعـــمان ، قيل ذى رعين ومعافر وهمدان . أما بعد ذلكم ، فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإنه قد وقع بنا رسولكم منقلبنا من أرض الروم ، فلقينا بالمدينة ، فبلغ ما أرسلتم به ، وخبرنا ما قبلكم ، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين ، وأن الله قد هداكم بهداه ، إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله ، وأقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وأعطيتم من المغانم خُمس الله ، وسهم الرسول وصفيه [١] ، وما كتب على المؤمنين من الصدقة من العقار [٢] ، عُشر ما سقت العين وسقت السماء ، وعلى ما سقى الغرب [٣] نصف العشر ، وأن فى الإبل الأربعين ابنة لَبون ، وفى ثلاثين من الإبل شاتان ، وفى كل أربعين من البقر بقرة ، وفى كل ثلاثين من البقر تبيع ، جذع أو جذعة ، وفى كل أربعين من الغنم سائمة وحدها ، شاة . وأنها فريضة الله التى فرض على المؤمنين فى الصدقة ، فمن زاد خيراً فهو خير له ، ومن أدى ذلك وأشهد على إسلامه ، وظاهر المؤمنين على المشركين ، فإنه من المؤمنين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، وله ذمة الله وذمة رسوله ، وإنه من أسلم من يهودى أو نصرانى ، فإنه من المؤمنين ، له مالهم ، وعليه ما عليهم ، ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يرد عنها ، وعليه الجزية ، على كل حال ذكر أو أنثى ، حر أو عبد ، دينار واف ، من قيمة المعافر [٤] أو عوضه ثيابا ، أدى ذلك إلى رسول الله ﷺ فإنه له ذمة الله وذمة رسوله ، ومن منعه فإنه عدو لله ولرسوله .

أما بعد ، فإن رسول الله محمداً النبى أرسل إلى زُرعة ذى يزن أن إذا أتاكم رسلى فأوصيكم بهم خيراً : معاذ بن جبل ، وعبد الله بن زيد ، ومالك بن عبادة ، وعقبة بن نمر ، ومالك بن مرة وأصحابهم ، وأن اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخالفيكم ، وأبلغوها رسلى ، وأن أميرهم معاذ بن جبل ، فلا ينقلبن إلا راضيا .

---

(١) أصل الصفى : ما يصطفيه القائد من الغنيمة قبل القسمة .
(٢) العقار : الأرض .
(٣) الغرب : الدلو .
(٤) المعافر : نوع من ثياب اليمن .

أما بعد · فإن محمدًا يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله ، ثم إن مالك ابن مرة الرهاوى قد حدثنى أنك أسلمت من أول حمير ، وقتلت المشركين فأبشر بخير وآمرك بحمير خيرا ، ولا تخونوا ولا تخاذلوا ، فإن رسول الله هو ولى غنيكم وفقيركم ، وأن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهل بيته ، إنما هى زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل · وأن مالكا قد بلغ الخير ، وحفظ الغيب ، وآمركم به خيرًا ، وإنى قد أرسلت إليكم من صالحى أهلى وأولى دينهم وأولى علمهم ، وآمرك بهم خيرًا ، فإنهم منظور إليهم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ·

وصية الرسول مُعَاذا حين بعثه إلى اليمن : قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله ابن أبى بكر أنه حدث : أن رسول الله ﷺ حين بعث معاذًا ، أوصاه وعهد إليه ، ثم قال له : يسِّر ولا تعسر وبشِّر ولا تنفر ، وإنك ستقدم على قوم من أهل الكتاب ، يسئلونك ما مفتاح الجنة ، فقل شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، قال : فخرج معاذ ، حتى إذا قدم اليمن قام بما أمره به رسول الله ﷺ ، فأتته امرأة من أهل اليمن ، فقالت : يا صاحب رسول الله : ما حق زوج المرأة عليها ؟ قال : ويحك ! إن المرأة لا تقدر على أن تؤدى حق زوجها ، فأجهدى نفسك فى أداء حقه ما استطعت ، قالت : والله لئن كنت صاحب رسول الله ﷺ إنك لتعلم ما حق الزوج على المرأة قال : ويحك ؟ ولو رجعت فوجدته تنثعب [1] منخراه قيحًا ودمًا ، فمصصت ذلك حتى تذهبيه ما أديت حقه ·

* * *

إسْلاَم فرْوَةَ بن عَمْرو الجُذَامى

قال ابن إسحاق : وبعث فروة بن عمرو بن النافرة الجذامى ، ثم النفاثى ، إلى رسول الله ﷺ رسولاً بإسلامه وأهدى له بغلة بيضاء ، وكان فروة عاملا للروم على من يليهم من العرب ، وكان منزله معان وما حولها من أرض الشام ·

(١) تنثعب : تسيل ·

• **حبس الروم له وشعره ومقتله :**

فلما بلغ الروم ذلك من إسلامه ، طلبوه حتى أخذوه ، فحبسوه عندهم ، فقال في محبسه ذلك :

طَرقتْ سُلَيْمَى مُوهنًا أَصْحـــابِى ‏ والرومُ بينَ البابِ والقروانِ (١)
صَدَ الخَيالِ وسَاءه مَا قَـــــدْ رَأى ‏ وهممتُ أن أغفـــى وقد أبكانى
لاَ تَكْحَلنَّ العَيْنَ بَعْدِى إثمدًا ‏ سَلْمَى ولا تَديــــــنَ للإتيانِ
ولقَدْ عَلمتَ أبـــــا كُبَيشة أنني ‏ وَسَطَ الأعزة ولا يحص لسانى (٢)
فَلَئن هَلَكْتُ لتفقــــدن أخاكم ‏ وَلَئن بقيتُ لتعـــــرفن مكانى
ولقد جَمعتُ أَجل ما جَمع الفَتى ‏ من جودة وشجــــاعة وبيانِ

فلما أجمعت الروم لصلبه على ماء لهم ، يقال له عفراء بفلسطين ، قال :

ألا هل أتى سلـــمى بأن حَليلها ‏ على ماءِ عَفراءَ فوق إحدى الرواحلِ
على ناقة لم يُضرب الفَحل أُمها ‏ مشذبة أطـــرافها بالمنــــاجلِ

* * *

إسْلاَم بَنِى الحارث بن كَعْب على يَدى خَالد بن الوليد لما سار إليهم

قال ابن إسحاق : ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد ، فى شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى ، سنة عشر ، إلى بَنى الحارث بن كعب بنجران وأمره أن

---

(١) الموهن : نحو نصف الليل أو بعد ساعة منه · قروان مثل صفوان : حويض من خشب تسقى فيه الدواب وتلغ فيه الكلاب وفى المثل ما فيها لاعى · قرو : أى لاعق قرو ·
(٢) لا يحص: لا يقطع ·

يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثًا ، فإن استجابوا فاقبل منهم ، وإن لم يفعلوا فقاتلهم ، فخرج خالد حتى قدم عليـــهم ، فبعث الركبان يضربون فى كل وجه ، ويدعون إلى الإسلام ، ويقولون أيها الناس ، أسلموا · فأسلم الناس ، ودخلوا فيما دُعوا إليه ، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، وبذلك كان أمره رسول الله ﷺ إن هم أسلموا ولم يقاتلوا ·

ثم كتب خالد بن الوليد : إلى رسول الله ﷺ ، من خالد بن الوليد ، السلام عليك يا رسول الله ورحـــمة الله وبركاته ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد : يا رسول الله ﷺ ، فإنك بعثتنى إلى بنى الحارث بن كعب ، وأمرتنى إذا أتيتهم ألا أقاتلهم ثلاثة أيام ، وأن أدعوهم إلى الإسلام ، فإن أسلموا أقمت فيهم ، وقبلت منهم ، وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه ، وإن لم يسلموا قاتلتهم · وإنى قدمت عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام ، كما أمرنى رسول الله ﷺ ، وبعثت فيهم ركبانا قالوا : يا بنى الحارث ، أسلموا تسلموا ، فأسلموا ولم يقاتلوا ، وأنا مقيم بين أظهرهم ، آمرهم بما أمرهم الله به وأنهـــاهم عما نهاهم الله عنه ، وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبى ﷺ حتى يكتب إلىَّ رســـول الله ﷺ ، والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ·

فكتب إليه رسول الله ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبى رسول الله ، إلى خالد بن الوليد سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ·

أما بعد :

فإن كتابك جاءنى مع رسولك تخبر أن بنى الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم ، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام ، وشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا عبدُ الله ورسوله ، وأن قد هداهم الله بهداه ، فبشرهم وأنذرهم ، وأقبل وليقبل معك وفدهم ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ·

• قُدوم خَالد مع وفدهم على الرسول :

فأقبل خالد إلى رسول الله ﷺ ، وأقبل معه وفد بنى الحارث بن كعب ،

منهم قَيس بن الحصين ذِى الغُصة (١) ويزيد بن عبد المـدان ، ويزيد بن المحجل وعبد الله بن قراد الزيادى ، وشداد بن عبد الله القنانى ، وعمرو بن عبد الله الضبابى فلما قدموا على رسول الله ﷺ فرآهم . قال : من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند ، قيل : يا رسول الله ، هؤلاء رجال بنى الحارث بن كعب ، فلما وقفوا على رسول الله ﷺ سلموا عليه،وقالوا : نشهد أنك رسول الله ، وأنه لا إله إلا الله ، قال رسول الله ﷺ : وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، ثم قال رسول الله ﷺ : أنتم الذين إذا زجروا استقدموا : فسكتوا ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الثانية ، فلم يراجعه منـهم أحد ، ثم أعادها الثالثة ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الرابعة ، فقال يزيد بن عبد المدان : نعم يا رسول الله ، نحن الذين إذا زجروا استقدموا ، قالها أربع مِرار (٢) ، فقال رسول الله ﷺ : لو أن خالدًا لم يكتب إلىَّ أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا ، لألقيت رءوسكم تحت أقدامكم ، فقال يزيد ابن عبد المدان : أما والله ما حمـدناك ولا حمدنا خالدًا ، قال : فمن حمدتم ؟ قالوا : حمدنا الله عز وجل الذى هـدانا بك يا رسول الله ، قال : صدقتم . ثم قال رسول الله ﷺ : بم كنتم تغلبون من قاتلـكم فى الجاهلية ؟ قالوا : لم نكن نغلب أحدًا ، قال: بل ، قد كنتم تغلبون من قاتلكم ، قالوا : كنا نغلب من قاتلنا ، يا رسول الله إنا كنا نجتمـع ولا نفترق ، ولا نبدأ أحدًا بظلم ، قال : صدقـتم ، وأمَّر رسـول الله ﷺ على بنى الحـارث بن كعب قيس بن الحصين فرجع وفد بنى الحارث إلى قومهم فى بقية من شوال ، أو فى صدر ذى القعدة ، فلم يمكثوا بعد أن رجعوا إلى قومهم إلا أربعة أشهر ، حتى توفى رسول الله ﷺ ، ورحم ، وبارك ، ورضى وأنعم .

الرسول يَبْعَث عَمْرو بن حزم بِعهدِه إليهم : وقد كان رسول الله ﷺ بعث إليهم بعد أن ولى وفدهم عمرو بن حزم ، ليفقههم فى الدين ، ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام ، ويأخذ منهم صدقاتهم وكتب له كتاباً عهد إليه فيه عهده ، وأمره فيه بأمره:

---

(١) ذو الغصة : سمى بذلك لغصة فى حلقه لا يكاد يبين منها ، واسمه الحسين بن يزيد بن شداد الحارثى . ذكره عمر بن الخطاب يوما فقال : لا تزاد امرأة فى صداقها عن كذا وكذا ولو كانت بنت ذى الغصة .

(٢) جمع مرة أى مرات .

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا بيان من الله ورسوله ، يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، عهد من محمد النبى رسول الله لعمرو بن حزم ، حين بعثه إلى اليمن ، أمره بتقوى الله فى أمره كله فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وأمره أن يأخذ بالحِق كما أمره الله ، وأن يبشر الناس بالخير ، ويأمرهـــم به ويعلم الناس القرآن ، ويفقههم فيه ، وينهى الناس . فلا يمس القرآنَ إنسانٌ إلا وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذى لهم ، والذى عليهم ، ويلين للناس فى الحق ، ويشتد عليهم فى الظلم ، فإن الله كره الظلم ، ونهى عنه ، فقال : ﴿ **ألا لعنةُ الله على الظالمين** ﴾ ويبشر الناس بالجنة وبعملها ، وينذر الناس النار وعملها ، ويستألف الناس حتى يفقهوا فى الدين ، ويعلم الناس معالم الحج وسنته وفريضته ، وما أمر الله به ، والحج الأكبر : الحج الأكبر ، والحج الأصغر : هو العمرة ، وينهى الناس أن يصلى أحد فى ثوب واحد صغير ، إلا أن يكون ثوبا يثنى طرفيه على عاتقيه وينهى الناس أن يحتبى أحد فى ثوب واحد يفضى بفرجه إلى السماء ، وينهى أن يعقص أحد شعر رأسه فى قفاه ، وينهى إذا كان بين الناس هيج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ، وليكن دعواهم إلى الله عز وجل وحده لا شريك له ، فمن لم يدع إلى الله ، ودعا إلى القبائل والعشائر فليقطفوا بالسيف ، حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لا شريك له ، ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ويمسحون برءوسهم كما أمرهم الله ، وأمر بالصلاة ، لوقتها ، وإتمام الركوع والسجود والخشوع ويغلِّس بالصبح ، ويهجر بالهاجرة حين تميل الشمس ، وصلاة العصر والشمس فى الأرض مدبرة ، والمغرب حين يقبل الليل ، لا يؤخر حتى تبدو النجوم فى السماء ، والعشاء أول الليل ، وأمر بالسعى إلى الجمعة إذا نودى لها ، والغسل عند الرواح إليها ، وأمره أن يأخذ من المغانم خمس الله : وما كتب على المؤمنين فى الصدقة من العقار عشر ما سقت العين وسقت السماء ، وعلى ما سقى الغرب نصف العشر ، وفى كل عشر من الإبل شاتان ، وفى كل عشرين أربع شياه وفى كل أربعين من البقر بقرة ، وفى كل ثلاثين من البقر تبيع ، جذع أو جذعة ، وفى كل أربعين من الغنم سائمة وحدها ، شاة فإنها فريـــضة الله التى افترض على المؤمنين فى الصدقة . فمن زاد خيرًا فهو خير له ، وأنه من أسلم من يهودى أو نصرانى إسلاما خالصًا من نفسه ودان بدين الإسلام . فإنه من المؤمنين ، له مثل مالهم ، وعليه مثل ما عليهم ، ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يرد عنها ، وعلى كل حالم :

ذكر أو أنثى ، حرٌّ أو عبد ، دينار واف أو عوضه ثيابًا فمن أدى ذلك ، فإن له ذمة الله ورسوله ، ومن منع ذلك فإنه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين جميعًا ، صلوات الله على محمد ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته ·

* * *

قُدُوم رِفَاعَة بن زَيْد الجُذَامِى

• إسْلَامه وكِتَابُ الرسول إلى قَوْمه :

وقدم على رسول الله ﷺ فى هدنَةَ الحديبية ، قبل خَيبر ، رفاعة بن زيد الجُذَامى ثم الضبيبى ، فأهدى لرسول الله ﷺ غُلامًا ، وأسلم ، فحسن إسلامه وكتب له رسول الله ﷺ كتابًا إلى قومه · وفى كتابه :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من محمد رسول الله ، لرفاعة بن زيد ، إنى بعثته إلى قومه عامة · ومن دخل فيهم ، يدعوهم إلى الله وإلى رسوله · فمن أقبل منهم ففى حزب الله وحزب رسوله ، ومن أدبر فله أمان شهرين · فلما قدم رفاعة على قومه أجابوا وأسلموا ، ثم ساروا إلى الحرة : حَرة الرجلاء ، ونزلوها [1] ·

* * *

ذكْر الكذَّابَين ؛ مُسَيْلَمة الحَنفى والأسود العَنَسى :

قَال ابن إسحاق : وقد كان تكلم فى عهد رسول الله ﷺ الكذابان مسيلمة ابن حبيب باليمامة [2] فى بَنى حنيفة ، والأسود بن كعب العنسى بصنعاء ·

---

(١) قال ابن هشام : وقدم بعد ذلك وفد همدان منهم : مالك بن نمط ، وأبو ثور ، وهو ذو المشعار ، ومالك بن أيفع وضمام بن مالك السلمانى ، وعميرة بن مالك الخارفى ، فلقوا رسول الله ﷺ مرجعه - أى عند رجوعه - من تبوك فكتب لهم رسول الله ﷺ كتابًا على أن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويأكلون علافها ويرعون عافيها ، ولهم بذلك عهد الله وذمة رسوله ، وشهد المهاجرون والأنصار ·

(٢) أخبر عنه النبى ﷺ وأشار إلى المشرق قائلا : « من هنا يخرج قرن الشيطان » ونصر الله المسلمين فى غزوة اليمامة فى عهد الصديق أبى بكر رضي الله عنه - وقتلوا مسيلمة الذى ادَّعى النبوة وقتله وحشى الذى قتل قبل إسلامه سيدنا حمزة بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ ، وقال وحشى عن حربته · قتلتُ بها خير الناس (يقصد حمزة) وقتلت بها شر الناس (يقصد مسيلمة) ·

• **رؤيا الرسول ﷺ فيهما :**

قال ابن إسحاق : حدثنى يزيد عن عبد الله بن قسيط . عن عطاء بن يسار أو أخيه سليمان بن يسار ، عن أبى سعيد الخدرى قال : سمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس على منبره ، وهو يقول : أيها الناس ، إنى قد رأيت ليلة القدر ثم أنسيتها ورأيت فى ذراعى سوارين من ذهب ، فكرهتهما ، فنفختهما فطارا : فأولتهما هذين الكذابين . صاحب اليمن ، وصاحب اليمامة .

• **حديث الرسول عن الدجالين :**

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن أبى هريرة أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالاً ، كلهم يدعى النبوة .

* * *

خُروج الأُمَراء والعُمَّال على الصدَقَات

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات . إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان ، فبعث المهاجر بن أبى أمية ابن المغيرة إلى صنعاء .

فخرج عليه العنسى وهو بها . وبعث زياد بن لبيد أخا بنى بياضة الأنصارى إلى حضرموت وعلى صدقاتها وبعث عدى بن حاتم على طىء وصدقاتها . وعلى بنى أسد ، وبعث مالك بن نويرة على صدقات بنى حنظلة وفرق صدقة بنى سعد على رجلين منهم . فبعث الزبرقان بن بدر على ناحية منها . وقيس بن عاصم على ناحية وكان قد بعث العلاء بن الحضرمى على البحرين ، وبعث على بن أبى طالب رضوان الله عليه إلى أهل نجران . ليجمع صدقتهم ويقدم عليه بجزيتهم .

* * *

كتَاب مُسَيْلَمة إلى رسول الله والجواب عنه

وقد كان مُسليمة بن حبيب ، قد كتب إلى رسول الله ﷺ : من مسيلمة رسول الله ، إلى محمد رسول الله : سلام عليك ، أما بعد ، فإنى قد أُشركت فى الأمر معك ، وإن لنا نصف الأرض ، ولقريش نصف الأرض ، ولكن قريشا قوم يعتدون .

فقدم عليه رسولان له بهذا الكتاب .

قال ابن إسحاق : فحدثنى شيخ من أشجع ، عن سلمة بن نعيم بن مسعود الأشجعى ، عن أبيه نعيم ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول لهما حين قرأ كتابه « فما تقولان أنتما ؟ قالا : نقول : كما قال ، فقال : أما والله لولا أن الرسل لا تُقتل لضربت أعناقكما » (١) .

ثم كتب إلى مسيلمة : بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب : السلام على من اتبع الهدى ؛ أما بعد : فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين .

وذلك فى آخر سنة عشر .

* * *

حَجَّةُ الوَدَاع

تَجَهُّز الرسول : قال ابن إسحاق : فلما دخل على رسول الله ﷺ ذو القعدة تجهز للحج ، وأمر الناس بالجهاز له .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد ، عن عائشة زوج النبى ﷺ ، قالت: خرج رسول الله ﷺ إلى الحج لخمس ليال بقين من ذى القعدة (٢) .

حكم الحائض فى الحج : قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد ، عن عائشة . قالت : لا يذكر الناس إلا الحج ، حتى إذا كان بسرف وقد ساق رسول الله ﷺ معه الهدى ، وأشراف من أشراف الناس ، أمر الناس أن يحلوا بعمرة إلا من ساق الهدى ، قالت : وحضت ذلك اليوم . فدخل على وأنا أبكى ، فقال : مالك يا عائشة ؟ لعلك نفست ؟ قالت . قلت : نعم . والله لوددت أنى لم أخرج معكم عامى فى هذا

---

(١) وهنا يتبين احترام الرسول ﷺ للعهود والمواثيق الدولية حتى مع الكفار الذين يختلفون معه فى العقيدة ، ويبلغونه رسالة من كافر لكنه أحسن إليهم ولم يقتلهم .

(٢) واستعمل النبى ﷺ على المدينة أبا دجانة الساعدى .

السفر ، فقال : لا تقولن ذلك · فإنك تقضين كل ما يقضى الحاج إلا أنك لا تطوفين بالبيت · قالت : ودخل رسول الله ﷺ بمكة ، فحل كل من كان لا هدى معه وحل نساؤه بعمرة ، فلما كان يوم النحر أُتيت بلحم بقر كثير فطرح فى بيتى ، فقلت : ما هذا ؟ قالوا : ذبح رسول الله ﷺ عن نسائه البقر حتى إذا كانت ليلة الحصبة بعث بى رسول الله ﷺ مع أخى عبد الرحمن بن أبى بكر فأعمرنى من التنعيم ، مكان عمرتى التى فاتتنى ·

قال ابن إسحاق : وحدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر عن حفصة بنت عمر ، قالت : لما أمر رسول الله ﷺ نساءه أن يحللن بعمرة ·

قلنا : فما يمنعك يا رسول الله إن تحل معنا ؟ فقال : إنى أهديتُ ولبدتُّ[1] فلا أحل حتى أنحر هديى ·

* * *

مُوَافَاةُ عَلى رضي الله عنه فى قفُوله من اليمن

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح : أن رسول الله ﷺ كان بعث عليا رضي الله عنه إلى نجران ، فلقيه بمكة وقد أحرم ، فدخل على فاطـــمة بنت رسول الله ﷺ ورضى الله عنها ، فوجدها قد حلت وتهيأت ، فقال : مالك يا بنت رسول الله ؟ قالت : أمرنا رسول الله ﷺ أن نحل بعمرة فحللنا ، ثم أتى رسول الله ﷺ فلما فرغ من الخبر عن سفره ، قال له رسـول الله ، : انطلق فطف بالبيت ، وحل كما حل أصحابك ، قال : يا رسول الله ، إنى أهللتُ كما أهللتَ ، فقال : ارجع فاحلل كما حل أصحابك ، قال : يا رسول الله ، إنى قلت حين أحرمت : اللهم إنى أهل بما أهل به نبيك وعبدك ورسولك محمد ﷺ قال : فهل معك من هدى ؟ قال : لا · فأشركه رسول الله ﷺ فى هديه ، وثبت على إحرامه مع رسول الله ﷺ حتى فرغا من الحج ونحر رسول الله ﷺ الهدى عنهما ·

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى عمرة عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن ركانة ، قال : لما أقبل عـــلى رضي الله عنه من اليمن ليلقى

---

(١) لبد شعره ألزقه بشىء لزج كصمغ ونحوه حتى لا يتساقط شىء فيكون عليه قلبة ·

رسول الله ﷺ بمكة ، تعجّل إلى رسول الله ﷺ واستخلف على جنده الذين معه رجل من أصحابه ، فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم حلة من البز الذى كان مع على ؓ ، فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم ، فإذا عليهم الحُلَل ، قال : ويلك ما هذا ؟!

قال : كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا فى الناس ، قال : ويلك ! انزع قبل أن تنتهى به إلى رسول الله ﷺ قال : فانتزع الحلل من الناس ، فردها فى البز ، قال : وأظهر الجيش شكواه لما صُنع بهم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن عبد الرحمن بن حزم بن معمر بن حزم عن سليمان بن محمد بن كعب بن عُجرة عن عمته زينب بنت كعب ، وكانت عند أبى سعيد الخدرىّ ، عن أبى سعيد الخدرى ، قال : اشتكى الناس عليًّا رضوان الله عليه ، فقام رسول الله ﷺ فينا خطيبا ، فسمعته يقول : أيها الناس ، لا تشكوا عليا ، فوالله إنه لأخشن فى ذات الله ، أو فى سبيل الله ، من أن يُشكى .

خُطْبة الوداع : قال ابن إسحاق : ثم مضى رسول الله ﷺ على حجه ، فأرى الناس مناسكهم ، وأعلمهم سنن حجهم ، وخطب الناس خطبته التى بيَّن فيها ما بين ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، اسمعوا قولى ، فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدًا ، أيها الناس ، إنَّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم ، فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، وإن كل ربًا موضوع ، ولكن لكم رءوس أموالكم ، لا تَظلمون ولا تُظلمون قضى الله أنه لا ربا ، وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله ، وأن كل دم كان فى الجاهلية موضوع ، وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان مسترضعا فى بنى ليث ، فقتلته هذيل فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية أما بعد أيها الناس ، فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم ، أيها الناس : إن النسيء زيادة فى الكفر ، يُضَل به الذين كفروا ، يحلونه عاما ويحرمونه عاما ، ليواطئوا عدة ما حرَّم الله ، فيحلوا ما حرم الله ، ويحرموا ما أحل الله ، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم

خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متوالية ، ورجب مضر (١) ، الذى بين جمادى وشعبان ٠

أما بعد أيها الناس ، فإن لكم على نسائكم حقا ، ولهن عليكم حقا ، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربًا غير مبرح (٢) فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيرًا ٠ فإنهن عندكم عوان (٣) لا يملكن لأنفسهن شيئًا وأنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله ٠ واستحللتم فروجهن بكلمات الله ٠ فاعقلوا أيها الناس قولى ٠ فإنى قد بلَّغت وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا ٠ أمرا بينا ٠ كتاب الله وسنة نبيه ٠ أيها الناس : اسمعوا قولى واعقلوه تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم ٠ وأن المسلمين إخوة ٠ فلا يحل لامرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمنَّ أنفسكم ٠ اللهم هل بلغت ؟

فذكر لى الناس قالوا : اللهم نعم ٠ فقال رسول الله ﷺ : اللهم اشهد ٠

• اسم الصَّارخ بتبليغ ما يقوله رسول الله ﷺ :

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ٠ عن أبيه عباد قال كان الرجل الذى يصرخ فى الناس بقول رسول الله ﷺ وهو بعرفة ربيعة بن أمية بن خلف قال : يقول له رسول الله ﷺ : قل يا أيها الناس ، إن رسول الله ﷺ يقول : هل تدرون أى شهر هذا ؟ فيقول لهم ٠ فيقولون : الشهر الحرام ، فيقول له قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة شهركم هذا ٠ ثم يقول : قل يا أيها الناس ، إن رسول الله ، يقول : هل

---

(١) رجب مضر ، إما قال ذلك لأن ربيعة كانت تحرم شهر رمضان ، وتسميه : رجبا من رجبت الرجل ورجبته إذا عظمته ، ورجبت النخلة إذا دعمتها ، فبين عليه السلام أنه رجب مضر لا رجب ربيعة ، وأنه الذى بين جمادى وشعبان ٠

(٢) غير مبرح : غير شديد ٠

(٣) عوان : أسيرات ، المفرد : عانية ٠

تدرون أى بلد هذا ؟ قال : فيصرخ به · قال : فيقولون البلد الحرام ، قال : فيقول قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة بلدكم هذا ·

قال : ثم يقول : قل : يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ يقول : هل تدرون أى يوم هذا ؟ قال : فيقوله لهم · فيقولون يوم الحج الأكـبر ، قال فيقول : قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا ·

قال ابن إسحاق : حدثنى ليث بن أبى سليم عن شهر بن حوشب الأشعرى ، عن عمرو بن خارجة قال : بعثنى عتاب بن أسيد إلى رسول الله ﷺ فى حاجة ، ورسول الله ﷺ واقف بعرفة ، فبلغته ، ثم وقفت تحت ناقة رسول الله ﷺ وإن لغُامها ليقع على رأسى ، فسمعته وهو يقول : أيها الناس إن الله قد أدى إلى كل ذى حق حقه وإنه لا تجوز وصية لوارث ، والولد للفراش وللعاهر الحجر ، ومن ادّعى إلى غير أبيه · أو تولى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ·

تعاليم الرسول عليه السلام للحاج : قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح : أن رسول الله ﷺ حين وقف بعرفة ، قال : هذا الموقف ، للجبل (١) الذى هو عليه ، وكل عرفة موقف · وقال حين وقف على قزح (٢) صبيحة المزدلفة : هذا الموقف ، وكل المزدلفة موقف · ثم لما نحر بالمنحر بمنى قال هذا المنحر ، وكل منى منحر ، فقضى رسول الله ﷺ وقد أراهم مناسكهم ، وأعلمهم ما فرض الله

---

(١) وهو جبل عرفة وقال ﷺ : « الحج عرفة » لأن يوم عرفة خير يوم طلعت فيه الشمس ، وفيه ينهزم الشيطان وأكبر خسارة فادحة لإبليس اللعين لما يرى من مغفرة الله للمؤمنين الحاجين وغير الحاجين ، وذلك أن الحاج إذا قبل الله حجه وكان مبروراً غفر له ما تقدم من ذنبه ، ورجع من حجه كيوم ولدته أمه هذا للحاج ، أما غير الحاج ومن لم يستطع فقد شرع له النبى ﷺ صوم يوم عرفة وذلك لعظم فضل هذا اليوم ، وتعويضًا من الله لعباده غير القادرين على الحج لتقارب مرتبتهم مرتبة الحاج فقال ﷺ عن صوم يوم عرفة : « يكفِّر - يغفر - سنة ماضية » ، وفى رواية « يكفر سنة ماضية وسنة باقية » وذلك بشرط عدم فعل الكبائر ·

(٢) قزح : جبل بالمزدلفة ·

عليهم من حجهم : من الموقف ، ورمى الجمار ، وطواف بالبيت ، وما أحل لهم من حجهم ، وما حرم عليهم ، فكانت حجة البلاغ ، وحجة الوداع ، وذلك أن رسول الله ﷺ لم يحج بعدها ·

* * *

بَعْثُ أُسَامَةَ بن زَيْد إلى أَرضِ فَلَسْطين

قال ابن إسحاق : ثم قفل رسول الله ﷺ ، فأقام بالمدينة بقية ذى الحجة والمحرم وصفر ، وضرب على الناس بعثا إلى الشام ، وأمر عليهم أسامة بن زيد بن حارثة مولاه وأمره أن يوطىء الخيل تخوم (١) البلقاء · والداروم من أرض فلسطين ، فتجهز الناس ، وأوعب (٢) مع أسامة بن زيد المهاجرون الأولون ·

• أسماء الرُّسل ومَن أُرْسِل إليهم :

فبعث رسول الله ﷺ رُسلا من أصحابه ، وكتب معهم كتبا إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام · فبعث دحية بن خليفة الكلبى (٣) إلى قيصر ملك الروم ، وبعث عبد الله بن حذافة السهمى إلى كسرى ملك فارس ، وبعث عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى ملك الحبشة ، وبعث حاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس ملك الإسكندرية ، وبعث عمرو بن العاص السهمى إلى جيفر وعياد ابنى الجلندى الأزديين ملكى عمان ، وبعث سليط بن عمرو أحد بنى عامر بن لؤى إلى ثمامة بن أثال ، وهوذة بن على الحنفيين ملكى اليمامة ، وبعث العلاء بن الحضرمى إلى المنذر ابن ساوى العبدى ملك البحرين ، وبعث شجاع بن وهب الأسدى إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى ملك تخوم بالشام ·

قال ابن إسحاق : حدثنى يزيد بن أبى حبيب المصرى : أنه وجد كتابًا فيه ذكر من بعث رسول الله ﷺ إلى البلدان وملوك العرب والعجم ، وما قال لأصحابه حين بعثهم قال : فبعثت به إلى محمد بن شهاب الزهرى فعرفه · وفيه : أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه فقال لهم : إن الله بعثنى رحمة وكافة ·

---

(١) تخوم : أى حدود ·

(٢) أوعب : اجتمع ·

(٣) وهو الذى كان سيدنا جبريل عليه السلام ينزل فى صورته ·

فأدوا عنى يرحمكم الله ولا تختلفوا علىَّ كما اختلف الحواريون على عيسى ابن مريم قالوا : وكيف يا رسول الله كان اختلافهم ؟ قال : دعاهم لمثل ما دعوتكم له ، فأما من قرب به فأحب وسلم وأما من بعد به فكره وأبى · فشكا ذلك عيسى منهم إلى الله · فأصبحوا وكلِ رجلِ منهم يتكلم بلغة القوم الذى وجه إليهم ·

● أسْمَاء رُسُل عيسى :

قال ابن إسحاق : وكان من بعث عيسى ابن مريم عليه السلام من الحواريين والأتباع الذين كانوا بعدهم فى الأرض ، بطرس الحوارى · ومعه بولس ، وكان بولس من الأتباع [١] · ولم يكن من الحواريين إلى روميه واندرائس ومتَّى إلى الأرض التى يأكل أهلها الناس ، وتوماس إلى أرض بابل من أرض المشرق ، وفيلبس إلى أرض قرطاجنة ، وهى إفريقية ، ويحنس إلى أفسوس قرية الفتية أصحاب الكهف ، ويعقوبس إلى أورشليم وهى إيلياء قرية ببيت المقدس ، وابن ثلماء إلى الأعرابية وهى أرض الحجاز ، وسيمن إلى أرض البربر ، ويهوذا ولم يكن من الحواريين جعل مكان يودس ·

* * *

ذكْرُ جُملة الغَزَوات

بسمَ الله الرحمن الرحَيم

قال ابن إسحاق : وكان جميع ما غزا رسول الله ﷺ بنفسه سبعًا وعشرين غزوة منها ، غزوة ودان ، وهى غزوة الأبواء ، ثم غزوة بواط ، من ناحية رَضوى [٢] ، ثم غزوة العشيرة ، من بطن ينبع ، ثم غزوة بدر الأولى ، يطلب كرز ابن جابر ، ثم غزوة بدر الكبري ، التى قتل الله فيها صناديد قريش ، ثم غزوة بنى سليم ، حتى بلغ الكدر ، ثم غزوة السويق ، بطلب أبا سفيان بن حرب ، ثم غزوة غطفان ، وهى غزوة ذى أمر ، ثم غزوة بحران ، معدن بالحجاز ، ثم غروة أُحد ، ثم غزوة حمراء الأسد ، ثم غزوة بنى النضير ، ثم غزوة ذات الرقاع من نخل ، ثم غزوة بدر الآخرة ، ثم غزوة دومة الجندل ، ثم غزوة الخندق ، ثم غزوة بنى قريظة،

(١) الحواريين أكثر صحبة من الأتباع ·

(٢) رضوى : اسم جبل بالمدينة ·

ثم غزوة بنى لحيان ، من هذيل ، ثم غزوة ذى قرد ، ثم غزوة بنى المصطلق من خزاعة ثم غزوة الحديبية ، لا يريد قتالا ، فصده المشركون ، ثم غزوة خيبر ، ثم غزوة القضاء ، ثم غزوة الفتح ، ثم غزوة حنين ، ثم غزوة الطائف ، ثم غـزوة تبوك . قاتل منها فى تسع غزوات : بدر ، وأحد ، والخنـدق ، وقريظة ، والمصطلق ، وخيبر ، والفتح ، وحنين ، والطائف .

* * *

ذِكْرُ جُمْلَةِ السَّرَايا والبُعوث

وكانت بعوثه صلى الله عليه وسلم وسراياه ثمانيًا وثلاثين ، من بين بعث وسرية : غزوة عبيدة بن الحارث أسفل من ثنية ذى المـروة ، ثم غزوة حمزة بن عبد المطلب ساحل البحر ، من ناحية العيص ، وبعض الناس يقدم غزوة حمزة قبل غزوة عبيدة ، وغزوة سعد بن أبى وقاص الخرار ، وغزوة عبد الله بن جحش نخلة ، وغزوة زيد بن حارثة القردة ، وغزوة محمد بن مسلمة : كعب بن الأشرف ، وغزوة مرثد بن أبى مرثد الغنوى الرجيع ، وغزوة المنذر بن عمرو بئر معونة ، وغزوة أبى عبيدة بن الجراح ذا القصَّة ، من طريق العراق ، وغزوة عمر بن الخطاب تربة من أرض بنى عامر ، وغزو على بن أبى طالب اليمـن ، وغزوة غالب بن عبد الله الكلبى ، كلب ليث ، الكديد ، فأصاب بنى الملوَّح .

* * *

غَزْوة غَالب بن عبد الله اللَّيثى بنى الملوَّح

• شأن ابن البَرْصَاء :

وكان من حديـثها أن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، حدثنى عن مسلم بن عبد الله بن حبيب الجهنى ، عن جندب بن مكيث الجهنى ، قال : بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الكلبى ، كلـب بن عوف بن ليث ، فى سرية كنت فيها ، وأمره أن يشن الغارة على بنى الملوَّح ، وهم بالكديد ، فخرجنا ، حتى إذا كنا بقديد لقينا الحارث بن مالك ، وهو ابن البرصاء الليثى ، فأخذناه ، فقال : إنى جئت أريد الإسلام ، ما خرجت إلا إلى رسول الله ﷺ فقلنا له : إن تك مسلمًا فلن يضيرك رباط ليلة ، وإن تَكُ على غير ذلك كنا قد اسـتوثقنا منك ،

فشددناه رباطًا ، ثم خلفنا عليه رجلا من أصحابنا أســود ، وقلنا له : إن عازك (١) فاحتز رأسه .

• بَلاءُ ابن مُكَيْث فى هذه الغَزْوة :

قال : ثم سرِنا حتى أتينا الكَدِيد عند غروب الشمس ، فكنا فى ناحية الوادى ، وبعثنى أصحابى ربيئة (٢) لهم ، فخرجت حتى آتى تلا مشرفًا على الحاضر (٣) ، فأسندت فيه (٤) ، فعلوت على رأسه ، فنظرت إلى الحاضر ، فوالله إنى لمنبطح على التل إذ خرج رجل منهم من خبائه ، فقال لامرأته : إنى لأرى على التل سوادا ما رأيته فى أول يومى ، فانظرى إلى أوعيتك هل تفقدين منها شيئًا ، لا تكون الكلاب جرَّت بعضها ، قال : فنظرت ، فقالت : لا ، والله ما أفقد شيئًا ، فقال : فناولينى قوسى وسهمين ، فناولته ، قال : فأرسل سهمًا ، فوالله ما أخطأ جنبى ، فأنزعه ، فأضعه ، وثبت مكانى قال ثم أرسل الآخر فوضعه فى منكبى فأنزعه فأضعه وثبت مكانى فقال لامرأته : لو كان ربيئة لقد خالطه سهماى لا أبالك ، إذا أصبحت فابتغيهما ، فخذيهما ، لا يمضغهما على الكلاب قال : ثم دخل .

• نجاة المسلمين بالنَّعَم :

قال : وأمهلناهم حتى إذا اطمأنوا وناموا ، وكان فى وجه السَّحر ، شننا عليهم الغارة ، قال فقتلنا ، واستقنا النَّعم ، وخرج صريخ القوم (٥) فجاءنا دهم (٦) لا قبل لنا به ، ومضينا بالنعم ، ومررنا بابن البرصاء وصاحبه ، فاحتملناهما معنا ، قال : وأدركنا القوم حتى قربوا منا ، قال : فما بيننا وبينهم إلا وادى قديد ، فأرسل الله الوادى بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى من غير سحابة نراها ولا مطر ، فجاء بشىء ليس لأحد به قوة ، ولا يقدر على أن يجاوزه ، فوقفوا ينظرون إلينا ، وإنا لنسوق نعمهم ، ما يستطيع منهم رجل أن يجيز إلينا ، ونحن نحدوها سراعا ، حتى فتناهم ، فلم يقدروا على طلبنا .

قال : فقدمنا بها على رسول الله ﷺ .

---

(١) عازك : غالبك . (٢) الربيئة : الطليعة التى تتجسس الأخبار .

(٣) الحاضر : الجماعة الذين ينزلون على الماء .

(٤) أسندت : ارتفعت . (٥) أى مستغيثهم .

(٦) الدهم : الجماعة الكثيرة .

قال ابن إسحاق : وحدثنى رجل من أسلم ، عن رجل منهم : أن شعار أصحاب رسول الله ﷺ كان تلك الليلة : أمت أمت . فقال راجز من المسلمين وهو يحدوها :

أَبَى أَبُو القاسِمِ أَنْ تَعزَّبى   فى خضْلِ نَباته مُغْلَولَبِ (١)

صَفْرٍ أعاليه كَلون المذْهبِ

ثم خبر الغزاة ، وعدت إلى ذكر تفاصيل السرايا والبعوث .

تعريف ببعض الغزوات : قال ابن إسحاق : وغزوة على بن أبى طالب رضي الله عنه بنى عبد الله بن سعد من أهل فَدك ، وغزوة أبى العوجاء السلمى أرض بنى سليم ، أصيب بها هو وأصحابه جميعًا ، وغزوة عكاشة بن محصن الغمرة ، وغزوة أبى سلمة بن عبد الأسد قطنا ، ماء من مياه بنى أسد ، من ناحية نجد ، قتل بها مسعود ابن عروة ، وغزوة محمد بن مسلمة ، أخى بنى حارثة ، القرطاء من هوازن ، وغزوة بشير بن سعد بن مرة بفدك ، وغزوة بشير بن سعد ناحية خيبر ، وغزوة زيد بن حارثة الجموم من أرض بنى سليم ، وغزوة زيد بن حارثة جذام ، من أرض خُشين .

غزوة زيد بن حارثة إلى جذام : قال ابن إسحاق : وكان من حديثها كما حدثنى من لا أتهم عن رجال من جذام كانوا علماء بها ، أن رفاعة بن زيد الجذامى ، لما قدم على قومه من عند رسول الله ﷺ بكتابه يدعوهم إلى الإسلام ، فاستجابوا له ، لم يلبث أن قدم دحية بن خليفة الكلبى من عند قيصر صاحب الروم ، حين بعثه رسول الله ﷺ إليه ومعه تجارة له ، حتى إذا كانوا بواد من أوديتهم يقال له شتار ، أغار على دحية بن خليفة الهنيد بن عوص ، وابنه عوص بن الهنيد الضلعيان . والضليع : بطن من جذام ، فأصابا كل شيء كان معه ، فبلغ ذلك قوما من الضبيب ، رهط رفاعة بن زيد ، ممن كان أسلم وأجاب ، فنفروا إلى الهنيد وابنه ، فيهم من بنى الضبيب النعمان بن أبى جعال ، حتى لقوهم ، فاقتتلوا ، وانتمى يومئذ قرة بن أشقر الضفاوى ثم الضلعى ، فقال : أنا ابن لُبنى ، ورمى النعمان بن أبى جعال بسهم ، فأصاب ركبته ، فقال حين أصابه : خذها وأنا ابن لُبنى ،

---

(١) تعزبى : تغيبى فى المرعى . الخضل : الأخضر المبتل . المغلولب : الكثير .

وكانت له أم تدعى لُبنى ، وقد كان حسان بن ملة الضبيني قد صحب دحية بن خليفة قبل ذلك ، فعلمه أم الكتاب ·

قال ابن إسحاق : حدثنى من لا أتهم ، عن رجال من جُذام ، قال : فاستنقذوا ما كان فى يد الهنيد وابنه ، فردوه على دحية ، فخرج دحية ، حتى قدم على رسول الله ﷺ ، فأخبره خبره ، واستسقاه دم الهنيد وابنه ، فبعث رسول الله ﷺ إليهم زيد بن حارثة ، وذلك الذى هاج غزوة زيد جذام ، وبعث معه جيشا ، وقد وجهت غطفان من جذام ووائل ومن كان من سلامان وسعد بن هذيم ، حين جاءهم رفاعة بن زيد ، بكتاب رسول الله ﷺ ، حتى نزلوا الحرة ، حرة الرجلاء ، ورفاعة بن زيد بكراع ربة لم يعلم ومعه ناس من بنى الضبيب ، وسائر بنى الضبيب بوادى مدان ، من ناحية الحرة ، مما يسيل مشرقا ، وأقبل جيش زيد بن حارثة من ناحية الأولاج ،فأغار بالماقص من قبل الحرة ، فجمعوا ما وجدوا من مال أو ناس ، وقتلوا الهنيد وابنه ورجلين من بنى الأحنف ·

قال ابن إسحاق فى حديثه : ورجلا من بنى الخصيب ، فلما سمعت بذلك بنو الضبيب والجيش بفيفاء مدان ركب نفر منهم ، وكان فيمن ركب معهم حسان ابن ملة ، على فرس لسويد بن زيد ، يقال لها العجاجة ، وأنيف بن ملة على فرس لملة يقال لها : رغال · وأبو زيد بن عمرو على فرس يقال لها شمر ، فانطلقوا حتى إذا دنوا من الجيش ، قال أبو زيد وحسان لأنيف بن ملة : كف عنا وانصرف ، فإنا نخشى لسانك ، فوقف عنهما ، فلم يبعدا منه حتى جعلت فرسه تبحث بيديها وتوثب ، فقال : لأنا أضن بالرجلين منك بالفرسين ، فأرخى لها ، حتى أدركهما ، فقالا له : أما إذ فعلت ما فعلت فكف عنا لسانك ، ولا تشأمنا اليوم ، فتواصوا أن لا يتكلم منهم إلا حسان بن ملة ، وكانت بينهم كلمة فى الجاهلية قد عرفها بعضهم من بعض ، إذا أراد أحدهم أن يضرب بسيفه قال : بورى أو ثورى ، فلما برزوا على الجيش ، أقبل القوم يبتدرونهم فقال لهم حسان : إنا قوم مسلمون ، وكان أول من لقيهم رجل على فرس أدهم، فأقبل يسوقهم فقال أنيف : بورى ، فقال حسان : مهلا · فلما وقفوا على زيد بن حارثة قال حسان : إنا قوم مسلمون ، فقال له زيد فاقرءوا أم الكتاب ، فقرأها حسان ، فقال زيد بن حارثة :

نادوا فى الجيش إن الله قد حرم علينا ثغرة [١] القوم التى جاءوا منها إلا من ختر [٢] .

قال ابن إسحاق : وإذا أخت حسان بن ملة ، وهى امرأة أبى وبر بن عدى بن أمية بن الضبيب فى الأسارى ، فقال له زيد : خذها ، وأخذت بحقويه [٣] فقالت أم الفزر الضلعية · أتنطلقون ببناتكم وتذرون أمهاتكم ؟ فقال أحد بنى الخصيب : إنها بنو الضبيب وسحر ألسنتهم سائر اليوم ، فسمعها بعض الجيش ، فأخبر بها زيد بن حارثة ، فأمر بأخت حسان ، ففكت يداها من حقويه ، وقال لها : اجلسى مع بنات عمك حتى يحكم الله فيكن حكمه ، فرجعوا ، ونهى الجيش أن يهبطوا إلى واديهم الذى جاءوا منه ، فأمسوا فى أهليهم واستعتموا ذودا [٤] لسويد بن زيد ، فلما شربوا عتمتهم [٥] ركبوا إلى رفاعة بن زيد ، وكان ممن ركب إلى رفاعة بن زيد تلك الليلة : أبو زيد بن عمرو ، وأبو شماس بن عمرو ، وسويد بن زيد ، وبعجة بن زيد ، وبرذع بن زيد ، وثعلبة بن زيد ، ومخرَّبة بن عدى ، وأنيف بن ملة ، وحسان بن ملة ، حتى صبحوا سحرا رفاعة بن زيد بكراع ربة ، بظهر الحرة ، على بئر هنالك من حرة ليلى فقال له حسان بن ملة : إنك لجالس تحلب المعزى ونساء جذام أسارى قد غرها كتابك الذى جئت به ، فدعا رفاعة بن زيد يحمل له ، فجعل يشد عليه رحله وهو يقول :

هَلْ أَنْتَ حَى أو تُنَادى حيًّا

ثم غدا وهم معه بأمية بن صفارة أخى الخصيبى المقتول ، مبكرين من ظهر الحرة ، فساروا إلى جوف المدينة ثلاث ليال ، فلما دخلوا المدينة ، وانتهوا إلى المسجد ، نظر إليهم رجل من الناس ، فقال : لا تنيخوا إبلكم ، فتقطع أيديهن ، فنزلوا عنهن وهن قيام، فلما دخلوا على رسول الله ﷺ ورآهم ألاح [٦] إليهم بيده : أن تعالوا من وراء الناس ، فلما استفتح رفاعة بن زيد المنطق ، قام رجل من

---

(١) الثغرة : ما يحمونه من جانبهم ·

(٢) ختر : نقض العهد ·

(٣) حقويه : خصريه ·

(٤) استعتموا : انتظروا إلى العتمة · الذود : جماعة الإبل ما بين الثلاثة إلى العشرة ·

(٥) عتمتهم : لبنهم الذى يشربونه فى العتمة ·

(٦) ألاح : أشار ·

الناس فقال : يا رسول الله ، إن هؤلاء قوم سحرة فرددها مرتين ، فقال رفاعة بن زيد : رحم الله من لم يحذنا [١] فى يومه هذا إلا خيراً . ثم دفع رفاعة بن زيد كتابه إلى رسول الله ﷺ الذى كان كتبه له . فقال : دونك يا رسول الله قديما كتابه ، حديثا غدره ، فقال رسول الله ﷺ : اقرأه يا غلام ، وأعلن ، فلما قرأ كتابه استخبره ، فأخبروهم الخبر ، فقال رسول الله ﷺ : كيف أصنع بالقتلى ؟ - ثلاث مرات - فقال رفاعة : أنت يا رسول الله أعلم، لا نحرم عليك حلالا ، ولا نحلل لك حراما . فقال أبو زيد بن عمرو : أطلق لنا يا رسول الله من كان حيا ، ومن قتل فهو تحت قدمى هذه ، فقال له رسول الله ﷺ : صدق أبو زيد اركب معهم يا على ، فقال له على رضي الله عنه : إن زيدا لن يطيعنى يا رسول الله ، قال : فخذ سيفى هذا ، فأعطاه سيفه ، فقال على : ليس لى يا رسول الله راحلة أركبها ، فحملوه على بعير لثعلبة بن عمرو يقال له مكحال ، فخرجوا ، فإذا رسول لزيد بن حارثة على ناقة من إبل أبى وبر يقال لها : الشَّعر ، فأنزلوه عنها . فقال : يا على ، ما شأنى ؟ فقال : مالهم عرفوه فأخذوه ، ثم ساروا فلقوا الجيش بفيفاء الفحلتين ، فأخذوا ما فى أيديهم ، حتى كان ينزعون لبيد المرأة من تحت الرَّحل ، فقال أبو جعال حين فرغوا من شأنهم :

وعَاذلة ولم تَعذُل بِطب ... ولولا نَحن حُش بها السعيرُ [٢]
تُدافع فى الأسَارى بابنتيها ... ولا يُرجى لها عتق يسيرُ
ولو وكلتْ إلى عُوص وأوْس ... لحار بها عن العتق الأمورُ [٣]
ولو شهدتْ ركائبنا بمضر ... تحاذر أن يعل بها المسيرُ [٤]
وَردنَا ماءَ يثرب عن حفاظ ... لربع إنه قرب ضَرير [٥]
بِكُل مُجرَّب كَالسيد نَهد ... على أقتاد ناجية صَبورُ [٦]

(١) لم يحذنا : لم يعطنا . (٢) بطب : برفق .
(٣) حار : رجع . (٤) يعل : يكرر .
(٥) الربع : ورود الإبل إلى الماء لأربعة أيام . القرب : السير فى ظلب الماء ، ضرير: مضر .
(٦) السيد : الذئب . النهد : الغليظ . أقتاد : أدوات الرحل . الناجية : أى ناقة صبور .

فدى لأبى سُلَيمى كُل جَيَش بَيثربَ إذ تَناطحت النُّحورُ
غَداة تَرى المجرَّبَ مُستكــينا خَلاف القَوم هَامتــه تَدورُ

تمتِ الغزوة ، وعدنا إلى تفصيل ذكر السرايا والبعوث ·

غزوة زيد الطرف : قال ابن إسحاق : وغزوة زيد بن حارثة أيضًا الطرف من ناحية نخل من طريق العراق ·

غَزوة زيد بن حارثة بنى فَزارة : وغزوة زيد بن حارثة أيضا وادى القرى ، لقى به بنى فزارة ، فأصيب بها ناس من أصحابه ، وارتث (١) زيد من بين القتلى ، وفيها أصيب ورد بن عمرو بن مُداش ، وكان أحد بنى سعد بن هذيل (٢) ، أصابه أحد بنى بدر ·

قال ابن إسحاق : فلما قدم زيد بن حارثة آلى (٣) أن لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو بنى فزارة ، فلما استبل من جراحته بعثه رسول الله ﷺ إلى بنى فزارة فى جيش فقتلهم بوادى القرى ، وأصاب فيهم ، وقتل قيس بن المسحار اليعمري مسعدة بن حكمة بن مالك بن حذيفة بن بدر ، وأسرت أم قرفة فاطمة بنت ربيعة بن بدر ، كانت عجوزا كبيرة عند مالك بن حذيفة بن بدر ، وبنت لها ، وعبد الله بن مسعدة ، فأمر زيد بن حارثة قيس بن المسحر أن يقتل أم قرفة ، فقتلها قتلا عنيفًا ، ثم قدموا على رسول الله ﷺ بابنة أم قرفة وبابن مسعدة ·

وكانت بنت أم قرفة لسلمة بن عمرو بن الأكوع ، كان هو الذى أصابها ، وكانت فى بيت شرف من قومها ، كانت العرب تقول : « لو كنت أعز من أم قرفة ماازدت ، فسألها رسول الله ﷺ سلمة ، فوهبها له ، فأهداها لخاله حزن بن أبى وهب ، فولدت له عبد الرحمن بن حزن ·

فقال قيس بن المسحر فى قتل مسعدة :

سَعيتُ بَوردٍ مثل سَعى ابن أُمِّه وإنى بورَدٍ في الحياة لثائرُ (٤)

---

(١) ارتث : حمل جريحا من المعركة وبه رمق ·
(٢) قال ابن هشام : سعد بن هذيم ·
(٣) آلى : أى أقسم ·
(٤) الثائر : الآخذ بثأره ·

كَررتُ عَليـــــــه المهرَ لمَّا رأَيْتَه   عَلى بَطَــــلِ مَن آل بَدْرِ مُغَاوِرُ
فَركبــــــت فِيه قعضبيـــا كأنه   شهــاب بِمعراة يذكــى لناظـر (١)

غزوة عبد الله بن رواحة لقتل اليسير بن رزام : وغزوة عبد الله بن رَوَاحة خيبر مرتين : إحداهما التى أصاب فيها اليسير بن رزام .

وكان من حديث اليسير بن رزام أنه كان بخيبر يجمع غطفان لغزو رسول الله ﷺ ، فبعث إليه رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة فى نفر من أصحابه ، منهم عبد الله بن أنيس ، حليف بنى سلمة ، فلما قدموا عليه كلموه ، وقربوا له ، وقالوا له : إنك إن قدمت على رسول الله ﷺ استعملك وأكرمك ، فلم يزالوا به ، حتى خرج معهم فى نفر من يهود ، فحمله عبد الله بن أنيس على بعيره ، حتى إذا كان بالقرقرة من خيبر على ستة أميال ، ندم اليسير بن رزام على مسيره إلى رسول الله ﷺ ، ففطن به عبد الله بن أنيس ، وهو يريد السيف ، فاقتحم به ، ثم ضربه بالسيف ، فقطع رجله ، وضربه اليسير بمخرش (٢) فى يده من شوحط (٣) ، فأمَّه (٤) ومال كل رجل من أصحاب رسول الله ﷺ على صاحبه من يهود فقتله ، إلا رجلا واحدًا أفلت على رجليه ، فلما قدم عبد الله بن أنيس على رسول الله ﷺ تفل على شجته ، فلم تقح ولم تؤذه .

غزوة ابن عُتيك خيبر : وغزوة عبد الله بن عتيك خيبر ، فأصاب بها أبا رافع ابن أبى الحقيق .

غزوة عبد الله بن أنيس لقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلى : وغزوة عبد الله ابن أنيس خالد بن سفيان بن نبيح ، بعثه رسول الله ﷺ إليه وهو بنخلة أو بعرنة يجمع لرسول الله ﷺ الناس ليغزوه ، فقتله .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : قال عبد الله بن أنيس : دعانى رسول الله ﷺ ، فقال : إنه قد بلغنى أن ابن سفيان بن نبيح

(١) قعضبيا : سنانا منسوب إلى قعضب ، رجل كان يصنعها . معراة : مكان لا يستره شيء . يذكى : يشعل .
(٢) المخرش : عصا معقوفة .
(٣) الشوحط : نوع من الشجر .
(٤) أمه : أصاب أم راسه .

الهذلى يجمع لى الناس ليغزونى ، وهو بنخلة ، أو بعرنة ، فأته فاقتله . قلت : يا رسول الله ، انعته[١] لى حتى أعرفه . قال إنك إذا رأيته أذكرك الشيطان ، وآية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قشعريرة . قال : فخرجت متوشحاً سيفى ، حتى دفعت إليه وهو فى ظعن [٢] يرتاد لهن منزلا ، وحيث كان وقت العصر . فلما رأيته وجدت ما قال لى رسول الله ﷺ من القشعريرة ، فأقبلت نحوه ، وخشيت أن تكون بينى وبينه مجاولة تشغلنى عن الصلاة ، فصليت وأنا أمشى نحوه ، أومىء برأسى ، فلما انتهيت إليه ، قال : من الرجل ؟ قلت : رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل ، فجاءك لذلك . قال : أجل ، إنى لفى ذلك . قال : فمشيت معه شيئًا ، حتى إذا أمكننى حملت عليه بالسيف ، فقتلته ، ثم خرجت ، وتركت ظعائنه منكبات عليه ، فلما قدمت على رسول الله ﷺ فرآنى ، قال : أفلح الوجه ، قلت : قد قتلته يا رسول الله . قال : صدقت .

• هدية الرسول ﷺ لأنيس :

ثم قام بى ، فأدخلنى بيته ، فأعطانى عصًا ، فقال : أمسك هذه العصا عندك يا عبد الله بن أُنيس . قال : فخرجت بها على الناس ، فقالوا : ما هذه العصا ؟ قلت : أعطانيها رسول الله ﷺ ، وأمرنى أن أمسكها عندى . قالوا : أفلا ترجع إلى رسول الله ﷺ فتسأله لم ذلك ؟ قال : فرجعت إلى رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ، لم أعطيتنى هذه العصا ؟ قال : آية بينى وبينك يوم القيامة ، إن أقل الناس المتخصرون [٣] يومئذ ، قال فقرنها عبد الله بن أنيس بسيفه ، فلم تزل معه حتى مات ، ثم أمر بها فضمت فى كفنه ، ثم دفنا جميعًا .

بَعض غزوات أُخَر : قال ابن إسحاق : وغزوة زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة مؤتة من أرض الشام ، فأصيبوا بها جميعًا ، وغزوة كعب ابن عمير الغفارى ذات أطلاح ، إلى أرض الشام ، أصيب بها هو وأصحابه جميعاً ، وغزوة عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بنى العنبر من بنى تميم .

---

(١) أى صفه لى ، النعت : الصفة .

(٢) الظعن : النساء فى الهوادج .

(٣) المتخصرون : المتكئون على المخاصر ، والمخاصر ، مفردها مخصرة : العصا .

غزوة عيينة بن حصن بنى تميم : وكان من حديثهم أن رسول الله ﷺ بعثه إليهم ، فأغار عليهم ، فأصاب منهم أناساً ، وسبى منهم أناساً .

فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أن عائشة قالت لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، إن علىَّ رقبة من ولد إسماعيل (١) . قال : هذا سبى بنى العنبر يقدم الآن فنعطيك منهم إنسانا فتعتقينه .

قال ابن إسحاق : فلما قُدم بسبيهم على رسول الله ﷺ ، ركب فيهم وفد من بنى تميم ، حتى قدموا على رسول الله ﷺ ، منهم ربيعة بن رفيع وسبرة بن عمرو والقعقاع بن معبد ، ووردان بن محرز ، وقيس بن عاصم ، ومالك بن عمرو والأقرع بن حابس ، وفراس بن حابس ، فكلموا رسول الله ﷺ فيهم ، فأعتق بعضاً ، وأفدى بعضا ، وكان ممن قتل يومئذ من بنى العنبر : عبد الله وأخوان له ، بنو وهب ، وشداد بن فراس ، وحنظلة بن دارم ، وكان ممن سبى من نسائهم يومئذ : أسماء بنت مالك ، وكاس بنت أرى ، ونجوة بنت نهد ، وجميعة بنت قيس ، وعمرة بنت مطر . فقالت فى ذلك اليوم سلمى بنت عتَّاب :

لَعمرِى لقد لاَقتْ عَدى بن جَندب   من الشر مَهْواة شديداً كَئودهَا (٢)
تكنفها الأعــــداء من كل جَانبٍ   وغيب عَنْه عِزها وَجــــدودها (٣)

غزوة غالب بن عبد الله أرض بنى مرة : قال ابن إسحاق : وغزوة غالب بن عبد الله الكلبى - كلب ليث - أرض بنى مرة ، فأصاب بها مرداس بن نهيك ، حليفا لهم من الحرقة من جهينة ، قتله أسامة بن زيد ، ورجل من الأنصار .

قال ابن إسحاق : وكان من حديثه عن أسامة بن زيد ، قال : أدركته أنا ورجل من الأنصار فلما شهرنا عليه السلاح (٤) ، قال أشهد أن لا إله إلا الله . قال فلم ننزع عنه حتى قتلناه . فلما قدمنا على رســـول الله ﷺ أخبرناه خبره ، فقال : يا أسامة ، من لك بلا إله إلا الله ؟ قال : قلت : يا رسول الله ، إنه إنما

---

(١) أى عليها نذر عتق رقبة .

(٢) المهواة : المكان المنخفض بين جبلين . الكئود : الصعبة ، وعدى بن جندب من بنى العنبر ، والعنبر بن عمرو بن تميم .

(٣) الجدود : الحظوظ .

(٤) أى وجَّهناه ناحيته .

قالها تعوذا بها من القتل [١] . قال : فمن لك بها يا أسامة ؟ قال : فوالذى بعثه بالحق مازال يرددها علىَّ حتى لوددت أن مامضى من إسلامى لم يكن ، وأنى كنت أسلمت يومئذ ، وأنى لم أقتله ، قال : قلت : أنظرنى يا رسول الله ، إنى أعاهد الله أن لا أقتل رجلا يقول لا إله إلا الله أبدا ، قال : تقول بعدى يا أسامة ، قال : قلتَ بعدك [٢] .

غزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل : وغزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل من أرض بنى عذرة . وكان من حديثه أن رسول الله ﷺ بعثه يستنفر العرب إلى الشام. وذلك أن أم العاص بن وائل كانت امرأة من بلى، فبعثه رسول الله ﷺ إليهم يستألفهم لذلك، حتى إذا كان على ماء بأرض جذام يقال له السلسل ، وبذلك سميت تلك الغزوة غزوة ذات السلاسل ، فلما كان عليه خاف فبعث إلى رسول الله ﷺ يستمده ، فبعث إليه رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح فى المهاجرين الأولين ، فيهم أبو بكر وعمر ، وقال لأبى عبيدة حين وجهه : لا تختلفا ، فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه ، قال له عمرو إنما جئت مدداً لى ، قال أبو عبيدة : لا ، ولكنى على ما أنا عليه ، وأنت على ما أنت عليه ، وكان أبو عبيدة رجلا لينا سهلا ، هينا عليه أمر الدنيا ، فقال له عمرو : بل أنت مدد لى ، فقال أبو عبيدة يا عمرو، إن رسول الله ﷺ قال لى لا تختلفا، وإنك إن عصيتنى أطعتك ، قال : فإنى الأمير عليك ، وأنت مدد لى ، قال : فدونك . فصلى عمرو بالناس .

قال : وكان من الحديث فى هذه الغزاة ، أن رفاعة بن أبى رافع الطائى ، وهو رافع بن عميرة ، كان يحدث فيما بلغنى عن نفسه ، قال : كنت امرءاً نصرانيا ، وسميت سرجس ، فكنت أدل الناس وأهداهم بهذا الرمل ، كنت أدفن الماء فى بيض النعام بنواحى الرمل فى الجاهلية ، ثم أغير على إبل الناس ، فإذا أدخلتها الرمل غلبت عليها ، فلم يستطع أحد أن يطلبنى فيه ، حتى أمر بذلك الماء الذى خبأت فى بيض النعام فأستخرجه ، فأشرب منه ، فلما أسلمت خرجت فى تلك الغزوة التى

---

(١) أى خوفًا من القتل وهربًا ونجاة .

(٢) وهذا خير دليل على حرمانية قتل المسلم مهما يكن ، ويتضح لنا من هذا الحديث حزن الرسول ﷺ على قتل هذا الرجل وغضبه من أسامة ، وأن الإسلام ليس دين إراقة دماء ولا قتل ولا إرهاب .

بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل ، قال : فقلت : والله لأختارن لنفسى صاحبًا ، قال فصحبت أبا بكر ، قال : فسكنت معه فى رحله ، قال : وكانت عليه عباءة له فدكية ، فكان إذا نزلنا بسطها وإذا ركبنا لبسها ، ثم شكها عليه بخلال له ، قال : وذلك الذى له يقول أهل نجد حين ارتدوا كفارا : نحن نبايع ذا العباءة ؟! قال : فلما دنونا من المدينة قافلين ، قال قلت : يا أبا بكر إنما صحبتك لينفعنى الله بك ، فانصحنى وعلمنى ، قال : لو لم تسألنى ذلك لفعلت ، قال آمرك أن توحد الله ولا تشرك به شيئا ، وأن تقيم الصلاة ، وأن تؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج هذا البيت ، وتغتسل من الجنابة ، ولا تتأمر على رجل من المسلمين أبدًا · قال : قلت : يا أبا بكر ، أما أنا والله فإنى أرجو أن لا أشرك بالله أحدا أبدا ، وأما الصلاة فلن أتركها أبدًا إن شاء الله ، وأما الزكاة فإن يك لى مال أؤدها إن شاء الله ، وأما رمضان فلن أتركه إن شاء الله ، وأما الحج فإن أستطع أحج إن شاء الله تعالى وأما الجنابة فسأغتسل منها إن شاء الله ، وأما الإمارة فإنى رأيت الناس يا أبا بكر لا يشرفون عند رسول الله ﷺ وعند الناس إلا بها ، فلم تنهانى عنها ؟ قال : إنك إنما استجهدتنى لأجهد لك ، وسأخبرك عن ذلك : إن الله عز وجل بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بهذا الدين ، فجاهد عليه حتى دخل الناس فيه طوعا وكرها ، فلما دخلوا فيه كانوا عوَّاذ الله وجيرانه ، وفى ذمته فإياك لا تخفر الله [١] فى جيرانه فيتبعك الله فى خفرته ، فإن أحدكم يخفر فى جاره ، فيظل ناتئا عضله غضبًا لجاره أن أصيبت له شاة أو بعير ، فالله أشد غضباً لجاره · قال : ففارقته على ذلك ·

قال : فلما قُبِضَ [٢] رسول الله ﷺ ، وأُمِّرَ أبو بكر على الناس ، قال : قدمت عليه ، فقلت له : يا أبا بكر ، ألم تك نهيتنى عن أن أتأمر على رجلين من المسلمين ؟ قال : بلى ، وأنا الآن أنهاك عن ذلك ، قال : فقلت له : فما حملك على أن تلى أمر الناس ؟ قال : لا أجد من ذلك بُدا ، خشيت على أمة محمد ﷺ الفرقة ·

قال ابن إسحاق : أخبرنى يزيد بن أبى حبيب أنه حدث عن عوف بن مالك الأشجعى قال : كنت فى الغزاة التى بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى

(١) لاتخفر الله : لا تنقض عهده ·

(٢) أى انتقل إلى الرفيق الأعلى ·

ذات السلاسل ، قال : فصحبت أبا بكر وعمر ، فمررت بقوم على جَزور لهم قد نحروها ، وهم لا يقدرون على أن يعضوها (١) ، وقال : وكنت أمرءًا لبقًا جازرًا ، قال : فقلت : أتعطونى منها عشيرًا (٢) على أن أقسمها بينكم ؟ قالوا : نعم ، قال : فأخذت الشفرتين ، فجزأتها مكانى ، وأخذت منها جزءًا ، فحملته إلى أصحابى : فاطبخناه ، فأكلناه . فقال لى أبو بكر وعمر رضى الله عنهما : أنى لك هذا اللحم يا عوف ؟ قال : فأخبرتهما خبره ، فقالا : والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا ، ثم قاما يتقيآن ما فى بطونهما من ذلك . قال : فلما قفل الناس من ذلك السفر ، كنت أول قادم على رسول الله ﷺ ، قال : فجئته وهو يصلى فى بيته ، قال فقلت : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، قال : أعوف بن مالك ؟ قال : قلت نعم ، بأبى أنت وأمى . قال : أصاحب الجزور ؟! ولم يزدنى رسول الله ﷺ على ذلك شيئًا .

غَزوة ابن أبى حدرد بطن إضـــم وقتل عامر بن الأضبط الأشجعى : قال : ابن إسحاق : حدثنى يزيد بن عبد الله بن قُسـيط ، عن القَعْقَاع بن عبد الله بن أبى حدرد ، عن أبيه عبد الله بن أبى حدرد ، قال : بعثنا رسول الله ﷺ إلى إضم فى نفر من المسلمين ، فيهم أبو قتادة الحارث بن ربعى ، ومحلم بن جثامة بن قيس ، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم ، مر بنا عامر بن الأضبط الأشجعى ، على قعود له ومعه متيع (٣) له ، ووطب من لبن (٤) . قال : فلما مر بنا سـلم علينا بتحية الإسلام ، فأمسكنا عنه ، وحمل عليه محـلم بن جثامة ، فقتله لشىء كان بينه وبينه ، وأخذ بعيره ، وأخذ متيعه . قال : فلما قدمنا على رسول الله ﷺ وأخبرناه الخبر نزل فينا : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السـلم لـست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا** ﴾ (٥) إلى آخر الآية [النساء : ٩٤] .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : سمعت زياد بن

(١) أن يعضوها : أن يقتسموها أجزاء . (٢) العشير : جزء من عشرة أجزاء .
(٣) المتيع : تصغير متاع . (٤) الوطب : وعاء اللبن .
(٥) قال ابن هشام : قرأ أبو عمرو بن العلاء : « ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنًا » لهذا الحديث .

ضميرة بن سعد السلمى يحدث عن عروة بن الزبير عن أبيه ، عن جده ، وكانا شهدا حُنينا مع رسول الله ﷺ ، قال : صلى بنا رسول الله ﷺ الظهر ، ثم عمد إلى ظل شجرة فجلس تحتها وهو بحنين ، فقام إليه الأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن ابن حذيفة بن بدر ، يختصمان فى عامر بن أضبط الأشـجعى : عيينة يطلب بدم عامر ، وهو يومئذ رئيس غطفان ، والأقرع بن حابس يدفع عن محلم بن جثامة ، لمكانه من خندف ، فتداولا الخصومة عند رسول الله ﷺ ، ونحن نسمع ، فسمعنا عيينة بن حصن وهو يقول : والله يا رسول الله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحرقة مثل ما أذاق نسائى ، ورسوله الله ﷺ يقول : بل تأخذون الدية خمسين فى سفرنا هذا وخمسين إذا رجعنا،وهو يأبى عليه ، إذ قام رجل من بنى ليث، يقال له : مُكيثر ، قصير مجموع ، فقال : والله يا رسول الله ما وجدت لهذا القتيل شبها فى غرة الإسلام (١) إلا كغنم وردت فرميت أولاها ، فنفرت أخراها ، اسنن اليوم ، وغير غدًا . قال : فرفع رسول الله ﷺ يده . فقال : بل تأخذون الدية خمسين فى سفرنا هذا ، وخمسين إذا رجعنا . قال : فقبلوا الدية . قال : ثم قالوا : أين صاحبكم هذا ، يستغفر له رسول الله ﷺ ؟ قال : فقام رجل آدم (٢) ضرب (٣) طويل ، عليه حلة له ، قد كان تهيأ للقتل فيها ، حتى جلس بين يدى رسول الله ﷺ ، فقال له : ما اسمك ؟ قال : أنا محلم بن جثامة ، قال : فرفع رسول الله ﷺ يده ، ثم قال : اللهم لا تغفر لمحلم بن جثامة ثلاثًا . فقام وهو يتلقى دمعه بفضل ردائه . قال : فأما نحن فنقول فيما بيننا : إنا لنرجو أن يكون رسول الله ﷺ قد استغفر له ، وأما ما ظهر من رسول الله ﷺ فهذا .

قال ابن إسحاق : فحدثنى من لا أتهم عن الحسن البصرى ، قال : قال رسول الله ﷺ حين جلس بين يديه : أمنته بالله ثم قتلته ؟! ثم قال له المقالة التى قال : قال فوالله ما مكث محلم بن جثامة إلا سبعًا حتى مات ، فلفظته الأرض (٤) والذى نفس الحسن بيده - ثم عادوا فلفظته الأرض ، ثم عادوا فلفظته فلما غلب قومه عمدو إلى صدين (٥) فسطحوه بينهما ، ثم رضموا عليه الحجارة حتى واروه . قال : فبلغ رسول الله ﷺ شأنه ، فقال : والله إن الأرض لتطابق على من هو شر منه ، ولكن الله أراد أن يعظكم فى حرم ما بينكم بما أراكم منه .

---

(١) غرة الإسلام : أوله .　　(٢) الآدم : الأسمر . (٣) ضرب : خفيف اللحم .
(٣) أى ألقته على سطحها .　　(٤) صدين : جبلين .

قال ابن إسحاق : وأخبرنا سالم أبو النضر أنه حدث : أن عيينة بن حصن وقيسًا حين قال الأقرع بن حابس وخلا بهم ، يا معشر قيس ، منعتم رسول الله ﷺ قتيلا يستصلح به الناس ، أفأمنتم أن يلعنكم رسول الله ﷺ ، فيلعنكم الله بلعنته ، أو أن يغضب عليكم فيغضب الله ﷺ عليكم بغضبه ؟ والله الذى نفس الأقرع بيده لتسلمنه إلى رسول الله ﷺ فليصنعن فيه ما أراد ، أو لآتين بخمسين رجلا من بنى تميم يشهدون بالله كلهم ، لقُتل صاحبكم كافرًا ؟ ما صلى قط ، فلأطلن دمه (١) فلما سمعوا ذلك قبلوا الدية .

وقال ابن إسحاق : ملجَّم ، فيما حدثناه زياد عنه .

غزوة ابن أبى حَدْرد لقتل رفاعة بن قيس الجشمى : قال ابن إسحاق : وغزوة ابن أبى حدرد الأسلمى الغابة .

وكان من حديثها فيما بلغنى ، عمن لا أتهم وعن ابن أبى حدرد ، قال : تزوجت امرأة من قومى ، وأصدقتها مائتىْ درهم ، قال : فجئت رسول الله ﷺ أستعينه على نكاحى فقال : وكم أصدقت ؟ فقلت : مائتى درهم يا رسول الله ، قال سبحان الله ، لو كنتم تأخذون الدراهم من بطن واد مازدتم (٢) . والله ما عندى ما أعينك به . قال : فلبثت أيامًا ، وأقبل رجل من بنى جشم ، يقال له : رفاعة بن قيس ، أو قيس بن رفاعة ، فى بطن عظيم من بنى جشم ، حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة ، يريد أن يجمع قيسًا على حرب رسول الله ﷺ وكان ذا اسم فى جشم وشرف . قال : فدعانى رسول الله ﷺ ورجلين معى من المسلمين ، فقال : أخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم . قال : وقدم لنا شارفا (٣) عجفاء فحمل عليها أحدنا ، فوالله ما قامت به ضعفًا حتى دعمـــها الرجال من خلفها بأيديهم ، حتى استقلت وما كادت ثم قال : تبلغوا عليها واعتقبوها .

قال : فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف ، حتى إذا جئنا قريباً من الحاضر عشيشية (٤) مع غروب الشمس . قال : كنت فى ناحية ، وأمرت صاحبى ، فكمنا فى ناحية أخرى من حاضر القوم ، وقلت لهما : إذا سمعتمانى قد كبرت

---

(١) أطلن دمه : أجعل دمه باطلا .

(٢) دليلا على أن الرسول ﷺ استكثر المهر ، وقد حذر ﷺ من المغالاة فى المهور .

(٣) الشارف : الناقة المسنة .

(٤) عشيشية : تصغير عشية على غير القياس .

وشددت فى ناحية العسكر فكبرا وشدا معى . قال : فوالله إنا لكذلك ننتظر غرة [١] القوم ، أو أن نصيب منهم شيئًا . قال : وقد غشينا الليل حتى ذهبت فحمة العشاء ، وقد كان لهم راع قد سرح فى هذا البلد ، فأبطأ عليهم حتى تخوفوا عليه . قال : فقام صاحبهم ذلك رفاعة بن قيس ، فأخذ سيفه ، فجعله فى عنقه ، ثم قال : والله لأتبعن أثر راعينا هذا ، ولقد أصابه شر ، فقال له نفر ممن معه : والله لا تذهب ، نحن نكفيك ، قال : والله لا يذهب إلا أنا ، قالوا : فنحن معك ، قال : والله لا يتبعنى أحد منكم قال : وخرج حتى يمر بى . قال : فلما أمكننى نفحته بسهمى ، فوضعته فى فؤاده . قال : فوالله ما تكلم ، ووثبت إليه ، فاحتززت رأسه . قال : وشددت فى ناحية العسكر ، وكبرت ، وشد صاحباى وكبرا . قال : فوالله ما كان إلا النجاء ممن فيه ، عندك ، عندك ، بكل ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم ، وما خف معهم من أموالهم قال : واستقنا إبلا عظيمة وغنما كثيرة ، فجئنا بها إلى رسول الله ﷺ . قال : وجئت برأسه أحمله معى . قال : فأعاننى رسول الله ﷺ من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيرًا فى صداقى ، فجمعت إلىَّ أهلى .

غَزوة عبد الرحمن بن عوف إلى دَومة الجَنْدَل : قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن عطاء بن أبى رباح ، قال : سمعت رجلا من أهل البصرة يسأل عبد الله بن عمر بن الخطاب ، عن إرسال العمامة من خلف الرجل إذا اعتم ، قال : فقال عبد الله : سأخبرك إن شاء الله عن ذلك بعلم : كنت عاشر عشرة رهط من أصحاب رسول الله ﷺ فى مسجده : أبو بكر ، وعثمان ، وعلى ، وعبد الرحمن بن عوف ، وابن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وحذيفة بن اليمان ، وأبو سعيد الخدرى ، وأنا مع رسول الله ﷺ ، إذا أقبل فتى من الأنصار . فسلم على رسول الله ﷺ ، ثم جلس ، فقال : يا رسول الله ، صلى الله عليك ، أى المؤمنين أفضل ؟ فقال : أحسنهم خلقا ، قال : فأى المؤمنين أكيس ؟ قال ، أكثرهم ذكرًا للموت ، وأحسنهم استعدادًا له قبل أن ينزل به ، أولئك الأكياس ، ثم سكت الفتى ، وأقبل علينا رسول الله ﷺ فقال : يا معشر المهاجرين ، خمس خصال إذا نزلن بكم . وأعوذ بالله أن تدركوهن – إنه لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم الذين مضوا ،

(١) الغرة : الغفلة .

ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين (١) وشدة المؤنة وجور السلطان ، ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم إلا منعوا القطر من السماء فلولا البهائم ما مطروا ، وما نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدوًّا من غيرهم ، فأخذ بعض ما كان في أيديهم ، وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله وتجبروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم .

ثم أمر عبد الرحمن بن عوف أن يتجهز لسرية بعثه عليها ، فأصبح وقد اعتم بعمامة من كرابيس (٢) سوداء ، فأدناه رسول الله ﷺ منه ، ثم نقضها ، ثم عممه بها ، وأرسل من خلفه أربع أصابع أو نحواً من ذلك ، ثم قال : هكذا يا بن عوف فاعتم ، فإنه أحسن وأعرف ، ثم أمر بلالا أن يدفع إليه اللواء ، فدفعه إليه ، فحمد الله تعالى وصلى على نفسه ، ثم قال : خذه يا بن عوف ، اغزوا جميعا في سبيل الله ، فقاتلوا من كفر بالله ، لا تغلُّوا (٣) ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ، فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم ، فأخذ عبد الرحمن بن عوف اللواء .

غَزوة أبي عبيدة بن الجرَّاح إلى سيف البحر (٤) : قال ابن إسحاق : وحدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، عن أبيه، عن جده عبادة بن الصامت ، قال : بعث رسول الله ﷺ سرية إلى سيف البحر ، عليهم أبو عبيدة بن الجراح ، وزودهم جرابا من تمر فجعل يقوتهم إياه ، حتى صار إلى أن يعده عليهم عدًّا قال : ثم نفد التمر حتى كان يعطى كل رجل منهم كل يوم تمرة . قال فقسمها يوما بيننا . قال : فنقصت تمرة عن رجل ، فوجدنا فقدها ذلك اليوم . قال : فلما جهدنا الجوع أخرج الله لنا دابة من البحر ، فأصبنا من لحمها وودكها (٥) ، وأقمنا عليها عشرين ليلة ، حتى سمنا وابتللنا (٦) ، وأخذ أميرنا ضلعا من أضلاعها ، فوضعها على طريقه ، ثم أمر بأجسم بعير معنا ، فحمل عليه أجسم رجل منا ، قال : فجلس عليه قال : فخرج من تحتها وما مست رأسه . قال : فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه خبرها ، وسألناه عما صنعنا في ذلك من أكلنا إياه ، فقال : رزق رزقكموه الله .

---

(١) السنين : الجدب والقحط .
(٢) الكرابيس : الأقطان . واحده كربوس .
(٣) لا تغلوا : لا تخونوا في المغنم .
(٤) سيف البحر : جانبه وساحله .
(٤) الودك : الشحم .
(٥) ابتللنا : أخذنا الراحة .

بَعْثُ عَمرو بن أُمَيَّة الضمرى لقتال أبى سفيان بن حرب وما صنع فى طريقه :

بعثه رسول الله ﷺ [١] ، فيما حدثنى من أثق به من أهل العلم بعد مقتل خبيب ابن عدى وأصحابه إلى مكة ، وأمره أن يقتل أبا سفيان بن حرب ، وبعث معه جبار ابن صخر الأنصارى ، فخرجا حتى قدما مكة ، وحبسا جمليهما بشعب [٢] من شعاب يأجج [٣] ، ثم دخلا مكة ليلا ، فقال جبار لعمرو : لو أنا طفنا بالبيت وصلّينا ركعتين ؟ فقال عمرو : إن القـــوم إذا تعـــشوا جلسوا بأفنيتهم ، فقال : كلا ، إن شاء الله ، فقال عـــمرو : فطفنا بالبيت ، وصلينا ، ثم خرجنا نريد أبا سفيان ، فوالله إنا لنمشى بمكة إذ نظر إلىّ رجل من أهل مكة فعرفنى ، فقال عمرو ابن أمية : والله إن قدمها إلا لشر . فقلت لصاحبى : النجاء ، فخرجنا نشتد ، حتى أصعدنا فى جبل ، وخرجوا فى طلبنا حتى إذا علونا الجبل يئسوا منا ، فرجعوا .

فدخلنا كهفاً فى الجبل ، فبتنا فيه ، وقد أخذنا حجارة فرضمناها دوننا . فلما أصبحنا غدا رجل من قريش يقود فرسا له ، ويخلى عليها [٤] ، فغشينا ونحن فى الغار . فقلت : إن رآنا صاح بنا ، فأخذنا فقتلنا .

قال : ومعى خنجر قد أعددته لأبى سفيان ، فأخرج إليه ، فأضربه على ثديه ضربة ، وصاح صيحة أسمع أهل مكة ، وأرجع فأدخل مكانى ، وجاءه الناس يشتدون وهو بآخر رمق فقالوا : من ضربك ؟ فقال : عمرو بن أمية ، وغلبه الموت فمات مكانه ، ولم يدل على مكاننا ، فاحتملوه . فقلت لصاحبى ، لما أمسينا : النجاء ، فخرجنا ليلا من مكة نريد المدينة ، فمررنا بالحرس وهم يحرسون جيفة

---

(١) قال ابن هشام : ومما لم يذكره ابن إسحاق بعوث رسول الله ﷺ بعث عمرو بن أمية الضمرى ، فرد عليه السهيلى فى الروض الأنف ٤ / ٢٥٣ قائلاً : وذكر الشيخ الحافظ أبو بحر سفيان بن العاصى رحمه الله فى هذا الموضع قال نقلت من حاشية نسخة من كتاب السير منسوبة سماع أبى سعيد عبد الرحيم بن عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم وأخويه محمد وأحمد ابنى عبد الله بن عبد الرحيم ما هذا نصه . وجدت بخط أخى قول ابن هشام : هذا مما لم يذكره ابن إسحاق (هو غلط منه) قد ذكره ابن إسحاق عن جعفر بن عمر بن أمية فيما حدث أسد عن يحيى بن زكريا عن ابن إســحاق ، والقائل فى الحاشية : وجدت بخط أخى هو : أبو بكر بن عبد الله بن عبد الرحيم وفى الكتاب المذكور قول أبى بكر المذكور فى غزوة الطائف بعد قوله : نولدت له داود بن أبى مرة ، إلى هنا ، انتهى سماعى من أخى ، وما بقى من هذا الكتاب سمعته من ابن هشام نفسه .

(٢) الشعب : الطريق بين جبلين . (٣) يأجج : جبل بمكة .

(٤) يخلى : يجمع الخلى ، وهو ما ينبته الربيع .

خُبيب بن عدى ، فقال أحدهم : والله ما رأيت كالليلة أشبه بمشية عمرو بن أمية ، لولا أنه بالمدينة لقلت هو عمرو بن أمية ، قال : فلما حاذى الخشبة شد عليها فأخذها فاحتملها ، وخرجا شدا ، وخرجوا وراءه ، حتى أتى جرفا بمهبط مسيل يأجج ، فرمى بالخشبة فى الجرف ، فغيبه الله عنهم ، فلم يقدروا عليه ، قال : وقلت لصاحبى : النجاء النجاء حتى تأتى بعيرك فتقعد عليه ، فإنى سأشغل عنك القوم ، وكان الأنصارى لا رجلة له (١) .

قال : ومضيت حتى أخرج على ضجنان ، ثم أويت إلى جبل، فأدخل كهفاً ، فبينا أنا فيه ، إذ دخل علىَّ شيخ من بنى الديل أعور ، فى غنيمة له . فقال : من الرجل ؟ فقلت من بنى بكر ، فمن أنت ؟ قال من بنى بكر . فقلت : مرحبا ، فاضطجع ، ثم رفع عقيرته ، فقال :

وَلَستُ بمسلم مادمتُ حيًّا ولا دَان لدينِ المسلمينَا

فقلت فى نفسى : ستعلم ، فأمهلته ، حتى إذا نام أخذت قوسى ، فجعلت سيتها (٢) فى عينه الصحيحة ، ثم تحاملت عليه حتى بلغت العظم ، ثم خرجت النجاء ، حتى جئت العرج(٣) ، ثم سلكت ركوبة (٤) ، حتى إذا هبطت النقيع (٥) ، إذا رجلان من قريش من المشركين ، كانت قريش بعثتهما عينا إلى المدينة ينظران ويتجسسان ، فقلت استأسرا ، فأبيا ، فأرمى أحدهما بسهم فأقتله ، وأستأسر الآخر ، فأوثقه رباطا ، وقدمت به المدينة .

سرية زيد بن حارثة إلى مَدين : قال ابن هشام : وسرية زيد بن حارثة إلى مدين ذكر ذلك عبد الله بن حسن بن حسن ، عن أمه فاطمة بنت الحسين بن على عليهم رضوان الله ، أن رسول الله ﷺ بعث زيد بن حارثة نحو مدين ، ومعه ضميرة مولى على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، وأخ له . قالت : فأصاب سبيا من أهل ميناء ، وهى السواحل ، وفيها جماع من الناس ، فبيعوا ، ففرق بينهم ، فخرج رسول الله ﷺ وهم يبكون فقال : ما لهم ؟ فقيل : يا رسول الله ، فرق بينهم ، فقال رسول الله ﷺ : لا تبيعوهم إلا جميعا .

قال ابن هشام : أراد الأمهات والأولاد .

سرية سالم بن عمير لقتل أبى عفَك : قال ابن إسحاق : وغزوة سالم بن عمير

(١) لا رجلة له : ضعيف المشى على رجليه . (٢)سيتها : طرفها
(٣) العرج : واد بالحجاز . (٤) ركوبة : ثنية بين الحرمين .
(٥) النقيع : موضع ببلاد مزينة .

لقتل أبى عَفَك · أحد بنى عمرو بن عوف ثم من بنى عبيدة ، وكان قد نجم (١) نفاقه ، حين قتل رسول الله ﷺ الحارث بن سويد بن صامت ، فقال :

لقد عشـــتُ دهراً وما إن أرَى ... من النّاس دَارًا ولا مَجمَعـــا
أَبرَّ عُهودًا وأوفَى لِمــــن ... يُعاقدُ فيهم إذا مادعــــا
منْ أولاد قيلة (٢) في جَمْعـــهم ... يَهدُ الجِبَالَ ولـم يخضَـــعا
فَصَدَّعَهُــــم راكِب جَاءهم ... حــلالٌ حرامٌ لشيء معــا (٣)
فَلو أن بالعزِّ صَدَّقْتــــم ... أو المُلْك تَابعتــــم تُبَّعا

فقال رسول الله ﷺ : من لى بهذا الخبيث ؟ فخرج سالم بن عمير ، أخو بنى عمرو بن عوف ، وهو أحد البكائين ، فقتله ، فقالت أمامة الزبرية في ذلك :

تكذِّبُ دينَ الله والمرءُ أحـــمدَا ... لَعمر الذى أمناك أن بئس ما يُمنى (٤)
حَبَاكَ حَنيفٌ آخر الليـــل طَعنةً ... أبا عفك خذها على كبـــر السنّ

غزوة عُمير بن عدى الخطمي لقتل عصماء بنت مروان : وغزوة عمير بن عدى الخطمى عصماء بنت مروان ، وهـى من بنى أمية بن زيد ، فلما قتل أبو عفك نافقت ، فذكر عبد الله بن الحارث بن الفضيل عن أبيه ، قال : وكانت تحت رجل من بنى خطمة ، ويقال له يزيد بن زيد فقالت : تعيب الإسلام وأهله :

باست بَنى مَالك والنَّبيت ... وعَوف وباســت بنى الخَزْرج
أطعتم أتاوِىَّ من غَيركـم ... فَلا من مُراد ولاَ مَذْحـج (٥)
تُرجُّونَهُ بَعدَ قَتْلِ الرءوس ... كَما يُرتَجى مَرق المنــــضَج
ألا أنفٌ يَبتغـــى غِرَّةً ... فَيقطع من أمــل المرتجى (٦)

قال : فأجابها حسان بن ثابت ، فقال :

بَنُو وَائل وَبنـــو وَاقف ... وخَطْمَة دُونَ بَنى الخَزرَجِ
مَتى مَا دَعَت سَفــها ويحَهَا ... بِعَولتها والمَنَايا تجـــى
فَهزَّتْ فَتى ماجـــدًا عرقُهُ ... كَريم المداخل والمخـــرج

---

(١) نجم : وضح · (٢) قيلة : أم الأوس والخزرج ·
(٣) صدعهم : فرقهم · (٤) أمناك : أنساك ·
(٥) الأتاوى : الغريب · (٦) الأنف : المرتفع · الغرة : الغفلة ·

فَضَرَّجَها من نَجيع الدِّما ء بعدَ الهدوّ فلم يحرجِ (١)

فقال رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك ، ألا آخذ لى من ابنة مروان ؟ فسمع ذلك من قول رسول الله ﷺ عمير بن عدى الخطمى ، وهو عنده ، فلما أمسى من تلك الليلة سِرى عليها فى بيتها فقتلها ، ثم أصبح مع رسول الله ﷺ ، فقال يا رسول الله ، إنى قد قتلتها ، فقال نصرت الله ورسوله يا عمير ، فقال : هل على شىء من شأنها يا رسول الله ؟ فقال : لا ينتطح فيها عنزان .

فرجع عمير إلى قومه ، وبنو خطمة يومئذ كثير موجهم (٢) فى شأن بنت مروان ، ولها يومئذ بنون خمسة رجال ، فلما جاءهم عمير بن عدى من عند رسول الله ﷺ ، قال : يا بنى خطمة ، أنا قتلت ابنة مروان ، فكيدونى جميعا ثم لا تُنظرون . فذلك اليوم أول ما عز الإسلام فى دار بنى خطمة ، وكان يستخفى بإسلامهم فيهم من أسلم ، وكان أول من أسلم من بنى خطمة عمير بن عدى ، وهو الذى يدعى القارئ ، وعبد الله بن أوس ، وخزيمة بن ثابت ، وأسلم يوم قتلت ابنة مروان ، رجال من بنى خطمة ، لما رأوا من عز الإسلام .

أمر ثُمَامة بن أُثَال الحنفى وإسلامه : بلغنى عن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة أنه قال : خرجت خيل لرسول الله ﷺ ، فأخذت رجلا من بنى حنيفة ، لا يشعرون من هو ، حتى أتوا به رسول الله ﷺ ، فقال : أتدرون من أخذتم ، هذا ثمامة بن أثال الحنفى ، أحسنوا إساره - ورجع رسول الله ﷺ إلى أهله ، فقال : اجمعوا ما كان عندكم من طعام ، فابعثوا به إليه ، وأمر بلقحته (٣) أن يغدى عليه بها ويراح . فجعل لا يقع من ثمامة موقعا ويأتيه رسول الله ﷺ فيقول أسلم يا ثمامة ، فيقول : إيها (٤) يا محمد ، إن تقتل تقتل ذا دم وإن ترد الفداء فسل ما شئت ، فمكث ما شاء الله أن يمكث ، ثم قال النبى ﷺ يوما : أطلقوا ثمامة ، فلما أطلقوه خرج حتى أتى البقيع ، فتطهر فأحسن طهوره ، ثم أقبل فبايع النبى ﷺ على الإسلام ، فلما أمسى جاءوه بما كانوا يأتونه من الطعام ، فلم ينل منه إلا قليلا ، وبلقحته فلم يصب من حلابها إلا يسيرا فعجب المسلمون من ذلك فقال رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك . مم تعجبون؟ أمن رجل أكل أول النهار فى معىً كافر ،

(١) الهدو : منتصف الليل ، أو بعد ساعة منه . يحرج : يأثم .

(٢) موجهم : اختلافهم . (٣) اللقحة : الناقة التى لها لبن . (٤) إيها : حسبك .

وأكل آخر النهار فى معى مسلم ! إن الكافر يأكل فى سبعة أمعاء ، وإن المسلم يأكل فى معى واحد (١) .

سرية عَلْقمة بن مُجزِّز : وبعث رسول الله ﷺ علقمة بن مجزز .

لما قتل وقاص بن مجزز المدلجى يوم ذى قرد ، سأل علقمة بن مجزز رسول الله ﷺ أن يبعثه فى آثار القوم ، ليدرك ثأره فيهم .

فذكر عبد العزيز بن محمد ، عن محمد بن عمرو بن علقمة ، عن عمرو بن الحكم بن ثوبان عن أبى سعيد الخدرى ، قال : بعث رسول الله ﷺ علقمة بن مجزز - قال أبو سعيد الخدرى : وأنا فيهم - حتى إذا بلغنا رأس غزاتنا أو كنا ببعض الطريق ، أذن لطائفة من الجيش ، واستعمل عليهم عبد الله بن حذافة السهمى ، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ ، وكانت فيه دعابة ، فلما كان ببعض الطريق أوقد ناراً ، ثم قال للقوم : أليس لى عليكم السمع والطاعة ؟ قالوا : بلى ، قال : أفما أنا آمركم بشىء إلا فعلتموه ؟ قالوا : نعم ، قال : فإنى أعزم عليكم بحقى وطاعتى إلا تواثبتم فى هذه النار ، قال : فقام بعض القوم يحتجز (٢) ، حتى ظن أنهم واثبون فيها ، فقال لهم : اجلسوا ، فإنما كنت أضحك معكم ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ بعد أن قدموا عليه ، فقال رسول الله ﷺ : من أمركم بمعصية منهم فلا تطيعوه .

وذكر محمد بن طلحة أن علقمة بن مجزز رجع هو وأصحابه ولم يلق كيدا (٣) .

سَرية كرْز بن جابر لقتل البَجليين الذين قتلوا يساراً : حدثنى بعض أهل العلم ، عمن حدثه ، عن محمد بن طلحة ، عن عثمان بن عبد الرحمن ، قال : أصاب رسول الله ﷺ فى غزوة محارب وبنى ثعلبة عبداً يقال له يسار ، فجعله رسول الله ﷺ فى لقاح له كانت ترعى فى ناحية الجماء ، فقدم على

---

(١) انظر ما فى هذا الحديث من البلاغة فى كتاب المجازات النبوية تحقيق طه عبد الرءوف سعد . ط الحلبى .

(٢) يحتجز : يشد ثوبه على خصره .

(٣) أى قتالاً .

رسول الله ﷺ نفر من قيس كبة من بجيلة ، فاستوبئوا ، وطحلوا (١) ، فقال لهم رسول الله ﷺ : لو خرجتم إلى اللقاح فشربتم من ألبانها وأبوالها ، فخرجوا إليها .

فلما صحوا وانطوت بطونهم ، عَدَوْا على راعى رسول الله ﷺ يسار ، فذبحوه وغرزوا الشوك فى عينيه ، واستاقوا اللقاح . فبعث رسول الله ﷺ فى آثارهم كرز بن جابر ، فلحقهم ، فأتى بهم رسول الله ﷺ مرجعه من غزوة ذى قرد ، فقطع أيديهم وأرجلهم ، وسمل أعينهم .

غزوة على بن أبى طالب إلى اليمن : وغزوة على بن أبى طالب رضوان الله عليه إلى اليمن غزاها مرتين .

وقد ذكر ابن إسحاق بعث خالد بن الوليد فى حديثه ، ولم يذكر فى عدة البعوث والسرايا فينبغى أن تكون العدة فى قوله تسعة وثلاثين .

بَعثُ أُسَامة بن زيد إلى أرض فلسطين : قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله ﷺ أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام ، وأمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم ، ومن أرض فلسطين ، فتجهز الناس ، وأوعب مع أسامة المهاجرون الأولون (٢) .

* * *

ابتداءُ شكْوَى رَسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق : فبينا الناس على ذلك ابتدئ رسول الله ﷺ بشكواه الذى قبضه الله فيه ، إلى ما أراد به من كرامته ورحمته ، فى ليال بقين من صفر ، أو فى أول شهر ربيع الأول ، فكان أول ما ابتدئ به من ذلك ، فيما ذكر لى ، أنه خرج إلى بقيع الغرقد ، من جوف الليل ، فاستغفر لهم ، ثم رجع إلى أهله ، فلما أصبح ابتدئ بوجعه من يومه ذلك .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن عمر ، عن عبيد بن جبير ، مولى الحكم بن أبى العاص ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن أبى مويهبة ، مولى رسول الله ﷺ ، قال : بعثنى رسول الله ﷺ من جوف الليل ، فقال : يا

(١) استوبئوا : أصيبوا بالأوبئة . طحلوا : أصيبوا بداء الطحال .
(٢) قال ابن هشام : وهو آخر بعث بعثه رسول الله ﷺ .

أبا مويهبة ، إنى قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع ، فانطلق معى ، فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم ، قال : السلام عليكم يا أهل المقابر ، ليهنىء لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، يتبع آخرها أولها ، الآخرة شر من الأولى ، ثم أقبل علىَّ ، فقال : يا أبا مويهبة ، إنى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة قال : فقلت : بأبى أنت وأمى ، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا ، والخلد فيها ، ثم الجنة ، قال لا والله يا أبا مويهبة ، لقد اخترت لقاء ربى والجنة ، ثم استغفر لأهل البقيع ، ثم انصرف ، فبدأ برسول الله ﷺ وجعه الذى قبضه الله فيه ٠

تمريضه فى بيت عائشة : قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن مسلم الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عائشة زوج النبى ﷺ قالت : رجع رسول الله ﷺ من البقيع ، فوجدنى وأنا أجد صداعًا فى رأسى ، وأنا أقول : وارأساه ، فقال : بل أنا والله يا عائشة وارأساه قالت : ثم قال : وما ضرك لو مت قبلى ، فقمت عليك وكفنتك ، وصليت عليك ودفنتك ؟ قالت : قلت : والله لكأنى بك ، لو قد فعلت ذلك ، لقد رجعت إلى بيتى ، فأعرست فيه ببعض نسائك ٠ قالت : فتبسم رسول الله ﷺ ، وتتام به وجعه ، وهو يدور على نسائه ، حتى استعز به (١) ، وهو فى بيت ميمونة ، فدعا نساءه ، فاستأذنهن فى أن يمرض فى بيتى ، فأذن له ٠

* * *

ذكر أزواجه ﷺ (٢)

عن زياد بن عبد الله البَكّائى قال : قال ابن إسحاق : وكن تسعًا : عائشة بنت أبى بكر ، وحفصة بنت عمر بن الخطاب ، وأم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب ، وأم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة ، وسودة بنت زمعة بن قيس ، وزينب بنت جحش بن رئاب ، وميمونة بنت الحارث بن حزن ، وجويرية بنت الحارث بن أبى ضرار ، وصفية بنت حُيَى بن أخطب ، فيما حدثنى غير واحد من أهل العلم ٠

(١) استعز به : غلبه ٠

(٢) سبق ذكر هذا الموضع فى الجزء الأول من سيرة ابن إسحاق ولكن مختصرًا وجاء مقدمًا حسب ترتيب ابن إسحاق ونذكره هنا من رواية ابن هشام لفائدة زائدة ٠

خَديجة : وكان جميع من تزوج رسول الله ﷺ ثلاث عشرة : خديجة بنت خويلد ، وهى أول من تزوج ، زوَّجه إياها أبوها خويلد بن أسد أو أخوها عمرو بن خويلد ، وأصدقها رسول الله ﷺ عشرين بكرة ، فولدت لرسول الله ﷺ ولده كلهم إلا إبراهيم ، وكانت قبله عند أبى هالة بن مالك ، أحد بنى أسيد بن عمرو بن تميم ، حَليف بنى عبد الدار ، فولدت له هند بن أبى هالة ، وزينب بنت أبى هالة وكانت قبل أبى هالة عند عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فولدت له عبد الله · وجارية ·

عائشة : وتزوج رسول الله ﷺ عائشة بنت أبى بكر الصديق بمكة ، وهى بنت سبع سنين ، وبنى [(١)] بها بالمدينة ، وهى بنت تسع سنين أو عشر ، ولم يتزوج رسول الله ﷺ بكرا غيرها ، زوَّجه إياها أبوها أبو بكر ، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمائة درهم ·

سَوْدَة : وتزوج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمائة درهم ·

وكانت قبله عند السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك ابن حسل ·

زينب بنت جحش : وتزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية · زوَّجه إياها أخوها أبو أحمد بن جحش ، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمائة درهم ، وكانت قبله عند زيد بن حارثة ، مولى رسول الله ﷺ ففيها أنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ **فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها** ﴾ [الأحزاب : ٣٧] ·

أُمُّ سَلَمَةَ : وتزوج رسول الله ﷺ أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة المخزومية واسمها هند ، زوَّجه إياها سلمة بن أبى سلمة ابنها ، وأصدقها رسول الله ﷺ فراشا حشوه ليف ، وقدحا ، وصحفة ، ومجشة [(٢)] ، وكانت قبله عند أبى سلمة ابن عبد الأسد ، واسمه عبد الله ، فولدت له سلمة وعمر وزينب ورقية ·

حَفْصَةُ : تزوج رسول الله ﷺ حفصة بنت عمر بن الخطاب ، زوجه إياها

---

(١) أى دخل بها ·

(٢) المجشة : الرحى ·

أبوها عمر بن الخطاب ، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمائه درهم . وكانت قبله عند خنيس بن حذافة السهمى .

أُم حبيبة : وتزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة . واسمها رملة بنت أبى سفيان ابن حرب ، زوجه إياها خالد بن سعيد بن العاص ، وهما بأرض الحبشة ، وأصدقها النجاشى عن رسول الله ﷺ أربعمائة دينار ، وهو الذى كان خطبها على رسول الله ﷺ ، وكانت قبله عند عبيد الله بن جحش الأسدى .

جُوَيْرِيَةُ بنتُ الحَارث : وتزوج رسول الله ﷺ جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار الخزاعية ،كانت فى سبايا بنى المصطلق من خزاعة ، فوقعت فى السهم لثابت ابن قيس بن الشماس الأنصارى ، فكاتبها على نفسها ، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه فى كتابتها . فقال لها : هل لك فى خير من ذلك ؟ قالت : وما هو ؟ قال : أقضى عنك كتابتك وأتزوجك ؟ فقالت : نعم ، فتزوجها (١) .

صَفيةُ بِنْت حُيَى : وتزوج رسول الله ﷺ صفية بنت حيى بن أخطب سباها من خيبر ، فاصطفاها لنفسه ، وأولم رسول الله ﷺ وليمة ، ما فيها شحم ولا لحم ، كان سويقا وتمرا ، وكانت قبله عند كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق .

مَيْمُونَة بِنْتُ الحَارث : وتزوج رسول الله ﷺ ميمونة بنت الحارث بن حزن ابن بحير بن هزم بن رويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة ، زوّجه إياها العباس بن عبد المطلب ، وأصدقها العباس عن رسول الله ﷺ أربعمائة درهم ، وكانت قبله عند أبى عبد العزى بن أبى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل ابن عامر بن لُؤى ، ويقال : إنها التى وهبت نفسها للنبى ﷺ ، وذلك أن خطبة النبى ﷺ انتهت إليها وهى على بعيرها ، فقالت : البعير وما عليه لله ولرسوله : فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ **وامرأة مؤمنة إنْ وهبت نفسها للنبى** ﴾ (٢) .

ويقال : إن التى وهبت نفسها للنبى ﷺ زينب بنت جحش ، ويقال أم شُريك ، غزية بنت جابر بن وهب من بنى منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر ابن لؤى ، ويقال: بل هى امرأة من بنى سلمة بن لؤى ، فأرجأها رسول الله ﷺ .

---

(١) قال ابن هشام : ويقال اشتراها رسول الله ﷺ من ثابت بن قيس ، فأعتقها وتزوجها ، وأصدقها أربعمائة درهم . (٢) الأحزاب : ٥٠ .

زينب بنْت خُزَيمة : وتزوج رسول الله ﷺ زينب بنــت خزيمة بن الحارث ابن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة ، وكانت تُسمى أم المساكين لرحمتها إياهم ، ورقتها عليهم ، زوّجه إياها قبيصة بن عمرو الهلالى ، وأصدقَها رسول الله ﷺ أربعمائة درهم وكانت قبله عند[1]عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف وكانــت قبل عــبيدة عند جهــم بن عمرو بن الحارث وهو ابن عمها ٠

فهؤلاء اللاتى بنَى بهنّ رسول الله ﷺ إحدى عشرة ، فمات قبله منهن ثنتان خديجة بنت خويلد ، وزينب بنت خزيمة ، وتوفى عن تسع قد ذكرتهن فى أول هذا الحديث وثنتان لم يدخل بهما ٠ أسماء بنت النعمان الكندية تزوجها فوجد بها بياضا فمتعها[2] وردها إلى أهلها،وعــمرة بنت يزيد الكلابية وكانت حديثة عهد بكفر ، فلما قدمت على رسول الله ﷺ ، استعاذت من رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : منيعٌ عائذ الله فردها إلى أهلها ، ويقال : إن التى استعاذت من رسول الله ﷺ كندية بنت عم لأسماء بنت النعمان ، ويقال إن رسول الله ﷺ دعاها ، فقالت : إنا قوم نُؤتَى ولا نأتى ، فردها رسول الله ﷺ إلى أهلها ٠

القُرشيات منهن : القرشيات من أزواج النبى ﷺ ست : خديجة بنت خويلد بن أَسَد بن عَبد العزى بن قُصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لُؤى ، وعائشة بنت أبى بكر بن أبى قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعيد بن تيم بن مرة بن كعب بن لُؤى بن غالب ، وحفصة بنت عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدى بن كعب بن لُؤى ، وأم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لُؤى ، وأم سلمة بنت أبى المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة ابن مرة بن كعب بن لؤى ، وسودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ٠

العَربيات وغيرهن : والعربيات وغيرهن سبع : زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة ، وميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن هزم بن رويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان ،

---

(١) عند عبيدة : أى زوجة عبيدة ٠ (٢) أى دخل بهن ٠

(٣) متعها : أعطاها ما تتمتع به ٠

وزينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر ابن صعصعة بن معاوية ، وجويرية بنت الحارث بن أبى ضرار الخزاعية ، ثم المصطلقية ، وأسماء بَنت النُّعمان الكِنْدية ، وعَمرة بنت يزيد الكلابية ·

ومن غير العربيات : صفية بنت حُيى بن أَخْطَب ، من بنى النضير (١) ·

* * *

تَمْرِيضُ رَسول الله فى بيت عَائشة

قال ابن إسحاق : حدثنى يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن مسلم الزهرى ، عن عبيد الله بن عتبة ، عن عائشة زوج النبى ﷺ ، قالت : فخرج رسول الله ﷺ يمشى بين رجلين من أهله : أحدهما الفضل بن العباس ، ورجل آخر ، عاصبًا رأسه ، تخط قدماه حتى دخلى بيتى ·

قال عبيد ، فحدث هذا الحديث عبدِ الله بن العباس ، فقال : هل تدرى من الرجل الآخر ؟ قال : قلت : لا · قال : على بن أبى طالب ·

اشتداد المرض : ثم غمر رسول الله ﷺ ، واشتد به وجعه ، فقال : هريقوا علىَّ سبع قرب من آبار شتى ، حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم ، قالت : فأقعدناه فى مخضب (٢) لحفصة بنت عمر ، ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول : حسبكم حسبكم ·

خُطْبةٌ للنبى وتفضيله أبا بكر : قال ابن إسحاق : وقال الزهرى : حدثنى أيوب ابن بشير : أن رسول الله ﷺ خرج عاصبًا رأسه حتى جلس على المنبر ، ثم كان أول ما تكلم به أنه صلى على أصحاب أُحد · واستغفر لهم ، فأكثر الصلاة عليهم ،

---

(١) لم يذكر ابن إسحاق فى أزواج رسول الله ﷺ شراف بنت خليفة أخت دحية بن خليفة الكلبى ، وذكرها غيره ، ولم تقم عنده إلا يسيرًا حتى ماتت ، وكذلك العالية بنت ظبيان بن عمرو بن عوف ؛ ذكرها غيره فى أزواج رسول الله ﷺ · وكذلك وسنى بنت الصلت تزوجها ثم خلى سبيلها ، ويقال فيها : سنا بنت أسماء بنت الصلت ، ومنهن أسماء بنت النعمان بن الجون الكندية ، اتفقوا على تزويج النبى ﷺ إياها ، واختلفوا فى سبب فراق النبى ﷺ لها · وكذلك قيل فى شراف بنت خليفة إنها هلكت قبل أن يدخل بها ، والله أعلم ·

(٢) المخضب : إناء يغتسل فيه ·

ثم قال : إن عبدا من عباد الله خيَّره الله بين الدنيـــا وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله : قال : ففهمها أبو بكر وعرف أن نفسه يريد ، فبكى وقال : بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا ، فقال : على رسلك يا أبا بكر ، ثم قال : انظروا هذه الأبواب اللافظة [١] فى المسجد ، فسدوها إلا بيت[٢] أبى بكر فإنى لا أعلم أحدًا كان أفضل فى الصحبة عندى يداً منه ·

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الرحمن بن عبد الله ، عن بعض آل أبى سعيد ابن المعلى أن رسول الله ﷺ ، قال يومئذ فى كلامه هذا : فإنى لو كنت متخذًا من العباد خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن صحبة وإخاء إيمان حتى يجمع الله بيننا عنده ·

أمره بإنفاذ بعث أُسَامة : وقال ابن إسـحاق · وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء ، أن رسول الله ﷺ استبطأ الناس فى بعث أسامة بن زيد ، وهو فى وجعه ، فخرج عاصبا رأســه حتى جلس على المنبر ، وقد كان الناس قالوا فى إمرة أسامة : أمَّر غلاما حدثا على جُلَّة [٣] المهاجرين والأنصار ·

فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ، ثم قال : أيها الناس ، أنفذوا بعث أسامة ، فلعمرى لئن قلتم فى إمارته لقد قلتم فى إمارة أبيه من قبله ، وإنه لخليق للإمارة ، وإن كان أبوه لخليقا لها ·

قال : ثم نزل رسول الله ﷺ ، وانكمش [٤] الناس فى جهازهم واستعز برسول الله ﷺ وجعه ، فخرج أسامة ، وخرج جيشه معه حتى نزلوا الجرف ، من المدينة على فرسخ ، فضرب به عسكره ، وتتام إليه الناس ، وثقـل رسول الله ﷺ ، فأقام أسامة والناس ، لينظروا ما الله قاض فى رسول الله ﷺ ·

وصايته بالأنصار : وقال ابن إسحاق : قال الزهرى : وحدثنى عبد الله بن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ قال يوم صلى واستغفر لأصحاب أُحد ، وذكر من أمرهم ما ذكر مع مقالته يومئذ : يا معشر المهاجرين ، استوصوا بالأنصار خيرًا ،

(١) اللافظة : النافذة ·
(٢) قال ابن هشام : ويروى إلا باب أبى بكر ·
(٣) جلة : معظمهم ·
(٤) انكمش الناس فى جهازهم : أسرعوا فيه ·

فإن الناس يزيدون ، وإن الأنصار على هيئتها لا تزيد ، وإنهم كانوا عيبتى [١] التى أويت إليها فأحسنوا إلى محسنهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم ·

قال عبد الله : ثم نزل رسول الله ﷺ ، فدخل بيته ، وتتام به وجعه ، حتى غمر ·

اللَّدُودُ [٢] : قال عبد الله : فاجتمع إليه نساء من نسائه : أم سلمة ، وميمونة ونساء من نساء المسلمين ، منهن أسماء بنت عُميس ، وعنده العباس عمه · فأجمعوا أن يلدوه · وقال العباس لألدَّنه · قال : فلدوه ، فلما أفاق رسول الله ﷺ ، قال : من صنع هذا بى ؟ قالوا : يا رسول الله ، عمك ، قال : هذا دواء أتى به نساء جئن من نحو هذه الأرض ، وأشار نحو أرض الحبشة ، قال : ولم فعلتم ذلك ؟ فقال عمه العباس : خشينا يا رسول الله أن يكون بك ذات الجنب ، فقال : إن ذلك لداء ما كان عز وجل ليقذفنى به ، لايبق فى البيت أحد إلا لد إلا عمى ، فلقد لدت ميمونة وإنها لصائمة ، لقسم رسول الله ﷺ عقوبة لهم بما صنعوا به ·

دُعَاؤه لأسامة بالإشارة : قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن عبيد بن السباق ، عن محمد بن أسامة ، عن أبيه أسامة بن زيد ، قال : لما ثقل رسول الله ﷺ هبطت وهبط الناس معى إلى المدينة ، فدخلت على رسول الله ﷺ ، وقد أصمت فلا يتكلم فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها علىَّ ، فأعرف أنه يدعو لى ·

قال ابن إسحاق : وقال ابن شهاب الزهرى : حدثنى عبيد بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ كثيرًا ما أسمعه يقول : إن الله لم يقبض نبيًّا حتى يخيره ، قالت : فلما حضر رسول الله ﷺ كان آخر كلمة سمعتها وهو يقول : بل الرفيق الأعلى [٣] من الجنة ، قالت : فقلت : إذًا والله لا يختارنا ، وعرفت أنه الذى كان يقول لنا : إن نبيا لم يقبض حتى يخير ·

---

(١) عيبة الرجل : مكمن سره ·

(٢) اللدود مجموعة من سبعة أدوية مخلوطة يجعل فى جانب الفم فى داخله ويحك بالأصبع قليلا ·

(٣) اللهم الرفيق الأعلى: وهذا منتزع من قوله تبارك وتعالى: ﴿ **فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين** ﴾ إلى قوله سبحانه : ﴿ **وحسن أولئك رفيقًا** ﴾ فهذا هو الرفيق الأعلى ، ولم يقل الرفقاء لأن أهل الجنة يدخلونها على قلب رجل واحد ،وهى تتضمن=

أبو بكر يُصلى بالناس : قال الزهرى : وحدثنى حمزة بن عبد الله بن عمر أن عائشة قالت : لما استعز برسول الله ﷺ قال مُروا أبا بكر فليصل بالناس . قالت : قلت : يا نبى الله ، إن أبا بكر رجل رقيق ، ضعيف الصوت ، كثير البكاء إذا قرأ القرآن . قال : مروه فليصل بالناس . قالت : فعدت بمثل قولى ، فقال : إنكن صواحب يوسف ، فمروه فليصل بالناس ، قالت : فوالله ما أقول ذلك إلا أنى كنت أحب أن يصرف ذلك عن أبى بكر وعرفت أن الناس لا يحبون رجلا قام مقامه أبداً ، وأن الناس سيتشاءمون به فى كل حدث كان ، فكنت أحب أن يصرف ذلك عن أبى بكر .

قال ابن إسحاق : وقال ابن شهاب : حدثنى عبد الملك بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، عن أبيه ، عن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، قال : لما استُعز برسول الله ﷺ وأنا عنده فى نفر من المسلمين ، قال : دعاه بلال إلى الصلاة ، فقال : مروا من يصلى بالناس قال : فخرجت فإذا عمر فى الناس وكان أبو بكر غائبا ، فقلت : قم يا عمر فصل بالناس قال : فقام : فلما كبر ، سمع رسول الله ﷺ صوته ، وكان عمر رجلا مجهراً ، قال : فقال

= معنى التوحيد الذى يجب أن يكون آخر كلام المؤمن ، فإنه قال ﴿ **مع الذين أنعم الله عليهم** ﴾ ،هم أصحاب الصراط المستقيم، وهم أهل لا إله إلا الله ، قال الله تعالي : ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم** ﴾ ، ثم بين فى الآية المتقدمة من الذين أنعم الله عليهم فذكرهم ، وهم الرفيق الأعلى الذين ذكرهم رسول الله ﷺ - حين خير فاختار ، وبعض الرواة يقول عن عائشة فى هذا الحديث . فأشار بإصبعه ، وقال : فى الرفيق ، وفى رواية أخرى أنه قال اللهم الرفيق ، وأشار بالسبابة ، يريد التوحيد ، فقد دخل بهذه الإشارة فى عموم قوله عليه السلام « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » ولا شك أنه عليه السلام فى أعلى درجات الجنة ولو لم يشر ، ولكن ذكرنا هذا لئلا يقول القائل . لِم لم يكن آخر كلامه : لا إله إلا الله . وأول كلمة تكلم بها رسول الله وهو مسترضع عند حليمة أن قال : الله أكبر قاله الواقدى .

وأما آخر ما أوصى به عليه السلام بأن قال : الصلاة وما ملكت أيمانكم ، حرك بها لسانه وما يكاد يبين وفى قوله : ملكت أيمانكم قولان . قيل : أراد الرفق بالمملوك ، وقيل أراد الزكاة ، لأنها فى القرآن مقرونة بالصلاة ، وهى من ملك اليمين ، قاله الخطابى والله أعلم .

رسول الله ﷺ : فأين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون ، يأبى الله ذلك والمسلمون . قال : فبعث إلى أبى بكر ، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة ، فصلى بالناس قال : قال عبد الله بن زمعة قال لى عمر : ويحك ، ماذا صنعت بى يابن زمعة ، والله ما ظننت حين أمرتنى إلا أن رسول الله ﷺ أمرك بذلك ، ولولا ذلك ما صليت بالناس . قال : قلت والله ما أمرنى رسول الله ﷺ بذلك ولكنى حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس .

* * *

اليومُ الذى قَبضَ اللهُ فِيه رَسُولَهُ ﷺ

قال ابن إسحاق : وقال الزهرى : حدثنى أنس بن مالك ، أنه لما كان يوم الإثنين الذى قَبض الله فيه رسول الله ﷺ . خرج إلى الناس ،وهم يصلون الصبح ، فرفع الستر ، وفتح الباب ، فخرج رسول الله ﷺ . فقام على باب عائشة ، فكاد المسلمون يفتتنون فى صلاتهم برسول الله ﷺ حين رأوه فرحا به ، وتفرجوا ، فأشار إليهم أن اثبتوا على صلاتكم ، قال : فتبسم رسول الله ﷺ سروراً لما رأى من هيئتهم فى صلاتهم ، وما رأيت رسول الله ﷺ أحسن هيئة منه تلك الساعة قال : ثم رجع وانصرف الناس وهم يرون أن رسول الله ﷺ قد أفرق من وجعه فرجع أبو بكر إلى أهله بالسُّنح .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن القاسم بن محمد أن رسول الله ﷺ قال حين سمع تكبير عمر فى الصلاة : أين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون فلولا مقالة قالها عمر عند وفاته لم يشك المسلمون أن رسول الله ﷺ قد استخلف أبا بكر ، ولكنه قال عند وفاته : إن استخلف فقد استخلف من هو خير منى ، وإن أتركهم فقد تركهم من هو خير منى ، فعرف الناس أن رسول الله ﷺ لم يستخلف أحداً وكان عمر غير متهم على أبى بكر .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو بكر بن عبد الله بن أبى مليكة ، قال : لما كان يوم الإثنين خرج رسول الله ﷺ عاصبًا رأسه إلى الصبح وأبو بكر يصلى بالناس ، فلما خرج رسول الله ﷺ تفرج الناس ، فعرف أبو بكر أن الناس لم يصنعوا ذلك

إلا لرسول الله ﷺ ، فنكص عن مصلاه ، فدفع (١) رسول الله ﷺ فى ظهره ، وقال : صل بالناس ، وجلس رسول الله ﷺ إلى جنبه ، فصلى قاعداً عن يمين أبى بكر ، فلما فرغ من الصلاة أقبل على الناس ، فكلمهم رافعًا صوته ، حتى خرج صوته من بأب المسجد ، يقول : أيها الناس : سعرت النار ، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، وإنى والله ما تمسكون علىَّ بشىء ، إنى لم أحل إلا ما أحل القرآن ، ولم أحرم إلا ما حرم القرآن .

قال : فلما فرغ رسول الله ﷺ من كلامه ، قال له أبو بكر : يا نبى الله إنى أراك قد أصبحت بنعمة من الله وفضل كما تحب ، واليوم يوم بنت خارجة ، أفآتيها ؟ قال : نعم ، ثم دخل رسول الله ﷺ ، وخرج أبو بكر إلى أهله بالسنح .

شأن على والعباس قبل وفاته : قال ابن إسحاق : قال الزهرى : وحدثنى عبد الله بن كعب بن مالك ، عن عبد الله بن عباس ، قال : خرج يومئذ على بن أبى طالب رضوان الله عليه على الناس من عند رسول الله ﷺ . فقال له الناس : يا أبا حسن ، كيف أصبح رسول الله ﷺ ؟ قال أصبح بحمد الله بارئا ، قال : فأخذ العباس بيده ، ثم قال يا على ، أنت والله عبد العصا بعد ثلاث ، أحلف بالله لقد عرفت الموت فى وجه رسول الله ، كما كنت أعرفه فى وجوه بنى عبد المطلب فانطلق بنا إلى رسول الله ﷺ فإن كان هذا الأمر فينا عرفناه ، وإن كان فى غيرنا ، أمرناه فأوصى بنا الناس . قال فقال له على إنى والله لا أفعل ، والله لئن مُنعناه لا يؤتيناه أحد بعده .

فتوفى رسول الله ﷺ حين اشتد الضحاء من ذلك اليوم .

سواكُ الرسول قَبل وفَاته : قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة ، عن الزهرى عَن عروة ، عن عائشة ، قال : قالت : رجع إلى رسول الله ﷺ فى ذلك اليوم حين دخل من المسجد ، فاضطجع فى حجرى ، فدخل علىَّ رجل من آل أبى بكر ، وفى يده سواك أخضر ، قالت : فنظر رسول الله ﷺ إليه فى يده نظراً عرفت أنه يريده قالت : فقلت : يا رسول الله ، أتحب أن أعطيك هذا السواك ؟

---

(١) أى دفعه الرسول الله ﷺ وقدمه للصلاة .

قال : نعم ، قالت : فأخذته فمضغته له حتى لينته ، ثم أعطيته إياه : قالت : فاستن به كأشد ما رأيته يستن بسواك قط ، ثم وضعه [1] ، ووجدت رسول الله ﷺ يثقل في حجري ، فذهبت أنظر في وجهه ، فإذا بصره قد شخص ، وهو يقول : بل الرفيق الأعلى من الجنة : قالت : فقلت : خُيِّرتَ فاخترت والذي بعثك بالحق . قالت : وقُبض رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : سمعت عائشة تقول : مات رسول الله ﷺ بين سَحْري ونحري وفي دولتي ، لم أظلم فيه أحدا فمن سفهي وحداثة سني أن رسول الله ﷺ قُبض وهو في حجري ، ، ثم وضعت رأسه على وسادة ، وقمت ألتدم [2] مع النساء ، وأضرب وجهي .

مقالة عمر بعد وفاته : قال ابن إسحاق : قال الزهري ، وحدثني سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، قال : لما توفي رسول الله ﷺ قام عمر بن الخطاب ، فقال : إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد توفي ، وإن رسول الله ﷺ ما مات ، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع إليهم بعد أن قيل مات ، ووالله ليرجعن رسول الله ﷺ كما رجع موسى ، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله ﷺ مات .

شأن أبي بكر بعد وفاته : قال : وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر ، وعمر يكلم الناس ، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله ﷺ في بيت عائشة ، ورسول الله ﷺ مُسَجى في ناحية البيت ، عليه برد حبرة ، فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله ﷺ ، قال : ثم أقبل عليه فقبّله ،

(١) فيه من الفقه : التنظف والتطهر للموت ، ولذلك يستحب الاستحداد لمن استشعر القتل أو الموت كما فعل خبيب أحد أصحابه ﷺ حينما أراد المشركون قتله وقصته موجودة فيما سبق من السيرة - لأن الميت قادم على ربه كما أن المصلي مناج لربه ، فالنظافة من شأنهما وكان السواك المذكور في هذا الحديث من عسيب نخل فيما روى بعضهم . والعرب تستاك بالعسيب ، وكان أحب السواك إلى رسول الله ﷺ فرع الأراك .

(٢) ألتدم : أضرب صدري .

ثم قال : بأبى أنت وأمى ، أما الموتة التى كتب الله عليك فقد ذقتها ، ثم لن تصيبك بعدها موتة أبدًا . قال : ثم رد البُرد على رسول الله ﷺ ، ثم خرج وعمر يكلم الناس فقال على رسلك يا عمر : أنصت ، فأبى إلا أن يتكلم ، فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس ، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس ، إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت . قال : ثم تلا هذه الآية : ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئًا وسيجزى الله الشاكرين** ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

قال : فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ ، قال : وأخذها الناس عن أبى بكر ، فإنما هى فى أفواههم ، وقال أبو هريرة : قال عمر : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها ، فعقرت [(١)] حتى وقعت إلى الأرض ما تحملنى رجلاى ، وعرفت أن رسول الله ﷺ قد مات .

* * *

أمرُ سَقيفة بنى ساعدة

قال ابن إسحاق : ولما قُبض رسول الله ﷺ انحاز هذا الحى من الأنصار إلى سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعدة ، واعتزل على بن أبى طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله فى بيت فاطمة ، وانحاز بقية المهاجرين إلى أبى بكر ، وانحاز معهم أسيد بن حضير ، فى بنى عبد الأشهل ، فأتى آت إلى أبى بكر وعمر ، فقال : إن هذا الحى من الأنصار مع سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعدة ، قد انحازوا إليه ، فإن كان لكم بأمر الناس حاجة فأدركوا قبل أن يتفاقم أمرهم ، ورسول الله ﷺ فى بيته لم يُفْرَغ من أمره قد أغلق دونه الباب أهله . قال عمر : فقلت لأبى بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار ، حتى ننظر ما هم عليه .

قال ابن إسحاق : وكان من حديث السقيفة حين اجتمعت بها الأنصار ، أن

---

(١) عقرت : دهشت فلم أستطع التقدم أو التأخر .

عبد الله بن أبى بكر ، حدثنى عن ابن شهاب الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله بن عباس ، قال : أخبرنى عبد الرحمن بن عوف ، قال : وكنت فى منزله بمنى أنتظره ، وهو عند عمر فى آخر حجة حجها عمر ، قال : فرجع عبد الرحمن بن عوف من عند عمر ، فوجدنى فى منزله بمنى أنتظره وكنت أقرئه القرآن ، قال ابن عباس ، فقال لى عبد الرحمن بن عوف : لو رأيت رجلا أتى أمير المؤمنين ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هل لك فى فلان يقول : والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا ، والله ما كانت بيـــعة أبى بكر إلا فلتة فتمت ، قال : فغضب عمر ، فقال : إنى إن شاء الله لقائم العشية فى الناس ، فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمرهم ، قال عبد الرحمن : فقلت : يا أمير المؤمـــنين لا تفعل ،فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم ، وإنهم هم الذين يغلبون على قربك ، حين تقوم فى الناس ، وإنى أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطير بها أولئك عنك كل مطير ، ولا يعوها ولا يضعوها على موضعها ، فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار السنة ، وتخلص بأهل الثقة ،وأشراف الناس فتـــقول ما قلت بالمدينة متمكنا ، فيعى أهل الفقه مقالتك ، ويضعوها على مواضعها ،قال : فقال عمر : أما والله إن شاء الله لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة .

عُمر يذكر البيعة لأبى بكر : قال ابن عباس : فقدمنا المدينة فى عقب ذى الحجة ، فلما كان يوم الجمعة عجلت الرواح حين زالت الشمس ، فأجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالسًا إلى ركن المنبر فجلست حذوه تمس ركبتى ركبته ، فلم أنشب أن خرج عمر بن الخطاب ، فلما رأيته مقبلا ، قلت لسعيد بن زيد : ليقولن العشية على هذا المنبر مقالة لم يقلها منذ استخلف ، قال : فأنكر على سعيد بن زيد ذلك ، وقال :ما عسى أن يقول مما لم يقل قبله ، فجلس عمر على المنبر ، فلما سكت المؤذنون ، قام فأثنى على الله بما هو أهل له ، ثم قال :

أما بعد .

فإنى قائل لكم اليوم مقالة قد قدر لى أن أقولها ، ولا أدرى لعلها بين يدى أجلى ، فمن عقلها ، ووعاها فليأخذ بها حيث انتهت به راحلته ، ومن خشى أن لا

يعيها فلا يحل لأحد أن يكذب عليَّ إن الله بعث محمداً، وأنزل عليه الكتاب ، فكان مما أنزل عليه آية الرجم ، فقرأناها ، وعلمناها ووعيناها ، ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده ، فأخشى إن طال بالناس زمان يقول قائل : والله ما نجد الرجم فى كتاب الله ، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، وإن الرجم فى كتاب الله حق على من زنا إذا أحصن من الرجال والنساء . وإذا قامت البينة، أو كان الحبل أو الاعتراف ، ثم إنا قد كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله . « لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم » ألا إن رسول الله ﷺ قال : لا تطـــرونى كما أطرى عيسى ابن مريم . وقولوا : عبد الله ورسوله ، ثم إنه قد بلغنى أن فلانا قال : والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا ، فلا يغرن امرءا أن يقول : إن بيعة أبى بكر كانت فلتة فتمت ، وإنها قد كانت كذلك إلا أن الله قد وقى شرها ، وليس فيكم من تنقطع الأعناق إليه مثل أبى بكر ، فمن بايع رجلا عن غير مشورة من المسلمين ، فإنه لا بيعة له هو ولا الذى بايعه تغرة أن يقتلا ، إنه كان من خبرنا حين توفى الله نبيه ﷺ ، إن الأنصار خالفونا ، فاجتمعوا بأشرافهم فى سقيفة بنى ساعدة ، وتخلف عنا على بن أبى طالب والزبير بن العوام ومن تبعــهما ، واجتمـــع المهاجرون إلى أبى بكر ، فقلت لأبى بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا منهم رجلان صالحان ، فذكرا لنا ما تمالأ عليه القوم ، وقال : أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟ قلنا : نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار ، قالا : فلا عليكم ألا تقربوهم يا معشر المهاجرين ، اقضوا أمركم . قال : قلت : والله لنأتينـــهم . فانطلقنا حتى أتيناهم فى سقيفة بنى ساعدة ، فإذا بين ظهرانيهم رجل مزمَّل فقلت : من هذا ؟ فقالوا : سعد بن عبادة ، فقلت : ماله ؟ فقالوا : وجع . فلما جلسنا تشهد خطيبهم ، فأثنى على الله بما هو له أهل ، ثم قال :

أما بعد .

فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا ، وقد دفت دافة [١] من قومكم . قال : وإذا هم يريدون أن يجتازونا من أصلنا ، ويغصبونا الأمر ، فلما سكت أردت أن أتكلم ، وقد زورت[٢] فى نفسى مقالة قد أعجبتنى ، أريد أن أقدمها بين يدى أبى بكر ، وكنت أدارى منه بعض الحد [٣] ،

(١) الدافة : الجماعة من الناس تأتى من بلد إلى بلد . (٢) زورت : أعددت وهيأت .
(٣) الحد : الحدة التى كان يتصف بها عمر .

فقال أبو بكر : على رسلك يا عمر ، فكرهت أن أغضبه فتكلم ، وهو كان أعلم منى وأوقر ، فوالله ما ترك من كلمة أعجبتنى من تزويرى إلا قالها فى بديهته ، أو مثلها أو أفضل ، حتى سكت ، قال : أما ما ذكرتم فيكم من خير ، فأنتم له أهل ، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش ، هم أوسط العرب نسباً ودارا ، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين ، فبايعوا أيهما شئتم ، وأخذ بيدى وبيد أبى عبيدة ابن الجراح وهو جالس بيننا ، ولم أكره شيئًا مما قاله غيرها ، كان والله أن أقدم فتضرب عنقى ، لا يقربنى ذلك إلى إثــم ، أحب إلىَّ من أن أتأمَّر على قوم فيهم أبو بكر .

قال قائل من الأنصار ، أنا جذيلها (١) المحكك وعذيقها المرجَّب (٢) ، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش . قال : فكثر اللغط ، وارتفعت الأصوات ، حتى تخوفت الاختلاف فقلت : أبسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده ، فبايعته ، ثم بايعه المهاجرون ، ثم بايعه الأنصار ، ونزونا (٣) على سعد بن عبادة ، فقال قائل منهم : قتلتم سعد بن عبادة . قال فقلت : قتل الله سعد بن عبادة .

قال ابن إسحاق : قال الزهرى أخبرنى عروة بن الزبير أن أحد الرجلين اللذين لقوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة عويم بن ساعدة ، والآخر معن بن عدى ، أخو بنى العجلان فأما عويم بن ساعدة ، فهو الذى بلغنا أنه قيل لرسول الله ﷺ من الذين قال الله عز وجل لهم : ﴿ **فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين** ﴾ فقال رسول الله ﷺ : نعم المرء منهم عويم بن ساعدة ، وأما معن بن عدى فبلغنا أن الناس بكوا على رسول الله ﷺ حين توفاه الله عز وجل ، وقالوا : والله لوددنا أنا متنا قبله إنا نخشى أن نفتتن بعده . قال معن بن عــدى : لكنى والله ما أحب أنى مت قبله حتى أصدقه ميتًا كما صدقته حيا ، فقتل معن يوم اليمامة شهيداً فى خلافة أبى بكر ، يوم مسيلمة الكذاب .

خُطْبة عمر بعد البيعة لأبى بكر : **قال ابن إسحاق** : وحدثنى الزهرى ، قال :

---

(١) الجذيل : تصغير جذل : عود من الحطب فى مبرك الإبل تحتك به فتستريح .

(٢) العزيق : تصغير عذق النخلة : والمرجب من الترجيب وهو بناء يساعده لكثرة حمله .

(٣) نزونا : وثبنا .

حدثنى أنس بن مالك ، قال : لما بويع أبو بكر فى السقيفة وكان الغد ، جلس أبو بكر على المنبر ، فقام عمر ، فتكلم قبل أبى بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال · أيها الناس ، إنى كنت قلت لكم أمس مقالة ما كانت مما وجدتها فى كتاب الله ، ولا كانت عهدًا عهد إلىَّ رسول الله ﷺ ولكنى قد كنت أرى أن رسول الله ﷺ سيدبر أمرنا ، يقول : يكون آخرنا وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذى به هدى رسول الله ﷺ ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له ، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم ، صاحب رسول الله ﷺ ، وثانى اثنين إذ هما فى الغار ، فقوموا فبايعوه فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة ، بعد بيعة السقيفة ·

خُطْبة أبى بكر بعد البيعة : فتكلم أبو بكر ، فحمد الله ، وأثنى عليه بالذى هو أهله ثم قال :

أما بعد أيها الناس ، فإنى قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنتُ فأعينونى ، وإن أسأت فقومونى ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة فى قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء ، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله ·

قال ابن إسحاق : وحدثنى حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : والله إنى لأمشى مع عمر فى خلافته وهو عامد إلى حاجة له ، وفى يده الدرة ، وما معه غيرى ، قال وهو يحدث نفسه ، ويضرب وحشى[1] قدمه بدرته ، قال : إذ التفت إلى ، فقال : يا بن عباس هل تدرى ما كان حملنى على مقالتى التى قلت حين توفى رسول الله ﷺ ؟ قال : قلت لا أدرى يا أمير المؤمنين ، أنت أعلم ، قال فإنه والله ، إن كان الذى حملنى على ذلك إلا أنى كنت أقرأ هذه الآية : ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً** ﴾[2] فوالله ، إن كنت لأظن أن رسول الله ﷺ سيبقى فى أمته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها ، فإنه للذى حملنى على أن قلتُ ما قلت ·

* * *

(١) وحشى : خارج · (٢) البقرة : ١٤٣ ·

جهاز (١) رسول الله ﷺ ودفنه

من تولّى غُسْله : **قال ابن إسحاق** : فلما بويع أبو بكر رضي الله عنه ، أقبل الناس على جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء ، فحدثنى عبد الله بن أبى بكر وحسين بن عبد الله وغيرهما من أصحابنا : أن على بن أبى طالب ، والعباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس ، وقُسم بن العباس ، وأسامة بن زيد ، وشقران مولى رسول الله ﷺ ، هم الذين ولوا (٢) غسله ، وأن أوس بن خولى ، أحد بنى عوف بن الخزرج ، قال لعلى بن أبى طالب : أنشدك الله يا على وحظنا من رسول الله ﷺ ، وكان أوس من أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بدر ، قال : ادخل ، فدخل فجلس ، وحضر غسل رسول الله ﷺ ، فأسنده على بن أبى طالب إلى صدره ، وكان العباس والفضل وقسم يقلّبونه معه ، وكان أسامة بن زيد وشقران مولاه ، هما اللذان يصبان الماء عليه ، وعلى يغسِّله ، قد أسنده إلى صدره ، وعليه قميصه يدلكه به من ورائه ، لا يفضى بيده إلى رسول الله ﷺ وعلى يقول : بأبى أنت وأمى ، ما أطيبك حيا وميتا . ولم ير من رسول الله ﷺ شىء مما يُرى من الميت (٣) .

كَيْفية غُسْله : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عائشة قالت : لما أرادوا غسل رسول الله ﷺ اختلفوا فيه . فقالوا : والله ما ندرى أنجرد رسول الله ﷺ من ثيابه كما نجرد موتانا أو نغسله وعليه ثيابه ؟ قالت : فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم ، حتى ما منهم رجل إلا ذقنه فى صدره ، ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو : أن اغسلوا النبى وعليه ثيابه ، قالت : فقاموا إلى رسول الله ﷺ ، فغسلوه وعليه قميصه ، يصبون الماء فوق القميص ، ويدلكونه والقميص دون أيديهم .

تَكْفينهُ : قال ابن إسحاق : فلما فرغ من غَسل رسول الله ﷺ كُفِّن فى ثلاثة أثواب ، ثَوبين صحاريين (٤) وبُرد حَبِرة ، أُدرج فيها إدراجا ، كما حدثنى جعفر بن

---

(١) أى غسله وتكفينه والصلاة عليه ﷺ . (٢) أي تولوا .

(٣) أى لم يروا جسده الشريف ﷺ لأنهم غسلَوه بثيابه ودلكوه بها .

(٤) نسبة إلى صحار ، وهى مدينة باليمن .

محمد بن على بن الحسين ، عن أبيه ، عن جده على بن الحسين ، والزهرى ، عن على بن الحسين .

القَبر : قال ابن إسحاق : وحدثنى حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله ﷺ ، وكان أبو عبيدة بن الجراح يضرح (١) كحفر أهل مكة ، وكان أبو طلحة زيد بن سهيل هو الذى يحفر لأهل المدينة ، يلحد ، فدعا العباس رجلين ، فقال لأحدهما : اذهب إلى أبى عبيدة بن الجراح ، وللآخر اذهب إلى أبى طلحة ، اللهم خرْ لرسول الله ﷺ ، فوجد صاحب أبى طلحة أبا طلحة ، فجاء به فلحد لرسول الله ﷺ .

الصلاة عليه ودفنه : فلما فرغ من جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء ، وضع فى سريره (٢) فى بيته ، وقد كان المسلمون اختلفوا فى دفنه . فقال قائل : ندفنه فى مسجده وقال قائل بل ندفنه مع أصحابه ، فقال أبو بكر : إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما قبض نبى إلا دفن حيث يقبض : فرفع فراش رسول الله ﷺ الذى توفى عليه ، فحفر له تحته ، ثم دخل الناس على رسول الله ﷺ يصلون عليه أرسالا ، دخل الرجال ، حتى إذا فرغوا أدخل النساء ، حتى إذا فرغ النساء أدخل الصبيان ، ولم يؤم الناس على رسول الله ﷺ أحد (٣) .

ثم دفن رسول الله ﷺ من وسط الليل ليلة الأربعاء .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن امـرأته فاطمة بنت عمارة ، عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة ، عن عائشة رضي الله عنها : جوف الليل من ليلة الأربعاء .

من تولى دَفنه : وكان الذين نزلوا فى قبر رسول الله ﷺ : على بن أبى طالب ، والفضل بن عباس ، وقثم بن عباس ، وشقران مولى رسول الله ﷺ .

وقد قال أوس بن خولى لعلى بن أبى طالب : يا على ، أنشدك الله ، وحظنا من رسول الله ﷺ ، فقال له : انزل ، فنزل مع القوم ، وقد كان مولاه شقران

(١) يضرح : يشق وسط القبر يجعله ضريحا أما اللحد فهو شق في جانب القبر .

(٢) السرير : النعش الذى يوضع عليه الميت . (٣) وهذه خاصة بالرسول ﷺ .

حين وضع رسول الله ﷺ ، فى حفرته وبنى عليه قد أخذ قطيفة ، وقد كان رسول الله ﷺ يلبسها ويفترشها ، فدفنها فى القبر ، وقال : والله لا يلبسها أحد بعدك أبدا .

قال : فدفنت مع رسول الله ﷺ .

أحدث الناس عهداً به : وقد كان المغيرة بن شعبة يدَّعى أنه أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ يقول : أخذت خاتمى ، فألقيته فى القَبر ، وقلت : إن خاتمى سقط منى ، وإنما طرحته عمداً لأمس رسول الله ﷺ ، فأكون أحدثَ الناس عهداً به ﷺ .

قال ابن إسحاق : فحدثنى أبى إسحاق بن يسار ، عن مقسم أبى القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن مولاه عبد الله بن الحارث ، قال : اعتمرتُ مع على بن أبى طالب رضوان الله عليه فى زمان عمر أو زمان عثمان ، فنزل على أخته أم هانىء بنت أبى طالب ، فلما فرغ من عمرته رجع فسكب له غسل ، فاغتسل ، فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق ، فقالوا : يا أبا الحسن ، جئنا نسألك عن أمر نحب أن تخبرنا عنه ؟ قال : أظن المغيرة بن شعبة يحدثكم أنه كان أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ . قالوا: أجل : عن ذلك جئنا نسألك ، قال : كذب ، قال : أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ قثم بن عباس .

خميصة الرسول السوداء : **قال ابن إسحاق** : وحدثنى صالح بن كيسان ، عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، أن عائشة حدثته ، قالت : كان على رسول الله ﷺ خميصة سوداء حين اشتد به وجعه ، قالت : فهو يضعها مرة على وجهه ، ومرة يكشفها عنه ، ويقول : قاتل الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، يحذر من ذلك على أمته .

قال ابن إسحاق : وحدثنى صالح بن كيسان ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة ، قالت . كان آخر ما عهد رسول الله ﷺ أن قال : « لا يُترك بجزيرة العرب دينان » .

افتتان المسلمين بعد موته : **قال ابن إسحاق** : ولما توفى رسول الله ﷺ عظمت به مصيبة المسلمين ، فكانت عائشة ، فيما بلغنى ، تقول لما توفى رسول الله ﷺ ارتد العرب ، واشرأبت اليهودية والنصرانية ، ونجم النفاق ، وصار

المسلمون كالغنم المطيرة فى الليلة الشاتية ، لفقد نبيهم ﷺ ، حتى جمعهم الله على أبى بكر [(١)] .

فهذا المقام الذى أراد رسول الله ﷺ فى قوله لعمر بن الخطاب : إنه عسى أن يقوم مقاما لا تذمه .

حسان بن ثابت يرثى الرسول : وقال حسان بن ثابت يبكى رسول الله ﷺ .

بِطيبة رَسم للرسولِ ومَعْهَد ... مُنير وقَد تعفو الرسومُ وتُهمدُ [(٢)]
ولا تمتحى الآياتُ من دَار حُرمة ... بَها مُنير الهادى الذى كان يصعدُ
وَواضحُ آثار وباقى معالمٍ ... وربع له فيه مُصلى ومَسجدُ
بِها حُجرات كان ينزل وسطها ... من الله نُور يستضاء ويُوقَدُ
معارف لم تُطمس على العهد آيها ... أتاها البلى فالآى منها تَجددُ
عَرفتُ بها رَسم الرسولِ وعَهده ... وقبراً بِها واراه فى التُّربِ ملحدُ
ظَللتُ بها أبكى الرسولَ فأسعدت ... عُيون ومثلاها من الجفن تُسعدُ [(٣)]
يذكرن آلاءَ الرسولِ وما أرى ... لها محصيا نفسى فنفسى تُبلدُ
مُفجَّعة قد شفها فقد أحمد ... فظلت لآلاءِ الرسولِ تُعددُ [(٤)]
وما بلغتْ من كل أمر عشيرهُ ... ولكن لِنفسى بعدُ ما قد توجَّدُ [(٥)]
أطالت وقوفا تذرفُ العينُ جهدها ... على طلل القبر الذى فيه أحمدُ
فَبوركتَ يا قبرَ الرسولِ وبوركتْ ... بِلاد ثَوى فيها الرشيدُ المسددُ

---

(١) قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة وغيره من أهل العلم أن أكثر أهل مكة لما توفى رسول الله ﷺ هموا بالرجوع عن الإسلام ، وأرادوا ذلك ، حتى خافهم عتاب بن أسيد - والى مكة - فتوارى فقام سهيل بن عمرو ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم ذكر وفاة رسول الله ﷺ ، وقال : إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة فمن رابنا ضربنا عنقه ، فتراجع الناس وكفُّوا عما هموا به ، وظهر عتاب بن أسيد .

(٢) الرسم : ما بقى من آثار الديار . تعفو : تدرس : تهمد : تبلى .

(٣) أسعدت : أعانت . (٤) شفها : أضعفها .

(٥) عشيره : عشره . توجد : من الوجد وهو الحزن .

وبوركَ لحد منـــك ضمن طيبا عليه بناءٌ مـــن صَفيح مُنَضَّدُ (١)
تَهيل علــــيه التُّربَ أيدٌ وأعينٌ عليه وقد غارت بذلك أســـعدُ
لَقد غيَّبوا حِلــما وعلما ورَحمةً عَشيةَ علوهُ الثـــرى لا يوسَّدُ
وراحوا بحزنٍ ليس فيهم نبيُّهم وقد وَهَنَتْ منهم ظُهور وأعْضُدُ
يَبكونَ مَنْ تبكى السَموات يَومَهُ ومَنْ قد بكَتهُ الأرضُ فالناس أكْمدُ
وَهل عَدلتْ يَومًا رزية هالك رَزية يوم مات فيه محـــمدُ ؟!
تَقطَّع فيه منــــزلُ الوَحْى عَنْهُم وقد كان ذا نور يغـــور وينجدُ (٢)
يَدل على الرحمنِ من يقتدى به وينقذ من هـــول الخزايا ويرشَدُ
إمام لهم يهديهم الحق جاهدا مُعَلِّم صِـــدق إن يطيعوه يُسعدُوا
عفوٌ عن الزلات يقبل عذرهم وإنْ يحسنوا فالله بالخير أجودُ
وإن نابَ أمر لم يقوموا بحمله فمن عنـــــده تيسير مَا يتشددُ
فبينَا همُ فى نعمــــةِ الله بينهم دَليلٌ به نَهج الطــريقة يَقْصدُ
عزيزٌ عليه أن يجوروا عن الهدى حريص على أن يستقيموا ويهتدوا
عطوفٌ عليهم لا يثنـــى جناحه إلى كَنَف يحنـــو عليهم ويمهدُ (٣)
فَبينا هم فى ذلك النور إذ غَدا إلى نورهم سهم من الموت مُقصد (٤)
فأصبَح محمــودًا إلى الله راجعًا يبكيه حتى المرســلات ويحمدُ (٥)
وأمستْ بلاد الحرم وحشًا بقاعها لِغيبة ما كانت من الوحـــى تَعهدُ
قفارًا سوى معمورة اللحد ضافها فقيد يبكينـــــه بلاطٌ وغرقَدُ (٦)
ومَسجدُهُ فالموحــــشاتُ لفَقدِه خلاءٌ لَه فيـــــه مَقام ومقعدُ

---

(١) الصفيح : الحجارة · منضد : بعضه فوق بعض ·

(٢) يغور : من الغور وهو ما انخفض من الأرض ، وينجد : من النجد ، وهو ما ارتفع من الأرض ·

(٣) الكنف : الجانب · (٤) مقصد : مصيب : اسم فاعل من أقصد ·

(٥) المرسلات : الملائكة ·

(٦) ضافها : نزل بها · البلاط : ما استوى من الأرض : الغرقد : شجر ·

وبالجمرة الكبرى له ثم أوحشتْ ... ديار وعَرَصات وربع مولدُ
فبكّى رسولَ الله يَا عينُ عَبرةً ... ولا أعرفنك الدهر دَمعك يجمدُ
وَمالك لا تبكينَ ذا النعمة التى ... على الناس منها سَابغ يتَغمدُ
فَجودى عَليه بالدموع وأعولى ... لفقد الذى لامثله الدهرَ يوجَدُ
وَما فقدَ الماضونَ مثلَ محمد ... وَلا مثله حتى القيامة يُفقَدُ
أعَف وأوفى ذمة بعد ذمة ... وأقربُ منْه نائلاً لا يُنكد (١)
وأبذل منه للطريف وتالد ... إذا ضَن عطاء بما كان يتلَدُ (٢)
وأكرمُ صيتا فى البيوت إذا انتمى ... وأكرَم جدا أبطحيا يَسودُ (٣)
وأمنع ذروات وأثبتُ فى العلا ... دَعائم عن شاهقات تَشيدُ (٤)
وَأنبتُ فَرعا فى الفروع ومنبتا ... وعودا غذاه المزن فالعود أغيدُ (٥)
رباه وَليدًا فَاستتم تمامهُ ... على أكرم الخيرات رَبٌّ مَمجدُ
تَناهتْ وصاةُ المسلمين بكفّه ... فلا العلم محبوسٌ ولا الرأى يفندُ (٦)
أقولُ ولا يلقى لقولِى عائب ... من الناس إلا عازبُ العقل مُبعَدُ (٧)
وَليس هواى نازعا من ثنائه ... لَعلّى به فى جنة الخلد أخلدُ
مَع المصطفى أرجو بذاكَ جوارهُ ... وَفى نيل ذاك اليومَ أسعى وأَجهدُ

وقال حسان بن ثابت أيضًا ، يبكى رسول الله ﷺ :

مَا بالُ عَينُكَ لا تنامُ كأنما ... كُحلَتْ مآقيهَا بكُحْل الأرمَد
جَزعًا على المهدىٌ أصبحَ ثَاويًا ... يا خيرَ من وطىء الحصَى لا تَبعُد
وَجهى يقيكَ التُّربَ لهفى ليتنى ... غُيّبتُ قَبلك فى بقيع الغَرقدِ (٨)

---

(١) لا ينكد : لا يكدر .
(٢) الطريف : ما استحدث من المال . التالد : المال الموروث . يتلد : يكتسب قديما .
(٣) الصيت : الذكر الحسن . الأبطحى : المنسوب إلى أبطح مكة .
(٤) الذروات : الأعالى . (٥) المزن : السحاب . أغيد : ناعم .
(٦) يفند : يخطأ . (٧) عازب العقل : بعيد العقل غائبه .
(٨) بقيع الغرقد : مدافن أهل المدينة .

بأبى وأُمى مَنْ شَهِدتُ وفَاته ... فى يوم الاثنين النبى المهتدى
فَظللت بَعد وفَاته مَتبلِّدًا ... مَتلددا ياليتنى لم أُولَد
أأقيمُ بَعدكَ بالمدينة بَينهم ... يَا ليتنى صُبِّحت سُمَّ الأسود (١)
أَو حَلَ أَمر الله فينا عَاجلاً ... فى رَوحة من يومنا أو من غد
فتقوم ساعتنا فنلقى طيبًا ... محضا ضرائبه كريم المحتد (٢)
يا بِكْرَ آمنةَ المبارك بِكْرُهَا ... وَلدته محصنة بسعد الأسعد
نورًا أضاءَ على البَرية كلِّها ... من يهد للنور المبارك يَهتدى
يا ربِّ فاجمعنا معًا ونبينا ... فى جنة تثْنى عُيون الحسَّد (٣)
فى جنةِ الفِردوسِ فاكتُبها لنَا ... يا ذا الجلالِ وذا العُلا والسُّؤدُد
واللهِ أسمع ما بقيت بهالك ... إلا بكيت على النبى مُحمد (٤)
يَا ويح أنصار النبى ورَهطه ... بعد المغيب فى سَواء الملحد
ضَاقت بالانصار البلادِ فأصبحوا ... سودًا وجوههم كلون الإثمد
وَلقد ولدناه وفينا قَبره ... وفضولُ نعمته بنا لم نجحد (٥)
واللهُ أكرمنَا به وهدَى به ... أنصارهُ فى كل ساعة مشهد
صلى الإلهُ ومن يَحُفُّ بعَرشه ... والطيبون على المبارك أحمد

قال ابن إسحاق وقال حسان بن ثابت يبكى رسول الله ﷺ :

نَبِّ المَسَاكِينَ أنَّ الخيرَ فَارقهُمْ ... مع النبى تَولَّى عنهم سحرا (٦)
منْ ذَا الذى عِنْده رَحلى وراحلتى ... ورزق أهلى إذا لم يؤنسوا المطرَ ؟!

(١) صبحت سم الأسود : أى سقيت صباحا سم الأسود ، والأسود نوع من الحيات .
(٢) الضرائب : الطبائع . المحتد : الأصل .
(٣) تثنى : تبعد .
(٤) والله أسمع : أى والله لا أسمع .
(٥) يريد : بولدنا : أن أخوال والد الرسول ﷺ من بنى النجار .
(٦) نب : نبىء : سهل فعل الأمر بحذف الهمزة ثم بناه على حذف حرف العلة كما يبنى المعتل .

أَمْ من نُعَاتِبُ لاَ نخشى جنَادعَهُ ... إذَا اللسان عتا فى القول أو عثَرا (١)؟!
كانَ الضِّياءَ وكان النورَ نتبعهُ ... بعد الإله وكان السمع والبصَرا
فَليتنَا يومَ واروه بَملحده ... وغَيَّبوه وألقوا فوقه المدَرا
لَمْ يترك الله منا بعده أحدا ... ولم يعش بعده أنثى ولا ذكَرا
ذَلَّتْ رقاب بنى النجَّار كلُّهم ... وكان أمرًا من امر الله قد قَدَرا
واقَتسم الفئ دُون الناس كُلُّهُم ... وبددوه جهارًا بينهم هَدَرا

وقال حسان بن ثابت أيضًا ، يبكى رسول الله ﷺ :

آليتُ مَا فى جَميع الناس مُجتهدًا ... منِّى ألِيَّةَ بَرٌّ غَيْر إفْناد (٢)
تالله ما حَملتْ أُنثَى ولاَ وضعت ... مثْلَ الرسول نَبى الأُمة الهادى
وَلا بَرا الله خَلْقًا من بَريته ... أوْفَى بذمَّة جار أو بميعاد
مَنْ الذى كان فينا يُستضاءُ به ... مُبارك الأمر ذا عدل وإرشاد
أَمسى نساؤه عَطَّلن البيوت فَما ... يَضربن فَوق قفا ستر بأوتاد
مثل الرواهب يَلْبسنَ المباذل قَدْ ... أيقن بالبؤس بعد النعمة البادى (٣)
يَا أفضلَ الناس إنى كنتُ فى نَهرٍ ... أصبحتُ منه كَمثل المفرَد الصادى (٤)

* * *

(١) الجنادع : أوائل الشر . (٢) الألية : اليمين . الإفناد : الخطأ والعيب .
(٣) المباذل : الأثواب التى تستعمل يوميا أو الأثواب الخلقة .
(٤) الصادى : الشديد العطش .

وقد رثاه غير حسان الكثير من الشعراء . ولكن كان المرثىُّ أعظم من أن يُرثَى وكانت المصيبة أكبر من شعر ورثاء الراثين وحزن المحزونين .

وهذا آخر الكتاب والحمد لله وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين الأخيار الراشدين وبذلك تم بعون الله وتوفيقه وحسن إرشاده كتاب « السير والمغازى » « سيرة ابن إسحاق » : من روايتى يونس وابن هشام فإن كنت وجدت تكرارا فى عناوين المواضيع فلأننا جئنا بالروايتين لفائدة زائدة ﴿ **ربنا وتقبل دعاء * ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب** ﴾ والحمد لله رب العالمين .

تمت السيرة بحمد الله وتوفيقه

* * *

وكان الفراغ من تحقيقها وتصحيحها ومراجعتها

فى غرة محرم ١٤١٩هـ

أبريل ١٩٩٨ م

المحققان

الخـــــاتمة

نرجو من الله حسنها

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على المصلح الأعظم الآتى بالبينات ، اللهم ربنا لك الحمد فى الأولى ، ولك الحمد فى الآخرة ، ولك الحمد حتى ترضى ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم .

هذا رسولُ اللهِ هَذا المصطفى ... هذا لِكُلِّ العَالَمين رَسُـــــول

أما بعد .

فإن أعظم درس مستفاد من دراسة السيرة النبوية العطرة هو أن نعيش مع صاحبها ﷺ وكأنه بين أظهرنا وكأننا نسمع منه ونراه ؛ لأن كلامه وسنته وهديه باقية ببقاء الإسلام مدى الأيام والأزمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وأحمد الله تعالى أن وفقنا لتحقيق وشرح هذه السيرة العطرة ؛ فهى أعظم سيرة لأعظم شخصية فى الوجود ، رواها أعظم المؤرخين وضمها أعظم كتاب من كتب السِّير .

وأخيرًا :

فلتسقط كل الأقلام ولتخرس كل الألسنة ولتسمع كل الأذان إذا قال النبى العدنان عليه أفضل الصلاة وأتم السلام . وصدق الإمام مالك حين أشار إلى الروضة الشريفة وقال : كلٌّ منا يؤخذ منه ويُرَدُّ عليه إلاَّ صاحب هذه الروضة ﷺ .

المحققان

طه عبد الرءوف سعد

بدوى طه بدوى

* * *

فهرست الموضوعات

الجزء الثانى

من السيرة النبوية لابن إسحاق السِّيَر والمغازى

الموضوع	الصفحة
غزوة حمراء الأسد بعد أحد	٥
رسالة أبى سفيان إلى رسول الله ﷺ	٦
ما فعله عبد الله بن أُبى بعد غزوة أحد	٧
ذكر ما أنزل الله فى أُحد من القرآن	٨
تحذير المؤمنين من إطاعة الكفار	٩
جزاء شهداء أحد	١٠
ذكر من استشهد بأحد من المهاجرين	١١
من بنى هاشم	١١
من بنى أمية	١١
ذكر من استشهد بأحد من الأنصار	١٢
ذكر من قتل من قريش يوم أُحد	١٣
ذكر ما قيل من شعر يوم أحد	١٤
شعر هبيرة	١٤
حسان بن ثابت يرد على هبيرة	١٦
كعب بن مالك يرد على هبيرة	١٦
شعر ابن الزبعرى	١٩
رد حسان على ابن الزبعرى	٢٠
كعب يرثى حمزة	٢١
ضرار يرد على كعب	٢٢
شعر آخر لابن الزبعرى	٢٣
رد حسان على ابن الزبعرى	٢٤
شعر عمرو بن العاص عن أحد	٢٥
شعر ضرار	٢٦
كعب يرد على عمرو وضرار	٢٧
حسان يرثى حمزة	٢٩
شعر على	٣١
رجز عكرمة	٣١
صفية تبكى حمزة	٣١
نعم ترثى حمزة	٣٢
شعر هند بعد عودتها من أحد	٣٣
ذكر يوم الرجيع فى سنة ثلاث	٣٥
مقتل خُبَيْب وأصحابه	٣٥
خديعة عضل والقارة	٣٥
استشهاد مرثد وابن البكير وعاصم	٣٦
الزنابير تحمى جثة عاصم	٣٦
استشهاد عبد الله بن طارق	٣٧
ما نزل من القرآن فى سرية الرجيع	٣٨
شعر خبيب	٣٩
حسان يبكى خبيبا	٣٩
الذين اجتمعوا لقتل خُبيب	٤١
هجاء حسان هزيلا	٤١
حسان يبكى خبيبا وأصحابه	٤١
حديث بئر معونة فى صفر سنة أربع	٤٢
سبب الإرسال	٤٢
أسماء خيار المسلمين الذين أرسلوا إلى بئر معونة	٤٢
خيانة بنى عامر لهم	٤٣
موقف ابن أمية والمنذر	٤٣
حزن الرسول ﷺ من فعل أبى براء	٤٤
ما حدث لابن فهيرة بعد مقتله	٤٤
إسلام ابن سلمى	٤٤
تحريض حسان بني البراء على عامر	٤٥

الموضوع	الصفحة
طعن عامر	٤٥
أمر إجلاء بنى النضير فى سنة أربع	٤٦
سبب خروج النبىّ ﷺ إلى بنى النضير	٤٦
انكشاف غدرهم ومحاربتهم	٤٦
حصار بنى النضير	٤٧
ما قيل فى بنى النضير من الشعر	٤٩
غزوة ذات الرقاع فى سنة أربع	٥١
أحد الأعداء يهم بقتل النبى ﷺ	٥١
قصة جابر وجمله	٥٢
غزوة بدر الآخرة فى شعبان سنة أربع	٥٦
شعر معبد فى ناقة رسول الله ﷺ	٥٦
غزوة دومة الجندل فى شهر ربيع الأول سنة خمس	٥٧
غزوة الخندق فى شوال سنة خمس	٥٨
اليهود تحزب الأحزاب	٥٨
تحريض اليهود غطفان	٥٩
خروج الأحزاب	٥٩
ما نزل من القرآن فى حق العاملين فى الخندق	٦٠
المسلمون يرتجزون وهم يعملون	٦٠
معجزات ظهرت فى حفر الخندق	٦٠
معجزة الكدية	٦١
معجزة البركة فى التمر	٦١
البركة في طعام جابر	٦١
الله تعالى يبشر نبيه ﷺ بالفتوح	٦٢
حُيى بن أخطب يحرض كعب بن أسد	٦٣
الخوف الذى أصاب المسلمين ذلك اليوم	٦٥
محاولة الصلح مع غطفان	٦٥
على يقتل عمرو بن عبد ود	٦٦
هجاء حسان عكرمة	٦٧
استشهاد سعد بن معاذ	٦٧
قاتل سعد بن معاذ	٦٨
حديث حسان وصفية فى وقعة الخندق	٦٩
خداع نُعيم المشركين	٦٩
ما أنزل الله تعالى بالمشركين	٧٠
استخبار ما حل بالمشركين	٧١
أبو سفيان ينادى بالرحيل	٧٢
انصراف الرسول ﷺ عن الخندق	٧٢
غزوة بنى قريظة فى سنة خمس	٧٣
أمر الله تعالى رسوله ﷺ بحرب بنى قريظة	٧٣
إعلام الرسول ﷺ بالقتال	٧٣
على يبلغ الرسول ﷺ ما سمعه من بنى قريظة	٧٣
جبريل عليه السلام فى صورة دحية الكلبى	٧٤
الرسول ﷺ يبدأ الحصار	٧٥
كعب بن أُسيد ينصح قومه	٧٥
قصة أبى لبابة فى تلك الغزوة	٧٦
إسلام بعض بنى هَدْل	٧٧
قصة عمرو بن سعدى	٧٧
تحكيم سعد بن معاذ فى أمر بنى قريظة	٧٨
ثناء الرسول ﷺ على حكم سعد بن معاذ	٧٩
قتل بنى قريظة	٧٩

الموضوع	الصفحة
قتل حيى بن أخطب	٧٩
قصة الزبير بن باطا	٨٠
قصة عطية ورفاعة بن سموأل القرظيين	٨١
تقسيم الفئ	٨٢
إسلام ريحانة	٨٢
ما نزل من القرآن فى الخندق وبنى قريظة	٨٣
إكرام سعد فى موته	٨٥
الشهداء يوم الخندق	٨٨
قتلى المشركين	٨٨
الشهداء يوم بنى قريظة	٨٩
ما قيل من الشعر فى أمر الخندق وبنى قريظة	٩٠
شعر كعب بن مالك	٩٠
رثاء مسافع بن عمرو بن عبد ود	٩٣
هبيرة يرثى عمرو بن عبد ود	٩٣
فخر حسان بن ثابت بقتل عمرو	٩٤
حسان يبكى سعد بن معاذ	٩٥
مقتل سلام بن أبى الحُقيق	٩٦
الذين قتلوا ابن أبى الحقيق	٩٦
شعر حسان فى قتل ابن الأشرف وابن أبى الحقيق	٩٨
إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد	٩٩
اتفاق عمرو وخالد على الإسلام	١٠٠
إسلام عثمان بن طلحة	١٠٠
غزوة بنى لحيان	١٠٢
خروج النبى ﷺ إلى بنى لحيان	١٠٢
غزوة ذى قرد	١٠٤
سبب الغزوة	١٠٤
ما حدث لابن الأكوع	١٠٤
تسابق الفرسان	١٠٤
نصيحة الرسول لأبى عياش	١٠٥
محرز بن نضلة ومقتله	١٠٥
أفراس المسلمين	١٠٦
قتلى المشركين	١٠٦
ما قيل من شعر يوم ذي قرد	١٠٦
غزوة بنى المصطلق فى شعبان سنة ست	١٠٨
سببها	١٠٨
●إصابة ابن صبابة خطأ	١٠٨
الفتنة بين المهاجرين والأنصار	١٠٨
نفاق ابن أُبى	١٠٩
لقاء أُسيد بن حضير برسول الله ﷺ	١١٠
ما فعله عبد الله بن عبد الله بن أُبى	١١٠
مخادعة مقيس	١١٠
قتلى بنى المصطلق	١١١
جُويرية بنت الحارث رضي الله عنها	١١١
وجوب التأكد من الأخبار	١١٣
خبر الإفك فى غزوة بنى المصطلق	١١٤
إقراع النبى ﷺ بين نسائه عند السفر	١١٤
صفوان يحمل عائشة على بعيره	١١٥
الرسول ﷺ يهجر عائشة	١١٦
عائشة تغادر بيت الرسول ﷺ إلى بيت أبيها	١١٦
خطبة الرسول ﷺ فى الناس	١١٧
من تزعم نشر حديث الإفك	١١٨
أثر الخطبة	١١٨
الرسول ﷺ يستشير الصحابة	١١٨

الموضـــوع	الصفحة
براءة عائشة رضى الله عنها من فوق سبع سموات	١١٩
قصة أبى أيوب مع زوجته	١٢٠
ما نزل من القرآن الكريم فى حديث الإفك	١٢٠
موقف أبى بكر من مسطح	١٢١
اعتذار حسان عن اشتراكه فى حديث الإفك	١٢٣
أمر الحديبية فى آخر سنة ست وذكر بيعة الرضوان	١٢٥
الرسول ﷺ يستنفر الناس للخروج	١٢٥
ما فعلته قريش	١٢٦
رسل قريش إلى رسول الله ﷺ	١٢٨
بيعة الرضوان	١٣١
تخلف الجد بن قيس عن المبايعة	١٣١
الهدنة	١٣١
موقف عمر رضى الله عنه من الهدنة	١٣٢
شروط الصلح	١٣٢
قصة أبى جندل بن سهيل	١٣٣
من شهدوا على الصلح	١٣٤
الإحلال	١٣٤
نزول سورة الفتح	١٣٤
أمر المستضعفين بمكة بعد الصلح	١٣٧
قصة أبى بصير	١٣٧
أمر المهاجرات بعد الهدنة	١٣٩
هجرة أم كلثوم بنت عقبة	١٣٩
ذكر المسير إلى خيبر	١٤١
دعاء الرسول ﷺ عند دخول خيبر	١٤٢
فرار أهل خيبر	١٤٢

الموضـــوع	الصفحة
غطفان تحاول مساعدة خيبر	١٤٣
أشياء نهى عنها الرسول ﷺ يوم خيبر	١٤٣
حال بنى سهم	١٤٥
مقتل مرحب اليهودى	١٤٥
مقتل ياسر أخى مرحب	١٤٦
علىّ رضى الله عنه يفتح خيبر	١٤٦
حديث أبى اليسر	١٤٧
قصة صفية رضى الله عنها	١٤٨
جزاء كنانة بن الربيع	١٤٨
صلح خيبر	١٤٩
قصة الشاة المسمومة	١٤٩
جزاء الغال من الغنيمة	١٥٠
زواج الرسول ﷺ صفية وحراسة أبى أيوب له	١٥١
بلال يغلبه النوم وهو يرقب الفجر	١٥١
شعر ابن لقيم فى فتح خيبر	١٥٢
حديث المرأة الغفارية	١٥٢
شهداء خيبر	١٥٣
من بنى أسد	١٥٣
من بنى سلمة	١٥٤
من بنى زريق والأوس	١٥٤
من بنى عمرو بن عوف	١٥٤
من بنى غفار وأسلم	١٥٤
قصة الأسود الراعى وإسلامه ثم استشهاده	١٥٤
حديث الحجاج بن علاط السلمى	١٥٥
شعر حسان فى فتح خيبر	١٥٧
تقسيم أموال خيبر	١٥٧
ذكر ما أعطى محمد رسول الله ﷺ نساءه من قمح خيبر	١٦٠

الموضــوع	الصفحة
نصيب أمهات المؤمنين وفاطمة رضى الله عنهن	١٦٠
وصية الرسول ﷺ عند موته	١٦٠
خبر فدك	١٦٠
تسمية النفر الداريين الذين أوصى لهم رسول الله ﷺ من خيبر	١٦١
إجلاء اليهود من خيبر	١٦٢
عمر رضى الله عنه يجلى اليهود من خيبر	١٦٣
عمر يقسم وادى القرى	١٦٣
قدوم جعفر بن أبى طالب من الحبشة	١٦٥
حديث المهاجرين معه	١٦٥
من بنى هاشم	١٦٥
من بنى عبد شمس	١٦٥
من بنى أسد	١٦٦
من بنى عبد الدار	١٦٦
من بنى زهرة	١٦٦
من بنى تيم	١٦٦
من بنى جمح	١٦٦
من بنى سهم	١٦٦
من بنى عدى	١٦٧
من بنى الحارث	١٦٧
بعض من جاء أيضا من أرض الحبشة	١٦٧
من بنى أمية	١٦٧
من بنى أسد	١٦٨
من بنى عبد الدار	١٦٨
من بنى زهرة	١٦٨
من بنى تيم	
من بنى مخزوم	١٦٨
	١٦٨

الموضــوع	الصفحة
من بنى جمح	١٦٩
من بنى سهم	١٦٩
من بنى عدى	١٧٠
من بنى عامر	١٧١
من بنى الحارث	١٧١
الهالكون منهم	١٧١
مهاجرات الحبشة	١٧٢
من قريش : من بنى هاشم	١٧٢
من بنى مخزوم	١٧٢
من بنى تيم	١٧٢
من بنى سهم	١٧٢
من بنى عدى	١٧٢
من بنى عامر	١٧٢
من غرائب العرب	١٧٢
من ولد من أبنائهم بالحبشة	١٧٣
من بنى عبد شمس	١٧٣
من بنى مخزوم	١٧٣
من بنى زهرة	١٧٣
من بنى تيم	١٧٣
الرجال منهم	١٧٣
النساء منهم	١٧٣
عمرة القضاء فى ذى القعدة سنة سبع	١٧٥
سبب التسمية	١٧٥
زواج الرسول ﷺ بميمونة	١٧٧
ذكر غزوة مؤتة فى جمادى الأولى سنة ثمان ومقتل جعفر وزيد وعبد الله بن رواحة	١٧٩
بكاء عبد الله بن رواحة وشعره للرسول	١٧٩
لقاء الروم وحلفائهم	١٨٢

الموضوع	الصفحة
استشهاد زيد بن حارثة	١٨٣
استشهاد جعفر	١٨٣
استشهاد عبد الله بن رَواحة	١٨٤
الرسول يتنبأ بما حدث	١٨٥
حزن الرسول ﷺ على جعفر	١٨٥
كاهنة حدس ومقالتها	١٨٦
عودة الجيش والتقاء النبى ﷺ بهم	١٨٧
ما قيل من الشعر فى غزوة مؤتة	١٨٨
قول قيس بن المسحر	١٨٨
شعر حسان فى غزوة مؤتة	١٨٨
شعر حسان فى رثاء جعفر	١٨٩
أسماء شهداء مؤتة	١٩٠
من بنى هاشم	١٩٠
من بنى عدى	١٩٠
من بنى مالك	١٩٠
من الأنصار	١٩٠
من بنى الحارث	١٩٠
من بنى غنم	١٩٠
من بنى مازن	١٩٠
من بنى مالك	١٩٠
ذكر الأسباب الموجبة للسير إلى مكة وذكر فتح مكة فى شهر رمضان سنة ثمان	١٩١
ما وقع بين بنى بكر وخزاعة	١٩١
شعر الأخزر	١٩٣
خزاعة تستنجد بالرسول ﷺ	١٩٤
أبو سفيان يطلب الصلح	١٩٥
الاستعداد لفتح مكة	١٩٦
حاطب يحذر أهل مكة	١٩٧
خروج الرسول إلى مكة	١٩٨
إسلام سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبى أمية	١٩٨
قصة إسلام أبى سفيان بن حرب	١٩٩
عرض الجيش على أبى سفيان	٢٠١
تحذير أبى سفيان أهل مكة	٢٠٢
إسلام أبى قحافة	٢٠٣
دخول مكة	٢٠٤
تخوف المهاجرين على قريش من سعد ابن عبادة	٢٠٤
شعار المسلمين يوم فتح مكة	٢٠٦
الذين أمر النبى ﷺ بقتلهم	٢٠٦
السبب الذى دعا الرسول ﷺ بقتل عبد الله بن سعد	٢٠٧
أسماء من أمر النبى ﷺ بقتلهم	٢٠٧
ما قاله عليه السلام على باب الكعبة	٢٠٨
قصة خراش مع قاتل أحمر	٢٠٩
الرسول يدخل الحرم	٢١١
الرسول يعطى الأمان لصفوان	٢١٢
إسلام رءوس أهل مكة	٢١٢
بقاء هبيرة على كفره	٢١٤
ما قيل من الشعر فى فتح مكة	٢١٥
قول حسان بن ثابت	٢١٥
ما قاله أنس بن زنيم	٢١٧
ما قاله بجير بن زهير	٢١٨
مسير خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بنى جذيمة	٢١٩
ما كان بين قريش وبنى جذيمة	٢٢٠
خبر ابن أبى حدرد مع بنى جذيمة	٢٢٢
شعر أحد بنى جذيمة	٢٢٢

الموضوع	الصفحة
رد ابن وهب عليه	٢٢٣
خالد يهدم العزى	٢٢٣
غزوة حنين فى سنة ثمان بعد الفتح	٢٢٤
قصة الملائكة وعيون مالك بن عوف	٢٢٥
الرسول ﷺ يستعير أدرع صفوان	٢٢٦
خروج الرسول ﷺ إلى هوازن	٢٢٧
قصيدة ابن مرداس	٢٢٧
قصة الشجرة ذات أنواط	٢٢٨
لقاء هوازن وثبات الرسول ﷺ	٢٢٨
من ثبت مع الرسول ﷺ	٢٢٩
شيبة بن طلحة يحاول قتل الرسول ﷺ	٢٢٩
النصر بعد الهزيمة	٢٣٠
شجاعة الإمام على رضى الله عنه	٢٣٠
أم سُلَيْم فى المعركة	٢٣١
قصة أبى قتادة وسلبه	٢٣٢
الملائكة تحضر القتال	٢٣٣
قصة الغلام الأغرل	٢٣٣
فرار قارب وقومه	٢٣٤
شعر ابن مرداس	٢٣٤
مقتل دُرَيد	٢٣٥
شعر عمرة	٢٣٦
استشهاد أبى عامر الأشعرى	٢٣٧
شعر سلمة	٢٣٨
المنهى عن قتلهم	٢٣٨
الشيماء أخت الرسول ﷺ	٢٣٨
شهداء يوم حنين	٢٣٩
سبايا حنين وأموالها	٢٣٩
شعر عباس بن مرداس	...
رد ابن العفيف	٢٣٩
	٢٤٠

الموضوع	الصفحة
شعر آخر لعباس بن مرداس	٢٤٠
شعر ضمضم	٢٤١
شعر مالك بن عوف	٢٤١
شعر رجل من هوازن	٢٤٢
شعر ابن وهب فى الرد على ابن ثواب	٢٤٣
ذكر غزوة الطائف بعد حنين فى سنة ثمان	٢٤٤
ما قيل من الشعر فى غزوة الطائف	٢٤٤
شعر كعب بن مالك	٢٤٤
كنانة يرد على كعب	٢٤٦
شعر شداد بن عارض	٢٤٧
الطريق إلى الطائف	٢٤٧
يوم الشدخة	٢٤٨
أبو سفيان بن حرب والمغيرة يتفاوضان مع ثقيف	٢٤٨
أبو بكر رضى الله عنه يفسر رؤيا الرسول ﷺ	٢٤٩
ارتحال المسلمين عن الطائف	٢٤٩
شعر الضحاك فى إطلاق أبى بن مالك من يد مروان	٢٥٠
الشهداء يوم الطائف	٢٥١
قصيدة بجير بن زهير فى حنين والطائف	٢٥١
أمر أموال هوازن وسباياها وعطايا المؤلفة قلوبهم منها وإنعام رسول الله ﷺ فيها	٢٥٣
إسلام مالك بن عوف	٢٥٥
تقسيم الفىء	٢٥٦
شعر ابن مرداس	٢٥٧
لماذا لم يعط النبى ﷺ جعيلا ؟	٢٥٨

الموضــوع	الصفحة
مقالة رسول الله ﷺ فى الأنصار	٢٥٩
عمرة رسول الله ﷺ من الجعرانة واستخلافه عتاب بن أسيد على مكة وحج عتاب بالمسلمين سنة ثمان	٢٦٠
أمر كعب بن زهير بعد الانصراف عن الطائف	٢٦١
شعر بجير لكعب	٢٦٢
كعب بن زهير وقصيدته (بانت سعاد)	٢٦٢
كعب رضي الله عنه يسترضى الأنصار بمدحهم	٢٦٩
غزوة تبوك فى سنة تسع	٢٧٠
أمر الرسول ﷺ بالاستعداد لتبوك	٢٧٠
تخلف الجد بن قيس	٢٧١
شأن المنافقين	٢٧١
حض الأغنياء على النفقة	٢٧١
شأن المعذرين	٢٧٢
المنافقون يرجفون بعلى رضى الله عنه	٢٧٣
أبو خيثمة وعمير بن وهب يلحقان بالرسول ﷺ	٢٧٣
ما قاله النبى ﷺ وهو بالحجر	٢٧٤
تقول ابن اللصيت	٢٧٥
قصة أبى ذر	٢٧٦
تخويف المنافقين المسلمين وما نزل فيهم	٢٧٧
الصلح مع صاحب أيلة	٢٧٨
خالد وأكيدر دومة	٢٧٨
وادى المشقق وماؤه والمعجزة	٢٧٩
ذو البجادين ودفنه وتسميته	٢٨٠
حديث أبى رهم فى تبوك	٢٨٠
أمر مسجد الضرار عند القفول من غزوة تبوك	٢٨١
دعوة أهله الرسول ﷺ للصلاة فيه	٢٨١
أمر الرسول ﷺ بهدمه	٢٨١
مساجد الرسول ﷺ	٢٨٢
أمر الثلاثة الذين خلفوا وأمر المعذرين فى غزوة تبوك	٢٨٢
حديث كعب عن تخلفه	٢٨٣
أمر وفد ثقيف وإسلامها فى شهر رمضان سنة تسع	٢٨٩
قصة بلال مع وفد ثقيف	٢٩٢
هدم اللات	٢٩٢
إسلام أبى مليح وقارب	٢٩٣
كتابه ﷺ لثقيف	٢٩٤
حج أبى بكر رضى الله عنه بالناس سنة تسع واختصاص النبى ﷺ عليا رضوان الله عليه لتأدية أول براءة عنه	٢٩٥
الأمر بجهاد المشركين	٢٩٧
القرآن يرد على قريش ادعاءهم عمارة البيت	٢٩٨
ما نزل فى أهل الكتابين	٢٩٩
ما نزل فى النسئ	٢٩٩
ما نزل فى تبوك	٢٩٩
ما نزل فى أهل النفاق	٢٩٩
ما نزل فى أصحاب الصدقات	٣٠٠
ما نزل فيمن آذوا الرسول ﷺ	٣٠٠
ما نزل بسبب الصلاة على ابن أبى	٣٠٢
ما نزل فى المستأذنين والمعذرين والبكائين ومنافقى الأعراب	٣٠٢

الموضوع	الصفحة
ما نزل في المخلصين من الأعراب	٣٠٣
ما نزل فى السابقين من المهاجرين والأنصار	٣٠٣
حسان يعدد مغازيه ﷺ شعرا	٣٠٥
ذكر سنة تسع وتسميتها سنة الوفود ونزول سورة الفتح	٣٠٩
انقياد العرب وإسلامهم	٣٠٩
قدوم وفد بنى تميم ونزول سورة الحجرات	٣١٠
رجال الوفد	٣١٠
أصحاب الحجرات	٣١٠
كلمة عطارد	٣١٠
ثابت بن قيس يرد على عطارد	٣١٠
شعر الزبرقان فى الفخر بقومه	٣١١
حسان يرد على الزبرقان	٣١٢
شعر آخر لحسان فى الرد على الزبرقان	٣١٣
إسلام الوفد	٣١٤
شعر ابن الأهتم فى هجاء قيس	٣١٤
قصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس فى الوفادة عن بني عامر	٣١٥
رؤساء الوفد	٣١٥
عامر يدبر الغدر بالرسول ﷺ	٣١٥
موت عامر بدعاء الرسول عليه	٣١٦
موت أربد بصاعقة	٣١٦
شعر لبيد فى بكاء أربد	٣١٦
قدوم ضمام بن ثعلبة وافدا عن بنى سعد بن بكر	٣٢٠
دعوة قومه للإسلام	٣٢٠
ما حدث بين الرسول وبين مسيلمة الكذاب	٣٢١
تنبؤ مسيلمة	٣٢١
قدوم زيد الخيل فى وفد طيىء	٣٢٢
قدوم عدى بن حاتم	٣٢٣
هروبه إلى الشام فرارا من الرسول ﷺ	٣٢٣
أسر الرسول ﷺ ابنة حاتم	٣٢٣
إسلام عدى	٣٢٥
قدوم فروة بن مسيك المرادى	٣٢٦
يوم الردم	٣٢٦
قدوم عمرو بن معديكرب فى أناس من بني زبيد	٣٢٧
قدوم الأشعث بن قيس فى وفد كندة	٣٢٩
إسلام وفد كندة	٣٢٩
قدوم صرد بن عبد الله الأزدى مسلما	٣٣٠
قتاله أهل جرش	٣٣٠
إخبار الرسول ﷺ بما حدث	٣٣٠
إسلام أهل جرش	٣٣١
قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم	٣٣١
كتاب الرسول ﷺ إليهم	٣٣١
وصية الرسول ﷺ معاذا حين بعثه إلى اليمن	٣٣٣
إسلام فروة بن عمر الجذامى	٣٣٣
حبس الروم له وشعره ومقتله	٣٣٤
إسلام بنى الحارث بن كعب على يدى خالد بن الوليد لما سار إليهم	٣٣٤
قدوم خالد مع وفدهم على الرسول ﷺ	٣٣٥
الرسول ﷺ يبعث عمرو بن حزم بعهده إليهم	٣٣٦
قدوم رفاعة بن زيد الجذامى	٣٣٨

الموضوع	الصفحة
إسلامه وكتاب الرسول إلى قومه	٣٣٨
ذكر الكذّابين مسيلمةِ الحنفى والأسود العنسي	٣٣٨
رؤيا الرسول ﷺ فيهما	٣٣٩
حديث الرسول ﷺ عن الدجالين	٣٣٩
خروج الأمراء والعمال على الصدقات	٣٣٩
كتاب مسيلمة الكذاب إلى رسول الله ﷺ والجواب عنه	٣٣٩
حجة الوداع	٣٤٠
تجهز الرسول ﷺ	٣٤٠
حكم الحائض فى الحج	٣٤٠
موافاة على رضى الله عنه فى قفوله من اليمن	٣٤١
خطبة الوداع	٣٤٢
أسم الصارخ بتبليغ ما يقوله رسول الله ﷺ	٣٤٣
تعاليم الرسول ﷺ للحاج	٣٤٤
بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين	٣٤٥
أسماء الرسل ومن أرسل إليهم	٣٤٥
أسماء رسل عيسى عليه السلام	٣٤٦
ذكر جملة الغزوات	٣٤٦
ذكر جملة السرايا والبعوث	٣٤٧
غزوة غالب بن عبد الله الليثى بنى الملوح	٣٤٧
شأن ابن البرصاء	٣٤٧
بلاء ابن مكيث فى هذه الغزوة	٣٤٨
نجاة المسلمين بالنَّعم	٣٤٨
غزوة زيد بن حارثة إلى جذام	٣٤٩
غزوة زيد الطرف	٣٥٣
غزوة زيد بن حارثة بنى فزارة	٣٥٣
غزوة عبد الله بن رواحة لقتل اليسير ابن رزام	٣٥٤
غزوة ابن عتيك خيبر	٣٥٤
غزوة عبد الله بن أنيس لقتل خالد بن نبيح الهذلى	٣٥٤
هدية الرسول ﷺ لأنيس	٣٥٥
بعض غزوات أخر	٣٥٥
غزوة عيينة بن حصن بنى تميم	٣٥٦
غزوة غالب بن عبد الله أرض بنى مرة	٣٥٦
غزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل	٣٥٦
غزوة ابن أبى حدرد بطن إضم وقتل عامر بن الأضبط الأشجعى	٣٥٩
غزوة ابن أبى حدرد لقتل رفاعة بن قيس الجشمى	٣٦١
غزوة عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل	٣٦٢
غزوة عبيدة بن الجراح إلى سيف البحر	٣٦٣
بعث عمرو بن أمية الضمرى لقتال أبى سفيان بن حرب وما صنع فى طريقه	٣٦٤
سرية زيد بن حارثة إلى مدين	٣٦٥
سرية سالم بن عمير لقتل أبى عفك	٣٦٥
غزوة عمير بن عدى الخطمى لقتل عصماء بنت مروان	٣٦٦
أمر ثمامة بن أثال الحنفى وإسلامه	٣٦٧
سرية علقمة بن مجزز	٣٦٨
سرية كرز بن جابر لقتل البجليين الذين قتلوا يسارا	٣٦٨
غزوة على بن أبى طالب إلى اليمن	٣٦٩

الموضوع	الصفحة
بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين	٣٦٩
ابتداء شكوى رسول الله ﷺ	٣٦٩
تمريضه ﷺ في بيت عائشة رضي الله عنها	٣٧٠
ذكر أزواجه ﷺ	٣٧٠
عائشة – سودة – زينب بنت جحش – أم سلمة – حفصة	٣٧١
أم حبيبة – جويرية – صفية – ميمونة	٣٧٢
زينب بنت خزيمة	٣٧٣
القرشيات منهن	٣٧٣
العربيات وغيرهن	٣٧٣
تمريض رسول الله ﷺ في بيت عائشة	٣٧٤
اشتداد المرض	٣٧٤
خطبة النبي ﷺ وتفضيله أبا بكر رضى الله عنه	٣٧٤
أمره بإنفاذ بعث أسامة	٣٧٥
وصايته بالأنصار	٣٧٥
اللدود	٣٧٦
دعاؤه لإسامة بالإشارة	٣٧٦
أبو بكر رضي الله عنه يصلى بالناس	٣٧٧
اليوم الذى قُبض فيه رسول الله ﷺ	٣٧٨
شأن على والعباس رضى الله عنهما قبل وفاته	٣٧٩
سواك الرسول ﷺ قبل وفاته	٣٧٩
مقالة عمر – رضى الله عنه بعد وفاته	٣٨٠
شأن أبى بكر رضى الله عنه بعد وفاته	٣٨٠
أمر سقيفة بنى ساعدة	٣٨١
عمر يذكر البيعة لأبى بكر	٣٨٢
خطبة عمر بعد البيعة لأبى بكر	٣٨٤
خطبة أبى بكر بعد البيعة	٣٨٥
جهاز رسول الله ﷺ ودفنه	٣٨٦
كيفية غسله – تكفينه	٣٨٦
القبر – الصلاة عليه ودفنه ﷺ	٣٨٧
من تولى دفنه	٣٨٧
أحدث الناس به عهدا	٣٨٨
خميصة رسول الله ﷺ السوداء	٣٨٨
افتتان المسلمين بعد موته ﷺ	٣٨٨
حسان بن ثابت يرثى الرسول ﷺ	٣٨٩
الخاتمة نرجو من الله حسنها	٣٩٥
الفهرس	٣٩٧

* * *

NOTE:
THESE BOOKS ARE SCANNED FOR OUR CHILDREN KNOWLEDGE.
THANK TO BROTHER NASIR UDDIN ARIF
TALIB DUA
NAZAR + AHMAD ALI